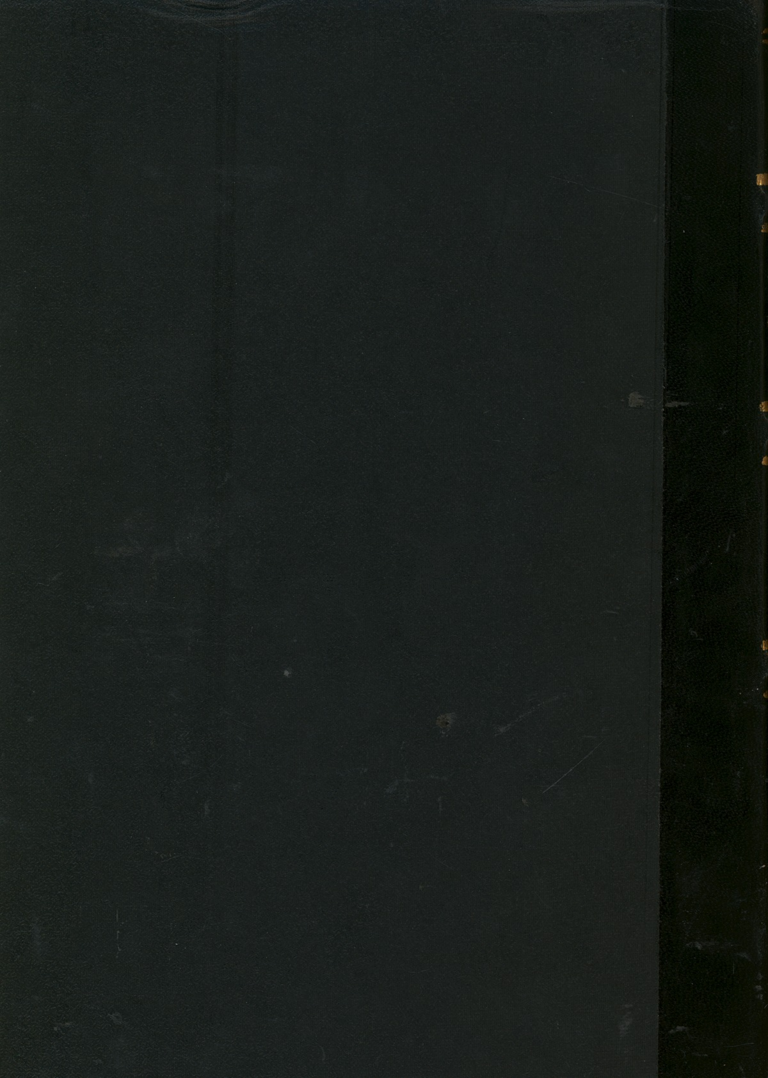


الجزء الأول

المجلد الثاني والثمانون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً))

مجلة محكمة فصلية

ذو الحجة ١٤٢٧ هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٧ م

الجزء الأول (٥٠١) المجلد الثاني والثمانون



مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا»

مجلة محكّمة فصلية



ذو الحجة ١٤٢٧هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٧م

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

(البحوث والدراسات)

المجـــامـــع[1]

مجمع دمشق وآفاق المستقبل

د. عبد الله واثق شهيد

تناولت الحلقة السابقة نشأة مجمع دمشق في العقد الأول من حياته الذي انتهى بصدور أول قانونٍ نظّمت به الدولة عمله في عام ١٩٢٨. تلك النشأة التي سادها اضطراب وضعه في الدولة، واستقراره في المجتمع الذي أحاطه ببيئةٍ لقي فيها الدعم والتعاون والاحترام. قام المجمع في ذلك العقد بتنفيذ أهم أغراضه فأزال آثار التتريك في التعليم والكتابة والإدارة، وأصدر مجلته، ونظم المحاضرات التثقيفية الأسبوعية التي ضمنت له في المجتمع استمرار الدعم، واتَّبع في عمله منهجًا ذكيًّا وسليمًا، وبراعةً في أسلوب معالجة المشكلات، فأحرز نجاحًا باهرًا وفريدًا في سيرته. وخُتِمت الحلقة بتلخيص التغيرات الطارئة على قانونه وأنظمته في القرن الماضي تهيئةً لعرض تطور أنشطته في هذه الحلقة، ومدى ما أحرز من نجاح وما لاقى من صعاب تراكمت بعد العقد الأول تدريجيًّا إلى أن استحالت في نهاية القرن إلى قيود محكمةٍ ضيّقت على أنشطته بشدة.

ألجأت تلك الضائقة المجمع إلى محاولة تعديل قانونه وتطويره، فلاقت

---

(١) نُشر القسم الأول والثاني من هذه الدراسة في العددين السابقين من مجلة المجمع (المجلد ٨١، الصفحات ٤٧٥- ٤٩٩، ٧٠٩- ٧٣٠).

مبادرته تجاوبًا وتشجيعًا من الدولة، فوضع المجمع في مشروعه ما ارتآه لتذليل تلك الصعاب.

تتناول هذه الحلقة عرض ما ذلل المجمع من الصعاب بتطبيق القانون الجديد، وما استعاد به من نشاط، وما لا يزال من المشكلات البنيوية مستعصيًا حله على القانون. وتُختتَم الحلقة باقتراح بعض الأفكار لمتابعة تطوير القانون بحيث يصبح أقدر على معالجة ما يعترض تحقيق أغراضه من مشكلات بنيوية مشابهة.

انقضى العقد الأول من حياة المجمع، وتابع اللغويون عملهم على محورهم بجدٍّ ونشاط. إلا أن معظم ما كان يحتاج إليه جمهور الناس في حياتهم العامة، وما كانت تحتاج إليه الدواوين والمدارس من الألفاظ كان قد وضعه المجمع في العقد الأول، وأجاب على أسئلة الجمهور في صحة كثيرٍ من الألفاظ والمعاني، وفي كيفية الوضع والتعريب، فانخفضت غزارة ما يوجه منها إلى المجمع بعد سنواتٍ قليلة من إنشائه. فتوجه اندفاع اللغويين فيه إلى العناية بالمجلة، وناقشوا الخيارات الثقافية الممكنة وكان أهمها وضع معجم جديد في اللغة العربية، وتثقيف الجمهور بتنظيم إلقاء المحاضرات، في القاعة التي كان قد خصصها المجمع لهذه الغاية في مقره بالمدرسة العادلية. أما مشروع المعجم فيبدو مما كتبه الرئيس كرد علي، أنه طرح من خاصّة الناس على المجمع، إذ يقول في تقريره الثالث عن أعمال المجمع في عام ١٩٢٤ «وهناك أناس من الوطنيين أخذوا هذه السنة يريدوننا على بلوغ الكمال في أعمال المجمع... ومن ذلك مطالبتهم للمجمع بتأليف معجم لغوي على مثال المجمع العلمي الباريزي، ولعلهم نسوا أن المادة غير متوفرة للقيام بهذا العمل النافع ... ولاسيما وضع أكثر الأسماء الجديدة اللازمة في فنون العلم»[٢].

---

(٢) ينظر أعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته الثلاث الأخيرة، مرجع سابق الصفحة ٦٥.

ودافع المغربي على صفحات المجلة عن رأي المجمع في رفض قيامه بالمشروع[٣].

ثم يعود كرد علي للحديث عن المشروع في تقريريه الرابع والسادس عن أعمال المجمع العلمي العربي فيذكر بعد ثلاث سنوات فقط، في الصفحة (١٤) من التقرير الرابع أن «في عزم المجمع أن ينشئ معجمًا صغيرًا يُدخِل فيه الأوضاع العلمية الحديثة..» ويعود بعد ثلاث سنوات أخرى أيضًا فيقول، في الصفحة (٣) من التقرير السادس «فللمجمع أمنية أخرى يعبّد لها الطرق الموصلة منذ سنين وهو (!) إحياء كتبٍ... ووضع معجمٍ متوسطٍ يضم إليه ما وضعه جماعته (جماعة المجمع) أو غيرهم من الألفاظ والمصطلحات العلمية...»، ثم يضم إلى هذه الأمنية أمنيةً أخرى في نفس التقرير والصفحة فيقول «وبذلك يتيسر له (للمجمع)....أن يقوم بعد حين بوضع مَعْلمةٍ عربية «دائرة معارف»، مستعينًا بمن أنبغت البلاد العربية من الكاتبين والباحثين...». إلا أن المجمع لم يُقدم على وضع معجم على غرار ما أقدم عليه المجمع العلمي الباريزي. وعلى الرغم من عزمه أن ينشئ معجمًا صغيرًا أو أن يضع معجمًا متوسطًا، فإنه استبعد هذا المشروع من خطته وكان مصيبًا في قراره، إذ لن يتوفر له من المصطلحات العلمية في عدة عقودٍ، ما يسوّغ له الإقدام على مثل هذا المشروع الكبير. إن تنفيذ مثل هذا المشروع يمتص معظم طاقات المجمع ولا يبقي له منها ما يمكّنه من إنجاز أعمالٍ تحفظ له تألقه في المجتمع، وهو أحوج ما يكون إلى التألق في تلك المرحلة التي شكك فيها بعضهم بجدوى وجوده[٤]. وكان من أمانيه - كما رأينا - وضع معلمةٍ عربيةٍ بعد حين مستعينًا بالباحثين والكاتبين العرب. فكأن المجمع،

---

(٣) ينظر عبد القادر المغربي: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٥ الصفحة ٢٧٧.

(٤) ينظر أعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته الثلاث الأخيرة، مرجع سابق، الصفحة ٧١.

ممثلاً برئيسه، كان يفتش عن مشروعات يتطلب تنفيذَها اندفاعُه الشديد الذي ولّدته الطاقات المختزنة وما اكتسبه من خبرة ومكانة. فاندفع لذلك لغويو المجمع ومن يدخل من الأعضاء في القسم اللغوي[٥] منه، في تنفيذ مشروع محاضرات كنا عرضنا ملخصًا عما لاقاه من نجاح من قبل. ولقد عدنا إليه لأنه جزء من مشروعات المجمع في العقدين التاليين، واستنفد جزءًا هامًا من طاقاته، ولأن الهدف من إلقاء المحاضرات كان نشر الثقافة بين الجمهور، وهذا يعني أن موضوعاتها ستكون متنوعة وتخرج عن مقاصد المجمع. ومن هنا نشأ جدل طويل حول هذه المحاضرات، انقسمت فيه الآراء في ثلاثة اتجاهات: «فئة ترى أن يقتصر المجمع في محاضراته على اللغة وآدابها، لأنه من نوع الأكاديميات، وقد أُسس لإحياء اللغة العربية وإنعاشها... وإغنائها بالمصطلحات الحديثة، وفئة ثانية ترى أن تتناول المحاضرات أنواع الآداب والعلوم والفنون..، وفئة ثالثة لا ترى أن تكون المحاضرات من وظائف المجمع لأنه مركز للأبحاث اللغوية... والظاهر أن المجمع كان بحاجة ماسة إلى إقامة المحاضرات لإثبات وجوده حين تأسيسه ولقلة المعاهد والنوادي الثقافية حينئذ. ثم خفّ إلحاح هذه الحاجة حينما أنشأ مجلته... وأصبح في دمشق عدد من المعاهد والنوادي والجمعيات الثقافية..»[٦]. وانصرف اللغويون إلى إدارة المجلة وتطويرها وإلى تنفيذ مشروع المحاضرات التثقيفية الذي بدأ في ١٧ نيسان سنة ١٩٢١ وتوقف في ١٢ نيسان سنة ١٩٤٦، وكان كما يستخلص من إحصاء المحاضرات، أقرب ما يكون إلى التوقف ما بين عامي ١٩٣٢و١٩٤١

---

(٥) ينظر لتعريف القسم اللغوي، الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي، مرجع سابق، الصفحة (١٠) وحاشية في الصفحة (٧٢٤) من المجلد ٨١ من مجلة المجمع.

(٦) ينظر الفتيح: مرجع سابق الصفحتان ٧٤و٧٥.

كما كان نصيب العلوم فيها لا يتجاوز خمسة بالمئة[٧].

كاد يصبح عمل اللغويين في المجمع راتبًا: إدارة مجلة المجمع والكتابة فيها، وإلقاء المحاضرات التثقيفية. وقد زيّن له النجاح الذي أحرزه في المحاضرات التثقيفية، استكمال دوره الثقافي في المجتمع، والقيام بمهام ذلك الدور التي هي مهام وزارة الثقافة في أيامنا هذه، فوسّع دوره ليشمل المراكز الثقافية، إضافة إلى دار الآثار، ومصلحة المكتبات العامة وحفظ الأضابير الوطنية، إذ سعى لإنشاء غرف للقراءة ونوادٍ للمحاضرات في حي الميدان وفي دار الحديث الأشرفيّة البرّانية في سفح قاسيون[٨]. ويذكر كرد علي في خطط الشام أن سعيه للحصول على الدار كُلّل بالنجاح، و«أخذها المجمع العلمي العربي من الأوقاف ليجعل فيها بعد أن يرمّها خزانة كتب يختلف إليها أهل تلك المحلّة»[٩]. لقد كان كرد علي يسعى بعزيمةٍ وإصرار للقيام أيضًا بوظيفة المراكز الثقافية اليوم. ومما لا شك فيه أن هذه المهام امتصّت قدرًا كبيرًا من طاقات المجمع المختزنة، وأن ما ينشره الأعضاء اللغويون في المجلة كان مشتتًا يفتقد إلى وحدة الهدف التي تتجسد عادةً في مشروع يسعى المجمع إلى تنفيذه ليرقى به درجات على مدارج النجاح.

إن هذه الأسباب كانت من أهم ما حال دون تحقيق المجمع نجاحًا في خدمة أغراضه الأساسية في اللغة يضاهي ما حققه منها في العقد الأول. وعلى الرغم من توقف محاضرات المجمع التثقيفية في ربيع عام ١٩٤٦ وقيام وزارة التربية فوزارة

---

(٧) ينظر الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي، مرجع سابق، الصفحات ٤٠-٧٣.

(٨) ينظر محمد كرد علي: تقريران عن أعمال المجمع، الصفحة ٦٢ من الثالث والصفحتان ٨ و٩ من السادس.

(٩) ينظر، محمد كرد علي: خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥، الجزء السادس، الصفحة ٧٣.

الثقافة بجميع المهام الثقافية التي كان يقوم بها المجمع، فإن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي مرت بالقطر وألقت عليه بتبعاتها، ألـمّت بالمجمع أيضًا، فضعضعت اتساقه مع البيئة التي كانت تحيط به، وانضافت نتائجها إلى تلك الأسباب، التي وإن لم تحل بمجموعها بينه وبين إحراز المزيد من التقدم، فقد حالت بينه وبين النجاح الذي حققه في العقد الأول من حياته. وإن في متابعة إحراز الأعضاء العلميين على محور تعريب التعليم العالي العلمي نجاحًا مرموقًا في عقودٍ من القرن الماضي امتدت حتى أواخر الخمسينيات، ما حفظ للمجمع حتى ذلك الحين مقامًا رفيعًا في سورية وفي المجتمعات العربية عامة، وهذا ما سنتناوله باختصار فيما يلي.

شرع المعهد الطبي العربي يدرِّس الطب باللغة العربية مع نشوء المجمع[١٠]، فكان على أعضاء هيئة التدريس فيه، إيجاد المصطلحات المناسبة للألفاظ الطبية في التراث العلمي العربي، فإن لم يجدوا فيه بغيتهم كان عليهم وضع المصطلح المناسب. وقد رأينا أنهم اجتازوا أصعب مرحلة في تعريب التعليم العالي بنجاح فريد، يذكّر بالنجاح الذي حققه أسلافهم في عهد محمد علي في مصر. لقد رنوا منذ أواخر العقد الأول أو أواخر عقد العشرينيات إلى صنع معاجم مختصة وأعدوا لذلك العدّة، بل ظهر بعضها في أواخره وإن لم يكن مكتمل الأسباب والصورة. إن تكامل مصطلحات اختصاصٍ ما وتنقيحها في سنواتٍ لاحقة، دفع منجزيها للتفكير باستيفاء ما تحتاج إليه مادة الاختصاص من المصطلحات التي لم ترد بعد معهم في دروسهم، كما دفع من ثم كلاً منهم للطموح إلى صنع معجم مختص

(١٠) ذكر الدكتور مرشد خاطر أن بعض المواد في مدرسة الطب بدمشق كانت تدرّس باللغة العربية بعد الانقلاب التركي (وقد وقع في عام ١٩٠٩)، ينظر مرشد خاطر: نشأة المعهد الطبي العربي بدمشق، مجلة المعهد الطبي، المجلد ١، الصفحة ٩.

بمصطلحات المادة التي يدرسها. وشجعهم على الطموح إليه، مبلغ النجاح الذي أحرزوه بالبحث الجاد الطويل الذي استمر دون كلال ولا ملل عقدًا من الزمن أو بعضه أو أكثر، والذي كان يحدوهم إليه الإيمان بقدسية مهمة التعريب. فكان ذلك باكورة نجاح المجمع في تعاونه مع المعهد الطبي العربي في التمكين لتعريب التعليم العالي. وظهر في المجمع معجمات مختصة في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، وأصبح وضع معجم مختص مطمح أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي منذ ذلك العقد، كما أصبح ذلك بداية المرحلة الثالثة في حياة المجمع، مرحلة صنع المعجمات المختصة. وهي مرحلة طويلةٌ مقارنةً بالمرحلتين السابقتين، إذ امتدت حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي، واختتمت في عام ١٩٧٠ بنشر معجم «مصطلحات تعويض الأسنان» للمجمعي الدكتور ميشيل خوري الأستاذ في كلية طب الأسنان. إلا أن غنى هذه المرحلة كان في نضج منهجية التعريب ووضع المصطلح لدى بعض أقطاب التعريب في مجمع دمشق. فقد أسس الأمير مصطفى الشهابي ببحوثه في هذا المجال – كما أشرنا من قبل – مدرسة احتلت منـــزلةً رفيعةً في الأوساط العلمية في الوطن العربي، وعالج في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» الذي نشره في عام ١٩٥٦ مشكلات النحت والاشتقاق، وكتابة الحروف الأعجمية... ومعظم ما يمت في اللغة العربية بصلةٍ إلى مشكلات المصطلح العلمي العربي، وكانت مدرسته أهم إنجازٍ حققه مجمع دمشق في المرحلة الثالثة وحتى نهاية القرن العشرين. وظهرت ملامح مدرسة أخرى في أعمال صلاح الدين الكواكبي الذي أولى فيها النحت ودراسة الأوزان عناية خاصة[١١]. أما مرشد خاطر أقدم أعضاء

(١١) ينظر عبد الله واثق شهيد: تطور المصطلح العلمي العربي، مرجع سابق، الصفحتان ٤٥٠و٤٥١.

المجمع من هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي، فقد أسس مجلة المعهد وقاد بها حركة تعريب التعليم الطبي طوال حياة المجلة قرابة ربع قرن. وقام في أثناء هذه المرحلة أول عملٍ علميٍّ تعاوني في المجمع لصنع معجم مختص، وهو العمل العلمي التعاوني الوحيد الذي أنجز على المحور العلمي في المجمع، قام به مجمعيون من أعضاء هيئة التدريس في كلية الطب (بفروعها الثلاثة) هم، مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي(١٢)، فاتفقوا على نقل معجم كليرفيل المتعدد اللغات إلى اللغة العربية، وطبع النص العربي لهذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦. وشغلت دراسة هذا العمل العلمي الكبير المجمعيَّ الدكتور حسني سبح ربع قرنٍ من الزمن، ونشر تعليقًا عليه سلسلةً من المقالات في مجلة المجمع ما بين سنتي ١٩٥٩و١٩٨٣. وتكاد تكون هذه الدراسة آخر عمل علمي قيِّمٍ على محور تعريب التعليم العالي في مجمع دمشق في القرن العشرين. ولما كان هذا العمل العلمي قد بدأ في الربع الأخير من المرحلة الثالثة أمكن عدّه جزءًا منها، إذ لابد أن يكون منهج العمل وهدفه وآليات تنفيذه قد وضعت جميعها في عقد الستينيات أو قبيله. لذلك يمكن القول إن إنجاز أعمال مجمعية قيّمة على هذا المحور قد توقف أو كاد منذ نهاية المرحلة الثالثة في عام ١٩٧٠ تقريبًا، أو في أواخر الربع الثالث من القرن الماضي.

إن التقدم الذي أحرزه تعريب التعليم العالي العلمي في مراحله الثلاث يكاد يكون من صنع أعضاء المجمع العاملين والمراسلين من الهيئة التدريسية في المعهد الطبي العربي. ويبقى للمجمع، وللأمير مصطفى الشهابي من العلميين فيه، فضل

---

(١٢) في تطور المصطلح العلمي في مجمع دمشق ينظر: عبد الله واثق شهيد: ١- تطور المصطلح العلمي العربي، مرجع سابق المجلد ٧٧، الصفحات ٤٤٥-٤٦٢، و ٢- تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي، المجلد ٧٩ الصفحات ٤٦٧-٤٩٠، والمجلد ٨٠ الصفحات ٢٥٧-٢٧٤.

كبير في إضفاء محاسن اللغة العربية، مجلوّة بمرونتها وغزارة معانيها، على أساليب التعريب ومنهجياته التي نشأت وتطورت معه.

في أثناء هذه المرحلة الطويلة امتد نشاط تعريب التعليم العالي إلى الكليات المحدثة بُعَيد الاستقلال، فنشر المجمعي الدكتور جميل صليبا مصطلحات الفلسفة في مجلدات مجلة مجمع اللغة العربية بعنوان «الاصطلاحات الفلسفية» بدءًا من المجلد ٣١ (عام ١٩٥٦).

ويلاحظ أن «نفيرًا» جماهيريًّا للتعريب لم يصحب الاستقلال على وجه يمكن أن يذكّر «بالنفير» للتعريب في أعقاب خروج العثمانيين وقيام الدولة العربية الأولى في عصر النهضة العربية الحديثة.فقد استقر التعليم باللغة العربية في جميع مراحله بسرعة، ولم يضطرب في أثناء الاحتلال الفرنسي اضطرابًا مثيرًا. ويبدو من تقارير شخصيات فرنسية قيادية في تلك المرحلة، أن التشجيع على تعريب التعليم العالي كان يخدم المصالح الفرنسية، فقد جاء في رسالة وجهها الكولونيل كاترو[١٣]، مندوب المفوض السامي في دمشق بتاريخ ١٢شباط سنة ١٩٢١، إلى الجنرال غورو يشرح فيها الصعوبات التي يعانيها المعهد الطبي العربي في دمشق ويقترح المحافظة على معهدي الطب والحقوق، وإنشاء جامعة عربية في دمشق إرضاءً للرأي العام الوطني والإسلامي في سورية وفي الأقطار المجاورة ولخدمة المصالح الفرنسية. وكرر كاترو هذا التوجه في خطاب له في دار الحكومة في دمشق في أيلول من السنة نفسها[١٤]. ويظهر أن سياسة فرنسا في التعليم العالي

(١٣) عبد الكريم رافق: تاريخ الجامعة السورية، مكتبة نوبل، دمشق ٢٠٠٤، الصفحة ٧٢.

(١٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الأول، الصفحة ٢٧٨، وتقرير الرئيس كرد علي عن أعمال المجمع العلمي العربي عن سنواته الثلاث الأخيرة (١٩٢٢-٢٣،٢٤) الصفحة ٢٥.

في سوريا لم تتغير، إذ عاد بونور[١٥] مدير المعارف العام في المفوضية العليا بعد عقد من الزمن فأكد بمحتوى كلمته التي ألقاها في حفل افتتاح السنة الجامعية سنة ١٩٣١، استمرار تلك السياسة. ولقد كنا أوردنا في دراسة سابقة[١٦]، بعض المؤشرات التي تفسر موقف فرنسا الإيجابي من تعريب التعليم العالي في سورية وتبيّن أنه يخدم مصالحها، في تنافس مع البريطانيين الذين اتخذوا اللغة الإنكليزية في الأقطار العربية المجاورة المحيطة بسورية ولبنان لغةً للتدريس في التعليم العالي.

إن استقرار التعليم باللغة العربية في جميع مراحله، وسياسة فرنسا التي شجعت على تعريب التعليم العالي، كانا من أهم أسباب إحاطة المجمع والتعليم العالي ببيئة تدعو إلى إشاعة الاطمئنان على مسيرة التعريب، ولا تستحثّ الهممَ باستنفارها – خوفًا عليه – للقيام بقفزةٍ أو طفرةٍ فيه، كتلك التي جاءت مع التحرر من السيطرة العثمانية وسياسة التتريك التي اتبعتها السلطات العثمانية زمنًا طويلاً. لهذه الأسباب، ولأسباب أخرى أقل أهمية لم يشهد تعريب التعليم العالي في مطلع عهد الاستقلال طفرةً أو قفزةً يمكن أن تذكرّ بالطفرة الأولى، التي أنجزها المجمع في العقد الأول من حياته.

إلا أن حاجة التعليم والثقافة والتجارة والصناعة إلى معجمات حديثة تستوعب ألفاظ الحضارة، اشتدت بعد الاستقلال، فظهر منها في الأسواق قواميس إنكليزية عربية، وفرنسية عربية بعيدًا عن المجامع. وبقيت جهود مجمعنا موجهة إلى صنع المعاجم المختصة، ولكنها اقتصرت فيها أيضًا على العلوم التي كانت ممثّلةً فيه ولو بعضوٍ واحد، فولدت في المجمع معاجم مختصة في فروع

---

(١٥) مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الثامن (١٩٣١)، الصفحات ٤٥-٥٠.

(١٦) عبد الله واثق شهيد: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم، مرجع سابق، المجلد ٧٩، الصفحات ٤٨٧-٤٨٩.

الطب والصيدلة والزراعة، وامتد توالدها في الخمسينيات إلى العلوم الإنسانية (المعجم الفلسفي للمجمعي الدكتور جميل صليبا). إلا أن فروع العلوم الأخرى بقيت بعيدة عن المجمع، ولم يدخل المجمع مهندس، في غير الزراعة، إلا في أواخر المرحلة الثالثة، إذ انتخب المهندس وجيه السمان وسمي عضوًا في المجمع في عام ١٩٦٨، ثم انتخب المهندس عبد الرزاق قدورة وسمي عضوًا فيه في عام ١٩٧٠، وقد كنا أشرنا في دراسة سابقة[١٧] إلى الآثار السيئة لهذا التقصير على المجمع وعلى التعريب.

واشتدت الحاجة بعد الاستقلال إلى المعاجم المختصة أيضًا في فروع العلوم والتقانة والتقنية، فطلبت وزارة الدفاع في عام ١٩٥٩ من المجمع تقديم العون في مشروعٍ لوضع معجمٍ عسكريٍّ فرنسيٍّ عربيٍّ، وألّفت لجنةً من بعض فنّييها، وأسندت رئاستها إلى الأمير مصطفى الشهابي، وجعلت الأستاذ عز الدين التنوخي عضوًا فيها، وكلاهما عضو في المجمع، وتلك كانت بداية خروج صناعة المعجمات المختصة من المجمع. ثم عادت وزارة الدفاع مرةً أخرى لوضع «المعجم الكهربائي الإلكتروني» مستعينةً بالمجمعيّين الأستاذ سعيد الأفغاني عضو مجمع القاهرة والدكتور عبد الرزاق قدورة عضو مجمع دمشق، ونشرت هذا المعجم في عام ١٩٧٥. وهكذا خرجت صناعة المعجمات المختصة من المجمع تدريجيًّا وعلى الوجه الذي كنّا بيّنّاه في دراسةٍ سابقةٍ أشرنا إليها قبل قليل[١٨]. لقد كان بوسع المجمع القيام بهذه المشروعات والاحتفاظ بصناعة المعجمات المختصة في حوزته مستفيدًا مما يُجمِّع في صناعتها من الخبرات لتحسين وإجادة تطويرها. أما الخبرات التي اكتسبها بعض العاملين في

---

(١٧) ينظر عبد الله واثق شهيد: تطور المصطلح العلمي العربي، مجلة مجمع دمشق، المجلد ٧٧ (سنة ٢٠٠٢) الصفحتان ٤٥٦–٤٥٧.

(١٨) المرجع السابق. الصفحات ٤٥٨–٤٦١.

الجهات الأخرى التي أنجزت معجمات مختصةً، بالتعاون مع مجمعين أو مع غيرهم فمصيرها النسيان والضياع، إذ لم يكن من مهامهم جمع تلك الخبرات وحفظها. لقد كان بإمكان المجمع المبادرة إلى صناعة مختلف أنواع المعجمات المختصة، مستعينًا بتوزيع اختصاصات أعضائه وبالخبراء في مختلف فروع العلم والتقانة والتقنية، وتكوين خبرة ثمينة ونادرة ذخرًا له وللعربية.

مع انتهاء المرحلة الثالثة خرجت صناعة المعجمات المختصة من المجمع، وشارك بعض أعضائه في وضع بعض المعجمات المختصة أو في نقلها إلى العربية أو في المشورة اللغوية في هذه الأعمال. ووضع بعض أعضاء هيئة التدريس في كليتي العلوم في عام ١٩٨٣ والآداب في عام ١٩٨٥ معاجم مختصة بمنأى عن المجمع، كمعجم الرياضيات المعاصرة (للأساتذة صلاح أحمد وموفق دعبول وإلهام حمصي) ومعجم علم النفس (للأستاذ فاخر عاقل)، وتولت الاتحادات العلمية والنقابية ومكتب تنسيق التعريب ودور النشر الخاصة هذه المهمة.

لم يكن للمجمع في الربع الأخير من القرن الماضي مشروعات كبيرة يخدم تنفيذُها بعضَ أغراضه الأساسية، كوضع المصطلحات العلمية في التعليم العالي، أو توحيد ما تستعمله جامعاتنا منها، أو وضع معجمات للمعاني يستوحى تصنيفها من حاجات المجمع إلى المعجمات المختصة في العلوم، تخصص فيها فصول لكلٍّ من الحرارة والصوت واللون والحركة...، أو كتيسير تعليم وتعلُّم اللغة العربية، أو توحيد قواعد الإملاء، أو غير ذلك مما تُستقرأ أهميته من بين أغراض المجمع. وقد أحيا بعضَ الأمل في إصلاح توجه المجمع في مسيرته، اعتمادُه في العقد الأخير من القرن الماضي إقامة ندوات في هذا المنحى، خُصصت كل منها لمعالجة أحد الموضوعات المتصلة بأغراضه الأساسية. فكان منها: اللغة العربية والإعلام، واللغة العربية والتعليم... إلا أن أهداف ندوات في مثل هذه الموضوعات الأساسية

تكون بعيدة المنال، لا يتحقق الوصول إليها بندوةٍ وحيدةٍ تعَدّ دراساها في أشهر قليلة أو أسابيع. إن مثل هذه الموضوعات، لا يتحقق الوصول إلى أهدافها غالبًا إلا في مجموعة من الندوات تتدرج أهدافها المرحلية مقتربة باطّراد من الهدف الأساسي البعيد المستهدف. والمجمع كان بعيدًا عن اعتماد التخطيط والخطط بالمعنى المذكور، خاصةً في الربع الأخير من القرن الماضي. وإن وردت كلمة خطةٍ في تقارير المجمع السنوية فإن ورودها لم يكن أكثر من تعبيرٍ عن مجموعة الأماني التي تمنت اللجان اعتمادها في عامٍ مقبلٍ دون النظر غالبًا في علاقتها بمثيلتها في عام سابقٍ، أو في مدى توفر الطاقات البشرية والمالية لتنفيذها. لذلك أيضًا كانت التوصيات التي تقر في ندوةٍ تبقى حبيسة الأوراق التي سجلت عليها، أو محفوظة في مطبوعات المجمع، ذلك لأن المجمع كان ينهي مهمته في كل ندوةٍ بوضع التوصيات. ثم رأى ضرورة السعي لمتابعة تنفيذها لدى أصحاب القرار وصانعيه في الوزارات المعنيّة، إلا أن نتائج مسعاه كانت مخيبة للآمال. وتلك كانت نتائج منتظرة لأن نجاح أي ندوة أو خطةٍ مستبعد إذا ما وضعت أو نفّذت بمعزلٍ عن المعنيين بها. ولابد من التعاون مع أولئك المعنيين في تحديد توجّه الندوة، وتشجيعهم على المشاركة فيها بدراسات يعدّونها، فإن لم يكن فبما يدور فيها من مناقشات، وفي اقتراح ما يرونه مفيدًا من التوصيات القليلة العدد التي لا يصعب تنفيذها. وإن إعداد دراساتٍ وبحوثٍ، لما يراد له النجاح من مثل هذه الندوات، يحتاج إلى وقت كافٍ يصبح معه الإعلان عن الندوة قبل سنةٍ أو أكثر من موعد انعقادها ضروريًّا، ويستحسن أن يكلّف بعض الباحثين تقديم البحوث الهامة في موضوع الندوة، أو أن يُعلن عن تخصيص جوائز المجمع التشجيعية لأحسن البحوث المقدمة فيها. أما ندوات المجمع التي أقامها في العقد الأخير من القرن، فإنها لم تستوف أيًّا من الشروط المذكورة، ولم تكن بينها روابط توحي

بتوجُّهٍ ثابتٍ لمتابعة معالجة بعض قضايا اللغة كما حددها أغراض المجمع، ووفق منهج مدروسٍ ورؤيةٍ رُسمت خطوطها الكبرى على الأقل.لقد خلت أعمال المجمع في أواخر القرن الماضي إذًا من المشروعات التي لها أهداف محددة، كمشروع إزالة آثار التتريك ومشروع نقل معجم «كليرفيل» إلى العربية، وخلت من مشروعات المعجمات المختصة. أما مشروع المحاضرات التثقيفية فلا يدخل ضمن مفهوم المشروعات المذكورة إذ ليس له هدف محدد ينتهي المشروع بالوصول إليه، فهو من أنشطة المجمع وليس من مشروعاته التي لها هدف محدد الأغراض والمدة الزمنية، وتوقُّفه في عام ١٩٤٦ لا علاقة له بهدف حُدد من قبل. وليست المجلة في وضعها الحالي مشروعًا بهذا المعنى، إلا أن بالإمكان صنع مشروع بعيد الأمد تحدِّد أهدافَه المرحلية خطةٌ بعيدة الأمد تصوِّر مراحل تطوير المجلة محتوًى وتوجهًا وإخراجًا وتوزيعًا. وخلوُّ المجمع من المشروعات يبقي إنتاجه شتاتًا يصعب ويندر استخلاص أعمال مميزة منه.

لقد تطورت البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المحيطة بالمجمع تطورًا كبيرًا ما بين أيام المجمع الأولى وأواخر القرن.

أما البيئة الاجتماعية الاقتصادية، فقد تدرَّجت مطالب المعيشة في الارتفاع باطِّراد، وازدادت قسوةً وإرهاقًا للناس. وعلى الرغم من أن القناعة كانت تسود البيئة الاجتماعية إبان إنشاء المجمع، وأن المثقفين كانوا يتطوعون لأداء ما يكلفهم المجمع عمله، فإن الأعضاء العاملين (الموظفين) كانوا كما يذكر كرد علي، أعضاء في مجلس المعارف الذي انقلب إلى مجمع علمي «و(كانوا) يصرحون بأني إذا لم أقبل بالبقاء (رئيسًا لمجلس المعارف) فالحكومة تصرفهم من الخدمة فأكون السبب في قطع أرزاقهم وهم أرباب عيال» (١٩). فمعيشة المجمعيين كانت صعبة

(١٩) ينظر محمد كرد علي: المذكرات، مطبعة الترقي بدمشق، سنة ١٩٤٨، الجزء الأول،

قاسيةً منذ تلك الأيام وازدادت قسوةً وزادت مطالبها إرهاقًا للناس، وتغير قانون المجمع في القرن الماضي عدة مرات، وصحب التغيرات محاولات لتحسين المكافآت المالية على الدراسات والأعمال، إلا أن اتساق وضع المجمع مع البيئة الاجتماعية الاقتصادية المحيطة به كان يزداد اضطرابًا مع المستجد من القوانين، حتى أضحت النظم الإدارية والمالية للمجمع في أواخر القرن غريبةً عما كان يسود البيئة الاقتصادية الاجتماعية من تلك النظم. يُروى عن أحد الأعضاء في الربع الأخير من القرن الماضي قوله: إن تعويض حضور جلسات المجلس كان يمكنني من الذهاب لحضور الجلسة، أما العودة من المجمع إلى المترل فعليّ أن أتدبر أمرها! وتقع المكافأة على العمل العلمي في منـزلةٍ ماليةٍ كمنـزلة حضور الجلسات. فهل بإمكان من استنفدت مطالبُ المعيشة المطَّردةُ الارتفاع طاقاته أن يشارك في تنظيم مشروع رئيسي أو في تنفيذه؟ لاشكّ أن مطالب المعيشة لم ترهق جميع أعضاء المجمع دفعةً واحدةً، لاختلاف أوضاعهم المادية، ولكن نسبة من أرهقته منهم أخذت ترتفع مع تقدم الزمن، حتى شملتهم جميعًا أو كادت في الربع الأخير من القرن.

في هذه البيئة، التي تدعو من جهة إلى إشاعة الطمأنينة على مسيرة التعريب، ولا تستنفر الهمم خوفًا عليه، والتي أرهقت فيها مطالب المعيشة من جهة أخرى أعضاء المجمع، لا يُنتظر أن ينجز المجمع أعمالاً تضاهي ما أنجزه منها في العقد الأول من حياته، ولا أن يفكر في اعتماد مشروعات أساسية كتلك التي مرّ ذكرها.

أما البيئة الثقافية فقد تطورت أيضًا تطورًا كبيرًا، فمنذ عقد الأربعينيات زاد عدد النوادي والجمعيات الثقافية، وانتزعت جامعة دمشق بكلياتها الجديدة في

المجمع العلمي، الصفحة ٢٧٧ .

أواخر هذا العقد دور المجمع في تنظيم المحاضرات التثقيفية، فتوقف برنامج تلك المحاضرات. ثم حلت بعد عقد وبعض العقد من الزمن وزارة الثقافة محل المجمع في تنفيذ طموحاته الثقافية كلِّها، فأسست المراكز الثقافية، ثم أُنشئت هيئة مهمتها وضع موسوعة (مَعلمة) عربية كان إنشاؤها حلم مؤسس المجمع، وألحقت برئاسة الجمهورية تعبيرًا عن أهمية المشروع في الدولة....

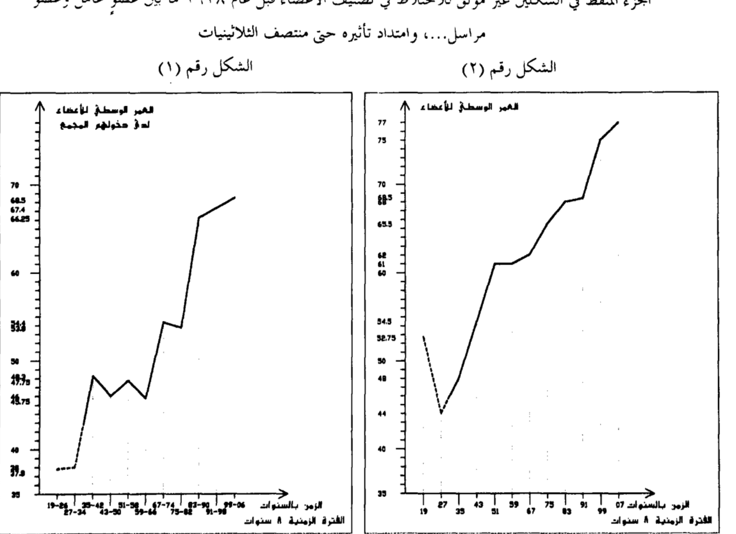
وفي هذه البيئة تراجع التعليم أيضًا، وهو لا يزال يتقهقر، فلم نعد نجد في أواخر القرن، في كلية الطب، أمثال الطالب مختار هاشم، الذي كان ينشر، في عام ١٩٣٥[٢٠]، على صفحات مجلة المعهد الطبي العربي، ما يضع من مصطلحات في الطب، وما يراه في بعض ما نُشر من مصطلحات مجمع فؤاد الأول (مجمع القاهرة)، ولا تزال بعض المصطلحات التي وضعها معتمدةً في أيامنا هذه. ولم نعد نجد فيها من الطلاب أمثال عبد السلام العجيلي الذي وضع مقاماته وهو طالب في الكلية.

أسس محمد كرد علي المجمع في عام ١٩١٩ وهو في الثالثة والأربعين من العمر وكان معه، عضوًا فيه وفي مثل سنّه، عبد القادر المبُارك وفارس الخوري. أما عز الدين علم الدين التنوخي، وهو من المؤسسين، فلم يكن قد تجاوز الثلاثين من العمر، وكان أزهريًّا تخرج في الزراعة من مدرسة عليا في فرنسا. وفي مثل سنّه أيضًا كان مرشد خاطر عضوًا في المجمع إبان تأسيسه. وظل المجمع في عقد العشرينيات يُرفد بأعضاء في مقتبل العمر، كان منهم الشيخ بهجة البيطار في التاسعة والعشرين وخليل مردم في الثلاثين والأمير مصطفى الشهابي في الثالثة والثلاثين، وكانوا جميعًا من ذوي الشأن في المجمع. إلا أن قانون المجمع ذا الرقم

(٢٠) ينظر مختار هاشم: مصطلحات علمية، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر (١٩٣٥) الصفحة ٣٧٦.

٦٠/آ.س الصادر في عام ١٩٤٣ جعل سنّ الخامسة والثلاثين حدًّا أدنى لسن المرشح لعضوية المجمع، ولعلهم أخذوا بهذا الشرط قبل صدور القانون، إذ لا نجد بين الأعضاء الذين انتخبوا بعد صدور أول قانون للمجمع (القرار ذو الرقم ١٣٥ الصادر في عام ١٩٢٨) من كان لدى انتخابه عضوًا عاملاً دون الخامسة والثلاثين. ونلاحظ أن متوسط عمر العضو العامل عند انتخابه قد ارتفع بعد سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف إلى الثامنة والأربعين ثم راوح ما بينها وبين السادسة والأربعين حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي (ينظر الشكل رقم ١)، ثم أخذ يرتفع بشدة ودون توقف حتى قارب في أيامنا هذه السبعين. لذلك كان متوسط عمر العضو العامل في المجمع في ارتفاع مستمرٍ وشديدٍ في بعض الفترات من عمر المجمع، وقد جاوز الخامسة والسبعين أيضًا في أيامنا هذه! (ينظر الشكل رقم ٢)

الجزء المنقط في الشكلين غير موثّق للاختلاط في تصنيف الأعضاء قبل عام ١٩٢٨ ما بين عضوٍ عامل وعضو مراسل...، وامتداد تأثيره حتى منتصف الثلاثينيات



الشكل رقم (٢)

الشكل رقم (١)

يطرح علينا هذا الواقع أسئلة عديدة مختلفة أهمها، ما هي أسباب هذا الارتفاع وما هي انعكاساته أو ارتداده على مقدرة المجمع على القيام بمهامه؟

أما أسبابه فأهمها انخفاض مستوى التعليم الذي رافق اتساعَ رقعته اتساعًا تضاءل أمامه ما خُصص له من طاقات. وأهم مظاهر انخفاض مستواه، انخفاض مستوى ثقافة جمهرة المتعلمين. والثقافة شديدة الارتباط باللغة، فاللغة حامل الثقافة، توسِّع آفاقها وتزيِّن محتواها وتبدع تميّزها وتصور هويتها. وإن التنمية اللغوية والترقية الثقافية هما في تفاعل مستمر، تَقدُّم كل منهما سبب في تقدم الأخرى، وتعثر أي منهما يسبب تراجع الأخرى. وهذا يعني أن انخفاض مستوى التعليم يرافقه انخفاضٌ في مستوى التنمية اللغوية وتخلفٌ في المعرفة اللغوية. ورافق ذلك كله إرهاق متطلبات المعيشة الناسَ ومنهم المتعلمون. فانصرفوا إلى تأمينها، فأُهملت الترقية الثقافية، وتخلفت المعرفة اللغوية لدى جمهرة المتعلمين. لذلك كان ارتقاء غير اللغويين من جمهرة المتعلمين، إلى مستوى مقبولٍ في اللغة العربية يتطلب مثابرة على الإعداد زمنًا طويلاً يزداد طولاً باطّرادٍ مع انخفاض مستوى التعليم. وهؤلاء هم من الذين توجههم طبيعة العمل الذي يمارسونه وطلب النجاح فيه إلى العناية بلغتهم،وقد يصبح بعضهم لغويًّا. إلا أننا نجد بين اللغويين من استحوذت عليه اللغة العربية مذ كان يافعًا، وأولئك هم الذين أشرنا إليهم من قبل، تتجاذبهم الجامعات العربية فيقضون سنوات العطاء من عمرهم خارج الوطن، ولا يعود إليه جُلُّهم إلا وهم على مشارف السبعينيات من العمر.

وأما انعكاسات استمرار ارتفاع متوسط عمر العضو العامل عند انتخابه على قدرات المجمع، فهي تراجع تلك القدرات بسبب تراجع قدرات الناس كلما تقدموا في العمر إلى ما بعد الأربعينيات أو الخمسينيات منه على أبعد تقدير.

كان استمرار ارتفاع متوسط عمر المنتخب عضوًا في المجمع، وجمود نظمه الإدارية وتخلفها، أهم المشكلات التي واجهها وتصدى لمعالجتها في أواخر القرن

العشرين. كانت المحاولة الأولى لمعالجة الوضع المتأزم تطوير نظم المجمع، قانونه ولائحته الداخلية ونظامه الداخلي. وبدئ بتطوير القانون، وصيغت المقترحات في قانونٍ جديد، ارتفع فيه عدد أعضاء المجمع من عشرين إلى خمسةٍ وعشرين عضوًا لتحسين تمثيل فروع العلوم المتزايدة المختلفة فيه. وجُعل فيه للمجمع مؤتمرٌ سنويٌ يستعرض فيه، في «تقريرٍ سنويٍّ» ما قام به في سنةٍ مضت من الأعمال، وفي«خطته العلمية» ما سيقوم به في العام المقبل، ويُناقش التقرير والخطة في جلسات مفتوحة يُستمع فيها إلى آراء العلماء المدعوّين. وأحدث القانون هيئةً فنيّةً في المجمع على غرار مثيلاتها في الجامعات، تحتضن بذور البحث العلمي اللغوي، وينمّي فيها المجمعُ بحوث المشكلات التي يعالجها. وفتح القانون باب التعاون مع الجامعات في بحوثه فأجاز تفرغ أعضاء هيئة التدريس فيها للبحث العلمي في المجمع، كما أجاز في هذا التعاون الإشراف المشترك على بحوث إعداد الشهادات العليا في مختلف فروع اللغة العربية، وفي علاقاتها بالمعلوماتية، فأتاح للمجمع تكليف العاملين المختصين فيه من المجازين في اللغة العربية، أو من أعضاء الهيئة الفنيّة في اللغة العربية أو المعلوماتية، وتكليف طلاب الدراسات العليا من خارج المجمع إعداد شهاداتٍ (دبلوماتٍ) عليا في مواضيع يقترحها المجمع تكون جزءًا من خططه العلمية التي يضعها لخدمة بعضٍ من أغراضه المحددة.

وأجاز القانون لمجلس المجمع تأليف ما يراه من اللجان الدائمة والوقتية لدراسة الموضوعات التي يحددها لها، والاستعانة فيها بالخبراء وجعَل قواعد منح المكافآت على الأعمال العلمية وعلى حضور جلسات المجلس والمكتب واللجان مستثناةً من الحدود القصوى المنصوص عليها في القوانين، وتصدر بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح المجمع، وأحال على اللائحة الداخلية وضع الأحكام التفصيلية. وحدد القانون التعويض الشهري لعضو المجمع فأنهى بذلك تلكؤ

السلطات الحكومية (في التعليم وفي المالية) زهاء نصف قرنٍ في تحديد هذا التعويض، الذي كانت اللوائح الداخلية أو ما يقوم مقامها قد أشارت إليه. واستُكمِل انفراج الأزمة التي كانت مستحكمة في جمود الأنظمة بتطوير اللائحة الداخلية، فتوسع المجمع في تأليف اللجان الدائمة وفي أحكام تأليفها ومشاركة الخبراء فيها.

شرع المجمع في تطبيق قانونه الجديد ذي الرقم ٣٨ الصادر في ٢٠٠٠/٦/٦، فعدّل اللائحة الداخلية تنفيذاً لأحكامه ولتتسق أحكامها مع أحكامه، وصدرت اللائحة الجديدة برقم ٢/ت.ع بتاريخ ٢٠٠٢/١/١٥، ثم أعاد المجمع تأليف اللجان كما وردت في القانون ولائحته الداخلية. وبدت تباشير النشاط في المجمع في لجان المصطلحات العلمية، التي كانت من قبل لجنة واحدة تبحث في جميع مصطلحات العلوم والآداب والاقتصاد والمجتمع! فأربت اللجان الدائمة لمصطلحات العلوم والتقانة، في اللائحة الجديدة، على خمس لجان، تنسق أعمالها (وأعمال لجان المصطلح الأخرى) لجنةُ تنسيق المصطلح. وقد أنهت لجنة توحيد مصطلحات الفيزياء المرحلة الأولى من معجم مصطلحات الفيزياء الموحدة، ونوقشت حصيلتها مع منتدبي الجامعات، كما نوقشت مصطلحات هذا المعجم في لجنة تنسيق المصطلح. وصدرت الطبعة التجريبية الثلاثية اللغات (العربية والإنكليزية والفرنسية) وحوت الأصول اليونانية واللاتينية (وبعض العربية والإسبانية) للمصطلحات، وتعمل اللجنة على وضع تعريفات مختصرة للمصطلحات ستصدر في طبعةٍ لاحقة. وتقوم لجان المصطلح الأخرى بتوحيد مصطلحات العلوم الطبيعية (علوم الحيوان والنبات والجيولوجيا) والزراعية، وبوضع معجم لألفاظ الحضارة المعاصرة...

وعلى ما يبدو من تطبيق أحكام القانون الجديد، فإن معالجة الكثير من

المشكلات التي كانت سببًا في تعثر نشاط المجمع في أواخر القرن الماضي، أصبحت ممكنة. ولا يلوح في آفاق المجمع من المشكلات المستعصية سوى مشكلة استمرار ارتفاع متوسط عمر الأعضاء عند انتخابهم، وما يمكن أن يتعذّر معها على المجمع تحقيقه من تطوير أساليب عمله، وقد تفاجئنا بعد معالجتها أو في أثنائها مشكلاتٌ أخرى كان اهتمامنا منصرفًا عنها.

كانت المحاولة الأولى لمعالجة هذا الوضع المتأزم، اشتراط الخامسة والخمسين حدًا أعلى لعمر المرشح لعضوية المجمع، فأخفق المجمع في إيجاد مرشحين يتوفر فيهم هذا الشرط في العلوم الطبيعية والهندسة الميكانيكية واللسانيات، ولم يُجْدِ رفع الحد الأعلى للسن إلى الستين!

فما هي مؤهلات مجمعٍ تجاوز متوسط عمر العضو العامل فيه الخامسة والسبعين؟ لاشك أن خبرات أعضاء مثل هذا المجمع في الشؤون التي تثيرها أغراضه أصبحت كبيرة، نمّتها التجارب الكثيرة التي عانوها، فجعلت مقدرته على تقديم المشورة فيما يعرض عليه كبيرة أيضًا وقيِّمةً، وأهَّلته للقيام بتنفيذ مشروعات كبيرة مستعينًا بالخبراء.. إلا أن نصيب الإبداع قليلٌ فيما يقدِّم من حلول للمسائل المعقدة فيها، التي تحتاج معالجتها إلى اقتران الخبرة بالإبداع. وقد عانى كرد علي منذ بداية تأسيس المجمع عدم اتساق أعمار زملائه في المجمع أو أجيالهم فذكّر في التقرير السادس عن أعمال المجمع بأن «... المجمع يستفيد من أكثر أعضائه إلا من بلغوا من السنّ عتيًا، فإنهم متقاعسون عن خدمته على غير إرادتهم[٢١]...» وهو في هذا التقرير الذي يطّلع عليه الأعضاء، أشار إلى الأعضاء المراسلين. إلا أنه في مذكّراته عرّض بكبار السنّ من الأعضاء العاملين صراحةً،

(٢١) ينظر التقرير السادس عن أعمال المجمع، مرجع سابق، الصفحة ٦.

فقال «وبدأت رئيسًا على جماعةٍ من الشيوخ... [٢٢]»، وكان أغلبهم شيوخًا كبار السن.

يجب أن يكون إذًا إعادة متوسط أعمار أعضاء المجمع إلى أقصى حدود الكهولة كبرًا، هدفًا هامًا من أهداف مشروعٍ جديدٍ لإصلاح أوضاع المجمع وإعادة تأهليه للقيام بتحقيق أغراضه بيسر.

هذا الواقع هو العقبة الكأداء أمام كل سبل تمكين المجمع من القيام بمهامه الأساسية، وهو أيضًا سبب في نشوء عقبات أخرى تحول دون تطوير وسائل عمله. ولقد استعصى تذليل هذه العقبة باشتراط حدٍّ أعلى لسنّ المرشح لدى البحث عن مرشحين في اختصاصات علمية أساسية وتطبيقية (العلوم الطبيعية والزراعة والهندسة) ولغوية أيضًا (اللسانيات). ويدعونا ذلك إلى محاولة إعداد بيئةٍ مواتيةٍ لتنشئة مجمعيين، يسهر المجمع على إعدادها، وإعدادهم فيها ضمن أنشطةِ معالجة الموضوعات التي تحقق معالجتها أغراضه. أما هذه الموضوعات فشديدة التنوع، لأن المجمع معنيٌّ بجميع الموضوعات التي تطرح عليه مما يتعلق بترقية اللغة العربية، ما هو منها طارئٌ وقتيٌّ له غالبًا صفة الاستعجال في معالجته، وما هو قديم استعصى تيسير معالجته زمنًا طويلاً، ويقع بينهما طيف عريض من الموضوعات، كتطوير وضع المصطلح ضمن مفاهيم وقواعد المصطلحية، وتطوير معجم المعاني، على الوجه الذي أشرنا إليه سابقًا، باعتماد علم المعجمات أو المعجمية...هذه موضوعات كبيرة الأهمية، وعلى مجمعنا أن يسهم فيها، وأن يضعها في مقدمة مشروعاته ومهامه، وهي مترابطة متكاملة. وقد نالت من المجمعيين عناية خاصة، فقد تعلقت من قَبْل همة المستشرق ماسينيون، عضو مجمع القاهرة خاصة بوضع معاجم عربية مختصة وعلمية حتى تتمكن اللغة العربية من

(٢٢) ينظر كرد علي: المذكّرات، مرجع سابق، الصفحة ٢٧٧.

التعبير عن العلوم العصرية «لأنه كان يؤمن أن ذلك هو غاية المجمع الأساسية»[٢٣]. ويذكر إبراهيم مدكور أن مجمع القاهرة كان «يقف نحو ٧٠٪ من نشاطه على جمع المصطلحات ومناقشاتها وإقرارها»[٢٤].

ومثال الوقتي الطارئ من المواضيع، إصلاح لغة الدواوين وتصحيح لغة الكتب المدرسية، وقد تصدى له مجمع دمشق إبّان إنشائه وأنجزه في العقد الأول من حياته بنجاحٍ باهرٍ كما رأينا، وتصدى لمثله في مصر مجمع القاهرة فكُلِّف مراجعة بعض كتب التعليم الثانوي التي يعاد طبعها سنويًّا[٢٥]. وستبقى معالجة مثل هذه الموضوعات في مكنة المجمع دائمًا، إلا أن البيئة التي تنشأ فيها ليست البيئة المواتية لتنشئة مجمعين، أي ليست البيئة التي نحن بصدد البحث عنها، لأن العمل في مثل هذه الموضوعات لا يتطلب بالضرورة من العاملين جهدًا يبذل في بحثٍ مُعمّقٍ مؤهِّلٍ للإبداع. أما المسائل الأساسية، وهي التي استعصى حلها في القرن الماضي على الأقل، كمسألة تيسير النحو العربي، الذي لم تجدِ في تيسيره على الوجه المطلوب، دراساتٌ عديدةٌ في كثير من المجامع العربية وخارجها، فلا بد في التصدي لها، ولمثيلاتها من المسائل (أو الموضوعات)، من اعتماد منهجية البحث العلمي، في خطة بحثٍ علميٍّ لغويٍّ عميقٍ ومديدٍ في مجال الموضوع، وفيما يمكن أن تدعو الضرورة إليه مما حوله، وقد يتوسع مجاله فيتوزع على محاور أو وحداتٍ ينتظم عملها في مشروعات بحوث دبلومات دراسات عليا، يمكن أن يساهم بعض أعضاء المجمع الحاليين في تحديدها، وأن يشاركوا في الإشراف عليها. في هذه البيئة، وفي بحوثها يمكن أن تنشأ وتنمو على محاورها وفي وحداتها

(٢٣) ينظر محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مرجع سابق، الصفحة ٩٦.

(٢٤) ينظر إبراهيم مدكور: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا، مرجع سابق، الصفحة ٦٠.

نوى حلول المسائل الأساسية وما استعصى تيسير معالجته من الموضوعات المعقدة. إنها البيئة المنشودة المواتية لتنشئة مجمعيين مبدعين في سنٍّ مبكرة نسبيًّا، يختارون بعناية من بين المجازين الشباب، لإعداد دبلومات دراساتٍ عليا يحدِّد المجمع أنواع اختصاصاتها وينظمها بالتعاون مع الجامعات. إن متابعة إعداد هذه النخبة من المجازين متابعةً حثيثةً، كفيلة بتطوير البيئة العلمية تدريجيًّا في المجمع، وبدخول بعضٍ من خيرة الباحثين الذين تكوّنوا فيه أعضاء عاملين. ولا يعني اتباع هذا الأسلوب قصرَ عضوية المجمع عليهم ولكنّه سيخفف من حدة ارتفاع متوسط عمر الأعضاء ويسعى به إلى الانخفاض. كما لا يعني ما نقترحه الادّعاء بأنه هو الطريقة المثلى، فنحن جميعًا نعلم أن الحل الصحيح هو في إصلاح التعليم قبل الجامعي. لذلك فإن ما نقترحه ليس أكثر من ترميم الإعداد اللغوي في نطاق المجمع لفئة مختارةٍ، وفي غياب إصلاح تعليم العربية في التعليم قبل الجامعي.

ولا يمكن أن يتحقق انجذاب خيرة المجازين للعمل في المجمع وفق هذا المنهج، واستقرارهم فيه بعد إعدادهم علميًّا في التخصصات التي يخطط لها المجمع، إلا بإحاطتهم برعايةٍ معنويةٍ ومادية كالتي يتمتع بها أقرانهم في الجامعات ومراكز البحوث، والتي يمكن تحقيقها في المجمع بإحداث هيئةٍ للبحث العلمي على غرار مثيلاتها في مراكز البحوث التي اتسقت أحكام تنظيمها مع الأحكام الناظمة لهيئة التدريس في الجامعات.

هذه هي أهم ملامح التطوير المستقبلي لقانون المجمع وأساليب عمله، إنه يفسح المجال لنشوء هيئة متجددة الحيوية من الباحثين الأكفاء في جميع شؤون ترقية اللغة العربية، وفي بيئةٍ يمارس فيها البحث العلمي اللغوي وفق الأنظمة والأساليب السائدة في فعاليات البحث العلمي، التي ستؤهل بعضهم للرقيِّ بجدارة لعضوية المجمع. وإن هذا التطوير هو استكمال للتطوير الذي بدأناه مع بداية هذا

القرن، إنه ينقل المجمع من مؤسسة تحكمها خبرة أفراد في وضعه الحالي إلى وضع جديد يصبح فيه مؤسسة بحوث لغوية خبيرة. ولقد أشرنا من قبل[٢٦] إلى أن بعض المجامع في ألمانيا وروسيا وبلدان الاتحاد السوفيتي سابقًا وغيرها نَحَتْ هذا النحو. ويذكرنا الجدل الذي نشأ في المجمع حول مشروع المحاضرات في ربيع عام ١٩٢١ بأن التوجه بالمجمع ليكون مركز بحث لغويٍّ كان قائمًا في أذهان الكثيرين، وبأن فئةً كانت «لا ترى أن تكون المحاضرات من وظائف المجمع لأنه مركز للأبحاث اللغوية والأدبية الخاصة..»[٢٧].

ولا يغيب عن أذهاننا أن البحث في المجامع مغاير للبحث الجامعي من حيث الأسلوب والهدف. فهو في المجامع له وجه تطبيقي ملزم، نلمسه بوضوح في قيام المجامع بتصحيح الكتب المدرسية وإصلاح لغة الدواوين وأغلاط الكُتَّاب، أما في الجامعات فلا يقيده هذا الالتزام. وقد نعود في دراسة أخرى إلى مقارنة أوسع بين البحوث في المجامع ومراكز البحوث عامةً والبحوث في الجامعات من جهة، وبين المجامع التي تقوم بالبحث العلمي واللغوي وتنظمه والمجامع التي لا تزاوله على هذا الوجه من التنظيم والاحتراف من جهةٍ أخرى، والتي تبقى أقرب إلى فكرة المجامع اللغوية الألصق بالماضي منها بالحاضر، «وأقرب إلى القرن السابع عشر منها إلى القرن العشرين»[٢٨].

---

(٢٦) ينظر عبد الله واثق شهيد: المجامع، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨١ الصفحتان ٤٨١و٤٨٢.

(٢٧) ينظر أحمد الفتيّح: تاريخ المجمع العلمي العربي، مرجع سابق، الصفحتان ٧٤و٧٥ والصفحتان ٣و٤ من هذه الحلقة.

(٢٨) ينظر إبراهيم مدكور: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا، ماضيه وحاضره، القاهرة. ١٩٦٤، الصفحة٢.

مشروع المعجم التاريخي للغة العربية

مســـيرة وتاريـــخ

د. إحسان النص

اللغة العربية تمثّل هُوِيَّةَ الأمة العربية، وهي مناط وحدها، ومجتلى حضارها، ومستودع أفكارها، وسجل تاريخها الفكري والحضاري، ووجودها موغل في القدم، فهي من أعرق اللغات العالمية، وأغزرها مادة. وهي في رأي جل المستعربين، أمثال أولسهوزن OLSHAUSEN وإسرائيل ولفنسون، أقرب اللغات إلى الساميَّة القديمة[1].

ومع هذه المنزلة العظيمة للغة العربية، لم يوضع حتى يوم الناس هذا معجم يؤرخ حياة هذه اللغة، ويبين ما اعترى ألفاظها وتراكيبها من تغير عبر العصور. وقد سبقتنا إلى هذا أمم أخرى، مع أن لغاها لاتقارن بلغتنا في عراقتها وأصالتها.. ومنها الأمة الإنكليزية. فقد وضع معجم أكسفورد التاريخي للغة الإنكليزية الذي بدئ العمل به سنة ١٨٥٩م وتم طبعه سنة ١٩٢٨م، واستغرق العمل فيه سبعين سنة، وطبع بعد ذلك مرات عديدة.

ومنها أيضًا الأمة الفرنسية فقد وضع معجم روبير التاريخي سنة ١٩٩٢م. Le Robert Dictionnaire Historique بإشراف المعجمي آلان ري Alain Rey.

وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجمع فؤاد الأول) قد قرر حيْن إنشائه عام ١٩٣٢م أن يكون أول أعماله وضع معجم تاريخي للغة العربية، وذكر هذا في مرسوم إنشاء المجمع. وقد ألفت لجنة من أعضاء المجمع سميت (لجنة المعجم) مهمتها وضع معاجم للغة العربية، وأولها المعجم التاريخي. ولكن لم يتح للمجمع أن ينهض بهذه المهمة حتى اليوم.

---

(١) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٧.

وكان المستعرب أوغست فيشر Fisher قد بدا له عام ١٩٠٧ أن يضع معجمًا للغة العربية الفصحى، وعرض مشروعه على المستشرقين الألمان المجتمعين في مدينة بال Basel، فوافقوا على مشروعه، واقترح فيشر الاستعانة بكبار المستعربين أمثال فليشر Fleicher وتوربيكه H. Thorbeke . ثم عرض مشروعه على مؤتمري المستشرقين المنعقد أولهما في كوبنهاغن سنة ١٩٠٨م، وثانيهما في أثينا عام ١٩١٢م، فوافقت اللجنة المجتمعة في كوبنهاغن على القرار الآتي:

«ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر بمشروع أ. فيشر الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر وتعبّر عن موافقتها عليه بالإجماع».

ويذكر فيشر في مقدمة معجمه التاريخي أنه لم يستطع البدء بإنفاذ مشروعه إلا بعد تأسيس (معاهد الأبحاث السكسونية في ليبسيك عام ١٩١٤، وقد عين فيشر آنذاك مديرًا للقسم العربي الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق. ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى لم تتح له إنفاذ مشروعه.

فلما كانت سنة ١٩٢٥م تقدم ناشر ألماني وأعلن استعداده لطبع المعجم، ووضعت الحكومة السكسونية مبلغًا محدودًا تحت تصرف معهد الأبحاث، فبدأ فيشر عمله مستعينًا بطائفة من أعلام المستعربين منهم برغستراسر Bergstrasser وشخت Schaght وكرنكو T. Krenkow، ولكن الناشر الألماني لم يستطع أن يفي بوعده بنشر المعجم، فتوقف المشروع.

وأخيرًا في سنة ١٩٣٦م قررت الحكومة المصرية بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية في القاهرة السماح له بإتمام عمله في القاهرة، وأن تتحمل نفقات طبعه. وقد هيأ له المجمع أسباب تيسير عمله. وكان ممن شجع المجمع على قبول مشروعه المستعرب الإيطالي نللينو C. A. Nallino ، وكان آنذاك من أعضاء مجمع اللغة العربية (توفي عام ١٩٣٨م).

وقد قدّر فيشر أن عمله في المعجم سوف يستغرق تسع سنوات، وانكبّ على إعداد المعجم. وقد ذكر في مقدمة معجمه الأسس التي اعتمدها في وضع المعجم، وذكر أن معجمه يشمل اللغة العربية منذ القديم حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وقد أنجز من مشروعه الألفاظ من أول حرف الهمزة حتى كلمة (أبد). وبوفاة فيشر عام ١٩٤٩ توقف العمل في المعجم.

ومما يؤسف له أن هذا المعجم فُقدت أصوله بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، وضاعت الأوراق بين ألمانيا والقاهرة، وبعد البحث الطويل عُثر على مقدمة المعجم وعلى جانب قليل منه، وطبع ما عثر عليه في القاهرة سنة ١٩٦٧م.

المبادئ التي اعتمدها فيشر في معجمه:

وقد رأيت من المفيد ذكر هذه المبادئ للاستئناس بها عند وضع معجمنا.

اعتمد فيشر في معجمه على أربعة وستين ومئتين من المراجع العربية وستة وعشرين مصدرًا استشراقيًا. والأسس التي اعتمدها هي أسس تاريخية واشتقاقية وتصريفية وتعبيرية ونحوية وبيانية وأسلوبية. فالأسس التاريخية هي أبرز ماينبغي العناية به، لأن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص، ولابد من توضيح هذا التطور التاريخي.

وينبغي إيلاء شأن خاص للموضع الذي وردت فيه الكلمة أول مرة، بغية تَعَرُّف بدء نشوء الكلمة وتطورها، مع العناية بتتبع هذا التطور خلال العصور، وإذا أهملت دلالة هذا اللفظ في بعض العصور واستعيض عنها بمرادف لها فينبغي بيان ذلك.

وجمع الشواهد أمر في غاية الأهمية، ويقتصر من الشواهد على أوضحها معنى، مع تقديم المنسوب إلى قائله على غيره.

والناحية الاشتقاقية تتناول بيان توليد الكلمات وأصل الكلمة، والكلمات المعربة ترد إلى أصولها على قدر الإمكان.

والناحية التصريفية تتجه إلى تحديد الصيغ المتغيرة للكلمة، وتصريف أفعالها واختيار الصيغة المشهورة في تصريف الفعل أو الاسم.

والناحية التعبيرية تُعنى بتحقيق معنى الكلمة أو معانيها. والمعنى الأول يؤخذ من اشتقاق الكلمة، ويقدَّم المعنى العام على المعنى الخاص والمعنى الحسّي على العقلي، والمعنى الحقيقي على المجازي، مع مراعاة المعاني الاصطلاحية.

والناحية النحوية تتناول جميع الصلات التي تربط كلمة بأخرى، وترتيب كلمات لها مواضع معينة في سياق الكلام، مع مراعاة المضمر أو المحذوف، وتعدي الفعل أو لزومه.

والناحية البيانية تتجه إلى بيان العلاقات التطورية لكل كلمة، والتراكيب والتعابير التي لم يطرأ عليها أي تغيير، والدواعي البلاغية لوضع الكلمات وترتيبها.

والناحية الأسلوبية، تعنى بالبيئة اللغوية التي استعملت فيها الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالاً عامًا، مع مراعاة اختلاف الأساليب، ومنها لغة القرآن ولغة الحديث وأسلوبا الشعر والنثر والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيرها.

وهذا المعجم هو معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ماوصلت إليه اللغة الفصحى من الكمال.

ومنذ وفاة المستشرق فيشر لم يتصد أي مجمع من مجامع اللغة العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية، تخوّفًا من ضخامة العمل وضخامة نفقاته، ولكن هيئة غير مجمعية تصدت لهذا العمل، وهي جمعية المعجمية العربية بتونس، التي كان يرأسها الأستاذ الدكتور محمد رشاد حمزاوي، فقد عُقدت ندوة لدراسة هذا الموضوع في تونس في المدة من ١٤ إلى ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٩م في رحاب هذه الجمعية، وقد شارك في الندوة أربعة وعشرون باحثًا من مختلف الأقطار العربية، وعشرون باحثًا من البلدان الأجنبية، وكان في جملة المشاركين

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، رحمه الله، وكان عنوان بحثه (صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي).

وقد أسفرت الندوة عن إصدار التوصيات الآتية:

إن المشاركين في ندوة (المعجم العربي التاريخي وقضاياه ووسائل إنجازه المنعقدة في تونس من ١٤ إلى ١٧ نوفمبر ١٩٨٩م، بدعوة من جمعية المعجمية العربية بتونس، وبعد الاستماع للبحوث المقدمة، والمداخلات المختلفة، وبعد تحسس منهجيات العمل وإمكانات الإنجاز، وبعد الاستماع إلى عرض التجارب العربية والأجنبية في هذا المجال:

أولاً- يرون ما يلي:

أ – ضرورة البدء في وضع معجم عربي تاريخي، لأنه يمثل ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية التي تضبط رصيدنا الفكري، ويكوّن مرجعنا اللغوي والعلمي الأمين بكونه: مادة لغوية موثقة قائمة على النصوص الثابتة، تؤرخ لحضارتنا وثقافتنا من خلال رصيدنا اللغويّ المشترك، وأداة تربوية تمكننا من تصور وظائف المعاجم الأخرى التي تتفرع عنه في مادته ومنهج وضعه.

ب– ضرورة وضع منهجية علمية دقيقة محكمة لمادته وترتيبها وتعريفها، بالاعتماد على التقنيات الحديثة، ولاسيما التقنيات المعلوماتية المتبعة اليوم.

ج – ضرورة الشروع في إنجازه حسب مراحل تتعهد بالمتابعة والمراجعة، على أن يُحدَّد لكل مرحلة مدة زمنية تقريبية ممكنة.

ثانيًا – يوصون بما يلي:

أ– بأن يكون هذا المعجم لغويًّا تاريخيًّا عامًّا، يؤرخ لكلمات اللغة وللأساليب والتراكيب العربية، اعتمادًا على النصوص المدونة في تطورها الزماني وانتشارها المكاني، مع الحرص على تأصيل مايمكن تأصيله منها.

ب– بالشروع في وضع متطلباته الأساسية، وخاصة:

١– ضبط مصادره ومراجعه الأساسية.

٢– تكوين مكتبته العلمية.

٣– وضع مشروع رصين لمنهجية في الجمع والوضع ترتيبًا وتعريفًا.

٤– استكشاف التقنيات العصرية المساعدة على طيّ المراحل في استقرار النصوص وتنظيمها، حسب القواعد المعلوماتية المتطورة ومتطلباتها.

٥– بالاقتداء في المجال الفني بالتجارب الغربية القائمة، والتجارب القائمة في البلدان المتقدمة ذات الخبرة والتجربة التي نتعاون معها من أجل رقي الثقافة العربية، وتنزيلها منزلتها العالية اللائقة.

هذه هي أهم التوصيات التي تمخضت عنها الندوة، ويمكن الرجوع إلى مجلة المعجمية العربية (العددان الخامس والسادس ١٩٨٩ – ١٩٩٠ تونس) للاطلاع على سائر التوصيات.

وقد علمنا أن جمعية المعجمية العربية بتونس قد أنجزت معجمًا تاريخيًّا للشعر العربي في العصر الجاهلي، بالتعاون مع كلية الآداب بجامعة تونس.

وفي المدة من ٦ إلى ٨ حزيران ٢٠٠٣ عقدت في رحاب جمعية المعجمية العربية بتونس والمشروع الوطني للبحث ندوة حول (قضايا المعجم العربي التاريخي، النظرية والتطبيق).

وقد شارك في هذه الندوة عدد من الباحثين، وألقيت طائفة من البحوث، ومنها بحث للدكتور إحسان النص عنوانه (قضايا التعريف الدلالية في المعجم العربي التاريخي).

ومن المحاولات الأولى لوضع المعجم العربي التاريخي مشروع (المعجم العربي التاريخي للشعر العربي) الذي تقرر أن تتولى إعداده جامعتا الكويت وكمبردج، ويبدو أن هذا المشروع لم ير النور.

والمحاولة الجادة لوضع هذا المعجم تمت في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. فقد قدم مجمع دمشق اقتراحًا بوضع هذا المعجم، وقدّم خطة للعمل فيه، ووافقه مجمعا الأردن والعراق.

وفي اجتماع اتحاد المجامع المنعقد بالقاهرة في المدة من ٢٤ - ٢٦ آذار (مارس) ١٩٩٨ اتخذت جملة من التوصيات، منها التوصية الخامسة ونصّها:

«الموافقة على مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي الذي اقترحت إعداده مجامع سورية والأردن والعراق، على أن تتم المجامع الدراسة التي اقترحتها لتنفيذ هذا العمل».

ولكن في اجتماع مجلس اتحاد المجامع المنعقد في القاهرة بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٩٩٩ نصت المادة الثالثة من القرارات على مايأتي: «قرر المجلس تأجيل النظر مؤقتًا في مشروع إعداد المعجم اللغوي التاريخي الذي اقترحه الدكتور إحسان النص».

ويبدو أن المجلس تخوّف من ضخامة المشروع وما يحتاجه من باحثين كفاة وعاملين وأموال ضخمة، فرأى تأجيل النظر في هذا المشروع مؤقتًا.

وبناء على طلب مجامع دمشق وعمان وبغداد أعيد النظر في المشروع، وفي اجتماع مجلس اتحاد المجامع المنعقد بتاريخ ٣ و ٤ نيسان (ابريل) ٢٠٠١ جاء في المادة الثانية من جدول أعمال المجلس مايلي: «يقترح المجمع السوري عرض مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ومرفق خطة العمل فيه».

وفي هذا الاجتماع اتخذ القرار ذو الرقم ٥ ونصه: «وافق مجلس الاتحاد على وضع معجم تاريخي للغة العربية، على أن يدرس كل مجمع خطة لهذا العمل تعرض في الاجتماع المقبل لاتحاد المجامع في شهر تشرين الثاني (نوفمر) من عام ٢٠٠١م وتبحث الوسائل المؤدية إلى تنفيذ هذا المشروع».

وفي اجتماع مجلس اتحاد المجامع المنعقد في المدة من ١١/٦ إلى ١١/٨ عام ٢٠٠١م، اتخذ القرار الآتي:

١- تأليف لجنة لوضع خطة شاملة للمعجم التاريخي من السادة:

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (القاهرة)	رئيسًا
الأستاذ الدكتور إحسان النص (سورية)	مقررًا
الأستاذ الدكتور كمال بشر (القاهرة)	عضوًا
الأستاذ الدكتور شاكر الفحام (سورية)	عضوًا
الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن)	عضوًا
الأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم (ليبيا)	عضوًا
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)	عضوًا
الأستاذ الدكتور إبراهيم بن مراد (تونس)	عضوًا
الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب (السعودية)	عضوًا
الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي (المغرب)	عضوًا
الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة (المغرب)	عضوًا
الأستاذ أحمد شفيق الخطيب (لبنان)	عضوًا
الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح (اليمن)	عضوًا
الأستاذ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة (الكويت)	عضوًا

وقد اقترح الأستاذ الدكتور رئيس المجمع في اجتماع لاحق إضافة الأسماء الآتية إلى اللجنة:

الأستاذ الدكتور محمود حافظ، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضوًا

الأستاذ الدكتور محمود السمرة نائب رئيس المجمع الأردني عضوًا

وقد تلقينا في مجمع دمشق من الأستاذ الدكتور شوقي ضيف كتابًا مؤرخًا

في ٢٠٠١/١٢/٢ يعلمنا فيه بقرار اتحاد المجامع وضع معجم تاريخي للغة العربية، تشارك في وضعه مجامع اللغة العربية والمؤسسات اللغوية في الوطن العربي، وتم تأليف اللجنة التي ستضع خطة مفصلة دقيقة لهذا المعجم وآلية إنفاذه ومصادر تمويله وغير ذلك مما يتصل به. وذكرت بعد ذلك أسماء اللجنة التي ألفها اتحاد المجامع لهذه الغاية.

على أن لجنة المعجم التاريخي لم يتح لها أن تجتمع قبل السادس من شهر نيسان (ابريل) عام ٢٠٠٤. وقد حضر الاجتماع أعضاء لجنة المعجم التاريخي المذكورة أسماؤهم آنفًا، وحضر الأستاذ الدكتور محمود السمرة، نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردنية، وهذا أول حضورٍ له واعتذر بعض أعضاء اللجنة من عدم الحضور.

وقد عقدت اللجنة برئاسة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف.

وقد قدم مجمع اللغة العربية بدمشق تصورًا لخطة المعجم التاريخي وافق عليه مجلس المجمع السوري، وقدم الأستاذ الدكتور أحمد ضبيب، عضو اللجنة من السعودية مشروعًا لقانون مؤسسة المعجم التاريخي العربي، وكانت اللجنة قد كلفت الأستاذين الدكتور أحمد الضبيب والدكتور إبراهيم بن مراد وضع تصور لقانون المؤسسة.

وفي الاجتماع الثاني للجنة المنعقد بتاريخ ٤ سبتمبر (أيلول) بالقاهرة حضر طائفة من أعضاء اللجنة.

وقد جرى في الجلسة الأولى من هذا الاجتماع مايأتي:

١ – التصديق على محضر الاجتماع الأول.

٢– استعرضت الأوراق المقدمة من الأساتذة: الدكتور إبراهيم بن مراد، الدكتور أحمد الضبيب، الدكتور عبد الكريم خليفة، الدكتور إحسان النص،

الدكتور علي القاسمي، الدكتور أحمد شفيق الخطيب (بالنيابة عنه لاعتذاره من عدم الحضور).

٣- اتفق أعضاء اللجنة على تلاوة الورقة المقدمة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة وصياغتها صياغة مستوحاة مما ورد في الأوراق المقدمة من السادة الأعضاء، والخروج بصياغة موحدة لنظام المؤسسة الأساسي.

واقتُرح عرض النظام بعد صياغته على مستشار قانوني لبيان الرأي فيه.

وعقدت الجلسة الثانية من هذا الاجتماع في ٥ سبتمبر (ايلول) ٢٠٠٤، واستعرضت فيها مواد النظام الأساسي للمؤسسة، و وُوْفق على النظام بعد أن قرئ قراءة كاملة.

واتخذ في هذه الجلسة قرار بضرورة تكليف مدير تنفيذي للمؤسسة يتولى اختصاصات المدير العام في مرحلة الإنشاء.

وفي الجلسة الثالثة من هذا الاجتماع المنعقدة بتاريخ ٦ سبتمبر ٢٠٠٤، تليت الصورة النهائية لنظام المؤسسة وأُقرّت. وكانت اللجنة قد كلفت الدكتور محمد حسن عبد العزيز صياغة هذا النظام.

واتخذ قرار بأن تقوم لجنة المعجم التاريخي بأعمال مجلس الأمناء حتى قيام المؤسسة.

وقررت اللجنة أن يتولى الأستاذ الدكتور كمال بشر اختصاصات المدير التنفيذي للمؤسسة في مرحلة الإنشاء. وتقرر استبدال كلمة (مؤسسة) بكلمة (هيئــة).

المعجم التاريخي للغة العربية

الأسباب الموجبة

تعد اللغة عامّة أهمَّ مُعَبِّرٍ عن هُويّة الجماعة اللغوية التي تتكلمها، وأقوى شاهد على تاريخها الفكريّ والحضاريّ، وصلات التأثر والتأثير بينها وبين الجماعات اللغوية الأخرى، وقد تحقق ذلك كله في اللغة العربية، ولكن يضاف

إليه أنها لغة أمّة ذات امتداد واسع في الزمان وفي المكان، وهي لسان كتابها الكريم، والحافظ لوحْدها، والحامل لثقافتها، وهي أقدَم اللغات الحيّة تاريخًا. فهي اللغة الحيّة الوحيدة اليوم التي مضى عليها في الاستعمال أكثر من عشرين قرنًا دون أن يلحق نظامها وقوانينها العامّة تغيير يذكر. ثم هي من أوْسَع اللغات مادة، وأغناها رصيدًا معجميًّا، وأقدرها على التعبير عن المستحدث من المفاهيم والأشياء، يشهد بذلك التراث العربي الإسلامي الذي كتب بها عبر عصور طويلة، لم تشهد خلالها جمودًا، بل تجددت فيها وسائل التعبير، وتعدّدت فيها الأساليب، وتطورت فيها الدلالات، فاكتسب كثير من الألفاظ والتعابير معانيَ جديدة. ولم يكن لنظام معجمها إذنْ من الاستقرار أو التحوّل البطيء ماكان لأصواتها وأبنيتها وتراكيبها النحويّة، بل إنّه كان وما زال كشفًا مفتوحًا يتطور ويتجدد باستمرار مواكبًا لتطوّر حاجات الأمة العربية إلى التعبير وتجدّدها حسب ما يطرأ على واقعها من التطور والتجدّد. على أن معاجمنا العربية القديمة والحديثة لم تصف ذلك التطوّر، فلقد كان جل مؤلفيها وما زالوا نقلةً يعتمد لاحقهم على سابقهم فيعيد تدوين ماسبق تدوينه ويهمل ما استجد من الاستعمال اللغوي في عصره. ولا شك أن هذا المنزع إلى التأليف المعجمي لا تقره قوانين تطوّر اللغة، ولا يدل على أن اللغة الموصوفة لغة حيّة واسعة الانتشار. وقد صار من الضروري لذلك ونحن نريد للعربية أن تكون في منزلة اللغات الحيّة الواسعة الانتشار، أن يتتبّع التأليف المعجمي العربي الحديث تطوّر ألفاظها ودلالاتها بتحديد أزمانها التاريخية، وضبط ماطرأ عليها من التغيير عبر العصور، وتبيّن الوشائج والصلات التي تربط بين الألفاظ والألفاظ، وبين الدلالات والدلالات، والإفادة من هذه الثروة اللغويّة الضخمة في فهم النصوص، وفي إحياء ما له قابليّة الإحياء منها لتوظيفه في التوليد المعجمي اليوم للتعبير عن المفاهيم العلمية والحضارية.

والمعجم الذي يقدر على تتبّع تطوّر الوحدات المعجمية ودلالاتها عبر

التاريخ هو المعجم التاريخي. والمعجم التاريخي للغة العربية هو المعجم اللغويّ العام الشامل الذي يجمع أشتات الوحدات المعجميّة العربية — مادوّن منها في المعاجم وما لم يُدَوّن - وأن يؤرخ لظهورها في الاستعمال وما طرأ على دلالاتها من التطوّر بحسب ماتُوفره النصوص. فإن النصوص هي مصادر التأريخ، لأن التأريخ لوحدات المعجم ليس تأريخا لأول ظهورٍ لها في اللغة عامة بل هو تأريخ لأوّل ظهور لها في نص مكتوبٍ، قد يكون نقيشة وقد يكون صحيفةً، وقد تكون الصحيفة مطبوعة وقد تكون مخطوطة، وتُعْتَمَدُ النصوص المتوفرة بمختلف أجناسها ومختلف المعارِف التي تمثّلها، ومختلف العصور والأمصار التي كتبت فيها.

ولقد اهتم المحدثون بمسألة المعجم التاريخي للغة العربية فكان من شواغل مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه، والمجمع هو الذي شجّع المستشرق الألماني أوغست فيشر في تأليفه ماسماهُ معجمًا تاريخيًا للغة العربية، واحتفظ بعدد من جذاذاته ونشر عيّنة منه تصحبها مقدمة لغوية جيّدة في التأليف المعجمي. لكن الخشية من الإقدام على إنجاز المعجم التاريخي قد بقيت بين العرب كبيرة طيلة القرن العشرين تقريبًا. فإن المعجم العربي تعْسرُ معالجته التاريخية عسْرًا شديدًا نظرًا إلى امتداد استعمال العربية في الزمان وفي المكان. لكنَّ أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين قد عرفتا بوادر اهتمام حقيقي بإنجاز المعجم التاريخيّ، فاهتمت به جمعية المعجمية العربية بتونس منذ سنة ١٩٨٩ فخصّته بندوتها العلمية الدولية الثانية (نوفمبر ١٩٨٩) التي نشرت أعمالها في العدد المزدوج ٥- ٦ (١٩٨٩ - ١٩٩٠) من مجلتها العلمية «مجلة المعجمية» ، ثم أنشئ بعَيْد ذلك بتونس - في بداية سنة ١٩٩٠ - مشروع وطني للبحث تموّله الدولة اسمُه **المعجم العربي التاريخي**، وكان أعضاء جمعية المعجمية المكونين لفريق البحث فيه، لكن هذا المشروع قد توقف سنة ١٩٩٣ دون أن يتسع له الوقت

لتحقيق نتائج علمية حقيقية، ثم بعث سنة ١٩٩٦ مشروع وطني للبحث جديد اسمه «**مدوّنة المعجم العربي التاريخي**» قد موّلته الدولة هو أيضًا وعمل فيه أعضاء من جمعية المعجميّة هم في الوقت ذاته أساتذة جامعيّون. وقد استطاع هذا المشروع – بدعم من جمعية المعجمية – أن يضع خلال السنوات الثماني المنقضية المدوّنة المعجمية المؤرّخة للعصر الجاهلي باستقراء النصوص الشعرية خاصة، المنتمية إلى أربعة قرون: من نحو سنة ٢٠٠م إلى سنة ٦٠٩م، أي انطلاقًا من أقدم ما عثر عليه من النصوص الموثقة حتى وفاة الشاعر زهير بن أبي سلمى التي سبقت البعثة النبوية الشريفة بسنتين.

ثم صرف اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية إلى المعجم التاريخي عنايته بداية من سنة ٢٠٠١ فكوّن في اجتماعه المنعقد بالقاهرة من ٦ إلى ٨ نوفمبر ٢٠٠١ **لجنة المعجم العربي التاريخي**. وإذن فإنه يجوز لنا الآن أن نقول إن اهتمام العرب الفعلي بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية قد بدأ يتحقق.

والحق أن لإنجاز هذا المعجم مسوّغات كثيرة منها ما أشير إليه فيما تقدم من القول، ومنها ما نريد إجمال القول فيها فيما يلي:

١– الدواعي القوميّة:

(١) اللغة هي عماد القومية عند الشعوب التي تتكلمها، واللغة العربية – نتيجة لذلك – جزء لا يتجزأ من القومية العربية. ولا شك أن للمعجم التاريخي دورًا أساسيًّا في التعبير عن تلك القومية لأنه يوحّد بين الاستعمالات المعجمية العربية في مختلف الأمصار التي استعملت فيها العربية.

(٢) سيؤكد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي العربية مشرقًا ومغربًا.

(٣) سيعزز المعجم التاريخي العربي انتماء العرب إلى أمتهم لأنه سيؤكد أصالة

الفكر العلمي العربي الذي عبرت عنه اللغة وانتقل منها إلى اللغات الأخرى.

٢- الدواعي العلمية:

(١) يجب أن تعامل العربية معاملة اللغات الحية الأخرى -كالفرنسية والانكليزية اللتين وضع لكل منهما معجمها التاريخي - وذلك بأن توصف وصفاً لسانيًّا دقيقًا بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها مثلما وصف غيرها من اللغات الحية.

(٢) وأن يوصَلَ حاضرها بماضيها فيُرْبط بين مختلف حلقات استعمالها عبر تاريخها الطويل. فهي بين اللغات الحيّة اليوم اللغة الوحيدة التي حافظت على وحدتها فلم تنقسم إلى قديمة وحديثة، و لم يداخل نظام استعمالها العام تغيير ذو بال.

(٣) وأن يسدّ الخلل الذي غلب على المعاجم العربية منذ القديم، إذ لم يُعن بإظهار وحدة اللغة بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها عبر العصور لمعرفة ماطرأ في حياة اللغة من التطوّر دون أن تخرج عن نظامها العامّ.

(٤) إن التأريخ المعجمي لا يهم المعجم فقط بل يهمّ أصوات العربية وصرفها ونحوها أيضًا. فإن التأريخ لوحدات المُعجم يمكّن من التأريخ للأصوات والأبنية الصرفية التي نكوّنها بحسب مايطرأ على المفردات من التطوّر، كما يمكّن من التأريخ للأصوات والأبنية الصرفية التي نكوّنها بحسب مايطرأ على المفردات من التطوّر، كما يمكّن من التأريخ للأساليب وأنواع التراكيب النحويّة.

(٥) إن للمعجم التاريخي قيمة حضاريّة كبرى - إضافة إلى قيمته اللغوية - لأن التأريخ للوحدات المعجمية هو تأريخ للمفاهيم التي تحملها والأفكار التي ترتبط بها في العصور التي ظهرت فيها، فإن المفردات - وخاصة المصطلحات - تظهر عادة بعد المفاهيم التي يُعَبَّرُ بها عنها. ولذلك فإن ظهور المصطلحات هو دليل على ظهور المفاهيم التي تنشأ في العلوم وفي الفنون.

(٦) إن المعجم التاريخي وسيلة ضرورية لتأليف بقية معاجم اللغة العربية، فهو

يخلصها من نقائص منهجية ومعرفية كثيرة، وخاصة في ركن التعريف الذي يعدّ في التأليف المعجمي أهم ما يؤسس عليه المعجم، وهو لم يخرج في مختلف معاجمنا اللغوية عن الشرح اللغوي البسيط، على حيْن بلغت عناصرُه المكونة لبنيته في المعاجم الفرنسية والانكليزية – نتيجة وجود المعجم التاريخي فيهما – أكثر من عشرة عناصر.

(٧) إن المعجم التاريخي يظهر بوضوح مابين اللغة العربية وغيرها من اللغات من الصّلات.

٣– الدواعي التربويّة التعليمية:

(١) سيمكن المعجم التاريخي للغة العربية من مراجعة المعاجم المدرسية الموجودة اليوم بالتدقيق المعاني وإيجاد الشواهد المؤيدة للاستعمال.

(٢) سيمكن أيضًا من تدقيق القواعد التي تدرّس في مراحل التعليم العامّ لأن مما يؤرّخ له فيه الأدوات بمختلف أنواعها، وهي الأسس في تركيب الجمل بل وفي العبارات المعجمية أيضًا. ولا شك أن تتبع ظهور الأدوات ومعانيها عبر التاريخ مفيد جدّ لدراسة التراكيب النحويّة والأساليب.

(٣) سيمكن الطلبة في الجامعات من إنجاز بحوث: رسائل وأطروحات، أكثر إحكامًا منهجيًا وعلميًا في مسائل المعجم النظرية والتطبيقية، ومسائل الصرف والدلالة.

٤– الدواعي الاقتصادية:

لقد أصبح تأليف المعاجم في البلدان المتقدمة وخاصة في أوربا وأمريكا صناعة مزدهرة لحاجة الناس الماسة إلى المعاجم، لكنها صناعة قائمة على التطبيق لنظريات لسانية في المعجمية، قد أعان على ظهورها تأليف المعاجم التاريخية، ولذلك فإن تأليف المعجم التاريخي للغة العربية سيمكن من:

(١) تطوير التأليف المعجمي العربي عامّة، وذلك بأن تُراجَع المعاجم

الموجودة، وخاصة إذا كانت معاجم مدرسية.

(٢) تأليف معاجم جديدة ليس لها وجود اليوم، مثل: المعاجم التأصيلية؛ – المعاجم الافتراضية؛ – المعاجم السياقية، – معاجم العبارات المتلازمة؛ – معاجم العلاقات الدلالية: كالترادف والاشتراك اللفظي والاشتراك الدلالي والتضادّ؛ – المعاجم المختصة في مصطلحات العلوم والفنون وخاصة المصطلحات التراثية. ومن شأن هذا النشاط في التأليف المعجمي أن يشجّع على ظهور مؤسسات اقتصادية مُعجميّة متطوّرة.

أ. د. إبراهيم بن مراد

رئيس جمعية المعجمية العربية بتونس

النظام الأساسي لهيئة «المعجم التاريخي للغة العربية»

الباب الأول: مبادئ عامة

المادة ١:

تُنْشأ هيئة تُسمى «**هيئة المعجم التاريخي للغة العربية**».

المادة ٢:

هيئة «المعجم التاريخي للغة العربية» هيئة لغوية علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

المادة ٣:

مقر الهيئة مدينة القاهرة، عاصمة جمهورية مصر العربية، وللهيئة أن تُنْشئ لها فروعًا في البلاد العربية.

المادة ٤: الأهداف.

أ- إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها، لبيان ماطرأ على مبانيها ومعانيها من تغير عبر الزمان والمكان.

ب- نشـــر المعجم التاريخي للغة العربية في فصلات أو أجزاء أولاً، ثم في شكله النهائي عندما يتم إنجازه.

المادة ٥: الوسائل.

١- وضع المنهجية العامة لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

٢- الرصد التاريخي لظهور الوحدات المعجمية في النصوص العربية بمختلف أنماطها وأجناسها، وفي مختلف عصور العربية وأصقاعها، وتأصيل هذه الوحدات، والتأريخ لما طرأ عليها من تطور في الاستعمال.

٣- عقد الصلة بالمؤسسات، ومراكز البحوث، وبالمؤسسات العلمية بالجامعات العربية والأجنبية التي تُعنى بوضع المعاجم التاريخية للإفادة من تجاربها، وللتعاون معها.

البـــاب الثـــاني: التنظيـــم العـــام

أجهزة الهيئة: يؤلف هيكل الهيئة مما يأتي:

١- رئيس الهيئة.

٢- مجلس الأمناء.

٣- المدير العام للهيئة.

٤- المجلس العلمي.

المادة٦: رئيس الهيئة.

رئيس الهيئة هو المشرف العام عليها، وهو رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

المادة ٧: مجلس الأمـــناء.

١/٧ هيكل المجلس.

يتألف مجلس الأمناء على النحو الآتي:

أ- رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وهو رئيس مجلس الأمناء.

ب- عشرة أعضاء من ذوي الاختصاص اللغوي والعلمي، ومن أعضاء المجامع اللغوية العلمية العربية.

ج- أربعة من الشخصيات العربية البارزة.

٢/٧ نظام المجلس.

أ- يختار مجلس الأمناء من بين أعضائه نائبًا للرئيس.

ب- يحضر المدير العام للهيئة جلسات مجلس الأمناء، ويتولى أمانته.

ج- يُعيَّن أعضاء مجلس الأمناء بقرار من مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية مُدَّته أربع سنوات.

د- يضع مجلس الأمناء لائحته الداخلية.

هـ - يعقد مجلس الأمناء اجتماعًا واحدًا في العام، وله أن يعقد اجتماعًا استثنائيًا عند الاقتضاء بناء على دعوة من رئيسه، أو بطلب من أغلبية الأعضاء، ولا يكون الاجتماع قانونيًا إلا بحضور ثلثي الأعضاء، على أن يكون من بينهم الرئيس أو نائبه، ويصدر المجلس القرارات بموافقة أغلبية عدد الحاضرين، وعند التساوي يرجح الجانب الذي فيه الرئيس.

و- للمجلس أن يفوض إلى رئيسه بعض اختصاصاته.

٣/٧ اختصاصات المجلس.

أ- مجلس الأمناء هو المشرف على رسم السياسة العامة للهيئة، وعلى تصريف أمورها، وله أن يتخذ من القرارات مايراه محققًا لأهدافها، ومن ذلك على وجه الخصوص:

١- الموافقة على نظام الهيئة الأساسي، وتعديله عند الحاجة، وتفسير مواده.

٢- إقرار الخطط العلمية المقدمة من المجلس العلمي.

٣- إصدار اللوائح المالية والإدارية التي تسير عليها الهيئة، وتلك التي تنظم شؤون العاملين بها، ومتابعة تنفيذها.

٤- الموافقة على الميزانية السنوية للهيئة، وعلى طرق تمويلها.

٥- النظر في الحساب الختامي للهيئة كل عام، والموافقة عليه.

٦- الموافقة على خطط استثمار أموال الهيئة، والصرف منها.

قبول التبرعات والهبات والوصايا والأوقاف والمنح العلمية، وغير ذلك مما يرد الهيئةَ من دعم.

٧- اعتماد التقرير السنوي لإنجازات الهيئة.

٨- الموافقة على فتح فروع أو مكاتب للهيئة في البلاد العربية.

المادة ٨: المدير العام للهيئة.

أ- المدير العام للهيئة هو المسؤول عن سير الهيئة العلمي والإداري والمالي، وتنفيذ قراراتها في حدود مايقضي به نظامها، وما يقرره مجلس الأمناء، ويمثل الهيئة أمام القضاء والهيئات الأخرى.

ب- يعين مجلسُ الأمناء المديرَ العام بناء على ترشيح من رئيس اتحاد المجامع، ومُدَّته أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة.

ج- يراعى في اختيار المدير العام للهيئة الكفاية العلمية والإدارية.

المادة٩:

١/٩ يتألف المجلس العلمي من:

أ- المدير العام للهيئة رئيسًا.

ب- عشرة أعضاء من العلماء والباحثين المتخصصين في العلوم اللغوية، والمتمرسيْن في المعجمية.

ج- رؤساء وحدات البحث العلمي.

د- يختار المجلس من بين أعضائه نائبًا للرئيس.

هـ- يراعى في تأليف المجلس العلمي أن يمثل البلاد العربية، ما أمكن ذلك.

٢/٩ نظام المجلس.

أ- يعين رئيس مجلس الأمناء أعضاء المجلس العلمي بالتشاور مع المدير العام للهيئة، ومُدَّتُهم أربع سنوات قابلة للتجديد.

ب- يجتمع المجلس العلمي مرتين في العام بدعوة من المدير العام للهيئة، أو بطلب من ثلثي أعضائه، ولا يكون الاجتماع قانونيًّا إلا بحضور ثلثي الأعضاء.

٣/٩ اختصاصات المجلس العلمي.

ينظر المجلس في الشؤون العلمية للهيئة، وخاصة ما يأتي:

أ- وضع منهجية الهيئة لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

ب- النظر في مشاريع البرامج العلمية للهيئة.

ج- تحديد الوحدات العلمية اللازمة لإنجاز المعجم التاريخي، وبيان اختصاصاتها، وتعيين رؤسائها.

البـــاب الثالـــث

المادة ١٠: الموارد والنفقات.

١/١٠ الموارد.

تتكون موارد الهيئة من الآتي:

أ- أنصبة المجامع اللغوية الأعضاء في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ويحدد الاتحاد نسبة نصيب كل مجمع في الميزانية.

ب- الإعانات التي تحصل عليها الهيئة من الحكومات العربية والمنظمات الدولية، ومؤسسات المجتمع الأهلية.

ج- الهبات والوصايا والأوقاف والمنح العلمية التي تحقق أهداف الهيئة.

د- الموارد الأخرى التي يرى المجلس إضافتها إلى موارد الهيئة.

١٠/٢ النفقات.

تنظم اللوائح الإدارية والمالية للهيئة نفقاتها والتزاماتها المالية.

المادة ١١: الميزانية.

أ- للهيئة ميزانية مستقلة يصدق عليها مجلسُ الأمناء.

ب- تُعد الميزانية سنويًا، ويعمل بها من أول يناير (كانون الثاني) إلى نهاية ديسمبر (كانون الأول).

ج- يقدم المدير العام للهيئة تقريرًا سنويًّا عن الميزانية والحساب الختامي إلى مجلس الأمناء.

د- يعين مجلس الأمناء مراقبًا أو أكثر للحسابات من الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين الذين تتوفر فيهم شروط مراجعي الحسابات في الشركات، ويحدد مجلس الأمناء مكافآتهم. وفي حالة تعدد المراقبين يكونون مسؤولين بالتضامن، ويقدم مراقب الحسابات تقريرًا سنويًّا عن ميزانية الهيئة وحساباتها إلى مجلس الأمناء.

هـ- توضع أموال الهيئة في حساب مستقل باسمها ويصرف منه وفقًا للائحتها الداخلية.

ونصت المادة الرابعة من محضر هذا الاجتماع على مناقشة تقرير المدير التنفيذي لمؤسسة المعجم التاريخي، الدكتور كمال بشر، واتخذت القرارات الآتية:

١- يُحوَّل اسم مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية إلى مشروع المعجم التاريخي.

٢- يصبح اسم مجلس أمناء المؤسسة هو «الهيئة الإشرافية على مشروع المعجم التاريخي».

ونظر المجلس في القائمة المقترحة لمصادر تمويل مشروع المعجم التاريخي وجرت مناقشتها.

وفي يوم الثلاثاء ٢٧ أيلول ٢٠٠٥ اجتمع مجلس اتحاد المجامع مرة ثانية ونظر في الموضوعات المطروحة في جدول أعمال الاجتماع على النحو الآتي:

١- اعتماد النظام الأساسي لمؤسسة المعجم العربي التاريخي.

عرْض النظام بعد إجراء التعديلات المقترحة عليه وإقراره.

٢- مناقشة تقرير الأمين العام عن أعمال لجنة المعجم التاريخي.

وقد أسفر الاجتماع عن طائفة من المقررات والتوصيات يعنينا منها هنا القرار ذو الرقم ٥ ونصه: «اعتماد النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية». والقرار ذو الرقم ٦ ونصه: إعلان قيام هيئة المعجم التاريخي للغة العربية.

١- استكمال القائمة المقترحة لجهات التمويل.

٢- اجتماع لجنة المعجم التاريخي بكامل هيئتها لإقرار لائحة شؤون الموظفين ومنهج العمل بالمعجم والهيكل الأساسي للهيئة بصفة نهائية، لاعتماده من مجلس الاتحاد في اجتماعه القادم.

٣- إرسال الملف الخاص بالمعلومات المتوفرة عن الهيئة لكل مجمع ليتسنى له مخاطبة الجهات الممولة في بلده وإعطاء صورة متكاملة عن الهيئة والمعجم.

وبغية إغناء موضوع المعجم التاريخي اختار مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين (٢٠٠٥- ٢٠٠٦) موضوع المعجم التاريخي محورًا لبحوث هذه الدورة.

وقد ألقيت في هذه الدورة بحوث مفيدة أغنت موضوع المعجم التاريخي، ومنها على سبيل المثال:

- الشواهد في المعجم التاريخي قدّمه: الأستاذ الدكتور علي القاسمي
- المعنى في المعجم التاريخي قدّمه: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
- المعجم التاريخي للغة العربية قدّمه: الأستاذ أحمد شفيق الخطيب

– مصادر دراسة اللغة العربية الفصحى قدّمه: الأستاذ رئيف جورج خوري
– المعجم العلمي وشروط إنجازه قدّمه: الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
– حول المعجم التاريخي للغة العربية قدمه: الأستاذ الدكتور كمال بشر
– المعجم التاريخي العربي: قضاياه وطرق إنجازه قدمه: الأستاذ الدكتور محمد رشاد حمزاوي
– أغاليط في تاريخنا الأدبي قدمه الأستاذ الدكتور إحسان النص

وقد أسفر اجتماع أعضاء المجمع في دورته الثانية والسبعيْن عن التوصيات الآتية:

– يؤكد المؤتمر التوصيات الصادرة عنه في المؤتمرات السابقة، ويهيب بالمسؤولين وصنّاع القرار أن يعملوا على تفعيلها واتخاذ الخطوات التي تكفل الالتزام بها.

– يؤكد المؤتمر النظر إلى المعجم التاريخي للغة العربية باعتباره مشروعًا ثقافيًا وقوميًّا وحضاريًا، إضافةً إلى كونه مشروعًا للغة عالمية هي السادسة بين أكثر لغات العالم تداولاً، والثامنة عشرة في مجال الترجمة.

– يوصي المؤتمر بتقديم الأبحاث والمحاضرات التي ألقيت ونوقشت عبر جلساته المغلقة والمفتوحة إلى اللجنة الخاصة بالمعجم التاريخي التابعة لاتحاد المجامع اللغوية العربية، للإفادة منها في كل مايتصل بالتصور العلمي واللغوي للمعجم، وتوضيح أهدافه، ووضع منهجه، وخطة عمله، والبحث في آليات تنفيذه.

– يناشد المؤتمر الهيئات والمؤسسات المعنية باللغة العربية والحريصة على وضع معجم تاريخي لهذه اللغة، كما يناشد القادرين من أبناء هذه الأمة، العمل على مؤازرة هذا المشروع العلمي واللغوي الضخم، بما يتطلبه من إمكانات مادية وتقنية.

– يوصي المؤتمر بألا يؤدي العمل في المعجم التاريخي إلى بطء العمل وتراخيه

في المعجم الكبير، وألا يكون الاهتمام بأحد المعجمين على حساب الآخر، فلكل منهما أهميته ودوره ومنهجه ومجالات العمل فيه. والمؤتمر ينتهز هذه الفرصة للمطالبة بالإسراع في إكمال العمل في المعجم الكبير باعتباره مصدرًا مهمًّا يُعوّل عليه في إصدار المعجم التاريخي.

– يؤكد المؤتمر ترحيبه بالمبادرات التي يقوم بها المجتمع المدني ممثلاً في جمعية تعريب العلوم وجمعيتي حماية اللغة العربية ولسان العرب في مصر ومثيلاتهما في الأقطار العربية، بهدف الحفاظ على اللغة العربية والتصدي للسلبيات التي تواجهها، وإحباط المخططات المعادية، الرامية إلى إضعافها وإخراجها من الساحة العالمية، كما يؤكد المؤتمر ترحيبه بما قامت به الجامعات المصرية من مبادرات تمثلت في عدد من الملتقيات والندوات البحثية؛ محورها جميعًا اللغة العربية وقضاياها المختلفة في هذا العصر.

وفي ٤ أبريل (نيسان) ٢٠٠٦ عقدت لجنة المعجم التاريخي اجتماعًا بالقاهرة لاستكمال دراسة الموضوعات الآتية:

– لائحة شؤون الموظفين.

– مسودة المنهج العلمي (الخطة).

– استكمال قائمة الممولين.

– الشروع في اتخاذ إجراءات البدء الفعلي في عمل المعجم.

وفي الجلسة الأولى لهذا الاجتماع قدم الأستاذ الدكتور كمال بشر فكرة عامة موجزة عن أعمال اللجنة منذ عقد اجتماعها الأول.

وفي الجلسة الثانية استعرض الأعضاء النقاط التعريفية بالمشروع التي أعدها الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، فوافقوا عليها بعد إجراء بعض التعديل.

– ناقش الأعضاء مخطط الهيكل التنظيمي للهيئة الذي أعده الدكتور علي القاسمي، فنوقش وعُدّل ثم أقرّ.

- عُدّل النظام الأساسي للهيئة تعديلاً بسيطًا.

عرض الدكتور علي القاسمي بحثه (الشواهد في المعجم التاريخي) فعلقت عليه طائفة من أعضاء اللجنة، فوعد الدكتور القاسمي بأخذ هذه التعليقات والملاحظات عليه بعين الاعتبار.

وعقدت الجلسة الثالثة من هذا الاجتماع يوم الأربعاء ٥/٤/٢٠٠٦.

ناقشت اللجنة في هذا الاجتماع لائحة الموظفين بالهيئة، فطلبت من الدكتور علي القاسمي إجراء تعديلات في اللائحة وفق الملاحظات التي أبديت عليها.

ناقشت اللجنة التقرير العلمي عن المنج العلمي لعمل المعجم التاريخي الذي أعده الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز. وبعد المناقشة طلبت اللجنة من الدكتور محمد حسن عبد العزيز تعديل المنهج وفق الملاحظات التي أبديت عليه.

وفي صباح الخميس ٦/٤/٢٠٠٦ عرضت القرارات والتوصيات التي أقرتها اللجنة في اجتماعها هذا، وفيما يلي نصّها:

القرارات والتوصيات

١- التفويض الأمانة العامة لاتحاد المجامع : توفيْر/ تهيئة مقر دائم لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية بجمهورية مصر العربية في حدود ماتسمح به الأوضاع المالية الحالية.

٢- التفويض إلى أعضاء اللجنة والمجامع اللغوية العلمية العربية كلٌ في بلده الإعلان عن قيام هيئة المعجم التاريخي للغة العربية.

والأولى أن تكوَّن لجنة من عدد قليل من أعضاء اللجنة للطواف في البلاد العربية للاجتماع بالمسؤولين ورؤساء الهيئات والمؤسسات ذات الاهتمام، لطلب الدعم المادي والمعنوي، على أن يقوم كل مجمع بتخصيص مبلغ مالي لدعم المشروع ومخاطبة الجامعة العربية والمؤسسات والهيئات ذات العلاقة لتلقى دعمها.

٣- تكوين لجنة رباعية لاستكمال خطة العمل العلمي للمعجم التاريخي في

السنة الأولى يرأسها أ. د. كمال بشر وعضوية كل من:

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

أ. د. إبراهيم بن مراد

أ. د. علي القاسمي

أ. د. محمد حسن عبد العزيز

٤- مخاطبة وزارة الخارجية المصرية للاعتراف بالهيئة بوصفها هيئة إقليمية.

٥- إقرار الهيكل التنظيمي للهيئة.

٦- إقرار النقاط التعريفية بمشروع المعجم التاريخي للغة العربية.

٧- إحالة نظام لائحة الموظفين بالهيئة على الأستاذ الدكتور علي القاسمي لإدخال التعديلات التي تفضل بها السادة أعضاء اللجنة.

٨- إحالة منهج العمل العلمي والتقرير الذي أعده الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز على اللجنة الرباعية لتعديله في ضوء ملاحظات السادة أعضاء اللجنة.

٩- يوصي السادة أعضاء اللجنة بضرورة الاعتماد والانتفاع بالمدونات السابقة كافة، في أعمال المعجم التاريخي للغة العربية المتاحة في البلاد العربية وغيرها، ويعهد بذلك إلى اللجنة الرباعية.

١٠- يفوض إلى الأستاذ الدكتور كمال بشر الأمين العام للاتحاد توفير المبالغ المالية التي تحتاجها اللجنة الرباعية في أعمالها بعد مشاورة الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس الاتحاد.

١١- رفع تقرير تفصيلي عن كل مادار في هذا الاجتماع والنظام الأساسي إلى رئيس اتحاد المجامع، والتوصية بأن يدعو سيادته مجلس الاتحاد للانعقاد، واعتماد ماجاء من قرارات وتوصيات في هذا الاجتماع وبخاصة ماورد في الفقرة السابقة، وتنفيذ النظام الأساسي.

من تاريخ التعريب

القسم الأول: النهضة اللغوية في الشام عقب جلاء الأتراك

د. مازن المبارك

مازالت العامية من ناحية واللغة الأجنبية من ناحية أخرى تزحفان حتى زاحمتا العربية في عقر دارها، وأخذت كل منهما حيِّزًا استُعملت فيه حتى أصبح العربي الصادق الإحساس بعروبته يتأذى سمعه وتقذى عينه لكثرة ما يسمع وما يرى مما يخدش إحساسه ويؤذي شعوره، فلقد فَجرت العامية واستَعْلَت الأجنبية بوقاحة في أسواقنا وأسماء مَحالّنا وشركاتنا التجارية ومؤسساتنا، وفي شوارعنا وبعض صحافتنا... واهتمَّ المسؤولون بنظافة البيئة ونقائها في هوائها ومائها وتربتها، ووضعوا لذلك التشريعات اللازمة، وسخّروا الإعلام للتبصيْر بنظافة البيئة وغفلوا، سامحهم الله، عن تنقية أقدس البيئات وأشرفها وهي البيئة اللغوية، فتركوها تمتلئ بالشوائب والمؤذيات، وهم لو قَدَرُوها حق قَدْرها لعلموا أنها على المدى البعيد من أخطر البيئات، وأن عدم المحافظة عليها هو الخطر الذي يهدّد الانتماء ويهدّد الوحدة ويهدّد الوجود!

ولقد دعاني هذا الذي رأيته وسمعته من استعلاء الأجنبية وزحف العاميّة ومن انتشارهما وتوهُّم الجاهلين الفخر بهما، حتى بات صاحب المحل الصغير من العامّة يكتب على محلّه في حارة صغيرة من أحياء دمشق القديمة «ميني ماركت أبو علي»!! ودعاني ما رأيته من تواري العربية وكأنها خجلة لا تظهر في حياتنا إلا وقد استغشت ثيابها وأطلّت على استحياء شاعرة بغربتها عن أهلها..

أقول: لقد دعاني هذا إلى العودة بالذاكرة إلى عهد قريب لأرى كيف كانت البيئة اللغوية في بلادنا على غير ما نهوى ويهوى كل عربي، وكيف استطاع المخلصون من أبناء شعبنا أن ينزعوا ثوب العجمة والغربة بين عشيّة

وضُحاها وأن يعيدوا إلى الوطن وجه لغته العربية الجميلة وبيانها المشرق.

لقد كانت العاميّة المغرقة في المزج بين الحروف والخلط بين اللغات الدخيلة مهيمنة في البيوت والأسواق، وكانت التركية لغة التدريس في البلاد، بل كانت اللغة العربية نفسها تدرَّس باللغة التركية وتُملى قواعد نحوها وأحكامها النحوية بالتركية.. لقد كانت اللغة التركية لغة البلاد في جميع مجالات الحياة بلا استثناء، لكن ذلك سرعان مازال بعد زوال الحكم الذي فرضه، وسرعان ما أشرقت مع التحرّر والاستقلال شمس العروبة ولغتها.

فلم يكد الأتراك يغادرون بلاد الشام، و لم يكد يُعلن تأليف أول حكومة عربية يوم ٥/ ١٠/ ١٩١٨م حتى ظهرت حماسة المخلصين في السعي لنَزع ثوب التتريك الذي لبسته البلاد في لغة دواوينها ومراسلاتها، وفي مدارسها وكتبها، وفي جيشها وكل ما يتصل به من رتب وألقاب وإيعازات وأسماء أسلحة...، والعمل على إلباس البلاد ثوب العربية المشرق. و لم تمضِ مدّة تذكر حتى غدت العربية صوت المنشدين من الطلاب، ولغة الخطباء والوعاظ والقادة، ولغة المراسلات في إدارات الدولة ومؤسساتها المدنية والعسكرية، ولغة الكتّاب في الصحف، والمؤلفين في مؤسسات التعليم.

لقد شهدت بلادُ الشام في تلك الأيام حماسة منقطعة النظير للتعريب في الألسنة والأقلام، وهيمنت في البلاد رغبة ظهرت أشدّ ما يكون الظهور في خلق نسيج رسمي وشعبي متماسك، يشدّ بعضه أزر بعض في تعاون مخلص وتجاوب عجيب، يجري فيه العمل على خير وجه وفي جميع طبقات المجتمع؛ في المجمع والمعاهد وإدارات الدولة ومؤسساتها، وفي المدارس ودور التعليم، وفي قيادات الجيش وإداراته وقطعه، وفي المراسلات والنشرات وفي الصحف... لقد كان ذلك كله يُنْجَزُ بحماسة وسرعة وتعاون مخلص، وكأن الكل خليّة نحل

يحدوها هدف مقدّس واحد هو العودة بالبلاد إلى عروبتها ولغتها.

ومن حق الذين قاموا بتلك النهضة اللسانية العربية أن نقف عند أعمالهم، ونشيد بمن عرفنا منهم، لأن أكثر الذين كتبوا عن التعريب وبداياته اتجهوا نحو المعاهد الجامعية كالمعهد الطبي وشيوخ التعريب فيه، أو نحو من عرفوهم أو عرفوا آثارهم، فتحدثوا عنهم وبقي آخرون لم يكشف أحد عن دورهم الوطني والقومي الرائع، الذي قاموا به في ميدان التعريب ووضع المصطلحات، وترجمة الألفاظ وتصحيحها وتقويم الأساليب، والعمل على صحة اللغة ونقائها في الصحف والكتب المدرسية.

لم تكد الحكومة الفيصلية العربية الأولى تقوم في دمشق في تشرين الأول من عام ١٩١٨م حتى جعلت أول واجباتها إحلال اللغة العربية محل التركية في مؤسسات الدولة ودواوينها، ومدارسها وجيشها بإيعازاته وألقابه وأسماء أسلحته، وكان أول ما عملته في سبيل ذلك تأليف اللجان وتكليفها القيام بالترجمة والتعريب والتأليف كل منها في ميدانه ومجال اختصاصه:

- ألّفت في تشرين الثاني عام ١٩١٨م لجنة سمّتها «الشعبة الأولى للترجمة والتأليف» مهمتها تدبر أمور اللغة العربية وإحلال الألفاظ العربية محل التركية، وكان من أعضاء هذه الشعبة الشيخ أمين سويد، أنيس سلوم، عز الدين علم الدين (التنوخي)، عيسى إسكندر المعلوف، الشيخ سعيد الكرمي.

- ثم وسّعت الحكومة هذه الشعبة وسمّتها «ديوان المعارف» وكان ذلك في شباط من عام ١٩١٩م وجعلت الأستاذ محمد كرد علي رئيسًا لها.

- وفي ٨ حزيران ١٩١٩م أصدر الحاكم علي رضا باشا الركابي قرارًا بتسمية ديوان المعارف «المجمع العلمي العربي».

وكان المجمع إذ ذاك يضم ثمانية أعضاء هم: محمد كرد علي، وأمين سويد،

وأنيس سلوم، وسعيد الكرمي، وعبد القادر المغربي، وعيسى إسكندر المعلوف، ومتري قندلفت، وعز الدين التنوخي. وانضمّ إليهم في تشرين الأول من عام ١٩١٩ الشيخ طاهر الجزائري، وعقدوا جلستهم المجمعية الأولى في العادلية[١] يوم ٣٠/ ٧/ ١٩١٩ وقرروا أن يضموا إلى المجمع كلاً من: ميخائيل بخاش، وعبد القادر المبارك ورشيد بقدونس، ومحمد الخضر حسين التونسي، ومحسن الأمين العاملي، وسليم العنحوري وفارس الخوري وعبد الرحمن الشهبندر، وحكمة المرادي ومرشد خاطر وحسين عوني القضماني.

وكانت كثرة الأعمال المطلوبة من المجمع هي التي اقتضت إضافة أولئك العلماء وجعلهم في شعبتين: شعبة لغوية أدبية، وشعبة علمية فنية.

– وألّف الحاكم علي رضا باشا الركابي لجنة من المعاونين له، تضم كلاً من سليم الجندي وشاكر الحنبلي وسعيد المسوتي.

– وألّف لجنة للتعريب برئاسة ياسين باشا الهاشمي وتضم كلاً من رشيد بقدونس وعبد القادر المبارك ومراد الاختيار، وهي اللجنة التي أنيط بها **تعريب المصطلحات العسكرية**، والتي كانت تجتمع برئاسة الأستاذ رشيد بقدونس، واستمرّ عملها مدة طويلة وكان لها أعظم الآثار في بواكير التعريب كما سنرى.

– وألّف لجنة **المصطلحات العلمية للكتب المدرسية**، وكانت تضم كلاً من ساطع الحصري (رئيسًا لهابوصفه مديرًا للمعارف) ورشيد بقدونس وعز الدين التنوخي وعبد الرحمن الشهبندر، ولهذه اللجنة أن تستعين بمن تشاء بحسب الموضوعات التي تبحث في مصطلحاتها، وكان ممن استعانت

---

(١) عقد المجمع بعض جلساته في دار الحكومة، وبعد انتقاله إلى المدرسة العادلية في باب البريد كانت أولى جلساته في ٣٠/ ٧/ ١٩١٩

بهم حبيب اصطفان[٢].

وقامت تلك اللجان بما طُلب منها على خير وجه، وإن كان منها من كان عمله مؤقتًا انتهت مهمة لجنته بانتهائه، وكان منها من استمرّ في العمل مدة طويلة، كاللجان المجمعية التي ظلت مواكبة لمتطلبات التأليف وإحياء التراث والترجمة والتعريب، فلقد نصّب المجمع نفسه قيّمًا على اللغة العربية في المجالين الرسمي والشعبي، وكان من ورائه مسؤولون حكوميون يشجعون وينفذون، كما كان من حوله مواطنون واعون، سرعان ما كانوا يستجيبون لما يدعوهم إليه، فلقد أذاع المجمع نشرة طلب فيها من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس أن تنبئه بما تحتاج إليه من ألفاظ وضعًا وتعريبًا، فأرسل بعضُها إليه طائفة من الألفاظ التي قال في نشرة له إنه يشتغل بها وسينشرها بعد عرضها على لجنة مختصة[٣]، وإن من يطلع على ما جرى من مراسلات بين المجمع وبين القائمين على الدواوين والإدارات المدنية والعسكرية ليُدرك كيف كانت الرغبة في امتلاك اللغة العربية ألفاظًا وأساليب، يريدون أن يُحلوها محل اللغة القديمة الممتلئة بالعجمة والركاكة، ويرى كيف كانوا يتجهون إلى المجمع الجديد الذي أنشئ في ذلك الوقت لينقذهم وينقذ ألسنتهم وأقلامهم. لقد كانت الرسائل تنهال على المجمع من فرق الجيش عن طريق المجلس الحربي الأعلى، ومن الشرطة والأوقاف والمدارس والصحة والمصرف الزراعي، فكان يوافي رغباتهم وينظر في طلباتهم ثم ينشر في مجلته ما أقرّته لجانه من الألفاظ داعيًا رجال الدواوين

---

(٢) حبيب اصطفان لبناني عرف بالخطابة والأدب ونظم الشعر، عمل مع الوطنيين أيام الملك فيصل ثم هاجر إلى الأرجنتين وكان متقلّبًا في هواه، له كتاب «وجدان لا سياسة» تزوج من كوبا ومات في المهجر عام ١٩٤٦م (وانظر ترجمته في الأعلام).

(٣) انظر المجلد الأول من مجلة المجمع، ص (٣٩٢).

والكتّاب والصحفيين إلى استعمالها[٤].

وكان من أوائل ما نشرهُ المجمع في مجلته من معرَّبات استجابةً للرسائل التي وصلت إليه ألفاظُ:

الطابو: ديوان التمليك	البوليس: الشرطة	نوبتجي: آذن، بوّاب
أودجي: فرّاش	نومرو: رقم، عدد	دركنار: حاشية
خرجراه: نفقات سفر	بول: طابع	ماصة: مكتب
أوراق موررودة: الرسائل الواردة	أوراق مرسولة: الرسائل الصادرة	
دوسيه: إضبارة، ملف	صوبا: مدفأة	استامبه: محبرة الخاتم
روزنامة: تقويم .		

ومن أمثلة الكتب التي وصلت إلى المجمع كتاب من مدير «نموذج الملك الظاهر» يطلب تعريب كلمات، عرّبها له المجمع ونشرها في المجلد ٣ ص ١٦٠ وهي:

الفاتورة: القائمة أو البيان	البوردرو: جدول الرواتب
البورصة: السوق المالية	الكامبيو: سعر الصرف

وكان المجمع ينشر ما عرّب في مجلته، كما كان يرسّل نسخة من معرّباته إلى الحاكم العسكري يطلب إليه تعميمها، ومن ذلك رسالة بعث بها إلى الحاكم في ١٤/ ١٠/ ١٩١٩ يقول فيها إنها ألفاظ اختارها بعد مذاكرة وتمحيص، راجيًا أن يُعمِّم استعمالها لأنها مصطلحات عربية فصيحة فيها إحياء للغة العربية ورجوع إلى نضرتها الأولى.

لقد كان أعضاء المجمع وأعضاء اللجان، ومن يدعوهم المجمع لمساعدته من أعلام العربية في بلاد الشام، يستخرجون مئات الألفاظ من كتب التراث

(٤) انظر المجلد الأول من مجلة المجمع ص (٤٣).

وينظرون فيما كان العرب يستعملونه. وكثرت الأعمال لدى المجمعيين وتنوّعت ما بين تأليف وتحقيق تراث، وترجمة ألفاظ وتعريب كلمات ووضع مصطلحات ومراقبة لغة الكتّاب والصحفيين، بل التدقيق في الكتب المدرسية ومراجعتها وتقويم أساليبها، فلقد أصدر مجلس المعارف الكبير قرارًا برقم ١٦٢ وتاريخ ١٧ أيلول ١٩٢١م قال فيه: «تحال الكتب المدرسية إلى المجمع العلمي ليصحّح أسلوب إنشائها» ويقول المجمع إنه قد تمّ ذلك في كتب الزراعة والمعلومات المدنية والدروس الهندسية وكتب النحو ودروس الجغرافية للصفوف الثاني والثالث والرابع والخامس من المدارس الابتدائية[٥] وأذكر أن كتاب القراءة الذي كان مقررًا علينا في الصف الخامس الابتدائي وكان اسمه «القراءة الوحيدة» من تأليف رمزي الركابي وآخرين، كتب على غلافه «مراجعة عبد القادر المبارك — عضو المجمع العلمي العربي».

ويستمر المجمع في القيام بأعمال يصعب حصرها، وصلت إلى التدقيق اللغوي في الكتب المدرسية والمذكرات التي تلقى بالعربية في المعهد الطبي والمعهد الحقوقي وتسديد لغة الأقلام وتعريب الألفاظ[٦]. ويشعر المجمع بصعوبة انفراده بالعمل، فيطلب المساعدة من القادرين في معهد الطب ومعهد الحقوق وفي قيادات الجيش وإدارات الحكومة، ويذيع «أن انفراده بهذا العمل الخطير لا يأتي بالفائدة المطلوبة لما يقتضيه من الإحاطة بالعلوم والفنون العصرية المختلفة، ومعرفة اللغات الأجنبية، فضلاً عن كثرة البحث والتنقيب والتحقيق في الكتب العربية» ويقوم على أثر ذلك تعاون مثمر بين المجمع وبين المؤسسات العلمية التي صادف إنشاؤها في ذلك العصر. يقول الدكتور عِزّة مريدن: «أنشئ المعهد الطبي

---

(٥) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢١ المجلد ١ ص (٣٩٢).

(٦) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٢ المجلد ٢ ص (٢٢١).

العربي بدمشق عام ١٩١٩ واختير أساتذته من أساطين الأطباء آنذاك، وتشاء المصادفة أن يكون جلّهم ممن درسوا الطب باللغة التركية، وكان عليهم جميعًا أن ينفذوا برغبة وطنية، مشيئة القومية العربية التي تلزمهم تعليم الطب بلغة أهل البلاد فشمروا عن ساعد الجد ونبشوا بطون الكتب القديمة ونفذوا إلى صميم المعاجم المختلفة وأخذوا يضعون المصطلحات الطبية[٧].

ورافق هذا النشاط المجمعي في الأوساط الرسمية انفتاح المجمع على الأوساط الشعبية، ففتح قاعة محاضراته لدعوات عامة يلقي فيها أعضاؤه محاضرات أسبوعية، في موضوعات مختلفة أدبية ولغوية وتاريخية واجتماعية، وخصص قسمًا من محاضراته للنساء، ودعا عددًا من المثقفين وزائري دمشق إلى المشاركة في تلك المحاضرات، وقد استمرّ ذلك النشاط الرائع منذ بدأ في ١٢ نيسان من عام ١٩٢١ إلى سنوات كثيرة أُلقيت خلالها مئات المحاضرات[٨]، كما استمرت مدةً طويلة مراقبة المجمع للكتب المدرسية، وللفاسد من لغة الجرائد، ولنشر الألفاظ المعربة، وتصحيح الأقلام التي بقيت مستمرة حتى سنة ١٩٢٧ «فقد رأى المجمع أن ينشر في مجلته وفي الصحف من وقت إلى آخر نبذة لا تتجاوز العمودين في نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتّاب». وأضاف قائلاً: «وسنقتصر على ما نظنه خطأ لا يحتاج الأمر فيه إلى الردّ والمناقشة، وندع التصريح باسم الكاتب الذي نؤاخذه والصحيفة التي نُشر فيها»[٩].

---

(٧) من محاضرة ألقاها في دار الحكمة بالقاهرة عام ١٩٥٨، وانظر كتاب اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي لمازن المبارك ص (٣٧).

(٨) تجد أسماء المحاضرين وعنوانات محاضراتهم وتواريخ إلقائها في كتاب تاريخ المجمع العلمي للأستاذ أحمد الفتيح.

(٩) مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٢١م.

وكثيرًا ما كان المجمع ينشر في مجلته وفي الصحف فتاوى لغوية يجيب بها عن أسئلة وردت إليه، وقد وجدت مسوّدة فتوى قدّمها والدي عبد القادر المبارك إلى المجمع حول جمع المصدر، وقد نشرت هذه الفتوى في مجلة المجمع بعد أن تذاكر الأعضاء فيها في جلسة عقدت يوم ٧/ ٩/ ١٩٢١ وقالوا إنهم بحثوا في جمع المصادر مثل التدقيقات والانتخابات، ولوحظ بعد المذاكرة أن المقصود ليس جمع المصادر بل يراد الحاصل بالمصدر وهو أثر الفعل، ومرة يراد به المصدر النوعي (مصدر المرة) مثل: وردت الانتخابات من الأقضية فلا يراد هنا فعل الفاعل وإنما المراد أثره المتكرر بتكرّر الأقضية وهكذا يقال في البواقي»[١٠].

وبعد، فلعلّ في الصفحات السابقة صورة متواضعة عن حركة نشيطة أو عمل واسع شامل دؤوب مخلص، كان يموج به المجتمع في بلاد الشام، وكان المجمع محوره، والمعاهد الجامعية والمثقفون أجنحته، والمسؤولون حُداته وحُماته.

ولاشك أن المتتبع لأعمال المجمع وأعداد مجلته وتراجم رجاله وأخبار الترجمة والتعريب في تلك الأيام، يستطيع أن يدرك كثيرًا مما ذكرناه وأن يعرف الجهود المخلصة المثمرة التي بذلها رجال كانوا حماة العربية وبناة النهضة اللغوية في بلاد الشام، يقول الأستاذ سعيد الأفغاني: «عرف قرّاء المجلة ومتتبعو جلسات المجمع أسماء محمد كرد علي وسعيد الكرمي وسليم الجندي وشفيق جبري وعارف النكدي ومصطفى الشهابي وعز الدين التنوخي وعبد القادر المبارك، كتلة الحماة المحافظين على سلامة العربية المنافحين دونها»[١١].

ولكن ما لا يعرفه الكثيرون وما لم يتصدّ أحد لتأريخه إنما هو أعمال تلك اللجان التي كان أعضاؤها يجتمعون نهارًا، ويعكفون على المعجمات وعلى

---

(١٠) مجلة المجمع، المجلد ١ ص (٣١٤).

(١١) حاضر اللغة العربية ص (١٠٦) (دار الفكر ط٢ سنة ١٩٧١م).

كتب التراث ليلاً بحثًا عن ألفاظ عربية فصيحة يضعونها في مقابل الألفاظ التركية والأجنبية والعاميّة التي كانت سائدة ومتداولة. وما لم يذكره أحد هو أسماء أولئك الرجال الذين شاركوا تلك اللجان في الترجمة والتعريب والتأليف وبذلوا من علمهم وجهدهم ثم مضوا إلى ربهم لم يذكرهم أحد.

لقد كان المجتمع في تلك الأيام كتلة نشاط، ما إن استنفر الحاكم الناس وأعلن التعبئة اللغوية حتى سخّر كل قادر من المثقفين قلمه ولسانه للعودة إلى حضن العروبة ولغتها، وليت الناس اليوم يدركون كم كان للمجمع وللمعاهد العلمية والمدارس (التجهيزية) الثانوية، ولمكتب عنبر خاصة، من أثر في نشأة التيار الوطني وإحياء الروح العربية وإذكاء الحماسة للنضال، ليدركوا من وراء ذلك كيف كان المستعمر يحاول التغلّب على ذلك بالالتفاف على تلك المدارس بإنشاء المدارس الأجنبية، والترغيب في اللغة الأجنبية لكبت روح العروبة الكامنة في لغة العرب وأدبها.

ولعلي أقدّم للقرّاء في العدد القادم من مجلة المجمع صورة أخرى متواضعة لجهود لجنة واحدة من تلك اللجان، وهي اللجنة التي عرفت باسم «لجنة التعريب»، وأضع بين أيديهم ما أستطيع من صور لوثائق تلك اللجنة ولمسوّدات مراسلاتها، عسى أن يكون مقالي تقريرًا موثقًا صادقًا عمّا بذلته لجنة واحدة من تلك اللجان التي أناطت بها الحكومة العربية أمر النهوض باللغة العربية.

في تيسير تعليم مباحث النحو (*)

د. هلال ناجي

توطئـــة:

من اللافت للنظر أن تهب رياح التجديد في كثير من مواضيع الفكر والأدب واللغة من الأندلس. فمن الأندلس جاء التجديد في شكل القصيدة العربية بظهور الموشح[1]. ومن الأندلس أيضًا جاءت الدعوة إلى انعدام التعارض بين الشريعة الإسلامية والفلسفة، بهدف منع تشتيت الأمة الإسلامية وإلحاق الأذى بالشريعة والحكمة، حمل لواءها فيلسوف قرطبة أبو الوليد ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ)، وكانت دعوته هذه انتصارًا للروح العلمية وتأسيسًا لأخلاقيات الحوار[2].

ومن الأندلس كذلك هبّت رياح تيسير النحو أو تجديده على يد ابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (٥١٣- ٥٩٢هـ) - أيام دولة الموحدين - في كتابه «الرد على النحاة»، وفي كتابيه المفقودين: « تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان» و «المشرق» في النحو وهي أقوى صيحة واضحة ارتفعت في وجه النحاة لكثرة ما فرّعوا، ولما عقّدوا به مباحث النحو من أساليب المنطق

(*) من بحوث المؤتمر الأول الذي أقامه مجمع اللغة العربية في المدة ٢٧- ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

(١) ظهرت الموشحات في الأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري على يد رجلين من قرية (قـــبرة) همـــا محمد بن محمود الضرير ومقدم بن معافى في عصر الأمير عبد الله بن محمد المـــرداني (بين ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ)، ولم يصبح الموشح فنًا قائمًا بذاته إلاّ على يد وشاح عـــبقري هـــو عبادة بن ماء السماء (ت٤٢٢هـ). تنظر مقدمة تحقيقنا لكتاب - جيش التوشيح - للسان الدين ابن الخطيب.

(٢) تُنظر كتب ابن رشد التالية: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال. - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة - تهافت التهافت.

والفلسفة، وما أقاموا فيه من حجج وعلل أثقلته وأثقلت من يروم دراسته[٣].
يمكن إجمال آراء ابن مضاء القرطبي في أنه: دعا لإلغاء نظرية العامل، فقد رفض النحاة بعض أساليب العرب ووضعوا مكانها أساليب أخرى سوّلتها لهم فكرة العامل، فوقعوا في تكلف شديد عقّد الكلام وصَعَّبه، وأحاله ألغازًا مستعصية. كما دعا لإلغاء العلل الثواني والثوالث، وإلغاء القياس، وإلغاء التمارين غير العملية. وهذا كله جوهر كلام ابن مضاء في كتابه «الرد على النحاة»[٤].

في النصف الأول من القرن العشرين ذرَّ قرن الدعوات المشبوهة التي تسربلت رداء تجديد النحو، وأبطنت عداءَ الفصحى، والدعوةَ إلى العامية، وحتى استخدام الحرف اللاتيني في الكتابة العربية، وكان سلامة موسى حاملَ راية هذه الدعوة في كتابه «البلاغة العصرية»[٥]، وأنيس فريحة في بحوث كثيرة له أعاد نشرها في كتابه «في اللغة العربية وبعض مشكلاتها»[٦]، وفي بحثه المعنون «عود إلى قضية تدريس العربية»[٧].

إن أظهر محاولات تيسير النحو التي نَهَدَ بها المعاصرون في القرن العشرين

---

(٣) يرى الدكتور شوقي ضيف أن جميع مختصرات النحو التي وضعها أئمة النحو من أسلافنا، كان هدفها تيسير تعليم النحو. ينظر بحثه المعنون (محاولات تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا) كتاب الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني – ١٩٨٤ ص (٤١-٤٤).

(٤) الرد على النحاة – ابن مضاء القرطبي – تحقيق شوقي ضيف ص (٢٠)- دار المعارف – ١٩٨٢.

(٥) البلاغة العصرية واللغة العربية – سلامة موسى – ط٢ – المطبعة المصرية (د.ت).

(٦) في اللغة العربية وبعض مشكلاتها – أنيس فريحة – دار النهار – بيروت ١٩٦٦.

(٧) عود إلى قضية تدريس العربية – مجلة أبحاث س ٩، ج١ كانون الأول ١٩٨٠ ص (١١٥) فما بعدها.

هي: محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» الذي أثار ضجّة كبيرة، وانشطر الدارسون له بين مُحَبِّذ وناقد، ويمكن إجمال طُرُوحِهِ في الآتي:

١- إنّ الرفع عَلَمُ الإسناد، ودليل أن الكلمة يُتحدث عنها.

٢- إنّ الجرّ عَلَمُ الإضافة، سواء أكانت بحرف أم بغير حرف.

٣- إنّ الفتحة ليست بعَلَم على إعراب، ولكنّها الحركة الخفيفة المستحبة، التي يحبّ العرب أن يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت، فهي بمنزلة السكون في لغتنا الدارجة.

٤- إنّ علامات الإعراب في الاسم لا تخرج عن هذا إلاّ في بناء، أو نوع من الإتباع.

قال مؤلفه: فهذا جُمّاع أحكام الإعراب، ولقد تتبعتُ أبواب النحو بابًا بابًا، واعتبرتها بهذا الأصل القريب اليسير، فصحّ أمره، واطّرد حكمه... حتى قال:

ودرست التنوين على أنه مُنبئٌ عن معنى الكلام، فصحّ لي الحكم واستقام. وبدّلت قواعدَ «ما لا ينصرف» ووضعت للباب أصولاً أيسر وأنفذ في العربية ممّا رسم النحاة للباب، وأُجمل الأصول في الآتي:

١- إن التنوين عَلَم التنكير.

٢- لك في كلّ علم ألاّ تُنَوِّنَهُ، وإنّما تلحقه التنوين إذا كان فيه حظ من التنكير.

٣- لا تُحرم الصفةُ التنوينَ حتى يكون لها حظ من التعريف[٨].

ولقد وُوْجِهتْ محاولةُ إبراهيم مصطفى هذه بسلسلة من النقدات، من أبرزها:

---

(٨) إحياء النحو: إبراهيم مصطفى – القاهرة ١٩٣٧ (مقدمة المصنف).

١- نقدات الشيخ محمد عرفة الذي طرح وجهات نظر جديدة واتهم مصنِّف «إحياء النحو» بأنه نحلَ النحاة مذاهب لم يفوهوا بها[٩].

٢- رد الدكتور محمد محمد حسين رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية[١٠].

٣- نقد عبد المتعال الصعيدي الذي وصف الكتاب بأنه هدم للقديم[١١].

٤- نقد علي النجدي ناصف الذي شنَّ غارة شعواء على كلِّ دعاة التيسير، بدءاً من ابن مضاء القرطبي وانتهاءً بإبراهيم مصطفى[١٢].

٥- نقد د. شوقي ضيف الذي نفى الجدّة عن الكتاب واعتبره ترديدًا لأقوال ابن مضاء القرطبي وغيره[١٣].

٦- نقد شيخ الأزهر محمد الخضر حسين التونسي[١٤].

٧- نقد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه أشتات مجتمعات في اللغة والأدب.

٨- نقد الدكتور تمام حسان[١٥].

---

(٩) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ص ٩، ٨٠، ٢٣٥.

(١٠) نشر الرد في مجلة الأزهر ثم طبع في كتابه «حصوننا مهددة في داخلنا» ص (٢٣٧-٢٥٧) ط٣، بيروت – ١٩٧١.

(١١) النحو الجديد ص(٧٦)، ومجلة الرسالة س٥، ع١٩٤، مارس، ١٩٣٧.

(١٢) قضايا اللغة والنحو (١-٢، ٨٢-٨٣، ١٠١، ١١٩) .

(١٣) مقدمة تحقيقه لكتاب «الرد على النحاة» ، وكتابه «تيسير النحو التعليمي» ص ٢٧-٣٠.

(١٤) دراسات في العربية وتاريخها: ط٢ – دمشق ١٩٦٠- ص (٢٣٩-٢٥٨) .

(١٥) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان – القاهرة - ١٩٧٣م.

٩- الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني(١٦).

١٠- نقد الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، وقد نقد بعض أفكار إبراهيم مصطفى ببحثه الموسوم «النحو بين التجديد والتقليد» المنشور بمجلة كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف.

وظهرت على الساحة العراقية محاولات جادة للتيسير من أشهرها وأقدمها محاولات الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، وكانت باكورة كتبه في هذا الشأن كتابه «نحو التيسير» الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٢، ثم طبع ثانية عام ١٩٨٤، تلاه كتابه نحو القرآن – ١٩٧٤ فكتابه نحو الفعل ١٩٧٤ ثم كتابه نحو المعاني ١٩٨٧(١٧).

يمكن تلخيص أبرز الأسس التي بُنيت عليها دعوة الجواري في التيسير في الآتي:

١- قال: إن موضوع العامل في الإعراب هو السبب الأول الذي خرج بالإعراب عن حقيقة معناه، وعن واقع وظيفته في النحو. وهو الذي خلق فيه أبوابًا لا لزوم لها، ولا فائدة منها، وهو الذي عقّد قواعد الإعراب تعقيدًا لا مزيد عليه(١٨).

٢- دعا إلى تخليص النحو من أثر الفقه والفقهاء في اصطناع الاصطلاحات الفقهية والأصولية كالقياس والإجماع وما إلى ذلك(١٩).

---

(١٦) تيسير العربية بين القديم والحديث ص (٨٨- ٩١) – عمان – ١٩٨٦.

(١٧) لـــه بحوث نحوية كثيرة في مجلة المجمع العلمي العراقي في الثمانينيات، وله مخطوطة عن أسلوب التفضيل في القرآن الكريم.

(١٨) نحو التيسير – الجواري ط٢، ص٤٦، بغداد- ١٩٨٤.

(١٩) نحو التيسير – الجواري ط٢، ص ٦٢ ، بغداد- ١٩٨٤.

٣- ودعا إلى تصحيح المنهج بأن يدرس منهج البحث النحوي دراسة عميقة تستغرق أجزاءه وتَرُدُّ كُلاً منها إلى أصوله، ثم يُعرض هذا المنهج بعد ذلك على معايير البحث العلمي الحديث، فيُطرح منه ما لا يوافق أصول هذا البحث العلمي الحديث، ويُستَبْعد كلُّ جزء أو أصل لا يستند إلى واقع اللغة أو لا يقوم على أساس من الرواية الصحيحة الصادقة لتراكيبها المألوفة، لا الشاذة ولا الخاطئة. ودعا إلى اعتماد القرآن الكريم الذي جمع خلاصة أساليب العربية، والشعر العربي القديم الذي يصحّ الاحتجاج به، للتعويل عليهما والاستشهاد بما ورد فيهما.

٤- أكّد وجود علاقة للنحو بعلم المعاني.

٥- دعا إلى تحرير النحو من مفهومه الضيّق الذي انتهى إليه في الاقتصار على أواخر الكَلِم.

وبرزت مصنفات الدكتور مهدي المخزومي أنموذجًا على قدرة واعية عميقة في البحث عن سبل تيسير النحو. وقد طرح أبرز مقولاته في كتابه «النحو العربي نقد وتوجيه» – بيروت ١٩٦٤. ووضعها موضع التطبيق في كتابه الثاني الموسوم «النحو العربي قواعد وتطبيق» – ١٩٦٦، وله كتاب مخطوط عنوانه «قضايا في النحو وتاريخه» فضلاً عن بحوث في النحو نشرها في مجلات كلية الآداب بجامعة بغداد، ومجلة المعلم الجديد، ثم مجلة «الجامعة» الموصلية. والمخزومي استمدّ نظرياته في التيسير من مناهل أربعة:

١- النحو الكوفي وأشهر مصادره معاني القرآن للفرّاء.

٢- كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي.

٣- آراء شيخه إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو».

٤- تجاربه الغنية في تدريس النحو على امتداد عقود من السنين في

العراق وفي السعودية.

قال المخزومي[٢٠]: حاولت في هذه الفصول أن أخلّص الدرس النحوي من سيطرة المنهج الفلسفي عليه، وأن أسلب العامل النحوي قدرته على العمل، وكان النحاة – رحمهم الله – قد جعلوا من هذا المنهج منطلقًا لأعمالهم، ومن هذا العامل محورًا لدراستهم، وكان إصرارهم على هذا قد أوقعهم في مشكلات كثيرة أتعبوا أنفسهم في محاولة التغلب عليها، وأتعبوا بها الدارسين. وإذا بطلت فكرة العامل بَطَل كل ما كان يُبنى عليه من تقديرات متمحّلة، لم تكن لتكون لولا التمسك بها، وبَطَل كل ما عقدوا من أبواب أساسُها القول بالعامل، كباب التنازع، وباب الاشتغال؛ ثم بَطَل كل ما انتهوا إليه من أحكام، كالقول بالإلغاء والتعليق، والقول بوجوب تأخير الفاعل عن الفعل، والقول بإعمال (ليس) وأخواتها النافيات إعمالَ أفعال الكينونة، وبحمل (إنّ) وأخواتها على الفعل في الإعمال نصبًا ورفعًا... ». وأكّد «أن الدرس النحوي – كما ينبغي أن يكون – إنّما يُعالج موضوعين مهمين...

الأول: الجملة من حيث تأليفها ونظامها، ومن حيث طبيعتها، ومن حيث أجزاؤها، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء التأليف من تقديم وتأخير، ومن إظهار وإضمار.

والثاني: ما يعرض للجملة من معانٍ عامة تؤديها أدواتُ التعبير التي تُستعمل لهذا الغرض، كالتوكيد وأدواته، والنفي وأدواته، والاستفهام وأدواته، إلى غير ذلك من المعاني العامة التي يعبّر عنها بالأدوات، والتي تمليها على المتكلمين مقتضيات الخطاب، ومناسبات القول».

(٢٠) في النحو العربي: نقد وتوجيه: مهدي المخزومي ص (١٦–١٨)، ط١، بيروت ١٩٦٤.

إنّ محاولة التيسير المهمة الثانية الوافدة من أرض الكنانة، قدّمها العالم الجليل الدكتور شوقي ضيف – الذي آلت إليه فيما بعد رئاسة مجمع اللغة العربية بمصر. هذه المحاولة اتسمت بالعقلانية والهدوء والتواضع، وهي صفات امتازت بها بحوث كاتبها.

وقد دارت محاولته التي ابتدأت بحثًا، وانتهت كتابًا، على ستة محاور:

الأول – إعادة تنسيق أبواب النحو وتصنيفها تصنيفًا جديدًا يستضيء بمختصرات النحو التي صنفها القدامى. وقد ردّ كثيرًا من أبواب النحو الفرعية إلى أبوابه الأساسية، وهذا التنسيق الجديد ألغى من النحو ثمانية عشر بابًا كانت ترهق الناشئة.

الثاني – إلغاء الإعراب التقديري والمحلي، أخذًا بآراء ابن مضاء وبمقترحات لجنة وزارة التربية والتعليم المصرية وبقرارات مجمع اللغة العربية بمصر.

الثالث – إلغاء إعراب كلّ ما لا يفيد الناشئة صحةً في النطق ولا سلامةً في الأداء.

الرابع – وضع تعريفات وضوابط لبعض أبواب النحو المبهمة تساعد على تصورها تصورًا دقيقًا.

الخامس – حذفه زوائد كثيرة من شأنها أن تعقد النحو، لأنّ القواعد لا توضع لأمثلة شاذة نادرة.

السادس – زيادةُ إضافاتٍ ضرورية في النحو حتى تتمثل الناشئة أوضاع الصياغة العربية تمثلاً سديدًا. وقد تضمن هذا المحور زيادة أبواب أهملتها كتب النحو منها:

باب بمثابة مقدمة لقواعد النطق بكلم العربية نطقًا سليمًا، وبابُ عمل المصدر ومشتقاته عملَ الفعل، وبابٌ للحروف الزائدة الجارة وغير الجارة،

وبابٌ للذِّكر والحذف، وباب للجملة الأساسية في العربية: الاسمية والفعلية، وباب للجمل المستقلة وغير ذلك.

تلك هي أبرز محاولات تيسير نَحْوِ العربية في مصر والعراق خلال القرن العشرين، رأيت أن أجعلها توطئة للولوج في صميم المباحث التي يحسن تيسيرها، على وفق ما اقترحه مكتب مجمعكم الموقر.

الممنـــوع مـــن الصـــرف

الممنوعُ من الصرف هو الاسم المعرب الذي لا ينوّن، رفعًا أو نصبًا أو جرًّا، والاسم الممنوع من الصرف يفتقر إلى إحدى أهم علامات الاسم وميزاته التي تمكّنه من الاسمية تلك هي: التنوين. وهو نون ساكنة تلحق آخر الاسم ويفقد كذلك علامة الجرّ الأصلية وهي الكسرة، ويُجَرُّ بالفتحة نيابة عنها. لذلك سمّاه النحاةُ بالاسم المتمكن غير الأمكن، وسمّوا التنوين بتنوين الأمكنية. والكلمات المعربة التي لا تنوّن هي:

١- الاسم إذا كان :

عَلَمًا مؤنثًا، كفاطمةَ، وربابَ

وعَلَمًا مركبًا، كمعد يكربَ، وحضرموتَ

وعَلَمًا مختومًا بألف ونون، كقحطانَ وعدنانَ

وعَلَمًا على زنة الفعل، كأحمر وأرشد

وعَلَمًا على زنة (فُعَل)، كَمُضَر وعُمَر

ونكرةً مؤنثة بألف التأنيث الممدودة، كورقاء صَحراء.

٢- الصفة إذا كانت:

مختومةً بألف ونون، كسَهْران وهَيْمان

مختومة بألف التأنيث الممدودة: كوَطْفاء ونَجْلاء.

وعلى زنة الفعل: كأشقر وأسمر

وعلى زنة (فُعَل): كأُخَر وأُوَل

٣- الجمع إذا كان:

على زنة (فُعَلاء): كنُبَلاء وكُرَماء

وعلى زنة (أفْعلاء) كأنبياء وأصْفياء

وعلى زنة (فَواعِل) كمهامِهْ ومَراقِد

وعلى زنة (فعائل) كأصائل

وعلى زنة (فَعالي) كسَعالي (جمع سِعْلاة) وقَلاسِي (جمع قلنسوة)

وعلى زنة (فَعالى) كصحارى وعَذارى

وعلى زنة (فعاليَ) ككراسيَ وقماريَ

وعلى زنة (فَعالِل) كمساجد ومعاهد

وعلى زنة (مفاعيل) كمصابيح

وعلى زنة (تفاعيل) كتماثيل

وكل هذه الأسماء لا تنوّن، وإذا تعذر التنوين في اسم معرب تغيّر إعرابه، فيعرب بالضمة رفعًا، وبالفتحة خفضًا ونصبًا.

وإنما يخفض أمثال هذه الكلمات بالفتحة، ولا يخفض بالكسرة على الأصل، لئلا يشتبه بالمضاف إلى ياء المتكلم إذا حُذفت ياؤه تخفيفًا.

فإذا زالت هذه الشبهة عن الاسم غير المنون بإضافته، أو بتعريفه بألْ، أُعرب على الأصل، بالضمة رفعًا، وبالكسرة خفضًا وبالفتحة نصبًا.

ومثالُه قبل إضافته أو تعريفه بأل قوله تعالى ﴿وزيَّنا السماءَ الدنيا **بمصابيحَ**﴾[٢١].

---

(٢١) الملك (٥).

ومثاله بعد تعريفه بألْ: (زُيِّنت المدينةُ **بالمصابيحِ**).

ومثاله بعد إضافته: نستعينُ **بمصابيحِ** السيارة في السير ليلاً.

فالخفضُ جرى في المثالين الأخيرين بالكسر للسبب الذي أوضحناه.

ورأى بعضُهم أن لا داعي لفصل العَلَم عن الصفة ومناقشة كل منهما على حدة. على أنه يمكن أن ترتب موانع الصرف على قسمين:

أ– معنوية: وهي العَلَمية والوصفية.

ب – لفظية: وهي بقية موانع الصرف التي تقدم ذكرها.

وأرى أن لا داعي لذكر ما فيه ألف تأنيث مقصورة بين الكلمات الممنوعة من الصرف، بسبب أن الحركات لا تظهر عليها أصلاً، مثل: سلمى وحبلى.

وقد حاول النحاة قديمًا حصر حالات منع الصرف في منظوماتهم، فالممنوعُ من الصرف ما فيه علّتان من تسع، أو واحدةٌ تقوم مقامهما وهي:

عَـدْلٌ ووصـفٌ وتأنيثٌ ومعرفةٌ — وعُجْمـةٌ ثُـمّ جَمْـعٌ ثُمّ تركيبُ

والـنونُ زائـدةٌ مـن قبلها أَلِفٌ — وَوَزْنُ فِعْـلٍ وهـذا القولُ تقريبُ

على أن هذه المنظومات تظلّ عسرة الهضم تحتاج هي الأخرى إلى شروح وتعليقات وحواشٍ، وكان هذا كلّه من أكبر أسباب تعقيد النحو.

وأرى أيضًا حذفَ زنة فَعالِ (عَلَمًا لمؤنث) من باب الممنوع من الصرف وإلحاقها بالمبنيّات.

تيسيــر أحكـــام العـــدد

قبلَ عقودٍ طرحَ خليل السكاكيني قضيةً مهمةً من قضايا النحو تتعلّق باستعمال العدد استعمالاً صحيحًا من قبل الشعراء والكتَّاب والمذيعين والخطباء والأساتذة والطلبة، طرح هذه القضية في مؤتمر من مؤتمرات مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعرض سبع عشرة قاعدة تتعلق بالأعداد، أجمع المختصون على صعوبتها وتشعبها وردد قول الشاعر القائل:

في الـــــنحو لا يقهـــــرني إلاّ تفاصـــيلُ العَـــدَدْ[٢٢]

إلاّ أن صيحته هذه لم تنل الاهتمام اللازم، لأنه ألبسها ثوب النوادر التي يُتندر بها في المجامع. وبعد أعوام انطلقت دعوة أخرى رفع رايتَها الطبيبُ محمود كامل حسين، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، مُنَبِّهًا إلى المشاكل التي يعانيها الكيميائي والفيزيائي والرياضي ممن يستخدمون الأعداد بكثرة فتصبح مشكلاً في النصوص العلمية[٢٣]. وطرح العضوُ اقتراحًا معينًا، وَوُوْجِهَ بمقترحات أخرى، وانتهى الأمر بأن أقرّ المجمع المطابقة وعدمها عندما يكون اسم العدد واردًا بعد الاسم المعدود، وهو الذي يجيز أن تقول: مسائلُ تِسْعٌ أو تسعة، ورجال تِسْعَة أو تِسْعٌ. وواضح أن هذا القرار لم يحلّ كثيرًا من المشاكل النحوية المطروحة حول العدد.

لكنّ لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية في القاهرة حاولت بعد سنواتٍ طوالٍ تيسيرَ النحو في أحكام العدد، فقررت في الدورة الخامسة والأربعين الأحكام التالية[٢٤]:

---

(٢٢) خليل السكاكيَني : خواطر في اللغة، مجلة مجمع القاهرة (٩/٦٦ — ٦٩) .

(٢٣) محمد كامل حسين: رأي، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة(١٤/ ١٣٣) .

(٢٤) مجلـــة مجمـــع اللغة العربية الأردني — العدد المزدوج ٣-٤-ص (١٢٤-١٢٥) السنة الثانية — كانون الثاني نيسان/١٩٧٩.

أ – حكم جمع التصحيح في تمييز العدد المضاف :

« ترى اللجنة جوازَ إضافة أدنى العدد (من ثلاثة إلى عشرة) إلى جمع التصحيح (مذكرًا أو مؤنثًا) أو جمع تكسير وصفًا أو غير وصف، استنادًا إلى إطلاق القول في ذلك من ابن يعيش وابن مالك» .

ب – حكم لزوم العدد حالة التأنيث وجرّ المعدود بمن في أدنى العدد:

«لم تجد اللجنة في أقوال النحاة ما يمنعُ من جواز تأنيث أدنى العدد (من ثلاثة إلى عشرة) وجواز جرّ العدد بمن».

ج – إضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد:

«ترى اللجنةُ أنه ليس هناك ما يمنع من قول الكتّاب: سنة ثمانٍ وسبعين، ونحو ذلك من إضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد».

د – حكم أبنية الكثرة في تمييز العدد المضاف:

«ترى اللجنة قبول ما شاع استعماله جمع كثرة في تمييز أدنى العدد تيسيرًا على الكتاب، لما صرّح به النحاة من استعارة جمع الكثرة للقلة، ودلالة جمع الكثرة على القليل والكثير، ولما ورد من أمثلة في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب».

هـ – التعاقب بين جمع القلة وجمع الكثرة.

«بعد مناقشة الموضوع انتهت اللجنة إلى القرار الآتي:

دلالةُ الجمع أيًّا كان نوعه (جمع تكسير أو جمع تصحيح) صالحة للقليل والكثير، إنّما يتعيّن أحدهما بقرينة».

وفي الدورة الثانية والخمسين لمجمع اللغة العربية في القاهرة المنعقدة ربيعَ عام ١٩٨٦ أصدرت لجنة الأصول قرارًا يهدف إلى تيسير تذكير اسم العدد وتأنيثه إذا كان المعدود مذكر اللفظ مؤنث المعنى أو العكس. ونصه:

«السائد المتعارف في قواعد العربية في أحكام العدد هو المخالفة في التذكير والتأنيث بين أدنى العدد – وهو من الثلاثة إلى العشرة – ومعدوده، فيقال ثلاثة رجال وثلاث بنات. ولكن الاستظهار لما قال به جمهرة النحاة فيما أُثر عنهم يبين منه أن ما كان لفظه مذكرًا ومعناه مؤنثًا، وكذلك ما كان لفظه مؤنثًا ومعناه مذكرًا، يجوز معه الوجهان: المطابقة والمخالفة بين أدنى العدد ومعدوده في التذكير والتأنيث، فيقال مثلاً: خمسة عيون أو خمس عيون، ويقال: ثلاث شخوص أو ثلاثة شخوص، ويقال مثلاً: أربع بطات وأربعة بطات. وفي إجازة ذلك ما يرفع الحرج عمن يجده في مراعاة قاعدة المخالفة»(٢٥).

* * *

وكاتبُ هذا البحث يرى أنه يمكن استنباط كثير من أحكام العدد بقراءة النصوص القرآنية قراءة فاحصة، فإذا ما استخرجنا الآيات الكريمة التي تخص العدد وأنعمنا النظر فيها، أمكننا تثبيتُ كثير من القواعد النحوية السليمة في هذا الخصوص. وفي ضوء ما أقرّه مجمع اللغة العربية بمصر في مؤتمراته العديدة من قرارات، هدفت إلى تيسير قواعد نحوِ العدد، يمكن التوصل إلى آراء سديدة تُيَسِّر كثيرًا من المسائل الشائكة التي يعانيها المربون والكتّاب والمذيعون والعلماء المصنفون في هذا الباب.

وقد حاول كاتب البحث استخلاص أمثلة العدد التي وردت في كتاب الله العزيز فتوصل إلى الآتي:

– العددان (١، ٢) وحكمهما مطابقة العدد للمعدود: قال تعالى:

---

(٢٥) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد ٣١ – السنة العاشرة ص ١٨٠ – تموز كانون الأول ١٩٨٦.

﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (٢٦).

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٢٧).

﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾(٢٨) .

﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾(٢٩).

ففي الأمثلة السابقة، العدد مذكّر، وكذلك المعدود.أمّا أمثلة العدد المؤنث، فمنها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (٣٠).

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ (٣١) .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾ (٣٢) .

﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾(٣٣).

أمّا العدد (اثنان) فقد ورد في القرآن الكريم للمذكر والمؤنث، ومن أمثلته للمذكر قوله تعالى : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ (٣٤) .

---

(٢٦) المائدة (٧٣) .

(٢٧) الأنعام (١٩).

(٢٨) الحجْر (٦٥) .

(٢٩) مريم (٩٨) .

(٣٠) الأنفال (٧) .

(٣١) التوبة (٥٢) .

(٣٢) فاطر (٤٢) .

(٣٣) القصص (٢٧) .

(٣٤) الأنعام (١٤٣، ١٤٤) .

ومن أمثلته للمؤنث قوله تعالى:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (٣٥).

ثم إن (اثنان واثنتان) تعاملان في الإعراب معاملة المثنى.

– الأعداد من ٣ إلى ١٠: وحكمها الإضافة، فما بعدها يُعرب مُضافًا إليه.

وتخالف المعدود في التأنيث والتذكير، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى:

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(٣٦).

ليالٍ : جمع ليلة، والليلة مؤنث وحين يكون المعدود مؤنثًا، يذكَّر العدد.

ومثلها قوله تعالى:﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾(٣٧).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ (٣٨).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ (٣٩).

وقوله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ (٤٠).

أي أَحَدُ ثلاثة.. والعرب تقول: (ثَلَثَ) القومَ من باب (ضَرَبَ) إذا كان ثالثهم، أو كَمّلهم ثلاثة بنفسه و(أَثْلَثَ) القومُ: صاروا ثلاثة، وأربعوا: صاروا أربعة، وهكذا إلى العشرة (٤١).

---

(٣٥) غافر (١١) .

(٣٦) مريم (١٠).

(٣٧) الزمر (٦) .

(٣٨) البقرة (١٩٦) .

(٣٩) آل عمران (٤١) .

(٤٠) المائدة (٧٣) .

(٤١) مختار الصحاح مادة (ثلث).

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾(٤٢)، فإذا لم يذكر المُمَيِّزُ كان من اليسير معرفته على وفق القاعدة النحوية التي تقدم ذكرها .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٤٣)، أي عشر ليال، لأنّ التاريخ يكون بالليلة، واليوم تبعٌ لها(٤٤).

وقوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾(٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾(٤٦).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٤٧).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(٤٨).

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾(٤٩).

وقوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾(٥٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾(٥١).

---

(٤٢) يس (١٤).

(٤٣) البقرة (٢٣٤) .

(٤٤) إملاء ما مَنّ به الرحمن (١/ ٩٨) .

(٤٥) المجادلة (٧) .

(٤٦) الكهف (٢٢) .

(٤٧) الحديد (٤) .

(٤٨) الكهف (٢٢) .

(٤٩) الحاقة (٧) .

(٥٠) يوسف (٤٧) .

(٥١) الإسراء (١٠١) .

وقوله تعالى:﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (٥٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (٥٣).

– أما العدد (١٠) فقد ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم بسكون الشين للمؤنث وبفتحها للمذكر، مع مخالفة المعدود في التذكير والتأنيث .

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ (٥٤).

وقوله ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ (٥٥).

– أما العددان المركبان (١١، ١٢) اللذان يوافق فيهما العَدَدُ المعدودَ، فمن شواهده القرآنية قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (٥٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ﴾(٥٧).

﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (٥٨).

وقوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(٥٩).

---

(٥٢) النمل (١٢).

(٥٣) سورة ص (٢٣) .

(٥٤) الأعرف (١٤٢) .

(٥٥) المائدة (٨٩) .

(٥٦) يوسف (٤) .

(٥٧) التوبة (٣٦) .

(٥٨) المائدة (١٢) .

(٥٩) البقرة (٦٠) .

وأمّا ألفاظ العقود فتُعامل في الإعراب معاملةً جمع المذكر السالم .

قال تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾[٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [٦١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [٦٢].

وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٦٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ [٦٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [٦٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾[٦٧].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [٦٨].

وقوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [٦٩].

– جديرٌ بالذكر أن الـــ(مئة، والألف، والمليون) تُعامل معاملة العدد

(٦٠) الأنفال (٦٥) .

(٦١) الأحقاف (١٥) .

(٦٢) الأعراف (١٤٢) .

(٦٣) المعارج (٤) .

(٦٤) العنكبوت (١٤) .

(٦٥) المجادلة (٤) .

(٦٦) الحاقة (٣٢) .

(٦٧) الأعراف (١٥٥) .

(٦٨) التوبة (٨٠) .

(٦٩) النور (٤) .

المفرد، غير أن معدودها مفردٌ لا مجموع. ومثاله:

نجح مئةُ رجلٍ – .. وألفُ رَجُلٍ – .. ومليونُ رَجُلٍ

* * *

من كل ما تقدم يتضح أنه يمكن إيجاز قضايا العدد في النقاط التالية:

١– إنّ العدد يخالف المعدود تذكيرًا وتأنيثًا ما عدا (١، ٢، ١١، ١٢) فهي توافقه.

٢– إنّ الأعداد في اللغة العربية معربة ما عدا الأعداد المركبة (١١–١٩) باستثناء (١٢)، فهذه الأعداد مبنية على فتح الجزأين رفعًا ونصبًا وجرًا .

٣– إنّ المعدود في اللغة العربية معربٌ على حالتين :

أ – حكمُ المعدود بعد الأعداد المفردة الجرُّ بالإضافة، وكذلك في حالة الجمع. اشتريتُ خمسةَ كتبٍ، وستَّ مجلاتٍ .

ب – ما عدا ذلك فالمعدود مفردٌ منصوبٌ على التمييز.

اشتريتُ خمسةَ عَشَرَ كتابًا – اشتريتُ ثلاثينَ كتابًا – اشتريت خمسة وثلاثين كتابًا.

هذا جُمّاع قواعد نحو العدد باستثناء ما صدرت فيه قرارات تيسير من مجمع اللغة العربية بمصر، فهي قرارات مُيَسِّرةٌ حقا.

ونرى بهدف التيسير أيضًا أن لا مسوّغ لإطالة البحث في كنايات العدد نحو: كذا وكيت، وما شابه لندرة استعمالها.

الأسمـــاء الخمســـة

هي: أبو – أخو – حمو – فو – ذو

ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتخفض بالياء.

مُدّت الضمةُ في حالة الرفع حتى صارت واوًا.

ومُدّت الكسرة في حالة الخفض حتى صارت ياء.

ومُدّت الفتحة في حالة النصب حتى صارت ألفًا.

ولا تعرب هذه الكلمات مثل هذا الإعراب إلاّ مضافة، تضاف الثلاثة الأولى إلى الظاهر وإلى الضمير، ويضاف الرابع إلى الضمير فقط، والخامس لا يضاف إلاّ إلى الظاهر.

تقول: هذا أخوك – شاهدت أخاك – درستُ على أخيك.

ويقال: لا فُضَّ **فوك** ، فوك فاعلٌ مرفوع بالواو.

فَغَر **فاه** ، فاه مفعول به منصوب بالألف .

كَلَّمَهُ فوه **إلى فيه** ، مضاف إليه بالأداة، مخفوض بالياء(٧٠).

درستُ على **ذي** علم: على حرف جر أداة إضافة، وذي مضاف إليه بالأداة مخفوض بـــ(على).

أبصرتُ **ذا** علم: (ذا) مفعول منصوب بالألف.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم – كتاب العربية الأول – لظفرنا فيه بشواهد كثيرة يحسن تدريسها للطلبة، وتحفيظها لهم لأجل الدُّربة على إعرابها ومنها: قال جلّ من قائل:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

(٧٠) في الـــنحو العربي – قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث: مهدي المخزومي ص ٧٤-٧٥، دار الرائد العربي بيروت – ط٢- ١٩٨٦.

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٧١).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٧٢).

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (٧٣).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ (٧٦).

فأنت ترى أن هذه أفصح اللغات في الأسماء الخمسة لاطّراد استعمالها في القرآن الكريم.

قال المخزومي(٧٧):

فإذا لم تُضفْ هذه الأسماء ونُوّنت، أُعربت بالحركات، واستقلت لفظًا، لأنها تصير بالنون كأنها ثلاثية نحو:

---

(٧١) الأحزاب (٤٠) .

(٧٢) يوسف (٤) .

(٧٣) يوسف (١١) .

(٧٤) يوسف (٨) .

(٧٥) يوسف (٧٨) .

(٧٦) النساء (١١) .

(٧٧) في النحو العربي قواعد وتطبيق ص ٧٦ .

هذا أخ عطوفٌ .　　(أخٌ) هنا: خبر مرفوع بالضمة.

نعمت بأخٍ عطوف .　　(أخٍ) هنا: مضاف إليه بالأداة، مخفوض بالكسرة.

عهدناك أخًا عطوفًا .　　(أخا) هنا: حال منصوبة بالفتحة.

وأرى تيسيرًا للنحو في هذا الباب — أن لا ضرورة لكدّ الذهن وإنفاق الوقت في مناقشة الخلاف الدائر بين النحاة في إعرابها. هل هي معربة بالحركات قبل الحروف، أو بالحروف (وهو المشهور)، أو بالحركات منقولة من الحروف، أو بالحركات والحروف، أو بالتغير والانقلاب، أو بحركات مقدرة على الحروف(٧٨)؟؟

كذلك أرى تيسيرًا للنحو : التأكيد أنها خمسة، وليست ستة، فقد أسقط الفرّاء (الهن) منها، مع أن سيبويه والأخفش قالا به(٧٩).

ولا مُسَوِّغ لذكر (ذو) الموصولة، لأنّها لهجة بعيدة(٨٠).

الاستثناء

الاستثناء إخراج شيء معين من مجموع ما. ويكون المستثنى (وهو الشيء المخرج من المجموع) مخالفًا لحُكم المجموع من حيث معنى الإثبات أو النفي .

إن أسلوب الاستثناء في النحو أشبه بعملية الطرح في الرياضيات.

وأركان الاستثناء ثلاثة:

١- المستثنى منه.　٢-أداة الاستثناء .　٣- المستثنى.

---

(٧٨) شرح المفصل (١/١٢-٥٢)، الإنصاف مسألة (٢). أسرار العربية ص (٢٣).

(٧٩) كتاب سيبويه (٢/٨٠)، الارتشاف (٢/٦٣) .

(٨٠) الأشموني (١/١٧٥) .

ولقد أوغل النحاة في بحث العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه في الإخراج والإدخال، وهل المستثنى مُدْخَلٌ في المستثنى منه أم مُخْرَج منه، وماذا يترتب على ذلك من أحكام. وهي قضية ليس مكانها الدرس النحوي وإنّما الفقه والتفسير وربما علم الكلام(٨١).

وأهم أدوات الاستثناء: «إلاّ» وهي حرف، وغير وسوى: اسمان؛ خلا وعدا وحاشا: هي حروف جر، وإذا سبقتها «ما» تغدو أفعالاً ماضية فيها معنى الاستثناء.

وأبرز أدوات الاستثناء إلاّ وسوى، فلم يشرب معنى الاستثناء إلاّ بهما على رأي ابن عصفور(٨٢).

حالات الاسم الواقــع بعــد إلاّ

أ- **وجوب النصب:** يجب نصب المستثنى بـــ(إلاّ) إذا كان في جملة تامة مثبتة مثاله قول الشاعر:

قد يهونُ العمرُ إلاّ **ساعةً** وتهونُ الأرضُ إلاّ **موضعا**

ب – يجب نصب المستثنى بـــ(إلاّ) إذا كان من غير جنس المستثنى منه، سواء أكانت الجملة منفية أم مثبتة. ويسمى هذا النوع من الاستثناء (الاستثناء المنقطع) وهو بمنزلة الاستدراك لما قبله.

قال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا﴾ (٨٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾(٨٤).

---

(٨١) شرح الرضي على الكافية (٢/ ٧٥) .

(٨٢) اللمحة البدرية (١٧٧/٢) .

(٨٣) مريم (٦٢) .

(٨٤) النساء (١٥٧) .

ج – يجب نصب المستثنى بــ(إلاّ) إذا كان متقدمًا على المستثنى منه في جملة منفية تامة. مثاله:

مالِيَ إلاّ الكتابَ أنيسٌ

ليس على الإنسان إلاّ الضميرَ رقيبٌ .

وقول الشاعر:

إذا الخِلُّ لم يهجركَ إلاّ مَلالَةً ... فليسَ له إلاّ الفراقَ عتابُ

جواز النصب على الاستثناء أو الإتباع على (البدلية).

يجوز نصب الاسم الواقع بعد (إلاّ) على الاستثناء، أو جعله (بَدَلاً) من المستثنى منه إذا استوفى شرطين:

أ – أن يكون الكلامُ منفيًّا تامًّا.

ب – أن يكون المستثنى متأخرًا عن المستثنى منه .

أمثلـــة:

ما حضر الطلابُ إلاّ المراقبَ	مستثنى منصوب
إلاّ المراقبُ	بدل مرفوع
مالي هوايةٌ إلاّ المطالعةَ	مستثنى منصوب
إلاّ المطالعةُ	بدل مرفوع
ليس عليّ رقيبٌ إلاّ الضميرَ	مستثنى منصوب
إلاّ الضميرُ	بدل مرفوع
ما قرأتُ الكتابَ إلاّ المقدمةَ	مستثنى منصوب
إلاّ المقدمة	بدل منصوب

ويجب التنبيه على أن (إلا) إذا كان ما بعدها مستثنى منصوبًا، سميت أداة استثناء، فإذا كان ما بعدها (بَدَلاً) من المستثنى منه، فإنّ (إلاّ) تسمى أداة

استثناء ملغاة. فإذا كان ما بعد (إلاّ) يُعرب حسب موقعه من الجملة، فإنّ (إلاّ) تسمى (أداة حصر). وهي هنا تفيد معنى الحصر وهو من التوكيد.

* * *

وأمّا (غير وسوى) فهما اسمان يفيدان الاستثناء، ويأخذان الحكم الإعرابي الذي يستحقه الاسم الواقع بعد إلاّ من حيث: وجوب النصب أو جواز الأمرين – أي النصب على الاستثناء أو الإتْباع على البدلية، أو الإعراب حسب الموقع.

أمّا المستثنى بهما – وهو الاسم الواقع بعدهما – فإنه يكون مجرورًا دائمًا لأنّه (مضاف إليه) من حيث الإعراب. أمثلة:

قرأتُ المسرحيةَ **غيرَ** الخاتمةِ

قرأتُ المسرحيةَ **سوى** الخاتمةِ

غير وسوى: اسم منصوب على الاستثناء وهو مضاف. والخاتمة مضاف إليه

ما وصل المسافرون غيرَ أَمْتِعَتِهم

ما وصل المسافرون سوى أمتعتِهم

فغير وسوى اسم منصوب على الاستثناء وهو مضاف .

ليس عليَّ غيرَ الضميرِ رقيبٌ

ليس عليَّ سوى الضميرِ رقيبٌ

ويجوز الأمران: النصب على الاستثناء أو الإتْباع على البدلية، إذا كان المستثنى بهما متأخرًا عن المستثنى منه في جملة منفية تامة. مثاله:

ما فشلَ الطلابُ **غيرَ** طالبين مهملين

ما فشل الطلابُ **سوى** طالبين مهملين

غير وسوى اسمان منصوبان على الاستثناء

ما فشل الطلابُ **غيرُ** طالبين مهملين

ما فشل الطلابُ **سوى** طالبين مهملين

غير وسوى (بدل) مرفوع وهو مضاف

وأرى تيسيرًا لقواعد هذا الباب:

١- حذف مبحث ناصب المستثنى والخلاف فيه.

٢- حذف مبحث تكرار أداة الاستثناء للتوكيد، لأنّ وجودها وعدمه لايؤثران في الحكم النحوي.

٣- لا مسوّغ لذكر (ليس) و (لا يكون) أداتين من أدوات الاستثناء.

٤- توحيد مصطلحات الاستثناء : مفرغ / ناقص / الإيجاب / التحقيق / القصر وكلها مترادفات(٨٥).

٥- لا مُسَوِّغ لمناقشة عامل الاسم المنصوب على الاستثناء، هل هو بـــ(أل) أو بفعل مقدر بـــ(أستثني) لأنّ المستثنى قد يأتي من:

مرفوع كما في: نجح الطلبةُ إلاّ محمدًا

أو منصوب كما في: أكرمتُ الطلبةَ إلاّ محمدًا

أو مجرور كما في: مررتُ بالطلبةِ إلاّ محمدًا

٦- حذف مبحث الاستثناء المفرّغ وإلحاقه بأسلوب القصر، لخلوّه من المستثنى منه، فالاستثناء المفرغ ليس استثناءً بحال، ولكنه قَصْرٌ، والقصر توكيد، أداته (النفي وإلاّ) . مثاله:

ما حضر إلاّ خالدٌ – ما مررتُ إلاّ بخالدٍ – ما رأيت إلاّ خالدًا (٨٦).

---

(٨٥) شرح اللمحة (٢/ ١٦٨) .

(٨٦) في النحو العربي : قواعد وتطبيق ص (٢٠٦) .

ومثاله أيضًا: ما تقدم **غيرُ** المثابرين

ما تقدم **سوى** المثابرين

فإعرابُ: غير وسوى، هنا : فاعل مرفوع وهو مضاف.

ومثاله: لا تقولوا غيرَ الحقِّ

لا تقولوا سوى الحقِّ

إعراب غير وسوى هنا: مفعول به منصوب وهو مضاف .

ومثاله: هل يُقَدَّر غيرُ المخلصين — هل يقدر **سوى** المخلصين

فإعرابهما هنا : نائب فاعل مرفوع وهو مضاف

ومثاله : ما الحياةُ غيرُ كفاحٍ — ما الحياةُ سوى كفاحٍ

إعراب غير وسوى هنا : خبرٌ مرفوع وهو مضاف .

ومثاله: ليسَ العلمُ (غيرَ) نورٍ يبدّد ظلامَ الجهلِ

ليسَ العلمُ (سوى) نورٍ يبدّد ظلامَ الجهلِ

إعراب غير وسوى هنا: خَبَرُ (ليس) منصوب وهو مضاف .

ففي كل الأمثلة المتقدمة يكون ما قبل (أداة الاستثناء) متفرغًا لما بعدها، وحينئذ تكون دلالة التعبير هي (القَصْرُ) لإفادة معنى التوكيد .

ويلاحظ هنا أنه مع الفعل (أبى) يكون الاستثناء مُفَرَّغًا، ويكون ما بعد (إلاّ) مفعولاً به . قال الشاعر:

أبى اللهُ إلاّ وثـــبةً مُضَــريةً تبـيحُ المواضـي من دماءِ الأخادعِ

وقول الآخر :

وتولّـى الشـبابُ إلاّ قلـيلاً ثم يـأبى القلـيلُ إلاّ وداعـا

خلا — عدا — حاشا

أدوات تفيد الاستثناء يجوز اعتبارها : حروف جر، فيكون المستثنى بها

مجرورًا كما يجوز اعتبارها أفعالاً ماضية، فيكون المستثنى بها منصوبًا على أنه مفعول به، والفاعل ضمير مستتر.

نجح الطلابُ خلا المهملِ — خلا حرف جر

نجح الطلابُ خلا المهملَ — (خلا فعل ماض والمهمل مفعول به منصوب).

قرأتُ الكتابَ عدا الخاتمةِ — عدا حرف جر

قرأتُ الكتابَ عدا الخاتمةَ — عدا فعل ماضٍ، وما بعدها مفعول به منصوب

أساء القومُ التصرفَ حاشا أخيك — حاشا حرف جر

أساء القومُ التصرفَ حاشا أخاك — حاشا فعل ماض، وما بعدها مفعول به منصوب.

إذا كانت الأدوات (خلا وعدا وحاشا) مسبوقة بلفظة (ما) المصدرية، فإنها حينئذ تعتبر أفعالاً ماضية تفيد الاستثناء، لهذا يجب نصب ما بعدها على أنه مفعول به. لأن (ما) المصدرية مختصة بالدخول على الأفعال.

قال الشاعر:

ألا كـــلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكـــلُّ نعـــيمٍ لا محالـــةَ زائـــلُ

وإذا استعملت إلاّ في غير ما تستعمل فيه، خرجت إلى معان أخرى تدل عليها، كأن تكون بمعنى (لكن) كقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (٨٧).

أو تجيء بمعنى (بل) كقوله تعالى:

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٨٨). فإلاّ هنا

---

(٨٧) البقرة (١٥٠).

(٨٨) طه (٢).

ليست استثناءً ولكنها على معنى (بل)، أي بل تذكرة[٨٩].

جدير بالذكر الإشارة إلى قرار صدر عن لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والأربعين المنعقدة في ربيع عام ١٩٧٩ ونصه:

أولاً : المستثنى التام الموجب وغير الموجب يجوز نصبه نحو: نجح الطلابُ إلاّ طالبًا، وما نجح الطلاب إلاّ طالبًا.

ثانيًا : في حالة الاستثناء بخلا وعدا وحاشا يكون المستثنى منصوبًا دائمًا، على اعتبار أن هذه كلها أدوات استثناء مثل (إلاّ) .

ثالثًا: إذا كانت أداة الاستثناء (غير أو سوى) كانت الأداة منصوبة ومُضافة، وما بعدها مضاف إليه. مثل: ما جاء أحدٌ غيرَ علي. أما نحو: «ما قام إلاّ محمد، وما قام غير زيدٍ»، «فهو قَصْرٌ لا استثناء»[٩٠].

المنـــادى

للمنادى خمس صور، يبنى على ما يرفع به في اثنتين، ويكون معربًا منصوبًا في ثلاث. فيكون مبنيًا إذا كان عَلَمًا مفردًا، أو نكرة مقصودة. ويكون معربًا منصوبًا إذا كان: مضافًا، أو نكرة غير مقصودة، أو شبيهًا بالمضاف ويلاحظ ما يلي:

١- يكون المنادى منصوبًا لأنه ليس بمسند إليه فيرفع، ولا بمضاف فيجر.

٢- لا يقصد بالعَلَم المفرد ما دلّ على واحد، بل يقصد به ما لم يكن مضافًا ولا شبيهًا به، أي أن يكون على كلمة واحدة، فيعدُّ من قبيل العلم المفرد :

---

(٨٩) في النحو العربي قواعد وتطبيق ص (٢١٠) .

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد المزدوج ٣-٤ السنة الثانية ص(١٢٢-١٢٣) – كانون الثاني – نيسان/١٩٧٩.

يا محمدان — يا محمدون — يا فاطمات .

فـــ(محمدان) : منادى مبني على الألف في محل نصب، لأنه كان يرفع وعلامة رفعه الألف بوصفه مثنى.

و(محمدون): منادى مبني على الواو في محل نصب، لأنه كان يرفع وعلامة رفعه الواو بوصفه جمع مذكر سالمًا .

أما (فاطمات) فمبني على الضم في محل نصب .

وحكم المنادى النكرة المقصودة حُكْمُ العلم المفرد .

٣- إذا كان المنادى عَلَمًا مفردًا ووصِف بـــ(ابن) مضاف إلى علم، و لم يفصل بين المنادى و(ابن) فاصل. جاز في مثل هذا المنادى الضمّ والفتح مع حذف ألف (ابن) خطًّا لا لفظًا.

نحو: يا محمدُ بنُ سعيدٍ . بالضم

يا محمدُ بنَ سعيدٍ . بالفتح إتباعًا للمحل .

فإنْ لم يقع (ابن) بعد عَلَم، أو يقع بعده علم، وجب ضمُّ المنادى وامتنع فتحه .

نحو: يا صديقُ ابنَ أخي، يا محمدُ الشاعرُ ابنَ سعيد. يا محمدُ ابن أخي .

ويلاحظ إثبات الألف في هذه الحالات .

٤- إنّ نصب المنادى متفق مع كونه **طويلاً** بالإضافة أو شبهها. أو بالتنوين في حالة النكرة غير المقصودة، ولهذا اختير النصب فيه لتخفيف الكلام ولوصله. في حين أنه اختير البناء على الضمّ إذا **قصر** المنادى بكونه مفردًا أو نكرة مقصودة، ممّا يدعو إلى اختيار علامة بناء أثقل وأوسع مدى صوتيًّا لوصل الكلام .

أحكام المنادى المضاف إلى ياء المتكلم :

يجوز في نداء الاسم الصحيح المضاف إلى ياء المتكلم الآتي :

١– إثبات الياء محركة بالفتح نحو: يا ربِّيَ، أو إثباتها ساكنة : يا ربّيْ .

٢– حذف الياء **والاستغناء** بالكسر : يا ربِّ .

٣– قلب الياء ألفًا وحذفها والاستغناء عنها بالفتح : يا ربَّ .

٤– قلب الياء ألفًا وإبقاؤها وقلب الكسرة فتحة : يا ربّا .

٥– حذفها والتعويض عنها بتاءٍ طويلة مكسورة نحو: يا أَبتِ .

نـــداء ما فيه أل :

لا يجوز نداء الاسم الذي فيه أل بأداة النداء مباشرة، وإذا أريد نداء مثل هذا الاسم جيء قبله بـــ(أيها) للمذكر و(أيتها) للمؤنث، أو يؤتى باسم الإشارة قبل ما يراد نداؤه مما فيه (أل) نحو :

يا أيها الشباب أنتم عماد المستقبل – يا هؤلاء الشباب أنتم عماد المستقبل(٩١).

أمّا لفظ (الجلالة) فيُنادى مباشرة، لأنّ (أل) فيه ليست للتعريف.

وأشهر حروف النداء خمسة: الهمزة وأي: لنداء القريب مسافة أو حكمًا. و(أيا) و(هيا) لنداء البعيد. و(يا) لنداء كلّ منادى .

مثال الهمزة :

أعاذلـــــتي ألا لا تعذليــــــني فكـــم مـــن أمر عاذلة عَصَيْتُ

مثال أي:

ألم تســـمعي أي عَـــبْدُ في رونق بكـــاء حمامـــاتٍ لهُـــنّ هديلُ

مثال أيا :

أيـــا ظبـــية الوَعْساء بين جُلاجلٍ وبـــين الـــنقا آ أنْـــتِ أم أُمّ سالِمِ

(٩١) الـــنحو التطبيقي : هادي نمر – ج٣ ص (٤٥) . كتاب سيبويه (٣٠٣)، المقتضب (٢٠٢/٤)، شرح المفصل (٢٢٧/١) .

مثال هيا :

هـــيا أمّ عمرو هل ليَ اليوم منكمُ بغيـــبة أبصـــار الوشـــاة ســـبيلُ

مثال يا :

ألا يـــا نخلـــة مـــن ذات عِـــرْقٍ علـــيكِ ورحمـــةُ الله الســـلامُ

حـــول تيسير مبحـــث «المنادى» أرى :

١- لا مبرر للبحث عن عامل النصب في المنادى هل هو (يا) نَفْسها أو لنيابتها عن الفعل، أو بفعل محذوف تقديره (أنادي)[٩٢].

٢- أرى ضرورة دراسة (النداء) بعد المفاعيل، أو دراسة أبواب: الندبة والاستغاثة بوصفهما من شُعب النداء .

وفصل الترخيم عن الدرس النحوي لأنه قضية صوتية في المقام الأول .

٣- لا داعي للنص عند الإعراب، على أن هذا الحرف للمنادى القريب الذي لم ينزل منزلة البعيد، وذاك اللفظ للمنادى البعيد حكمًا أو حقيقة .

لأن الواقع اللغوي لا يسعف هذا التقسيم على طرافته، وأنه وجهٌ من وجوه الدقة والحساسية في العربية .

٤- قضية بناء المنادى المفرد على الضمّ تحتاج إلى تأمل. فما الذي يدعو إلى جعل (محمد) في قولنا: يا محمدُ، مبنيًّا على الضمّ ؟؟

والنحاة عندما عدّدوا المبنيات لم يذكروا المنادى العَلَم المفرد، أو النكرة المقصودة في نحو : يا رجلُ. ويا رجلان. ويا مسلمون من المبنيات .

٥- لتابع المنادى أحكام يَحْسُن تيسيرها .

ونرى من المفيد الإشارة إلى قرار لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والأربعين المتضمن : « أنه لا مانع من إدخال باب

---

(٩٢) كتاب سيبويه (٣٠٣)، المقتضب (٢٠٢/٤)، شرح المفصل (٢٢٧/١) .

الاستغاثة والندبة في باب النداء، مع تعيين دلالة كل صيغة منها عند عرض أمثلتها. وترى أيضًا حذف باب الترخيم من كتب النحو المدرسية»[٩٣].

ودعا الدكتور شوقي ضيف إلى إلقاء أبواب الترخيم والاستغاثة والندبة، أما الترخيم وهو حذف الحرف الأخير في صيغة النداء، إذ يقال في جعفر: يا جعف، فهو صيغة قديمة أصبحت مهجورة في اللغة، ولا داعي لعرضها في كتب النحو. وأمّا الاستغاثة... فهي صيغة خاصة تلحق بالنداء، ويكفي أن تعرف الناشئة استعمالها، ولا داعي لعرض ما يسوقه النحاة لها من إعراب معقد، ومثلها الندبة[٩٤].

---

(٩٣) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني — العدد المزدوج ٣- ٤، السنة الثانية ص (١٢١)، كانون الثاني- نيسان/ ١٩٧٩.

(٩٤) الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني - أيار ١٩٨٤، ص (٦٢)، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني - ١٩٨٤ .

أهميـــة المشـــافهة

في تعليم اللغة العربية(*)

د. أحمد زياد محبّك

ما أهم المناشط في تعليم اللغة العربية؟ هل تكفي القراءة والكتابة وسيلة لتعليم العربية؟ هل هما أهمُّ من المحادثة أو الاستماع مثلاً؟ هل الكتاب والملخصات والمدونات هي الوسيلة المثلى لتعليم العربية؟ لماذا غاب الاختبار الشفهي عن الامتحانات؟

هذه بعض الأسئلة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها.

ليست اللغة حروفًا وكلمات مكتوبة، ولا صحفًا وأوراقًا، إنما هي في المقام الأول ألفاظ منطوقة، وأصوات مسموعة، ثم جاءت الحروف والكلمات، والجمل والعبارات المنضودة في الصحف والأوراق، رموزًا تدل على اللغة. ويتعلم المرء اللغة أول ما يتعلمها أصواتًا وألفاظًا منطوقة، من خلال المحادثة والاستماع، ويظل يمارس اللغة على هذا النحو مدة من الزمن، ثم يتعلمها حروفًا وكلمات، فيمارس القراءة والكتابة، ولكنه لا ينقطع عن تعلمها محادثة واستماعًا.

والتعليم الحق لا يكون في الواقع إلا بهذه المهارات الأربع، المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، ويؤكد معظم الدارسين أولويةَ المحادثة والاستماع، لأن اللغة في طبيعتها وسيلةُ اتصال بين الناس من خلال اللفظ والصوت، قبل أن تكون وسيلة كتابة بالحرف.

ويتضح ذلك في اللغة العربية، فقد كانت في معظمها لغة شفاهية، تقوم على

(*) من بحوث ندوة اللغة العربية والتعليم التي أقامها مجمع اللغة العربية في المدة ٢٢- ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٠م.

الصوت قبل الكتابة، والحفظ قبل التدوين، وهذا لا يضيرها في شيء، بل هو خصيصة تميزها.

ويؤكد ذلك النصوص الأدبية التي تجلت فيها تلك اللغة، والمقصود بتلك النصوص الشعر، الذي كان يتم تناقله شفاهًا بالحفظ والرواية من جيل إلى جيل على ما يزيد على مئتي عام قبل الإسلام ومئة عام بعده، إلى أن كان التدوين، وما كان يدوَّن من قبل فهو نادر جدًا، وقليل، بل كان لا يدون إلا لقيمة فنية واجتماعية واعتبارية معينة، على نحو ما كان من تدوين المعلقات وتعليقها على أستار الكعبة.

ثم نزل الوحي الأمين على محمد ﷺ بالقرآن الكريم شفاهًا، وتلقاه النبي محمد ﷺ سماعًا وحفظًا، وليس في ألواح مكتوبة ولا رقم، وكذلك رتّله على أصحابه من حوله، وكذلك تلقوه بالسماع والحفظ في الصدور، لا في السطور.

ولم يلجأ أبو بكر وعثمان رضوان الله عليهما، فيما بعد إلى جمع القرآن الكريم في مصحف وتوزيعه على الأمصار إلا للحفاظ على وحدة النص، وظل القرآن الكريم يتلى كما كان يتلوه رسول الله ﷺ، ويتلقاه الرجال ويسمعونه ويحفظونه، وفي أثناء ذلك كله، يتم الحفاظ على طبيعة الصوت واللفظ، كي يتلى القرآن ويرتل ويجود تعبدًا لله تعالى، وامتثالاً لأمره ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾، واتباعًا لسنة رسوله بتجويد القرآن.

وهكذا يتمّ تعليم العربية، من خلال القرآن الكريم، بالسماع والنطق، عبْر المشافهة والحفظ، وتلقي الرجال بعضهم عن بعضهم، حضورًا ومشافهة، وعندما جاء التدوين في مرحلة تالية وتنقيط المصحف وضبطه، إنما جاء لا ليكون التعليم من المصحف المكتوب، إنما ليكون المصحف المكتوب بعلاماته ورموزه الكتابية معينًا على الحفاظ على اللفظ والنطق والترتيل والتجويد، ومايزال كذلك إلى اليوم.

وفي هذا ما يؤكد أهمية السماع واللفظ، والحفظ والمشافهة، وهذا كله من خلال القرآن الكريم الذي منح العربية خصوصية تميزها من غير شك. وإذا المسلم اليوم يتلو القرآن الكريم بأصوات حروفه وألفاظه وسكناته وحركاته ومدوده وإمالاته ووقفاته وترقيقه وتفخيمه وإدغامه وإظهاره وإقلابه كما كان يتلوه الرسول محمد ﷺ والصحابة والتابعون، على نحو من الأنحاء، يتم فيه الحفاظ على أصوات العربية.

ويؤكد ذلك على سبيل المثال أن العربي في مصر يلفظ الجيم في حديثه اليومي أقرب إلى الكاف المفخمة، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظ الجيم كما يجب أن تلفظ. وكذلك أحرف من نحو الذال والظاء والثاء، قد يلفظها العربي في بعض الأقطار العربية بصورة غير صحيحة، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظها على نحو ما يجب أن يلفظها بوصفها أحرفًا لثوية.

ولم تكن المشافهة وسيلة لتواتر القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بل كانت أيضًا وسيلة لنقل حديث رسول الله ﷺ، وحفظ الشعر، وتدوين الأخبار والوقائع، ولذلك ظهرت مصطلحات من نحو: حدثنا فلان عن فلان، وسمعت فلانًا، وقرأت على فلان، وشاعت هذه المصطلحات في علم الحديث، وفي كتب الأدب واللغة، وفي كتب التاريخ والأخبار، وكان الخبر المروي شفاهًا وسيلة للتدوين والتأليف، وكانت المشافهة وسيلة لنهوض علوم كعلم الحديث واللغة والنحو والعروض والتاريخ.

إن ما تعتز به علوم العربية حقًا هو نهوضها على المشافهة، أي على التعليم الذي يكون بلقاء الإنسانِ الإنسانَ، وتواصله معه، عبر اللغة، ناقلة العلم، وليس من خلال الصحف والأوراق وحدها.

على أن هذا لا يلغي قيمة الحرف والكتابة، ولا أهمية الصحف والأوراق،

فقد دونت العلوم كلها، وتحولت إلى كتب، وافتتحت دكاكين الوراقين، وكان الكتاب يحمل على ظهور الإبل من المشرق إلى المغرب، ومن صقع إلى صقع، وتفنن الوراقون في رسم الحرف، وتزيين صفحات الكتاب بالرسوم، وكان المترجم يمنح زنة كتابه ذهبًا، وقد أشاد الجاحظ مطولًا بالكتاب، وقدّم وصفًا له، يدل على تقدير الحضارة العربية للكتاب. على أن هذا كله ظل مرتبطًا بالمشافهة، ولم يقم الكتاب وحده بمهمة التعليم، بل كان وسيلة لها، وكان الأساس هو القراءة على الأستاذ، والاستماع إليه، وهو ما نسميه المحادثة والاستماع، وهو ما اختصرناه بالمشافهة، وقد ظلت المشافهة مستمرة إلى جانب الكتاب، وإذا دل هذا كله على شيء فإنه يدلّ على أن للسماع الأثر الكبير في حفظ العربية ونقلها من جيل إلى جيل.

وقديمًا كان أجدادنا يأخذون على المتعلم أخذه عن الصحف وحدها، فيقولون عنه: صحفي، لأن التعليم الحق يكون بالجلوس إلى المعلمين في حلقات التعليم في المساجد، وبقراءة التلميذ الكتاب على أستاذه، في جلسات تمتد ربما أعوامًا حتى يتم الكتاب الذي يقرؤه على أستاذه، في حضور تلامذة آخرين، والقراءةُ تتضمن السؤال والجواب عن قضايا في الأدب واللغة والنحو والإعراب وجوانب العلم الذي يقرأ فيه، إن طبًّا فطب وإن رياضيات فرياضيات، وهكذا.

وهذا يدل على ارتباط التعليم دائمًا بالمشافهة، ولا يكون المتعلم متعلمًا لمجرد إتقانه القراءة والكتابة، أي لمجرد معرفته الألفاظ والحروف، لأنها محض رموز تدل على اللغة، وليست اللغة نفسها، ولذلك كانت اللغة تسمى لسانًا، لأن اللسان هو وسيلة النطق والتلفظ، وهو جزء أساسي في جهاز النطق، وكذلك كلمة اللغة نفسها في أحد الآراء، فما هي إلا من اللغو، الذي هو الحديث والكلام، ولذلك قالت العامة: العلم في الصدور لا في السطور، ساخرين ممن يجيد القراءة والكتابة

ولكنه لا يفقه العلم ولا يحفظه.

ولذلك درس أجدادنا جهاز النطق لدى الإنسان وحددوا مخارج الحروف، ووصفوها، وصنفوها، وتقدم هذا العلم لديهم، واكتمل، ووصلوا فيه إلى نتائج علمية محددة، من غير أن تكون لهم آلات رصد الصوت، وقد وُضِعت فيه عشرات المصنفات، ومايزال علمًا حيًّا يتم تلقيه، تحت اسم علم التجويد.

كما درس اللغويون مظاهر أخرى في الصوت كالروم والإشمام والإمالة والوقف، ووضعوا لها قواعدها وأصولها، مما يؤكد الحرص على تعليم النطق بالعربية والتلفظ بها وإجادة أصواتها.

ومن المؤسف تقصير العرب اليوم في مجال العناية بأصوات العربية ونطقها ولفظها في تعليمهم، ولاسيما الجامعي، وتحول التعليم فيها إلى قراءة نظرية في الصحف، وكتابة يؤديها الطالب في الامتحان من غير أن يقرأ أمام أستاذه، وفي حالات كثيرة من غير أن يستمع إلى إلقاء أستاذه، فأصبحت الكلمة المطبوعة وحدها الوسيلة إلى تلقي العربية، وصار المتخرج في قسم اللغة العربية، لا يجيد القراءة، ولا يحسن الإلقاء، ولا يقدر على الأداء الصحيح لأصوات لغته وهو المختص بها، والمعلم لها.

وربما كان مرجع ذلك إلى الأعداد الكبيرة للطلاب، وهو ما لا يتيح للمدرس أن يستمع إليهم جميعًا، ولا يساعده على المحادثة معهم، ولكن هذا السبب على الرغم من قوته ليس مسوّغًا لغياب نشاط أساسي في عملية التعلم وهو المحادثة والاستماع، ليس في تعليم اللغة العربية وحدها، بل في تعليم العلوم كلها.

إن المحادثة والاستماع نشاطان أساسيان في عملية التعلم والتعليم، ولا تقوم العملية التعليمية على صورتها الصحيحة إلا بهما.

ومن المؤسف أن المقررات الجامعية في السنوات الأربع للاختصاصات كافة لا يتضمن أي منها مقرر المحادثة والاستماع، أي لا يتضمن مقررًا شفهيًّا له علامة مستقلة، ويعد مادة مرسبة. ولذلك أهمل الطالب مثلما أهمل المدرس على حد سواء أسلوب المحادثة والاستماع، واعتمد كلاهما على أسلوب التلقين والتدوين والملخصات واعتماد الكتاب والمادة المكتوبة وسيلة للتعلم والامتحان والنجاح، بعيدًا عن المحادثة والاستماع، أي بعيدًا عن تكوين جهاز نطقي سليم للمتعلم، يجيد من خلاله أداء لغته أداءً فنيًّا صحيحًا، فلا يخطئ في نطق، ولا يغلط في لفظ، ولا يزلُّ في إعراب.

إن الطالب في قسم اللغة العربية يتقن قواعد النحو، ويجيد الإعراب، ويحسن تقطيع بيت الشعر على الورق كتابة بالخط، ولكنه بعد ذلك لا يجيد إلقاء بيت من الشعر، ولا يحسن قراءة بضعة أسطر، من غير أن يقع في عدة أخطاء، لأنه لم يتدرب على الإلقاء، و لم يمارس المحادثة، و لم يتقن فن الاستماع.

وبالنسبة إلى الامتحان فالأمر أكثر سوءًا، فهو امتحان كتابي، تختبر فيه معلومات الطالب كتابة، ويحقق الطالب النجاح بقدر ما يعيد من أقوال المدرس وما يكرر من المادة التي دوّنها في أثناء إلقائه المحاضرة، وقد أتقن الطلاب هذه اللعبة، فأخذوا يصطنعون الأمليات والكراسات يضمنونها محاضرات المدرس، ليعيدوا في الامتحان ما قاله، وليحظوا بأعلى الدرجات، ثم ينسوا كل ما حفظوه.

وعندما يخفق الطالب، لا يعرف لماذا أخفق، ولا يعرف أخطاءه، ولا تتاح له مراجعة أوراقه، ولا يتاح له محاورة مدرسه، والإصغاء إليه، ولا يستطيع المدرس أن يقف طلابه على أخطائهم، ومرجع هذا كله إلى وفرة الأعداد، وغياب عنصر المشافهة في التعليم.

ولقد تضمنتْ بعضُ المقررات ما يسمى حلقات بحث، ولها في المقرر الواحد

عشرون درجة من مئة، وتسميتها تدل على أنها مجال للبحث بإشراف المدرس وما يكون في الإشراف من محادثة وحوار واستماع وتوجيه نحو المصادر والمراجع ومخطط للبحث ينتهي بأوراق مكتوبة لها درجة مقدرة.

ونظام حلقات البحث يتيح في الحقيقة للطالب والمعلم معًا فرصة تحقيق المشافهة، محادثة واستماعًا وحوارًا، كما يتيح فرصة التدريب على البحث والعودة إلى المظان والمراجع، ولكن هذا النظام تحوّل في الواقع إلى أوراق مكتوبة يقدّمها في نهاية الفصل الطالب للمدرس، من غير أن يداوم في بعض الحالات، وإن داوم على المحاضرات فإن فرصة إلقاء البحث والاستماع إليه ومناقشته لا تكاد تتحقق.

وهكذا خرجت حلقات البحث من الهدف المنشود منها، وهو المحادثة والحوار والاستماع، والتعرف إلى المظان والمراجع، والتدرب على الكتابة وفق مخطط وتبعًا لمنهج، فأصبحت محض وريقات مكتوبة، يجمع الطالب فيها معلومات من هنا وهناك، جمعًا بطريقة ما، ثم يتقدم بها إلى المدرس، ولا يكاد يحاوره فيها، وفي حالات كثيرة، يأخذ حلقة بحث من زميل له سبقه بسنة أو بعدة سنوات، ولا يستطيع المدرس أن يضبط هذا.

وفي معظم الحالات غابت عن العملية التعليمية المشافهة بين المدرس والطالب، وحلّ نظام التلقين والتدوين، وأخذت الكلمة المكتوبة مكان الكلمة المنطوقة، وما عاد الطالب يمارس المشافهة في تعلمه.

إن المحادثة تعلم الطالب تنظيم أفكاره، وإعدادها، قبل النطق بها، كما تنمّي فيه حسّ البداهة، والمبادرة، وسرعة الكشف، وتُعوِّدُه على حسن الأداء، وسلامة النطق، وقوة التعبير، كما تدربه على تطبيق قواعد الإعراب، وتعلمه فن التأثير في الآخر، وجذب انتباهه، وإقناعه بالحجة، وهي وسيلة للتعلم، واكتساب المعرفة.

والمحادثة لا تكون من طرف واحد، إنما هي علاقة ذات طرفين، وبذلك تحقق البعد الاجتماعي، والتواصل مع الآخر، وتعلم المتحدث أصول الحوار، وشرط المحادثة من غير شك المعرفة والثقافة، والتهذيب والاحترام، وضبط الانفعالات، وتوجيه المشاعر، وهي تكسر مشكلات الخجل والإحراج والخوف، وتنمي شخصية الطالب.

ومن لوازم المحادثة الاستماع، وهو من مناشط اللغة، إذ لا يتقن المرء اللغة إلا بحسن الاستماع، ولا يتحقق إلا بالإصغاء إلى المتحدث بالعين والقلب والسمع، من غير مقاطعة حتى يتم حديثه، ويساعد على اكتساب المعرفة، وتنمية المدارك، وتقوية القدرة على الفهم والاستيعاب، والإحاطة بالمادة المسموعة، ونقدها، والحكم عليها، والتدخل بالحديث عند الضرورة، أو وفق الدور، وبالتهذيب وحسن البدء.

ومن أسف أن الطالب الجامعي كاد يعطل مهارة الاستماع لديه، بانهماكه بتدوين ما يلقيه المدرس في المحاضرة، وهو يعتمد اعتمادًا كليًّا على ما يدونه، ولا يلقي بالاً إلى ما يسمع، ولديه يقين بأنه سيقرأ فيما بعد ما دوّنه في دفتره، ولذلك لا يستوعب ما يسمع، ولا يحيط به، ولا يسأل مدرسه، ولا يحاوره، لأنه يرجئ الفهم والاستيعاب إلى مهارة أخرى يعوّل عليها هي القراءة للمادة المكتوبة، وبذلك كاد الطالب نفسه يلغي مهارة الاستماع والمحادثة باعتماده على التدوين والقراءة.

ومما لا شك فيه أننا لا ندعو إلى إلغاء القراءة بل نؤكد أهميتها، ولكن ليس على حساب المحادثة والاستماع، ومما لا شك فيه أيضًا أن الاستماع نشاط صعب، إذ يقتضي التوجه إلى المتحدث بكل القوى الفاعلة والمنفعلة، واستيعاب ما يقوله، وهي عمليات صعبة، متعبة، سرعان ما يملّها الطالب ويتعب، ولذلك تأتي المحادثة والحوار مع المدرس، لتنعش الطالب، وتجدّد انتباهه، وتحثه على

المتابعة، وإدراك ما يسمع، وفهمه، والحوار على أساس منه.

ومرة ثانية تظهر مشكلة الأعداد الكبيرة للطلاب، إذ لا تساعد كثرة العدد كلاً من المدرس والطالب على إتقان الاستماع والمحادثة، إذ يضطر المدرس إلى الاستمرار في الإلقاء، ولا يعطي فرصة للسؤال أو الحوار، كي لا يحدث الشغب في قاعته، وتعمّ الفوضى، وبالمقابل، يملّ الطالب من هذا الاسترسال في الإلقاء، ويتعب من طول الإصغاء، فينشغل بالكتابة، أو يتشاغل، ولا يستطيع المتابعة، ولا يحقق حسن الإصغاء.

إن التعليم الصحيح في المراحل كلها لا يتحقق إلا بالانطلاق من طبيعة اللغة وهي كونها أصواتًا مسموعة وألفاظًا منطوقة قبل أن تكون حروفًا مكتوبة، وما الحروف المكتوبة إلا رموز لتلك الأصوات، ولا يتحقق التعليم الصحيح إلا بتحقيق جوهر اللغة، وهو الصوت المسموع، واللفظ المنطوق، انطلاقًا من الإشارات المصوغة في حروف وكلمات، ولابد لذلك من مهارتي المحادثة والاستماع.

وإن المرء ليعجب من إهمال مدرسي العربية أصول النطق الصحيح للحروف والتلفظ الجميل بالكلمات أو إعراب الجمل وسلاسة التعبير في إلقائهم وقراءتهم، ولا يعطون العربية حقها من روعة البيان وسحر الإيقاع، حتى إن بعضهم ليؤكد أن المعوّل عليه هو المعنى والأفكار والحقائق والمعلومات ولا قيمة للغة، ويقول مثل هؤلاء لطلابهم: عبّروا كيفما شئتم، المهم هو الأفكار والمعلومات.

ومثل هذا الفصل بين المعلومات والأفكار وإتقان اللغة غير صحيح على الإطلاق، ولا يمكن للمعلومات أن تترسخ وتنضج إلا بالتمكن من اللغة وامتلاكها والوعي بمبادئها وقيمها الفنية والجمالية.

وتظل مرحلة التعليم الفرصة الوحيدة أمام الطالب ليتقن لغته ويتعلمها ويحسن أداءها نطقًا ولفظًا، أما المعلومات فيمكنه أن يستكملها فيما بعد من

خلال القراءة والمطالعة.

إن المرجوّ هو حرص المدرسيْن عامة ومدرسي اللغة العربية خاصة على سلامة النطق، وبلاغة التعبير، ليعوّدوا طلابهم على سماع لغتهم العربية، وليس عيبًا أن يستعين مدرسو العربية بأجهزة السمع ورصده وتسجيله في تعليم الطالب لغته العربية على نحو ما هو متبع في تعليم اللغات الأجنبية.

إن قلة الاعتماد على المشافهة في التعليم من محادثة واستماع هي أحد أسباب تراجع العربية الفصيحة، وطغيان العامية، حتى كادت الفصيحة تتحول إلى لغة الكتابة والقراءة فحسب.

إن ما تعتز به العربية حقًا هو حفاظها على أصواتها التي لم يطرأ عليها إلا تغير محدود جدًا، وهذه سمة من سماتها الخاصة بها، فنحن نتكلم العربية ونلفظها، بأصواتها مثلما كان ينطقها الأجداد قبل نحو من ألفي عام، ولابد من التأكيد أن الحافظ لهذه السمة المميزة هو القرآن الكريم بفضل تلاوته.

وإذا كان العربي يريد أن يحفظ لغته حقيقة، وإذا كان يرغب في تعلمها والنطق بها وأدائها الأداء الصحيح والجميل، فما عليه إلا أن يعود إلى القرآن الكريم، لا ليقرأ في المصحف بعينيه قراءة صامتة أو يتلوه فحسب، بل ليستمع إلى كبار القراء من خلال أشرطة التسجيل، وليستمع إليهم بقلبه وعقله وسمعه وحواسه كلها، ويتنبّه إلى أدائهم الجملة، ولفظهم الكلمة، ونطقهم الحرف، ولينظر بعيني سمعه وقلبه إلى مواطن الجمال والسحر والبيان في النطق والأداء، وعندئذ يمكنه أن يتلو بعد ذلك القرآن الكريم ويتعلم العربية.

وفي هذا كله ما يؤكد أخيرًا أن السماع والمحادثة، أو ما نسميه المشافهة، هو منشط أساسي في العملية التعليمية، ولا سيما تعليم اللغة العربية.

صيَــغ المشــتقات
بين الوضع والاستعمال

أ. محمود الحسن

في هذا المقال سيظهر أن صيغ المشتقات قد وُضِعت في الأصل للدلالة على معان صرفية خاصة، تؤديها عندما تُستعمل في التراكيب، كما سيظهر أن تلك المشتقات قد تخرج أحيانًا عن دلالتها الوضعية فتؤدي وظائف أخرى، بحسب السياق وطبيعة التركيب. ولتوضيح جوانب المسألة لا بدَّ من حديث مختصر أولاً عن أنواع المشتقات، ومعانيها الوضعية، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني الصرفية، التي تدلُّ عليها، عندما تُستعمَل في النصوص.

المعاني الوضعية للمشتقات

المشتقات أسماء اشتُقّت من المصادر لتأدية وظائف محدّدة. وهي تُقسَم إلى قسمين، أحدهما: المشتقات الوصفية. وهي التي تدل على ذات موصوفة بحدث، وتصلح للاستعمال في باب الصفات، وتضم: اسمي الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل. والقسم الثاني: المشتقات غير الوصفية. وهي أسماء اشتُقّت من المصادر، ولكنها لم تُستعمل صفة في الكلام، فهي تدل على ذوات تُدرَك بالحواس، وتضم اسمي الزمان والمكان، واسم الآلة [١].

فكلمة «عالِم» مثلاً مشتق وصفيّ، لأنها تصلح أن تُستعمل صفة في الكلام. وهي تدل على شخص موصوف بالعلم، أي تدل على اسم ذات وحدث. أما نحو «رجل» فتدل على «شخص» أي: اسم ذات فحسب، وأما نحو «العلم» فتدلّ على حدث فقط. وأما كلمة «محراث» مثلاً فمشتق غير

---

(١) الأشموني: شرح ألفية ابن مالك ١: ٣٩٥- ٣٩٦. ويُقصَد بالصفة: النعت والحال والخبر.

وصفيّ، لأنها مشتقة من الحَرْث، ولكنها لا تُستَعمل صفة، بل تُستعمل استعمال أسماء الذوات فتدلّ على مسمًّى يُدرَك بالحواس. والفرق بين المشتقّ غير الوصفي واسم الذات المُرتجَل هو أن الأول لا ينفكُّ عن ارتباطه بالمصدر كما هي حال: المطرقة والطَّرق، والمَلعب واللَّعب، أما الثاني فلا يرتبط بالمصادر نحو: تِين وضِفدَع ولَوز وغير ذلك.

اسمــا الفاعــل والمفعــول:

يُعرَّف **اسم الفاعل** بأنه: صفه تُشتق من مصدر الفعل المتصرِّف، المبني للمعلوم، للدلالة على من وقع منه الفعل حدوثًا لا ثبوتًا [٢]. نحو سامِع وقائِل وكاتِب ولاعِب وساعٍ وجاءٍ، ومُخرِج ومُساعِد ومُنتقِم ومُستنفِر ومُتَكبِّر، قال تعالى:﴿وإنِّي مُرسِلةٌ إليهم بهَديّة، فناظِرةٌ بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُون[٣]﴾، فمُرسِلة: صفة تدلّ على ذات في حال ملابستها لفعل الإرسال. وناظِرة: صفة تدل على ذات في حالة ملابستها لفعل النَّظَر. فكل منهما اسم فاعل. أما نحو «كَريم» في قوله تعالى: ﴿إنْ هذا إلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤] فصفة مشبهة تدل على ثبوت ودوام نسبتها إلى صاحبها.

وثمة ما يسمى مبالغة اسم الفاعل، وهي [٥]:صفة تفيد التّكثير في اسم الفاعل، وليست على صيغته. نحو قول امرىء القيس[٦]:

---

(٢) ابن هشام: شرح شذور الذهب ص ٣٨٥؛ وقباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال ص ١٤٩.

(٣) الآية ٣٥ من سورة النمل.

(٤) الآية ٣١ من سورة يوسف.

(٥) ابن هشام: شرح شذور الذهب ص ٣٩٢.

(٦) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٦٥.

مِكَـــرٍّ، مِفَـــرٍّ، مُقـــبِلٍ مُدبِرٍ، مَعًا   كَجُـــلمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ

فمُقبِل ومُدبِر: اسما فاعلَين، يحتملان الوصف بقلّة الإقبال والإدبار أو كثرتهما. أما مِكَرّ ومِفَرّ فالمراد بهما الوصف بكثرة الكَرّ والفَرّ، فهما يفيدان إضافة معنى المبالغة إلى اسمي الفاعلين كارّ وفارّ.

ولمبالغة اسم الفاعل صيغ كثيرة، أشهرها استعمالاً: «فَعّال» كجَرّاح وعَلاّم وحَمّال، و«فَعُول» كغَفُور وصَبُور وفَخُور، و«مِفعال» كمِقدام ومِطعان ومِدرار. ثم تأتي «فَعِيل» كرَحِيم وقَدِير، و«فَعِل» كفَهِم وحَذِر[٧]. وهناك صيغ أخرى أقل استعمالاً، نحو: فارُوق وصِدِّيق وقَيُّوم ومِكَرّ وسُبُّوح ومِسكِين وهُمَزة. وهذه الأمثلة تدل على صِيَغها. ويُشار إلى أن صِيَغ المبالغة ترتبط بمصدر الفعل الثلاثي المجرد فقط [٨]، لذلك حُمِل على الشذوذ نحو: مِعطاء ومِهوان وزَهُوق للأفعال: أعطَى وأهانَ وأزهَقَ.

واسم المفعول: صفة تُشتَق من مصدر الفعل المُتصرِّف، المبني للمجهول، للدلالة على مَن وقع عليه الفعل حُدُوثًا لا ثُبوتًا[٩]. نحو: مَحمُود ومَعدُود ومَقُول ومَبِيع، ومُكرَم ومُعَظَّم ومُشتاق إليه ومُنتَصَر عليه.

الصفـــة المشبهـــة واسم التفضيـــل:

الصفة المشبهة هي: صفة مصوغة، من مصدر الفعل الثلاثي المجرد غالبًا،

---

(٧) الجرجاني، عبد القاهر: المفتاح في الصرف ص١٥.؛ وابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠١.

(٨) ابن هشام: شرح شذور الذهب ص ٣٩٢.

(٩) ابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ٢٠٣؛ وقباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال ص ١٥٦.

لغير تفضيل، للدلالة على ثبوت نسبة الحدث الذي تتضمنه إلى موصوفها[١٠]. نحو قول النّبي ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ، وأحَبُّ إلَى اللهِ، مِنَ المُؤمِنِ الضَّعيفِ»[١١]. فالقَوِيّ والضَّعيف: صفتان مشبهتان، تدلان على ثبوت صِفَتي القوّة والضَّعف للمؤمن، على سبيل الاستمرار والدوام، لا التجدُّد والحدوث .

وقد سُمِّيت صفة مشبهة لأنها تشبه اسم الفاعل من جهة دلالتها على الذات والحدث، ومن جهة قبولها للتثنية والجمع والتأنيث، بخلاف اسم التفضيل[١٢]، نحو: كَرِيم وكَرِيمة، وكَرِيمان وكَرِيمتان، وكريمُون وكَرِيمات.

وصِيَغ الصِّفة المشبهة ليست بقياسية، كما هو الحال في اسمي الفاعل والمفعول[١٣]، إلا أن العلماء وجدوا أن بعض صِيَغها يخضع لقياس، يطرد في الغالب[١٤]، وأشهر صيغ الصفة المشبهة:

«أفعَل» للمذكر و«فعلاء» للمؤنث، نحو: أحْمَر وحَمْراء وأحوَر وحَوراء وأعمَى وعَمْياء، و«فَعِل» و« فَعِلة » نحو: مَغِص ومَغِصة وشَرِس وشَرِسة وكَمِد وكَمِدة و فَرِح وفَرِحة. و«فَعْلان» و«فَعلَى» نحو: عَطْشان وعَطشَى وسَكْران وسَكرَى.

و«فَعِيل» و«فَعِيلة» نحو: كَرِيم وكَرِيمة و عَظِيم وعَظِيمة. و«فَعْل» و«فَعْلة» نحو: ضَخْم وضَخْمة وسَهْل وسَهْلة. و«فَيعِل» و«فَيعِلة» نحو: طَيِّب وطَيِّبة و سَيِّد وسَيِّدة، و«فَيعَل» و«فَيعَلة» نحو: فَيصَل وفَيصَلة.

(١٠) ابن هشام، جمال الدين بن يوسف الأنصاري: الجامع الصغير في النحو ص ١٥٩.

(١١) مسلم ص ٩٣٣ تحت الرقم ٢٦٦٤.

(١٢) ابن هشام: شرح قطر الندى ص٣٠٣.

(١٣) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٤٣- ١٤٤ و ١٤٨.

(١٤) المصدر نفسه ١: ١٤٣-١٤٤ و١٤٨.

والصفة المشبهة تكثر صياغتها من مصادر «فَعِل» و«فَعُل»، لأن الأول غالب في الأدواء الباطنة والعيوب الظاهرة، والحِلَى، والثاني غالب في الغرائز. وهذه الصفات لازمة في الأغلب لأصحابها، وظاهرها الاستمرار. أما «فَعَل» فليس الغالب فيه الفعل اللازم، وما جاء منه لازمًا فليس بمُستمِرّ، كالدُّخُول والخُرُوج، والقِيام والقُعُود [١٥].

ويشار إلى أن كثرة الصيغ، التي تأتي عليها الصفة المشبهة، تجعل تحديدها على أساس المعنى أسهل من معرفتها على أساس الصيغة. واعتمادًا على مسألة الاحتكام إلى المعنى تصبح الصفة المشبهة هي: كل صفة ثابتة، لا تدلّ على التّفضيل، ولا على المبالغة في اسم الفاعل، وليست باسم فاعل أو مفعول [١٦].

واسم **التفضيل** هو: صفة تشتق من المصدر للدلالة على أن موصوفها قد تفوّق على غيره، في انتسابه إلى معنى مصدرها[١٧]. نحو: أكثَر وأعَزّ في قوله تعالى: ﴿ أنا أكثَرُ منكَ مالاً، وأعَزُّ نَفَرًا ﴾[١٨].

أسماء الزمان والمكان والآلة:

تُوجد إضافة إلى المشتقات الوصفية مشتقاتٌ تدل على أسماء ذوات، تُوصَف ولا يُوصَف بها. وتلك هي: اسما الزمان والمكان، واسم الآلة.

فاسما الزمان والمكان هما: اسمان مشتقان من المصدر، للدلالة على زمان

---

(١٥) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٤٥- ١٤٩.

(١٦) السكاكي: مفتاح العلوم ص ٥٠.

(١٧) ابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ٢١٢؛ والجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات ص٤١.

(١٨) الآية ٣٤ من سورة الكهف.

وقوع الفعل أو مكانه[١٩]. نحو: مَكتَب ومَنزِل ومَقام ومُلتَقى.

واسم **الآلة** هو: اسم مُشتقّ من مصدر الفعل الثلاثي المجرد، للدلالة على الآلة التي يحصل بها الفعل [٢٠]. نحو: مِقرَض و مِفتاح و مِكسَحة.

خـــروج المشتقـــات عن دلالتها الوضعيـــة في التراكيـــب

إن صِيَغ المشتقات، شأنها شأن أبنية المصادر[٢١]، قد تُستعمل في النصوص بحسب معناها الوضعي، وقد تجيء أحيانًا مُرادًا بها غير معناها الوضعي المعروف.

دُخُــول المَعَــاني الصــرفيــة على صِيَــغ اسم الفاعِــل:

تدلّ الصِّيَغ الوضعية لاسم الفاعل، كما سبق، على من وقع منه الفعل حدوثًا لا ثبوتًا. ولكن اسم الفاعل قد لا يحافظ على دلالته الوضعية، عندما يُستعمل في النصوص. ومن أمثلة ذلك مجيئه بمعنى اسم فاعل مشتق من غير مصدره كقوله تعالى: ﴿لَيسُوا سَواءً مِن أهلِ الكتابِ أُمّةٌ قائمةٌ﴾[٢٢] أي مُستَقيمة، وقوله: ﴿وكَفَى بِنا حاسِبِينَ﴾[٢٣] أي مُحاسِبين، وقوله ﷺ: «إذا باتَتِ المَرأةُ مُهاجِرةً فِراشَ زَوجِها لَعَنَتها المَلائكةُ حَتَّى تَرجِعَ»[٢٤] أي هاجِرة فِراشَ زَوجِها. وذلك لأن لفظ «المُفاعَلة» يقتضي الاشتراك من اثنين، ولا يوجد هنا مشاركة، لأن المرأة هي التي هجرت. وقد تأتي المُفاعَلة ويُراد بها

---

(١٩) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات ص ٤١؛ وقباوة، د. فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال ص١٧١.

(٢٠) الجرجاني، عبد القاهر: المفتاح في الصرف ص ٦١.

(٢١) يُنظر في خروج المصادر عن دلالتها الوضعية: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٠، ج٢، ص ٣٠٥.

(٢٢) الآية ١١٣ من سورة آل عمران؛ ومعمر بن المثنى: مجاز القرآن ١: ١٠٢.

(٢٣) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١: ٢٠٢.

(٢٤) البخاري ص ١٩٩٤ تحت الرقم ٤٨٩٨؛ وابن حجر: فتح الباري ٩: ٣٦٥.

نفس الفعل.[٢٥]

ومن دخول المعاني الصرفية على صيَغ اسم الفاعل، مجيئه بمعنى اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن ماءٍ دافقٍ﴾[٢٦] أي مَدفُوق، وقوله:﴿لا عاصِمَ اليَومَ مِن أمرِ الله ﴾[٢٧] أي لا مَعصُوم، وقوله: ﴿رَبِّ اجعَلْ هذا بَلَدًا آمنًا﴾[٢٨] أي مأمُونًا فيه، وقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خاسئِينَ﴾[٢٩] أي مَخسُوئِينَ مُبعَدِين، من قولهم: خَسأتُ الكَلبَ، إذا بَعَّدتَهُ[٣٠]. وقال عَبيد بن الأبرص[٣١]:

بَـــلْ رُبَّ مـــاءٍ، وَرَدتُـــهُ، آجِـــنٍ   سَـــبِيلُهُ خـــائفٌ، جَديـــبُ

أي مَخُوف. وقال جرير [٣٢]:

قَـــد لُمتِنا، يا أُمَّ غَيلانَ، فِي السُّرى   ونِمـــتِ، ومـــا لَـــيلُ المَطِيِّ بِنائِمِ

أي بمَنُوم فيه. قال الفراء: «وأهل الحجاز أفعَلُ لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً، إذا كان في مَذهَب نَعت، كقول العرب: سِرٌّ كاتِمٌ، ولَيلٌ نائِمٌ،

---

(٢٥) ابن حجر: فتح الباري ٩: ٣٦٥.

(٢٦) الآية ٦ من سورة الطارق؛ والفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن ٢: ١٥ و٣: ٢٥٥؛ وابن جني: الخصائص ١: ١٥٢؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٣٠.

(٢٧) الآية ٤٣ من سورة هود؛ والفراء: معاني القرآن ٢: ١٥؛ وابن جني: الخصائص ١: ١٥٢؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٣٠.

(٢٨) الآية ١٢٦ من سورة البقرة؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٣٠.

(٢٩) الآية ٦٥ من سورة البقرة.

(٣٠) البخاري ص ٢٢٨٤.

(٣١)التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٣٧٦. وآجن: متغيِّر. والسبيل: الطريق. والجديب: ما لا شجر فيه ولا نبات.

(٣٢) ابن حبيب: ديوان جرير ص ٩٩٣؛ وسيبويه: الكتاب ١: ١٦٠؛ والمبرد: الكامل ص ١٣٥٦.

وعِيشةٌ راضيةٌ»[٣٣].

ويطَّرد مجيء اسم الفاعل، بمعنى الصفة المشبهة، إذا أُضيف إلى معموله في المعنى، وعندئذ يدلّ على المُضيّ،[٣٤] كفاطر وجاعل في قوله تعالى: ﴿الحَمدُ لله فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ، جاعلِ المَلائكة رُسُلاً﴾[٣٥]، وكافل في قوله ﷺ: «أنا وكافِلُ اليَتيمِ في الجَنّةِ هكَذا»[٣٦]، وأشار بالسَّبابة والوسطى وفرَّق بينهما. وقد يأتي اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة في غير هذا، كما في قوله تعالى:﴿وآتَينا مُوسَى سُلطانًا مُبِينًا﴾[٣٧] أي بيِّنًا.

وجاء اسم الفاعل بمعنى اسم التفضيل، للتعبير عن اسم الذات، كما في قول الراجز[٣٨]:

مــا هُــوَ إلا المَــوتُ يَغلي غالِيهْ
مُخــــتَلِطًا ســــافِلُهُ بعالِـــــيهْ

أي أسفلُه بأعلاه. فالسّافِل والعالِي كلاهما اسم فاعل، بمعنى اسم التفضيل، عُبِّر به عن اسم الذات. وهذه حالة نادرة كما سيظهر. ومثلها قوله تعالى: ﴿فجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها﴾[٣٩] أي أعلاها أسفَلَها.

وجاء اسم الفاعل بمعنى المصدر، كما في قول أحدهم[٤٠]:

---

(٣٣) الفراء: معاني القرآن ٣: ٢٥٥.

(٣٤) سيبويه: الكتاب ١: ١٧١؛ وابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١٠٥٦.

(٣٥) الآية ١ من سورة فاطر.

(٣٦) البخاري ص ٢٠٣٢ تحت الرقم ٤٩٩٨.

(٣٧) الآية ١٥٣ من سورة النساء؛ والجلالان: تفسير الجلالين ص ١٠٣.

(٣٨) ابن جني: الخصائص ٢: ٣٦٤.

(٣٩) الآية ٧٤ من سورة الحجر.

(٤٠) ابن جني: الخصائص ٣: ١٠١.

قُــــمْ قائمًــــا، قُــــمْ قائمــــا لَقِيــــتَ عَــــبدًا نائمــــا

أي قُمْ قيامًا. وقال عبد الله بن الحارث السَّهميّ (٤١):

ألحِـقْ عَذابَكَ بالقَومِ، الّذينَ طَغَوا وعـائذًا بِـكَ أن يَعلُوا، فيُطغُوني

أي وعِياذًا بكَ. وقال الفرزدق (٤٢):

أَلَـم تَرَني عاهَـدتُ رَبِّي، وإنَّني لَـبَـينَ رِتـاجٍ، قائمًا، ومَقامِ

عَلَـى حَلفة، لا أشتِمُ الدَّهرَ مُسلِمًا ولا خارِجًـا، مِن فِيَّ، زُورُ كَلامِ

أي ولا يَخرُجُ خُرُوجًا.

ويكثر مجيء اسم الفاعل في النصوص، للتعبير عن اسم الذات، فيما يُسَمِّيه الـنُّحاة بإقامة الصِّفة مقام الموصوف، حيث يُحذف الموصوف، وتقوم الصِّفة دالّة علـيه، مُتَضَـمِّنة معـناه، نحو قوله تعالى: ﴿ولا يُفلحُ السّاحرُ حَيثُ أتَى﴾(٤٣)، فالسّـاحِر في الأصـل: اسم فاعل وهو صِفة، لكنّه أُقيم هنا مقام الشَّخص الذي يَسحَر، فزالت دلالته على الحدث، وخلص للدلالة على اسم الجنس.

ويُشترط في اسم الفاعل وغيره من المشتقات الوصفية، التي تقوم مقام الموصوف، فتعبِّر عنه وتُؤدِّي معناه، أن تكون من الصفات الخاصة بالموصوف، التي يدلّ إطلاقها عليه دون غيره، قال المُبَرِّد: حَقّ النَّعت أن يأتي بَعد المَنعُوت، ولا يقع مَوقعه حتّى يدلّ عليه، فيكون خاصًّا به دون غَيره، تقول: جاءَني إنسانٌ طَويل. فإن قُلتَ: «جاءَني طَويلٌ» لَم يَجُز، لأنّ طَويلاً أَعَمُّ من إنسان، فلا يدلُّ عليه. فإن قُلتَ: جاءَني إنسانٌ مُتَكَلِّمٌ، ثم قُلتَ: «جاءَني مُتَكَلِّمٌ» جازَ، لأنّكَ

(٤١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ص ٤٧٥؛ وسيبويه: الكتاب ١: ٣٤٢.

(٤٢) الفرزدق: ديوانه ٢: ٢١٢؛ وسيبويه: الكتاب ١: ٣٤٦؛ والمبرد: الكامل ص ١٥٥. والرّتاج: الباب.

(٤٣) الآية ٦٩ من سورة طه؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٧: ٣٥٧.

تدلّ به على الإنسان[٤٤].

يتّضح من كلام المبرد أن قولنا: «جاءَني مُتَكَلِّم» يدلّ على إنسان. والإنسان:اسم جنس يدلّ على ذات. وهذا يدعم صحة الجزم بأنّ المشتقات الوصفية تُستعمل في مثل هذه المواضع، للتعبير عن اسم الذات، فتفقد معنى الحدث، وتدلّ على الموصوف المُقدَّر، الذي هو اسم ذات غالبًا.

ومن أمثلة مجيء اسم الفاعل للتعبير عن اسم الذات قوله تعـالى: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾[٤٥]. فالباقِيات: جمع باقِية وهي اسم فاعل، عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة. وقد قيل في تفسير كلمة الباقيات: هي الأعمال الصالحة؛ وقيل الصلوات الخمس، وقيل كلمات التّسبيح. فهي في الأصل صفة لهذه الأشياء التي تبقى، قامت مقامها ودلّت عليها، ففقدَت معنى الحدث وأصبحت اسم ذات. ويُؤكّد ذلك أنها وُصفت بالصّالِحات. ولو كانت صفة لما جاز أن تُوصَف.

ومن الثابت عند النُّحاة أن كلّ ما يُوصَف من مصادر أو مشتقات تزول دلالته على الحدث[٤٦]. فلا يتعلّق به الجارّ والمجرور والظرف، إن كان مصدرًا، ويصبح اسم ذات إن كان مشتقًا وصفيًّا. وذلك لأن المشتق الذي يُوصَف يَخرج عن بابه من جهة أنّه يَتخصَّص بالوصف والأصل فيه العموم، ومن جهة أنّه يقع في موقع الاسم الجامد. ولذلك يزول منه معنى الحدث الذي كان يَتَضَمَّنه، عندما كان جاريًا على بابه، ليسوغ وصفه بالحد ث الذي تتضَمَّنه صفته، أي إنه يصبح اسم ذات. ويُؤكّد ذلك قول ابن جني: «الصِّفة إذا جَرَت على المَوصوف آذَنَت

---

(٤٤) المبرد: الكامل ص ١٣٨٢.

(٤٥) الآية ٤٦ من سورة الكهف.

(٤٦) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٥٦٥ و٨٨٩.

بتَمامِه، وانقضاء أجزائه»[٤٧]. ومعنى ذلك أن الموصوف يصبح قائمًا بذاته، غير معتمد على غيره، وغير محتاج إلى مكان وزمان لضبط الحدث الذي تَتضَمَّنه الصفات. ولا يتحقّق ذلك فيه إلا إذا أصبح اسم ذات.

ومن أمثلة مجيء اسم الفاعل للتعبير عن اسم الذات قوله تعالى: ﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعةُ لَيسَ لِوَقعتِها كاذِبةٌ﴾[٤٨]. فالواقِعة: القيامة. وهي اسم فاعل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة، والتأنيث فيه تأنيث تَهويل وتَعظيم[٤٩]. وكاذِبة: نَفس تَكذب. فهي اسم فاعل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة، والتأنيث مجازي. وقال تعالى: ﴿وعَهِدْنا إلَى إبراهيمَ وإسماعِيلَ أن طَهِّرا بَيتِيَ لِلطّائفِينَ، والعاكِفِينَ، والرُكَّعِ السُّجُودِ﴾[٥٠]. فالطّائفُونَ والعاكِفُونَ والرُكَّع: جمع طائِف وعاكِف وراكِع. وهي أسماء فاعِلين عُبِّر بها عن أسماء ذوات للمبالغة. أما السُّجُود: فجمع ساجِد. وهو اسم فاعل على بابه، لأنه صفة للرُكَّع.

وفي حديث أبي موسى: «إنَّ اللّهَ بَريءٌ مِنَ الصّالقة، والحالقة، والشّاقّة»[٥١]. فالصّالقة: التي تَصلقُ وَجهَها عند المُصيبة وتَرفَعُ صَوتَها. والحالقة: التي تَحلقُ شَعرَها عند المُصيبة. والشّاقّة: التي تَشُقُّ ثيابَها. وهي أسماء فاعِلين مؤنثة، عُبِّر بها عن أسماء الذوات للمبالغة. والمبالغة في مثل هذا الأسلوب تأتي من كون ظلال الحدث الزائل من اسم الفاعل ما تزال تتوارد على الذهن، مُشعرةً بأن اسم

(٤٧) ابن جني: الخصائص ٣: ٢٥٨.

(٤٨) الآيتان ١ و٢ من سورة الواقعة؛ والزمخشري: الكشّاف٦: ٢٠؛ وأبو حيان: البحر المحيط١٠: ٧٥- ٧٦.

(٤٩) الكفوي: الكلّيات ص ٨١٩.

(٥٠) الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(٥١) البخاري ص ٤٣٦ تحت الرقم ١٢٣٤.

الذات الذي يكون هذا بابه يختلف وغيره من أسماء الذوات، بارتباطه بما هو ذهنيّ مجـــرَّد. والذهن هو منبع المبالغة، لأنه لا يخضع للحدود والأبعاد في رسم الصُّوَر، كما تخضع لها المحسوسات في عالم الواقع.

ومن أمثلة مجيء اسم الفاعل للتعبير عن اسم الذات قول كعب بن زهير [٥٢]:

قَـــد يُعـــوِزُ الحازِمُ، المَحمُودُ نِيّتُهُ، بَعـــدَ الـــثَّراءِ، ويُثرِي العاجِزُ الحَمِقُ

فالحازِم والعاجز: اسما فاعِلَين عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الذات للمبالغة.

ومن دخول المعاني الصرفية على صِيَغ اسم الفاعل مجيئه بمعنى المنسوب في غير الصِّيَغ الوضعية[٥٣]، كما في قول جميل بثينة [٥٤]:

وأنـــتَ امرُؤٌ، مِن أهلِ نَجدِ، وأهلُنا تَهـــامٍ، فمـــا الـــنَّجديُّ، والمُتَغَوِّرُ

فالمُتَغَوِّر: اسم فاعل للفعل تَغَوَّرَ يَتَغَوَّرُ، إذا نزل الغَور وهو الأرض المنخفضة، استُعمل بمعنى المنسوب إلى الغَور للمبالغة.

وتـــتوارد المعـــاني الصرفية على الصِّيَغ النائبة عن اسم الفاعل، وعلى صيغ مبالغته، على نحو ما مرّ في تواردها على صيغته. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فقَـــد جاءَكُم بَشيرٌ ونَذيرٌ﴾[٥٥]، وقوله: ﴿أُحِلَّت لَكُم بَهيمةُ الأنعامِ إلا ما يُتلَى عَلَـــيكُم﴾ [٥٦]. فبَشير: فَعيل بمعنى مُفعِّل: مُبَشِّر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة.

(٥٢) السكري: ديوان كعب بن زهير ص ٢٢٨. ويُعوز: يُصبح ذا عَوَز، أي: يَفتقر.

(٥٣) أي: في غير الصيغ التي جاءت في أصل الوضع على وزن «فاعِل» للدلالة على المنسوب، نحو: لابن وتامِر.

(٥٤) جميل بثينة: ديوانه ص ٩١؛ وسيبويه: الكتاب ١: ٢٩٩.

(٥٥) الآية ١٩ من سورة المائدة؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦: ٨١.

(٥٦) الآية ١ من سورة المائدة؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٤: ١٥٤.

ونَذيــر: فَعيل بمعنى مُفعِل: مُنذِر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة. والبَهيمة: كلّ مــا أبْهم من جهة نقص النُّطق والفَهم. فهي فَعيلة بمعنى مُفعلة: مُبهِمة، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة.

وفي الحديث القدسي في صفة الذّاكِرين: «هُمُ الجُلَساءُ لا يَشقَى بِهِم جَليسُهُم»(٥٧). فجَليس: فَعيل بمعنى مُفاعِل: مُجالِس، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة. وقال الرّاعي (٥٨):

* طاوَعــتُهُ، بَعدَما طالَ النَّجِيُّ بنا *

يُريد: المُناجاة. فالنَّجِيّ: فَعيل بمعنى مُفاعِل: مُناجٍ ، عُبِّر به عن معنى مصدره.

ومن أمثلة التوارد، على صيغ المبالغة، قوله تعالى: ﴿إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾(٥٩). فصَبّار: مبالغة اسم فاعل للفعل صَبَرَ يَصبِرُ، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة، أما شَكُور: فمبالغة اسم فاعل على بابها لأنها استُعملت صفة. وقال تعالى:﴿إنَّكَ أنتَ عَلامُ الغُيُوب﴾(٦٠). فعَلام: مبالغة اسم فاعل استُعملت بمعنى الصفة المشبهة لإضافتها إلى معمولها. وقال المغيرة بن حبناء (٦١):

أراكَ جَمَعــتَ مَســألةً، وحِرصًا وعِــندَ الحَــقِّ، زَحّــارًا، أُنانــا

---

(٥٧) البخاري ص ٢٣٥٤ تحت الرقم ٦٠٤٥.

(٥٨) الراعي النميري: شعر الراعي النميري وأخباره ص ٣٣؛ والمبرد: الكامل ص ٣٦٨- ٣٦٩.

(٥٩) الآية ٥ من سورة إبراهيم.

(٦٠) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٦١) سيبويه: الكــتاب ١: ٣٤٢؛ وابن منظور: لسان العرب (زحر). وأنانًا: صفة مشبهة باسم الفاعل للفعل: أنَّ يَئِنّ، عُبّر بها عن معنى مصدره.

أي: تَزحَرُ زَحِيرًا. والزَّحِير: الأنين من شِدّة أو وَجَع. فزَحّار: مبالغة اسم فاعل، عُبِّر بها عن معنى مصدرها.

وأكتفي بهذا القدر من الحديث عن الصِّيَغ النائبة عن اسم الفاعل وصيغ مبالغته، وعلاقتها بظاهِرة خروج المشتقات عن دلالتها الوضعية، للتعويض عن الإسهاب والتفصيل اللذَين سيطرا على جوّ الدراسة، لدى تناول المعاني الصرفية التي تتوارد على صيغ اسم الفاعل. وقد فرَضَت طبيعة البحث الإطالة في هذا الموضع، لأن اسم الفاعل هو المدخل إلى بقية المشتقات الوصفية، وهو النموذج الذي تتطابق مسائله مع أغلب مسائل أخواته من تلك المشتقات.

دخول المعاني الصرفية على صِيَغ اسم المفعول:

تدلّ صِيَغ اسم المفعول، كما سبق، على من وقع عليه الفعل حدوثًا لا ثُبوتًا. هذا في أصل الوضع، أما في الاستعمال فشأنه شأن اسم الفاعل، إذ يجيء في النصوص أحيانًا دالاً على غير معناه الوضعي. ومن أمثلة ذلك مجيئه للتعبير عن اسم الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَينَكَ وبَينَ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ حِجابًا مَستُورًا﴾ (٦٢) أي ساتِرًا، وقوله: ﴿ إنَّهُ كانَ وَعدُهُ مــأتِيًّا﴾(٦٣) أي آتِيًا، وقول أبي مِحجَن(٦٤) :

* وأَكشِفُ المأزِقَ المَكرُوبَ غُمّتُهُ *

أي: الكارِب.

(٦٢) الآية ٤٥ من سورة الإسراء؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٨٢٣.

(٦٣) الآية٦١ من سورة مريم؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٨٧٧؛ وأبو حيان: البحر المحيط٧: ٢٧٩.

(٦٤) العسكري، أبو هلال: ديوان أبي مِحجن الثقفي ص١٩. والمأزق: المضيق في الحرب. والمكروب: الشديد على النفس.

ويُستعمل اسم المفعول أيضًا بمعنى الصفة المشبهة، كما في قوله تعالى: ﴿والخَيلِ المُسَوَّمة﴾[٦٥] أي الحَسَنة. فالمُسَوَّمة: اسم مفعول للفعل: سُوِّمَ يُسَوَّمُ، عُبِّر به عن الصفة المشبهة للمبالغة. وهذا الاستعمال نادر كما سيظهر.

ويأتي اسم المفعول للتعبير عن اسم الذات، كما في قوله تعالى: ﴿تأمُرُونَ بالمَعرُوف وتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾[٦٦]. فالمَعرُوف: ما أقَرَّهُ الشَّرعُ. والمُنكَر: ما أنكَرَهُ وقَبَّحَهُ. فكل منهما اسم مفعول عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة.

ومن خروج المشتقات عن معانيها الوضعية مجيء الصيغ النائبة عن اسم المفعول أيضًا للتعبير عن اسم الذات كما في قوله تعالى: ﴿يا لَيتَني مُتُّ، قَبلَ هذا، وكُنتُ نسيًا مَنسيًّا﴾[٦٧]، وقوله:﴿فجَعَلْناها حَصيدًا كأنْ لَم تَغنَ بالأمسِ﴾[٦٨]، وقوله: ﴿ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ مِن سُلالة مِن طِين﴾[٦٩].

فالنِّسيُ: كلّ ما نُسِيَ مِن عَصاة أو أداة أو نحو ذلك، فهو فِعْل بمعنى مَفعُول: مَنسِيّ. والحَصِيد: الشَّيء المَحصُود، فهو فَعِيل بمعنى مَفعُول. والسُّلالة: الماء يُسَلُّ مِنَ الظَّهرِ سَلاًّ، فهي فُعالة بمعنى مَفعُولة: مَسلُولة مَسحُوبة. وهذه الصِّيغ عُبِّر بكل منها عن اسم الذات للمبالغة.

---

(٦٥) الآية ١٤ من سورة آل عمران؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤: ٣٢؛ والجلالان: تفسير الجلالين ص ٥٢؛ والتبريزي: شرح المعلقات العشر ص ١٤١.

(٦٦) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٦٧) الآية ٢٣ من سورة مريم؛ وابن مجاهد: السبعة في القراءات ص ٤٠٨؛ ومعمر بن المثنى: مجاز القرآن ٢: ٤.

(٦٨) الآية ٢٤ من سورة يونس؛ ومعمر بن المثنى: مجاز القرآن ١: ٢٧٧.

(٦٩)الآية ١٢من سورة المؤمنون؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٢: ١٠٢؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٧: ٥٤٤ .

وفي حديث الاغتسال: «ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رأسه ثَلاثَ غُرَف بيَدِه»[٧٠]، وفي الحديث أيضًا: «مَن قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فهُوَ بخَيرِ النَّظَرَين: إمّا أن يُودَى، وإمّا أن يُقادَ»[٧١]. فالغُرَف: جمع غُرفة، وهي مقدار ما يُغرَف بالكَفّ. فهي فُعْلة بمعنى مَفعُولة، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة. والقَتِيل: فَعِيل بمعنى مَفعُول، عُبِّر به عن اسم الذات.

وقال امرؤ القيس [٧٢]:

* ويُضحِي فَتِيتُ المِسك فَوقَ فِراشِها *

فالفَتِيت: دُقاق الشيء المَفتُوت. فهو فَعيل بمعنى مَفعُول، عُبِّر به عن اسم الذات. والفِراش: كلّ ما فُرِشَ ومُهِّدَ. فهو فِعال بمعنى مَفعُول: مَفرُوش، عُبِّر به عن اسم الذات. وقال عمرو بن كلثوم [٧٣]:

مَـتَى نَـنقُلْ، إلَـى قَـومٍ، رَحانا ... يَكُونُـوا، فِـي اللِّقـاءِ، لَها طَحِينا

فطَحِـين: فَعِيل بمعنى مَفعُول، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض في كلّ ذلك هو المبالغة.

ويُشار إلى أن دخول المعاني الصرفية على صيغ اسم الفاعل أكثر من دخولها على صيغ اسم المفعول. ويعود السبب إلى أن اسم الفاعل مرتبط بالفعل المبني للمعلوم، على حين أن اسم المفعول مبني على الفعل المبني للمجهول. وهذا يجعل اسم الفاعل أقرب إلى المصادر، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، لأنها كلها مبنية على أساس الحدث الذي عُلِم صاحبه، إلا نادرًا.

---

(٧٠) البخاري ص ١٠٠ تحت الرقم ٢٤٥؛ وابن حجر: فتح الباري ١: ٤٦٨– ٤٦٩.

(٧١) البخاري ص ٢٥٢٢ تحت الرقم ٦٤٨٦؛ وابن حجر: فتح الباري ١٢: ٢٥٥.

(٧٢) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٥٦.

(٧٣)التبريزي: شرح المعلقات ص ٢٦٤.

دخول المعاني الصرفية على صيغ الصِّفة المشبّهة:

الصفة المشبهة وُضِعَت في الأصل للدلالة على ثبوت نسبة الحدث الذي تَتَضَمَّنه إلى موصوفها. ولكنها قد تجيء في الاستعمال مُعَبِّرة عن غير معناها الوضعي، كما هو شأن أخواتها من المشتقات الوصفية. والذي يُلاحَظ على صيغ الصفة المشبهة أنها لم تُستعمَل بمعنى اسم الفاعل أو المفعول. وذلك لأن صِيَغها موضوعة للدلالة على الثُّبوت، فإذا فقدت هذا المعنى لم يُؤمَن اللَّبس، خصوصًا أن أغلب صِيَغها تشترك وصِيَغ المبالغة، والصيغ النائبة عن اسم الفاعل والمفعول. يُضاف إلى ذلك أن الصِّيَغ النائبة عن اسمي الفاعل والمفعول، إضافة إلى صِيَغهما وصِيَغ المبالغة، كثيرة ومتنوِّعة وخفيفة، فلا حاجة للاعتماد على صِيَغ الصفة المشبهة للدلالة على اسمي الفاعل والمفعول.

إن هذا يعني أن الصفة المشبهة ينحصر مجيئها، على غير معناها الوضعي، بدلالتها على اسم الذات والمصدر. ومن أمثلة مجيئها للتعبير عن اسم الذات قوله تعالى: ﴿ولا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّب﴾(٧٤)، وقوله: (وما آمَنَ مَعَهُ إلا قَليلٌ)(٧٥)، وقوله:﴿وألفَيا سَيِّدَها لَدَى الباب﴾(٧٦)، وقوله: ﴿ويَدرَؤُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئةَ﴾(٧٧). فالخَبِيث والطَّيِّب والقَلِيل والسَّيِّد والحَسَنة والسَّيِّئة: كلها صفات مشبهة عُبِّر بها عن أسماء ذوات للمبالغة.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغيرُ عَلَى الكَبِير ، والمارُّ عَلَى القاعد، والقَليلُ عَلَى الكَثير»(٧٨). فالصَّغِير و الكَبِير والقَلِيل والكَثِير: صفات مشبهة عُبِّر بها عن

(٧٤) الآية ٢ من سورة النساء.

(٧٥) الآية ٤٠ من سورة هود.

(٧٦) الآية ٢٥ من سورة يوسف.

(٧٧) الآية ٢٢ من سورة الرعد؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٩: ٢٧٠.

(٧٨) البخاري ص ٢٣٠١ تحت الرقم ٥٨٧٧.

أسماء الذوات للمبالغة. وقال أبو محجن(٧٩):

ولَستُ إِلَى الصَّهباءِ، ما عِشتُ، ولا تابِعًا قَولَ السَّفيهِ، المُعاندِ

فالصَّهباء والسَّفيه: كلتاهما صفة مشبهة عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة.

ومن مجيء الصفة المشبهة بمعنى المصدر قوله تعالى: ﴿كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، ونَذكُرَكَ كَثِيرًا﴾(٨٠). فكَثِيرًا الأولى معناها: تَسبِيحًا كَثِيرًا، والثانية معناها ذكرًا كَثِيرًا. وتُعربان مفعولاً مطلقًا لدلالتهما على معنى المصدر. ومثل ذلك قوله ﷺ: «لَو تَعلَمُونَ ما أعلَمُ لَضَحِكتُم قَلِيلاً، وبَكَيتُم كَثِيرًا»(٨١).

وتجيء الصفة المشبهة بمعنى الظرف في مثل ما ذكره سيبويه بقوله: «ومِمّا يُختار فيه أن يكون ظرفًا، ويقبح أن يكون غير ذلك، صفة الأحيان، تقول: سِيرَ عَلَيه طَوِيلاً، وسِيرَ عَلَيه حَدِيثًا، وسِيرَ عَلَيه كَثِيرًا، وسِيرَ عَلَيه قَدِيمًا. وإنما نُصب صفةُ الأحيان على الظرف، و لم يَجُز الرفع، لأن الصفة لا تقع مواقع الاسم»(٨٢). ويَقصِد بقوله: «الصفة لا تقع مواقع الاسم» أن كل صفة قُيِّدت بالزمان لا تصلح أن يُوصَف بها ذو الجُثّة من الأسماء. ولذلك لا يصح أن تقوم مقامه وتدل عليه. أما المصادر فيصح وصفها بالصفات المقيَّدة بالزمان، لأن المصدر قوي الشبه بالزمان (٨٣). فطَوِيلاً وحَدِيثًا وكَثِيرًا وقَدِيمًا: صفات مشبهة، عُبِّر بها عن معنى

---

(٧٩) العسكري، أبو هلال: ديوان أبي مِحجن الثقفي ص٣٦. والصَّهباء: الخَمرة المُتخذة من العنب الأبيض.

(٨٠)الآيتان ٣٣ و ٣٤ من سورة طه؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٨٩٠.

(٨١) البخاري ص ٢٣٧٩ تحت الرقم ٦١٢٠.

(٨٢) سيبويه: الكتاب ١: ٢٢٧.

(٨٣) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٤١٠ و٤٩١ و٥٢٢؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٩: ٤٩٢.

الظرف الزماني. وهو اسم جنس معنوي جامد.

وأخيرًا تجيء الصفة المشبهة بمعنى اسم التفضيل، في نحو قوله تعالى: ﴿قالَ كَبِيرُهُم﴾ (٨٤) أي: أكبَرُهُم. ومثل هذا نادر في الكلام، لأن الغالب هو خلاف هذا، وهو مجيء اسم التفضيل بمعنى الصفة المشبهة. وذلك لأن اسم التفضيل أقوى من الصفة من حيث الوصف، إذ يتضَمَّن معناها إضافة إلى معنى التفوق.

دخــول المعــاني الصرفيــة على صيغــة اسم التفضيــل:

يدل اسم التفضيل، كما مرَّ، على أن موصوفه قد تفوَّق في انتسابه إلى معناه على ما يُشاركه ذلك المعنى. فهناك مشارَكة بين اثنين في معناه، أحدهما تفوَّق على الآخر. هذا في أصل الوضع، أما في الاستعمال فقد تجيء صيغة اسم التفضيل مُرادًا بها غير معناها الوضعي. ومن أمثلة ذلك مجيئه بمعنى اسم الفاعل، قوله تعالى: ﴿وربُّكَ أعلَمُ بِالمُفسِدِينَ﴾(٨٥) أي عالِم. فأعلَم: اسم تفضيل عُبِّر به عن اسم الفاعل للمبالغة. ولا يجوز حملُه على بابه، لأنه جاء نكِرةً غير مُضاف، ولا مقرُونًا بحرف الجرّ «من». وقال الفرزدق (٨٦):

فقُلتُ: صَدَقْتُم، يا مَنافَ بنَ فائِشٍ، وفِــي فائِشٍ أنتُــم أدَقُّ، وأســفَلُ

أي: دَقِيقُونَ وسافِلُونَ.

ومن خروج اسم التفضيل عن معناه الوضعي مجيئه بمعنى اسم المفعول، كقول العرب: «جَرَى لَهُ طائِرٌ أشأمُ»(٨٧) أي: مَشؤُوم. فأشأم: اسم تفضيل، عُبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة. ويندر مجيء اسم التفضيل بمعنى اسم المفعول،

---

(٨٤) الآية ٨٠ من سورة يوسف؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٩: ٢١١.

(٨٥) الآية ٤٠ من سورة يونس.

(٨٦) الفرزدق: ديوانه ٢: ٩٧. والفائش: المفتخر بما ليس عنده.

(٨٧) ابن فارس: الصاحبي ص ٢٥٧؛ والثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ص ٣٧٨.

لأنه مبنيّ على الفعل المعلوم الفاعل، على حين أن اسم المفعول مبنيّ على فعل مجهول الفاعل.

ويكثر مجيء اسم التفضيل بمعنى الصفة المشبهة، كما في قوله تعالى: ﴿وهُوَ أهوَنُ عَلَيهِ﴾ [٨٨] أي: هَيِّن، وذلك لأن الله – عزّ وجلّ – لا يكون شيء أهوَن عليه من شيء آخر. فأهوَن: اسم تفضيل عُبِّر به عن معنى الصفة المشبهة للمبالغة. وكل اسم تفضيل استُعمل نكرةً، مجرَّدًا من «مِن» والإضافة، حُمِل على معنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة. وقد جعل المُبَرِّد هذا الاستعمال قياسيًّا، في حين أجازه غيره من النحاة [٨٩].

والسبب في كثرة مجيء اسم التفضيل، بمعنى اسم الفاعل والصفة المشبهة، يرجع إلى أنه مبنيّ على حدث معلوم الفاعل، وهما كذلك، إضافة إلى أنه يَتضَمَّن معناهما مزيدًا عليه معنى التفوُّق. وقد تقدَّم أن مجيء البناء، للدلالة على غير معناه الوضعي، يكون لغرض المبالغة وتوكيد قوة الوصف. ولهذا كان استعمال صيغة التفضيل، للتعبير عن اسم الفاعل والصفة المشبهة، أدعى إلى المبالغة وأقوى وقعًا في النفس، مما لو استُعملت صيَغهما للتعبير عن معناهما.

ومن أمثلة مجيء اسم التفضيل بمعنى الصفة المشبهة قول الفرزدق[٩٠]:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا   بَيتًا، دَعائِمُهُ أعَزُّ وأطوَلُ

أي: عَزِيزة وطَوِيلة. وقال متَمِّم بن نُوَيرة[٩١]:

(٨٨) الآية ٢٧ من سورة الروم؛ وابن الحاجب:الكافية في النحو ٢: ٢١٧؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٠.

(٨٩) المبرد: الكامل ص ٨٧٧؛ وابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١١٤٣.

(٩٠) الفرزدق: ديوانه ٢: ١٥٥؛ والمبرد: الكامل ص ٨٧٧.

(٩١) الخطيب التبريزي، أبو زكرياء يحيى بن علي: شرح اختيارات المفضل ص ٢٧١.

وَلَقَــدْ غُبِطْــتُ، بِما أُلاقِي، حِقبةً ... وَلَقَــدْ يَمُــرُّ عَلَــيَّ يَــومٌ، أشنَعُ

أي: شَنيع. وقال عمر بن أبي ربيعة(٩٢):

فأقبَلَــتا، فارتاعَــتا، ثُـــمَّ قالَتا: ... أَقِلِّــي عَلَيكِ اللَّومَ، فالخَطبُ أيسَرُ

أي: يَسير.

وجاء اسم التفضيل بمعنى المصدر، كما في قول زهير (٩٣):

فتُنــتِجْ لَكُــم غِلمانَ أشأمَ، كُلُّهُم ... كأحمَــرِ عــادٍ، ثُمَّ تُرضِعْ، فتَفطِمِ

أي: غلمان شُؤم. وجاء بمعنى الظرف، كما في قول تميم بن مقبل(٩٤):

هَــلِ الدَّهــرُ إلا تارتــان: فتارةٌ ... أمُوتُ، وأُخرَى أبتَغِي العَيشَ أكدَحُ

يُــرِيد: وتــارةٌ أبتَغِي العَيش. وأُخرَى: مؤنّث آخَر. وهو في الأصل اسم تفضــيل لفعل مُهمَل، لكنه خسر معنى التفضيل بالكليّة (٩٥) ولم يعُد مستَعمَلاً مع «مِــن» أو الإضــافة، بل يُستعمَل مجرَّدًا منهما وهو نكرة، أو مُعرَّفًا بأل مُطابقًا مَوصُــوفه في التعريف والتَّنكير. واستُعمل اسم التفضيل بمعنى الظرف المكاني، في مثل قوله تعالى: ﴿والرَّكبُ أسفَلَ منكُم﴾ (٩٦).

ويكــثر مجيء اسم التفضيل للتعبير عن اسم الذات، كما هو الشأن في المشــتقات الوصــفية الأخرى. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وكُلاً وَعَدَ اللهُ

(٩٢) عمر بن أبي ربيعة: ديوانه ١: ٢٤٩؛ والمبرد: الكامل ص ٧٩٨.

(٩٣) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ١٤٩. وعاد: المُراد بهم ثمود قوم صالح. وأحمَر: هو قدار عاقِر الناقة.

(٩٤)تميم بن مقبل: ديوانه. شرح مجيد طراد،دار الجيل، بيروت١٩٩٨.ص٢٤؛ والمبرد، محمد بن يزيد:المقتضب .١: ١٣٨.

(٩٥) ابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ٢١٩.

(٩٦) الآية ٤٢ من سورة الأنفال؛ وسيبويه: الكتاب ٣: ٢٨٩.

الحُسنَى﴾ [٩٧]، الحُسنَى: الجَنّة باتّفاق، وقوله: ﴿الوَصِيَّةُ لِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ بِالمَعرُوفِ﴾ [٩٨]. فالحُسنَى: مؤنّث الأحسَن، اسم تفضيل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة. والأقربُون: جمع أقرَب، اسم تفضيل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة.

وقال جرير[٩٩]:

إذا أرسَلتُ صاعِقةً عَلَيهِم رأوا أُخرَى تَحَرَّقُ، فاستَدامُوا

فأُخرَى: تعني صاعِقة مُغايِرة. فهي اسم تفضيل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة. وقال الحُطَيئة[١٠٠]:

حَتَّى إذا ما الصُّبحُ شَقَّ عَمُودَهُ وعَلاهُ أسطَعُ، لا يُرَدُّ، مُنِيرُ

فأسطَع: اسم تفضيل بمعنى اسم الفاعل: السّاطِع للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وهو الضَّوء المُنتَشِر السّاطِع. وقال عمرو بن كلثوم[١٠١]:

* بِهِم نِلنا تُراثَ الأكرَمِينا *

الأكرَمُون: جمع أكرم. وهو اسم تفضيل عُبِّر به عن اسم الذات للمبالغة.

* * * * *

كانت تلك أهم صُوَر خروج المشتقات الوصفيّة عن معانيها الوضعية عند استعمالها في التراكيب، حيث تبين أن المشتقات قد يُستعمل أحدها بمعنى الآخر، وقد تجيء بمعنى المصادر، والأكثر أنها تستعمل للدلالة على أسماء الذوات.

وهذه الاستعمالات منها ما هو قياسي، ومنها ما يندرج تحت السماع.

(٩٧) الآية ٩٥ من سورة النساء؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٤: ٣٨.

(٩٨) الآية ١٨٠ من سورة البقرة؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٢: ١٦٤.

(٩٩) ابن حبيب: ديوان جرير ص ٢٨١؛ والمبرد: الكامل ص ١٥٥.

(١٠٠) ابن السكيت: ديوان الحطيئة ص ١٤٧.

(١٠١) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٢٧٥.

فمن القياس مجيء المشتقات الوصفية للتعبير عن أسماء الذوات، ومجيء اسم التفضيل بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة، على نحو ما ظهر في مواضعه سابقًا، ومنه استعمال الصفة المشبهة بمعنى المصدر في المواضع التي تقوم فيها مقامه، فتُعربُ مفعولاً مطلقًا، ومجيء كلّ من اسمي الفاعل والمفعول بمعنى الصفة المشبهة عندما يُضاف كلّ منهما إلى معموله. والغرض من هذه الاستعمالات القياسية هو المبالغة وتوكيدها.

ومن السماع مجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، ومجيئه ومبالغته بمعنى المصدر، واستعمال بعض أسماء الفاعلين في موضع بعض، واستعمال اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، ومجيء أسماء المفاعيل بعضها في موضع بعض، واستعمال اسم التفضيل بمعنى المصدر واسم المفعول. وكل ذلك ظهر في مواضعه من البحث.

ويُشار إلى أن مثل هذه الاستعمالات السماعية ينبغي أن تظلّ محصورة في حيّز السماع، وألا يُتَوَسَّع فيها، لكيلا يؤدي ذلك إلى اختلاط الوظائف الصرفية للأسماء، وحصول الاضطراب في الاستعمالات اللغوية للألفاظ، في التراكيب التعبيرية.

المصـــادر والمراجـــع

- الأســـتراباذي، رضـــي الدين:**شرح شافية ابن الحاجب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥ .
- **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ .
- الأشموني، أبو الحسن: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٥٥.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**. تحقيق:الدكتور مصطفى البغا، مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦ .
- تميم بن مقبل: **ديوانه**. شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت١٩٩٨.
- الثعالبي، أبو منصور: **فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار الفكر، دون تاريخ .
- الجرجاني، عبد القاهر: **المفتاح في الصرف** . تحقيق : الدكتور علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧ .
- الجرجاني، علي بن محمد: **كتاب التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٨ .
- الجلالان، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي: **تفسير الجلالين**. دار خدمات القرآن، دمشق، دون تاريخ.
- جميل بثينة: **ديوانه**. تحقيق وشرح: الدكتور حسين نصّار، ط٢، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦٧ .
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ .
- ابن حبيب، محمد: **ديوان جرير**. تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ .
- ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري** . ط٣، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٠ .

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **البحر المحيط في التفسير**. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.
- الخطيب التبريزي، أبو زكرياء يحيى بن علي: **شرح اختيارات المفضل**. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ .
- **شرح المعلقات العشر** تحقيق: الدكتور فخر الدِّين قباوة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.
- الراعي النميري: **شعر الراعي النميري وأخباره**. جمعه وعلّق عليه: ناصر الحاني، المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق ١٩٦٤ .
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: **الكشـــاف**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨ .
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: **مفتاح العلـــوم** . ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- السكري: **ديوان كعب بن زهير** . ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠.

العسكري، أبو هلال: **ديوان أبي مِحجن الثقفي**. قدم له: الدكتور صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين : **التبيان في إعراب القـــرآن**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧ .
- عمر بن أبي ربيعة: **ديوانه** . تقديم وشرح: قدري مايو، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** .تحقيق: مصطفى الشُّويمي، مؤسسة أ – بدران، بيروت ١٩٦٣ .
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: **معاني القرآن**. ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣.
- قباوة، الدكتور فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨ .
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**. راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات**. تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: **شرح الكافية الشافية**. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢ .
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**. تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧ .
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى: **السبعة في القراءات**. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
- المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**. نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.
- معمر بن المثنى، أبو عبد الله: **مجاز القرآن**. تحقيق وتعليق: الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون تاريخ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري: **لسان العرب**. ط١، دار صادر، بيروت١٩٩٢.
- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف الأنصاري: **الجامع الصغير في النحو**. تحقيق: الدكتور أحمد محمود الهرميل، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠.
- **شرح شذور الذهب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لم تُذكر دار النشر وتاريخه.
- **شرح قطر الندى وبل الصدى**. تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٩٢.
- **مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة**: الجزء الأول، لعام ١٩٣٤.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم التاسع والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

حَشقيقل**

حشقيقل ٣: ٣٣٥

ورد هذا الاسم في أقرباذين القانون حيث بين ابن سينا المفردات التي تدخل في تركيب دواء يدعى الكلكلانج الأكبر فقال في آخرها: «ووجدنا في بعض النسخ هذه الأدوية أيضًا هشقيقل وهو حشقيقل و ...».

ذكر البيروني هذا العقّار في كتاب الصيدنة في بابي الحاء والهاء فقال: «حسفيفل، ويقال بالحاء وبالهاء (صهار بخت) هو دواء هندي مثل قشر الباقلاء يشبه جوفه الكبيكج» وذكره ابن جزله في المنهاج واكتفى فيه بالقول

(*) نُشرت الأقسام الثامنة والعشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ٦٤٣، ٨٧٣).

** الصيدنة ١٥٧ (حسفيفل)، ٣٧٦ (هسفيفل)، ومنهاج البيان ٢٧٣ (هسفنقل ويقال حسعنعل)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٧٩ز (كلكلانج)، ومعجم أسماء النبات ١٣٥ (١٧). وتاج العروس (شقل). وانظر (شقاقل).

«هسفيقل ويقال حسعنعل وهو حار» وورد أيضًا برسم مشابه في تركيب مالايسع الطبيب جهله.

كتب هذا اللفظ بأشكال كثيرة مختلفة مشتبهة، ويظهر منها اضطراب النساخ وحيرتهم في أمرها إلا الحرف الأول الذي نُصّ على أنه يكون حاء ويكون هاء. والذي أظنه أن رسم هذا الاسم كما ورد في كتاب صهاربخت الذي نقل عنه البيروني. ولعل المراد به الشقاقل وهو المعروف علميًا باسم Pastinaca، sckokakal . وانظر مادة شقاقل التي ستلي بإذن الله. ضبطت اللفظة في معجم أسماء النبات كما يلي (حِشقيقُل).

حشيش*

حشيش، حشيشة، حشائش حشيشات ١: ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٢١، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٩٦، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٦٨/ ٢: ٢٥٦، ٢٨٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٥٣٩/ ٣: ١١٥، ١١٩، ١٥٤، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٦٦

حشيشة اندرياس	انظر اندرياس
حشيش الجاوشير	انظر جاوشير
حشيش خصى الثعلب	انظر خصى الثعلب

* **كتاب النبات ١: ١٣٠، والمخصص ١٠: ٢٠٢، ٢١٠، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٨٠، والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس (حشش)، ومحيط المحيط ١٧٠، والمعجم الوسيط، وصحاح المرعشلي (حشش).**

حشائش ذات سوق	١: ٢٥٥
حشيش السنبل	انظر (سنبل)
حشائش شائكة	١: ٤٦٨
حشيش الشبرم	انظر (شبرم)
حشيش الصعتر	انظر (سعتر)
حشيش الغار	انظر (غار)
حشيش الغافت انظر (غافت)	
حشيش الكمون البري	انظر (كمون)
حشيش الماهنودانة	انظر (ماهودانه)
حشائش مبردة مرطبة	٣: ٦٢
حشائش محلِّلة ملطفة	٢: ١٤٨
حشائش مسخِّنة	٢: ٨٨
حشائش ملطِّفة منقية مع قبض وتخفيف	٢: ٢٦٠
حشائش يتومية	١: ٣٠٢

أكثر ما تكرر هذا المصطلح في كتاب الأدوية المفردة، عند بيان ماهية العقارات النباتية،كقوله مثلاً في آلوسن هي حشيشة تشبه الترمس، وفي البابونج حشيشة ذات ألوان .. وفي بوحا حشيشة تنبت مع البيش، وكقوله حشائش ذات سوق أو حشائش شاكة .. الخ. فواضح أن مراده من هذا المصطلح ما يقابل الشجر من النبات أي هو مرادف لكلمة العشب.

وقد يستخدمه استخداماً آخر كمثل قوله: حشيشة الشعير تنفع من كذا .. حشيش الكمون البري .. إذا طبخ حشيش خصى الثعلب مع كذا وكذا نفع من.. الخ. فمراده في هذه المواضع النبتة خلا ثمرها أوحبّها أو جذرها مما اشتهر استعماله عقاراً. وقد أحلت كل حشيش قرن باسم نباته إلى الموضع الذي

يقتضيه ذلك الاسم. أما ما كان اسم الحشيش جزءًا لازمًا من اسمه وعلمًا عليه فقد أوردته مدخلاً مستقلاً بعد هذه المادة بحسب مايقتضيه ترتيب حروفه.

مابينته آنفًا هو اصطلاح ابن سينا واصطلاح كثيرين غيره ممن صنف في العقاقير. أما الاصطلاح اللغوي فقد حدّه أبو حنيفة في كتاب النبات بقوله «الحشيش يبيس العشب، ولا يقال للرطب حشيش، وقد حش العشب يحِش إذا جفّ، وكذلك غيره .. فأما حش يحُش فهو إذا جزّ الحشيش..» ثم نقلت معجمات اللغة كلام أبي حنيفة هذا فقصرت اسم الحشيش على مايبس من الكلأ. لكن ابن سيده نقل رأيًا آخر حيث قال:[1] «فأما حصد الحشيش فهو الاحتشاش وذلك من اليبيس خاصة، وقدقيل إن الحشيش الأخضر. والأعرف أنه اليابس لأن موضوع الكلمة اليُبس. والواحدة منه حشيشة» وبالنتيجة نرى أن اصطلاح ابن سينا الأول يشمل المعنيين اللذين ذكرهما ابن سيده إذ لا يفرق بين رطب ويابس وهو موافق لاصطلاح عامة أهل الشام الذين يستعملون الحشيش بمعنى الكلأ.

حشيشة الأورام*

حشيشة الأورام ٣: ١١٥

ورد هذا الاسم مرة واحدة في القانون، وذلك في أثناء كلام ابن سينا على معالجة الأورام، إذ بين أن من الأدوية القوية النافعة جدًا في الابتداء حشيشة تدعى حشيشة الأورام، ولم يصفها.

(١) المخصص ١٠: ٢١٠.

* الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١: ١٥٦ (امذريان)، ومالا يسع الطبيب جهله ١٧٨ (حشيشة الأورام)، ٥٧ (امذربان)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٥٥، ومعجم أسماء النبات ٥٣ (٢٠).

شرح ابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله المراد بهذا الاسم فقال: «حشيشة الأورام هي الأمدريان المذكورة في باب الألف بعدها ميم فاعرفه».

ووصف ابن البيطار امذريان بقوله «ينبت كثيراً بظاهر البيت المقدس وفي البيت المقدس نفسه داخل الحرم، ورأيته أيضًا بالمقابر التي بباب شرقي بمدينة دمشق كثيراً، وينبت منه شيء في ثغر الاسكندرية أيضاً، إذا نظر إليه الإنسان توهم أنه شجر الكَبَر لشبهه به حتى يمعن النظر فيه» ثم نقل عن حبيش وأبي العباس النباتي بعض فوائدها، وأهمها نفعها الأكيد من الأورام ظاهرها وباطنها، ونفعها من لَسْع العقارب ولدْغ الحيات.

من الأسماء الأخرى لهذه الحشيشة: دمع أيوب، وشجرة التسبيح وغيرهما. والاسم العلمي لنباتها هو Coix lachryma.

حشيشة البرغوث*

حشيشة البرغوث ٣: ٢٤٠

ورد هذا الاسم في كتاب القانون مرة واحدة أثناء كلام ابن سينا على مايطرد البراغيث حيث قال: «... ويهربن من ريح الكبريت وورق الدفلى. وههنا حشيشة معروفة بكيكوانه أي حشيشة البرغوث، إذا جعل في الفراش أسكرها وأخدرها فلم تعش».

لم أجد في المراجع زيادة على ماقال ابن سينا في وصف هذا النبات، فابن الحشاء يقول في كيكوانه «نبات لا يعرف بالمغرب». والأنطاكي يقول: «كيك راشه: حشيشة البراغيث» أما ابن الكتبي فقال: «كيك واشا اسم فارسي

* مفيد العلوم ٦٥ (كيكوانه)، ومالايسع الطبيب جهله ٥٢٧ (كيك واشا)، ومعجم أسماء النبات ٢٦ (١)، ١٤٣ (٤)، والتذكرة ١: ٢٥٦ (كيك راشه).

لحشيشة البراغيث، وهي حشيشة إذا جعلت في الفراش أخدرت البراغيث. ولم أجدها. وقيل إنها توجد كثيراً بالشام وبلاد العجم».

فإذا بحثنا في معجمات النبات الحديثة وجدنا اسم حشيشة البراغيث بإزاء نوعين مختلفين من النبات، الأول هو المعروف علميًا باسم Athamanta cretensis وهو بزر الجزر البري، وحبه يسمى بالشام قُمَيلة، وببيت المقدس وماوالاها حشيشة البراغيث لأنها تقتل البراغيث أو تسكرها. كذا وجدت في معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى. ولعل هذا النبات هو المراد في كتاب القانون. والنوع الآخر هو - وَفْقَ معجم أسماء النبات أيضاً - نبات البزرقطونا واسمه العلمي Plantago psyllium وليس هو المراد في قانون ابن سينا.

حشيشة الزُّجَاج*

حشيشة الزجاج	١: ٣٢١
عصارتها	١: ٣٢١
ورقها	١: ٣٢١

ذكرها ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فعرفها بقوله «هذه حشيشة يجلى بها الزجاج» ثم ذكر خواصها وأفعالها، وأهمها أنها قابضة تسكّن وتزيل البواسير، وعصارتها تنفع من السعال المزمن.

* كتاب ديسقوريدس ٣٤١ (القسيني)، والحاوي ٢٠: ٤٩، والصيدنة ١٥٩، والمختارات ٢: ٩١، ومنهاج البيان ٩٠ أ، ومفردات ابن البيطار ٢: ٢١، والشامل ١٩٠، والمعتمد ٩٦، ومالايسع الطبيب جهله ١٧٧، وحديقة الأزهار ١٢٢ (١٣٠)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١١٨، ومعجم أحمد عيسى ١٣٤ (١٤).

وجدت وصف هذه الحشيشة في كتاب ديسقوريدس الذي قال: «القسيني، ومن الناس من سماه فرتانيون ومنهم من سماه .. وهو نبات ينبت في السياجات والحيطان، وله قضبان دقاق لونها إلى الحمرة وورق شبيهٌ بورق النبات الذي يقال له لينوتسطس عليه زغب، وعلى القضبان شيء شبيه بورق النبات الذي يقال له لينوتسطس عليه زغب، وعلى القضبان شيء شبيه بالبزر خشن يتعلق بالثياب والورق، وله قوة مُبرِّدة قابضة، ولذلك إذا تضمد به أبرأ الحمرة والبواسير .. وإذا تُحسي من العصارة مقدار .. نفع من السعال المزمن..».

نقلت أكثر المراجع الأخرى هذه التحلية، وزاد بعضهم عليها منافع أخرى ذكرها جالينوس لهذه الحشيشة. وسبب تسميتها حشيشة الزجاج أنه يجلى بها الزجاج كما أخبرنا ابن سينا. ونقل لنا الغافقي طريقة جليه بها حيث قال(١): «وإنما سميت بهذا الاسم لأن آنية الزجاج إذا اتسخت تجلى بها. وذلك بأن تقطّع وتُلقى فيها وتحرك مع الماء فيها فتجلوها بخشونتها وتنقيها» ومن الأسماء التي عرف بها هذا النبات عشبة البرطال في المغرب، والحبيقة عن عامتهم، وحشيشة الرمل في فلسطين ... والاسم العلمي له هو Pa-riertaria eretica

حَصَاة*

الحصاة	٢: ٥٠٤
حصاة الإسفنج	انظر (اسفنج)

(١) في مفردات ابن البيطار ٢: ٢٢.

* المعجم الطبي الموحّد ٤٢٣، ومعجمات اللغة (حصي). وانظر مادة (حجر المثانة) التي سبقت في معجمنا هذا.

الحصى الموجود في جوف الخطاف انظر (خطاف)

يريد ابن سينا بقوله الحصاة تلك التي تتكون في الكلية حيث قال فيما ينفع منها: «وقد ذكر قوم أن الحصاة نفسها تخرج الحصاة وأيضًا ذرق الحمام.. الخ».

تَكَوُّن الحصاة في جهاز البول وغيره مرض معروف. وتختلف أسماء الحصاة علميًا باختلاف الموضع الذي تتكون فيه، فحصاة الكلية مثلاً اسمها Nephrolith.

الحصى في معجمات اللغة العربية «صغار الحجارة. قال ابن شميل الحصي: ماحذفتَ به حذفًا، وهو ما كان مثل بعر الغنم. الواحدة حصاة جمعها حَصَيات بالتحريك كبقرة وبقرات، وحُصِيّ بالضم والكسر معًا مع كسر الضاد وتشديد الياء.. مثل دواة ودويّ..».

حِصْرِم*

حِصْرِم ١: ١٧٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢٣، ٤٣٢/ ٢: ٢٢، ٣٧، ٧٥، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٥، ٢٧٠، ٣٦٣، ٤٤٠، ٤٧٠، ٥٢٨، ٥٣١/ ٣: ٧٠، ٣٧٢.

* كتاب النبات ١: ١٣١، والحاوي ٢٠: ٣٠٠، والملكي ١: ٢٠٨/ ٢: ٥٩١ (رب الحصرم) ١: ١٩٥ (حصرمية)، والصيدنة ١٥٩، ومنهاج البيان ٩٠ أ (حصرم، حصرمية)، ١٣١أ (رب الحصرم)، ٢٤٢ب (ماء الحصرم) والمختارات ١: ٢٤٠ (حصرمية)، والجامع لمفردات الأدوية ٢: ٢٢، والمعتمد ٩٧، والشامل ١٩١، ومالايسع ١٧٨ وتركيه ٣٥ أ (حصرمية)، وتذكرة الأنطاكي ١: ١١٨، وقاموس الأطباء ٢: ٧٢، ومعجم أسماء النبات ١٩٠ (٦)، ومعجمات اللغة (حصرم). وانظر مواد (زبيب) و (عنب) و (كرم).

لم يتخذ ابن سينا الحصرم مدخلاً في كتاب الأدوية المفردة، ولم يذكره

أثناء كلامه على العنب والكرم، إنما تكرر ذكره في المعالجات دواء قابضاً نافعاً من أوجاع المعدة وغيرها. والحصرم معروف يراد به في القانون العنب الفجّ.

قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «الحصرم غض العنب مادام أخضر، وهو بمنزلة بلح النخل، الواحدة حصرمة». وفي معجمات اللغة أن الحصرم هو الثمرة قبل النضج عامة، وهو أول العنب خاصة. وقد وردت اللفظة في القانون بالمعنى الخاص فقط. وأكثر ابن سينا من المداواة بربه وعصيره ومائه وشرابه الذي ذكر ثلاث نسخ لصنعه.

أما الحصرمية فهي صنف من طبيخ يحمض بماء الحصرم، ولم يذكر ابن سينا طريقة طبخها. أما ابن جزلة فذكر في المنهاج أن «صنعتها أن يقطع اللحم السمين والدجاج على مفاصله ويلقى في القدر ويعرق بالأبازير التي منها الكسفرة والكمون لمن أراده، والأجود أن تكون بماء الحصرم العتيق العذب، فإن كان الحصرم حديثاً ألقي في إناء وعصر باليد فهو أولى من طبخه، ثم يلقى عليه يسير ملح وطاقات نعنع وصعتر ويترك ساعة ليأخذ طعم ذلك ويصفو، ثم يلقى على الثجير ماء ويمرس ويصفى وتلقى صفوته على اللحم مع شيرج .. ويغلى.. الخ».

ضبطت لفظة الحصرم كزبرج أي بكسر الحاء والراء.

حُضَض*

حضض ١: ١٥٥، ٢٣٠، ٣١٠، **٣١٢**، ٣١٣،

*** كتاب ديسقوريدس ٩٤ (لوقيون)، والحاوي ٢٠: ٣١٥ (حضض)، ٣١٨ (حضض هندي)، والملكي ٢: ١٢٣، ومفاتيح العلوم ١٧٠، والصيدنة ١٥٩، ومنهاج البيان ٩٠ب، والمختارات ٢: ٨٨، وشرح زسماء العقار ١٨ (١٤٨)، والجامع لمفردات الأدوية: ٢: ٢٣، ومفيد العلوم٣٥، والمعتمد ٩٧، والشامل ١٩٣، ومالايسع ١٧٩، وحديقة الأزهار ١٢٥ (١٣٣) وتذكرة الأنطاكي ١: ١١٩، ومعجم أسماء النبات ١١٢ (١٥)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٠٢، والقاموس واللسان والتاج (حضض) ومحيط المحيط ١٧٥. وانظر (في فيلزهرج).**

٣٢٧، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٦/ ٢:
٣٤، ١١٩، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٥،
١٥٨، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٣٦، ٤٤١،
٥٨٨، ٥٩١، ٦٠٣، ٦٠٧، ٦٢٠، ٦٢٣،
٦٢٤، ٦٢٨/ ٣: ١٣٠، ١٣٤، ٢١٩، ٢٥٢.
٢٧٤، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣١٦، ٣٥٩، ٣٦٠،
٣٦١، ٣٨٨، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٠

حضض أعرابي ١: ٤٨

حضض هندي ١: ٣١٢، ٣١٣/ ٢: ١٢٣، ١٦٤، ١٦٥/
٣: ٤٣٦

حضض مكي ١: ٣١٢

ثمرة الحضض ١: ٣١٢، ٣١٣

ثمرة الحضض الطري ١: ٣١٣

دهن الحضض ٢: ١٠٠

شجرة الحضض ١: ٢٦٥، ٣١٢، ٤٠٨

عصارة الحضض ١: ٣١٢

ورق الحضض ١: ٣١٢

ورق الحضض المكي ٢: ٦٠٧

ذكر ابن سينا الحضض في كتاب الأدوية المفردة فقال فيه: «الأغلب في الظن أن الهندي عصارة الفيلزهرج، ويغش غشًا يذهب على المهرة وذلك بعصارة الزرشك .. وأما المكي فهو شيء مصنوع. قال ديسقوريدس: هو من شجرة متشوكة لها أغصان طولها ثلاثة أذرع أو أكثر، وله ثمر شبيه بالفلفل

ملزّز مرّ المذاق[١] أملس، وقشرها أصفر، ولها أصول كثيرة، وينبت في الأماكن الوعرة وقد تخرج عصارة الحضض إذا دق الورق كما هو مع الشجرة، أو نقع أيامًا كثيرة وقد طبخ وأخرج من التطبيخ وأعيد ثانية على النار حتى يثخن، وقد يغش بعكر الزيت يخلط في طبخه أو بعصارة الأفسنتين أبو بمرارة بقر. وقد يكون أيضًا من عصارة ثمرة الحضض بأن يشمس ويعصر. والجيد من الحضض ما التهب بالنار .. الاختيار: الهندي أقوى من المكي في أمر الشعر.. يحمر الشعر ويقويه.. ينفع القروح الخبيثة ..الخ».

بعد العودة إلى المراجع يتبين للباحث أن مصطلح الحضض كان يطلق على عدة أدوية منها مايعرف باسم الحضض المكي أو الحضض العربي، وهو دواء مصنوع نقلت معجمات اللغة عن الخليل أنه دواء يتخذ من أبوال الإبل وهناك طريقة أخرى بينها البيروني في الصيدنة حيث قال: «قيل في عمل المكي منه رطل دبس وأوقية صبر ونصف أوقية مرّ ونصف أوقية عروق ونصف درهم زعفران يسحق ويخلط بالدبس ويطبخ ينعقد ويجعل في جراب»

ومنها مايعرف باسم الحضض الهندي وهو عصارة الشجرة التي تعرف باسم لوقيون باليونانية وفيلزهرج بالفارسية، ويتخذ الحضض الهندي من عصارة ثمرتها أو من عصارة ورقها. ونقل البيروني عن كتاب شرك الهندي أن الحضض الهندي يصنع من خشب الزرشك، وقد يغش بأشياء أخرى أيضًا..

الاسم العلمي الذي يطلق على شجرة الحضض هو Lycium afrum ، ومن أسمائها في المراجع العربية العَوْسج والخَوْلان، والعصارة كحل خولان.

---

(١) في المطبوع «من النات» ولا معنى لها هنا. الصواب الذي أثبته من مقالات ديسقوريدس وجامع ابن البيطار.

وجاء في مفيد العلوم «حضض هو عصارة مجلوبة تسمى كحل خولان، وشجرها موجود بالمغرب ويسمى آرغيس بالبربرية».

ضبط الحضض في معجمات اللغة العربية كزُفَر وعُنُق، وفيه لغات أخرى.

حقنة *

الحقنة	١: ٢٠٤
حقنة انتناوس	٣: ٤٣٦
حُقَن أرزية	انظر (أرز)
حُقَن أشنانية	انظر (أشنان)
حقنة ايرساء	انظر (ايرساء)
حقنة تخرج البلغم اللزج	٢: ٤٦١
حقنة تربدية	انظر (تربد)
حقنة جيدة مما ألْفَناه	٢: ٤٣٨
حقنة زرنيخية	انظر (زرنيخ)
حقنة لانظير لها إذا كان ثفل عاص ..	٢: ٤٦١
حقنة ماء السويق	انظر (سويق)
حقنة نافعة مسكنة	٢: ٤٦١

الحقنة شكل من أشكال الأدوية تكرر ذكره في القانون. وقال ابن سينا فيها: «هي معالجة فاضلة في نفض الفضول عن الأمعاء وتسكين أوجاع الكلى والمثانة وأورامها، ومن أمراض القولنج، وفي جذب الفضول عن الأعضاء

---

* الملكي ٢٦٢، ومفاتيح العلوم ١٧٨، واقرباذين القلانسي ٥٥، ومنهاج البيان ٩٠ ومابعدها، ومالايسع الطبيب جهله (الأدوية المركبة) ٣٥ب. ولسان العرب وتاج العروس (حقن)، ومحيط المحيط ١٨٣.

الرئيسية العالية. إلا أن الحادة منها تضعف الكبد وتورث الحمى. والحقن يستعان بها في نفض البقايا التي تخلفها الاستفراغات»، وفي أثناء كلامه على معالجات القولنج عقد فصلاً للكلام في كيفية الحقن وآلاته[١] فكان مما قاله: «أما أنبوبة المحقنة فأجود شكل ذكر لها الأوائل أن تكون الأنبوبة قد قسم دائرتها بثلث وثلثين وجعل بينهما حجاب من الجسد المتخذ منه الأنبوبة[٢]... فإذا أردت أن تحقن.. امسح الأنبوبة والمقعدة بالقيروطي وادفعها فيها دفعًا لا يوافي محبسًا من الأمعاء بل لايجاوز المعي المستقيم...الخ». وباستعراض الكلام في المواضع التي ذكرت فيها الحقن نجد أن ابن سينا يطلق اسم الحقنة على الأداة وعلى الدواء الذي يدفع بوساطتها إلى داخل الجسم.

واصطلاح ابن سينا هو بعينه اصطلاح عامة الأطباء، جاء في مفاتيح العلوم: الحُقَن واحدتها حقنة، وقد احتقن إذا تعالج بالحقنة في دبره. وفي أقرباذين القلانسي: الحقن مياه مطبوخة مع الأدوية والأدهان ومايجري مجراها تصب في المقعدة. أما ابن الكتبي فأضاف «وقد يحقن الرجال في أدبارهم والنساء في فروجهن - لأعراض تعرض - وفي أدبارهن. ولاينبغي أن يزيد في قدر الحقنة. أعني الماء الذي يدخل - عن ثلث رطل إلى ثلثي رطل».

أصل معنى الحَقْن في اللغة العربية هو الحبس. جاء في لسان العرب «حقن الشيءَ يحقُنه ويحقِنه حقنًا فهو محقون وحقين حبسه.. وأحقَن بوله إذا حبسه. واحتقن المريض احتبس بوله. وفي الحديث: لا رأي لحاقب ولا حاقن. فالحاقن في البول، والحاقب في الغائط.. والحقنة دواء يحقن به المريض المحتقن. واحتقن المريض بالحقنة..» وواضح مما نقلناه سابقًا من كلام الأطباء أن

(١) القانون ٢: ٤٦٣.

(٢) في القانون تفصيل دقيق لشكل الحقنة وطريقة عملها وجدت من الأليق أن ينقل في معجم لأدوات الطب لا في معجم للعقاقير والأدوية.

اصْطلاحهم في معنى الحقنة يعني كل دواء سائل يحقن في مقعدة المريض ـ أو في فرج المريضة ـ لإخراج مافي جوف الإنسان من فضلات ضارة ولإدخال تأثير الدواء إلى عمق الجسم. وفي محيط المحيط نقل البستاني عن كتب الطب حكاية تبين أن أول من استخدم الحقن هو الطبيب اليوناني جالينوس، أخذ فكرتها من اللقلق إذ رآه واقفًا على صخرة يتملل كأن به وجعًا ثم جعل يأخذ بمنقاره من ماء البحر ويحتقن به، وبعد قليل ذرق ذلك الماء ونفض جناحيه وطار، فذهب جالينوس وأخذ جرابًا وجعل له أنبوبة وملأه من ماء البحر وحقن به مريضًا يعاني من سدة فانفجرت سدته وشفي.

حُكَاكة

حكاكة الأسرب	انظر (اسرب)
حكاكة أصل القصب	انظر (قصب)
حكاكة حجر الرحى	انظر (حجر الرحى)
حكاكة الحجر اللبني	انظر (حجر لبني)
حكاكة حجر المِسَنّ	انظر (حجر المسن)
حكاكة الخزف	انظر (خزف)
حكاكة خشب الخلاف	انظر (خلاف)
حكاكة عروق شجر الخلاف	انظر (خلاف)
حكاكة شجر الزعرور	انظر (زعرور)
حكاكة الفادزهر	انظر (بادزهر)
حكاكة اللوز	انظر (لوز)
حكاكة الهليلج	انظر (هليلج)

حكَّ الشيءَ أو على الشيء يحكّه حكًّا أَمَرَّه عليه دلكًا وصكًّا وقشره وكشطه، كذا في معجمات اللغة. فالحكاكة هي ماتساقط بسبب الحك. وقد أورد ابن سينا في القانون عددًا من الحُكَاكات التي يُتَداوى بها، ألحقت كلاً منها باسم العقار الذي حُكّت منه.

حل

حل ١: **٣٢١**. [٣٦١، ٤٥٣ تصحيف صوابه خل حسب المخطوطات] / ٢: ٢٥٣، ٢٥٤/ ٣: ٣٩٧ [مختصر دهن الحل]

ورد هذا الاسم في فصل الحاء من كتاب الأدوية المفردة في القانون وكل ماجاء فيه: «حل. الماهية: قال بعضهم هو الجلّنار الخوزي. آلات المفاصل: يضر بالعصب ويحدث التشنج»

كذا ورد الاسم باللام في آخره في القانون المطبوع ببولاق، وهو في المطبوع برومة حد بالدال في آخره. وفي المصورة رسمت الكلمة رسمًا مشتبهًا يُقرأ لامًا أو دالاً.

لم أجد هذا الاسم إلاّ في مختارات ابن هبل[1] الذي أورد كلام ابن سينا السابق حرفًا بحرف من غير زيادة أو نقصان. والاسم عنده بالدال في آخره. أما ماجاء في القانون في غير الأدوية المفردة بلفظ حل فهو مصحف من خل بالخاء المعجمة أو مختصر من دهن الحل الذي سيلي الكلام عليه في باب الدال.

---

(١) المختارات ٢: ٩٠.

حُلاَلة

حلالة من أسرب — انظر (أسرب)

حلالة السميذ — انظر (سميد)

هو فُعالة من الحَلّ للدلالة على ماينتج عنه. وأصل معنى الحل في اللغة حل ما كان معقوداً، ومنه الحل عند الأطباء والكيميائيين بمعنى إذابة الجامد أو تسييلُه بالحرارة مثلاً. جاء في اللسان: «حلَّ العقدة يحلُّها حَلاً فتحها ونقضها فانحلّت.. وكل جامد أُذيب فقد حلّ» وقد ألحقت كل حلالة باسم العقار الذي حُلَّت منه.

حُلْبَة•

حلبة — ١: ١٥٠، ٢٧٧، ٢٧٨، **٣٢٠**، ٣٤٦، ٤٠٧، ٤٤٨/ ٢: ٢٢، ١٠٠، ١١٦، ١١٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٨، ٢٠٤-٢١٢، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥٨، ٣٥٩،

• كتاب ديسقوريدس ١٨١ (طليس)، ٤٦ (صنعة طيلينو وهو دهن الحلبة)، وكتاب النبات ١: ١٠٦، والحاوي ٢٠: ٣٠٥، والملكي ١: ١٨٣/ ٢: ١١٠، والصيدنة ١٦٠، ومنهاج البيان ٩٠ب، ومختارات ابن هبل ١: ٢٣٢، ومفردات ابن البيطار ٢: ٢٥، والمعتمد ٩٩، والشامل ١٩٥، ومالايسع الطبيب جهله ١٨٠، ٢٤٦ (دهن الحلبة)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٤٧ أ (دهن الحلبة)، وحديقة الأزهار ١١٤ (١٢١)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٠، وقاموس الأطباء ١: ٢٧، ومعجم أسماء النبات ١٨٣ (٥)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٥٤، والمعجم الموحد ٧٦، ومعجمات اللغة قديمها وحديثها (حلب).

طبيخ الحلبة	١: ٣٢٠/ ٢: ١١٥، ١١٦، ١٧٩، ٥١١، ٥٧٤، ٥٩٩، ٦٠٣/ ٣: ٢٢٤، ٢٣١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٢
عصارة الحلبة	٢: ١٢٣، ٢٨١
لعاب الحلبة	١: ٣٢٠/ ٢: ٩٩، ١٣٢، ١٥٤، ٦٢١/ ٣: ١٣٥، ٢٠٥، ٢٨٠، ٤٠٥
ماء الحلبة	٢: ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٦١، ٣٣١، ٤٨٩، ٥٨١، ٥٨٣/ ٣: ٢٧٦، ٢٧٩
ماء الحلبة المطبوخ	١: ٤٣٩/ ٢: ٥٧٦/ ٣: ٤١٩
نقيع الحلبة	٢: ١٧٩
ورق الحلبة	٢: ٤٩٤، ٥٥١

الحلبة نبات معروف ذكره ابن سينا مدخلاً في كتاب الأدوية المفردة، فلم يصفها لشهرتها، بل بدأ بالكلام على طبعها فقال: حارة في آخر الأولى.. ثم ذكر أفعالها وخواصها، ومنها أنها تحلل الأورام وتنقي حزاز الرأس غسولاً، وتصفي الصوت، وتغذو الرئة، وتنفع مع النطرون للطُحال ضماداً.. الخ

ذكر أبو حنيفة الحلبة في كتاب النبات فقال: «الحلبة لها حب أصفر يسمى الحلبة يتعالج به، وينبِّت فيؤكل، وأخبرني بعض المشايخ أن عرب الشام يسمونها الفَريقة.. الخ» وفصّل مؤلف الشامل وصفها فقال: «الحلبة نبات معروف، وهو يطول قدر الذراع، أخضر الورق والساق والقضبان، وله على كل قضيب ثلاثة أوراق مستطيلة قليلاً أصغر من ورق القرظ، وساقه وقضبانه مستديرة، وبزره في قرون مستطيلة مضلَّعة تشبه القرون في شكلها، ولذلك يسمى هذا النبات قرون الثور وقرون العنز. وزهرة أبيض، وبزره بين الحمرة وبين الصفرة بقدر السمسم

لعابيّ يرضّ إذا مُضغ، وطعم هذا النبات تفه، وكذلك طعم بزره..الخ» وحين تذكر الحلبة مطلقة في كتب الطب فالمراد بها بزر النبات فقط لا جملته. ويُصنع من هذا الحب دهن يُتعالج به أورد ابن سينا في أقرباذين القانون نسخة منه.

الاسم العلمي لنبات الحلبة هو Trigonella foenum graecum وهو نبات عشبي من القرنيات الفراشية.

ضبطت الحلبة في كتب الطب وكتب اللغة بضم أولها وسكون اللام.

حليب*

حليب ١: **٣١٨**

ورد هذا الاسم في كتاب الأدوية المفردة في القانون، وكل ماجاء فيه هو : «حليب. الماهية: دواء هندي يشبه السورنجان الأبيض. الطبع: حاريابس في الثانية. آلات المفاصل: ينفع شربه من النقرس وأوجاع المفاصل جداً. أعضاء النفض: يسهل البلغم والخام والديدان وحب القرع[١] والأخلاط الغليظة»

وجدت في الحاوي للرازي عقاراً باسم حلب جاء فيه «قال ديسقوريدس إنه من المسهلات[٢]، وقال ابن ماسويه إنه يسهل فضولاً ويخرج حب القرع» أما ابن البيطار فنقل ماقاله ابن سينا حرفًا بحرفٍ بعد أن ضبط الاسم بقوله: «حليب

---

* الحاوي ٢٠: ٣٢٦ (حلب)، والمختارات ٢: ٩٠، والجامع ٢: ٢٦، والشامل ٢١٤.

(١) أي الدودة الوحيدة.

(٢) جاء في حاشية التحقيق أن هذه العبارة غير موجودة في بعض النسخ المخطوطة. وأنا أرجح أنها زائدة على الأصل نقلت مما جاء في كتاب ديسقوريدس عن الحلبوب.

بباءين منقوطتين كل منهما بواحدة من أسفلها بينهما ياء منقوطة باثنتين ساكنة. ابن سينا: دواء هندي.. الخ »ولم يزد على ماجاء في القانون مما يدل على أنه لم يجدهذا الاسم في سائر كتب المفردات التي ضم محتوياتها في كتابه الجامع، وكذلك فعل مؤلف الشامل، وقبلهما قال ابن هبل في مختاراته: «حلبيب دواء غير معروف. قيل إنه دواء هندي يشبه السورنجان».

هذا العقار إذًا مجهول منذ القديم، ولا أستبعد أن يكون قد نشأ من تصحيف قديم لاسم مشابه لعله (حلبوب) الذي ذكرته كثير من كتب المفردات وهو نبات يسمى علميًا باسم Mercurialis annua وهو مما ذكر في كتاب ديسقوريدس على أنه من المسهلات ولم يرد في الحاوي ولا في القانون.

حِلْتِيت*

حلتيت ١: ١٨٥، ٢٣٧، ٢٥٣، **٣١٦**، ٣٤٣، ٣٧٠، ٤٠٨، ٤٥٤/ ٢: ٨٤، ٩٤، ١٠٠، ١٠٣، ١٣٣، ١٤٣، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٢٦، ٢٥٣، ٢٥٦، ٣٠٠، ٣١٤،

• كتاب ديسقوريدس ٢٧٦ (سيليفيون)، وكتاب النبات ١: ١٤٢، والملكي ٢: ١٢٥، ٥٤٦ (معجون الحلتيت)، ومفاتيح العلوم ١٧٢، والصيدنة ١٦٠، ومنهاج البيان ٩١أ، ٢٥٧ (معجون الحلتيت)، ومختارات ابن هبل ٢: ٨٩، ومفيد العلوم ٣٨، والجامع لابن البيطار ٢: ٢٧، والمعتمد ١٠٠، والشامل ١٩٨، ومالايسع الطبيب جهله ١٨١، وتركيب مالايسع ٣٢أ (معجون الحلتيت)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢١، ٢٩٣ (معجون الحلتيت)، وقاموس الأطباء ١: ٦٦، ومعجم أسماء النبات ٨٢ (٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٧١، والقاموس واللسان والتاج (حلت)، ومحيط المحيط ١٨٦. وانظر مادة (أنجدان).

نقل ابن سينا في مفرداته ماهية هذا العقار عن ديسقوريدس فقال: «قال ديسقوريدس في كتابه إن الحلتيت صمغ الأنجدان، وذلك بأن يُشرط أصل ساقه، ثم بعد الشرط يسيل منه الحلتيت، والحلتيت الذي يُجلب من أرض قورنيا[١] إذا ذاق منه اللسان فإنه على المكان يظهر في بدنه كله شيء يشبه الحصف. ورائحته ليست بكريهة، ولذلك مذاقه لايغيرّ النكهة تغييراً شديداً. ونوع آخر المعروف بسورية أي من الشام هو أضعف قوة من القورنيا. وكل أصنافه يغُش قبل أن يجف بسكبينج يخلط به أودقيق الباقلاء.. وبالجملة الحلتيت صنفان منتن، وطيب ليس بقوي الرائحة، وأسخنهما المنتن...» ثم ذكر فوائد هذا العقار، وأهمها النفع من أمراض الجلد ومن الأورام ومن آلام الأسنان.

وُصف الحلتيت في المراجع العربية نقلاً عن أبي حنيفة الذي قال: «لم يبلغني أنه ينبت ببلاد العرب، ولكنه ينبت في الرمل الذي بين بست وبين بلاد القيقان[٢]، وهو نبات يسلنطح ثم يخرج من وسطه قصبة تسمو، وفي رأسها كعبرة. والحلتيت صمغ يخرج في أصول وورق تلك القصبة. وأهل تلك البلاد يطبخون بقلة الحلتيت ويأكلونها، وليست مما يبقى على الشتاء..». وقد أسلفنا الكلام على الأنجدان الذي يؤخذ منه الحلتيت. والاسم العلمي لنبات الأنجدان هو Ferulassa foetidal.

تُركَّب من الحلتيت أدوية منها دواء الحلتيت بالزعفران الذي أورد ابن سينا نسخة منه في القانون، وهو ينفع في علاج انقطاع الصوت، ومعجون

(١) لعل المراد بها مادعي بعد الإسلام باسم القيروان.

(٢) هي بلاد قرب طبرستان. معجم البلدان.

الحلتيت النافع من الحمى، وهو معجون صنفه جالينوس، وبين ابن سينا صفته في أقرباذين القانون.

اسم الحلتيت معرَّب على الأغلب. قال أبو حنيفة «حلتيث اسم عربي أو معرَّب وبعضهم يقول حلتيت..» وجاء في لسان العرب عن الجوهري قوله: «ولا تقل حلتيث[١] بالثاء، وربما قالوا حِلِّيت بتشديد اللام». قلت: لم ترد اللفظة بالثاء في آخرها في القانون غير مرتين[٢].

حَلَزُون*

حلزون	١: **٣٢١**، ٤١٤/ ٢: ١٢٤، ١٥٣
حلزون محرق	١: ٣٢١ / ٢: ٢٨٣
حلزون مسحوق	٣: ١٧٤
رماد الحلزون	٣: ١٣٢
صدف الحلزون	٢: ١٩١
صديد الحلزون	١: ٤١٤
لحم الحلزون، لحوم الحلزونات	٢: ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩
لزوجة الحلزون ويسمى صديده	١: ٤١٥
مرق الحلزون	٢: ٥٥٢

ذكره ابن سينا في أدويته المفردة فقال: «حلزون. الماهية: هو من جملة

---

(١) في اللسان حلتيث الأولى بثلاث نقط والأخيرة باثنتين، وماأثبتُّه من التاج وغيره.

(٢) القانون ٢: ١٨٩/ ٣: ٢٢١.

* الحاوي ٢٠: ٣٠٠، والملكي ١: ١٩٦، ومفاتيح العلوم ١٦٨، والصيدنة ١٥٩، والمختارات ٢: ٩١، والجامع ٢: ٢٩، والمحمد ١٠١، والشامل ٢١٤، والتذكرة ١: ١٢٢، ومعجم الحيوان ٢٣١، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٥٦، ومعجمات اللغة (حلز). وانظر مواد (صدف) و (فوحيل) و (ودع).

الأصداف، الأفعال والخواص: يطفئ الدم. أعضاء العين: المحرق منه لقروح العين».

وفي المراجع الأخرى ذكرت منافع أكثر لهذا العقار وبخاصة المحرق منه نقلت عن ديسقوريدس وجالينوس وغيرهما من القدماء والمحدثين، جمع ابن سينا معظمها في كلامه على الصدف.

والحلزون حيوان رخوي معروف يعيش في صدف، وقد يسمى البزّاق. وإن غلب هذا الاسم الأخير على مالا صدف له. اسمه العلمي Helix ومن أسمائه العربية حِلِّزة.

جاء في لسان العرب: «حِلِّزة: دويبة معروفة. الأصمعي: حَلَزون: دابة تكون في الرِّمْث، جاء به في باب مَعَلُول وذكر معه الزَّرَجُون..».

حَلْفاء*

حلفاء ١: ٢٥٥/ ٣: ١٥٣

ليست الحلفاء في مفردات القانون، لكنها ذكرت فيه عرضًا أثناء الكلام على نوع من زبد البحر يكون لاصقًا بها، ومرة أخرى في تركيب بعض الأدوية.

الحلفاء نبات يعرفه العرب، وصفه أبو حنيفة بقوله «قال زياد من الأغلاث الحلفاء، وقلما تنبت إلا قريبًا من ماء أو بطن واد، وهي سَلِبة غليظة المس، لايكاد أحد يقبض عليها مخافة أن تقطع يده، وقد يأكل منها الغنم والإبل أكلاً قليلاً، وهي أحب شجرة إلى البقرة. الواحدة منها حلفاءة، والحلفاء غير البردي..». الاسم العلمي

---

* كتاب النبات ١: ١٢١، والصيدنة ١٦٢، ومختارات ابن هبل ٢: ٩٨، والجامع لابن البيطار ٢: ٢٦، والمعتمد ١٠٢، والشامل ٢١٤، ومالايسع الطبيب جهله ١٨١، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢١، ومعجم أسماء النبات ١٧٤ (١٩)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٥، ٦١٧، ومعجمات اللغة (حلف).

للحلفاء هو Stipa يطلق على جنس نبات عشبية من الفصيلة النجيلية .

اسم الحلفاء اسم عربي ، ضبط بالفتح، وقيل في واحدته حلفاءة وحِلْفه وحَلَفة.

حَلَم*

دم الحلم ١: ٢٩٥/ ٣: ٤٢٢

ورد في بعض معالجات القانون استخدام دم الحلم دواء، ولم يذكر الحلم في مفردات القانون.

وقد ذكرته بعض المراجع في مفرداتها فجاء فيها جميعًا أنه القراذ. ونُقلت أخبار كثيرة عن فائدة دمه في منع نبات الشعر الذي ينتف من الجفن. وقد كذّب جالينوس هذا الزعم. والقراد حشرة معروفة تَنْشَب في بجلد الشاة فتخترقه فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقًا، وله أنواع كثيرة.

جاء في اللسان: «الحَلَمة الصغيرة من القردان، وقيل الضخم منها .. والجمع حَلَم».

حَلْواء**

الحلواء اللزجة ٢: ٥٠٠

في الكلام على حصاة الكلية بيّن ابن سينا أن المادة التي تتكون منها الحصاة تنتج من بعض الأغذية الثقيلة فعدّ منها الحلواء اللزجة ولم يبين

* كتاب الحيوان ٥: ٤٣٥، ٤٣٩، والحاوي ٢٠: ٣٧٦، ومنهاج البيان ١١٣ب، والجامع ٢: ٣٠، والشامل ٢١٤، ومالايسع ١٨٤، وحياة الحيوان ١: ٢٠٦، والتذكرة ١: ١٢٢، ومعجمات اللغة (حلم). وانظر مادة (قراد).

** منهاج البيان ٩١ أ، والمختارات ١: ٢٤٦، ومعجمات اللغة (حلو).

ماصنعت منه.

في بعض كتب العقاقير كالمنهاج والمختارات وصف لبعض أنواع الحلواء يتبين منه أنها سكر وماء يعقد على النار ثم يعجن به اللوز المقشر المدقوق أو غيره بحيث تصبح لزجة شبه جافة. قال ابن جزلة في المنهاج «غير العَلِك منها سريع الانحدار صالح، والعلك عسر الهضم» فالحلواء هي مانسميه بتعبير العامة في عصرنا الحلاوة.

جاء في معجمات اللغة أن الحلواء كل ماعولج بحلو من الطعام يمد ويقصر، ويؤنث لاغير.. والحلواء أيضًا الفاكهة الحلوة. قلت: ليس هذا المعنى الأخير من اصطلاح الأطباء.

حليب

حليب	انظر (لبن)
حليب البزور	انظر (بزر)
حليب بزر القثد	انظر (قثد)
حليب بزر البقلة الحمقاء	انظر (بقلة حمقاء)
حليب بزر الهندبا	انظر (هندبا)
حليب الحبوب الباردة	انظر (حب)
حليب الحمقاء	انظر (بقلة حمقاء)
حليب القرطم	انظر (قرطم)
حليب اللبن	انظر (لبن)
حليب النخالة	انظر (نخالة)

الحليب معروف، وهو ما حلب من اللبن. وقيل: مالم يتغير طعمه. والمعنى الثاني هو المراد في القانون. واستعار بعضهم لفظ الحليب لشراب التمر.

يتوسع الأطباء والنباتيون في هذا اللفظ فيستعملونه للدلالة على ماينعصر من بعض العقاقير بعد نقعها في الماء، ومازال هذا الاصطلاح حيًا متداولاً، فمن المألوف حديثًا أن نستعمل كلمة استحلاب على العمل الذي يُحصل به على عصارة العقاقير المنقوعة. وقد ألحقت كل حليب باسم العقّار الأصل.

أصل معنى الحَلَب لغةً استخراج مافي الضرع من اللبن يكون في الشاء والإبل والبقر، والحلب بالتحريك اللبن المحلوب سمي بالمصدر، ونحوه كثير، والحليب كالحَلَب.

حمار*

حمار	١: **٣٢٤**
حمار غير وحشي	١: ٣٢٤
حمار وحشي، حمر وحشية	١: ٣٢٤/ ٢: ١٠٤
بول الأُتن	٢: ٥٠٩
بول الحمار، بول الحمير	١: ٢٧٩، ٣٢٥/ ٢: ١٧٠، ٣٢٣، ٣٩١
بول الحمار الوحشي	١: ٣٢٥
حافر حمار	١: ٣٢٥/ ٢: ١٨٩، ٥٧٥، ٥٨٥

• كتاب ديسقوريدس ١٤٠ (كبد الحمار)، ١٤١ (حوافر الحمير)، وكتاب الحيوان ١: ١٣٩، ١٥٤، ١٩٥، ٢٧٦/ ٤: ٧٤. ومنهاج البيان ٩٤أ، ١٣٥ب (روث الحمار الأهلي)، ١٦٣أ (شحم الحمار)، ٢١٨ (كبد الحمار)، ٢٢٩أ (لبن الأتن)، ٢٣١ب (لحم الأهلية)، ٢٤٧ب (مرارة الحمار الوحشي)، والمختارات ٢: ٩٤، والجامع ٢: ٣٥، والمعتمد ١٠٧، ومالايسع ١٨٨، وحياة الحيوان ١: ٢٠٦ (حمار أهلي)، ٢٢٠ (حمار وحشي)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٤، ومعجم الحيوان ٢١، ٩٨، ١٧٥، ٢٧٠، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٠، ومعجمات اللغة (حمر).

كبد الحمار	١: ٣٢٤، ٣٢٥/ ٢: ٥١٥
لبن الأتن، لبن الأتان، ألبانها	١: ١٠٣، ١٥٢، ١٧٨، ٢٤٨، ٢٨٢، ٢٩٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٨١/ ٢: ١١٨، ١٢٩، ١٧٩، ١٨١، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٥٥، ٢٥٨. ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٠١، ٣٣٢، ٣٥٩، ٣٧٦. ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٦٧، ٤٨٩، ٤٩٩، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢١. ٥٩٩/ ٣: ٦١، ٦٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٥٦، ٣٦٣، ٤٢٧.
لحوم الحمير	٣: ١٤٠
مرارة الحمار الوحشي	١: ٣٦٥
مرق الأتن	١: ٣٨١
مرقة لحم الحمار	١: ٣٢٤

الحمار مادة من مواد كتاب الأدوية المفردة من كتب القانون، قال ابن سينا فيها: «الماهية: وحشي وغير وحشي وهما معروفان.. رماد لحم الحمار وكبده مع الزيت على تشقيق البرد نافع جداً.. يبرئ الجذام.. كبده مشوية على الريق تنفع من الصرع .. قيل إن بوله نافع من وجع الكلى..

ذكرت معظم كتب المفردات الحمار بين عقاقيرها لأنه مما تداوى به الناس قديمًا حافره ولبن أتانه ولحمه وكبده.. الخ وهو حيوان معروف، منه أهلي داجن طويل الأذنين أصغر من الفرس اسمه العلمي Equus assinus do-

mesticus من فصيلة الخيليات تسميه العرب العَيْر أيضًا. ومنه وحشي مخطط الجلد تسميه العرب الفرا واسمه العلمي Equus hemippus. ولكل من الأهلي والوحشي أنواع فصل ذكرها في معجمات الحيوان.

يجمع لفظ الحمار على أحمِرة وحُمُر وحمير وحُمُور.. الأنثى أتان تجمع على أُتُن وقد يقال لها حمارة.

حُمَّاض*

حُمَّاض	١: **٣١٨**، ٣١٩/ ٢: ٢٥١، ٣٠٧/ ٣: ٤٢، ٢٩٣، ٢٩٨
حمّاض الأترج	انظر (أترج)
حمّاض بري	١: ٢٨٧، ٣١٨، ٣١٩/ ٢: ٤١٣
حماض تفه	١: ٣١٩
حماض حامض	١: ٣١٩
حماض مطبوخ	١: ٣١٩
حماض النارنج	انظر (نارنج)
أصول الحماض، أصل الحماض	١: ٣١٩/ ٢: ١٨٥، ٤٠٨/ ٣: ٢٩٨،

• كتاب ديسقوريدس ١٩٠ (لاباتون)، ١٩١ (بزر الحمض)، وكتاب النبات ١: ١١٥، والحاوي ٢٠: ٣٦٠، والملكي ١: ١٨٤، ٢: ١٠٦، ومفاتيح العلوم ١٦٧، والصيدنة ١٦٣، ومنهاج البيان ٩٣أ، ٩٣ب (حماضية)، وشرح أسماء العقّار ١٨ (١٥٠)، والمختارات ١: ٢٥٧/ ٢: ٩١، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٣٢، والمعتمد ١٠٥، والشامل ٢١٤، ومالايسع الطبيب جهله ١٨٦، وتركيب مالايسع ٣٩ب (حماضية)، وحديقة الأزهار ١١٩ (١٢٦) وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٣، وقاموس الأطباء ١: ٢٤٠، ومعجم أسماء النبات ١٣٢ (٣)، ١٥٨ (٩ - ٢٥)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٧٣، ٤٨٨، والمعجم الموحد ١٨٤، ومعجمات اللغة (حمض). وانظر (سلق بري).

الحماض من العقاقير النباتية في مفردات القانون، جاء فيه «الحماض.

الماهية: قال ديسقوريدس هذا النبات أصناف كثيرة؛ منه صنف ينبت في (١أرض دسمة، ورقه طوال حادة الرؤوس. وقد ينبت في البساتين، وهذا إذا طبخ كان طيب الطعم، ومنه صنف ينبت في١) الآجام وأوراقه صلبة محددة الأطراف يقال له اكسولاباثن(٢)، ومنه صنف بري ناعم شبيه بلسان الحمل، ومنه صنف ورقه كورق الصعتر، وقضبانه عليها بزر(٣) غير كبار حامض أحمر وحريف. ومنه صنف يسمى انقولويون وبعض الناس يسميه لعنون وهو أكبر من الذي ضفناه، ينبت أيضًا في الآجام، وقوته مثل قوة سائر أصناف الحماض التي ذكرناها. وقال بعضهم البري الذي يقال له السلق البري. وليس في البري كله حموضة كما يقال، بل لعل في بعضه، والبري أقوى من كل شيء..» ثم ستنتقل ابن سينا إلى ذكر فوائده ضمادًا للأورام وغيرها، ويزره أكلاً لجهاز الهضم..

الخماض مما وصفه أبو حنيفة في كتاب النبات حيث قال: «قال أبو زياد: من العشب الحُمّاض، وهو يطوال طولاً شديدًا، وله ورقة عريضة، وزهرة حمراء، فإذا دنا يبسه ابيضّت زهرته، والناس يأكلونه.. والحُمّاض ببلادنا من أرض الجبل كثير، وهو ضربان، أحدهما حامض عذب، والآخر فيه مرارة، وفي أصولهما جميعًا إذا نبتا حمرة وهي على صفة أبي زياد. وبرز الحماض

(١ - ١) ما بينهما ليس في كتاب ديسقوريدس المطبوع، ولا فيما نقله ابن البيطار عن ديسقوريدس.

(٢) صحفت اللفظة في القانون المطبوع فجعلت افسولابابن والصواب من كتاب ديسقوريدس وغيره كما أثبت oxylapathon.

(٣) في القانون المطبوع «وقضبان عليها بزره» والعبارة التي تصف الصنف الرابع والذي يليه مختلفة عما في كتاب ديسقوريدس والجامع لابن البيطار.

يُتداوى به، وكذلك بورقه. الشعراء تشبّه الزبَد إذا اختلط بالدم بثمر الحماض وذلك أنه يبدأ أحمر فيه شهبة، وثمره سنبل طوال شقر خشنة فإذا أدرك ابيضّ، فإذا فرك خرج منه حب أسود زلاّل مزوّى صغار.. والحماض ينبت في السهل والغلظ. وفي سائر المراجع طبية ولغوية تتكرر مثل هذه المعلومات عن الحماض. ومن أسمائه فيها البقلة الخراسانية والقطف والرمث وبالبربرية تاسمامت وباليونانية لاباثون.. الخ.

يتبين مما سبق أن اسم الحماض البري والحماض البستاني أطلق على عدة ضروب نباتية تعود إلى جنسين أحدهما غير حامض يدعى علمياً باسم Rum-ex patientia وهو بقل معمر من الفصيلة البطباطية. والآخر حامض يدعى علمًا باسم Oxalis acetosella، وهو جنس نباتات عشبية من الفصيلة الحماضية. لكل من هذين الجنسين أصناف برية وأخرى بستانية استعملت في الطب القديم.

وقد يراد بالحمّاض كا ما كان حامضًا. من ذلك حماض الأترج وحماض النارنج وقد فهرست كلاً منهما في موضع اسم العقار الأصل.

أما الحُمّاضية فهي طعام يستطاب بارداً يصنع من الدجاج وبعض الأفاوية تلقى عليها كمية من حمّاض الأترج. ولم يذكر ابن سينا طريقة صنع الحماضية بينما فعل هذا كل من ابن حزلة في منهاج البيان وابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله.

ضبط الحماض في معجمات اللغة بالضم والتشديد. جاء في تاج العروس «حماض كرمان عشبة جبلية من عشب الربيع..» ثم أتى بأوصاف لشتى أصناف الحماض كما وردت عند أبي حنيفة وابن جزلة وغيرهما.

(المقالات والآراء)

من نقاوة اللغة العربية

استبدال لفظ عربيّ أصيل مكان لفظ معرّب ومركّب ثقيل

د. عبد الكريم اليافي

تدعونا اللغة العربية إلى أن نقول «الخُنان» بدلاً من انفلونزا الطيور.

جاء في تاج العروس (خنن): «الخُنان كغراب داء يأخذ الطَّير في حلوقها، كما في الصِّحاح والمُحكَم...».

ويبدو أن للخُنان سلالة اجتاحت الإبل في زمن المنذر بن ماء السماء[1].

وجاء في التاج أيضًا (خنن): «الخُنان زُكام للإبل. وزمن الخُنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، وماتت الإبل منه. وهو معروف عند العرب، وقد ذكروه في أشعارهم، قال النابغة الجَعدي[2]:

فمَــن يحرصْ على كِبَري فإنِّي　　مــن الشُّــبان أيــامَ الخُــنانِ

قال الأصمعي: كان الخُنان داء يأخذ الإبل في مناخِرها، وتموت منه. فصار ذلك تاريخهم.

---

(١) المنذر بن ماء السماء توفي نحو ١٦ ق هـ = ٥٦٣م. وهو المنذر بن امرئ القيس الثالث ابن النعمان بن الأسود اللخميّ. وماء السماء أمّه. وهو ثالث المناذرة، ملوك الحيرة وما يليها من جهة العراق في الجاهلية. وهو باني قصر الزوراء في الحيرة.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ص (١٠٣). والنابغة الجعدي توفي نحو ٥٠ هـ = ٦٧٠م. وهو أبو ليلى، وفي اسمه اختلاف. والمشهور أنه حسان بن قيس بن عبد الله الجعدي العامري. وفد على النبي ﷺ فأسلم. وهو من المعمَّرين، تجاوز عمره مئة سنة.

والخُنان بالضّم داء يأخذ في الأنف... وخُنّ البعيْرُ فهو مخنون، أصابه الخُنان. وطائر مخنون كذلك».

جاء في ديوان النابغة الجعدي(٣):

فمــن يــكُ سائلاً عنّي فإنّي ... مــن الفتــيان في عــام الخُــنانِ

مضَــت مــئةٌ لعامَ ولدتُ فيه ... وعَشــر بعــد ذاكَ وحِجّــتانِ

فقد أبقت صروفُ الدّهر منّي ... كمــا أبقَــت من السّيف اليَماني

تَفلّــلَ وهــو مــأثورٌ جُــرازٌ ... إذا جُمِعَــت بقائمِــه الــيَدانِ

تَفلّل السيف: انكسر حدّه.

وجاء في «شرح أبيات مغني اللّبيب»، بعد أن أورد المؤلف جملة من أبيات النابغة الجعدي، مع اختلاف في بعض أبيات الشعر: قال الجواليقي في كتاب «لحن العامة»: الخُنان داء يأخذ الإبل في مناخرها. وهو في الإبل مثل الزكام في الناس. والخُنان أيضًا داء يأخذ الناس... والخُنان أيضًا داء يأخذ الطير في رؤوسها»(٤).

ولفظ الخُنان بتلك المعاني مذكور في أكثر كتب اللغة. والغريب أن أدباءنا وعلماءنا غفلوا عن هذه الكتب التي تحوي كنوزًا في مختلف الميادين. ومن هذه الميادين طبّ الحيوان والطّير.

هذا وتصبح المصطلحات على الوجه التالي:

عربي	انكليزي	فرنسي
الخُنان	Avianflu	Grippe Aviaire

(٣) شعر النابغة الجعدي، تحقيق: عبد العزيز رباح، ط١، دمشق ١٩٦٤، ص (١٦٠-١٦٢).

(٤) شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقّاق، ط١، دمشق ١٩٨٠، ج٧ ص (٢٥٥).

المدرسة الظاهرية بدمشق

(دار الكتب الظاهرية)

د. عــزة حسن

تمهيــد:

كان الجامع يقوم مقام المدرسة في العالم الإسلامي اقتداءً بالرسول ﷺ، لأن مسجده في المدينة المنورة كان المدرسة الأولى في الإسلام، علّم فيه أصحابه أمور دينهم. وظلّ المسجد كذلك بعد الرسول ﷺ في عهد خلفائه، حتى صارت المساجد بعد ذلك مدارس للعلم في كل العصور في تاريخ الإسلام. فيها كانت تقام الصلوات، وتعقد حلقات الدرس. وكان الشيوخ وصدور العلماء يتصدّرون للتدريس فيها، فيختلف إليهم طلبة العلم من كل حدب وصوب، ويجلسون في حلقات دروسهم لأخذ العلم منهم في مراكز الثقافة الكبرى، مثل المدينة المنورة والبصرة والكوفة وبغداد ودمشق والفسطاط في مصر، والقيروان في إفريقية وفاس في المغرب وغيرها من مراكز العلم المشهورة في الإسلام.

وظلّ أمر التعليم مرتبطًا بالمساجد إلى أواسط القرن الخامس من الهجرة حين أخذت الدولة في إنشاء المدارس خارج حدود المساجد، وصارت تشرف عليها بنفسها، وتعيّن لها الأساتذة المدرسين. وكان الوزير المشهور نظام الملك، وزير السلطان ملكشاه السلجوقي، أولَ من فكر بإنشاء مدرسة في العالم الإسلامي. فقد أمر ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنة (٤٥٧هـ) لتخريج الرجال الذين تحتاج إليهم الدولة في وظائفها المختلفة. وهكذا ظهرت في العالم الإسلامي مؤسسة ثقافية جديدة هي المدرسة بشكل هندسي جديد يختلف عن الجامع، ويصلح مع ذلك للتدريس والصلاة معًا. وقد أُحْدِثَتْ في المدرسة عناصر لم تكن موجودة في الجامع، لمنافع أخرى غير الصلاة والتدريس، مثل

وجود حجرات لسكن الأساتذة والطلبة. ثم صارت المدرسة بعد حين من الدهر تضم تُرْبة خاصة، عليها قُبَّة يدفن فيها منشئ المدرسة في أغلب الأحيان.

ولمّا استولى السلاجقة على بلاد الشام، وحكمها أتابكتهم أواخر القرن الخامس من الهجرة أدخلوا فكرة المدرسة الجديدة إلى هذه البلاد، فبُنيت في عهدهم عدة مدارس في دمشق مثل المدرسة الصادرية والبلخية والأمينية. وقد اشتهر نور الدين محمود بن زَنْكي خاصة، وهو آخر أتابكة السلاجقة في بلاد الشام بحبه للعمران، واجتهاده في بناء المدارس في شتّى أنحاء البلاد التي حكمها. ثم شهد القرن السادس من الهجرة الإكثار من بناء المدارس، وضروبٍ أخرى من المنشآت الثقافية والاجتماعية العامة، كالخانقاه والرِّباط والبيمارستان. وكانت الغاية من إنشاء المدارس واحدة، وهي التعليم ونشر الثقافة دائمًا. وقد اختلفت مع ذلك في نوع التعليم. فكانت هناك مدارس للقرآن، ومدارس للحديث النبوي، وأخرى جامعة بين القرآن والحديث، ومدارس لمذهب واحد من المذاهب الإسلامية، ومدارس لمذهبين منها أو ثلاثة مذاهب أو أربعة.

وقد توسع الملوك الأيوبيون بعد السلاجقة في عمارة المدارس، فانتشرت في كل أنحاء البلاد التي دخلت في حكمهم. والسبب في ذلك أن الأيوبيين ورثوا الحكم الفاطمي في مصر، ثم أخذوا بلاد الشام. فكان غرضهم من التوسع في عمارة المدارس هو القضاء على المذهب الفاطمي الشيعي، وتخريج الموظفين من القضاة والعلماء وكُتّاب الدواوين وغيرهم لخدمة الدين والدولة معًا. ولهذا كان عهد الأيوبيين عصر نهضة ثقافية جديدة في هذه البلاد. ومن أشهر المدارس التي شادها الأيوبيون المدرسة العادلية الكبرى بدمشق، بناها الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي. وكانت مقر مجمع اللغة العربية بدمشق إلى عهد قريب.

ثم جاء المماليك بعد الأيوبيين، وورثوا عنهم حكم بلاد الشام ومصر،

وساروا على خطاهم في عمارة المدارس وغيرها من المنشآت. ومن أشهر المدارس التي شادها المماليك المدرسة الظاهرية بدمشق، صِنو المدرسة العادلية فيها، وموضوع دراستنا هذه. وهي اليوم مبنى دار الكتب الوطنية الظاهرية.

وكان أصحاب هذه المدارس الذين بنوها من الملوك يَقِفُون عليها الأوقاف الواسعة، من الدور والبساتين والأراضي الزراعية وغيرها من العقارات، لتقوم بنفقة من يعيش فيها من الأساتذة وطلبة العلم، وما يحتاجون إليه من طعام وكساء ومرتبات، ولِيُنَفق منها على أثاث البناء وترميمه وإصلاحه.

وتزدهي دمشق مثل غيرها من حواضر العالم الإسلامي بكثير من المدارس والمنشآت الثقافية التي بنيت في العهود المذكورة. وقد كانت مدارس العلم ومراكزه الأخرى منتشرة في كل حي من أحياء المدينة من جوار الجامع الأموي في قلب المدينة إلى سفح جبل قاسيون وحدائق الغوطة وغيرها من الضواحي القريبة والبعيدة.

* * *

موقع المدرسة الظاهرية:

ذكرنا آنفًا أنه بدأت في بلاد الشام ومصر نهضة ثقافية، وازدهرت الحركة العلمية فيها بسبب استقلال الأيوبيين ثم المماليك من بعدهم بحكم هذه البلاد، وإنشائهم دولة قوية ورثت كثيرًا من مظاهر الحكم والحضارة عن بغداد. وقد كانت دمشق قلب هذه الدولة الذي ينبض بالحياة والثقافة وضروب العلم. فأقبل الملوك والأمراء وسراة الناس على تشييد المدارس وغيرها من المنشآت الثقافية العامة فيها كما بيَّنا في المقدمة.

وكان معظم هذه المباني الثقافية يقوم في المنطقة المحيطة بالجامع الأموي في قلب المدينة، ولاسيما في حي الكَلاَّسة الكائن في الجهة الشمالية من الجامع ممتدًا

من الغرب إلى الشرق وسط المدينة. وقد تجمع في هذا الحي وحده نحوُ عشرين معهدًا علميًّا، حتى صار بمثابة الحي الثقافي، أو المدينة الجامعية، لمدينة دمشق في القرون الوسطى الإسلامية. ومن أشهر المدارس التي بُنيت في هذا الحي:

١– المدرسة الصادرية: وهي أول مدرسة أنشئت في دمشق. بناها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله سنة (٤٩١هـ). وقد اندثرت ولم يبق منها شيء اليوم.

٢– مدرسة الكَلاّسة: بناها نور الدين محمود بن زَنْكي سنة (٥٥٥هـ). وسُمّيت بالكلاّسة لأنها أنشئت قرب مكان عمل الكلس عند الجامع الأمويّ، وقد اندثرت أيضًا.

٣– المدرسة العزيزية: بُنيت سنة (٥٩٢هـ)، ونُسبت إلى الملك العزيز بن صلاح الدين. وهي تضم تربة السلطان صلاح الدين. وقد تهدمت ولم يبق منها سوى التربة وأحد الأقواس الكبرى وبعض العناصر الجزئية.

٤– المدرسة الفاضلية: بناها القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي. واستمرّ نشاطها العلمي إلى القرن العاشر من الهجرة. وهي اليوم متهدمة تشاهد بقاياها خلف تربة صلاح الدين.

٥– المدرسة العادلية الكبرى: اشترك في بنائها الملك العادل نور الدين محمود والملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب. وتضم تربة هذا الملك الأخير المتوفى سنة (٦١٥هـ). وكانت مقر مجمع اللغة العربية بدمشق إلى عهد قريب.

٦– المدرسة الجقمقية: بناها الأمير سيف الدين جقمق سنة (٨٢٤هـ). وقد رمَّمتها المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق، وجعلت منها متحفًا للخط العربي.

وإذا أضفنا إلى هذه المعاهد الثقافية التُرَبَ العديدة الموجودة في هذا الحي التي كانت تُستخدم للتعليم أيضًا، وحلقات الدرس المختلفة التي كانت تعقد في أرجاء الجامع الأموي، أمكننا أن نقدر مدى ما كان يشيع في هذا الحي من حركة علمية مزدهرة، وكيف كان يعج بالأساتذة وطلبة العلم الذين كانوا يَفِدُون إليه من شتى أنحاء البلاد.

والمدرسة الظاهرية هي إحدى المدارس الكبرى الكائنة في هذا الحي الثقافي. تقع في الجهة الشمالية الغربية من الجامع الأموي عند تقاطع شارع الكلاّسة بشارع باب البريد وبمساواة البوابة الرومانية الواقعة على خطوات من باب الجامع الغربي.

ويحدّ المدرسة من الجنوب شارع الكلاّسة، ومن الغرب شارع باب البريد الذي يفصلها عن المدرسة العادلية الكبرى. ويلاصقها من الشمال حَمّام العَقيقي القديم الذي يُعرف الآن بحمّام الملك الظاهر، ويُجاورها من الشرق بيوت سكنية.

* * *

تاريخ المدرسة الظاهرية:

سُميّت المدرسة بالظاهرية باسم الملك الظاهر الذي دُفن فيها، وهو السلطان ركن الدين أبو الفتوح بَيْبَرْس البُنْدَقداري التركي، ملك مصر والشام، وهو أشهر سلاطين المماليك البحرية، وأول من وطّد ملكهم في بلاد الشام بعد زوال الدولة الأيوبية إثر دخول التتار دمشق أيام قائدهم هولاكو.

وأصل الملك الظاهر من أرض القِبْجاق في تركستان. أُخِذ صغيرًا وبِيع أسيرًا، فاشتراه الأمير علاء الدين آي تَكين البُنْدقداري، فقبض الملك الصالح نجم الدين الأيوبي على البندقداري، وأخذ ركن الدين بَيْبَرْس، فكان من جملة

مماليكه. ونشأ الظاهر شجاعًا ضاريًا، وشهد وقعة المنصورة التي انهزم فيها الصليبيون في مصر، ثم صار من قواد السلطان سيف الدين قُطُز، ثالث سلاطين المماليك، وأسهم معه في كسرة التتار في معركة عين جالوت في فلسطين سنة (٦٥٨هـ). وتَسَلَّم الحكم بعد مقتل السلطان قُطُز، وبويع سلطانًا على مصر والشام في السنة المذكورة[١]. فقضى على الفتن، وحارب الصليبيين، وفتح عددًا من البلاد واستخلصها من أيديهم، وأقرّ الأمن في البلاد طوال مدة حكمه الذي دام (١٧) عامًا. لذلك فهو يُعَدُّ المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية، وباني مجدها وعظمتها. وكان الملك الظاهر يحب الإصلاح والعمران، ويُكرم العلماء ويُقربهم ويأخذ بمشورتهم، فشيّد المدارس مثل غيره من السلاطين، وخلّد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة. وتوفي في المحرم سنة (٦٧٦هـ) بقصره الأبلق بدمشق، ودُفن في القلعة، ثم نُقل جثمانه ودُفن في تربته في المدرسة الظاهرية.

* * *

بُدئ ببناء المدرسة الظاهرية يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة (٦٧٦هـ) تجاه المدرسة العادلية الكبرى لتكون مدرسة وتربة للملك الظاهر في مكان دار قديمة تعرف بدار العَقيقي[٢]. ووضع أساس التربة خامس جمادى الآخرة من السنة نفسها كما وضع أساس المدرسة. وقد أمر بالبناء الملك السعيد بن الملك الظاهر الذي تولى السلطنة بعد أبيه، وجعلها على الحنفية والشافعية، وأقام فيها دار حديث، أي مدرسة خاصة لرواية الحديث النبوي وتدريسه.

إلا أنه اضطر إلى خلع نفسه سنة (٦٧٨هـ)، وبُويع أخوه سَلامش سلطانًا

---

(١) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص (٣٤٩- ٣٥٠).

(٢) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص (٣٤٩).

مكانه، وكان في السابعة من عمره، فخلعه أتابَكُه سيفِ الدين قَلاوون واستولى على الحكم، ولقب نفسه بالملك المنصور.

ولم يكن بناء المدرسة الظاهرية قد تمّ، فأمر السلطان قلاوون بإتمامها. وقد كُتب اسم البانيين في الكتابة المرقومة فوق الباب الرئيس، وجاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين[٣] المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة قان ابن السلطان الشهير الملك الظاهر المجاهد ركن الدين أبي الفتوح بَيْبَرْس الصالحي. أنشأها لدفن والده الشهير، ولحق به عن قريب، فاحتوى الضريح على ملكين ظاهر وسعيد. وأمر بإتمام عمارتها السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قَلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلّد الله سلطانه».

وفي يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنة (٦٧٧هـ) افتُتحت المدرسة الظاهرية، وأُلقي فيها أول درس، مع أنّ بناءها لم يكن قد كمل. وقد حضر درس الافتتاح الأمير آيدَمِير الظاهري نائب السلطنة بدمشق[٤]، وكان الدرس حافلاً حضره القضاة وخلق كثير. وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين الفارقي في الإيوان الشرقي، ومدرِّس الحنفيّة الشيخ القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز في الإيوان القِبْلي[٥].

وقد وُقِفَتْ على المدرسة الظاهرية أوقاف كثيرة من القرى والبساتين وغيرها من العقارات، كما هو مرقوم في الكتابة الظاهرة في أعلى الباب الخارجي. ونستدل من كثرة هذه الأوقاف على أنّ الظاهرية كانت تتمتع

(٣) يريد بالمدرستين المدرسة الظاهرية ودار الحديث الملحقة بها في الزاوية الجنوبية الشرقية.

(٤) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص (٣٥١).

(٥) المصدر نفسه.

بموارد وفيرة من المال تسدّ حاجة المدرسة والقائمين عليها وطلبة العلم الذين يعيشون فيها، وتوفر لهم الوقت، وتكفيهم مؤونة السعي في طلب العيش للانصراف إلى العلم والدرس. وقد مكّنت هذه الأوقاف ذات الريع الوفير المدرسة الظاهرية من خدمة العلم، وأداء رسالتها الثقافية خلال مدة طويلة من الزمن، امتدت خمسة قرون، من أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة. ونعرف ذلك من استعراض أسماء الشيوخ والأساتذة الذين درَّسوا فيها خلال هذه السنين الطويلة في كتب تراجم العلماء بدمشق(٦).

غير أن أوقاف الظاهرية قد أهملت في القرون المتأخرة، فخرب بعضها ودرس، ووضع بعض الطامعين أيديهم على ما تبقى منها. وتُركت المدرسة وحدها تواجه عواديَ الزمن، فأصابها الخراب وتداعت بعض أقسامها، ولاسيما القسم الشمالي الملاصق لحمّام العَقيقي. ويبدو أن الرطوبة الناشئة من الحمّام قد أثّرت في أجزاء هذا القسم وسهّلت تداعيها واندثارها، ولهذا تضاءل شأن المدرسة الظاهرية في القرن الثالث عشر من الهجرة حتى آل أمرها إلى كتّاب اقتصر شيوخها فيه على تعليم الصبية الصغار وإقرائهم القرآن الكريم، ففقدت مكانتها العالية، وأضاعت مجدها القديم. وهذا هو السبب في أن كتب تراجم العلماء للقرن الثالث عشر لم تذكر اسم شيخ واحد درّس في الظاهرية أو سمع فيها في هذا القرن(٧).

والظاهر أن تطور الحضارة وتغيّر أسس التربية والتعليم في هذا القرن، وهو يوافق القرن التاسع عشر للميلاد، هو السبب، إلى جانب خراب أوقافها

---

(٦) انظر مثلاً ابن العماد، شذرات الذهب ج٥ ص (٣٥٧، ٤٠٨، ٤٣١) والنعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص (٣٣، ٥٦، ١٣٥، ٣١١، ٣٥١).

(٧) مثل كتاب عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.

وضياعها، في إهمال المدرسة الظاهرية التي كانت تتبع النظم القديمة في التعليم لتدريس المذهبين الحنفي والشافعي ورواية الحديث النبوي.

* * *

ثم طرأ على الظاهرية طارئ أعادها إلى الحياة بوجه جديد في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد فقد انقلبت إلى مكتبة عامة تضم مجموعات من الكتب المخطوطة والمطبوعة من تراث العرب والإسلام، وتؤدي رسالتها الثقافية بروح جديدة. وحكاية ذلك أنه هبط دمشق في أواخر هذا القرن الوالي العثماني المشهور مدحة باشا، وكان ذكيًّا لامعًا، يحب الإصلاح والعمران، ويسعى في نشر العلم والمعرفة، فألّف من علماء البلد جمعية سمّيت بالجمعية الخيرية برئاسة الشيخ علاء الدين عابدين، ومن أعضائها علاّمة الشام الشيخ طاهر الجزائري، مفتش المعارف في ولاية سورية، وأسند إليها أمر العناية بالتعليم وإنشاء المدارس في البلاد[٨]. فأشارت الجمعية على الوالي مدحة باشا بجمع كنوز المخطوطات الموقوفة على مدارس دمشق، ووضعها في مكان واحد صونًا لها من التلف والضياع، بعد أن فُقد قسم كبير منها نتيجة السرقة والاختلاس، فكتب بذلك إلى السلطان عبد الحميد، وحصل منه على قرار بجمع المخطوطات في مكتبة عامة يكون مقرَّها في تربة الملك الظاهر لمتانتها ولياقتها لتلك الغاية[٩].

وعلى هذا جُمعت المخطوطات من عشر مدارس مختلفة في دمشق، ووُضعت في الظاهرية التي سمّيت بالمكتبة العمومية، وصنّفت الكتب فيها حسب موضوعات العلوم، وصُنع لها فهرس بأسماء الكتب، طُبع على غرار فهارس

(٨) ابن بدران، منادمة الأطلال ص (١١٩– ١٢٠).

(٩) ابن بدران، منادمة الأطلال ص (١٢٠– ١٢١).

المكتبات في إستانبول[١٠]. وافتُتحت المكتبة سنة ١٨٨١م في قبة الملك الظاهر التي صارت مقرًّا للكتب وقاعة للمطالعة في وقت واحد، ووُضعت تحت إشراف جماعة من العلماء باسم جمعية المكتبة العمومية. وسمّيت الظاهرية بدار الكتب العربية في عهد الحكومة العربية التي قامت في سورية سنة ١٩١٩م، ثم دُعيت بدار الكتب الوطنية الظاهرية. وقد تطورت واتسعت مع الزمن، وكثرت مقتنياتها من المخطوطات والمطبوعات النادرة حتى صارت إحدى أشهر دور الكتب في العالم العربي، وغدت موئل الباحثين والدارسين في عاصمة الأمويين.

هندسة المدرسة الظاهرية:

مهندس الظاهرية الذي أشرف على بنائها هو إبراهيم بن غانم كما يظهر في الكتابة المرقومة في الزاوية الشمالية في أعلى المدخل الرئيس للمدرسة، ونصها:

«عمل إبراهيم بن غانم». وقد سار هذا المهندس في بناء الظاهرية على تقاليد فن البناء الإسلامي العربي الماثلة في أبنية دمشق العامة ومدارسها المختلفة، ولاسيما بناء المدرسة العادلية الكبرى المقابلة للظاهرية، وهي من إنشاء الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخي صلاح الدين[١١]. وهي أقدم من الظاهرية.

ومن الواضح أن المهندس إبراهيم بن غانم قد سعى أن يجعل صرح الظاهرية شبيهًا بصرح العادلية وملائمًا له، وقد نجح في مسعاه كل النجاح، فجاء الصرحان متشابهين كأنهما آبدتانِ صِنْوانِ، يقفان وجهًا لوجه في قلب دمشق في روعة وجلال، ويغالبان عواديَ الزمن وأيدي الفناء، ويوحيان لرائيهما بالعظمة والصلابة والخلود.

ويؤلف مخطط بناء الظاهرية بمجموعه مع بناء دار الحديث التي كانت

(١٠) في الظاهرية نسخة من هذا الفهرس المطبوع في العهد العثماني.

(١١) ابن بدران، منادمة الأطلال ص (١٢٤).

قائمة في الزاوية الجنوبية الشرقية منها شكلَ مربع تقريبًا، في وسطه فناء مكشوف مستطيل الشكل، طوله ثمانية عشر مترًا وعرضه اثنا عشر مترًا. وتحيط بالفناء الأواوين الثلاثة، من كل جهة إيوان، ويُضاف إليها قوس المدخل الرئيسي، فتكون أربعة أواوين متقابلة على الطريقة المعروفة المتبعة في فن البناء الإسلامي العربي.

وجعل المهندس إبراهيم بن غانم للظاهرية جبهتين اثنتين، جبهة غربية على شارع باب البريد طولها اثنان وثلاثون مترًا، وأخرى جنوبية على شارع الكلاّسة تمتد إلى آخر تربة الملك الظاهر فحسب، وطولها ثلاثة عشر مترًا. والجبهة الغربية هي الرئيسة، وفي وسطها يقع المدخل الرئيس.

هذا هو المخطط الهندسي للمدرسة الظاهرية. فلننتقل الآن إلى وصف الأجزاء الباقية منها مبتدئين بالمدخل الرئيس.

المدخل الرئيس للبناء عريض، ويبلغ عرضه أربعة أمتار، وهو عال يشبه الإيوان، ارتفاعه عشرة أمتار، تعلوه نصف قبة داخلية، وعلى جانبيه دكتان مبنيتان بقطع كبيرة من الحجر المزّي الوردي اللون بارتفاع متر واحد تقريبًا.

وفي صدر المدخل على عمق مترين فتحة الباب الذي تعلوه خمسة سطور عريضة من الكتابات المرقومة بالخط النسخي المزهّر الجميل، ممتدة إلى جانبي المدخل، جاء في الأسطر العلوية منها ذكر أوقاف المدرسة، وفي السطرين السفليين تاريخ إنشاء المدرسة واسم الملك السعيد الذي أمر ببنائها، واسم السلطان سيف الدين قَلاوون الذي أمر بإكمال البناء. وقد ذكرنا نص هذه الكتابة في الفقرة السابقة.

وإلى يمين الداخل إلى فناء المدرسة تقع القبة العالية التي دُفن فيها الملك الظاهر وابنه الملك السعيد، وهي الجزء الرئيس من البناء، وأجمل ما فيه، بل هي

من أجمل المدافن الملكية التي شادها المسلمون، وتعد لذلك آية من آيات الفن الإسلامي. ترتفع قبتها العالية نحو ثلاثين مترًا، وهي أعلى قبة في دمشق بعد قبة النسر في الجامع الأموي.

يُصعَد إلى باب القبة بدرجتين. وحول هذا الباب الموجه إلى الشمال إطار مبني بالحجر الوردي اللون، وفيه زخارف من أشكال هندسية مؤلفة من خطوط متقاطعة. وفي أعلى الباب ثُبِّتت قطعة من الحجر الأبيض نُقش عليها أربعة أسطر جاء فيها ذكر أوقاف التربة، وفي أعلاها اللوحة التذكارية لتحويل المدرسة إلى مكتبة عامة. وقد وُضعت في عهد والي الشام حمدي باشا الذي جاء بعد عزل مدحة باشا عن الولاية(١٢).

وقاعة القبة مربعة الشكل رُفعت جدرانها على شكل أواوين متقابلة مسدودة، طول ضلعها ثلاثة عشر مترًا. وقد اتبع المهندس طريقة الحَطّات المضلّعة للتوصل إلى إقامة القبة المستديرة فوق الجدران الأربعة، وبذلك ضاقت المساحة المحصورة بين الأضلاع مرة أخرى، وزاد الاقتراب من شكل الدائرة. وفوق هذه الحطات رفعت القبة الشاهقة الواسعة.

وفي صدر القاعة بُني محراب على العادة المتبعة في المدافن الإسلامية الكبرى لإمكان إقامة الصلوات فيها. وهو مزخرف زخرفة رائعة، كما أن المكان كله حافل بالزينة والزخرف. وسنتكلم على ذلك في الفقرة التالية.

وقد تعمّد مهندس البناء الإكثار من فتح الكُوى والنوافذ في جميع الجهات في القبة ليوفر لها أكبر قدر من نور الشمس وأشعتها في جميع ساعات النهار، فجعل في كل جدار من الجدران في الجهات الثلاث نافذتين كبيرتين، ما عدا الجهة الشمالية التي فيها الباب، وجعل في الثلث الأعلى من كل جدار في

---

(١٢) ابن بدران، منادمة الأطلال ص (١٢١).

الجهات الأربع كُوّة مستديرة في الوسط بين النافذتين تمامًا، وجعل نافذتين اثنتين في كل ضلع من الأضلاع الأصلية الأربع في الحطة الأولى، فصار مجموع النوافذ في هذه الحطة ثماني نوافذ، وجعل نافذة واحدة في كل ضلع من أضلاع الحطة الثانية، ومجموعها ست عشرة نافذة. وبذلك استطاع المهندس أن يوفر للقاعة نورًا كافيًا في كل ساعات النهار كما قلنا، وأن يسمح لأشعة الشمس بالدخول إليها من مطلع الشمس إلى مغربها.

وفي وسط هذه القاعة تحت القبة العالية المشرقة دائمًا يرقد الملك الظاهر وإلى جانبه ابنه الملك السعيد تحت أطباق ضريحهما المنحوت من المرمر الأبيض. وكانت القاعة تُستخدم مقرًا للمخطوطات الموجودة في دار الكتب الظاهرية، وقد أُحيط ضريح الظاهر والسعيد بخزائن المخطوطات وكأنها تؤنس روحيهما طوال الأيام والليالي في رقدتهما الأبدية.

وإلى الشرق من التربة يقع الإيوان القِبْلي ملاصقًا لها، وهو إيوان الحنفية في المدرسة، أي قاعة الدرس التي تلقى فيها الدروس والمحاضرات في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية على المذهب الحنفي. وبناؤه مستطيل الشكل طوله ثلاثة عشر مترًا، وعرضه ثمانية أمتار ونصف متر. وفي صدره محراب ساذج خال من كل زينة وزخرف. وقد بقي هذا الإيوان سليمًا كما كان على حالته الأولى بقوسه العالية، إلا أن فجوة القوس فيه قد سُدّت، وتُرك فيها باب صغير وأربع نوافذ. ويُستخدم هذا الإيوان الآن مقرًّا للكتب المطبوعة في دار الكتب الظاهرية.

وفي الجهة الشرقية من الفناء وقبالة المدخل الرئيس يقع الإيوان الشرقي للمدرسة، وهو إيوان الشافعية، أي قاعة الدرس التي تُلْقَى فيها الدروس والمحاضرات في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية على المذهب الشافعي. وبناؤه مربع الشكل طول ضلعه ثمانية أمتار ونصف متر. وفي جداره الجنوبي محراب

ساذج للصلاة أيضًا، خالٍ من الزينة والزخرف. وقد سقط سقف هذا الإيوان، وتداعت الأقسام العلوية من جدرانه، إلا قطعة باقية من جنوب الجدار الغربي وحسب، كما سقطت قوسه الكبيرة، ولم يبق منها إلا ثلاثة أحجار من قطاعها الجنوبي مستندة إلى الجزء الباقي من الجدار الغربي. وقد سُدّ هذا الإيوان بجدار من الحجر فيه باب ونافذتان كبيرتان، في أواخر القرن التاسع عشر. ويُستخدم الآن مقرًّا أيضًا للكتب المطبوعة في دار الكتب الظاهرية. وفي السنوات الأخيرة بُني فوق هذا الإيوان، وفي مكان دار الحديث، وقطعة الأرض المستملكة خلفهما، الجناحُ الشرقي الجديد لدار الكتب الظاهرية.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من بناء الظاهرية بين الإيوان القِبْلي والإيوان الشرقي كانت تقوم دار الحديث الملحقة بالمدرسة الظاهرية. وقد أُجريت عليها تعديلات عديدة خلال العصور، وانتهى بها الأمر إلى أن صارت دار سكن في القرن الماضي. وما زالت كذلك حتى أُزيلت تمامًا في السنوات الأخيرة حين توسيع دار الكتب الظاهرية وبناء جناحها الشرقي الجديد. ولم يبق منها شيء الآن سوى القوس الصغيرة لمدخلها الظاهر إلى جانب قوس الإيوان الشرقي للمدرسة.

أما الإيوان الشمالي للمدرسة فقد تهدّم بتمامه، ولم يبق منه شيء ولا من عناصر الجناح الشمالي كله. وقد أُقيم في هذا الجناح بناء حديث مؤلف من طابقين في أواخر القرن التاسع عشر حين استُخدمت الظاهرية مدرسة ابتدائية، ولذلك لا ندري على وجه الضبط شكل البناء الذي كان في هذا الجناح، ولا نشك في أنه كان فيه إيوان يقابل الإيوان الجنوبي، ويُماثله حسب الخطة الهندسية المعروفة في فن البناء الإسلامي المتميّز بوجود أربعة أواوين متقابلة حول المساحة المتوسطة في الأبنية التاريخية.

على أنه من العسير معرفة الشكل الهندسي الأصلي القديم بتمامه للجناحين الشرقي والشمالي للمدرسة الظاهرية إلا إذا هدمت الأقسام المبنية حديثًا فيهما، وفُرِّغت تمامًا، وكُشفت الأسس القديمة فيهما لتحديد معالم البناء الأصلي.

فن العمارة في المدرسة الظاهرية:

إن طابع التقشف والجد والصرامة والبعد عن الزخرف والزينة هو الغالب على مجموع بناء المدرسة الظاهرية سوى تربة الملك الظاهر. والحقيقة أن مجموع البناء قد أُقيم بأحجار كبيرة غشيمة غير منحوتة سوى الجبهتين الغربية والجنوبية، وهو يذكرنا، بمدخله الضخم وحجارته الكبيرة وجدرانه العالية، بمنظر القلاع والحصون الحربية، ولا شيء فيه يدعونا إلى أن نتصور للوهلة الأولى أنه بُني ليكون مدرسة للعلم والمعرفة. فحيثما نقلنا أنظارنا رأينا جدرانًا ضخمة بُنيت بأحجار كبيرة صمّاء، حتى إن عقود الأواوين نفسها قد أُقيمت بالحجارة الكبيرة الغشيمة التي بُنيت بها الجدران، خالية تمامًا من كل زخرف أو تلوين بالأحجار المختلفة الألوان سوى المدخل الرئيس.

وهذا هو طابع البناء الذي ساد في الأبنية التاريخية على عهد الأتابكة من السلاجقة والأيوبيين وأوائل عهد المماليك من بعدهم. ويبدو لنا أن طول أمد الحرب الصليبية في هذه العصور، واضطرار الحكّام فيها والأمة من ورائهم إلى الجهاد والمواجهة العسكرية الدائمة لأعدائهم من الصليبيين هو السبب في طبع الأبنية في هذه العصور بطابع القوة والصرامة، فلما انتهت الحروب الصليبية، واستقرّت البلاد وأَمِنَتْ، مال المهندسون والفنانون في عصر المماليك، منذ بداية القرن الثامن من الهجرة، إلى الاهتمام بالأناقة والزينة في بناء الدُّور والمدارس وغيرها من المنشآت، ويتجلّى ذلك مثلاً في المدرسة الجقمقية التي بناها الأمير جقمق نائب السلطنة بدمشق سنة (٨٢٣هـ)، أي بعد قرن ونصف من بناء

المدرسة الظاهرية، وهي قرية منها تقع وراء الباب الشمالي للجامع الأموي. ومن الطبيعي أن تزدهر الفنون في أيام السلم والاستقرار، ويميل الناس إلى الترف والزينة، فالمدرسة الجقمقية بزخارفها، حافلة بأنواع الزينة في جميع أقسامها، ولا يضاهيها في ذلك أي بناء، وتبدو لذلك كأنها قصر للسكن، لا مدرسة يُقيم فيها أساتذة وطلاب.

فن الزخرف في المدرسة الظاهرية:

لا تُعَدُّ المدرسة الظاهرية بمجموعها أثرًا غنيًّا بالزخرف والزينة إذا استثنينا منها المدخل الرئيس وتربة الملك الظاهر، فقد تجمعت زخارف الظاهرية وزينتها في هذين الموضعين من بنائها، مع العناية بعض الشيء بالجهتين الغربية والجنوبية. وهذه الزخارف منها ما هو معماري يقوم على نحت الحجر ونقشه وتقطيعه، ومنها ما هو زخارف جدارية غايتها كسوة الجدران الداخلية المبنية بالأحجار الغشيمة، وتزيينها باللوحات الفنية المؤلفة من الرخام والفسيفساء. فلننظر الآن إلى هذه الأقسام الثلاثة من بناء الظاهرية لنرى ما فيها من الزخارف:

١- الجبهتان مشيّدتان بالأحجار الكبيرة المنحوتة بإتقان، وتنتهيان في أعلاهما بطُنُف مشرف قليلاً، يبدو كالإطار لهما، وتبدوان جميلتين مشرقتين، بل هما من أجمل ما بنى المماليك من أوابد البناء. وفي وسط الجبهة الجنوبية وهو الجدار الجنوبي لتربة الملك الظاهر، ووسط القسم الجنوبي من الجبهة الغربية وهو الجدار الغربي للتربة كوّة مستديرة تقوم مقام النافذة، وتُحيط بها زخارف من أشكال هندسية مؤلفة من دوائر متداخلة حُفِرت في الحجر بإتقان ونظام.

٢- والمدخل الرئيس مزيّن بزخارف معمارية أيضًا، ويبدو كأنه لوحة فنيّة عُلّقت في وسط الجبهة الغربية، وقد امتزج فيها اللون الأبيض باللون الأسود، لأنّ المهندس قصد الموالاة بين مداميك البناء، فجعل مدماكًا من الحجر الأبيض

ثم مدماكًا من الحجر الأسود، فتوالت المداميك بين بيضاء وسوداء كأنها سطور في صحائف بيضاء، واستطاع المهندس بذلك أن يبعث في الحجارة الصمّاء حياة خاصة، وأن يعطيها حركة دائمة، يحسُّ بها الإنسان، ولكنه لا يدرك كنهها، وهذا هو السر العبقري الكامن في الفن الأصيل. وتبدو سطور الكتابة بين مداميك البناء كالأحزمة المنقوشة المزينة بالجواهر الكريمة. ولهذه الكتابة غرض تاريخي وآخر تزييني. وينتهي المدخل في أعلاه بنصف قبة داخلية معقودة بمقرنصات بديعة، مؤلفة من عدة طبقات فيها قبيبات وشمعدانات مدلاّة ومحاريب تتوّجها جميعًا صَدَفَة مضلّعة.

٣- أما التربة فهي الموضع الوحيد الحافل بالزخارف والزينة في المدرسة الظاهرية، والزخارف هنا جدارية، والمادة الأساسية المستعملة فيها هي الرخام ثم الفسيفساء، والغرض منها هو تغطية الجدران وتزيينها. ونلاحظ السخاء المفرط في استخدام الرخام هنا، حتى إن القاعة لتبدو كأنها معرض حافل بالرخام من كل نوع وكل لون، وقد عمد الفنانون الذين تولّوا تزيين القاعة إلى تأليف لوحات فنية ذات موضوعات هندسية، تتناظر فيها الأشكال والألوان في كل المساحات الفارغة في الجدران.

وتبدأ الزخارف من الباب مباشرة، فهناك لوحتان متناظرتان على جانبي الباب من الداخل في الجدار الشمالي، ومؤلفتان من قطع مربعة ومستطيلة ذات أحجام وألوان مختلفة من الرخام، بين أبيض ووردي وأسود معرّق وأخضر معرّق أيضًا. وهناك لوحتان أخريان متناظرتان، وهما أكبر من الأوليين، شكلهما مربع طول ضلعه متران وخمسة وثمانون بالمئة من المتر. إحداهما في الجدار الغربي بين النافذتين، والثانية في الجدار الشرقي، وما يلفت النظر في هاتين اللوحتين هو أنه تتوسط كل واحدة منهما لوحة كبيرة من الرخام النادر

الوردي اللون بطول متر وثمانين بالمئة من المتر وعرض ثمانين بالمئة من المتر.

وهناك لوحات أخرى مؤلفة من الرخام الملون أيضًا، وهي متشابهة ومتناظرة تغطي وجوه قوائم الأركان الأربعة للقاعة، وفي أعلاها أحزمة من النقوش والزخارف الهندسية الملونة بكل لون. ونوافذ القاعة عالية، ترتفع إلى أربعة أمتار، وكلها ذات عقود مجزّعة بقطع الرخام الأبيض والأخضر والوردي.

وفي صدر القاعة يوجد المحراب الذي يعدّ بحق من أجمل ما أنتجه الفن الإسلامي من المحاريب، وهو يؤلف بمجموعه لوحة فنية رخامية كبيرة رائعة الحسن، تتوسطها حنية المحراب المكسوة بقطع كبيرة نادرة من الرخام الملون، يحيط بها عمودان صغيران من الرخام الأخضر، وعلى الجانبين لوحتان متناظرتان من قطع الرخام بين أبيض وأسود وأخضر ووردي، نُظمت وشُبكت بعضها ببعض في أشكال هندسية جميلة، وقد كتب في أعلى هاتين اللوحتين الآية الكريمة التالية بخط نسخي جميل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾.[سورة التوبة الآية ١٨].

ويعلو هذه المجموعة من الزخارف تاج من نصف دائرة رخامية، مؤلف من قطع رخامية ملونة شُبك بعضُها ببعض بطريقة ينشأ عنها صفوف من أشكال زهرة الزنبق، فيبدو التاج كله كأنه إكليل من زهور الزنبق الملون، ويطيف بإكليل الزنبق لوحة أو بساط من قطع الفسيفساء الصغيرة ذات الفصوص الهندسية الملونة التي تتألف منها لوحات هندسية مطعّمة بالصدف البراق.

وفي أعلى هذه اللوحات الفنية الرخامية وعلى دائر الجدران الأربعة بارتفاع ستة أمتار يمتد حزام زخرفي عريض من قطع الفسيفساء الذهبية اللون، وتتوالى في هذا الحزام الذهبي رسوم أشجار وأغصان وأزهار وجواسق فخمة، رُكّبت جميعها من قطع الفسيفساء الخضراء، فأضفت على المكان جوًّا من

البهجة والفرح، أما ما فوق ذلك من المسافة إلى أعلى قبة التربة فقد أخلي من الزخارف، وطُلي ببياض الكلس فحسب، فزاد ذلك من مسحة البهجة والفرح في جو التربة.

نتيجـــة:

والنتيجة أن المدرسة الظاهرية تُعَدُّ آبدة من أوابد الأبنية التاريخية التي أنتجها الفن الإسلامي العربي، وقد بُنيت في أوائل عهد المماليك مطلعَ الربع الأخير من القرن السابع للهجرة، وأمر ببنائها الملك السعيد بن الملك الظاهر بَيْبَرْس لتكون تربة ومدرسة ودار حديث. وقد دُفن في التربة الملك الظاهر، ثم ابنه الملك السعيد إلى جانبه.

وبناء المدافن الخاصة للملوك والأمراء وأمثالهم والعناية بها وتجميلها عادةٌ إنسانية قديمة في التاريخ، ومتبعة عند أكثر الأمم قديمًا وحديثًا، وقد أهمل المسلمون هذه العادة القديمة في العصور الأولى للإسلام، لأنها لا تأتلف مع روح الدين الجديد، إلا أنّها ما لبثت أن عادت إلى الظهور في العصور التالية، وصار الملوك والأمراء يهتمون بمدافنهم، ويُقيمون لها أبنية خاصة فخمة، حتى صارت هذه المدافن جزءًا من بناء كبير مثل الجامع أو المدرسة، وغَصّت بها مدن العالم الإسلامي، ومع الزمن امتدت العناية بالمدافن إلى العناية بالمؤسسة التي تشتمل عليها كالجامع والمدرسة والتكية.

ويغلب على مجموع بناء المدرسة الظاهرية طابع الجد والتقشف، وتبدو كأنها قطعة من الأبنية الحربية، والسبب في ذلك أنها بُنيت في عهد كان العالم الإسلامي فيه ما يزال يعيش في جو الجهاد المرير الطويل الذي خاض غمراته لاسترداد أرضه وتحريرها من أعدائه الصليبيين، ونتيجة لذلك كله كانت المدرسة الظاهرية فقيرة بعناصر الزخرف والزينة إذا استثنينا المدخل الرئيس

وتربة الملك الظاهر فيها كما بيَّنَّا آنفًا. ونُضيف إلى ذلك هنا أن هذه الآبدة قد بُنيت لتكون مدرسة لنشر العلم والمعرفة لا قصرًا ملكيًّا يسكنه أناس مترفون يطلبون زينة الحياة الدنيا.

هذا وقد دارت الأيام ومرّت العصور، يتلو بعضها بعضًا، وصرح الظاهرية المهيب، مدرسة كان أو مكتبة، مازال قائمًا وسط مدينة دمشق منارًا للثقافة العربية الإسلامية، وهو يشع نورًا وخيرًا، ويفيض بركة وبرًا، لأجيال تتلوها أجيال من أبناء دمشق وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

المصـــادر

١- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تأليف الشيخ عبد الرزاق البيطار المتوفى بدمشق سنة (١٣٤٦هـ). بتحقيق الشيخ محمد بهجة البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة (١٩٦١- ١٩٦٢).

٢- الدارس في تاريخ المدارس: تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة (٩٢٧هـ)، بتحقيق الأمير جعفر الحسني. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة (١٩٤٨- ١٩٥١).

٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تأليف أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة (١٠٨٩هـ)، طبعة مكتبة القدسي في القاهرة، سنة (١٣٥١هـ).

٤- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: تأليف الشيخ عبد القادر بدران المتوفى بدمشق سنة (١٩٦٠)، طبعة دمشق (من غير تاريخ).

(أنباء مجمعية وثقافية)

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٧م (ذو الحجة ١٤٢٧هـ)

أ – الأعضـــاء

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام «رئيس المجمع»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان المحاسني «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور عبد الله واثق شهيد «أمين المجمع»	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠٠٠
الدكتور محمد الدالي	٢٠٠٠
الدكتور محمد مكي الحسني	٢٠٠١
الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠٠٣
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦

*　　*　　*

ب– الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠٠٢
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢

الجمهورية التونسية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	١٩٨٦
الدكتور محمد السويسي	١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور سليم عمار	١٩٩٣
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة	٢٠٠٠
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢

تاريخ دخول المجمع

الجمهورية الجزائرية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
الدكتور أبو القاسم سعد الله	١٩٩٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢

المملكة العربية السعودية

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس	١٩٩٢
الدكتور أحمد محمد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عوض القوزي	٢٠٠٠

جمهورية السودان

الاسم	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ سر الختم الخليفة	١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	١٩٩٣

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٠
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢

الجمهورية العراقية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش «رئيس المجمع»	٢٠٠٢
الدكتور هلال ناجي	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع

الكويت

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣
الدكتور محمود حافظ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٠
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور فاروق شوشة	٢٠٠٢
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

أزبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

الدكتور فولف ديتريش فيشر ٢٠٠٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي • ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

الدكتور محمد علي آذر شب ٢٠٠٢

الدكتور محمد مهدي الآصفي ٢٠٠٢

الدكتور هادي معرفت ٢٠٠٢

الدكتور محمد علي التسخيري ٢٠٠٢

باكستان

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

البوسنة والهرسك

الدكتور محمد أرناؤوط ٢٠٠٢

الدكتور أسعد دراكوفيتش ٢٠٠٢

د. فتحي مهدي ٢٠٠٢

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو ١٩٨٦

رومانية

الدكتور نقولا دويرشيان ٢٠٠٢

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ أندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٢٠٠٢

[٢]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ– رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

* * *

ب- أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١- الأعضاء

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة		تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩	الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠	الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠	الدكتور عدنان الخطيب	
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١	«أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢	الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥	الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور شكري فيصل		الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
«أمين المجمع»	١٩٨٥	الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦	الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور حسني سبح		الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
«رئيس المجمع»	١٩٨٦	الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٥
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨	الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦

* * *

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠

	تاريخ الوفاة
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي	٢٠٠٦

الجمهورية العراقية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢
الدكتور صالح أحمد العلي	

فلسطين

	تاريخ الوفاة
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف	٢٠٠٦

المملكة المغربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

٣- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفييتي

تاريخ الوفاة

«سابقاً»

الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس) ١٩٥١

الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش) ١٩٥٧

إسبانية

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) ١٩٤٤

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٩٥

ألمانية

الأستاذ هارتمان (مارتين) ١٩٢٨

الأستاذ ساخاو (ادوارد) ١٩٣٠

الأستاذ هوروفيتز (يوسف) ١٩٣١

الأستاذ هوميل (فبريتز) ١٩٣٦

الأستاذ ميتفوخ (أوجين) ١٩٤٢

الأستاذ هرزفلد (أرنست) ١٩٤٨

الأستاذ فيشر (أوغست) ١٩٤٩

الأستاذ بروكلمان (كارل) ١٩٥٦

الأستاذ هارتمان (ريتشارد) ١٩٦٥

الدكتور ريتر (هلموت) ١٩٧١

إيران

تاريخ الوفاة

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧

الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٨١

الدكتور محمد جواد مشكور ١٩٩٥

إيطالية

الأستاذ غريفيني (اوجينيو) ١٩٢٥

الأستاذ كايتاني (ليون) ١٩٢٦

الأستاذ غويدي (اغنازيو) ١٩٣٥

الأستاذ نلّينو (كارلو) ١٩٣٨

الأستاذ غبريلّي (فرنسيسكو) ١٩٩٦

باكستان

الأستاذ محمد يوسف البنوري ١٩٧٧

الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ١٩٧٨

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٩٦

البرازيل

الدكتور سعيد أبو جمرة ١٩٥٤

الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) ١٩٨٤

البرتغال

الأستاذ لويس (دافيد) ١٩٤٢

بريطانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١

بولونية

الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨

تركية

الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢

تشكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤

الدانمرك

الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤

السويد

الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

سويسرة

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩

فرنسة

الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧

فنلندة

الأستاذ كرسيكو (يوجنا اهتنن)	

تاريخ الوفاة

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النروج

الأستاذ موبرج

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الأستاذ جير (رودلف) ١٩٢٩

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٦١

الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٨١

تاريخ الوفاة

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٩٩

الدكتور عبد الحليم الندوي ٢٠٠٥

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس) ١٩٤٣

الأستاذ اراندونك (ك. فان) ١٩٤٧

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

* * *

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أبحاث المؤتمر السنوي الرابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في إدلب/** إعداد: د. مصطفى موالدي، إشراف: د. علاء الدين لولح – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٥.
- **أبحاث المؤتمر السنوي العشرين لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في حلب/** إعداد: د. مصطفى موالدي، إشراف: د. علاء الدين لوتح – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٦.
- **أبحاث الندوة العلمية للاحتفاء بالطبيب المسلم داود الأنطاكي/** إعداد: د. مصطفى موالدي، إشراف د. علاء الدين لولح – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٥.
- **اتصالات المعطيات والحوّاسيب/** ويليام ستيلينغس، ترجمة: د. عُلى أبو عمشة – دمشق: الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، ٢٠٠٦– ٢ ج.
- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار/** الأزرقي، صححها: رشدي الصالح ملحس – ط٢ – جدة: عبد المقصود خوجة، ٢٠٠٥– (سلسلة كتاب الاثنينية ١٩).
- **الأخلاقيات العلمية والتكنولوجية/** تحرير: د. البهلول علي اليعقوبي وزميليه – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جمعية الدعوة

الإسلامية العالمية، ٢٠٠٥.

- **أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين...**/ د. مشتاق عباس معن – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٧، الرسالة ٢٥٠).
- **إسرائيليات**/ اللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الانتفاضة – دمشق: اللجنة، ٢٠٠٦ – مج٤.
- **أسماء الأشياء والعلم والتقنية: الإعجاز العلمي العظيم**/ د. ظافر بن علي القرني – ط١ – الرياض: ٢٠٠٦.
- **اسم العراق أصله ومعناه عبر العصور التاريخية**/ سالو الآلوسي – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٦.
- **الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية**/ إيرينا بتروسيان – دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦ – (السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج، رقم ٣).
- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**/ شعيب الدوسري، درسه وعلق عليه: عبد الرحمن الرويشد وزميلاه – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦ – (سلسلة إصدارات الدارة ١٨٩).
- **تاريخ التصوف في سورية: النشأة والتطور**/ د. عبود العسكري – ط١ – دمشق: دار النمير، ٢٠٠٦ – (١).
- **التصميم الرقمي**/ موريس مانو، ترجمة: د. جبر الرحين، مراجعة: د. فيصل العباس – دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ٢٠٠٦.
- **التصوف: قراءة في المصطلح والمعتقد والسلوك**/ د. عبود العسكري –

دمشق: دار النمير، ٢٠٠٦ - (٤).

- **التعريب وإحياء العلوم العربية/** مجموعة باحثين - ط١ - تونس: بيت الحكمة، ٢٠٠٦.
- **التعليم في الجناح الغربي من دار الإسلام وخاصة بأفريقية/** محمد سويسي – تونس: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٥.
- **تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية/** د. عبد المحسن أحمد الطبطبائي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٧، الرسالة ٢٤٨).
- **التواشيح والأغاني الدينية في حلب/** عبد الفتاح رواس قلعه جي – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٦.
- **تيسير علوم السنة النبوية/** د. داود سلمان صالح حمد الدليمي – بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ – (سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ٣).
- **جبل عامل بين الشهيدين/** جعفر المهاجر – دمشق: المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ٢٠٠٥.
- **الجودة في تكوين المعلمين/** د. خالد طه الأحمد، راجعه: د. فخر الدين القلا – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٦ – (16).
- **الحب والإبداع والجنون/** د. علي القاسمي – ط١ – الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٦.
- **حجك أيها المسلم/** د. عبد العليم عبد الرحمن السعدي – ط٢ – بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ – (سلسلة دارسات إسلامية معاصرة٢).
- **الحصان العربي في روسيا/** يفيم ريزيفان - دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٥ – (السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ

الجزيرة العربية وبلدان الخليج رقم ١).

- **الحفل التأبيني للأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان رحمه الله**/ مجموعة باحثين – دمشق: جامعة دمشق، مجمع اللغة العربية، نقابة المعلمين، ٢٠٠٦.
- **حكايات من المهجر**/ جوزيف أيوب – ط١ – حلب: دار الضاد، ٢٠٠٦.
- **حماية المدن من أخطار الفيضانات**/ د. عادل رفقي عوض – ط١ – الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥ – (٣٦٠).
- **الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك**/ محمد محمود خلف العناقرة – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦ – (سلسلة الرسائل الجامعية ٢١).
- **حياة تيموتشجين (جنكيزخان)**.../ ي. إ. كيتشانوف – دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٥ – (السلسة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج رقم ٢).
- **دراسات في الإبدال والاشتقاق**/ د. أسيدة بشير شهبندر – دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- **الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير**/ المالقي، تحقيق: د. محمد حسان الطيان – دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٦ – ٣ج.
- **ديوان شعرستان**/ د. محمود السيد الدغيم – ط١ – معرة النعمان: دار السيد، ٢٠٠٦.
- **ديوان المقداد**/ د. محمود المقداد – ط١ – بيروت: دار العودة، ٢٠٠٤.
- **رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم**/ صنعة أبي أحمد العسكري – تحقيق: د. عباس أرحيلة – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٧، الرسالة ٢٥١).

– **الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس/** حققه وقدم له: رشدي راشد – لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٣ – ٢٠٠٢ – ٤ج – (سلسلة نصوص ودراسات من التراث العلمي في الحضارة الإسلامية).

– **الشافي العي على مسند الإمام الشافعي/** السيوطي، دراسة وتحقيق: د. حسن علي محمود القرطاني القيسي – بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ – ٢ج – (سلسلة إحياء التراث الإسلامي ٨٠).

– **شرح المشاهد القدسية لتكميل دائرة الختم الموصوف بالولاية المحمدية/** ابن العربي، تحقيق: بكري علاء الدين، سعاد الحكيم – دمشق: المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ٢٠٠٤.

– **شعراء حلب في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين/** الأمانة العامة لمؤسسة البابطين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٦.

– **شعراء النصارى العرب والإسلام: نصوص شعرية/** إعداد: ماجد الحكواتي – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٦.

– **ضمير الشأن والفصل: دراسة ومقاربة لسانية/** د. فوزي حسن الشايب – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٧، الرسالة ٢٤٩).

– **الطرق الصوفية في سورية: تصورات ومفهومات/** د. عبود العسكري – دمشق: دار النمير، ٢٠٠٦ – (٢).

– **الطرق الصوفية: واقع وطموح/** / د. عبود العسكري – دمشق: دار النمير، ٢٠٠٦ – (٣).

– **الفكر المقاصدي في جهود الشاطبي/** د. بشير مهدي الكبيسي – بغداد:

ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ — (سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ٤).

- **الفهرسة والفهارس/** إشراف: د. ماجدة قطيط — دمشق: الاتحاد العام النسائي، ٢٠٠٦.
- **مؤتمر الإبداع والمبدعون والتربية/** مجموعة باحثين — دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٦ — ٢ ج.
- **مؤتمر الإرشاد الاجتماعي النفسي ودوره في العملية التعليمية/** مجموعة باحثين — دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعي، ٢٠٠٦– ٢ ج.
- **مرويات شمر بن حمدويه اللغوية/** تحقيق: د. حازم سعيد يونس البياتي — دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
- **مزوقات/** محمد سويسي — تونس: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٥ — ٢ ج.
- **معجم أسماء الأفعال في اللغة العربية/** د. أيمن عبد الرزاق الشوا — دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٦.
- **المعجم الطبي الموحد/** د. محمد هيثم الخياط — ط٤ — بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٦.
- **معجم مصطلحات الحديث النبوي/** د. رشيد عبد الرحمن العبيدي — بغداد : ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ — (سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ٢).
- **المغرب في عهد الدولة السعدية/** د. عبد الكريم كريّم — ط٣ — الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٦.
- **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا/** الفشتالي، تحقيق: د. عبد الكريم كريّم - ط٢ - الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٥.
- **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، التطبيقية، القانونية، النفسية**

والتربوية/ د. عبود العسكري، دمشق: دار النمير، ٢٠٠٦ – (سلسلة منهجية البحث العلمي ١– 4).

- **موانع المسؤولية...**/ د. محمود المظفر – ط١ – جدة: دار حافظ، ٢٠٠٢.
- **الموسم الثقافي الرابع والعشرون**/ مجمع اللغة العربية الأردني – عمان: المجمع، ٢٠٠٦.
- **نحو لجنة في مجلس الشعب للحريات والحقوق والواجبات العامة**/ د. جورج جبور – ط١ – دمشق: نينوى، ٢٠٠٦.
- **ندوة كليات الآداب والعلوم الإنسانية وكليات التربية...**/ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – دمشق: المجلس، ٢٠٠٢– ٢ ج.
- **نظرية الارادة المنفردة...**/ د. محمود المظفر – ط١ – جدة: دار حافظ، ٢٠٠٢.
- **نظم المعالجة الطبيعية لمياه الصرف الصحي**/ د. صالح محمد المزيني، د. هيثم شاهين، د. عادل عوض – الصفاة: الهيئة العامة للبيئة، ٢٠٠٥.
- **الهندسة وعلم المناظر في ضحى الإسلام**/ رشدي راشد – لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥.
- **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**/ مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن – ط١ – دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦.
- **الوسطية في المنظور القرآني**/ د. محمد صالح عطية الحمداني – بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠٠٦ – (سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ١).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
- الأسبوع الأدبي	١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨	٢٠٠٦م	سورية
- صوت فلسطين	٤٦٠	٢٠٠٦م	سورية
- عالم الذرة	١٠٣	٢٠٠٦م	سورية
- مجلة جامعة تشرين	/٢/ علوم إنسانية من المجلد /٢٧/ /٢/ علوم اقتصادية وقانونية من المجلد /٢٧/	٢٠٠٥م	سورية
- مجلة جامعة دمشق	/٢/ علوم صحية من المجلد /٢١/	٢٠٠٥م	سورية
- المعرفة	٥١٣	٢٠٠٦م	سورية
- المعلم العربي	/٣، ٤/ من السنة /٥٧/	٢٠٠٤م	سورية
- الموقف الأدبي	٤٢٢	٢٠٠٦م	سورية
- نضال الفلاحين	٤٠	٢٠٠٦م	سورية
- الشريعة	٤٨٤، ٤٨٥	٢٠٠٦م	الأردن
- الأمن والحياة	٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨	٢٠٠٦م	السعودية
- المجلة العربية	٣٥٢، ٣٥٣	٢٠٠٦م	السعودية
- البيان	٤٣١	٢٠٠٦م	الكويت
- الشراع	١٢٣٨	٢٠٠٦م	لبنان
- مجلة كلية دار العلوم	٣٩	٢٠٠٦م	مصر

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني

1- Books:

- Dictionnaire des sigles et abréviations du champ de l'intervention sociale./ Éric Carlon.
- Dictionary of Physics (russian-english-french-german)./ V.Rydinik.
- Mondialisation dans un monde unipolaire./ Egon Matzner.
- Les relations entre le Japon et la Chine d'un point de vue historique./ Noritake Kai.
- Study Abroad 2004- 2005/ UNESCO.
- Annual Report of the Librarian of Congress.
- سيد محمد حسين حسيني جلالي/(باللغة الفارسية) تحقيق در قرآن.
- Dictionary of Physics/ H.J. Gray.
- THE Crusades other experiences./ KHALIL I.Semaan.
- Communicating in the information society/ Bruce Girard and Séan Ó Siochru.

2 – Periodicals:

- Le Muséon: revue d'études orientales, Tome 119, Fas.1-2.
- Deutschland,No.4, 2006.
- AJames, No.21, 2006.
- Al-Qantara: revista de estudios arabes, Vol.27, No.1, 2006.
- Population and Development Review, Vol.32, No.2, 2006.

فهرس الجزء الأول

من المجلد الثاني والثمانين

البحوث والدراسات

المقالات والآراء

أنباء مجمعية وثقافية

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٥١.
- رســـائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٥٢.
- كتاب «كتب الأنساب العربية» تأليف الدكتور إحسان النص.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٥٩.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٠.
- الأسمـــاء والأفعـــال والحـــروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش.
- فهـــرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابـــع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦١.
- اســـتدراك الغلـــط الواقـــع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٤

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٢.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٣.

الجزء الثاني

المجلد الثاني والثمانون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا))

مجلة محكّمة فصلية

ربيع الأول ١٤٢٨ هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٧ م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً))

مجلة محكَّمة فصلية



ربيع الأول ١٤٢٨ هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٧ م

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

من تاريخ التعريب

د. مازن المبارك

القسم الثاني: لجنة التعريب

هي إحدى اللجان التي ألّفها الحاكم المصلح علي رضا الركابي كما مرّ معنا سابقًا، وأسند رئاستها إلى ياسين باشا الهاشمي[1]، ولكن الذي رأيته من تتبعي لأخبار تلك اللجنة ومراسلاتها أنها كانت تجتمع برئاسة الأستاذ رشيد بقدونس[2]، وكان يُخاطب أحيانًا بالقائد، لأنه كان قائدًا للفرقة الثالثة في الجيش العربي، وهو عضو في مجمع اللغة العربية - المجمع العلمي العربي آنذاك- وكانت جميع مراسلات اللجنة تجري عن طريقه، ومعه في اللجنة عضوان هما الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ مراد الاختيار، وللّجنة أن تضمّ إليها من تراه من الاختصاصيين بحسب الموضوعات التي تبحثها.

وكانت لجنة التعريب - ويطلقون عليها أحيانًا اسم «لجنة التعريب والتهذيب»- من أطول تلك اللجان عمرًا وأكثرها أثرًا، أما التهذيب فلأنها كانت تقوم مع التعريب ووضع المصطلحات بالتدقيق في لغة الكتب المترجمة وتهذيبها كما جاء على غلاف كتاب «تعليم المشاة» الذي عرّبه رشيد بقدونس،

---

(١) الأرجح أن الهاشمي أوكل رئاسة اللجنة على الأستاذ بقدونس لأن الملك فيصلاً عيّنه مستشارًا للمجلس الحربي الأعلى، وكان كثير التنقل بين عمان ودمشق وبغداد نجاةً بنفسه من ملاحقة الإنكليز والفرنسيين، ثم إنه استقرّ في بغداد منذ عام ١٩٢٢. توفي سنة ١٩٣٦م ودفن في دمشق.

(٢) رشيد بقدونس، دمشقي خرِّيج المدرسة الحربية باستنبول، كان عضوًا في المجمع العلمي العربي، أتقن التركية والفارسية والفرنسية واليونانية، وتوفي سنة ١٩٤٣م.

وهذّبه عبد القادر المبارك، ونخلة زريق[٣]، ورشيد بقدونس (انظر الصورة (١) من الملحق) وقيل إن أصل العنوان بالتركية هو توضيح المبهمات من كتاب «تعليم المشاة»، وقد طبع سنة ١٩١٩م في المطبعة الحربية على ورق أحمر ويضم (٢١٠) عشر صفحات ومئتين من القطع الصغير.

وما زالت نسخة تامة منه محفوظة مع ما بقي من مسوّدات وأوراق لجنة التعريب، تفضّل بإطلاعي عليها المهندس زهير رشيد نجل الأستاذ رشيد بقدونس، وإليه يعود الفضل في أكثر ما عرفته من أخبار لجنة التعريب.

وأما أن تلك اللجنة من أطول تلك اللجان عمرًا وأكثرها أثرًا، فلقد رأيت ما يثبت استمرارها في العمل سنين طويلة، ورأيت عشرات القوائم التي عرّبت ألفاظها، وقرأت الثناء عليها غير مرة في الكتب التي تناولت نشاط المجمع وحركة التعريب، كالأستاذ الأفغاني الذي قال إن تلك اللجنة قامت بعملها خير قيام وعلى أتم وجه[٤].

ومما يؤكد استمرار أعضائها في العمل وفي تعريب المصطلحات العسكرية -وهو ما أوكل عليها أصلاً، أن كاتب هذا المقال حضر وهو في الثانية عشرة من عمره جلسة من جلساتها! كان ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وأربعين حين طلبت إلى والدي أن يصحبني إلى طبيب الأسنان، فصحبني ولكنه في الطريق عرّج على المجمع في باب البريد بدمشق القديمة قائلاً: سأحضر هنا جلسة إلى أن يحين موعد طبيبك.

كان الاجتماع في إحدى غرف المجمع، وكان في الغرفة مكتب كبير

---

(٣) نخلة زريق مقدسي من علماء اللغة العربية، كان عضوًا مراسلاً في المجمع العلمي العربي، نعاه المجمع في المجلد الثاني من مجلته الصادر سنة ١٩٢١م.

(٤) حاضر اللغة العربية.

(منضدة) جلس حولها خمسة رجال، أحدهم عند رأس المكتب وهو الأستاذ رشيد بقدونس بشعره الأشقر الضارب إلى الحمرة، وعلى أحد جانبي المكتب جلس رجل لم أعرفه - أظنه الأستاذ الاختيار لأنني قرأت اسمه فيما بعد بين أعضاء اللجنة- وإلى جانبه والدي الشيخ عبد القادر المبارك، وقد جلست بعده مبتعدًا عن المكتب نحو متر أو أكثر، وجلس على الجانب الآخر رجلان بثياب عسكرية، وكان أحدهما أعلى رتبة من الآخر لأنه كان يأمره بإخراج قطعة السلاح من محفظة كبيرة ويضعها أمام اللجنة على المكتب ويفك أجزاءها ويحملها أمامهم قطعة قطعة، وكان كلما حمل قطعة ذكر صاحب الرتبة اسمها باللغة التركية، وكان الأستاذ بقدونس يردّدها بالتركية وأحيانًا بالفرنسية، وكان أعضاء اللجنة كلهم يتقنون التركية، ثم يسألون عن عمل تلك القطعة أو وظيفة ذلك الجزء من السلاح فيشرح الخبير العسكري عملها، ويبدأ بعد ذلك اقتراح الأعضاء للأسماء، فإذا اتفقوا سجلوا على القائمة اسمًا أو أكثر، وقد يؤجلون البتّ في التسمية إلى الجلسة القادمة.

ويرى القارئ في الصور (٢، ٣، ٤) من الملحق قوائم من معرّبات الألقاب العسكرية التي اقترحتها اللجنة، فأُخذ بعضها وعُمّم، وأُهمل بعضها.

ويرى في الصورة (٥) رسمًا للسيف وقد كتبت على جانبيه أسماء أجزائه.

وفي الصورة (٦) رسم غمد السيف.

ويقرأ في الصورة (٧) تفصيل أقسام السيف وأجزائه كل قسم منها، ثم أقسام الغمد.

وفي الصورة (٨) رسم الرمح مصحوبًا بأسماء أجزائه.

وفي الصورة (٩) رسم الحربة وأسماء أجزائها.

وأما الصورتان (١٠و١١) فهما لوثيقتين بخط الشيخ عبد القادر المبارك

فيهما تعريب لأسماء السرج وما يتعلّق به، لمصلحة سلاح الفرسان، وفيهما ما يؤكد الاعتماد على معجمات اللغة وخاصة تاج العروس والمخصص.

ونظرًا لاختصاص هذه اللجنة بتعريب المصطلحات العسكرية فقد كانت المراسلات مستمرة بينها وبين فرق الجيش وشعبه عن طريق نظارة الحربية (وزارة الدفاع):

ففي الصورة (١٢) رسالة إلى لجنة التعريب والتهذيب مؤرخة في ١٧/٤/١٩٢٠ تطلب تعريب قائمة الألفاظ وإعادتها.

وفي الصورة (١٣) مراسلة لمعرفة حقيقة المقصود بـ (حرب ياكني) حتى يتأكّد للّجنة أن (الضماد الحربي) هو التعريب المناسب.

وفي الصورة (١٤) ما يؤكد ملاحقة اللجنة لما يكتب وينشر، فهي تسأل عن المقصود بالنطاق العسكري، وقد اطلعت على ذلك في إحدى الجرائد.

وترى اللجنة خطورة تعدّد واضعي المصطلحات، فتنتقد ذلك وتلّح على توحيد الجهات المسؤولة عن ذلك، بل تقترح تأليف لجنة تضم ممثلين عن لجان وضع المصطلحات. ويجد القارئ في الصورة (١٥) رسالة تنتقد تعدّد المصطلحات ما بين فوج ورهط وفصيل، وتطلب (توحيد التعابير العسكرية)، كما يرى في الصورة (١٦) رسالة بخط الأستاذ رشيد بقدونس تبيّن خطورة تعدّد المصطلحات وتقترح توحيد اللجان في لجنة واحدة تمثلها.

ونلاحظ حرص بعض العسكريين في تلك الأيام على سلامة اللغة وسؤالهم عما ينبغي أن تكون عليه الإيعازات، فقد كان الإيعاز يعطى بصيغة المذكر على نحو (فوج سر) وقد وضعت كلمات عربية جديدة مثل فئة وكتيبة وسريّة، وهي كلمات مؤنثة فهل يصحّح الإيعاز ويقال (كتيبة سيري)؟!.

وقد وجّه قائد الفرقة الثالثة رسالة بتاريخ ١٣/١/١٩٢٠ إلى رئاسة ديوان

الشورى الحربي يسأل فيها عن ذلك، وبعث الديوان الحربي بالرسالة إلى (ل.ت) أي لجنة التعريب كما يرى القارئ في الصورة (١٧) من الملحق.

وصدرت عن اللجنة فتوى يرى القارئ صورتها ب (١٨) بخط الشيخ عبد القادر المبارك يقول فيها: «قد تسمي العرب رجالاً بأسماء مؤنثة فيقولون يا طلحة اذهب ويا حمزةُ اجلس؛ ولما كان المخاطَب بالإيعازات مذكرًا يراد به قسم من الجند صحَّ خطابه بصيغة المذكر وإن يكن الاسم الموضوع له مؤنثًا تأنيثًا لفظيًا فيقال: فئة سر، كتيبة سر، وقد خصص هذا بالإيعازات فقط لأنها مبنيّة على الإيجاز، ويتصرف فيها بما لا يجوز في غيرها، على أن هذا جائز قياسًا على طلحة وحمزة وأشباههما كما تقدّم. وأما أثناء التكلم عن القطعة أو الفئة أو السرية أو الكتيبة في رسالة أو كتاب أو نحوهما، فإنه يراعى لفظها المؤنث بالتاء المربوطة فيقال مثلاً: ذهبت سريّة إلى حمص وقامت بوظيفتها، وجاءت كتيبة من المنطقة الفلانية والتحقت باللواء الثاني، وأخذت القطعة أهبتها للسفر غدًا، وأفرزت فئة أرسلتها إلى راشيّا مثلاً».

بل لقد كان الحرص على التعريب وسلامة اللغة عامًّا في جميع مرافق الدولة ودواوين الحكومة، ولقد حدث أن أرسل (قائد سريّة البرق والتلفون) رسالة تتصل بتعريب مصطلحات البرق وتأخّرت لجنة التعريب في جوابها فأرسل شكواه إلى قائم مقام درعا الذي بعث بها في ١٩٢٠/١/٢٢ إلى ديوان الشورى الحربي، وحوّلها الديوان إلى لجنة التعريب بتاريخ ١٩٢٠/١/٢٧ (انظر الصورة ١٩) ويبدو أن اللجنة التي تراكمت عندها الأعمال وازدحمت أزعجها الطلب (بتسريع المعاملة) كما جاء في كتاب الشكوى فكتب رئيسها الأستاذ بقدونس رسالة جاء فيها:

إلى مديرية الشعبة الثالثة المحترمة.

إني أترجم كتاب الفروسية وكتاب الداخلية لأجل المدرسة الحربية وأختصر كتاب التاريخ لجرجي زيدان ليدرّس في المدرسة الحربية، وأكتبه وأرسله إلى المطبعة، وأراقب طبع كتاب تعليم المشاة وأصحّحه، ونهذب كتاب الأسلحة ونصحح ما يترجم شيئًا فشيئًا من كتاب التعبئة، كل هذا في زمن واحد وقد يأتي أشياء أخرى متفرقة يراد منا تهذيبها أو كلمات يُبتغى ترجمتها، ولنا في المدرسة الحربية أربعة دروس في أربع ساعات في الأسبوع.

فكثرة الأشغال وقلّة من يقوم بهذا الأمر والأغلاط الكثيرة في الكتب المترجمة، وصعوبة وضع أسماء جديدة تليق بتلك المسمّيات الحديثة، التي لم تكن تعرفها العرب، ولا كانت تتصورها، كان سببًا لبطء في الأعمال وكان داعيًا لتوقف في الذهن، فلم يكن منا إلا الحيرة بأي عمل نبدأ وأي عمل نؤخر فأرجو أن تأمروني بما ينبغي أن أفعل والأمر لوليه سيدي.

٢٩ كانون الثاني ١٩٢٠

القائد

رشيد بقدونس

وانظر صورة الرسالة برقم (٢٠) وفي أسفلها الحاشية التي وضعتها القيادة، وفيها التوجيه إلى اللجنة بتقديم الأهم:

ل.ت (لجنة التعريب)

تقديم الأهم على المهم؛ التنظيمات والتعليمات قبل كل شيء.

٣١ منه

التوقيع

وإذا كانت اللجنة مؤلفة من رشيد بقدونس وعبد القادر المبارك ومراد الاختيار، فإن من ورائهم مَن كان يساعدهم ويحمل العبء معهم، ولقد قرأت ما سجل الأستاذ رشيد بقدونس بخطّه في إحدى مسوّدات اللجنة وقد جاء فيها:

– رشيد بقدونس: عرّب عن التركية كتاب «تعليم المشاة» وجدولاً في الرمي المدفعي، ورسالة في نظام الترخيص والتسريح؛ وأظنه يعني بنظام الترخيص نظام الإجازات.

– عارف التوام[٥]: ألف مختصرًا في فن الرمي.

– مراد الاختيار[٦]: القسم الأول من تعليم المدفعية، وإيعازات المدفعية.

– تحسين الفقير[٧]: ترجم «سهل التمرين» وأظنه يعني ميدان التدريب.

– ووضع عبد القادر المبارك ما يتصل بأدوات سلاح الفرسان كالسرج وما يتعلق به وأقسام السيف والغمد والرمح والحربة.

– وقامت اللجنة نفسها بترجمة: إيعازات رياضة الفرسان، وإيعازات الرياضة البدنية، وإيعازات تعليم المشاة، وأجزاء الرشاش، وهذبت كتاب تعليم المشاة الذي عرّبه رشيد بقدونس، وشارك اللجنة في تهذيبه نخلة زريق.

وهكذا كانت اللجنة على تفرّعها وتفرّدها بوضع المصطلحات العسكرية وتعريبها، تقوم بالكثير مما يتطلّبه التعريب عامة، ومما تسأل عنه من مسائل اللغة، وكان عضواها المجمعيان البقدونس والمبارك يشاركان أيضًا في لجان المجمع واجتماعاته وسائر أنشطته.

---

(٥) عارف التوام (– ١٩٤٥م) دمشقي خرِّيج المدرسة الحربية باستمبول، عمل في الجيش العثماني ثم في الجيش العربي كان له نشاط وطني وتعليمي وعلمي. شارك في الجمعيات السريّة وفي التأليف المدرسي وفي التعريب.

(٦) لم أعثر على ترجمة له.

(٧) تحسين الفقير (– ١٩٤٨م) أنهى الدراسة الثانوية في دمشق والتحق بالكلية الحربية باستمبول وتخرّج برتبة ملازم عام ١٩٠٥م وشارك في الحرب العالمية الأولى، عاد إلى دمشق سنة ١٩١٨ وشارك في إنشاء الجيش العربي السوري في عهد فيصل وكان على رأس الفرقة الأولى المكلفة بالدفاع عن دمشق في معركة ميسلون.

وإن مئات الكلمات العربية التي نستعملها اليوم في حياتنا العامة وفي الجيوش العربية، هي من وضع تلك اللجنة واللجان الأخرى ومن أعالها وشاركها، ولا شك أن لجنة تعريب المصطلحات العسكرية –أو مصطلحات القوات المسلحة– العربية السورية هي أول لجنة عرفها الوطن العربي، وأنه بفضلها عمّ استعمال المصطلحات العربية في الجيوش العربية. يقول اللواء محمود شيت خطاب في حديثه عن (تاريخ المعجم العسكري الموحَّد): «كانت سورية هي الرائدة في مضمار وضع المصطلحات العسكرية، وكانت السبّاقة في ميدان ترجمة قسم من المصطلحات العسكرية الأجنبية إلى العربية» ويقول «وكانت تلك المصطلحات الموضوعة والمترجمة أول مصطلحات عسكرية عربية في الجيوش العربية كلها»[٨].

وأختتم الحديث عن لجنة التعريب بنقل مذاكرة طريفة دارت حول تعريب كلمة ما نسميه اليوم بـ (المُنَاوَرَة) وهو نقل حرفي عما جاء في إحدى مسوّدات اللجنة:

«الحرب مأيمة، ميتمة، تؤدي إلى أن تكون النساء أيامى والأطفال يتامى».

شغل العبث مجهلة.

استخراج المعمّى متعبة للخواطر.

حديث: الولد مبخلة مجبنة محزنة.

إن يكن الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة.

الكفر مخبثة لنفس المنعم، أي سبب لتغيّر قلب المنعم وفساد نيّته.

هذا مسقطة له من أعين الناس.

فلماذا لا نقول (مَدْرَبة) ونتخذها اسمًا للمانورة [أي للمناورة] إذ هي سبب للتدرّب في الحرب الحقيقية».

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٤٦ ص ٥٠٠.

الصورة (١)

كتاب

تعليم المشاة

تعريب ر. ب

تهذيب ع. م، ن. ز، ر. ب

مطبعة الحربية سنة ١٩١٩

صورة غلاف كتاب «تعليم المشاة» تعريب: رشيد بقدونس
وتهذيب: عبد القادر المبارك ونخلة زريق ورشيد بقدونس

الصورة (٢)

الى رياسة ديوان الشورى الحربي

بعد البحث والتنقيب من قبل لجنة التعريب وضعت
هذه الالقاب العسكرية المربوطة بهذه الورقة
والامر لمن له الامر سيدي

الالقاب العسكرية :

نفر	جندي	
اونباشي	عريف	— اونباشيلك عرافة [illegible] حضيرة
بلوك اميني	امين سرية	
چاوش	نائب	چاوشلق نيابة
بلوك ضابط	نقيب	كوچك ضابطلك نقابة
سرچاوش	وكيل	
ضابط نامزدي	مرشّح	
وكيل	وكيل ضابط	
ملازم ثاني	ملازم ثاني	
ملازم اول	ملازم اول	
يوزباشي	سريّ	
قدملي يوزباشي	مقدّم	
بيك باشي	عميد	

رسالة من لجنة التعريب إلى رئاسة ديوان الشورى الحربي

بقائمة الألقاب العسكرية المعرّبة، بخط رشيد بقلونس

إلى رياسة ديوان الشورى الحربي

بعـــد البحث والتنقيب من قبل لجنة التعريب وضعت الألقاب العسكرية المربوطة بهذه العريضة.

والأمر لمن له الأمر سيدي

الألقاب العسكرية:

نفر: جندي

اون باشي: عريف. اونبا بتلك: عرافة. مانغه: حضيرة.

بلوك اميني: أمين السرية.

جاويش: نائب . جاوشلق: نيابة.

كجوك ضابط: نقيب. كوجك ضابطلق: نقابة.

سر جاويش: وكيل.

ضابط نفردي: مرشح.

ضابط وكيلي: وكيل ضابط.

ملازم ثاني: ملازم ثاني.

ملازم أول: ملازم أول.

يوزباشي: سريّ.

قدملي يوزباشي: مُقدَّم.

بيك باشي: عميد.

قائمقام: سَمَيْدَع.

ميرآلاي: زعيم.

ميرلوا: غطريف.

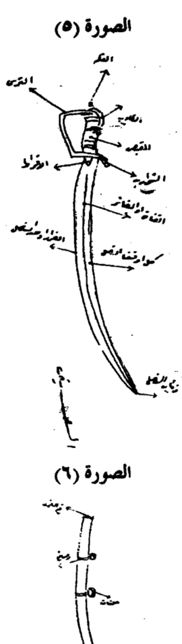
الصورة (٣)

قائمقام	[illegible]
مير آلاي	زعيم
مير لوا	غطريف
فريق	فريق
مشير	مشير
شهزاده	خائد
اركان حرب	رشيد، مدبّر، وازع، مشير الحرب
صاغ	حضيره
[illegible]	[illegible]
بلوك	سرية
طابور	كتيبة
آلاي	لواء
فرقه	فرقه
قول اردو	[illegible]
اردو	جيش
بطاريه	نضيده
غروبه	لفيف
قطعه	قطعه
مفرزه	مفرزه

تتمة قائمة الألقاب العسكرية المعرّبة

الصورة (٤)

مانغه	حضيرة	ربة	١٠٠٠٠
طاقم	فئة	تو	١٠٠٠
بلوك	سَرِيّة		
طابور	كَتيبَة		
آلاي	لواء		
فرقه	فرقة		
قول اوردو	فيلق		
اوردو	جيش		
بطاريه	نضيدة		
غروب	لفيف		
قطعه	قطعة		
مفرزه	مفرزة (ما أفرد من صنوف مختلفة).		



الصورة (٥)

الصورة (٦)

الصورة (٧)

السيف ثلاثة أقسام :

١ – القائم أو المقبض

٢ – النصل .

٣ – الغمد

٤ – الغاشية وهي ألبس جفن السيف من أسفل شاربه إلى نعله

أقسام القائم :

١ – القبيعة
٢ – الترس
٣ – الإفريز
٤ – الذؤابة
٥ – المقبض
٦ – الظلب

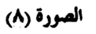
أقسام النصل :

١ – سنخ النصل – السنخ مجرى السنخ من الترس
٢ – القناة او الغاشية
٣ – الغرار او حد النصل
٤ – الكل او قفا النصل
٥ – شكب النصل
٦ – ذباب النصل

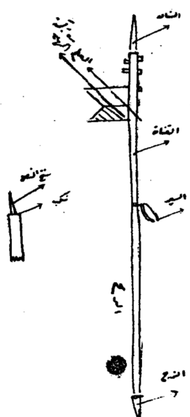
أقسام الغمد

١ – فم الغمد
٢ – الرصائع
٣ – الحلقات
٤ – النعل

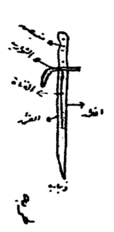
١) صورة ملتقطة من صور ... في ...



الصورة (٨)



الصورة (٩)



الصورة (١٠)

السرج وما يتعلق به

اكر — سرج

اكرك اوك خانه‌سى — قادمة السرج

آرد — آخرة السرج

اوك خانه‌سى تحديد ايكلر — القربوس المقدم

آرد — المؤخر

قاشيه (آرد خانه‌سى وسطنده) — شرخ

جيقشى

اكرك ايكلرى وياپاصيقلرى — حِنوة والجمع حنوات وحِناء

باليقلرك يا پشتى اولنقى تخته — عرقوة والجمع عراقى

اكرك اوتورسه يرى — صهوة السرج

اوسته چيكدركلرى

النت

چيكدركلرى پاصدقلرى

قوشقونه

قوشقون آره رطيه

صوغانلق قايشى

رجه قايشلرى

صوفرحى

تعريب لأسماء سرج الحصان وما يتعلق به

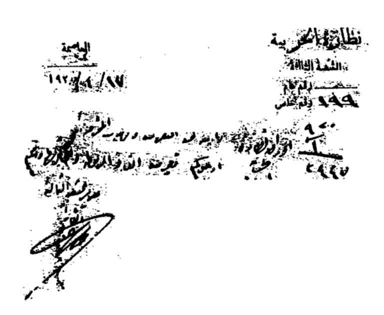
بخط عبد القادر المبارك لمصلحة سلاح الفرسان

الصورة (١١)

تتمة تعريب ما يتعلّق بسرج الحصان، بخط المبارك

ويظهر فيه اعتماده على معجمي تاج العروس والمخصص

الصورة (١٢)



رسالة من قائد الشعبة الثالثة في نظارة الحربية إلى رئاسة لجنة التعريب بطلب تعريب قائمة من الألفاظ وإعادتها بتاريخ ١٧/٤/ ١٩٢٠

وفيها:

نظارة الحربية — العاصمة

الشعبة الثالثة — ١٧/٤/١٩٢٠

– رقم عام

١٩٩رقم خاص — أوراق النظارة الحربية

٩٢٠ — رئاسة لجنة التعريب والتهذيب المحترمة

١ — أرجوكم تعريب القائمة المربوطة وإعادتها، ودمتم

٢٤٤٧ — مدير الشعبة الثالثة

القائد

الصورة (١٣)

(حرب ياكني)

نريد ترجمة هذه الكلمة [illegible] حقيقتها حتى

يمكننا الترجمة كما ينبغي. فالرجاء أن تذكروا لنا هل

مشتركة على المصابين بعض الأدوية أم لا.

وإن كانت مشتركة فما هي تلك الأدوية.

وماذا [illegible]

ولكم الفضل سيدي ١٥ محرم الحرام ١٣٣٨

[illegible]

ضماد حربي

[illegible]

سيدي:

[حرب ياكني] هو عبارة عن ضماد [illegible]

[illegible] [ضماد حربي] [illegible]

١٢/١٠/٩١٩

في الأعلى: سؤال لجنة التعريب عن مدلول (حرب ياكني) بالتفصيل لتتمكن اللجنة من تعريبها.

وفي الأسفل: جواب رئاسة الصحة العسكرية إلى لجنة التعريب في ١٢/١٠/١٩١٩

وفي الرسالتين:

(حرب ياكني)

نريد ترجمة هذه الكلمة ولكن لا أعرف حقيقتها حتى يمكننا الترجمة كما ينبغي. فأرجوكم أن تذكروا لي هل مشرَّبة تلك العصابة ببعض الأدوية أم لا؟ وإن كانت مشرّبة فما هي تلك الأودية. وماذا ترون أن نسميها.

أفيدوني مفصَّلاً ولكم الفضل سيدي / ١٥محرم الحرام ١٣٣٨

ضماد حربي رشيد بقدونس

غرفة الأولى للصحة العسكرية رئاسة الصحة العسكرية سنة ١٩١٩

٥١٦ ٢٥٨٨

سيدي رشيد بك

[حرب ياكني] هو عبارة عن ضماد ناشف يحتوي على رباط وسنادتين من شاش وقطن والكل معقمين في آلة مخصوصة لا يوجد بهم جراثيم. والبعض تكـــون سناداته مغطوسة في محلول السليماني. ونحن نرى من المناسب تسميته [ضماد حربي]. والله تعالى يحفظكم سيدي.

١٩١٩/١٠/١٢ رئيس الصحة العسكرية

التوقيع

الصورة (١٤)

عدد ٢ الى مديرية الشعبة الثالثة المحترمه

رات لجنة التعريب والتهذيب في جريدة البارحة كلمة في القانون الذى
سنته الحكومة في المتقاعدين كلمة لم تفهم القصد منها وهي النطاق العسكري
فارجو ان تنبئوا اللجنة بمعنى هذا التعبير الجديد حتى نثبته في سجل
الالفاظ العسكرية المامول طبعه من بعد والامر لكم

سيدي في ١٤ نيسان ١٩٢٠

وفيها:

عدد٢ إلى مديرية الشعبة الثالثة المحترمة

رأت لجـــنة التعريب والتهذيب في جريدة البارحة كلمة في القانون الذي سنّته الحكومة في المتقاعدين كلمة لم تفهم القصد منها وهي النطاق العسكري. فـــأرجو أن تنبـــئوا اللجنة بمعنى هذا التعبير الجديد حتى نثبته في سجل الألفاظ العسكرية المأمول طبعه من بعد والأمر لكم.

سيدي في ١٤ نيسان سنة ١٩٢٠

الصورة (١٥)

[illegible]

الى لجنة التعريب والتهذيب [illegible]

[illegible]

لجنة التهذيب والتعريب المحترم

[illegible]

مراسلة بين لجنة التعريب والتهذيب والشعبة العسكرية بشأن توحيد المصطلحات العسكرية

وفيها:

إلى مديرية الشعبة الثالثة المحترمة

٩٢٠ أوراق نظارة
٢ الحربية
٥٠٨٤

لم أزل أسمع وأرى كلمة الفوج والرهط والفصيل بين بعض الضباط وفي بعض المحرَّرات وعلى الأغلب في معاملات الدرك، وتوحيد هذه التعابير في العسكرية ضروري لايخفى حضرة المدير أهميته فإن رأى أن يعمّمها مرة ثانية فالأمر له سيدي في ١٤ نيسان ١٩٢٠

من لجنة التعريب والتهذيب

القائد

رشيد بقدونس

٣ رئيس لجنة التعريب والتهذيب المحترم
١٩٦

أرجوكم إرسال قائمة بأسماء الجديدة الموضوعة للرّتب لنتذاكر بها وتعمم هذه الأسماء مع أسماء القطعات ودمتم سيدي.

١٩٢٠/٤/١٤ مدير الشعبة الثانية ووكيل الثالثة

الصورة (١٦)

الى رئيس اللجنة الثالثة

نعم ومن يضع المصطلحات يوجب الفوضى في اللغة ويصعب على الكتاب تحصيلها فاذا
بقيت الحالة على هذا لا يمضي سنة الا ونرى كلمات متعددة تقابل
معنى واحد ليستعمل كلاً منها قسم من الناس لجهل الواحد ما يريد
الاخر. ولست اريد بذلك ان تستأثر لجنة التعريب والترجمة
العسكرية بكل الاصطلاحات ولكني ارى من الضروري ان كانت
ثمة لجان مأمورة بالوضع ان ينتدب من كل لجنة عضواً واكثر
فيجتمعوا في كل اسبوع مرة ويعرض كل منهم ما وضعته لجنته المنسوب
اليها فاذا تم الاتفاق عليه نشروه في جميع الجرائد. فارجوا ولا
ان تسعوا في ذلك حرصاً على هذه اللغة الكريمة قبل ان يضيع
الحزن وان تعمم كلمة "ملازم" التي هي بمعنى "قادر" التركية
بين الملكية والاهلية كما تعممت بين العسكريين الذين
يعرفون النظام معادل لكلمة الاصف "اول" بك "ثاني"
والامر لوليه سيدي في ٢٨ رجب سنة ١٣٣٨ في ١٧ نيسان ١٩٢٠

الى رئيس اللجنة الرابعة

ارجوكم ان تأمروا بطبع الجدول المربوط بشرط ان يراجعني الطابع
قبل ان يشرع في طبعه حتى اقرأه اشياء لابد منها غير مكتوبة فيه
والامر لكم سيدي في ٩ شعبان ١٣٣٨ في ٢٧ نيسان ١٩٢٠

رسائل إلى الشعب العسكرية بطلب توحيد المصطلحات وضرورة عدم تعدّدها.

وفيها:

عدد
١
إلى مديرية الشعبة الثالثة

تعـدّد مـن يضع المصطلحات يوجب الفوضى في اللغة ويصعّب على العامّة تحصيلها فإذا بقيت الحالة على هذا لايمضي سنة إلا ونرى الكلمات مـتعدّدة مقـابل معـنى واحد يستعمل كلاً منها قسمٌ من الناس يجهل الواحد مايريده الآخر. ولست أريد بذلك أن تستأثر لجنة التعريب والتهذيب العسكرية بكل الاصطلاحات ولكن أرى من الضروري إن كان ثمة لجان مأمورة بالوضع أن ينـتدب من كل لجنة عضو أو أكثر فيجتمعوا في كل أسبوع مرة ويعرض كـل مـنهم ماوضعته لجنته المنسوب إليها فإذا تمّ الاتفاق عليه نشروه في جميع الجـرائد. فأرجو أولاً أن يُسعى في ذلك حرصًا على هذه اللغة الكريمة قبل أن يتسع الخرق، وأن تعمّم كلمة ملاك «التي هي معنى قادرو» التركية بين الملكيين والمالـيين كمـا تعممـت بين العسكريين الذين يعرفون النطاق معادلاً لكلمة «بيلاصقة» أو «بل قايشي» والأمر لوليّه سيدي.

٢٨ رجب سنة ١٣٣٨/ ١٧ نيسان سنة ١٩٢٠

عدد
٢
إلى مديرية الشعبة الرابعة

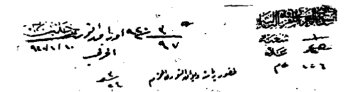
أرجو أن تأمروا بطبع الجدول المربوط بشرط أن يراجعني الطابع قبل أن يشرع في طبعه حتى أفهمه أشياء لابدّ منها غير مكتوبة فيه.

والأمر لكم سيدي.

٩شعبان سنة ١٣٣٨/ ٢٧ نيسان سنة ١٩٢٠

الصورة (١٧)





ل.ت

سؤال من قائد الفرقة الثالثة عن طريق رئاسة ديوان الشورى الحربي عن «تذكير»
الإيعازات إلى القطعات العسكرية المؤنثة الأسماء.

وفي الأسفل إحالة المجلس للسؤال إلى (ل.ت) أي لجنة التعريب.

وفيها:

ديوان الشورى الحربي للفرقة الثالثة

١/٤٥ شعبة — ٣٠/٩٧ سنة ١٩٢٠ أوراق الشورى الحربي — حلب ١٩٢٠/١/١٠

١٢٦ عام — شعبة

لحضور رياسة ديوان الشورى المحترم — ٣/٢٤

نعرض لدولتكم أنه وردتنا تعريب أسماء القطعات في الجيش، وبما أن كلمات فئة، سريّة وكتيبة مؤنثة فهل يلزم تصحيح الإيعاز أي قول كتيبة سيري بدلاً من فوج سر [أو استعمال إيعاز كتيبة سر؟] والأمر لسيدي المحترم.

قائد الفرقة الثالثة

توقيع

إلى ش٣ ١٩٢٠/١/١٣

ل.ت (لجنة التعريب)

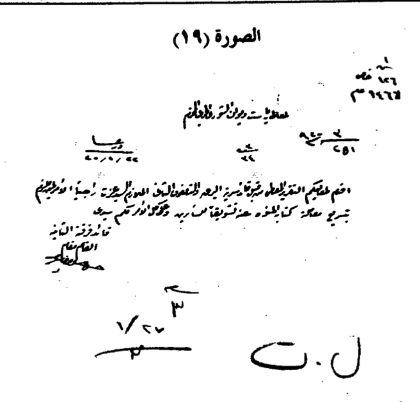
توقيع

الصورة (١٨)

قد تسمي العرب رجالها بأسماء مؤنثة لفظاً مثل طلحة وحمزة ومع
ذلك فإنهم يخاطبونهم بصيغة المذكر فيقولون يا طلحةُ اذهب
ويا حمزةُ اجلس؛ ولما كانت المخاطبة بالإيعازات مذكراً يراد
بقسم من الجند صح خطابه بصيغة المذكر وإن كان الاسم الموضوع له
مؤنثاً تأنيثاً لفظياً فيقال: فئة – سر؛ كتيبة – سر. وقد
خصص هذا بالإيعازات فقط لأنها مبنية على الإيجاز ويحذف
فيها ما يجوز في غيرها على أن هذا جائز قياساً على طلحة وحمزة
وأشباههما كما تقدم. وأما أثناء التكلم عن القطعة أو الفئة أو
السرية أو الكتيبة في رسالة أو كتاب أو نحوهما فإنه يراعى لفظ
المؤنث بالتأنيث فيقال مثلاً: ذهبت سرية إلى حمص وقامت
بوظيفتها وجاءت كتيبة من منشأة القلعة والتحقت باللواء الثاني
وأخذت القطعة أهبتها للسفر غداً وأوقفت فئة الأسلحة الرشاشة [illegible]

فتوى لجنة التعريب خط الشيخ عبد القادر المبارك وقد سبق ذكر نصها في ص٢٢٢

الصورة (١٩)



رسالة من قائد الفرقة الثانية قائم مقام درعا إلى معالي رئاسة ديوان الشورى الحربي بطلب الإسراع بتعريب الألفاظ المستعملة في البرق والتلفون بتاريخ ١٩٢٠/١/٢٢.

وفي الأسفل إحالة الشعبة الثالثة للطلب إلى (ل.ت) لجنة التعريب في ١/٢٧

وفيها:

١ ش

١٢٦ خاص

١٤٦٦ عام — لمعالي رئاسة ديوان الشورى الحربي المحترم

٣ سنة ١٩٢٠	٣	درعا
٢٥١	شعبة	١٩٢٠/١/٢٢
	٣٤	

أقــدم لمعالــيكم التقرير المعطى من قبل قائد سريّة البرق والتلفون الثاني المــلازم السيد عزت راجياً الأمر لمن يلزم بتسريع معاملة كتابه المنوه عنه تشويقاً

للسائرين وعلى كل الأمر لكم سيدي.

قائد فرقة الثانية

القائم مقام

التوقيع

ل. ت (لجنة التعريب) شعبة٣

١/٢٧

التوقيع

الصورة (٢٠)

جواب لجنة التعريب بخط القائد رشيد بقدونس يشكو من كثرة الأعمال. وتعليق القيادة إلى (ل.ت) بتقديم الأهم على المهم. وقد سبق ذكر نصّها في ص ٢٢٣

كتاب الأحجـــار

صنعة

الصاحب بن عبَّاد

٣٢٦هـ - ٣٨٥هـ

د. هلال ناجي

ترجمة المصنِّف:

وزير من نوابغ عصره، كان شاعرًا وناثرًا وناقدًا وعروضيًّا ومصنِّفًا ولغويًّا غلب عليه الأدب، وُلد في الطالقان من أعمال قزوين فنُسب إليها وتوفي بالريّ.

لُقِّب بالصاحب لصحبته مؤيِّد الدولة منذ صباه. وقد استوزره مؤيِّد الدولة بن بويه الديلمي، فلما مات استوزره أخوه فخر الدولة، وظلَّ في دست الوزارة ثمانية عشر عامًا.

أمّا شيوخه فأبرزهم الإمام أحمد بن فارس، وابن العميد، وأبو بكر بن كامل وأبو بكر بن مقسم والسيرافي.

وكان الصاحب جوادًا مُمَدَّحًا، وكان قد شيّد دارًا بأصفهان وانتقل إليها، فاجتمع ببابه من الشعراء المدَّاحين ما لم يجتمع بباب أيّ وزير على الإطلاق وكانت له دار بالري وأخرى بجرجان. فمن شعرائه أبو العباس الضبّي وأبو الحسن صاحب البريد وأبو الطيب الكاتب وأبو سعيد الرستمي وأبو الحسن الجرجاني وأبو القاسم الزعْفراني وأبو القاسم بن أبي العلاء وأبو محمد بن المنجم وأبو عيسى بن المنجم وأبو القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلّى وأبو العلاء الأسدي وأبو الحسن الغويري وأبو بكر الخوارزمي

وغيرهم كثار. وكانت دار الصاحب حيثما حلّ منتدى أدبيًّا، يؤمّه الشعراء والأدباء فيطلب إليهم الصاحب النظم في موضوع معيَّن. فيلبُّون رغبته وينظمون ما اقترح.

فمن ذلك أنه لما حصل في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان، أَمَرَ من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معديكرب:

أعـــددتُ لـــلحدثان ســـا بغـــــةً وَعـــدّاءً عَلَـــنْدى

فنظمت في ذلك قصائد أبرزها ما أورده الثعالبي في يتيمته لعبد الصمد ابن بابك وأبي الحسن الجوهري وأبي محمد الخازن وسمّاها «الفيليّات». وكانت مجالسه تفيض ظرفًا. فقد حدث أن نفق برذون شاعره أبي عيسى بن المنجم، فأوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يُعَزُّوا أبا عيسى ويرثوا برذونه، فنظم كل من: أبي القاسم الزعفراني وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وأبي القاسم بن أبي العلاء وأبي الحسن السلامي وأبي محمد الخازن وأبي سعيد الرستمي وأبي العباس الضبّي وأبي دلف الخزرجي وأبي محمد محمود، كما رثى صاحب البرذون برذونه بقصيدة. هذه القصائد أوردها الثعالبي في اليتيمة تحت عنوان «البرذونيات».

قلنا إنه كان شاعرًا، شاهد ذلك ديوانه الذي جمعه وحقّقه الشيخ محمد حسن آل ياسين وطبع طبعتين: أولاهما في بغداد سنة ١٣٨٤هـ، والثانية في بيروت سنة ١٣٧٤هـ.

وكان مترسِّلاً ناثرًا، وقد نشر المختارَ من رسائله الدكتوران: عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ.

أمّا مصنَّفاته اللغوية فأبرزها:

١- «المحيط في اللغة» وقد حقّقه ونشره الشيخ محمد حسن آل ياسين وطُبع في بيروت في أحد عشر مجلدًا سنة ١٩٩٤م.

٢- وكتاب «العباب الزاخر واللباب الفاخر» نشر منه الشيخ محمد حسن آل ياسين خمسة أجزاء تضم الحروف: الهمزة والطاء والقاف والغين والسين. طبعها في بغداد منجّمة بدار الشؤون الثقافية.

٣- والفرق بين الضاد والظاء – بتحقيق محمد حسن آل ياسين – بغداد ١٣٧٧هـ.

٤- وكتاب «جوهرة الجمهرة» وهو مختصر لجمهرة ابن دريد، لم يُطبع.

٥- ثم كتاب «الأحجار» هذا، والذي نتولى اليوم إخراجه إلى القرّاء أول مرة، وسنتحدث عنه في فقرة لاحقة.

أمّا بقية آثاره المطبوعة فيمكن حصرها في الآتي:

١- الإبانة عن مذهب أهل العدل: بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – النجف ١٣٧١هـ، بغداد ١٣٨٣هـ.

٢- الإقناع في العروض وتخريج القوافي: بتحقيق محمد حسن آل ياسين – بغداد ١٣٧٩هـ.

٣- الأمثال السائرة من شعر المتنبي – بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – بغداد ١٣٨٥هـ.

٤- التذكرة في الأصول الخمسة: بتحقيق محمد حسن آل ياسين – بغداد ١٣٧٣هـ.

٥- رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني: بتحقيق محمد حسن آل ياسين – بغداد ١٣٧٤هـ.

٦- رسالة في الهداية والضلالة: بتحقيق د. حسين محفوظ - طهران ١٣٧٤هـ.

٧- الروزنامجة: جمع وتحقيق محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٣٧٧هـ - بغداد ١٣٨٥هـ.

٨- عنوان المعارف وذكر الخلائف: بتحقيق محمد حسن آلْ ياسين - النجف ١٣٧١هـ، بغداد ١٣٨٣هـ، بغداد ١٣٨٥هـ.

٩- الفصول الأدبية: بتحقيق محمد حسن آل ياسين - دمشق ١٩٨٢م.

١٠- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: بتحقيق محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٣٨٥هـ.

١١- المختار من رسائل الصاحب بن عبَّاد: بتحقيق عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف - القاهرة ١٣٦٦هـ.

نال الصاحب بن عبَّاد اهتمامًا كبيرًا من المصنِّفين القدامى، فقد خصّه الثعالبي في يتيمة الدهر (٣/ ١٩٢- ٢٩٠) بترجمة موسَّعة.

كما خصّه ياقوت في معجم الأدباء (ج٦ / ص ١٦٨- ٣١٧) بترجمة مماثلة. وفي المتأخرين والمعاصرين، صنّف أحمد بن محمد الحسني القوبائي الأصبهاني رسالة سمّاها «الإرشاد في أحوال الصاحب الكافي إسماعيل بن عبّاد» - ألّفها سنة ١٢٥٩ هـ وطُبعت في طهران مع كتاب «محاسن أصفهان» سنة ١٣١٢هـ.

وصنّف الشيخ محمد حسن آل ياسين عنه كتابًا عنوانه «الصاحب بن عبَّاد»: حياته وأدبه - بغداد ١٣٧٦هـ. وكتب عنه الدكتور بدوي طبانة كتابًا سمّاه «الصاحب بن عبَّاد» الوزير الأديب العالم - القاهرة ١٩٦٤.

وصنّف العلاّمة خليل مردم كتابًا عنه أيضًا.

توفي الصاحب بن عبّاد في الريّ في الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمئة، ومات (عبّاد) في السنة نفسها التي مات فيها ابنه ونُقل إلى أصفهان ودُفن فيها.

وقد أورد الثعالبي جملة من مراثيه، فممَّن رثاه: أبو القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني، وأبو سعيد الرستمي، وأبو الفرج بن ميسرة، وأبو الفياض سعيد ابن أحمد الطبري وأبو العباس الضبيّ. ورثاه الشريف الرضي بخالدة من خوالده وسواهم.

تحقيق عنوان الكتاب وتوثيق نسبته إلى مؤلّفه:

عنوان المخطوطة «كتاب الأحجار»، وقد نصَّت المخطوطة على اسم مؤلّفه. وممّا يوثّق نسبة هذا الكتاب إلى الصاحب، ما ذكره أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي (ص٤٤) ونصه: «وأخبرني علي بن أحمد بن الصبّاح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثّنا ابن أخي الأصمعي عن عمّه أن الرشيد سأله عن شعر لأبي حزام العكليّ، ففسّره فقال: «يا أصمعي إنّ الغريب عندك لغيرُ غريب». قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حَفظْتُ للحَجَر سبعين اسمًا!. وهذا كما قاله الأصمعي. ولكافي الكفاة – أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله – في ذلك كتاب مُجَرَّد».

فابن فارس يؤكّد أن للصاحب بن عبّاد الملقّب كافي الكفاة كتابًا في أسماء الحَجَر.

ويؤكّد الثعالبي صحة هذه النسبة إذ يقول في كتابه فقه اللغة (ص٤٣٩): في باب «في الحجارة»: قد جمع أسماءها الأصبهاني في كتاب الموازنة، وكسّر الصاحب على تأليفها دُفيترًا وجعل أوائل الكلمات على توالي حروف الهجاء، إلاّ ما لم يوجد منها في أوائل الأسماء. وقد أخرجتُ منها ومن غيرها ما

استصلحته للكتاب. وقد نقل الثعالبي عن كتاب الصاحب بن عبّاد هذا بضع كلمات وأشار إليها.

وإن الاختلاف اليسير الواقع في العنوان بين لفظة (الأحجار) التي عنونت بها المخطوطة، ولفظة (أسماء الحجر) التي وردت عند ابن فارس والثعالبي لا يغيّر من جوهر الموضوع شيئًا.

ويخيّل إليّ أن الصاحب بن عبّاد صنّف كتابه هذا بعد أن أنفذ إليه شيخه ابن فارس كتابه الموسوم «الحَجَر» من تأليفه. فقال الصاحب: ردّ الحَجَر من حيث جاءك، ثم لم تطب نفسُه بتركه، فنظر فيه وأمر له بصلة. وكان سبب انحراف الصاحب عن شيخه ابن فارس، انتساب الأخير إلى خدمة ابن العميد وتعصّبه له. وكان قد شجر خلاف عميق بين الصاحب وابن العميد ذكرته المصادر الأدبية.

وفذلكة ما تقدّم أن ورود اسم المؤلّف في المخطوطة من جهة، وتوثيق نسبة كتاب بهذا الاسم صنّفه الصاحب، ذكره مصدران قديمان معاصران هما: الصاحبي لابن فارس ويتيمة الدهر للثعالبي، يُزيل كلّ شك في صحة عنوان الكتاب ويُوثّقُ نسبته إلى مؤلّفه.

وصف المخطوطة:

مخطوطة الكتاب فريدة في الدنيا لا أُخت لها. وأصلها محفوظ في مكتبة كوعنشلر في طوبقبوسراي بالأستانة برقم ١٠٩٦ مجاميع، ضمن مجموع كُتب بين عامي ٧٠٧ – ٧٢٠هـ. ناسخه محمد بن أحمد الشافعي.

كُتب على ورق كبير، معدّل سطور الصفحة الواحدة ثلاثون سطرًا، ومعدّل كلمات السطر الواحد ثلاث عشرة كلمة. وهي مضبوطة بالشكل وفيها بياضات قليلة وطمس قليل جدًّا.

وقد أثبتنا مع نشرتنا هذه أنموذجًا من المخطوطة.

جديرٌ بالذكر أن ابن القطاع الصقلّي قد ذيّل على هذا الكتاب، وزاد عليه مئتين وثمانين اسمًا فصارت الفذلكة أربعمئة اسم.

وسنقوم بتحقيق هذه الزيادة في نشرة مستقلة إن شاء الله.

نموذج من «كتاب الأحجار» صنعه الصاحب بن عبّاد وحققه هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على محمد وعلى آل محمد وسلم، ربِّ زدني علمًا.

كتاب الأحجار

قال أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الصاحب: أخبرني (...)[١] عن ابن دريد عن أبي نصر عن الأصمعي، أنّ الرشيد سألَهُ عن شعر أبي حزام العُكْلي[٢] ففسّره، فقال: «يا أصمعيّ: ما الغريب عندك بغريب»، فقال: [يا أمير المؤمنين][٣]، وكيف لا يكون كذلك، وقد حَفِظْتُ للحجرِ سبعينَ اسمًا[٤]، فقلتَ لي: هل تصحُّ هذه الحكاية استعظامًا منك لما سمعت، وسألتَ أن أكتب لك من هذه الأسماء بما يَقْرُبُ تناوله ويَسْهُلُ تأمّلُه، فإنّ أسجاع الكتب بحر عميق وطريق سحيق، وقد فعلتُ وأعان الله تعالى على جمع مئة اسم وبضعة عشر اسمًا. وقد نَسَّقْتُها على حروف المعجم، إلاّ ما لم يوجد منها وهي: التاء والثاء والذال والشين والطاءُ والهاءُ. ولاشكّ أنّ مَنْ سوانا إذا بحث وفحص استزاد واستضاف، ولعلنا أن نلحق على الأيّام ما يأتي به فضلُ التَعَلُّم، وفيما ذكرناه من تصديق دعوى الأصمعي كافٍ، وبأكثر منه وافٍ، والله الموفّق للصواب.

الهمزة: الأَرَم[٥]: حجارة تنصب أعلاما، وجمعه آرام، والأرميّ مثله.

الأثْلَب[٦]: الحجر.

الأوكح[٧]: الحجر.

الأيْهَم[٨]: الحجر عن ابن الأعرابي.

الأَيْرُ[٩]: الحجر الصلب.

الأَمَر[١٠]: الحجارة، واحدتُها أَمَرَةٌ.

الأُثْفِيَّة[١١]: حجارة القدر.

ابنَةُ الجَبَل[١٢]: الحصاة.

الأُميمة[١٣]: حجر يُشدخ به الرأس.

أتان الضَحْل[١٤]: صخر يكون في الماء.

الباء: البُلُطَةُ[١٥]: الحجر يبلّط به الدار.

البَصْرة[١٦]: حجارة رخوة، ويُقال لها (البَصْرُ والبِصْر أيضًا).

البراطيل[١٧]: صخور طِوال واحدها برطيل.

الجيم: الجُلْمُود[١٨]

الجَرْوَل[١٩]

الجَلْمَد[٢٠]

الجَلَد[٢١]

الجَمْرَةُ[٢٢] ومنه جَمَراتُ مِنى.

الجَنْدَل[٢٣].

الجَيْهل[٢٤]: الصخرةُ العظيمة.

الجَشَر[٢٥]: حجارة تكون في سواحل البحار وربما اُتخذت منها الأرحاء.

الجُلْذِيَة[٢٦]: حجرٌ عريض.

الجُمْعَرَةُ[٢٧]: الأرض ذات الحجارة.

الحاء: الحِمارة[٢٨]: حَجَرٌ يُجعل حول الحوض لئلا يسيلُ ماؤه، والجمع حمائر.

الحجارة[٢٩]: اسم الجنس جُمع على غير قياس.

الحِصْحِص[٣٠]: الحجارة والتراب. (...)[٣١]

الخاء: الخِضَمُّ(٣٢): حَجَرُ المِسَنّ.

الدال: الدُّملوك(٣٣): الحجر المُدَمْلَك.

الدُّمْلق والدُّمْلُوق والدُّمالِق(٣٤): الحجر المستدير.

الراء: الرداة(٣٥): الصخرة، والجمع رِدى.

الراعُوفَة(٣٦): حجرٌ يتقدَّم من طيِّ البئر.

الرَّضْفَة(٣٧): حجر يُحمى فتسخن به القدِر.

الرَّبيعة(٣٨): الحجر الذي يربع أي يُرفع.

الرِّجام(٣٩): حجرٌ يشدّ في طرف الحبل ويُدلّى حتى تثور الحُمْأة، فتُدعى الواحدة رُجْمَة.

الرِّضام(٤٠): صخور عظام الواحدة رَضْمَة.

الرَّواهص(٤١): حجارةٌ متراصفة.

الرَّحى(٤٢): معروفة.

الرُّضراضة(٤٣): حجارة تَتَرَضْرضُ على وجه الأرض.

الرضراض(٤٤): القِطَعُ من الحجر.

الزاي: الزَّنانيرُ(٤٥): حصًى صغار.

السين: السُّلوانة(٤٦): حجر يزعم العرب أن من سُقي ماءَها سَلا عمَّنْ يحبّه.

السلمانة(٤٧): حجرٌ يُدفع إلى الملسوع يحركه بيده.

السِّنان(٤٨): حجر المِسَن.

السِّلام(٤٩): الحجارة، واحدتُها سَلِمَة.

الصاد: الصَّخْرة(٥٠): الصَّخْرة.

الصُّفَّاحَة(٥١): الصخرة الملساء، والصفيحةُ: مثلها، والصُّلاعَة: مثلها.

الصَّيْهَب[٥٢]: الحجر (...) مثله الصَّيْخُود[٥٣]: الصخرة العظيمة.

الصَّفْوان والصَّفْواء والصَّفا[٥٤] بمعنى.

الصَّبَّارة[٥٥]: الحجارة.

الصَّوَّان[٥٦]: الحجارة الصلبة.

الصُّلْبُ والصُّلّبي[٥٧]: حجارةٌ كالمسنّ.

الضاد: الضُّلَضِلة كالضَلَضِلة[٥٨]: حجر أملس يكون في بطون الأودية، وقيل: هو الأرض ذات الحجارة.

(.....)[٥٩] ضَلَضِلٌ[٦٠]: الحجارة المُلس.

الضُّروس[٦١]: الحجارة.

الظاء: الظِرار[٦٢]: حجارة محدَّدة، واحدها ظُرَر.

الظِّراب[٦٣]: كلّ حجرٍ ثابت الأصل، حديد الطرف.

العين: العَنْس[٦٤]: الصخرة.

والعِرْمِس[٦٥]: مثلها، وبها سُمِّيت الناقة.

العُقاب[٦٦]: الصخرة ناشزة في البئر تخرقُ الدِّلاء.

الغين: الغَدَر[٦٧]: الحجارة مع الشجر.

الغَضْبَة[٦٨]: الصَخرة الصُّلْبة.

الفاء: الفِهْر[٦٩]: الحجر وأكثر العرب [تؤنِّث الفهر][٧٠]

الفَنْخَرَةُ والفِنْخيرة[٧١]: صخرة تنقلع من أصل الجبل.

والفِنْدِيرة[٧٢]: الصخرة.

القاف: القُسْطَناس[٧٣]: حجر الطيب، قال مهلهل:

كالقُسْطَناس عَلاهُ الوِرْسُ والجَسَدُ

القَدّاس(٧٤): حجر يُجعل في وسط الحوض للمقدار الذي يروي عليه الإبل.

القَلَعَة(٧٥): صخرة تنقلع من الجبل منفردة.

القُسْطاعة(٧٦): صخرة عظيمة تكون في قمة سهل.

القَبَل(٧٧): رأس الجبل وهو أيضًا حجر.

القَبيلَة(٧٨): خرزة تُؤخذ بها الشاء.

القَهْقَرُ(٧٩): حجر أسود، قال مهلهل:

مِصَـــكٌّ كَقَهْقَـــرِّ القَذافِ مُلَمْلَمِ

القُنْزُعَة(٨٠): حجر.

القَرْمَدُ(٨١): حجارة لها خروق تُمَهّد بها الحياض.

الكاف(٨٢): الكَثْكَثُ: الحجارة.

الكَذّان(٨٣): حجارة رخوة.

الكُدْيَة(٨٤): الحجرُ تستُره الأرضُ يُبرزه الحَفْرُ.

اللام: اللّخاف(٨٥): حجارةٌ فيها عِرَضٌ ورقّةٌ، واحدها لَخْفة.

اللّحَفَة(٨٦): بالجيم: صخرة على الغار كالباب.

الميم: المَداك(٨٧): حجر الطِيب، المِدْوَك: مثله.

المِرْداة(٨٨): حجر الضبّ، يُنصب علامة. وقال أبو عبيدة: صخرة تُكسر بها الحجارة.

المَقْلَة(٨٩): حجر يتقاسم به الماء.

المِرْداس(٩٠): صخرة يُرمى بها في البئر لِيُعلم أفيها ماءٌ أم لا.

المِرْماة(٩١): حجرٌ يُرمى به.

المَلَقَة(٩٢): صفاة ملساء.

المِرْضاض(٩٣): حجر الدَّق.

المِلْكاس(٩٤): صخرة عظيمة.

المِقْذاف(٩٥): ما يُقذف به.

المَرْو(٩٦): حجارة بيض.

المِقْراة(٩٧): حجر ينقر حوضًا.

المِدْماك(٩٨): حجر يقوم عليه الساقي.

المِسَنّ(٩٩): حجر يُسَنُّ عليه.

النون: النَّشَفَة والنَّشِيفَة(١٠٠): حجر الرجل [واليد].

النَّسْفَة(١٠١): حجارة الحرة.

النَّشِيئَة(١٠٢): حجر يُجعل أسفل الحوض.

النصائب(١٠٣): حجارة تُنصب حول الحوض، الواحدة نصيبة.

النُّبْلَة(١٠٤): حجر الاستنجاء.

النُّصُب(١٠٥): حجر كان يُنصب وتُصبّ عليه دماء الذبائح للأوثان.

النَّقَل(١٠٦): الحجارة.

الواو: الوَثِيمَة(١٠٧): الحجر.

الوَخْف(١٠٨): صخرة سوداء تامة.

الياء: اليَهْيَرّ(١٠٩): حجارة أمثال الأكفّ.

اليَرْمَع(١١٠): حجارة رخوة.

اليَلْمَع(١١١): حجارة بيض تلمع في الشمس.

آخر كلام الصاحب

الهوامش

[صنعة المحقق]

(١) في الموضع كلمة لم أفهمها.

(٢) أبو حزام العكلي: من الشعراء الأعراب الفصحاء المعروفين بالغريب، كان من ندماء أبي عبيد الله وزير المهدي العباسي.

(٣) ما بين قوسين زيادةً من كتاب الصاحبي ص (٤٤).

(٤) خبر حديث الرشيد مع الأصمعي أورده ابن فارس في (الصاحبي) ص(٤٤) مع اختلاف يسير في الصياغة، والمعنى واحد.

(٥) الأرمُ والإِرَمُ، والآرام: الأعلام، وخصّ بعضهم به أعلام عاد، وهي حجارة تُنصب عَلَمًا في المفازة، قال ذو الرمة:

وساحرة العيون من الموامي　　تَرَقَّصُ في نَواشِرِها الأُرومُ

يُنظر اللسان (ج١٢/ ص ١٤- ١٥) مادة أرم.

(٦) في اللسان مادة (ثلب): قال شمر: الأثلب بلغة أهل الحجاز: الحجر.

(٧) في اللسان (٢/ ٦٣٨): الأوكح: التراب.

(٨) لم يرد الأيهم بمعنى الحجر، وورد في اللسان (١٢/ ٦٤٩): الأيهَمُ: الشامخ من الجبال، والصعب الطويل الذي لا يُرْتقى، وقيل: هو الذي لا نبات فيه.

(٩) الأَيَرُّ: الحجر الصلد الصلب، وعن الليث يُقال: صخرة يرّاء وحجر أيَرُّ – اللسان (٥/ ٢٩٤). قال العجاج:

فإن أصاب كدرًا مدّ الكَدَرْ　　سنابك الخيل يصدعنَ الأَيَرْ

(١٠) الأَمَر: اللسان مادة أمر (٤/ ٣٢) وفيه: قال أبو زبيد يرثي الخليفة عثمان ﷺ:

إذْ كان عثمان أمسى فوقه أَمَرٌ　　كراقب العُون فوق القبة الموفي

(١١) الأُثْفِيَّة: حجر مثل رأس الإنسان، تُنصب القدور عليها، قال علقمة:

بل كلُّ قوم، وإن عزوا وإن كرموا　　عريفُهم بأثافي الشرِّ مرجومُ

اللسان (١٤/ ١١٤).

(١٢) في المزهر (١/ ٥٢٧).

(١٣) الأميم: حجر يُشدخ به الرأس، وأنشد الأزهري في الصحاح:

ويومَ جَلَّيْنا عن الأهاتِمِ بالمنجنيقات وبالأمائمِ

ينظر اللسان (١٢/ ٣٣).

(١٤) صخرةٌ قد غمر الماءُ بعضها وظهر بعضُها – فقه اللغة ص (٤٤٣– ٤٤٤).

(١٥) البَلْطَة: لم أجدها في اللسان، وفيه البَلاط: الحجارة المفروشة في الدار – اللسان مادة بلط (٧/ ٢٦٤).

(١٦) البصرة: حجارة رخوة بيضاء، قال ذو الرمة يصف إبلاً شربت من ماء:

تداعين باسم الشِّيب في مُتَثَلِّمٍ جوانبه من بَصْرةٍ وسِلام

اللسان (٤/ ٦٧).

(١٧) البَراطيل: واحدها برطيل: حجر طويل صُلب خِلْقةً ليس ممّا يُطَوِّله الناس ولا يحددونه تنقر به الرحى، وقد يشبه به خطم النجيبة. قال شاعر فقعسي:

ترى شؤون رأسها العواردا

مضبورةً إلى شبا حدائدا

ضَبْرَ براطيلَ إلى جلامدا

اللسان – مادة برطل – (ج١١/ ٥١).

(١٨) الجُلْمود والجَلْمَدُ: الصخر. وفي اللسان عن المحكم: هي أصغر من الجندل قدر ما يُرمى بالقذّاف، قال الشاعر:

وَسْط رجامِ الجندَلِ الجُلمود

وقال ابن الأعرابي: الجلمد: أتان الضَّحْل.

وقيل: الجلامد: كالجراول – اللسان (٣/ ١٢٩).

(١٩) الجرول كالجلمد اللسان (٣/ ١٢٩).

(٢٠) الجلمد: مرَّ فيما تقدَّم.

(٢١) الجَلَد: الأرض الصُّلْبَة. قال النابغة:

إلاّ الأواريَ لأيًا ما أبيّنها والنؤيُ كالحوض بالمظلومةِ الجَلَدِ

اللسان (مادة جَلَد) (٣/ ١٢٦).

(٢٢) الجَمْرَةُ: الحصاة، والجمرة: واحدةُ جَمَرات المناسك وهي ثلاث جمرات يُرمين بالجمار. اللسان (مادة جمر) (٤/ ١٤٧).

(٢٣) الجَنْدل: الحجارة، الواحدة جندلة. قال أمية الهذلي:

تمرّ كجندلة المنجنيـــ ـــق يُرمى بها السُّور، يومَ القتالِ

– اللسان مادة (جندل).

(٢٤) الجَيهَل: صفاةٌ عظيمة. اللسان (١١/ ١٣٠).

(٢٥) الجَشْرُ والجَشَرُ: حجارة تنبت في البحر. وعن الليث:الجَشَرُ ما يكون في سواحل البحر وقراره من الحصى والأصداف، يلزق بعضها ببعض فتصير حجرًا تنحت منه الأرحيَةُ بالبصرة. اللسان (٤/ ١٣٨).

(٢٦) الجُلَنْذيَّة: والصواب: الجُلْذيّ: الحجر.

أمّا الجُلَّذية: يُقال ناقة جلذية: قوية شديدة صُلبة. لسان العرب مادة (جلذ) (٣/ ٤٨١).

(٢٧) الجَمْعَرَة: يُقال للحجارة المجموعة: جَمْعَرٌ، وأنشد:

تَحُفُّها أسافةٌ وجَمْعَرُ وخِلّةٌ قِرْداتُها تَنَسَّرُ

اللسان (٤/ ١٤٨) (مادة جمعر).

(٢٨) الحمارَة: الصخرة العظيمة، وعن الجوهري: الحمارة حجارة تُنصب حول الحوض لئلا يَسيلُ ماؤه، وحول بيت الصائد أيضًا، قال حميد الأرقط يذكر بيت صائد:

أعَدَّ لِلْبيتِ الذي يُسامِرُهْ

بيتَ حُتوفٍ أُرْدِحَتْ حَمائِرُهْ

لسان العرب – (٤/ ٢١٣)– مادة حمر.

(٢٩) (الحَجَرُ): الصخرةُ، والجمع في القلة أحجار، وفي الكثرة حجارٌ وحجارة، وفي القرآن الكريم ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[البقرة: من الآية٢٤].

اللسان – مادة حجر – (٤/ ١٦٥).

(٣٠) الحِصْحِص، بالكسر: الحجارة، وقيل: التراب وهو أيضًا الحجر – اللسان مادة حصص (٧/ ١٦).

(٣١) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٣٢) الخِضَمُّ: المِسَنُّ لأنه إذا شَحَذَ الحديدَ قَطَعَ. قال أبو وجزة:

حَرَّى مُوَقَّعَةٌ ماج البَنانُ بها على خِضَمٍّ، يُسَقَّى الماءَ، عَجّاجِ

لسان العرب – (ج١٢/ ١٨٣) مادة خضم.

(٣٣) الدُّمْلُوك: الحجر الأملس المستدير، والمُدَمْلَك: المفتول المعصوب. اللسان مادة (دمك) (١٠/ ٤٢٩).

(٣٤) الدملوق والدُّمالق: الحجرُ الأملس مثل الكف. وحجر دُمَلِقٌ ودُمْلُوقٌ ودُمالِقٌ مُدَمْلَقٌ دَمْلُوقٌ: شديدُ الاستدارة وأنشد:

وعضٌّ بالناس زمانٌ عارقُ

يرفَضُّ منه الحجرُ الدُّمالِقُ

اللسان مادة دملق (١٠/ ١٠٥).

(٣٥) الرداة: وفي اللسان عن الجوهري: الرَّداةُ: الصخرةُ، والجمع الرَّدى، قال الشاعر:

فَحْلُ مَخاضٍ كالرَّدى المُنْقَضِّ

اللسان: مادة ردي (١٤/ ٣١٩).

(٣٦) الراعُوفة: حجرٌ ناتئٌ على رأس البئر لا يُستطاع قلعُه يقوم عليه المستقي، وقيل: راعوفة البئر: صخرة تُترك في أسفل البئر إذا احتُفرت تكون ثابتة هناك، فإن أرادوا تنقية البئر جلس المُنَقّى عليها. وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. اللسان (٩/ ١٢٣).

(٣٧) الرَّضْفَة: عن الليث: الرَّضْفُ حجارة على وجه الأرض قد حميت وعن الأصمعي: الرضف الحجارة المحماةُ في النار أو الشمس واحدها رَضْفَة. وقال أبو عمرو:الرضف حجارة يُوقد عليها حتى إذا صارت لهبًا أُلقيت في القدر مع اللحم فأنضَجَتْهُ. اللسان مادة رضف (٩/ ١٢٢).

(٣٨) الرَّبيعة: الحجر المرفوع، وقيل: الذي يُشال. اللسان مادة ربع (٨/ ١٠١).

(٣٩) الرِّجامُ: الحجارة المجموعة على القبور، قال الشاعر:

كما طافَ بالرُّجْمَةِ المرتجمْ

لسان العرب – مادة رجم (١٢/ ٢٢٨).

(٤٠) الرِّضام: قال ثعلب: الرَّضَمُ والرِّضام صخور عظام يُرضم بعضها فوق بعض في الأبنية، الواحدة رضمة. اللسان – مادة رضم (١٢/ ٢٤٣).

(٤١) الرواهص: الصخور المتراضِفةُ الثابتة. قال الأعشى:

فعضَّ حديدَ الأرضِ إنْ كنتَ ساخطًا بفيْكَ وأحجارَ الكُلابِ الرَّواهصا

لسان العرب – مادة رهص (٧/ ٤٤).

(٤٢) الرَّحى: الحجر العظيم، وهي التي يُطحن بها. قال رؤبة يخاطب الحيّة:

يا حيّ إلا أفْرَقُ أنْ تَفِحِّي أو أنْ تَرَحَّيْ كَرَحَى المُرَحِّي

اللسان مادة (رحا) (١٤/ ٣١٢- ٣١٣).

(٤٣) الرَّضْراضةُ: حجارة ترضرضُ على وجه الأرض أي تتحرك ولا تلبث. اللسان مادة رضض (٧/ ١٥٤) قال الراجز:

يَتْركنَ صَوَّانَ الحصى رَضْراضا

(٤٤) الرَّضْراضُ: ما دقَّ من الحصى. اللسان مادة رضض (٧/ ١٥٤).

(٤٥) الزَّنانير: الحصى الصغار.. قال ابن الأعرابي: الزنانير: الحصى، فَعَمَّ بها الحصى كلّه من غير أن يُعَيِّن صغيرًا أو كبيرًا.

قال ابن سيده: وعندي أنها الصغار منها، لأنه لا يصوّت منها إلاّ الصغار، واحدتها: زُنَّيرَةٌ أو زُنّارةٌ. اللسان مادة (زنر) (٤/ ٣٣٠).

(٤٦) السُّلوانة: قال ابن الأعرابي: السُّلْوانَة خَرَزة للبغض بعد المحبة.

قال ابن سيده: السلوانة خَرَزَة شفّافة إذا دفنتها في الرمل ثم بحثت عنها رأيتَها سوداء يُسقاها الإنسان فتُسليه.

وقال أبو عمرو السعدي: خَرَزة تُسحق ويُشرب ماؤها فيسلو شارب ذلك الماء عن حُبِّ

من ابتُلِيَ بحبّه. وقال اللحياني: شيءٌ يُسقاهُ العاشق ليسلو عن المرأة. قال الشاعر:

شَرِبْتُ على سُلوانةٍ ماءَ مُزْنَةٍ فلا وجديدِ العيشِ، يامَيّ، ما أسلو

لسان العرب – مادة (سلا) (١٤/ ٣٩٥).

(٤٧) السلمانة: لا وجود لها في المعجمات، وأظنها: السَّلِمَةُ. واحدة السَّلِمِ، وهي الحجارة. روى ابن بري لبجير بن عنمة الطائي قوله:

وإنّ مولاي ذو يُعاتبني لا إحْنَةٌ عندَه ولا جَرِمَهْ

يَنْصُرُني منك غيرَ مُعْتَذِرٍ يرمي ورائي بامْسَهْم وامْسَلِمَهْ

وأراد بـ(امسلمه) السَّلِمَة، وهي من لغات حمير. اللسان (مادة سلم) (١٢/ ٢٩٧).

(٤٨) السِّنان: الحجر الذي يُسَنّ به، أو يُسَنّ عليه، وفي الصحاح: حجرٌ يُحدّد به. قال الراعي:

وبيضٍ كستْهُنّ الأسِنّةُ هفوةً يُداوى بها الصاد الذي في النواظرِ

اللسان (مادة سنن) (١٣/ ٢٢٣).

(٤٩) السِّلام: الحجارة الصلبة، سُميت بهذا لسلامتها من الرخاوة قال الشاعر:

تداعين باسم الشِّيب في مُتَثَلِّمٍ جوانبُهُ من بَصْرةٍ وسِلامِ

والواحدة سَلِمَة. اللسان – مادة سلم (١٢/ ٢٩٧).

(٥٠) الصخرة: الحجر العظيم الصلب، قال الله تعالى في كتابه الكريم﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾ [لقمان: من الآية١٦]. اللسان مادة (صخر) (٤/ ٤٤٥).

(٥١) الصُّفّاحة: الصُّفّاح من الحجارة، الواحدة صُفّاحة، أنشد ابن الأعرابي:

وصُفّاحةٍ مثل الغفيق مَنَحتُها عِيالَ ابن حَوْب جنّبَتْهُ أقاربُهْ

والصفائح: حجارة رقاقٌ عراض. قال الأزهري: ويُقال للحجارة العريضة صفائح، واحدتها صفيحة، قال لبيد:

وصفائحًا صُمًّا، روا سيها يُسَدِّدْنَ الغضونا

اللسان مادة (صفح) (٢/ ٥١٣). والصُّلاعة: جاء في اللسان (٨/ ٢٠٥): الصُّلاّعُ: الصُّفّاح العريض من الصخر، الواحدة صُلاّعة. والصُّلْعةُ: الصخرة الملساء.

(٥٢) الصَيْهَب: في اللسان: صخرة صَيْهَبٌ صُلبة. والصيهب: الحجارة. اللسان مادة (صهب) (١/ ٥٣٣).

(٥٣) بياض في الأصل المخطوط.

(٥٤) الصيخود: الصخرة الملساء الصُلبة لا تحرك من مكانها ولا يعمل فيها الحديد، وأنشد:

حمراءُ مثلَ الصخرة الصَّيْخُودِ

والصَّيخُود: الصخرة العظيمة التي لا يرفعها شيء ولا يأخذ فيها منقارٌ ولا شيء. قال ذو الرمة:

يَتْبَعْنَ مثلَ الصخرة الصيخود

اللسان مادة (صخد) (٣/ ٢٤٥).

(٥٥) عن الأصمعي: الصَّفْواء والصَّفْوان والصَّفا، مقصور، كلّه واحد وأنشد لامرئ القيس:

كميتٌ يزلّ اللِّبْدُ عن حال متنه كما زَلّتِ الصفواءُ بالمُتَنَزَّلِ

وعن ابن السكيت: الصَّفا: العريضُ من الحجارة الأملس، جمع صَفاة يُكتب بالألف، فإذا ثُنّي قيل: صَفَوانِ، وهو الصفواءُ أيضًا. اللسان مادة (صفا) (١٤/ ٤٦٤).

(٥٦) الصَبّارة: في اللسان الصُبارة بضم الصاد: الحجارة وقيل الحجارة الملس. قال الجوهري من أبيات لعمرو بن ملقط الطائي:

من مُبْلغٌ عمرًا بأنّ المرء لم يُخلق صُبارهْ

ويروى صَبارة بفتح الصاد وهو جمع صَبار والهاء داخلة لجمع الجمع لأنّ الصَّبار جمع صَبْرة: وهي حجارة شديدة.

قال ابن برّي: وصوابه: صِباره، بكسر الصاد، وعلّله. اللسان مادة صبر (٤/ ٤٤١).

(٥٧) الصُوّانُ: حجارة يقدح بها، وقيل: هي حجارة سُود ليست بصلبة، واحدها صَوّانة. قال الأزهري: الصَوّان حجارة صُلْبة إذا مَسَّتْهُ النار فَقَّعَ تفقيعًا وتشقق، وربما كان قدّاحًا تُقتدح به النار. قال النابغة:

يرى وَقْعُ الصَوّان حَدٌّ نُسُورها فَهُنّ لطافٌ كالصِّعادِ الذوابلِ

اللسان مادة (صون) (١٣/ ٢٥١).

(٥٨) الصُّلَّبُ والصُّلَّبِيُّ: حجارة المِسَنّ. قال امرؤ القيس:

كحدِّ السنانِ الصُّلَّبِيِّ النَّحيض

أراد بالسنان: المِسَنّ. ويُقال: الصُّلَّبِيّ: الذي جُلِيَ وشُحِذَ بحجارة الصُّلَّبِ، وهي حجارة تُتخذ منها المِسانّ. قال الشماخ:

وكأنَّ شفرةَ خَطْمِه وجَبينِه لمّا تَشَرَّفَ صُلَّبٌ مفلوقُ

والصُّلَّبُ: الشديد من الحجارة، أشدها صلابةً. اللسان — مادة صلب (١/ ٥٢٨).

(٥٩) الضُّلضِلة والضَّلَضِلَة: الحجارة التي يقلُّها الرجلُ. وفي التهذيب: الضُّلَضِلَةُ كُلُّ حجر قدر ما يُقلّه الرجل أو فوق ذلك، أملس يكون في بطون الأودية. اللسان مادة (ضلل) (١١/ ٣٩٥).

(٦٠) كلمة مطموسة.

(٦١) قال الفراء مكان ضَلَضِلٌ: وهو الشديد ذو الحجارة.

(٦٢) الضُّروس: الحجارة التي طُوِيَتْ بها البئر. قال ابن ميادة:

إمّا يزال قائلٌ أبِنْ، أبِنْ

دَلْوَكَ عن حدِّ الضُّروسِ واللَّبِنْ

والضّريس: الحجارة. اللسان مادة (ضرس) (٦/ ١١٩).

(٦٣) الظُّرُّ والظُّرَرُ: الحجر عامة، وقيل: هو الحجر المدور، وقيل: قطعة حجر له حَدٌّ كحدِّ السكين. قال الأصمعي: الظِّرار واحدها ظُرَرٌ وهو حجر محدّدٌ صُلْبٌ وجمعهُ ظرارٌ. اللسان مادة ظرر (٤/ ٥١٧).

(٦٤) الظِّراب: عن الليث: الظَّرِبُ من الحجارة ما كان ناتئًا في جَبَلٍ أو أرض خَرِبَة، وكان طَرَفُهُ الثاني مُحَدَّدًا.

(٦٥) العَنْس: الصخرة. والعنس: الناقة القوية، شُبِّهت بالصخرة لصلابتها. والجمع عُنْسٌ وعُنوسٌ وعُنَّس. اللسان مادة (عنس) (٦/ ١٥٠).

(٦٦) العِرْمِس: الصخرة، والناقة الصُّلبة الشديدة وبها شُبِّهت. اللسان: مادة عرمس (٦/ ١٣٨).

(٦٧) العُقابُ: حجرٌ يَستَنْتِلُ على الطيِّ في البئر أي يَفْضُل.

وقال ابن الأعرابي: العُقاب: الخَزَفُ بين السافات، وأنشد في وصف بئر:

ذات عُقاب هَرِشٍ وذاتَ جَمّ

اللسان مادة (عقب) (١/ ٦١٧).

(٦٨) الغَدَرُ: الموضع الكثير الحجارة. والغَدَرُ: الحجارة والشجر، وكل ما واراك وسدّ بصرك: غَدَرٌ. اللسان – مادة (غدر) (٥/ ١٠).

(٦٩) الغَضْبَة: الصخرة الصُلبة المركّبة في الجبل المخالفة له، قال:

أو غَضْبة في هَضْبةٍ ما أرْفعا

وقيل الغضبة: صخرة رقيقة. اللسان مادة (غضب) ١/ ٦٥٠).

(٧٠) الفِهْر: الحجر قدر ما يُدَّقُّ به الجوز ونحوه، وقيل: حجر يملأُ الكفَّ. وفي الحديث النبوي الشريف: لمّا نزلت آية ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[المسد: من الآية ١]، جاءت امرأته وفي يدها فِهْر. اللسان مادة (فهر) (٥/ ٦٦).

(٧١) ما بين معقوفين بياضٌ في الأصل المخطوط، استكملناه من اللسان واستضفناه.

(٧٢) الفِنْخِيرة: شبه صخرة تنقلع في أعلى الجبل، فيها رخاوة وهي أصغر من الفِنْديرة. اللسان مادة (فنخر) (٥/ ٦٥).

(٧٣) الفِنْديرة: صخرة تنقلع عن عُرْض الجبل. قال الشاعر:

كأنّها من ذُرى هَضْبٍ فناديرُ

اللسان مادة (فندر) (٥/ ٦٦).

(٧٤) القُسْطَناس: صلاية الطِّيب، وصلاية العَطّار. عن الخليل: قُسطَناس اسم حجر وهو من الخماسي المترادف، أصله قُسطَنَس، قال الشاعر:

رُدّي عليّ كميتَ اللونِ صافيةً كالقُسطَناس علاها الوَرْسُ والجَسَدُ

اللسان مادة قسطنس (٦/ ١٧٧).

(٧٥) القَدّاس: الحجر يُنْصَب في وسط الحوض إذا غمره الماء رَوِيَت الإبلُ، وأنشد أبو عمرو.

لا رِيَّ حتى يتوارى قَدّاسْ

ذاك الحُجَيْرُ بالإزاءِ الخَنّاسْ

اللسان مادة (قدس) (٦/ ١٦٩).

(٧٦) القَلَعَةُ: صخرة عظيمة تنقلع عن الجبل صعبة المرتقى، قال الأزهري: تُهالُ إذا رأيتها ذاهبةً في السماء، وربما كانت كالمسجد الجامع ومثل الدار ومثل البيت، منفردة صعبة لا تُرتقى. لسان العرب مادة (قلع) (٨/ ٢٩٠).

(٧٧) القُسْطاعة: لم أظفر بها في مصادري.

(٧٨) القَبَل: صَدَد الجبل، والقَبَل: ما ارتفع من جبل أو رمل. والقَبَل: المرتفع في أصل الجبل كالسند. لسان العرب (مادة قبل) (١١/ ٥٤٢).

(٧٩) القَبَلَة: هكذا في الأصل المخطوط والصواب: القَبِيلة: وهي صخرة تكون على رأس البئر، والعقابان دعامتا القبيلة من جنبتيها يعضّدانها. لسان العرب مادة (قبل) (١١/ ٥٤١).

(٨٠) القَهْقَرُ: هو الحجر الذي يُسْهَكُ به الشيء. قال الكميت:

وكأنَّ خلفَ حِجاجها من رأسها وأمامَ مَحْمَعِ أخْدَعَيْها، القهقرا

والقهقرُ: الحجر الأملس الأسود الصلب. وقال النابغة الجعدي:

بأخْضَرَ كالقَهْقَرِّ ينفضُ رأسَه أمامَ رعالِ الخيلِ، وهي تُقَرَّبُ

لسان العرب – مادة (قهر) (٥/ ١٢١).

(٨١) القُنْزُعَة: حجر أعظم من الجوزة. لسان العرب مادة (قنزع) (٨/ ٣٠٣).

(٨٢) القَرْمَدُ: الصخور، قال الطرمّاح:

قُدِرَتْ على مثلٍ، فَهُنّ تَوائمٌ شتىً، يُلائم بينهُنّ القَرْمَدُ

والقراميد في كلام أهل الشام آجرُّ الحمامات، والقرْمد: الآجُرُّ. وقيل: القرمد والقرميد: حجارة لها خروق يُوقد عليها حتى إذا نضجت بُني بها. لسان العرب مادة (قرمد) (٣/ ٣٥٢).

(٨٣) الكَثْكَثُ: والكِثْكِثُ: دقاق التراب والحجارة. والكثكث: الحجارة. ودقاق الحصى والتراب. وفي حديث حنين: قال أبو سفيان عند الجولة التي كانت [على] المسلمين: غلبتْ والله هوازن، فقال له صفوان بن أمية: بفِيْك الكثكث. لسان العرب مادة (كثث) (٢/ ١٧٩).

(٨٤) الكَذّان: الليث: الكَذّانة حجارة كأنّها المَدَرُ فيها رخاوة، وربّما كانت نَخِرةً، وجمعُها الكذّان، يُقال إنّما فعلانة ويُقال فعّالة. أبو عمرو: الكَذّان الحجارة التي ليست بصُلبة. وفي حديث بناء البصرة: فوجدوا هذا الكَذّانَ فقالوا: ما هذه البَصْرةُ، الكَذّانُ والبصرةُ: حجارة رِخْوَةٌ إلى البياض، وهو فعّال والنون أصلية، وقيل: فعلان والنون زائدة. لسان العرب: (ج١٣ /ص ٣٥٧) مادة (كذن).

(٨٥) الكُذْبَة: الحجرُ تستره الأرض ويُبرزُه الحَفْرُ. فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص (٤٤٣) نقله عن الصاحب، ومرجعه بالتأكيد كتابنا هذا.

(٨٦) اللّخاف: حجارة فيها عِرَضٌ ورقّةٌ. فقه اللغة وسرّ العربية ص (٤٤٣) وفيه: اللّخاف.

(٨٧) اللّجفة: صخرة على الغار كالباب. أوردها الثعالبي في فقه اللغة ص (٤٤٣) بياء (اللّجيفَةُ).

(٨٨) المداك: صَلايةُ الطيب يُداك عليها دوكا، والدوكُ: دقُّ الشيء. والمِدْوك: الحجر يُدَقُّ عليه. وتداوك القوم إذا تضايقوا في حرب أو شرٍّ. مجمل اللغة لابن فارس (٢/ ٣٣٩).

(٨٩) المِرْداة: الحجر الذي لا يكاد الرجلُ الضابطُ يرفعه بيده يُردى به الحجرُ. والمكان الغليظ يحفرونه فيضربونه فَيْلَيْنُونَهُ، ويُردى به جحر الضبِّ إذا كان في قلعة فيُلَيِّن القلعة ويهدمها. والمِرداةُ صخرة تُكسرُ بها الحجارةُ. اللسان (١٤/ ٣١٩).

(٩٠) المَقْلَةُ: (بالفتح) حصاة القَسْم تُوضع في الإناء لُيعرف قدرُ ما يُسقى كل واحد منهم، وذلك عند قلّة الماء في المفاوز. وفي المحكم: حصاةٌ تُوضع في الإناء إذا عَدِموا الماء في السفر ثم يُصبّ فيه من الماء قَدْرُ ما يَغْمُرُ الحصاة فَيُعطاها كل رجل منهم. لسان العرب مادة (مقل) (١١/ ٦٢٧).

(٩١) المرداس: الصخرة التي يُرمى بها، وخصَّ بعضهم به الحجر الذي يُرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا. وقال الراجز:

قَذْفَكَ بالمرداسِ في قَعرِ الطَّوِي

لسان العرب مادة (ردس) (٦/ ٩٦).

(٩٢) المرماة: لم أجدها بمعنى الحجارة، وفي اللسان: المِرْماة: سهم صغير ضعيف. وقال الجوهري: المرماة: نصل مدوّر للسهم.

قال ابن سيده: والمرماة: هَنَة بين ظِلْفَي الشاة.

(٩٣) المَلَقَة: في أساس البلاغة (٢/ ٤٠٠). قام على الملقة وهي الصخرة الملساء، وسرنا في المَلَق والمَلَقات وهي القيعانُ المُلس الصِّلاب. وفي اللسان (ملق): المَلَقَةُ: الصفاة الملساء.

(٩٤) المرضاض: حَجَرُ الدَقِّ، ذكره الثعالبي في فقه اللغة ص (٤٤١).

(٩٥) الملكاس: مما انفرد به (الصاحب) في كتابه هذا، وأخلّت به المعجمات.

(٩٦) المِقْنافُ: في اللسان عن أبي عمرو: المقنافُ: مِجْذاف السفينة. ولم أجدها بمعنى الحجر.

(٩٧) المَرْو: حجر أبيض رقيق، يُذبح بها يكون المرو منها كأنه البَرَدُ. سُئل عنها أعرابي أسدي فقال: هي هذه القدّاحات التي يخرج منها النار. قال أبو حنيفة: المرو: أصلب الحجارة لسان العرب (١٥/ ٢٧٥- ٢٧٦).

(٩٨) المقراة: لم أجدها في المعجمات بمعنى الحجر. ووردت في ديوان امرئ القيس بمعنى موضع، وفي المحكم بمعنى الحوض يجتمع فيه الماء.

(٩٩) المِدْماك: السافُ من البناء. أنشد ثعلب:

تَدُكُّ مِدْماكَ الطويِّ قَدَمُهْ

عن الأصمعي: السافُ في البناء كل صفٍّ من اللبِن وأهل الحجاز يسمونه المدماك. وأنشد الأصمعي.

ألا يا ناقض الميثا ق مِدْماكًا فمِدْماكا

لسان العرب (١٠/ ٤٢٩).

(١٠٠) المسن: يُنظر المخصَّص لابن سيده (٣/ ١٠/ ٩٩).

(١٠١) النَّشْفَةُ والنَّشيفة: حجارة سود، كأنها أُحرقت بالنار وإذا تُركت على رأس الماء طفت ولم تغص فيه، وهي التي يُحَكُّ بها الوسخ عن اليد والرجل. وما بين معقوفين استضفناه من اللسان. سُميت بذلك لانتشافها الوسخ في الحمامات. لسان العرب (٩/ ٣٣٠).

(١٠٢) النَّسْفَة: من حجارة الحرة، تكون نخرة ذات نخاريب ينسفُ بها الوسخُ عن الأقدام في الحمامات.

والنَّسْفة: حجارة يُنْسَف بها الوَسَخُ، قال ابن سيده: حكاها صاحب العين، قال: والمعروف بالشين. لسان العرب – المجلد التاسع ص (٣٢٩).

(١٠٣) النَّشيئَة: وقيل إن النشيئة هي أعضاد الحوض، إذا كان الحوض على وجه الأرض. العين للفراهيدي (٦/ ٢٨٨).

(١٠٤) النصائب: حجارة تُنصب حول الحوض، ويُسَدُّ ما بينها من الخصاص بالَمدَرة المعجونة، واحدها نَصِيبةٌ، وكُلّه من ذلك. لسان العرب (١/ ٧٥٩).

(١٠٥) النَّبَلَة: (بفتح النون والباء). الحجارة التي يُستنجى بها. قال ابن الأثير: واحدها نُبْلة كغُرفة وغُرف، والمحدثون يفتحون النون والباء. ونَبَّلَهُ نُبَلاً أعطاه إياها يستنجي بها. قال الأصمعي: أراها بضم النون والباء. والنَّبَل من الأضداد في لغة العرب، فهي للصغار وللكبار معًا. لسان العرب (١١/ ٦٤١).

(١٠٦) النُّصُبُ والنَّصْبُ: ما نُصب فَعُبِد من دون الله تعالى، وجمعه الأنصاب. والأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيُهَلُّ عليها، ويُذبح لغير الله تعالى. لسان العرب (١/ ٧٥٩).

(١٠٧) النَّقَلُ: ما بقي من صغار الحجارة إذا قُلعَتْ.

ويُقال: بل النَّقَلُ: الغليظ من الأرض. المجمل في اللغة (٣/ ٨٨٠).

(١٠٨) الوثيمة: الحجرُ، وقيل: الحجر المكسور. ومن أيمان العرب: لا والذي أخرج النارَ من الوثيمة، والعذقَ من لسان العرب: (١٢/ ٦٢٩).

(١٠٩) الوَحْف: الوَحْفَةُ: صخرة في بطن وادٍ أو سَنَدٍ ناتئة في موضعها سوداء، وجمعها وحاف، قال الشاعر:

دعتها التناهي بروض القطا فَنَعْفِ الوِحاف إلى جُلْجُلِ

والوحف: الشعر الأسود، ومن النبات الريَّان اللسان (٩/ ٣٥٣).

(١١٠) اليَهْيَرّ: الحجرُ الصُّلْبُ الأحمر وقيل هي حجارة أمثال الأكفّ. وقيل هو حجر صغير. اللسان (ج٥/ ٢٦٩).

(١١١) اليَرْمَعُ: حجارة أو حصى بيض تلألأُ في الشمس. وقال رؤبة يذكر السراب:

ورَقْرَقَ الأبصارَ حتى أنْدَعا

بالبيد، إيقادَ النهار اليَرْمعا

قال اللحياني: هي حجارة لينة رقاق بيض تلمع. وقيل: هي حجارة رخوة والواحدة يَرْمَعَة. ويُقال للمغموم: تركتُه يَفُتُّ اليَرْمع، وفي مَثَل:

كفّا مُطلّقة تَفُتُّ اليَرْمعا

يُضرب مثلاً للنادم على الشيء. لسان العرب (٨/ ١٣٤).

(١١٢) اليَلْمَعُ: كمثل الحُمَّة: حجارة سودٌ تراها لاصقة بالأرض مُتدانية ومتفرقة «عن ابن شميل». فقه اللغة للثعالبي ص (٤٤٢).

ما أُلِّفَ في مناهج التحقيق

قائمة وراقية تحليلية: توثيق ودراسة

د.عباس هاني الجراح

التحقيق هو إخراج النص المحقق كما أراده صاحبه، أو بصورة أقرب منه، وخدمته وإضاءته. وقد أدت كثرة المشتغلين بتحقيق المخطوطات وازدياد النصوص المحققة وتعدد أماكنها، إلى وضع قواعد معينة له على أيدي علماء ثقات مبرزين من مختلف أقطار الوطن العربي، وقدموا خلاصة تجاربهم الشخصية في التحقيق، و استفاد بعضهم مما كتبه المستشرقون. وقد اشتهر من المحققين الأستاذ عبد السلام هارون (مصر) ود. صلاح الدين المنجد (سورية) ود. مصطفى جواد (العراق). صنّف من جاء بعدهم من المحققين كتبًا ونشروا مقالات في قواعد تحقيق النصوص ومناهجه.

ورغبة مني في توثيق ما صنفه الباحثون والمحققون في هذا المجال، ولتخصصي في تحقيق المخطوطات، رأيت أن أضع قائمة مستقصاة لما نشر من كتب ومقالات، مرتبة على حروف المعجم وفق أسماء المؤلّفين، ذاكرًا في العرض تاريخ النشر ومكانه، وأتبعها بتحليل دقيق لها. وهي مسوقة على النحو الآتي:

حرف الهمزة

- د. **إبراهيم مدكور**: في مقدمة تحقيقه كتاب (الشفاء) لابن سينا (ت٤٢٨هـ)، القاهرة، ١٩٥٣م، ١/٣٨-٤٢.
- أ. **أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**: توثيق النص وتخريجه، مجلة العرب، ج ٧-٨، ٢٠٠٤م، ص٣٨٣-٣٩٧.

د. أحمد بدر:

١- تحقيق النصوص والبيلوجرافيا النصية في بحوث علم المكتبات، مجلة عالم الكتب، مج٧، العدد ١، ١٩٨٦م.

٢- أصول البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٧م.

أ. **أحمد الجندي:** تحقيق التراث، مجلة المجلة العربية، ١٩٧٩م.

د. **أحمد رزق مصطفى السواحلي:** تحقيق النصوص في التراث اللغوي – دراسة تأصيلية، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

أ. **أحمد سليم سعيدان:** مع تحقيق كتب التراث، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج٤، العدد ١٣، ١٩٨١م.

أ. **أحمد شوقي بنبين:** علم المخطوطات والتحقيق العلمي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٦٨، ج٢، شوال ١٤١٣هـ – نيسان ١٩٩٣م، ص ٢٣٦-٢٥٠.

أ. **أحمد محمد الخراط:** محاضرات في تحقيق النصوص، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤.

أ. **أحمد محمد شاكر:**

١- في مقدمته لكتاب (سنن الترمذي) في القاهرة ١٩٣٧م، تحدث عن تصحيح الكتب عند نشرها وأعمال المستشرقين[1].

٢- ونشر بعنوان (تصحيح الكتب وصنع الفهارس وكيفية ضبط الكتاب)، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٤و١٩٩٥م.

---

(١) أعيد نشره في:

أ. مجلة (البصائر)، دمشق، العدد٣، ١٩٨٥، باختصار، بعنوان (دليل المحقق للنص العربي).

ب. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: ١٧٩-٢٠٥.

أ. **أحمد محمد نور سيف**: عناية المحدثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك على تحقيق المخطوط، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م.

د.**أحمد مطلوب**: نظرة في تحقيق الكتب: علوم اللغة والأدب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٩-٤٩.

طبع ثانية ضمن كتابه:(بحوث تراثية)، المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٣٧-٧٩.

أ. **أسد مولوي**: نظرات سريعة في فن التحقيق، نشر منجّما في مجلة (تراثنا)، قم - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٤٠٧هـ.

د.**أسعد محمد علي النجار**: مقدمة في تحقيق النصوص، الحلة ٢٠٠٢م، ١٥٧ص.

أ. **إسماعيل إسماعيل مروة**: في المخطوطات العربية- قراءات تطبيقية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م، (في ص٢٦-٣٣: رؤية في التحقيق).

د.**أكرم ضياء العمري**:

١- دراسة تأريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنوّرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٢٩٤ص.

٢- مناهج البحث وتحقيق التراث، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٥م.

أ. **إياد خالد الطباع**:

١- قواعد تحقيق المخطوطات، محاضرات ألقاها بدبي في الدورة التدريبية الدولية عن صناعة المخطوط العربي الإسلامي عام ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢- منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.

د. **أيمن فؤاد سيد**:

١- تحقيق ونشر النصوص القديمة منهج وتطبيق، محاضرة في مركز تحقيق التراث، القاهرة، نيسان ٢٠٠٤م.

٢- قواعد تحقيق النصوص ونشر التراث، ضمن كتاب: دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٩٧ - ٢٠٦.

حرف البـــاء

د.بشار عواد معروف: ١- ضبط النص والتعليق عليه، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣١، ج٤، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٢٤٦-٢٦٩. وطبع ثانية بكتاب مستقلّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ٣١ص.

٢- في تحقيق النص، انظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م، ٥٩٢ ص.

حرف الثـــاء

د. ثريا عبد الفتاح ملحس: البحث الأدبي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٤٠٢هـ.

حرف الجيـــم

د. جورج كرباج: تاريخ المخطوطات العربية وأصول تحقيقها، بيروت،١٩٨٣-١٩٨٤.

حرف الحـــاء

د.حاتم صالح الضامن:

١- المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات[2]، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص٥٥-٦٣.

---

(٢) سبق أن نشر مقدمة لبحثه (إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٤٠، ج ٣ -٤، ١٩٨٩م، ثمّ في كتابه: بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص، الموصل، ١٩٩٠م.

٢- تحقيق الشعر (أسس عامة وخلاصة تجربة)، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤٦، ج١٤٢٣،١ هـ - ٢٠٠٢ م: ٤٧ - ٦٤.

د.حسام سعيد النعيمي: تحقيق النصوص بين المنهج والاجتهاد، جامعة بغداد، ١٩٩٠م، ١٦٧ ص.

أ. حسن حلاق: مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

د. حسنين محمد ربيع: منهج تحقيق التراث التأريخي، محاضرة في مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

د. حسين علي محفوظ:

١- التخريج في التحقيق، ضمن بحوث ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، أيار ١٩٨٠م.

٢- تصوّر في علم المخطوطات، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي: العدد الرابع، ٢٠٠٢م: ٧ - ٢١.

د. حسين محمد سليمان: التراث العربي الاسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٧م، (الفصل الخامس: ١٥١ - ٢٠٠).

د. حسين نصار:

١- محاضرات في تحقيق النصوص، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٧م. ثم ألقى هذه المحاضرات في الدورة التدريبية لجامعة الدول العربية عام ١٩٧١م.

٢- تحقيق التراث، مجلة (الكتاب)، بغداد، العدد٥، السنة ٨، ١٩٧٤م، ص٢٣-٢٨.

٣- منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره، محاضرة ألقيت في الندوة الأولى للتراث، القاهرة ١٩٨٠.

٤- التعامل مع نسخة المؤلف، مجلة تراثيات، القاهرة، العدد الثالث، ٢٠٠٤م، ص١٧-٢٦.

د. حمد بن ناصر الدخيل:

تحقيق كتب التراث ليس مفروشًا بالورود، جريدة المسائية، العدد١٣٦٥، ١٤/٦/١٩٨٦م.

وأعيد نشره في كتابه: نظرات في التاريخ والحضارة والتراث، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م، ص ١٤٠ – ١٤٥.

حرف الـــراء

د. رشيد عبد الرحمن العبيدي: التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي والتحقيق العلمي، ط١، جامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٨٣م- ١٩٨٤م- الباب الثاني. ط٢، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٧م، ١٨٥ص. وتغير آخر العنوان إلى (... وتحقيق النص).

د. رمضان عبد التواب:

١- في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص، مجلة المورد، مج الأول، العددان ١-٢، ١٩٧٢م.

٢- تحقيق التراث – أساليبه واهدافه، مجلة قافلة الزيت، مج ٢٤، العدد، فبراير، (شباط)، ١٩٧٦م، ص ١-٤.

٣- خواطر من تجاربي في تحقيق التراث، مجلة مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، ص٢٥٣-٢٧٣.

٤- مناهج تحقيق التراث بين القدامى و المحدثين[٣]، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. الطبعة الثانية ١٤٢٢-٢٠٠٢م.

(٣) نشر بعض فصوله في المجلات التي أشرنا اليها.

حرف السـين

د. سامي علي جبار: توثيق النص وتحقيقه بين القدماء والمحدثين. مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة، ٢٠٠٧ م.

د.سامي مكي العاني: صفحات تحقيق النصوص، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص١٩-٢٢.

د. سلمان قطاية: تحقيق المخطوطات الطبية العربية ونشرها، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢٩،ج١، يناير - يونيو، ١٩٨٥م، ص٢٧٣-٢٨٤.

حرف الشـين

د. شاكر محمود عبد المنعم: كتب الأسماء والكنى والألقاب ودورها في التحقيق، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص١١٢-١٢٠.

د. شكري فيصل: مقدمة تحقيق كتاب خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء الشام- للعماد الأصفهاني (ت٥٩٦هـ)، دمشق، ١٩٥٥-١٩٦٤، ص ٢٤-٢٥.

د. شوقي ضيف: كتب مقالين في مجلة المجلة (القاهرة)، الأول بعنوان (تحقيق تراثنا الأدبي) العدد ١٠١، ١٩٦٥م، والثاني (عصر إحياء التراث)، العدد ١٣٢، ١٩٦٧م.

ثم أعاد نشرهما في كتابه: (البحث الأدبي)، القاهرة، ١٩٧٧م (الفصل الثالث).

حرف الصـاد

الصادق عبد الرحمن الغرياني: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس، ١٩٨٩م.

د.صالح أحمد العلي: ملاحظات حول اختيار المخطوطات وإعدادها للنشر (محاضرة أُلقيت بدمشق سنة ١٩٧١م، في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية)[٤]. طبعت بدمشق، وزارة التعليم العالي، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ص ٥٧٨-٥٩٤.

د. صالح مهدي عباس:

١- ضرورة التعليق على النص، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث ٢٠٠١م، ص٤٥-٥٤.

٢- الفهارس العلمية للمخطوط، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي: العدد الرابع، ٢٠٠٢م،ص٥٠ - ٦٨.

أ. صالح مهدي هاشم: تحقيق النصوص ومراحل العمل التحقيقي، مجلة مركز احياء التراث العلمي العربي، العدد الرابع، ٢٠٠٢ م: ٨٥- ٩٤.

د. صلاح الدين المنجد:

١- (قواعد تحقيق النصوص)[٥]، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـ - نوفمبر ١٩٥٥م، ص ٣١٧-٣٣٧.

أعيد نشره منفردًا بعنوان (قواعد تحقيق المخطوطات) في دار الكتاب الجديد، بيروت،١٩٥٥و ١٩٦٥و ١٩٧٠ و[٦] ١٩٧٦.

٢- منهج نشر التراث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ١٩٩٦م.

---

(٤) حركة تحقيق التراث العربي ونشره في العراق: ٢٩١.

(٥) أقرها مؤتمر المجامع العلمية المنعقد في دمشق عام ١٩٥٦م، بعد تعديلات محدودة. (ينظر: جهود المنجد في خدمة التراث: عصام الشنطي، مجلة العرب، ج١-٢، ٢٠٠٤م، ص٨٣).

(٦) أعيد نشره ضمن كتاب (المكتبة والبحث)، تاليف د. نوري القيسي ود. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، ١٩٨٨ م، ص ٨٩- ٢١٢.

حرف الطـــاء

د. طارق عبد عون الجنابي: أفكار في تحقيق النص القديم، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص ١٩-٢٢.

أ. طه باقر وعبد العزيز حميد: طرق البحث العلمي في التأريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (خصص الفصل العاشر لتحقيق الوثائق والمخطوطات).

حرف العـــين

د. عائشة عبد الرحمن: محاضرات ألقتها في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، ١٩٦٧.

ثم نشرت في كتابها: (مقدمة في المنهج)، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

أ. عباس هاني الجراخ: حول تحقيق الكتب التراثية، جريدة (الثورة)،١٧ / ٨ / ١٩٨٦ م.

د.عبد الحسين المبارك: نظرات في تحقيق التراث، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ٢٥، ١٩٩٦م، ص ٢٤ - ٦١.

أ. عبد الحفيظ منصور: فهرسة المخطوط العربي وتحقيقُه، بحث مقدم إلى مؤتمر ابن باديس في الجزائر، ١٩٨٩.

أ. عبد الرحمن عميرة: أضواء على البحث والمصادر، دار عكاظ، جدة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ١٤٠ص، ط٤. مط الجيل، بيروت، ١٩٨٦م.

أ. عبد السلام هارون:

١- صعوبات التحقيق والطريقة المثلى لمعالجتها، مجلة الأسرة، كلية الآداب

- جامعة الفاروق، ١٩٥٠م[٧].

٢- تحقيق النصوص ونشرها، ط١، القاهرة،، ١٩٥٤م، ط٢، القاهرة، مط المدني ١٩٦٥م، ط٤، القاهرة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ١٤٤ص. ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م. (١٦٠ ص).

٣- تجربتي مع التراث العربي، عمان ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

أ. **عبد العزيز إبراهيم:** الرواية الثانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨م.

أ. **عبد الفتاح أبو غدة:** تعليقاته وإضافاته على كتاب: تصحيح الكتب، للشيخ أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ ط٢، القاهرة، ١٤١٥هـ.

أ. **عبد الله بن عبد الله الحوثي:** الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.

أ. **عبد الله حسين السادة وباسم عبود الياسري:** المختصر الدقيق في فن التحقيق، مطابع الدوحة الحديثة المحدودة، قطر١٤٣٦هـ –٢٠٠٥م،١٥١ص.

أ. **عبد الله الحسيني هلال:** تحقيق المخطوطات، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص ٤٩٣ –٥١٠.

أ. **عبد الله صوفي:** المخطوطات وسبل حمايتها والإفادة منها، مجلة العربية – النادي العربي للمعلومات، ٢٠٠٦م، (١٤ص، وفيه حديث عن قواعد التحقيق).

د. **عبد الله عبد الرحيم عسيلان:** تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٧) ضم المقال هنا إلى الطبعة الخامسة من كتابه: (تحقيق النصوص ونشرها). ١٩٧٦م.

أ. **عبد المجيد دياب**: تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.

ثم نشر مقاله: (تحقيق نصوص التراث)، مجلة الفيصل، العدد ١٠١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ٤٣-٤٥. ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، (ضم ما نشره بمجلة الفيصل).

أ. **عبد الهادي الفضلي**: تحقيق التراث، ط١، مكتبة العلم، جدّة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. ط٢، دار الشروق، جدة، ١٩٩٠م. ط٣، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، بعنوان (أصول تحقيق التراث)، ٢٦٠ص.

أ. د. **عبد الوهاب محمد علي العدواني**: مقدمة نقدية في تحقيق النصوص (مجلة اداب الرافدين)- الموصل – العدد ١٦، ١٩٨٦، ص ١٣- ٥٠.

أ. **علي جهاد حساني**:فن تحقيق المخطوطات، الطبعة الاولى، النجف،١٩٩٩م، بحجم الكف. الطبعة الثانية، مط دار الضياء، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي، النجف، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٤٨ص.

د.**عماد عبد السلام رؤوف**: تحقيق المخطوطات العلمية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠٠١م، ٢٤ص. أُعيد نشره في: مجلة مركز احياء التراث العلمي العربي، العدد الرابع، ٢٠٠٢م ٢٢- ٣٧.

حرف الفـــاء

د. **فاروق حماده**: منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفًا وتحقيقًا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

أ. **فاضل عثمان توفيق النقيب**: المخطوطات العربية تحقيقها وقواعد فهرستها، رسالة دبلوم في المكتبات – جامعة بغداد، ١٩٧٥م،٦٣ ص.

د. فخر الدين قباوة: علم التحقيق للمخطوطات العربية – بحث تأسيسي للتأصيل، دار الملتقى، حلب، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥، ٤٧٨ ص.

أ. فواز الصادق: مبادئ في مناهج البحث العلمي، دار العلوم، بيروت١٤٠٨هـ–١٩٨٨م. ١٨٨ص.

حرف الكـــاف

د.كمال السامرائي: منهجية تحقيق كتب التراث الطبي، في: محاضرات الندوة المفتوحة، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٥م، ص٥–٨.

حرف الميـــم

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: منهج تحقيق المخطوطات، قم، ١٩٨٨م.

د. مجبل لازم المالكي: قواعد تحقيق النصوص، ضمن رسالته للدكتوراه: (حركة تحقيق التراث العربي ونشره في العراق)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ص٥٩–٦١.

أ. محمد إبراهيم البنا: تخريج النصوص، الرياض، ٢٠٠٣ م.

أ. محمد إبراهيم الشيباني: مبادئ لفهم التراث، مكتبة دار الهداية، الكويت، ١٩٨٣م.

د. محمد إحسان النص: تحقيق التراث ونشره، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢٦، ج٢، ١٩٨٢م.

د. محمد ألتونجي:

١– المخطوطات العربية بين يدي التحقيق، مجلة التراث العربي، العدد٩، السنة٣، المحرم ١٤٠٣هـ تشرين الأول –أكتوبر، ١٩٨٢م، ص١٩٧– ٢٠٨.

٢– المنهاج في البحوث وتحقيق المخطوطات، ط١، دمشق، ١٩٨٦م.ط، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

السيد محمد رضا الحسيني: تحقيق النصوص بين صعوبة المهمة وخطورة الهفوات، مجلة (تراثنا،١٤٠٩ هـ، العدد١٧، ص ١٧٦ -١٩٦، العدد ١٨، ص ٣٣- ٦٢.

د. محمد رضوان الداية:

١- محاضرات في تحقيق المخطوطات، وهي أمالٍ ألقاها في الدورة التدريبية لدراسة شؤون المخطوطات العربية، دمشق، ١٩٨٧م.

٢- المكتبة العربية منهج البحث، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م.

د.محمد سعود المعيني: منهج تحقيق المخطوطات اللّغوية والأدبية، مجلة المورد، مج٢٥، العددان ٣-٤، ١٩٩٧م، ص٧٤-٨٨.

د. محمد طه الحاجري: (تحقيق التراث تاريخًا ومنهجًا)، مجلة عالم الفكر، مج٨، العدد١، ابريل- يونيو، ١٩٧٧م، ص١١-٣٨.

محمد عبد الخالق عضيمة: تجربتي في تحقيق التراث، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد١١، ١٩٨١م، ص١٥٧-١٧٨.

د. محمد عجاج الخطيب: أصول التحقيق بين النظرية والتطبيق، نشر في أعمال الدورة التدريبية التي عقدها مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، بالتعاون مع جامعة الإمارات العربية والإيسكو، ١٩٩٧م.

د. محمد علي داود و د. صابر عبد الدايم: فن كتابة البحث الأدبي والمقال، جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣(ضم فصلاً عن تحقيق المخطوطات).

د. محمد قبيسي: علم التوثيق والتقنية الحديثة، دار الآفاق، بيروت، ١٤٠٢هـ.

أ. محمد كرد علي: مقدمة كتاب (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق، ج١، ١٩٥١م، بتحقيق صلاح الدين المنجد.

أ. **محمد مندور**: حول أصول النشر، مقالان نُشرا في مجلة (الثقافة) المصرية، العدد ٢٧٧و ٢٨٠، ١٩٤٤م، عند نقده كتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتي (ت٦٠٦هـ)، وأعيد نشرهما في كتابه (الميزان الجديد) في السنة نفسها، دار نهضة مصر، القاهرة.

د. **محمد المنصور**: أسلوب البحث والتحقيق، وهو في الأصل محاضرات ألقيت في الجامعات الإسلامية والحوزات العلمية، انتشارات ذو الجناح، مؤسسة وليد الكعبة، قم، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

د. **محمد مولود الشيباني**: التصحيف والتحريف، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص ٦٤-٧٣.

أ. **محمد نغش**: كيف تكتب بحثًا أو تحقق نصًّا، القاهرة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

د. **محمود الحاج قاسم محمد**:

١- أهمية وشروط تحقيق النص العلمي، في: محاضرات الندوة المفتوحة، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٥م، ص ٩-٢٠.

٢- تجربتي في تحقيق المخطوطات العلمية، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص ٨٨-٩٧.

د. **محمود عباس حمودة**: (تاريخ الكتاب الإسلامي)، القاهرة، ١٩٧٩م، (في الفصل التاسع بحث عن: تحقيق المخطوط ونشره).

محمود قاسم: ومناهج البحث المنطق الحديث، مط مخيمر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٠٦-٤٦٥.

د.**محيي هلال السرحان**: تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية[٨]: (محاضرات

(٨) ينظر: قراءة في كتاب تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية: عباس هاني الجراخ، جريدة العراق، ٣٠ / ٦ / ١٤١٨- ٣١ / ١٠ /١٩٩٧م: ٦.

ألقيت في الدورة التدريبية لدراسة المخطوطات العربية ببغداد سنة١٩٨٠م).

وطبعها بالاسم نفسه في كتاب صدر ببغداد، مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الباب الثاني.

د.**مصطفى جواد:** محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير في كلية الآداب، بغداد (١٩٦٤-١٩٦٥م). نشرت بعنوان[٩]:

أ- أصول تحقيق النصوص، نشرها د.محمد علي الحسيني في كتابه (دراسات وتحقيقات)، بغداد ١٩٧٤م.

ب- أمالي في تحقيق النصوص، نشرها د.عبد الوهاب محمد علي العدواني، في مجلة (المورد)، مج٦، العدد الأول، ١٩٧٧م، ص١١٧- ١٣٨.

أ. **مصطفى يعقوب عبد الغني:** التعليق على النص في التراث العلمي، الكيفية والضرورة، مجلة (الأحمدية)، دبي، العدد١٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٢٦٥-٢٩٨.

أ. **مصطفى يعقوب عبد النبي:** تراثنا العلمي، رؤية في منهج التحقيق، مجلة المورد، مج٢٤، العدد الأول، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، ص٢١-٢٥.

أ. **مطاع طرابيشي:** في منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر، دمشق،١٩٨٣م، (كان قد نشره في مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢، مج ٥٨، من السنة نفسها).

معهد المخطوطات العربية: أسس تحقيق التراث ومناهجه (تقرير وضعته لجنة

---

(٩) أشار د.عبد الهادي الفضلي أن عنده مخطوطة (أصول تحقيق النصوص)، وهي ما أملاه د.مصطفى جواد على طلبة ماجستير اللغة العربية بكلية الآداب ببغداد ٦٦ – ١٩٦٧ م. ينظر: أصول تحقيق التراث ٢٥٥.

متخصصة[١٠] في بغداد، ١٩٨٠م)، الكويت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

د. **مهدي فضل الله**: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق. ط ١، دار الطليعة، بيروت، آيار ١٩٩٣م. ط٢، تشرين الأول ١٩٩٨م. ط٣، شباط ٢٠٠٣م. (الفصل الثامن: المخطوطات وقواعد تحقيقها).

د. **موفق بن عبد الله بن عبد القادر**: توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

حرف النـــون

د. **ناجي محفوظ**: لعبة تحريك النقاط، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الرابع، ٢٠٠٢:٩٥ – ١٠٦.

د. **ناظم رشيد**: كيف تحقق نصًّا تراثيًّا[١١]، مجلة المورد، مج٣١، العدد الاول، ٢٠٠٤م، ص٣–٢٤.

أ. **نبيلة عبد المنعم داود**: تحقيق النسخ الفريدة، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٩م. ونشر في: مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي: العدد الرابع، ٢٠٠٢م: ٦٩– ٧٥.

د. **نوري حمودي القيسي ود.سامي مكي العاني**: منهج تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٥م، ١٦٧ص.

أ. **نوري شاكر الآلوسي**: البحث الأدبي ومنهجه، دار الحرية للطباعة، بغداد،

---

(١٠) هم: د. أحمد سليم سعيدان، د. شكري فيصل، د. فؤاد سزكين، الأستاذ عصام محمد الشنطي، مع أربعة باحثين من العراق.

(١١) سبق أن نشر مبحثا منه هو: الكتاب المخطوط واختلاف نسخه، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص٢٣–٢٦.

١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ١٤٥ص. (الفصل الثالث خاص بتحقيق النصوص، ص٦٧-١١٩).

حرف الهـــاء

أ. **هاني العمد:** منهج تحقيق المخطوط، رسالة المكتبة، عمان، س٨، العدد٣، أيلول ١٩٧٣م، ص ٥-١٢، العدد ٤، كانون الأول، ص١٦-٢٢.

د. **هدى شوكت بهنام:**

١- كيف نحقّق نصًا غير مألوف لقواعد التحقيق، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الثالث، ٢٠٠١م، ص١٠٧-١١١.

٢- صنعة الدواوين، مجلة مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٤٧-١٥١.

أ. **هلال ناجي:**

١- موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق. (أرجوزة)، مجلة (المورد)، مج١٢، العدد ٣، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص١٦٩-١٨٢.

٢- توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه. نشر في:

أ- مجلة (المورد)، مج٢١، العدد الأول، ١٩٩٣م، ص ٤١- ٤٩.

ب- ضمن كتابه: (محاضرات في تحقيق النصوص)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

ج- محاضرات الندوة المفتوحة، المجمع العلمي، بغداد، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص٢١-٣٤.

د- مركز وثائق ودراسات الحلة، بابل، ٢٠٠٢م، ٢٤ص. (وقد خصصه لأعماله فقط).

حرف الواو

د. **وجيهة أحمد السطل**: تحقيق المخطوطات، مجلة (الثقافة والفنون)، الرياض، العدد الخامس، ربيع الثاني، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص١٢٤ — ١٢٨.

وزارة الأوقاف، مصر: منهج تحقيق التراث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ -١٩٩١م. (نشر ضمن كتاب: تحقيق التراث العربي: د. عبد المجيد دياب، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٤٥-٣٥٣).

حرف الياء

د. **يحيى الجبوري**: منهج البحث وتحقيق النصوص، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ٢٠٢ص.

د. **يوسف المرعشلي**: أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (الباب الثاني: تحقيق المخطوطات).

وقفـــة تحليليـــة

من دراسة هذه المؤلفات والمقالات يتضح ما يأتي:

١- اتفاق أصحابها على الخطوط الرئيسة في قواعد التحقيق ومناهجه، من حيث اختيار النسخ ومقابلتها وضبط النص، وصنع الفهارس.... الخ.

٢-كان عبد السلام هارون - رحمه الله - أول من صنف كتابًا برأسه في هذا الفن عام (١٩٥٤م) وتلاه د. صلاح الدين المنجد عام (١٩٥٥م)، وقد انتقد هارون في الطبعة الثانية لكتابه كتابَ المنجد، فما كان من الأخير إلا أن هاجمه في الطبعة الرابعة من كتابه بشدة.

ومن المؤسف ما حدث بين الرجلين من مواقف وما جرّ من ألفاظ، وحقًا قيل: المعاصرة حجاب ساتر. ومن ثمّ كان كتاب المرحوم هارون أساسًا يعتمد

عليه الآخرون بعده.

٣- تكرار النشر، ويتضح هذا في مقال الأستاذ هلال ناجي (تحقيق عنوان المخطوط)، إذْ نُشر أربع مرات من دون زيادة، وقرأه في ثلاث محاضرات في بعض الجامعات العراقية، كما نشر في موقع (سحاب) الإلكتروني.

أما مقال د. حاتم الضامن فقد سبق أن نشره مرتين، مقدمة لبحث له، لكنه زاد هنا ثبتًا للمحدثين الذين ألّفوا في قواعد التحقيق وكانوا ٢٥ محققًا.

٤- كانت أمالي الدكتور مصطفى جواد – رحمه الله – قواعد موجزة، لكنها كانت مركزة وفيها شواهد كثيرة من تجربته في التحقيق[١٢]، وتدل على رجل يمتلك خبرة طويلة، وهو ثالث عمل من حيث القيمة والنشر عند العرب بعد كتابي هارون والمنجّد، والأول عند العراقيين. وقد فتح هذا البابَ على مصراعيه أمام المحققين الآخرين الذين كتبوا في هذا اللون من التأليف.

٥- انفرد هلال ناجي بوضع أرجوزة (شعرية) في قواعد التحقيق، لم يُسبق إليها ولا أتى بعده مَنْ صَنَعَ صنيعه. وضعها سنة ١٩٨٠م، ونشرها سنة ١٩٨٦م، ووقعت في ٢٥٦ بيتًا، وضمّت ١٦ فقرة، ومطلعها:

لمـــا أتـــى لأوربـــا أنْ تنهضا ونشـــرتْ شـــراعها المفضضـــا

---

(١٢) نشر الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني مقالاً بعنوان (التحقيق العلمي عند الدكتور مصطفى جواد) في مجلة اللسان العربي، التي تصدر في الرباط، ١٩٧١: ٢٧٣-٢٨١، وسبق أن ألقاه في حفل تأبين د. مصطفى جواد ببغداد، وضم ٢٦ فقرة، وأشار بعد إلقائه البحث إلى أن للفقيد بحثًا مخطوطًا في الموضوع. ونشر الدكتور سامي مكي العاني مقالاً عنوانه: (الدكتور مصطفى جواد ونهجه في تحقيق النصوص) بمجلة الكتاب، العدد الثاني، شباط ١٩٧٤م، ص١١-٢١ وأوضح منهجه في ١٥ نقطة، برجوعه إلى تحقيقاته، ولم يطلع على (أماليه) لأنها لم تكنْ قد نشرتْ بعد.

٦ – يبدو أنّ بعض هذه الأعمال جزء من كتب خاصة اجتزأها منها أصحابها فيما نشروه منها، كما هو الحال مع مقال د.سامي مكي العاني المنشور سنة٢٠٠١م، ومما يؤكد هذا مقالُ د.ناظم رشيد المنشور سنة٢٠٠١م، فهو جزء من بحث كامل نشره سنة ٢٠٠٤م.

٧- الاهتمام بالتحقيق الأدبي (شعرًا ونثرًا) فالتأريخي، وَوَضْع القواعد وبيان التجارب في التحقيق، وهو الأكثر. واقتصرت الكتابة في منهج التحقيق العلمي على ما كتبه د.محمود الحاج قاسم محمد، ود.كمال السامرائي، ود.عماد عبد السلام رؤوف، ود. سلمان قطاية، ومصطفى يعقوب عبد النبي، واختص د. محيي هلال السرحان بالعلوم الشرعية.

٨- الاقتصار على موضوع محدّد في التحقيق ومنهجه، من ذلك ما كتبه د.محمد مولود المشهداني عن التصحيف والتحريف، ود.شاكر محمد عبد المنعم عن كتب الأسماء والكنى والألقاب، ود.حسين علي محفوظ عن التخريج، وأ.نبيلة عبد المنعم عن تحقيق النسخ الفريدة، ود. صالح مهدي عباس عن الفهارس، ود. ناجي معروف عن التنقيط، ود. سامي علي جبار الذي قصر بحثه على التوثيق.

٩- ثمة مقالات نشرها أصحابها ثانية على هيئة كتب، وهذا واضح عند د.بشار عواد معروف، أو ضمن كتب كما هو الحال مع د.أحمد مطلوب، والأستاذ هلال ناجي.

١٠- أثبتَ عدد من أصحاب هذه الأعمال تجاربهم في التحقيق والمصاعب التي واجهوها، وهو ما يؤكد اهتمامهم بكتاباتهم، لأنهم مارسوا التحقيق وعانَوه وعرفوا أسراره ومظانه، ثم كتبوا في مناهجه، لذلك جاءت دراساتهم مبنية على أسس علمية.

١١- ثمة أعمال هي تكرار واجترار مقيت للكتب التي سبقتها، وليس لها أية قيمة، وكان الأولى ألاّ تظهر! فهناك مثلاً مَن لم يمارس التحقيق أصلاً، ومع ذلك ألّف كتابًا، من عدد قليل جدًّا من تلك الكتب، ولم يعرف غيرها، وفيه أخطاء وهفوات ونواقص كثيرة[١٣].

ويضاف إلى ذلك ما صنعه كاتب آخر، إذ أكّد أن التحقيق لم يمارسه العرب، ثم ذكر - بعد ذلك - أن العرب مارسوه، ثم خلا كتابه - حتى في طبعته الثانية المنقّحة - من الهوامش التي تبيّن المصادر التي (نقل) منها.

وثمة كاتب ثالث عمله منقول من كتاب الأستاذ عبد السلام هارون، مادةً ومصادرَ وهوامشَ، ولم يضف إليه شيئا يذكر.

١٢- تحدث معظم المؤلفين عن العناية بالمخطوطات وقيمتها وفهرستها، إلى جانب حديثهم عن التحقيق وقواعده.

١٣- قيام عدد من الباحثين بالكتابة أكثر من مرة، سواء على هيئة كتاب أو مقال، مما يؤكد اهتمامهم بالموضوع، كلما جد جديد من رأي أو خبرة. وهذا واضح عند عبد السلام هارون، ود. حسين نصار، ود. صلاح الدين المنجد، ود. محمد رضوان الداية.

١٤- حرص عدد من المؤلفين من ذوي الخبرات المتراكمة في التحقيق على إيراد الأمثلة العلمية مما حققوه ونشروه، ليثبتوا المشكلات والصعاب التي واجهوها في عملهم.

١٥- رأى د. المنجد - متابعًا للمستشرقين الألمان - عدم ضرورة التعليق

---

(١٣) تنظر الملاحظات التي كتبتها على هذا الكتاب في جريدة الجمهورية، ٢١ رمضان ١٤٢٣- ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٢: ٩.

على النص[١٤]، في حين رأى جمهرة من المؤلفين يتقدمهم عبد السلام هارون[١٥] ضرورة ذلك، كما رأى د. المنجد إصلاح الخطأ في الحاشية وإثبات النص كما ورد[١٦]، وهو أمر خالفه فيه د. عبد الله الحسيني هلال، ورآه غير سديد[١٧].

١٦- من الباحثين من وضع منهج القدماء أساسًا لعملهم، كما فعل د. موفق عبد الله بن عبد القادر، وأحمد نور سيف، ود. أحمد رزق السواحلي، ود. فخر الدين قباوة.

١٧- كان أكبر كتاب من حيث الحجم هو كتاب د. عبد المجيد دياب (تحقيق التراث العربي)، فكتاب د. فخر الدين قباوة، ثم كتاب رمضان عبد التواب (مناهج تحقيق التراث). وكان كتابا هارون والغرياني وسطًا بين ذلك.

١٨- حرص عدد من المؤلفين على تقسيم كتبهم على قسمين، الأول للبحوث، والثاني للتحقيق، كما فعل د.أكرم ضياء العمري، ود.يحيى الجبوري، ود. رشيد العبيدي، ونوري شاكر الآلوسي، ود.حسن حلاق، ود. محمد التونجي، ود. مهدي فضل الله، ود. محمد المنصور، ود. فاروق حمادة وفواز الصادق، ود. أحمد بدر، وثريا عبد الفتاح ملحس.

هذا عدا ما تنشره مواقع (الإنترنت) من قواعد تحقيق النصوص، سواء كتبها بعض الباحثين، أو اختصروها من بعض الكتب المعروفة.

---

(١٤) قواعد تحقيق المخطوطات: ١٥.

(١٥) تحقيق النصوص ونشرها: ٨١ – ٨٢.

(١٦) قواعد تحقيق المخطوطات: ١٦.

(١٧) تحقيق المخطوطات، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد١٢، ١٩٨٢م:٥٠٣.

١٩- نشرت بعض المقالات في عدد من المجلات العلمية، ومنها: (المورد)، بل إن مركز إحياء التراث العربي، التابع لجامعة بغداد، خصص العددين الثالث والرابع من المجلة التي يصدرها لقواعد التحقيق، وبعض ما نشر في الصحف.

وفضلاً عن ذلك فقد درّس كثير من المحققين مادة تحقيق النصوص في الجامعات من دون أن ينشروها، أو يثبتوا آراءهم في التحقيق ومناهجهم في تحقيقاتهم، ومنهم د.علي جواد الطاهر، فله محاضرات في تحقيق النصوص أملاها على طلابه في كلية الآداب – جامعة بغداد، اطلعت عليها، مع آراء له مبثوثة في تحقيقاته وتعقيباته على الآخرين، وقد كتبتُ دراسة مفصلة عن هذا الأمر(١٨).

علاوة على الكتب التي اختصت بنقد التحقيق، ففيها مادة غنية بقواعد التحقيق التي أثبتها مؤلفوها، وهو واضح في مؤلفات د.عبد الرازق حويزي، ود.أحمد محمد الضبيب، ود. إبراهيم السامرائي، ود.صالح الأشتر، والأستاذ أحمد عبيد، ود. عبد العزيز المانع، ود. محمد حسين الأعرجي، ود. وليد محمد السراقبي، وكاتب هذا البحث(١٩) وغيرهم.

---

(١٨) ينظر: علي جواد الطاهر وعلم التحقيق: عباس هاني الجراخ، مجلة (العرب)، ج٣-٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ٢٤٢-٢٤١. وهو في الأصل دراسة ألقيتها – بحضوره- في مدينة الحلة في ٢/ ١١/ ١٩٩٤م.

وأعيد نشره بمجلة (المنهل) عدد رمضان شوال ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

وكنت قد أرسلت بحثًا طويلاً سنة ١٩٨٦ إلى مجلة (إحياء التراث العربي الإسلامي) البغدادية، لنشره فيها، إلا أن المجلة توقفت عن الصدور، وضاع البحث.

(١٩) (في نقد التحقيق):عباس هاني الجراخ، ط ١، ببغداد، ٢٠٠٢ م، ثم صدرت طبعة ثانية في دمشق، ٢٠٠٦ م.

وبعد، فقد حاولنا - وهذه أول محاولة - أن نقدم إحصائية وِراقيّة (ببلوغرافية) مستقصاة لما أنجزه الباحثون والمحققون العرب في مجال وضع قواعد تحقيق النصوص، وفي بعض ما قدموه إضافات ذات بال.

والحمد لله رب العالمين.

السِّجلاّت والزُّبُرُ
المُتوارَثةُ من الجاهليّة في اليمن

أ. مُقبل التّامّ عامر الأحمديّ

لم يخلُ أوانٌ من المُرتابين والمُشكّكين - مستشرقين كانوا أو عربًا حذوا حَذْوهم واقتفوا آثارهم - في معرفة العرب الكتابة، ومُمارستها وتعاطيهم إيّاها حـين ظهـور الإسلام، يرومون من وراء ذلك كلّه القَدْح في اللسان العربيّ، وإلْباس أهله لَبوس الجهل وسُبَّته.

ولهـذا جُمع في هذا البحث ما يدلّ على معرفة العرب الكتابة وتوارثهم كتبًا من الجاهليّة، حَوَتْ أنسابهم وأخبارهم وأشعارهم، واخْتير اليمنُ صُقْعًا من أصقاع جزيرة العرب ليكون مجال هذا البحث، لما لهذا الصُّقْع من ماضٍ يشْهد عـلى أنّ أهلـه رُزقوا معرفة الكتابة في جاهليّتهم وإسلامهم، وتوارثوا مادّتها مَساندَ وسجلاّتٍ وزُبُرًا، حتّى انتهت إلى علماء القرن الثالث والرابع الهجريّين، كالهَمْدانيّ وشيخه الخَنْبَصيّ.

وعُرضتْ في هذا البحث السّجلات المنسوبة، وأسْيرُها سجلّ محمّد بن أبـان الخَـنْفَريّ الحِمْيَريّ، الذي تُوورث من الجاهليّة، حتّى أطلّ عليه الهَمْدانيّ وقـرأه بصَعْدة لّما سكن بها، وسجلّ خولان، وفيه أنسابها وأخبارها وأشعارها. وثمّـة سـجلاّت أخرى غير منسوبة، بها مَواتٌ تشي بقربها من تلك المنسوبة، اشـتملت أيضًا على أشعار وأنساب وأخبار، ثمّ بُسِطتْ بعد ذلك زُبُرٌ لِحمْيَر وهَمْدان واللّغويّين، وبها من الفوائد العزيزة ما بها، ثم زِيد على تلك السّجلات والزُّبـر المكتوبة نصوصٌ منقوشة بالخطّ المُسند على صِفاح الحجارة، تدلّ تلك النّقوش على قرب المكتوب من المنقوش؛ مادّةً، ولغة.

عـلّ تلك السِّجلاّت والزُّبُر تُبطل دعاوى المستشرقين، وتُثبّت في قلوب

المُرتابين من أبناء هذا اللّسان اليقينَ، والله من وراء القصد.

عُنيَ الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ بصُقْعه اليمن عناية فائقة، تأريخًا وأيّامًا ومواضعَ ومآثرَ ولغة، وصنّف فيها تصانيفَ عالية، كالإكليل وصفة جزيرة العرب والجوهرتين وسَرائر الحكمة، وحشد في تلك التآليف أخبارًا عزيزةً وفوائدَ جمّة، وقيّد فيها ما أخذه عن علماء حِمْيرَ وكَهْلانَ، والجَوف ونَجْرانَ وخَيْوانَ وصنعاءَ وصَعْدة، ونَسَخ سِجلاّت وزُبُرًا من الجاهليّة متوارَثة، وهذه السّجلاّت والزُّبُر هي مَدارُ هذا البحث، وعلى **أسمائها ووَرَثتها ومادّتها** سوف يُكْسَر، وأخصّ سجلّ محمّدِ بنِ أبان الحميريّ، صاحب خَنْفَر، الذي نقل عنه الهَمْدانيّ ما زاده على ما أخذه عن شيخه الخَنْبَصيّ أبي نصر، أحد أحفاد القَيْل ذي يَهَر.

ويَحْسُنُ قُبيل بَسْط مادّة هذا البحث أنْ يُستَهَلّ بما صَدَّر به الهَمْدانيُّ كتابَه الإكليلَ الجزء الأول من، الذي وَقَفَهُ على النّسب كما الثاني والعاشر – وثلاثتها انتهت إلينا – إذْ يدلّ هذا التّصْدير على وَلَع الهَمْدانيّ بتتّبع هذه السّجلاّت والزُّبُر والأسْفار، وتَطْلابها أنّى كانت مَحالّ أصحابها، وفي ذلك يقول – وأنقلُهُ بطوله لنَفاسته وجودته –[1]:

«وما زلتُ منذ عَضِضْت على جِذمي مُوْقفًا سَمْعي على أنباء العصور، مُتَتَبِّعًا للمعروف من الأخبار وأيّام النّاس، مُنَقِّرًا عن غامضها، مُتَبيِّنًا مُلْتَبسها، مُتَنَكِّبًا لمجهولها، حتى وقفتُ منها على العين الجليّة، وسلكتُ منها الجادّة السويّة، فوجدتُ أكثر الناس يخبط فيه خَبْط عَشواء، ويَعْمَهُ في حِنْدس طَخْياء، وإذا الخبرُ الواحد ترويه الجماعةُ في وُجُوه مختلفة من زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، إذْ كان علم الأخبار علمًا طَلْقًا غيرَ مقصور بنظام، ولا محصور بقياس. كما لم أزل كَلِفًا بالبحث عن الأنساب، والفحص على صحيحها، والوقوف

---

(١) مخطوط الإكليل الهاجع في مكتبة برلين (ج١ ورقة ٣-٥)، ومطبوعه ١/٨٥-٨٩.

عـن سـقيمها، والتصـفح لما أتى به النُّساب، فأخذنا نسبَ كلّ قبيلة، مُتْقنًا لأنساب من قاربَهَ وعاشرَهُ وساكنَهُ وخالطَهُ، راجمًا فيمن نأى[٢] عنه بالغيب، بجمع من سِيَرهم الحقير، ومن أنسابهم اليسير، ومن علمهم وحكمهم النَّزْر من الكـثير، ويـزلّ عنه منها الجمّ الغفير، ورأيت نُسّاب تلك النّواحي ولاسيّما[٣] الكلبـيّين استقصـوا في أنساب ولد مالك بن حمير، لَمّا كانوا [٤]منهم وعنهم بمـرأى ومسـمع، وأتوا من نسب أخيه الهَمَيْسع بن حمير بمثل أثرٍ في عَفْر، لا دارس فـيعفو، ولا بيّن فيبدو، لَمّا قلّت رحلتهم إلى مَنْ قَطَن منهم باليمن، و لم يلقوا بِنُهوجهم مِن ذوي[٥] معرفتهم غيرَ أعقاب من ظعن فتَتَفَ ذاك[٦] واختصر ذا، وأتوا منها[٧] بعُنَق يختلف عنها بَدَنُها، وكذلك غيرُهم من النسّاب، حتى إنّ ابـنَ إسـحاق[٨]أتى - فيما سمعنا عنه - بنسبِ ولد الهَمَيْسع في خمسة أسطر. فقلت: أين مَن [٩]لم يزل بعدهم مُوجِفًا يَغور ويُنجد، ويقرب ويبعد، في طلب مَـنْ يعـلم ذلك على كماله عن مثل شيخِ حميرَ وناسبها، وعَلاّمتها وحاملِ سفرها، ووارثِ ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها، وقارئ مَسانَدها والمحيطِ بلُغاها، أبي نصر، ... وما زال لنا مُعَوَّلاً في المشكلات، وربّما

---

(٢) في المطبوع: فيمن نآى.

(٣) في المطبوع: لاسيّما.

(٤) في المطبوع: لَمّا كان.

(٥) في المخطوط: من ذي، وهو غريب.

(٦) في المطبوع: من ذلك.

(٧) في المطبوع: وأتوا من أنسابها.

(٨) في المطبوع: حتى إن محمد بن إسحاق.

(٩) في المطبوع: أين ممن.

وردتُ منه بحرًا زاخرًا لا تكدِّره الدِّلاء، ولا تَلُوب دونه الظِّماء، فأغناني نَهَلُهُ دون عَلَله، وأوسعني كفاية البعض دون كمله، **وكان بحَاثَة قد لقي رجالاً وقرأ زُبُر حمير القديمة ومَسَانِدها الدّهريّة**، فربّما نقل الاسم على لفظ القُدْمان من حمير، وكانت أسماء فيها ثقل فخفّفتها العرب، وأبدلت فيها الحروف الذّلقية، وسمع بها الناس مخفّفة مبدلة، فإذا سمعوا منها الاسم الموقّر، خال الجاهل أنه غير ذلك الاسم، وهو هو؛ فما أخذته عنه ما أثبتّه في كتابي هذا من أنساب بني الهَمَيسع بن حمير وعدّة الأذواء، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحِكَمها، إلاّ ما أخذته **عن رجال حمير وكَهْلان من سجل خَولان القديم بصَعْدة، وعن علماء صنعاء وصَعدة ونجران والجوف وخَيوان، وما خبرني به الآباء والأسلاف**».

وقد قُسِم البحث وَفْقًا للمادّة الموقوف عليها قسمين؛ قسمًا للسِّجلاّت؛ المنسوب منها كسجلّ محمّد بن أبان وسجلّ خولان، وغير المنسوب وهو كثير، وقسمًا للزُّبُر، القبوريّات منها وغير القبوريّات، وفي كلٍّ فروعٌ اقتضتها مادّة هذه السّجلاّت والزُّبر؛ عُرِّف فيها أصحابها وورثتها قدْرَ الوُسْع، وبُسِطتْ مادّتها المُسْتَلّة من مظانّها، وكان ذلك على النّحو الآتي:

أوّلاً: السِّجلاّت

١ – سجلاّت منسوبة:

كان الهَمْدانيّ في نَقْله عن السِّجلاّت ينسبها تارةً، ويُغْفِل نسبتها تارات أخرى، فما صرّح بنسبته إلى أصحابه، أو ما دلّت عليه قرينة، سِجلاّن اثنان: سِجلّ محمّد بن أبان، وسِجلّ خولان، على أنّه أشرك – مرةً – مع خولان في سجلّها حميرَ، الذين كانوا بصَعْدة، وتفصيلات ذلك كلّه كما سيأتي:

(أ)
سِجلّ محمّد بن أبان

- ترجمة صاحب السِّجلّ:

هـــو محمّد بن أبان بن ميمون بن حَرِيْز بن حُجْر بن زُرْعة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن حُجْر بن ذي شَمِر بن يزيد بن عمرو بن عبد شمس بن سيّار ابـــن الحارث أبي زرعة، المشهور بخَنْفَر، بن سيّار بن زُرْعة بن معاوية أبي عمرو ابن صَيْفيّ بن زُرْعة، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب، وهو كهف الظّلم بن سهل بن زيد، وهو الجَمَهُور، بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابـــن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جَيْدان بن قَطَن بن عَرِيْب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حمير، الخَنْفَريّ الحِمْيريّ (١٠).

ولـــد ســـنة خمسين للهجرة وتوفي سنة خمس وسبعين (١١) ومئة، عاش خمسًا وعشرين ومئة سنة، ودفن في رأس حدَبَة صَعْدة؛ شاعرٌ فارسٌ، كان سيّد حمْـــير وقَرْمًا من قُرومها، لم يكن في عصره مثلُهُ نجدةً وفصاحةً وكرمًا وذمامًا وحُسْنَ جوارٍ، ولِيْنَ عَرِيْكة مع شدّة العارضة وحمى الأنْف وبُعد الهمّة، وأقسم - وقد قُتِلَ أخوه رفاعة - ألاّ يُظِلّ رأسَهُ سَقْفٌ ولا يُضاجعَ امرأةً أو يأخذَ بثأر

---

(١٠) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ٤٨ - ٦٦، ومطبوعه ٢/١٢٢-١٤٦، والمحمّدون من الشّعراء وأشعارهم ١٩٠-١٩١.

(١١) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ٥٥ -٥٦، ومطبوعه ٢/١٣١، وفيه:((وتسعين))، وهو تصحيف قبيح، ولاسيّما أنّ الهَمْداني قد نصّ على أنّ محمّد بن أبان وُلد سنة خمسين وتُوفي عن خمس وعشرين ومئة سنة؛ أي: سنة ١٧٥ بداهةً، فاحترسَ من أن يَخلطَ أحدٌ بين رسمَي (سبعين وتسعين).

أخيه، فقتَلَ به كلاً من: ابن عَميرة بن مُرّ[١٢]، وعمرو بن سعد الغالبي، فارس بني سعد مُبارزةً، وعمرو بن زيد، سيّد بني سعد، وهو قاتل أخيه رفاعة[١٣].

– وَرَثَةُ السِّجل:

تُوُورثَ هذا السّجل في آل أبان وخَوْلان وحِمْير وصَعْدة، واعتوره نُسّاب اليمن وعلماؤها، وفيهم أبو نصر الحَنْبَصيّ اليَهَري، وابن رَقَطة الصَّعْديّ – بحسب ما تدلّ عليه مادة هذا السّجلّ المبسوطة فيما سيأتي – حتى انتهى إلى الهَمْدانيّ فوقف عليه في أوائل القرن الرابع الهجْريّ لَمّا سكن بصَعْدَةَ؛ وفي ذلك يقول[١٤]: «وقد سكنتُ بها عشرين سنة فأطَّلَلْتُ على أخبار خولان وأنسابها، ورجالها، كما أطللت على بَطْن راحَتي، وقرأتُ بها **سجلّ محمّد بن أبان الخَنْفَريّ** المتوارث من الجاهليّة».

– مادّة السِّجلّ:

أخذ الهَمْدانيّ عن هذا السِّجلّ أشياء كثيرة في النّسب، فكان حينًا ينصّ على أخذه عن سجلّ محمّد بن أبان، وأحيانًا يكتفي بالإشارة إليه؛ بقوله: السِّجلّ الأوّل أو السّجلّ القديم – ودلّت قرائن على أنّه يعنيه من دون سواه، بمَوات الحوالة عليه حين التّصريح والإبانة – ومّما وقف عليه الهَمْدانيّ من مادّة هذا السّجلّ قوله[١٥]: «وقرأت **في السجل الأول**: أولد قحطان بن هود أربعةً وعشرين رجلاً [١٦]: يَعْرُب، والسُّلُف الكبرى، ويَشْجُب، وأزال، وهو الذي

(١٢) في المطبوع: «مرة» مصحّفًا، والصواب ماأثبتُّه.

(١٣) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ٥٥ – ٥٦، ومطبوعه ١٣١/٢.

(١٤) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٦٠، ومطبوعه ٢٧٥/١.

(١٥) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٤٦ – ٤٧، ومطبوعه ٢٠٤ – ٢٠٦.

(١٦) في المخطوط والمطبوع: «... رجلاً، وهم ...»، ثمّ سِيْقتِ الأسماء منصوبةً، ولعلّ الناسخ قد وهَم فزاد «هم»، من دون أن يتنبّه لما سيأتي.

بَـــنَى صنعاء، ويكّلَى الكبرى – بكسر الياء – وخَولانَ – خولان رداع التي في القفاعـــة – والحارثَ، وغوثًا، والمرتادَ، وجُرْهمًا، وجَديسًا، والمُتمنِّعَ، والمتلمِّسَ، والمُتغَشّـــمِر، وعـــبادًا، وذا هَـــوْزن، ويامنًا – وبه سُمِّيت اليمن – والقُطامي، ونُـــباتةَ، وحضرموتَ – فدخلت فيها حضرموت الصّغرى – وسماكًا، وظالمًا، وخيارًا، والمُشَفتِر .

فولـــد يَعْـــرُبُ: يَشْجُبَ وحَيْدان وحيادة وجنادة ووائلاً وكعًا، فأولد يَشْجُبُ: عامرًا – وهو عبد شمس، ويُسمّى سبأ؛ لأنّه أوّل من سبأ – فولد عبد شمس: حميرًا وكَهْلان وبشرًا ورَيْدان وعبد الله وأفلح والنّعمان والمُودَّ ويَشْجُب ورهمًا وشدادًا وربيعة.

فولـــد حمـــير بن سبأ: الهَمَيْسع ومالكًا وزيدًا وعَرِيبًا ووائلاً ومسروحًا وعمـــيكرب وواسًا ومُرّة. فمن عميكرب آل مرّة بن النعمان، وهم بحضرموت بطـــن، منهم ربيعة ومرحب وذو ماير – وفي ولد الهميسع ذو ماور – **فهذا ما في السِّجل**، وقد يخالفه قول ابن الكلبي».

وممّـــا نقلـــه الهمـــدانيّ عن سجلّ محمّد بن أبان قوله(١٧): «قال علماء الصَّـــعْديّين **وأصحاب السِّجلّ القديم سجلّ ابن أبان**: إن مُرْتِع بن معاوية ابن كـــنديّ بن عُفَيْر أولد: ثورًا وهو كندة، ومالكًا، وأمّهما رُهْم امرأةٌ من حمير. قـــالوا: ثم وقع بين مُرْتِع وبين حِلاله من حضرموت الأكبر بن قحطان مُباعَدةٌ، فاستنصر بعضَ ملوك حمير، واستنجد حِلالُهُ إخوتَهم السُّلُفَ (١٨)بنَ قحطان – وقد ذكرنا قولهم: إن حضرموت والسُّلُف من حضرموت الأكبر بن قحطان في

(١٧) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ٥، ومطبوعه ٤٢/٢ – ٤٣.

(١٨) كذا في الأصل، وفي معجمات العربية «السَّلَف». (التاج: س ل ف).

الكـتاب الأول – واقتـتلوا فوقعت الدَّبَرة [١٩]على حضرموت والسُّلُف ابني قحطـان، فخـرجوا منهزمين حتى دخلوا شَبْوة [٢٠]- وهي مدينة على طريق بَـيْحان إلى حضرموت وقد يعدّها النّاس أوّلَ حضرموت – وأقاموا بها، وفيهم أختهم رُهْـم امرأة مُرْتِع، ومعها ابنها مالك صغيرًا، فنشأ في أخواله، وتزوّج فيهم، فلمّا انقطع عن أبيه قال لابنه ثور: إنّي لأظنّ أخاك مالكًا قد صَدَف عنّا - أي مال – فسُمّي الصَّدَف [٢١] يومئذ، وكان هذا سبب دخول الصَّدَف في حضـرموت حتى تكلّموا بلسانهم وتسموا بأسمائهم وقالوا: هو مالك بن عمرو بن دُعْميّ بن حضرموت الأصغر بن سبأ الأصغر [٢٢]».

وسـاق الهَمْـدانيّ شيئًا من نسب خولان – يُرجّح أنّه أخذه عن سجلّ محمّـد بن أبان – عن آل أبان، إذ قال[٢٣]: «ومما أتى به من نسب خولان عن آل أبان قالوا: أولد خولان حيَّ بن خولان وإليه اللّواء، وهو الأكبر، وسعدَ بن خـولان، وهو الذي تملّك بصِرْواح، ورشوانَ بن خولان، وهو صاحب العُرَة، وهانـئ بـن خـولان، وهو صاحب المتهمَين [٢٤]، ورازح بن خولان، وهو

---

(١٩) في المطبوع الدائرة، وهما بمعنًى.

(٢٠) في الأصل: «شَنُوة»، وهو عجيب! وقد يظنّ بعضهم أنّه ربما أراد (أزد شنوءة) ثم حذف الهمز، وهذا ظنّ يدفعه قول الهَمْدانيّ بعده: «وهي مدينة على طريق بَيْحان إلى حضرموت وقد يعدّها النّاس أوّلَ حضرموت».

(٢١)كذا في الأصل، وفي معجمات العربيّة: «الصَّدِف». (التاج: ص د ف).

(٢٢) في المطبوع: «**والأزمع بن خولان وصُحار بن خولان**»، وهي زيادة يقتضيها ما سيأتي من ذكر هذه الأسماء وفروعها، ولعلّ ثمّة سقطًا في الأصل.

(٢٣)مخطوط الإكليل ج ١ ورقة ١١٣ – ١١٤، ومطبوعه ٤٤٦/١ – ٤٤٧.

(٢٤)كذا رسم في الأصل، و لم يتبيّن ما هو، ولعلّه اسم موضع بدلالة ما قبله وبعده.

صاحب دَفا [٢٥] وهو الأصغر.

فـــأولد حـــيّ بن خولان سبعة نفر: عديًّا ومَرثدًا وغنمًا وعمرًا وشَعبًا وأنوف ومنصورًا. وأولد سعد بن خولان ثلاثة نفر: ربيعة بن سعد، وسعد بن ســـعد، وعمرو بن سعد؛ فدرج عمرو. وأولد رشوان بن خولان: خمسة نفر: حربًا وسعدًا وعمرًا وخوليًا وناهًا ومُنبهًا. وأولد هانئ بن خولان - مهموزٌ - خمســـة نفر: هلالاً ويعلى وعليًّا وسعدًا وجامعًا. وأولد رازح بن خولان عشرة نفـــر: مَـــرْثدًا وعُويضًـــا ويعلى وأتأم وبزيًّا وجُدادًا ويَغْنَمَ وغمرًا [٢٦] ونديدًا وجريـــرًا [٢٧]، أنســـلوا و لم يدرج منهم أحد. وأولد الأزمع عشرة نفر، كلّهم أعقـــب، وهـــم: مَـــرّان والكرب والأسوُوق وخضَي وعبد الله ويعلى وثابت وعمـــرو وعُمَـــير والناسك، وبعض النسّاب يقول: شهاب بن الأزمع. وأولد صُحَار بن خولان سبعة نفر: حاذرًا وبشرًا وشبلاً وطارقًا وعامرًا وعمرًا وعبدًا. هـــذا نسب خولان عن حمير صعدة »، يعني أن هذا النّسب أُخذ عن آل أبان الحميريّين سكّان صَعْدة.

(ب)
سجلّ خَوْلان

توارثـــه خَلْقٌ عظيمٌ من حمير وكَهْلان وخَولان، ونصّ الهَمْدانيّ في بَدْء الجـــزء الأوّل مـــن الإكليل على وقوفه عليه وأخذه عنه، فذكر أنّه أخذ نسبَ أولاد الهَمَيْسع عن أبي نصر الحَنْبَصِيّ، وعن رجالٍ من حمير وكَهْلان من سجلّ خـــولان، وممّـــا أخذه الهَمْدانيّ عن هذا السّجلّ، ونصّ عليه قوله عن أبي نصر

(٢٥)دفا: حصن مشهورٌ لخولان. (جزيرة العرب ٢٦٦).

(٢٦)في المطبوع: ((ويغنمًا وعمرًا)) مصحّفًا.

(٢٧)كذا في المطبوع، ولا يؤازره ما في المخطوط، وإن لم يَستَبِن لنا ما فيه.

الخَنْبَصيّ[٢٨]: «فما أخذته عنه ما أثبته في كتابي هذا من أنساب بني الهَمَيْسَع بن حمير وعدّة الأذواء، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحِكَمها، إلاّ ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من **سِجلّ خَوْلان القديم بصَعْدة**».

ولمّا ساق نسب قضاعة في الباب الذي اختصّها به، قال وهو يُعدّد أولاد الحاف بن قضاعة: «**وفي سجلّ خولان**: وسلمان بن الحاف، وقال غيرهم: هو سلامان بن يعمد بن زيد بن الحاف[٢٩]».

ونحو ذلك في نسب مَهْرة بن حيدان - وأشرك مع خولان في هذا السّجلّ حمير الذين بصَعْدة، كما سلف - وقال[٣٠]: «**وفي سجلّ خولان وحمير بصعدة**: أولد مهرة: الآمري والدِّين ونادَغم ويَنْدع، بطن، فولد الآمري: اضطمري ومهري، فولد اضطمري: القمر ويبرح، فولد يَبرح: القرى، بطن، وبني رئام، وهم بعُمان؛ وولد مهري: المذاذ والمُسكى والمُصلى، فولد المُصلى: المُزافر وغيرهم؛ وولد الدين: الوَجَد والغيت، فمن الغيت بنو باغت وبنو داهر، وهم بعُمان؛ وولد نادغم: العيد وخسريت والعُقار؛ فولد خسريت: الشوحم ويُحَنُن؛ فولد يحنن: الثّعين والثغرى والكرشان، فمن ولد الثعين آل تبِلة، وهم سادة مَهْرَة، وهو تبلة بن شماسة بن عثيران بن شمام بن عجيل بن وِتار بن عجيل بن ثعين بن يحنن؛ قالوا: ويحنن من بني عمرو بن مُرّة بن حمير، دخل في مهرة[٣١]».

---

(٢٨) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٥٦، ومطبوعه ١/ ٢٥٦.

(٢٩) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٥، ومطبوعه ١/ ٨٩.

(٣٠) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٥٨ - ٥٩، ومطبوعه ١/ ٢٦٩، وفيه تصحيفات وتحريفات، يصعب عرضها في هذا الموضع؛ لكثرتها وقُبْحها.

(٣١) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٥٨ - ٥٩، ومطبوعه ١/ ٢٦٩.

كما نصّ على أخذه عن أُناسٍ كانوا من وَرَثَة هذا السِّجلّ، من أهل صَعْدة، وفي ذلك يقول[٣٢]: «قال ابن رَقَطة الصَّعْديّ، **وهو من بعض وَرَثة السِّجلّ**: إنّ من قبله رووا عن يزيدَ بنِ عبد الرحمن عن عبد الملك بن يَغنمَ بنِ سلمة بن مالك بن عمير بن الليث بن مالك بن أسد بن غنم بن حيّ بن خولان بن عمرو بن الحاف، أن خولان أولد: حيّ بن خولان، وسعد بن خولان، والأزمع بن خولان، وصُحار بن خولان، وهانئ بن خولان، ورازح ابن خولان، ورشوان بن خولان.

وأمّ صُحار: بنتُ أكلب بن ربيعة بن نزار – **وقال بعض وَضَعَة السجل** ونُسّاب الهَمَيْسع: هي بنت ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل، وهو خثعم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغوث بن ربيعة بن عفرس – **فأولدها**: حيًّا ورازحًا وصُحَارًا.

وأمّ سعد الأكبر وهانئ والأزمع: عبدةُ بنت زيد بن عمرو بن أذينة.

وأم رشوان: الخليقة بنت ربّان [٣٣] بن حُلوان بن عمران.

فأولد سعد بن خولان: سعدًا وربيعًا وبشرًا وعمرًا؛ فولد ربيعة بن سعد: حجرًا، وسعدًا، وهم أهل عُراش، وهم الذين يزعمهم نُسّاب بني سعد بن الليث المالكي، وفروذ بن الربيعة، ويغنم بن ربيعة، وهم سادات في بني رازح، كل من كان منهم إلى ولد أعلى بن يغنم بن الربيعة. ومن ولد يغنم أيضًا: ولد حاذر، وولد ميمون في ولد صُحَار بن خولان، ويعنق بن الربيعة، وكامل بن الربيعة، ومعاذ بن الربيعة، وأسامة بن الربيعة، وأمهم جميعًا مزنة بنت وهب بن الحارث ابن معاوية بن ثور ابن مرتع، وعمرو بن الربيعة، وداهكة بن الربيعة، وشريفة

(٣٢)مخطوط الإكليل ج١ ورقة ١١٧ – ١١٨، ومطبوعه ١/٤٥٢ – ٤٥٣.

(٣٣)في المطبوع: «ريان» مصحّفًا.

بنت الربيعة – وهي أم شهاب بن العاقل بن [ربيعة بن] وهب – وأمّهم سمية بنت عمرو بن كواش بن حيّ، فنكح شهاب بن العاقل كبشة بنت الأزمع الأصغر بن عمرو بن شمران بن عمرو بن الأزمع، فولدت له عبد مالك.

٢ – سجلاّت غير منسوبة:

سبقتْ مادّة هذه السّجلاّت مُفْردة لّما لم يُصرّح الهَمْدانيّ بنسبتها، وأغفلها، ولعلّها تكون بعضًا من السّجلاّت المنسوبة السالفة، من ذلك ما ساقه حين ذكر كلام ابن الكلبي في ولدْ قحطان، قال [٣٤]:«وقال الهيثم بن عديّ: ويُعْفِر بن قحطان، فأولد يُعْفِرُ المَعافرَ، والثّبتُ ما ذكرنا عن **أهل السجل**، أنه المَعافر الأكبر بن يُعْفِر بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أدد».

وقولـــه[٣٥]: «قال أبو نصر: فأولد ربيعة ذو مرحب بن معديكرب بن النّضر: حليلاً – وهم الأحلول – وذا المسوح ابني ربيعة، بطنان، فأما الأحلو – بلا لام – فمن حراز.

وقال غيره من علماء اليمن: أولد مُرّة بن حمير: عمرًا وربيعة؛ فأولد ربيعة: الأحلول وذا المسرح. ويؤيد ذلك قول الكلبيين: إنه مسروح، **وكذا أهل السجل يقولون**».

وقولـــه[٣٦]: «**وأصحاب السجل يقولون مثل** قول بعض الناس فيما بين عدنان وإسماعيل: إنّه تخرّم بعد أيّام بُخْت نصّر شيء، من علم العرب من ساكني الحجاز والشّام بالأنساب والأيّام، فلا يرون إلا أن العدّة بين قضاعة وحمير أكثر من هذه الأسماء الخمسة بمثلها، ويقولون: إنه قد انتشر من هذه العدّة بشر دخلوا في ولد مالك، وولد الهميسع، وفي غيرهم من العرب».

(٣٤)مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٤٣، ومطبوعه ١٩٢/١.

(٣٥)مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٤٦، ومطبوعه ٢٠٣/١.

(٣٦)مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٤٨، ومطبوعه ٢٠٩/١.

وقولــه[٣٧]: «**قال أهل السجل**: أولد الهميسع بن حمير: يامنًا وأيمن ومهسعًا والهاسع والمختسع ومتبعًا وأقرع. فمن ولد يامن: أسلم الأقدم ورعويل وقدمان وبنو أبي زرع وهم أهل الرس، وأولد أيمن: زهيرًا والغوث، فولد الغوث: جرهم الآخر. وأولد زهير بن أيمن: عريبًا، فولد عريب بن زهير: قطنًا وعَدراسًا - ويُخفّف فيقال: عداس، كأن الرّاء فيه زائدة - ومثُوبًا، وجيدان. فولد جيدان: عريبًا. فولد عريب: مالكًا وهيلاً وزُنجعًا ورِيناع؛ قالوا: وللزنجع وهيل عدد بحمص كثير، وهم باليمن من الكَلاع».

وقولــه وهو يسوق نسب آل ذي يزن[٣٨]: «**فأولد النعمان بن عُفَير**: سيف بن النّعمان أبا المنذر، الذي وفد عليه عبد المطلب، وهو النّازع إلى كسرى أنو شروان، وعمرَو بنَ النعمان، وهو الذي خرج إلى قيصر وقبائل قحطان بالشّام برسالة أبيهما النّعمان بن عُفَير. **قال أهل السّجلّ: هو المنذر بن عُفَير**، ويكنى أبا النّعمان».

وقولــه لمّا ساق عن رجلٍ، اسمه أبو راشد، أن في اليَزَنيّين الأيدوع، ثمّ عقّب على قول أبي راشد[٣٩]: «ولا أدري إلى أيّ أبيات آل ذي يَزَن هم، ولعلّهم أن يكونوا من آل أزْأن، أو من بني يُداع من ذي حَولان، ولو كان جدّهم وُداعًا لكان القياس الأودوع مثل الأوسون، **وقد ذكر أصحاب السِّجلّ**: أن مَهْرة أولد مع من سَمَّينا: يدع، بطن، فلعلّهم من ولده سكنوا بحضرموت.

وقولــه[٤٠]: «وفي ذي مُقار أيضًا القَشيب، منهم نابت بن الرّيّان المصلح بين حمير، وأحمد بن يزيد الشّاعر **بقول أهل السِّجلّ**».

---

(٣٧)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١، ومطبوعه ٣١/٢.

(٣٨)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١٢٣، ومطبوعه ٢٣٨/٢ - ٢٣٩.

(٣٩)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١٢٥، ومطبوعه ٢٤٢/٢ - ٢٤٣.

(٤٠)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١٤٧، ومطبوعه ٢٨٣/٢.

ونحوه[٤١]: «ومنهم أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريّان، وهو الذي سكن جُرش وخرج مِن بلد عولان إليها؛ وقد يَهِمُ علماء صعدة من حمير وأهل السجل فيقولون: أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريّان من بني عوسجة بن القشيب بن ذي حزفر، ولا يقولون إلاّ: أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريّان القشيبي، دون أن يقولوا: العوسجي».

وقوله معقبًا على بيت شعرٍ لأسعد تُبّع:

عمّــيَ الخـيرُ حـين تُذكر بِلْقَيْـ ـسُ ومَنْ نال مطلعَ الشّمس خالي

: «يــريد ذا القـرنين البنّاء. فسئل أبو نصر: ممّنْ ذو القرنين؟ فقال: منْ هَمْدان، واسمه صَعْب. وقد ذكرنا ما قال أهل السّجلّ وهَمْدان »[٤٢].

وقوله حين ترجم أُذينة ذا الأنواح، بعد سَوْقه بيتًا للأعشى[٤٣]:

أزالَ أُذَيْــنَةَ عَــنْ مُلْكِــهِ وأخْــرَجَ عَــنْ قَصْــرِهِ ذا يَــزَنْ

: «وقد يقال: إنه عنى في هذا البيت أُذَيْنة بن السَّمَيْدَع العَمْلقي، وعمرو [ابن أذينة][٤٤] بن الحارث بن حضرموت، الملك المذكور في سجلّ صَعْدة».

وقوله في صدر نسب هَمْدان: «أولد كَهْلان بن سبأ: [زيدًا][٤٥]، فأولد زيدٌ: عَرِيبًا ومالكًا وغالبًا. فأولد عَرِيبٌ: عمرًا، فأولد عمرو: زيدًا والهَمَيْسع؛ وهو ذو القرنين السَّيّار، ويكنى بالصَّعْب بقول أهل السّجلّ»[٤٦].

ونحو ذلك ما ساقه نشوان الحميريّ – وجلّ ما جاء في كتبه عن شيخه

(٤١)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ٧٨، ومطبوعه ٢/١٦٧.

(٤٢)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١٤٨، ومطبوعه٢/٢٨٥.

(٤٣)مخطوط الإكليل ج ٢ ورقة ١٥٣ – ١٥٤، ومطبوعه ٢/٢٩٣ – ٢٩٤.

(٤٤)الزيادة عن المطبوع، وهي صحيحة، على قلّة الصحيح فيه !

(٤٥)سقطٌ في مطبوع الشيخ مُحبّ الدين الخطيب، خطأ تطبيع يجلّ عنه الشيخ.

(٤٦)الإكليل ١٠/٢٧.

الهَمْدانيّ – في باب أسماه:

(باب الحقيقة المعمول عليها في ذي القرنين السَّيّار، ومعرفة الطّرق التي جاءت منها اللّبسة فيه، والتّنبيه على الأخبار الباطلة)، حيث قال[٤٧]:

«والمتعاملون بهذا الاسم أربعة: أولهم المسّاح باني سدّ يأجوج ومأجوج، وهو الصعب بن مالك بن الحارث بن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان، **وأهل السِّجل يقولون:** هو الهَمَيْسع بن عمرو بن عَرِيْب بن زيد بن كَهْلان، وروايتهم أنّه لقي إبراهيم الخليل، عليه السلام، يومَ حاكم إليه أهل الأُرْدُنّ وهم من العَماليق؛ وذلك أنّ إبراهيم، عليه السّلام، احتَفَر بئرًا في صحراء الأُرْدُنّ للماء لأجل ماشيته؛ وادّعى قومٌ من العَماليق أنّ عرصة البئر في حَوزتهم، فحاكمهم إلى ذي القرنين، وهو سائر إلى الشّمال، بعد مُنْصَرفه من الشّام، وكان الخَضِر على مقدّمة عسكره، فلمّا أوْغَل ذو القرنين في الشّمال، رُفِع للخَضِر عن ماء الحيوان فشرب منه، و لم يعلم ذو القرنين ولا أحد من أصحابه، فخُلِّد وعُمِّر».

ثانيًا: الزُّبُـــر

الزُّبُر، واحدها زَبُور، بفتح الزّاي أوله: الكتاب، بمعنى المَزْبور المكتوب[٤٨]؛ قال تعالى: ﴿ولقد كَتَبْنا في الزَّبُور من بعد الذِّكْر﴾ [الأنبياء/ ١٠٥]، وقال جلّ وعلا: ﴿وإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأوّلِين﴾ [الشعراء/ ١٩٦].

والزُّبُر الموقوف عليها نوعان: قبوريّة، وأخرى غير قبوريّة:

١– الزُّبُر القُبوريّة:

ثمّة نصوصٌ كثيرةٌ كانت تُكتب على القبور، سُمّيت بالقبوريات، نقل الهَمْدانيّ كثيرًا منها في تصانيفه، إمّا مشاهدةً وإمّا نقلاً عن كُتب، فمن هذه الكتابات ما بقي على لفظ القدماء وحمير منها خاصة، ومنها ما أتتْ عليه أيدي

(٤٧)ملوك حمير وأقيال اليمن ٩٨.

(٤٨)اللسان والتاج ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ز ب ر).

النّساخ، فبدّلت فيه، وقدّمتْ، وأخّرت؛ إذْ كان جُلّهم ينقل هذه النّصوص وبضاعته في اللّسان الحميريّ مُزْجاة، وبعضهم تصرّف فيها لتسهلَ على أهل عصره، فَدَبَّ الضّعف في أوصالها من عصر إلى عصر، وتبدّلتْ حالها لكثرة من اعْتَوَرها حتى فقدتْ لفظها الذي كُتِبت به، وصارت تُنقل بالمعنى، فزِيْدت عليها أشياء مُنكرة لا تصحّ فيها، ولاسيّما أشياء ممّا يُزَهِّد النّاس في دُنْياهم؛ وفي ذلك يقول الهَمْدانيّ [٤٩]: «إنّي لا أرى هذه الأشياء [٥٠] المُستنكرة في الزُّبُر القبوريّة، إنّما يكون من الذين يكتبونها فيزيدون في الشّيء ما ليس فيه ليعظم ذلك عند مَنْ بَعْدَهم فيزهدوا في الدّنيا ويعلموا أنّهم دون مَنْ فَرَطَهم».

غير أنّ نصوصًا أخرى لم تُصَب بأذًى وسَلِمَتْ من هذا المَسْخ، نُقشتْ على صِفاح الحجارة، فظلّت ناطقةً بلسان أصحابها، حتى أتى عليها حِينٌ استَنْطَقها فيه خَلْفٌ فَقِهوها، وعلموا سرّها، ومن تلك النّقوش اختِير نقشان اثنان، يهجَعان اليومَ منفردَين في برلين، عُزِّزا بثالثٍ ساقه الهَمْدانيّ في الإكليل، فأمّا نقشا صِفاح الحجارة فهما:

أ – نقشٌ سبئيّ مجهول المصدر [٥١]:

نفس ربيعة بن حيّ

(٤٩) الإكليل ٨/ ١٧٠.

(٥٠) في المطبوع: «إنّي لا أرى في هذه الأشياء ...»!

(٥١) عن مختارات من النقوش اليمنية القديمة ١٧٦.

وليَقْمَعَن عثتر الشّرق الّذي يَنْهَكَن ويَشْترُهُ (٥٢)

ب - نقشٌ سبئيٌّ مجهول المصدر (٥٣):

نفس تعمر

ومن ما يَشْترُهُ ليَقْمَعَن عثتر الشّرق(٥٤)

وأمّــا مــا سِيْق في كتاب الإكليل فهو كثيرٌ جمٌّ، فمنه ما جاء موافقًا الــنّقوش رسمهــا ولغــتها، ومنه ما صُحِّف وُحرِّف فدخل بعضه في بعض، وســنختار مــن ذلك شيئًا يسيرًا جاء في أعطاف خبرٍ طريفٍ فيه طولٌ، رواه الهَمْدانيُّ عن الأوسانيِّ، فَحْواه أن أختين من حِمْير، استَفْرغ بهما غربُ الضّحِك حتّى ماتتا، فقُبِرتا وكُتِب على قبريهما بالمسند:

---

(٥٢) في النّقش:((حيم))، والميم علامة صرف الاسم في لهجة حمير القديمة، كالتنوين عند أهل الشّمال وفيه: ((شرقن))، والنون مسبوقةً بألف لا ترسم، أداة التعريف عندهم.
ينهكن؛ من النَّهْك: وهو النَّقْض. يَشْتر؛ من الشَّتْر: وهو القَطْع والتَّمْزيق والخَرْم، ومنه شَتَرُ العين والشّفة. (اللسان والتاج والمعجم السبئي: ن ه- ك، ش ت ر).

(٥٣) عن مختارات من النقوش اليمنية القديمة ١٧٦.

(٥٤) لم ترســم للميم علامة صرف الاسم في النّقش بعد ((يعمر))، لأنّه ممنوع من الصرف. وفي الــنقش:((من مو)) وهي (ما) الزائدة، وهي عندهم ممالة الألف نحو الواو أو الياء. وفيه: ((شرقن))، والنون مسبوقةً بألف لا ترسم أداة التعريف عندهم.

خِي يُحْزِن لَذْ نِي من ضَحَك موت [٥٥]

٢ – الزُّبُــر غير القبوريّة، ذكر الهَمْدانيّ منها في تصانيفه زُبُرًا لحمير وهَمْدان وآل ذي لَعْوة [٥٦]، وأخرى غير منسوبة:

أ – زُبُر حِمْير.

ذكرها الهَمْدانيّ حين ترجمَ لشيخه أبي نصر الحَنْبَصيّ اليَهَري؛ فقال[٥٧]: «وكان بحّاثةً قد لقي رجالاً وقرأ **زُبُر حمير القديمة** ومَساندها الدّهريّة »، ولم ينصَّ الهَمْدانيّ على زَبور بعينه حين كان ينقل كلام شيخه أبي نصر، على كثرته وفُشُوِّه.

ب – زُبُر هَمْدان.

نقل عنها الهَمْدانيّ زيادةً في نسب أولاد الهَمَيْسَع بن حمير؛ فقال:

«**وفي بعض زُبُر هَمْدان القديمة**[٥٨]: أنّ الهَمَيْسَع أولد – مع مَنْ سَمَّيْنا –: زهيرًا فدَرَج، والغوثَ. فولَدَ الغوث بن الهَمَيْسَع: ثُعلبان، بطن؛ رهط مجاذع بن

(٥٥) مخطوط الإكليل (الجزء الثاني/ الورقة ١٦٣)، ومطبوعه ٢/٣١١ – ٣١٢.

واللافــت في هذا المسند أنه غير واضح وضوحَ ما نُقش على الحجر؛ لكثرة التصحيف والتحريف فيه، على خلاف النقوش التي خلَتْ من هذا الدّاء ، وعلّة ذلك أنّ كثيرًا من النّســاخ كان ينقل هذا الكلام من غير أن يُرزق معرفة اللسان الحميريّ، كما سلف التنبيه على ذلك.

(٥٦) **لعوة**: بفتح ثم سكون ثم فتح. الاشتقاق ٤٣٠.

واللافــت في هــذا المسند أنه غير واضح وضوحَ ما نُقش على الحجر؛ لكثرة التصحيف التحريف فيه، على خلاف النقوش التي خلَتْ من هذا الدّاء ، وعلّة ذلك أنّ كثيرًا من النّســاخ كان ينقل هذا الكلام من غير أن يُرزق معرفة اللسان الحميريّ، كما سلف التنبيه على ذلك.

(٥٧) مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٥، ومطبوعه ١/ ٨٩ .

(٥٨) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ٢، ومطبوعه ٢/٣٢ – ٣٣.

نُقحان بن خودان بن كلكرب[٥٩] بن جوبان بن أدهر بن رحبان بن أكرب بن ثعلبان».

ج - زُبُـــر اللّغويّين.

يُنسَبُ اللّغويّيون إلى أبي كَرِب، وهو ذو لَغْوَة الأصغر بن زيد بن يحير[٦٠] بن أبي كرب بن زيد بن الذرنح بن الحارث بن الخصيب، وهو رَدّاد الخيل بن مالك بن قيس بن شراحيل بن رفاعة بن زُرعة بن نمران بن مُحَلِّم ذي لَغْوة الأكبر بن عَلْمان بن سَوْران بن ربيعة بن بَكيل [٦١].

سكن جُلُّهم برَيْدة، ورد في الإكليل [٦٢]: «ورَيْدة دار اللّغويّين، وأكثر مَنْ بها ولد عَهّان، ...«ثم سِيْق تتمّة النّسب في المطبوع مصحّفًا محرّفًا، صوابه ما ذُكِر آنفًا، وورد في آخر ما سِيْق:«هذا النّسب عن اللّغويّين برَيْدَة، **وكذلك هو في زُبُرهم**».

وعن زُبُرهم أيضًا ساق الهَمْدانيّ حَذْفًا من نسب مُثَوِّب بن يَريْم ذي رُعَين الأكبر، فقال [٦٣]: «وأولد مُثوِّب بن رُعَين [٦٤] بن سهل: لَهِيْعة وشرحبيل ومرثدًا، بَني مُثوِّب [٦٥]. فأولد لَهِيْعة بن مُثوِّب: جَيْدان بن لهيعة. فأولد جَيْدان بن لَهِيْعة: يَعْرُب ينكف بن جَيْدان. فأولد يَعْرُب ينكف بن

(٥٩)في المطبوع: «كر كرب»!

(٦٠)في المطبوع: «يحيى» مصحّفًا.

(٦١)مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ١٥٩، ومطبوعه ٢/٣٠٥.

(٦٢)الإكليل ٨/ ١٠٠.

(٦٣)مخطوط الإكليل ج٢ ورقة ١٦٧، ومطبوعه ٢/٣١٨.

(٦٤)كذا في الأصل، والصواب: مُثوِّب بن يريم ذي رُعين.

(٦٥)في المخطوط والمطبوع: «... ابني مُثوِّب»، وهو وهْم، لذكره ثلاثة بَنين.

جَيْدان: الغَوث بن يَعْرُب ينكف. فأولد الغَوث بن يَعْرُب ينكف: معديكرب ذا غُشَيْم بن الغَوث، وفي زُبُر اللَّعْويّين ذو غُشَين».

وعن زُبُرهم ساق الهَمْدانيّ أنسابهم؛ وفي ذلك يقول(٦٦):

«وهذه نسبة اللَّعْويّين مقيّدةَ الأصول محروسة الفروع، أخذتُها عنهم رواية عن زبور قديم بخطّ أحمد بن موسى بن أبي حنيفة المعروف بالدندان عالم أهل البون في عصره».

د – زُبُـرٌ غير منسوبة.

استلّ الهَمْدانيّ من هذه الزُّبُر أشياء عن أولاد قحطان؛ فقال(٦٧): «وفي بعض الزُّبُر القديمة: وَلَدَ قحطان: المُودَّ، مثل المُحِبّ من الأسماء، والمُوْدِد، مثل المُحْبِب؛ وبنو محبة بطن من جَنْب.

وفي زَبُور قديم أيضًا(٦٨): ولد قحطان: يَعْرُبَ، والسُّلف وسالفًا ويكلي وغوثًا والمُرْتادَ وجُرهمًا، وطَسْمًا وجَدِيْسًا وحضرموت وسماكًا وظالمًا وخيارًا، والمُتمنّع والمتلمّس والمُتغَشمِر وذا هَوْزنٍ ويامنًا – وبه سُمِّيت اليمن – ويغوث والقُطامي ونُباتة وهذرم – فمن ولد هذرم: تميم، دخلوا في نزار – قال: وملكوا(٦٩) كلُّهم إلا ظالمًا، فإنه كان يقود الجيوش لإخوته، ونُسّاب

(٦٦) الإكليل ١٠/ ١٠٧.

(٦٧) مخطوط الإكليل ج ١ ورقة ٤٣، ومطبوعه ١/١٩٢ – ١٩٤.

(٦٨) سلفت مادة هذا الزّبور في الصفحة ٩، في الحديث عن السّجلّ الأوّل نقلاً عن مخطوط الإكليل ج١ ورقة ٤٦ – ٤٧، ومطبوعه ٢٠٤ – ٢٠٦.

(٦٩) في نسب معدّ واليمن ١/٦٠: «فهلكوا إلا ظالما»، وهو تحريفٌ قبيح، وليت المحقق سأل نفسه – حين خال العبارة مستقيمة –: من أين أتى هذا الخلق من قحطان ؟!

اليمن لا يذكرون [٧٠] من هؤلاء الذين ذكر إلا نُباتة [٧١]، وقد أثبتناه في غريزته مـــن حمـــير. قال: وأما الحارث فولد: قينًا، بطْن يقال لهم: الأقيون، دخلوا في حمـــير، وهـــم رهط حنظلة بن صفوان، ووُجِد في قبره لوحٌ مكتوب فيه: (أنا حنظلة بن صفوان، أنا رسول الله، بعثني الله إلى حمير وهَمْدان والعُريب من أهل الـــيمن، فكذبـــوني وقـــتلوني). فمـــن يقول بهذا الخبر يرى أنّه بُعِث إلى سبأ بمارب[٧٢]، فلما كذبوه، أرسل الله عليهم سيل العَرِم ».

زُبْـــدة ما سَـــبَق:

اتّكاء على ما تقدَّم في هذا البحثْ، يحقّ القول: إنّ ثمّة كُتُبًا وسجلاّت وزُبُـــرًا تُوُورثـــت في الـــيمن من الجاهليّة، واعتَوَرها العلماء وأخذوا عنها، واستنســـخوا مادّتها، ولو انتهت إلينا تصانيف الهَمْدانيّ وعلماء اليمن القدماء تامّـــة، لانتهى إلينا خيرٌ كثيرٌ، وإن كان ما وُقِف عليه منها يدلّ صراحةً على انتشـــار الكتابة، واستعمالها استعمالاً يدفع عن اليمن وغيره من أقطار جزيرة العرب سُبّة الجهل، وقلّة الكتابة أوّل طلوع الإسلام على النّاس.

وقد أنكر جواد عليّ، حين تحدّث عن تدوين التاريخ الجاهليّ [٧٣]، أن تكون هذه السِّجلاّت جاهليّة، وأنكر كثيرًا ممّا حوت، أما الأشعار فيها فدفعها جملةً، لا لشيء سوى أنّ المستشرقين لم يقفوا – في حينه – على

(٧٠) في الأصل: «لا يذكروا»، وهو عجيب!

(٧١) كذا في المخطوط والمطبوع، والمعنى غير واضح ! إلا أن تكون: «ونُساب اليمن لا يذكرون من هؤلاء الذين ذُكروا نُباتة، ... ».

(٧٢) مارب: هي في النّقوش من مادة (مرب) وليس من (أرب) ، وعليه فلا وجه للهمز.

(٧٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/٩٢ – ٩٥.

قصائد منقوشة، فضلاً على تَضْعيفهم العلماءَ العرب، واتهامهم إيّاهم بالجهل بتاريخهم ولغتهم، وكثيرًا ما كان يؤمن جواد علي - رحمه الله - بآراء المستشرقين، وقلّ أن يناقشها، في حين يُمَرِّض الرّوايات العربيّة حتى لو كانت أصحَّ من عَيْر أبي سيّارة.

أمّا بعد العُثور على قصائد جاهليّة تعود إلى القرنين الأول والثالث الميلاديّين [٧٤]، فليس لأحدٍ حجّة في دفع الأشعار الجاهليّة الموقوف عليها في تصانيف الهَمْدانيّ وغيره من علماء العربيّة، على أنّ مجال الشّكّ في بعض هذه الأشعار لا يدفع الصّحيح منها، ولا يُضعّفه، أو يُلْغيه.

وثمّة شاهدٌ، فيه من الطّرافة ما فيه، ساقه جواد علي، حين أتى على ذكر ذي نواس الحميري، مضعّفًا الروايات العربيّة فيه، مستشهدًا ببيت لعلقمة ذي جَدَن الحميريّ شاكًّا في نسبة هذا البيت إلى علقمة، وقد سِيْق البيت مُشوّهًا مُكَرهًا ليكون شاهدًا على قتل ذي نواس في اليابسة، لا في البحر كما هو معروف مشهور في الرّوايات العربيّة شعرًا ونثرًا، إذ يقول:«وترى الرّوايات العربيّة أنّ ذا نواس لّما غُلب على أمره ورأى مصيره السّيّئ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه. أما الرّوايات الحبشيّة والإغريقيّة فإنّها ترى أنّه سقط حيًّا في أيدي الأحباش فقتلوه. وهناك شعر نُسب إلى علقمة ذي جدن، زُعِم أنّه قائله، هو [٧٥] :

أو مـــا سمعـــت بقـــتل حمير يوسفا   أكـــل الثّعالـــب لحمه لم يقتبر

---

(٧٤) نُشرت إحداهما بعنوان (ترنيمة الشمس) بصنعاء نشرة غير محقّقة ولا محرّرة، والأخرى قرأها العلامة مطهر الإرياني، وهي غير منشورة لكنّها مصوّرة متعاورة.

(٧٥) ٤٧١/٣ - ٤٧٢.

وفيه بعد البيت: ((وقد استدلّ منه (**فون كريمر**) على أن ذا نواس لم يغرق في البحر كما في الرّوايات الأخرى، بل قُتِل قَتْلاً كما ورد في روايات الرّوم)).

وإنّما حُرِّف البيت، وصُحِّف عمدًا، أو وهمًا، ثمّ بُني على ذلك حكمٌ يناقض الرّوايات العربيّة الصّحيحة السّيّارة، وإنّما صواب البيت كما رواه الهَمْدانيّ في كتابه الإكليل، وهو مصدر البيت اليتيم، وعنه أخذ المستشرقون، وفيهم فون كريمر، وعنه أخذ جواد علي:

أوَ مـا سَـمِعْتِ بِقَيْلِ حِمْيَرَ يُوْسُفٍ ... أَكَـلَ الـثّعالِفُ لَحْمَهُ لم يُقْبَرِ

وفيه بعد البيت: ((**والثّعالف**: الخِيْتان، واحدها ثُعْلُوف. ويقال: ثَعالِف وثَعالِيْف. كما يقال: مِكْيال ومَكايِيْل ومَكايِل [٧٦])).

والبيت من قصيدة انتهت إلينا أحلاثًا، منها[٧٧]:

يـا بِنْتَ قَيْلِ مَعافِرٍ لا تَسْخَرِيْ ... ثُمَّ اعْذِرِيْنِيْ بَعْدَ ذلكَ أَوْ ذَرِي

أَوَ لا تَرَيْنَ، وكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ، ... يَبْـنُوْنَ هالِكَـةً كأَنْ لم تُعْمَرِ

وقد نقل الهَمْدانيّ في تآليفه مادة عزيزةً نادرة عن النّقوش والمَساند، حريٌّ بها أن تكون مادّة مقالٍ مُفْرد خالصٍ، وقد جمعتُ منها ما انتهى إلينا في

---

(٧٦) مخطوط الإكليل ج٢ ورقة٢٦، ومطبوعه ٢/ ٨٣.

الثّعالف: لفظة غفلتْ عنها معجمات العربيّة، وقد يظنّ ظانٌ أن الهَمْدانيّ صحّف (الثّعالب) إلى (الثّعالف)، ثمّ تكلّف التّعليق لتسويغ تصحيفه، وهذا ظنّ يدفعه علم الهَمْدانيّ ومكانته بين علماء عصره، فضلاً على أنّه كان يكتب لعلماء عصره، ولو كان قد صحّف أو حرّف أو ابتدع لَما عدم من يُنكر عليه ذلك منهم، بَلْه خصومه.

(٧٧) الإكليل ٨/٥٦.

كتب الهَمْدانيّ، وسوف ندرسها مقارنة بالنّقوش التي وَقَف عليها المستشرقون، ونعرض فيها معرفة الهَمْدانيّ بلسان حمير قراءة وكتابةً وقواعد ولغة، وندفع عنه مَعَرَّةَ الجهل التي ما فتئ المستشرقون ومَنْ لفَّ لفّهم يتّهمونه بها، وجُلّ ما جاؤوا به بعد لوٍّ وليت، لا يزيد على ما جاء به الهَمْدانيّ إلاّ بمثل ما عقّبوا به على ذلك البيت، على تقادم عهد الرّجل، وصعوبة التّرحال عليه، وسهولة ذلك كلّه عليهم، إذ طُوِيت لهم الأرض طيًّا، وتقاربت لهم المواضع قُربًا عجيبًا، حتّى لان لهم الصَّعب، وذلّ، فتيسَّر لهم تَصْياد النّقوش والتقاطها أنّى كانت.

مصادر البحث ومراجعه

١ – الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة المتنبي ببغداد، ط٢، ١٩٧٩.

٢ – الإكليل، لأبي محمّد، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْدانيّ:

– مخطوط الجزأين الأول والثاني، مكتبة برلين بألمانيا، رقم ٩٦٨.

– مطبوع الجزء الأول، تحقيق الأكوع ! بغداد ١٩٧٧.

– مطبوع الجزء الثاني، تحقيق (!!!) محمد الأكوع، منشورات المدينة بيروت، ط٣، ١٩٨٦.

– مطبوع الجزء الثامن، تحقيق نبيه فارس، دار العودة بيروت، وتحقيق (!!!) محمد الأكوع ! ١٩٧٩.

– مطبوع الجزء العاشر، تحقيق الشيخ محبّ الدين الخطيب، رحمه الله، مصوّرة الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

٣ – تاج العروس، للزَّبيديّ، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦ هـ.

٤ – ترنيمة الشمس، ليوسف محمد عبد الله، مركز الدراسات والبحوث بصنعاء، مركز الدراسات والبحوث، ط١، ١٩٨٩.

٥ – صفة جزيرة العرب، للهَمْداني، تحقيق (!!!) الأكوع، تقديم الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، دار اليمامة بالسعودية، ١٩٧٤.

٦ – لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ببيروت.

٧ – مختارات من النقوش اليمنية، لبافقيه وبستون وروبان والغول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، ١٩٨٥.

٨ – المحمّدون من الشعراء، للقفطي، تحقيق رياض مراد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥.

٩ - المعجم السَّبئي، لبيستون وريكمانز والغول ومولر، منشورات جامعة صنعاء، مكتبة لبنان ببيروت، ١٩٨٢.

١٠ - مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم بدمشق، ط٣، ٢٠٠٢.

١١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، مصورة عن ط٢، ١٩٩٣.

١٢ - ملوك حمير وأقيال اليمن لنشوان الحميري، تحقيق الجرافي والمؤيد، دار الكلمة ودار العودة، صنعاء وبيروت، ط٢، ١٩٧٨.

١٣ - نسب معد واليمن الكبير، لابن الكلبي، تحقيق (!!!) محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية بدمشق، ١٩٨٣.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثلاثون)(*)

د. وفاء تقي الدين

حَمَام **

حمام	١: ٣٢٣
بيض الحمام	١: ٣٢٣/ ٢: ٥٤٠

(*) نُشرت الأقسام الثمانية والعشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ٦٤٣، ٨٧٣) و (مج٨٢: ١٣٥).

** كتاب الحيوان ١: ١٣٧، ١٥٤/ ٣: ١٤٤، ١٤٦، ١٧٠، ١٩٢، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٨٧/ ٤: ٤٢ وغيرها كثير جداً، والملكي ١: ١٩٤ (فراخ الحمام)، والصيدنة ١٦٤، ومنهاج البيان ٩٤ب، ١١٣أ (دم الحمام)، ١٣٩ب (زبل الحمام)، ١٩٦ (فراخ الحمام) والجامع ٢: ٣٤، والمعتمد ١٠٦، والشامل ٢٠٣، ومالايسع ١٨٧، وحياة الحيوان ١: ٢٢٣، والتذكرة ١: ١٢٣، وقاموس الأطباء ٢: ٧٦، ومعجم الحيوان ٧٢، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥١١، والكليات ٢: ١٨٥، ولسان العرب والقاموس وغيرهما من معجمات اللغة (حمم).

«الحمام طير معروف» هذا ماقاله ابن سينا في مفردات القانون حين ذكره، ثم بين خواصه وفوائده فقال: «الفراخ فيها حرارة ورطوبة فضلية .. دم الحمام

يقطع الرعاف الذي من حجاب الدماغ .. النواهض أخف هضماً.. زبل الحمام نافع للبياض العارض من اندمال القرحة في القرنية».

اسم الحمام في اللغة يشمل كل مطوق كالفواخت والوراشين والقطا وغيرها، لكن الأطباء يريدون به نوعين منه فقط، قال ابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله « .. وقد اصطلح على التسمية به نوعاً منها وهي التي تُرَبى في البيوت وما يشبهها ممالايتعارفون بتربيه ويسمونه بالعراق الطوعاتي[1] والحمام البري وهو لون واحد أزرق أغبر لا يوجد فيها غير هذا اللون. والذي يُربّى في البيوت يسمى الأهلي والهادي..» الاسم العلمي لجنس الحمام هو Columba.

جاء في تاج العروس: «الحَمَام كسحاب طائر بري لايألف البيوت معروف. وهذه التي تكون في البيوت فهو اليمام[2].. أما الحمام فإنه كل ذي طوق مثل القمري والفاختة وأشباهها.. قال الجوهري: وعند العامة أنها الدواجن فقط.. واحدته حمامة تقع على الذكر والأنثى جمعها حمائم وحمامات..»

حَمَّام*

حمّام حمّامات ١: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١٢١، ١٣٣، ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٩، ٢٤٥، ٣٠٠،

(١) كذا في المخطوط الذي اعتمدته ولعله تصحيف صوابه الطوراني.

(٢) لم يفرق الأطباء في التسمية بين الحمام البري والأهلي، كلاهما عند ابن سينا حمام. ومن يقرأ ماجاء عنهما في معجمات اللغة لايتوصل إلى التمييز بين الحمام واليمام.

* منهاج البيان ٩٤ب، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٤، وقاموس الأطباء ١: ١٢٤، ومعجمات اللغة(حمم).

استخدم الحمام منذ القديم طريقة من طرق العلاج للتدليك أو التعريق أو لوضع الدواء في مائه أوبخاره، أو الاستحمام بأنواع معينة من المياه كالمياه الكبريتية وغيرها. وهو مما يصلح أن يفهرس في فهرس للطب لأنه قد يكون سببًا من أسباب المرض كما يكون وسيلة من وسائل المعالجة، وفي فهرس للعقاقير والصيدلة لأن ماءه يكون علاجًا لبعض الأمراض أو تخلط به العقاقير أو تعطى قبله أو بعده، ورماده قد يكون داخلاً في تركيب بعض الأدوية .. الخ ويصلح أن يفهرس أيضًا في فهرس للأدوات.

عقد ابن سينا في القانون فصلاً للكلام على الاستحمام وطرق الاستفادة منه وسبل السلامة من محاذيره ، وتكرر ذكره في أثناء كتب القانون حمامًا باردًا أو حارًا أو معتدلاً أو غير ذلك. وكذلك فعل كثير غير ابن سينا كابن جزلة في المنهاج، والأنطاكي في التذكرة معرفًا إياه مبينًا أول من اتخذه دواء حيث قال

«الحمام هو وضع صناعي مربع الكيفيات اختياراً لمطلق التدبير، وواضعه الأستاذ كالبيمارستان قاله ابن جبريل واندروماخس صاحب الترياق، استفاد من شخص دخل غاراً فسقط في ماء حار من الكبريت وبه تعقيد العصب فزال..» ثم تكلم على شروطه في بنائه ومائه وحرارته..الخ

جاء في تاج العروس: «أحمَّ نفسه غسلها بالماء البارد على قول ابن الأعرابي أو الماء الحار كما هو عند غيره وكذلك حمَّ نفسه. والحميم الماء الحار .. واستحم به إذا اغتسل منه. قال الجوهري: هذا هو الأصل ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء.. والحمّام كشداد الديماس، إما لأنه يعرِّق أو لما فيه من الماء الحار. قال ابن سيده: مشتق من الحميم. مذكر، وهو أحد ماجاء من الأسماء على وزن فعّال.. جمعه حمّامات. قال سيبويه: جمعوه بالألف والتاء وإن كان مذكراً حين لم يُكسَّر جعلوا ذلك عوضاً عن التكسير.. وذكر ابن بري تأنيثه..»

وواضح من الفهرس السابق أن ابن سينا يستعمل كلاً من الحمام والاستحمام والإحمام والتحميم بمعنى الاغتسال والغَسل.

حَماما *

حماما ١: ٢٢٠، ٢٤٧، **٣١٣**، ٣١٤/ ٢: ٢٥.
١٠٠، ١٢٠، ١٥٣، ١٧٠، ١٧١، ١٩١.
٢٢٢، ٢٩٩، ٣١١، ٣٣٠، ٣٥٨، ٣٧٤.

---

* كتاب ديسقوريدس ٢٤(١١ مومن)، والحاوي ٢٠: ٢٩٩/ ٢٢: ٢٨، والملكي ٢: ١٠١، ومفاتيح العلوم ١٧٢، والصيدنة ١٧٢ (حُماما)، ومنهاج البيان ٩٤أ، والمختارات ٢: ٨٥، ومفردات ابن البيطار ٢: ٣٠، ومفيد العلوم ٣٥ (حمامى)، والمحمد ١٠٣، والشامل ٢٠٠، ومالايسع الطبيب جهله ١٨٤، وحديقة الأزهار ١١٧ (١٢٤)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٢، ومعجم أسماء النبات ١٣ (١٣).

٣٧٥، ٣٧٧، ٣٩٣، ٣٩٨. ٤٦١. ٤٦٩.

٥١٢، ٥٢٠، ٥٦٦/ ٣: ٥٦. ٢٢٠.

٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٩٧. ٣١٢. ٣١٣.

٣١٤، ٣١٥، ٣١٦. ٣١٧. ٣١٨، ٣١٩.

٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤. ٣٢٨. ٣٢٩. ٣٣٢.

٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧. ٣٣٨. ٣٣٩. ٣٤٢.

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧. ٣٤٩، ٣٥٢.

٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٦. ٤٠٧، ٤٢٧، ٤٢٨.

حماما أبيض ١: ٣١٤

حمام أخضر العود ١: ٣١٣

حماما حديث ١: ٣١٣

حماما رطب ٢: ٣٧٨

حماما ذهبي طري أرمني ١: ٣١٣

حماما ضارب إلى الحمرة ١: ٣١٤

حماما يابس ٢: ٣٧٨

أصل حماما ١: ٣١٤

خشب حماما ١: ٣١٣

رائحته ١: ٣١٣

سَفوف الحماما ٢: ٤٥١

طبيخ حماما ١: ٣١٤

ماء أغصان حماما ١: ٣١٤

ورق الحماما ١: ٢٦٥

ذكره ابن سينا في أدوية القانون المفردة فقال: «حماما. الماهية. قال

ديسقوريدس: هي شجرة كأنها عنقود من خشب مشتبك بعضه ببعض، و ورق كبار عراض، ويشبه أوراق الفاشرا، وله زهرة صغيرة تشبه الساذج الهندي في اللون، ولونه كالذهب، ولون خشبه كالياقوت، طيب الرائحة. ومنه صنف ينبت في أماكن رطبة هو أضعف، وهو عظيم، ولونه إلى الخضرة ماهو، لين تحت المجسة، وخشبه كالشظايا، وفي رائحته شيء شبيه برائحة السذاب. وصنف آخر ليس بطويل ولا عريض ولا صعب الانكسار ولونه إلى لون الياقوت ماهو، خلقته كخلقة العنقود، وهو ملآن[1] من ثمرته ورائحته ساطعة .. أجوده الأول الذهبي .. ينضج الأورام الحارة.. يشرب طبيخه للنقرس.. يثقل الرأس ويصدّع وينوّم .. يفتح سدد الكبد ..»

ما جاء في المراجع منقول عن ديسقوريدس وغيره من قدماء اليونان. ويظهر أن الحماما كان يجلب خشبًا إلى معظم البلاد العربية فلا يُعرف نباته وبخاصة في المغرب . قال ابن الحشَاء في مفيد العلوم «حمامى هو نبات غير معروف بالمغرب. وقد يُجلب نادرًا، وهو بالشأم موجود» وميّز بعضهم بين أصنافه من حيث قوة جدواها في الطب. قال المجوسي «أفضله ماجلب من أرمينية». وقال مؤلف الشامل «الأصناف المشهورة لهذا الدواء ثلاثة، أقواها وأجودها ماهذه صفته: شجرة صغيرة مشتبكة بعضها ببعض كالعنقود.. أوراقها .. ذهبية اللون وخشبها كخشب الياقوت طيبة الرائحة.. والصنف الثاني من هذا النبات جرمه غليظ ولونه أخضر ورائحته كرائحة السذاب، وهذا الصنف ضعيف القوة.. وصنف يقال له الحماما القبطي»[2] ثم فصل تفصيلاً في تكوين بنية هذه

---

(١) في القانون المطبوع ببولاق (مالان)، والمطبوع بروما (ملامن)، وكتاب ديسقوريدس (ملأمن)، وما أثبته من جامع ابن البيطار حيث نقل كلام ديسقوريدس.

(٢) في المخطوط الذي اعتمدته «والصنف يقال له الحمام القبطي».

الأصناف ومن ثَم قواها، وجاء في تذكرة الأنطاكي أن الصنف الأول الياقوتي ينبت بأرمينية وطرسوس، والكائن منه بالشام أخضر دقيق، ومنه أبيض مشرب بصفرة سريع التفتت..»الاسم العلمي لنبات الحماما هو-Amomum rac emosum.

وردت كلمة حماما في المراجع بفتح الميم وبضمها ضبط قلم وبألف واوية وبألف يائية في آخرها. قال البيروني في الصيدنة : «حُماما هو بالرومية اومومون وبالسريانية حماما..» وفيما لايسع الطبيب جهله «حماما اسم نبطي ويسمى باليوناني مومن».

حِمّص•

حمّص	١: ١٦٨، ٢٠٨، ٢٦٤، **٣١٧**، ٣١٨، ٣٩٧، ٤٠٦/ ٢: ١٧٧، ٣٦٧، ٤٠٧، ٤٨٧، ٤٩٠، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٧١/ ٣: ٦٤، ٧٢، ١٣٠، ١٤٣، ١٥٨، ٢٧٧، ٣٠٢، ٣٣٠، ٤٠٠
حمّص أبيض	١: ٣١٧/ ٣: ٢٧٨
حمّص أحمر	١: ٣١٧

• كتاب ديسقوريدس ١٨٢ (ارابنتس)، والحاوي ٢٠: ٣٥٦، والملكي ١: ١٨٢/ ٢: ١١٢، والصيدنة ١٦٣، ومنهاج البيان ٩٢ب، ومختارات ابن هبل ١: ٢٣١، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٣٠، والمعتمد ١٠٣، والشامل ٢٠١، ومالايسع ١٨٤، ٢٥٧ (دهن الحمص)، وحديقة الأزهار ١٢٤ (١٣٢)، والتذكرة ١: ١٢٢، وقاموس الأطباء ١: ٢٣١، ومعجم أسماء النبات ٤٨ (١٠)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٢٥، والمعجم الموحد ٣٩، ومعجمات اللغة (حمص).

الحمص نبات معروف ذكره ابن سينا في مفردات القانون فعدد بعض أصنافه وخواصها قائلاً: «الحمص أصناف كثيرة منها الأبيض ومنها الأحمر ومنها الأسود والكرسنّي، ومنها بري وبستاني، البري أحد وأمر وأشد تسخيناً. ويفعل أفعال البستاني في القوة، لكن غذاء البستاني أجود من غذاء البري .. كلاهما مفتّح، يجلو النمش ويحسن اللون طلاء وأكلاً.. ينفع من الأورام.. يصفي الصوت.. طبيخه نافه للاستسقاء واليرقان.. يفتت الحصاة».

بينت كتب المفردات الأخرى فوائد الحمص واستعمالاته الطبية الكثيرة بحسب أصنافه، وهي حين تذكر الحمص فإنما تريد به ثمرته. الاسم العلمي

لنبات الحمص هو Cicer arientinum نبات زراعي عشبي من القرنيات الفراشية ذو حب معروف يسمى الأخضر منه في مصر ملاّنة.

ضبت كلمة حمص في معجمات اللغة بكسر الميم مشددة وبفتحها. جاء في تاج العروس: «حمص كـجِلِّز وقِنَّب [أي بكسر الميم المشددة وفتحها] قال الجوهري: قال ثعلب: الاختيار فتح الميم، وقال المبرد الحمص بكسر الميم.. وقال الأزهري: ولم يعرف ابن الأعرابي كسر الميم، ولا حكى سيبويه فيه إلا الكسر فهما مختلفان. وقال أبو حنيفة الحمص عربي وما أقل مافي الكلام على بنائه من الأسماء.. وأهل البصرة اختاروا الكسر، وأهل الكوفة اختاروا الفتح».

حمقاء

انظر (بقلة حمقاء).

حَمَل

حمل، حملان ومايشتق منهما. انظر (ضأن).

حَمُول*

حَمُول، حمولات ١: ٢٠٠، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٢.
٢٨٨، ٣٦٣، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٣٧؛
٤٤٤، ٤٥٩، ٤٧٠/ ٢: ١٨، ٢٠، ٥٢،
٣٩٩، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٦٢، ٤٦٣،
٤٦٤، ٤٧٥، ٤٨٠، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٢.
٥٤١، ٥٥١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٧٥، ٥٨٢.

---

* اقرباذين القلانسي ١٤٥ ومابعدها (باب في الشيافات والحمولات والفرازج)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٤٠أ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ٣٥٨، ومحيط المحيط ١٩٦ (حمل).

٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦،
٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٨، ٥٩٠،
٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤/
٣: ٣١، ٣٢، ٢٦١، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٢٧،
٣٨٨، ٤٠٣.

(دواء) مُتحمَّل ٢: ٥٨٩

(دواء) محمول ٢: ٥٧٥

(أدوية) محتملات، محتملة ٢: ٥٢، ٥٧٤

تكرر ذكر الحمولات اسمًا لبعض الأدوية المركبة في القانون. وعقد ابن سينا فصلاً لبعضها بحسب فائدته في علاج القولنج أو غيره من أوجاع الجوف الأسفل. لكنه لم يحدد علميًا المقصود بمصطلح الحمول. ومن يستعرض المواضع التي استعمل فيها هذا المصطلح في كتاب القانون يرى أنه ينطبق على مجموعة من الأدوية المفردة أو المركبة، اليابسة أو الرطبة، التي تحمل في المقعدة أو في فرج المرأة بفتيلة أو بلافتيلة..

حاول ابن الكتبي أن يحدد المقصود باسم حمولات، فقال في تركيب مالايسع الطبيب جهله «حمولات هذه تستعمل في أرحام النساء، وهي التي يعبر عنها بالفرازج والفتل في بعض الكتب، وإن كان يصدق عليها الحمولات، لكن في الاصطلاح هي عبارة عن أن يُلتّ بعض الأصواف أو القطن أو خرق الكتان بعض المائعات الموافقة للغرض المقصود، فتُلَتُّ تارة بقوابض، وتارة بمحلِّلات وجواذب، ومنها الفُتُل»، وأصح من هذا التعريف وأقرب إلى اصطلاح ابن سينا في القانون مانقله التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون حيث قال «المحمولات هي الأدوية التي يحملها الإنسان في الدبر أو الفرج. كذا في بحر الجواهر».

استعمل ابن سينا هذا المصطلح استعمالاً لغويًا كاملاً فورد في كتابه الفعل حَمَل ومصدره حَمْل، واحتمل ومصدره احتمال، وحمّل ومصدره تحْميل.. واسم المفعول محمول، وحمول بمعناه أيضًا وجمعه حمولات وهو رأس هذه الألفاظ اصطلاحًا.

حِنّاء •

حناء	١: ١٣٥، **٣١٣**، ٤٠٨/ ٢: ١٩١، ٣٥٨، ٤٤٨، ٤٨٥، ٥٤٩/ ٣: ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨. ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٤٤٠
حناء مدقوق	٣: ٢٦٥
حناء مسحوق	٢: ٥٥٥
أصل الحناء	٢: ٥٠٣
بزر الحناء	١: ٣١٣
دهن الحناء	١: ١٥٥، ٢٠٢، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٩٧، ٣١٣، ٤٠٤/ ٢:

• كتاب ديسقوريدس ٨٩ (قوبرس)، ٥٣ (صفة قيفربن وهو دهن الحناء)، وكتاب النبات ١: ١٠٦، ٢: ١٧٧، ٢١٣ ، والحاوي ٢٠: ٣٠٩، والملكي ٢: ١٠١، والصيدنة ١٦٧، ومنهاج البيان ١٩٥أ، وشرح أسماء العقار ١٨ (١٤٩) والمختارات ٢: ٨٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤١، ومفيد العلوم ٣٧، والشامل ٢٠٧، والمحمد في الأدوية المفردة ٣٧ ، ١٦٣ (دهن الحناء) ، ومالايسع الطبيب جهله ١٩٣، وتركيب مالايسع ٤٦أ (دهن الحناء)، وحديقة الأزهار ١١٦ (١٢٣)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٨، وقاموس الأطباء ١: ٨، ومعجم أسماء النبات ١٠٦ (١٠)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٣٣، والمعجم الموحد ١٠٤، ومعجمات اللغة (حنأ).

الحناء تلك الشجرة المعروفة التي يُختَضب بورقها، ذكرها ابن سينا في مفردات القانون فنقل ماهيتها عن كتاب ديسقوريدس حيث قال: «حناء. الماهية: قال ديسقوريدس هي شجرة ورقها على أغصانها وهو شبيه بورق الزيتون غير أنه أوسع وألين وأشد خضرة، ولها زهر أبيض شبيه بالأشنة طيب الرائحة، وبزر أسود شبيه ببزر النبات الذي يقال له اقطى، وقد يجلب من البلدان الحارة» ثم ذكر فوائدها في تحمير الشعر، والنفع من الأورام وحروق النار والصداع وغير ذلك.

وصف أبو حنيفة نبات الحناء في عدة مواضع من كتابه،قال في أحدها[1]: «ومما يختضب به الرجال والنساء الحناء. ومنابته بأرض العرب كثير، ويعظم شجره حتى يكون كالسدر». وعدّه في الرياحين فقال[2]: «.. يعظم عندهم حتى

---

(١) كتاب النبات ٢: ١٧٧

(٢) كتاب النبات ٢: ٢١٣

يكون كالسدر، ومنه فاغيته، وهو نوره، وهي طيبة.. وهي تخرج أمثال العناقيد. ويتفتح فيها نور صغار فيجتنى ويُربَّب به الدهن الذي يقال له دهن الحناء فيقال له الدهن المُفغوّ، وإنما يُطحن الحنّاء من ورقه..» وقال في موضع ثالث[1]: «وللحناء فاغية، وهي نورته، وبزره عناقيد متراصفة إذا تفتحت أطرافها شبهتها بما يتفتح من الكزبرة إلا أنها طيبة الرائحة، يورّق كل عام مرتين أي يؤخذ ورقه.. وهو كثير كبير في مشرق العالم العربي فقط. قال ابن الخشاء في مفيد العلوم: «حناء هو شجر معروف وهو بِدَرْعَة والجريد وبلاد الشرق، ولايشجر بالأندلس».

الاسم العلمي لنبات الحنا Lavosonia alba(inermis) واسمه بالفرنسية Henne´ مأخوذ من العربية. ويعرف زهره في مصر اليوم باسم (تمر حنا)

في معجمات اللغة وغيرها حناء بالكسر والمد والتشديد.. واحدته حناءة.. يقال حنأ الرجل لحيته يحنّئها تحنئة وتحنيئًا إذا خضبها بالحناء، وأصله الهمز.

حَنْجَرة *

حنجرة الديك ٢ : ٥١٦ وانظر (دجاج)

تداوى القدماء بالحيوانات جلودها ولحومها وأظلافها وقرونها.. الخ وكانوا يرون أن لكل جزء منها خصائص في العلاج لا توجد في غيره، ومما جرى ذكره في القانون حنجرة الديك.

الحنجرة هي ذلك العضو الغضروفي المعروف في أعلى جهاز التنفس واسمه العلمي Larynx جاء في مادة (حنجر) من لسان العرب: «الحُنْجور: الحلق،

(١) كتاب النبات ١ : ١٠٦

* المعجم العلمي الموحد ٣٦١، ومعجمات اللغة (حجر، حنجر).

والحَنْجرة طبقان من أطباق الحلقوم ممايلي الغلصمة، وقيل الحنجرة رأس الغلصمة حيث يحدد، وقيل هو جوف الحلقوم، وهو الحُنجور، والجمع حناجر وحَنْجر». وفي تاج العروس في مادة (حجر) «الحنجور بالضم الحلقوم وهو الحُنجور كالحنجرة والنون زائدة والجمع حناجر».

حندروس

تصحيف. انظر الصواب (خندروس) بالخاء المعجمة.

حِنْدَقُوقى *

حندقوقى	١: ٢٦٢، **٣١٩**/ ٢: ١١٢، ١١٩، ٢٥٩، ٥٣٨، ٥٤٢/ ٣: ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٨٠
الحندقوقا	٢: ٥٤٥
حندقوقى بري	١: ٣١٩، ٣٢٠
حندقوقى بستاني	١: ٣١٩
حندقوقى مبزر	٢: ٦٢٤
حندقوقى مصري	١: ٣١٩
أصل الحندقوقى	٣: ٢٤٤
بزر الحندقوقى	١: ١٥٢، ٣١٩/ ٢: ٢٨٠/ ٣: ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٢٨، ٣٣٤.

* كتاب ديسقوريدس ٣٥٠ (لوطوس) (لوطوغرسوس)، ٣٥١ (لوطوس آخر)، وكتاب النبات ١: ١١٩، والحاوي ٢٠: ٣٣٦، والملكي ٢: ١٠٧، والصيدنة ١٦٥، ومنهاج البيان ٩٦أ، وشرح أسماء العقار ١٨ (١٤٧)، والمختارات ٢: ٨٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٣٩، ومفيد العلوم ٣٥، والمعتمد ١٠٨، ومالايسع الطبيب جهله ١٩٢، ومعجم أسماء النبات ١٨٣ (٢)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤١٩، ولسان العرب (حدق، ذرق)، وتاج العروس (حندقوق)، ومحيط المحيط ١٩٩، والمعجم الوسيط ١: ٢٠٢، وصحاح المرعشلي ٢٣٤.

	٣٩٩
ترياق الحندقوقى	٢: ١٩٨
دهن الحندقوقى	١: ٣١٩، ٣٢٠/ ٢: ٩٠، ١٠٦، ٦٢٣/
	٣: ٢٦٠
سلاقة الحندقوقا	٢: ٣٩٠
صبغ الحندقوقى	٣: ٢٥٧
عصارة حندقوقى	١: ٣٢٠/ ٣: ٢٥٧
عصارة حندقوقى البستاني	١: ٣١٩، ٣٢٠
ماء حندقوقى	١: ٣٢٠
ورق حندقوقى	١: ٣٢٠

هو من أدوية القانون المفردة، جاء فيه قول ابن سينا: «حندقوقى. الماهية: نبت منه بري ومنه بستاني ومنه مصري يتخذ من بزره الخبز ويتناولونه.. قال ابن جريج حار يابس .. البستاني معتدل الجلاء والتجفيف .. البري للكلف .. دهنه جيد لأوجاع المفاصل .. عصارة البستاني منه لبياض العين .. إذا رش ماؤه على لسعة العقرب سكن الوجع ..».

في معظم المراجع تعداد لأنواع هذا النبات مع وصف بعضها وجمع منافعها، وأكثره منقول عن ديسقوريدس وجالينوس. قال ديسقوريدس واصفاً الأنواع الثلاثة التي ذكرها ابن سينا: «لوطوس وهو الحندقوقا. منهماينبت في البساتين، ويسميه بعض الناس طريفلن، وعصارته إذا خلطت بالعسل واستعملت نقت القروح العارضة في العين، والأثر العارض في العين، وغشاوة البصر. لوطواغريوس ومعناه في اليوناني حندقوقا البري، وهو ينبت كثيراً في البلاد التي يقال لها ليبوى، وله ساق طولها نحو من ذراعين أو أكثر، ينشعب منه شعب كثيرة، وله بزر شبيه ببزر الحلبة إلا أنه أصغر منه بكثير كريه الطعم له قوة مسخنة

قابضة قبضًا يسيرًا، منقية للأوساخ العارضة في الوجه والكلف» ثم وصف نباتًا آخر اسمه قوطيس ثم «لوطوس الذي يكون بأرض مصر، وينبت في الماء إذا أطبق على أرض مصر. وهو نبات له ساق شبيهة بساق الباقلّى، وزهر أبيض شبيه بالشعير، ويقال أنه ينبسط إذا طلعت الشمس وينقبض إذا غربت، وأن رأسه إذا غربت الشمس غاص في الماء، ورأسه العظيم مثل رؤوس الخشخاش، وفي الرأس شبيه بالجاورس، ويجفَّف، وأهل مصر يطبخونه ويعملون منه خبزًا وله أصل شبيه بالسفرجل، ويؤكل مطبوخًا ونيئًا، وطعمه مطبوخًا يشبه طعم صفرة البيض».

واضح من الوصف أن هذا النبات الأخير الذي ينبت في مصر ليس من أنواع الحندقوقى، وقد فصل ديسقوريدس بينه وبين الحندقوقى البستاني والحندقوقى البري بصفة نبات آخر غريب، ومع ذلك فقد وقع التراجمة في الخطأ، فجعلوا لوطوس الذي يكون بمصر وهو البشنين نوعًا من أنواع الحندقوقى، وأضافوا منافعه إلى الحندقوقى[١]، كما أضافوا إلى الحندقوقى أيضًا منفعة طريفلن في تسكين ألم لسعة العقرب[٢] لأن ديسقوريدس قال إن اسم طريفلن قد يطلق على الحندقوقى، فغلط بغلط التراجمة العلماءُ من بعدهم. ومنهم ابن سينا. نبه على هذا ابن البيطار تنبيهًا مطولاً مفصلاً ألحقه بمادتي الحندقوقى والحندقوقى البري[٣]. والظاهر أن هذا الخطأ شاع عند أطباء المشرق فقط، وتنبه عليه نباتيو المغرب، ربما لحصولهم على نسخة غير مترجمة من كتاب ديسقوريدس. قال ابن الخشاء في شرحه لألفاظ المنصوري للرازي: «حندقوقى هو النبات الذي يتخذ من بزره غسول اليد.. وذكره مع البقول، وذلك غير

(١) أول من وقع في هذا الغلط حنين. بينه ابن البيطار.

(٢) أول من وقع في هذا الغلط أبو جريج، بينه ابن البيطار.

(٣) انظر ما نقلناه من هذا التنبيه في الصفحة ١٧٣ من المقدمة.

معروف عندنا، ولعله يؤكل عندهم، وقد أعاده مع الأدوية بالمعنى المعروف بالمغرب.

الاسم العلمي لنبات الحندقوقى البستاني هو Melilotus coerulea أو Trigonella caoerulea والحندقوقى البري Trigonella corniculata. ومن أسمائه العربية الذُرَق وهو جنس نباتات عشبية من القرنيات الفراشية وتعد من الأعلاف.

اسم الحندقوقى معرب قديمًا. قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «الحندقوقى نبطية.. وهي في البرية الذُّرَق.. والعرب تسميها الحَنْدَق» وفي الصيدنة: «حندقوقى ممال: ويكتب أيضًا بحرف الياء».

ورد اسم الحندقوقى في معجمات اللغة في مادتي (ذرق) و (حدق). جاء في لسان العرب «والذُّرَق نبات كالفِسفِه تسميه الحاضرة الحَنْدَقُوقى ويقال حِنْدَقُوقى، وحِنْدَقوقى».

حنديقون

انظر مادة (خنديقون) في باب الخاء المعجمة من معجمنا هذا.

حِنْطَة*

حنطة ١/ ١٧، ١٥١، ١٦٣، ١٨٢، ٢٦٣،
٢٩٩، ٣١٢، ٣١٨، ٣٣٢، ٣٦٤، ٣٩٢.

* كتاب ديسقوريدس ١٧٤، وكتاب النبات ١: ١٢٥، والحاوي ٢٠: ٢٨٥ ومابعدها. ومفاتيح العلوم ١٦٦، والصيدنة ١٦٧، والملكي ١: ١٧٩/ ٢: ١١٢، ومنهاج البيان ٩٥أ ومابعدها، ١٥٨ب (سويق الحنطة)، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٣٨، والمعتمد ١٠٩، والشامل ٦: ٢٠، ومالايسع ١٩١، ٢٥٧ (دهن الحنطة)، وحديقة الأزهار ١٢٣ (١٣١) والتذكرة ١: ١٢٨، ومعجم أسماء النبات ١٨٤ (١)، ومعجم الشهابي ٩٠، ومعجمات اللغة (حنط). وانظر (بر) و (قمح).

خبز من حنطة حديثة	١: ٤٦٣
دقيق الحنطة	١: ٢٧٠، ٣١٨، ٣٨٣، ٤٣٨/ ٢: ٤١، ١١٨، ١٥٤، ١٦١، ١٨١، ٢٨٠، ٤٣١/ ٣: ١١٤، ١٢٣، ١٢٦، ١٨٢، ٢٣٠، ٢٧٧.
دقيق الحنطة السميذ	٢: ٢٦٠
سميد الحنطة	٢: ٣٥
سويق الحنطة	١: ٣١٨/ ٣: ١٣٤، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٤٠
ضماد الحنطة	١: ٤٦٣
طبيخ الحنطة	٣: ٢٩٤
لباب الحنطة	٢: ٣٤٨
لعاب الحنطة المهروسة	٢: ٤٨٤
ماء طبخ فيه تبن الحنطة	٢: ١٤٨
ماء الحنطة	٢: ٢٥١
ماء كشك الحنطة	١: ٤٤٠
ماء نخالة الحنطة	٢:١٦٩
ورق الحنطة	١: ٢٩٣

الحنطة معروفة . ذكرها ابن سينا في مفردات القانون. فبين أجود أنواعها وفوائدها نيئة ومطبوخة، دقيقًا وسويقًا.. الخ.

من أسماء الحنطة المشهورة أيضًا القمح والبُرّ والطعام. وهي جنس نباتات حَبِّية زراعية من فصيلة النجيليات فيها أهم الأنواع النباتية الغذائية. اسمها العلميTriticium، ومن أنواعها الخندروس أو الحنطة الرومية.

ذكرت المعجمات أسماء الحنطة الكثيرة قال أبو حنيفة: «والحنطة هي الفُوم. وزعم الثقات أنها الثوم أيضًا تبدل بالفاء ثاء» والحنطة بالكسر اسم للجنس لا واحد له من لفظه وجمعها حِنَط.

حَنْظَل •

حنظل	١: **٣١٦**/ ٢: ٧٥، ١٥٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٨، ٣٧٤، ٣٨٩، ٤٦٣، ٤٨٦، ٥١٦. ٥٩٤، ٦١٩، ٦٢٦، ٦٢٧/ ٣: ٢٧١. ٤٣١
حنظلة واحدة، حنظلتان	١: ٣١٧/ ٢: ٦٢٧
حنظل أبيض	١: ٣١٦
حنظل أسود	١: ٣١٦
حنظل أنثى	١: ٣١٦، ٣١٧
حنظل ذكر	١: ٣١٦، ٣١٧
حنظلة رطبة	٢: ١٣١، ٤٨٢
الحنظل المجتنى أخضر	١: ٣١٧
الحنظل المفرد الثابت على أصله	١: ٣١٧

• كتاب ديسقوريدس ٣٦٧ (قولوقنثا اغريا)، وكتاب النبات ١: ١٣٤، والحاوي ٢٠: ٣٤٠/ ٢٢: ٣٠، والملكي ٢: ١٤٢ (شحم الحنظل)، ١٢١، ومفاتيح العلوم ١٧٣ (شحم الحنظل)، والصيدنة ١٦٥، ومنهاج البيان ٩٥ب، ١٦٢ب (شجرة الحنظل)، ١٦٣ب (شحم الحنظل)، ٢٦٩أ (ورق الحنظل)، وشرح أسماء العقار ١٩ (١٥٨)، والمختارات ٢: ٨٦، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٣٦، والمعتمد ١١٠، والشامل ٢٠٤، ومالايسع ١٨٩، ٢٥٧ (دهن الحنظل)؛ وحديقة الأزهار ١١٥ (١٢٢)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٧، ومعجم أسماء النبات ٥٠ (٩)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٦٣، والمعجم الموحد ٢٣، ٤٢، ومعجمات اللغة (حنظل).

مرهم شحم الحنظل	٢: ٣٩٤/ ٣: ٤٠٧، ٤٠٩
نقيع الحنظل	٣: ٢٣٩، ٢٦٥
ورق الحنظل	٣: ٢٩٨، ٢٩٩
ورق الحنظل الغضّ	١: ٣١٧

الحنظل نبات مشهوز عند العرب، فلم يعرِّفه ابن سينا حين ذكره في مفرداته، بل ميز بين نوعيه فقط فقال: «الماهية: الحنظل منه ذكر، ومنه أنثى، معروف. والذكر ليفيّ، والأنثى رخو أبيض سلس» ثم تكلم على طبعه وخواصه، وبين من فوائده أنه ينفع من الجذام وداء الفيل ويحلل الأورام وينفع للاستسقاء لكنه رديء للمعدة.. الخ».

وصف ديسقوريدس نبات الحنظل بقوله: «هو نبات يخرج أغصانًا وورقًا مفروشة على الأرض شبيهة بأغصان ورق القثاء البستاني، وورقه مشرف وله ثمره مستديرة شبيهة بكرة متوسطة في العظم شديدة المرارة، وينبغي أن يؤخذ من شجرتها إذا ابتدأ لونها يستحيل إلى الصفرة..». وفي كتاب النبات لأبي حنيفة بيان لما يطلق عليه الأعراب من أسماء، وتفصيل طريف يشرح الطريقة التي يستفيدون بها من هذه الثمرة المرة فيجعلونها طعامًا لذيذًا: قال: «حنظل. قال أبو زياد من الأغلاث الحنظل وهو ينبت شَرْيا كما ينبت شَرْي القِثّاء، والشري شجره، ثم يخرج فيه زهره، ثم يخرج في الزهر جراء مثل جراء البطيخ فإذا ضخم وسمن حبه سموه الحَدَج، وواحدته حدجة[1]، وإذا وقعت فيه الصفرة سموه الخطبان، فإذا اصفر فخلص وجاد حبه جمعوه فيجمعون منه تلالاً، فإذا يبس ذلك الحدج تعمموا ولفوا على أنوفهم أن يدخل في أنوفهم حرارته، ثم

---

(١) وله أسماء أخرى كثيرة قد يعم بعضها كل ما هو مرّ، منها: العلقم والصاب وعنب الحية وكثاء النعام واللبفة واللويفة والهبيد.

اجتمعوا عليه بالعَمَد خبطًا حتى يهشموه كله، ثم يذرّونه فيطير قشره كله ويبقى الحب..» ولولا خشية الإطالة لنقلت النص كله[1] لما فيه من دقة في الوصف وفصاحة في البيان تجعل هذا النص النباتي الصيدلاني قطعة أدبية ممتعة.

أما قولهم حنظل ذكر وحنظل أنثى فإنما يريدون به صنفيه الكبير والصغير على عادة نباتيي العرب في التسمية، وميز بينهما الزبيدي حيث قال في تاج العروس «هو أنواع منه ذكر ومنه أنثى والذكر ليفيّ والأنثى رخو أبيض سلس. صنفه الغساني بقوله :«.. هو ذكر وأنثى من نوع اليقطين، ومن جنس الكفوف يمتد على الأرض ولا ساق له. له ثمر كثمر النارنج فيه ملاسة ولونه أخضر إلى السواد بطرق خضر وصفر، وفي داخله لحم أبيض وبزر كما في داخل الدلاّع. ويسمى عند العرب وأهل البوادي بالمغرب الحدج..» وما وصفه الغساني بأنه لحم أبيض هو ماسماه ابن سينا وغيره بشحم الحنظل أي لبّه، وهو مما يكثر التداوي به طلبًا للإسهال. الاسم العلمي لنبات الحنظل هو Citrullus colocynthis.

الحنظل اسم للجنس والواحدة حنظلة ورد في القاموس المحيط ولسان العرب في (حنظل) لا في (حظل) مما يدل على أنهم اعتبروا النون أصلية، وفي الأمر خلاف رد عليه الزبيدي إذ قال في التاج: «الحنظل معروف وكلامه صريح في كونه رباعيًا، والذي صرح به أئمة اللغة أن النون زائدة لقولهم حظل البعير إذ مرض من أكل الحنظل، وكذلك ذكره أئمة الصرف واللغة كالجوهري والصاغاني في حظل. قال شيخنا: وصرح بزيادتها الشيخ ابن مالك وأبو حيان وابن هشام وغير واحد.. قلت: قال ابن سيده: وليس هذا مما يشهد بأنه ثلاثي. ألا ترى قول الأعرابية لصاحبتها وإن ذكرت الضغابيس فإني ضغبة، ولا محالة أن الضغابيس رباعي ولكنها وقفت حيث ارتدع البناء، وحظل مثله..»

---

(١) استغرق نحو ثلاث صفحات من الكتاب المطبوع.

حُوَّارَى*

الحُوَّارى	١: ٣١٨
خبز الحوارى	١: ٤١٣، ٤٦٣/ ٢: ٢٨١، ٤٨١/ ٣: ٢٥١
دقيق الحوارى	٣: ٣٥٩

ورد هذا الاسم في الكلام على الحنطة وأصنافها وخواصها حيث قال: «والحوارى قريب من النشا لكنه أسخن..»الخ

شُرح هذا اللفظ في كتب المفردات وفي معجمات اللغة. إذجاء في الجامع لابن البيطار قوله: «حوارى هو الدقيق الأبيض المنتزع النخالة». وفي مفيد العلوم «حوارى هو الدرمك من ضروب الدقيق» فهو إذًا دقيق القمح الأبيض الخالص من الشوائب كالنخالة وغيرها.

ضبط الاسم في تاج العروس ضبطَ ألفاظ حيث جاء فيه «والحوارى بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه وهو المرخوف. والحوارى كل ماحُوِّر أي بيِّض من طعام..».

حَوَر**

حَوَر	١: ٣٢٣

* الحاوي ٢٠: ٢٨٩ (حنطة)، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٣، ومفيد العلوم ٣٤، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٠، ومعجمات اللغة (حور). وانظر مراجع (حنطة) و (خبز).

** كتاب ديسقوريدس ٨٣ (لوقى)، ٨٤ (اغيرس)، والحاوي ٢٠: ٣١١، والصيدنة ١٤٥ (جوز رومي)، ومنهاج البيان ٩٦ أ، والمختارات ٢: ٩٠، والجامع ٢: ٤٢، ومفيد العلوم ٩٢، والمعتمد ١١٣، ومالايسع ١٩٣، والتذكرة ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ١٤٦ (١٧، ١٩)، ١٤٧(٢)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٩٩، والمعجم الموحد ١، ١٦١، والقاموس والتاج (حور)، ومحيط المحيط ٢٠٣، وصحاح المرعشلي ٢٣٩. ومجلة مجمع دمشق ٢٧: ٦٢٨.

جوز رومي	١: **٢٨٤**/ ٢: ٩٤ [خطأ والصواب بالحاء والراء المهملتين][1]
حور رومي	١: **٣٢١**، ٣٢٣
بزر الحور	١: ٣٢٣
ثمرة الحور	١: ٣٢٣
ثمرة الحور الرومي	١: ٣٢٠
زهر الجوز الرومي	١: ٢٨٤ [خطأ والصواب بالحاء والراء المهملتين
زهر الحور الرومي	١: ٣٢١
صمغ الجوز الرومي	١: ٢٨٤ [خطأ والصواب الإهمال]
صمغ الحور الرومي	١: ٣٢١، ٣٢٣
عصارة ورق الحور	١: ٣٢٣
ورق الجوز الرومي	١: ٢٨٤ [غلط والصواب الإهمال]
ورق الحور الرومي	١: ٣٢٣

ذكر ابن سينا الحور في فصل الحاء من كتاب الأدوية المفردة فقال: «حور الماهية: هذه الشجرة يقال إن الرومي منها صمغها الكهرباء، ونحن نفرد للكهرباء بابًا.. المثقال من ثمرة هذه الشجرة نافع لعرق النسا. يُفَتّر عصارة ورقه ويقطر في الأذن فيسكن وجعها، وثمرته تنفع من الصرع.. يكتحل بثمرته مع العسل فيقوي العين..» وفي موضع آخر من الفصل نفسه ذكر الحور الرومي فقال: «حور رومي ويسمى التروس[2].... ثمرته بالخل تنفع من الصرع..» وسبق أن أورد في الجيم من الأدوية المفردة عقاراً باسم جوز رومي، بالإعجام، حيث قال:

(١) وانظر مادة (جوز رومي) التي سبقت في باب الجيم.

(٢) كذا في القانون، والصواب (أكيروس).

«جوز رومي ويسمى اكيروس.. ثمره إذا شرب بخل نفع من كان به صرع.. إذا تضمد بورقه بالخل نفع من الضربان العارض من النقرس.. الخ».

كل ماسبق هو كلام على بعض أنواع شجرة الحور التي ذكرها ديسقوريدس في كتابه باسم لوقي فقال: «قشر أصل هذه الشجرة إذا شرب منه وزن مثقال نفع من عرق النسا وتقطير البول.. وعصارة الورق إذا قطر في الأذن وهو فاتر نفع من ألمها» ثم ذكر ديسقوريدس الحور الرومي باسم اغيرس فقال: «إذا تضمد بورقه بالخل نفع من الضربان العارض من النقرس.. وقد يقال إن ثمره إذا شرب بخل نفع من به صرع.. ويقال أيضاً إن الذي يسيل من صمغه هو الكهرباء..» ثم علق ابن البيطار على هذه العبارة الأخيرة بالقول: «هكذا قال التراجمة إن صمغ هذه الشجرة هو الكهرباء، وفيه نظر، لأن الكهرباء ليست هذه صفته».

الحور شجر معروف كثير في حوض نهر الفرات وفي غوطة دمشق، يزرع للاستفادة من خشبه واسمه العلمي Populus، وهو من الفصيلة الصفصافية منابته المناطق الشمالية المعتدلة من العالم. وله أنواع كثيرة جداً كالحور الأبيض والأسود والرومي والكندي والفراتي والرجراج..الخ فصلها الأمير الشهابي في معجمه، ونقل الأخوان مرعشلي في الصحاح نعتها عن مجمع القاهرة وهو: «هي أشجار سلب تسمو إلى ارتفاع كبير وأوراقها بيضيّة، أو بيضيّة مستطيلة وهي نورات تزهر قبل الإيراق وتحمل نورات إبطية مدلاّة. وأزهارها جالسة أو شبه جالسة، والثمرة علبة بيضية مستطيلة إلى مدورة، ولهذه الأشجار براعم شتوية مزغبة مغطاة بطبقة راتينجية تجمع وتستعمل طبياً، وفروع الشجرة مزغبة كذلك، وخشب الشجر فاتح اللون ضعيف الصلابة خفيف يعيش سنين طويلة إذا حفظ في مكان جاف».

والحور الرومي الذي يسمى باليونانية اكيروس هو Populus nigra أي الحور الأسود.

ألفنا في بلاد الشام أن نلفظ اسم الحور بسكون الواو، والذي في القاموس المحيط أنها بالتحريك.

حوصلة

حوصلة سيميانوس	١: ٢٩٣ انظر (سيفيانوس)
حوصيلة الدجاج والديك	٣: ٢٣٨ انظر (دجاج)

جاء في مادة حصل في تاج العروس «الحوصل كجوهر، والحوصلاء بالمد. والحوصلة كجوهرة، وتشدد لامها أيضًا، من الطير والظليم كالمعدة للإنسان» وقيل هي أسفل البطن إلى العانة، والذي أراده ابن سينا بقوله حوصلة الدجاج والديك هو المعنى الأول، أما قوله حوصلة سيفيانوس فهو على المجاز لأن سيفيانوس نوع من السمك والسمك لاحوصلة له وإنما أراد أحشاءه.

حَوْك

حوك	١: ٢٧٤/ ٢: ١٩٣
بزر الحوك	٣: ٣٢٨
عصارة الحوك	٢: ١٥٩

في الكلام على باذروج قال ابن سينا «هو الحوك وهو معروف»، وكذلك قال أبو حنيفة في كتاب النبات «الحوك باذروج، وزعم بعض الرواة أنه يسمى الضَّوْمران». تكرر هذا الاسم في كتاب القانون مرات قليلة، والأكثر أن يُستعمل فيه الاسم الآخر. انظر مادة (باذروج) التي سبقت.

• كتاب النبات ١: ١٣٩، ومنهاج البيان ٩٦أ، ومختارات ابن هبل ٢: ٩٤، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٣، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ١٢٦ (٤)، واللسان والتاج (ضمر)و(حوك).

(المقالات والآراء)

دراسة نقدية لكتاب
(دراسات في كتب التراجم والسِّيَر)(*)

د. عبد الكريم الأشتر

يتكون الكتاب من ثلاث دراسات متتابعة، تعد الأولى منها مقدمة تاريخية موطئة لدراسات موسعة في كتب التراجم والسير في الأدب العربي. وتتناول الدراستان الأخيرتان كتب التراجم في الشام، وفي المغرب العربي، على التوالي.

- أ -

ففي الدراسة الأولى ينهج الباحث نهجًا تاريخيًا موسعًا، فيختار عنوانًا يجمع بين دراسة «كتب التراجم والسِّيَر في الأدبين العربي والإنجليزي»، ويمهّد لدرسها بدراسة الممهِّدات الأولى لهذا الجنس الأدبي في العصور القديمة، ليخرج منها إلى «العصور الوسطى»، فيدرس كتبه في الأدب العربي، ثم ينتقل إلى عصر النهضة.

ولكن الباحث لم يقصر بحثه على الأدب الإنجليزي، وإنما تعداه إلى أدب الغرب كله، فتناول كتب التراجم والسِّيَر فيه قرنًا قرنًا، فذكر ما صدر منها في روسية، وفي فرنسة. وقد جمع بين مصطلح التراجم ومصطلح السِّيَر في هذه الصفحات كلها، ثم انتهى إلى أن يفرّق بين المصطلحين، ويميز من ثَمّ بين «السيرة الذاتية» وما سماه «السيرة الغيرية»، على نحو ما يميِّز الغربيون بينهما: بقولهم «السيرة» على إطلاقها، والسيرة الذاتية: (La biographie et l`autobiographie).

(*) للدكتور هاني العمد، الأستاذ في الجامعة الأردنية - عمّان ١٩٨١.

وهكذا ينتقل إلى دراسة (السيرة الذاتية العربية في العصر الحديث) دراسة تاريخية، يتناول فيها بعض الكتب أحيانًا في موضعين أو ثلاثة (انظر الكلام على كتاب الساق على الساق للشدياق، والتعريف بابن خلدون) وربما عرض للكتاب فلم يسمّه إلا بعد أكثر من صفحتين. وربما خلط درسه أحيانًا بنقل الشناعات التي لا تُخفي الرغبة في مجاملة المؤلف. ولم تخل بعض الأحكام من الاضطراب، على مثال قوله: «إن العرب قد اهتموا، شأن الشعوب الأخرى، بكتابة السيَر الذاتية أو الغيرية، منذ القرن الثاني الهجري». ثم قوله، بعد أسطر قليلة، وفي الصفحة ذاتها: «أما مرحلة كتابة السير الذاتية فلم تبدأ إلا في وقت متأخر، في القرن الخامس الهجري»!

إن ما أصاب هذه الدراسة الأولى من ارتباك، يعود بعضه، في رأيي، إلى غموض المصطلح الفني الذي ينبغي أن تُسأل عنه مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، أكثر مما يُسأل عنه الباحث. فنحن، إلى اليوم، نضطرب في التفريق بين السيرة الذاتية التي نكتبها عن الآخرين، وبين السيرة الذاتية، كما أشرنا من قبل. وكان على الباحث أن يحدد مصطلحه، منذ الصفحة الأولى، ويلتزمه، من بعد، في بقية صفحات الكتاب، ما دمنا لم نفلح إلى اليوم في توحيد المصطلح.

ثم إن الباحث أحب أن يلتزم، على مايبدو، في هذا القسم من بحثه، تخطيطًا كان اختاره بعضُ مَن كتب في «فن السيرة»، فجرى على هذا النسق التاريخي، ورمى إلى أن يعرّف بهذا الجنس الأدبي وكتبه تعريفًا يجمع بين التاريخ والتحليل السريع. ولكنه هنا أخطأ الهدف، فخرج بحثه عن أن يكون دراسة مقارنة بين كتب السيرة في الغرب، وبينها في الأدب العربي. وخرج عن أن يكون أيضًا دراسة لكتب التراجم والسيَر في الأدب العربي تهتدي بخصائص هذا الجنس وتِقْنياته في الغرب. وبقي الكلام على السيَر الغربية يقوم مقام الاستيعاب

التاريخي فحسب. لقد جمع الباحث في يديه مواد كثيرة مختلطة، زادها غياب المصطلح المحدد اختلاطًا، وجهد جُهدًا عظيمًا في تشكيلها، فوقع في مثل ما أشرنا إليه من الارتباك أحيانًا.

ويخيل إليّ أن الباحث اعتمد، في أكثر ما كتبه عن السيَر والتراجم في الغرب، كتابًا واحدًا من الكتب الجامعة، فترجم عنه الأحكام، بحرفية لا تخلو من الغموض أحيانًا، ومن تقطع الصياغات أحيانًا أخرى. ونقل عنه أسماء الأعلام بحروفها اللاتينية، دون أن يضيف إليها تعريبها، فزاد ذلك من اضطراب الكلام في عين القارئ العربي الذي يجهلها، أو يعرفها في صورها العربية المتناقلة.

ثم إن في بعض ما قرره على كتب التراجم والسير العربية، يدل على أنه لم يطلع على هذه الكتب اطلاعًا وافيًا، وإنما قرأ عنها، أو عاد إلى مقدماتها في أحسن الأحوال (انظر كلامه مثلاً على عامِّيَّة الحوار في كتاب الاعتبار، لأسامة ابن منقذ – ص٣٠).

فمن هذا الذي نقوله جميعًا احتشد الكلام على بعض الكتب، على نحوٍ لا يسعه العنوان أحيانًا، أو يضيق عنه الكلام أحيانًا. أو تفرق الكلام على الكتاب في مواضع متعددة، بمقتضى المرجع الذي يعود إليه في كل موضع. وربما أوقعه في مفارقات كالتي أشرنا إلى مَثَل منها، من قبل.

لقد كان في وسع الباحث أن يضبطِ مادة كتابه ويصرّفها بقدرته الذهنية المنظمة، واستعداده الجيد. كان في وسعه، بعد تحديد المصطلح، أن يقسم دراسته إلى ثلاثة فصول واضحة الحدود:

١- كتب التراجم في الموسوعات الكبيرة.

٢- السيرة المستقلة، في كتب مفردة (La biographie).

٣- السيرة الذاتية (L`autobiographie).

فكان حينذاك يمكنه، في كل فصل، أن ينظّم مادته، ويذهب، إن أحب، إلى المقدمات التاريخية المناسبة، ويدرس أشكال السيَر في مواضعها من كل فصل، ولونها العلمي والأدبي.

وتلتحق حينذاك دراسة ما سماه «معاجم التراجم الحديثة» بكتب التراجم في الموسوعات الكبيرة.

وتبقى، في هذا القسم من الكتاب أيضًا، أحكام تحتاج، في رأينا، إلى تأمل طويل، وإن حاول الباحث أن ينقلها، في البدء، من صف الأحكام إلى صف ما سماه «المفاهيم»، مثل الكلام على «النهضة العربية الثالثة» إثر احتكاك الشرق بالغرب «منذ الحروب الصليبية حتى الآن»! ومثل رأيه في السجع وخلطه بمفهوم الترادف، ومثل توفّر بعض عناصر البناء الفني الأساس في السير الذاتية العربية القديمة، وتأثرها، على إطلاقها، في القرن الماضي «بالأسلوب المسجوع»، ومثل اتهام الطهطاوي وعلي مبارك بالدعوة إلى «الانسلاخ عن ماضينا، والارتماء في أحضان الحضارة الغربية»! ومثل التفريق المختلط بين «الأسلوب التحليلي التصويري» و «الأسلوب التفسيري التحليلي»، وجعل الفرد «نواة التاريخ» و«العامل الأساسي فيه».

— ب —

أما الدراستان الأخيرتان (كتب التراجم الشامية) و (كتب التراجم المغربية)، فواضحتا الحدود، على سعة مادتهما، واقتصارِ الباحث فيهما على كتب التراجم العامة. ولا شك أن دراسة كتب التراجم المغربية تلفت القارئ إلى ضرورة الاهتمام بالمكتبة المغربية وفحصها، والوقوف على أسرارها وخفاياها، وفي إثبات وحدة الثقافة العربية، وتغلّبها على افتراق الحدود

والسياسات. وقد استطاع الباحث هنا أن يسجل كسبًا ممتازًا دلّ على عمق وعيه بوحدة الفكر العربي المتجلية في وحدة تراثه وتماثل خصائصه، على مدار الزمان.

– ج –

ثم إننا لو تجاوزنا هذه الملاحظات، وبعض الهَنات المنهجية المتمثلة في قلّة الحرص على تسمية المرجع في موضعه الدقيق، وتمييز كلام الباحث من كلام المؤلفين، بأقواس التنصيص، وتسوية الصياغات في مواضع النقول، ومثل تكرار الكلام بنصه أحيانًا، في أكثر من موضع، ونقص بعض المراجع الهامة، مثل معجم المؤرخين لصلاح الدين المنجد، وبعض السيَر الهامة كسيرة (جبران خليل جبران) لميخائيل نعيمة. وتجاوزنا بعض الهَنات اللغوية والارتباكات في صور التعبير، التي تستلزم معاودة النظر فيها لتقويمها، أو تخليصها من الركاكة واللّبس.

أقول: إننا لو تجاوزنا هذا إلى جوهر الكتاب، تجلت لنا قدرة الباحث الواضحة على فهم خصائص السيرة ضمن حركة التاريخ القومي والإنساني، نلمسها في مواضع ساطعة من الكتاب، قد يمثل لها قوله: «ليس من شك في أن كتابة تاريخ الرجال إسهام، من نوع ما، في تفهم الطبيعة البشرية، لا مجرد رواية الأحداث الحياتية، والإشارة إلى سنة الولادة والتحصيل العلمي والهوايات. إن الحديث عن الفرد والوقوف على حالاته وأوضاعه النفسية والعاطفية يدفعنا إلى القول بأن كتابة الترجمة يجب أن تكون مغامرة شخصية بحتة».

ومثل قوله: «الواقع أن السيرة الذاتية العربية، حتى عصر النهضة الحديثة، قد خضعت للروح العام الذي كان يوجه الفكر العربي، شأنها في ذلك شأن

سائر الصنوف، كالتاريخ والشعر. ولكنها مع ذلك لم تستسلم لهذا التيار أو ذاك. فقد تميزت بعض التراجم الذاتية بخصائص قلما نجدها في غيرها من الفنون، كالاعتراف بالنقائص الشخصية، والمجاهرة بالخروج على الأفكار السائدة، والتصريح بالشكوك حول اعتقادات الناس».

ومثل قوله، في قيمة الاعترافات والمذكرات واليوميات: «التي نبهت كتّاب التراجم والسير إلى قيمة الغموض في أعماق النفس الإنسانية واستبطانها. وهنا تكمن - كما يقول - قيمة التأمل والتعليل والتحليل والتقاط الجزئيات، والنفاذ من هذا كله إلى معان كبيرة تشكل من ثم الخطوط الإنسانية في حوار الشخصية المرسومة».

ومثل رصده تأثر السيرة الحديثة بالعلوم الإنسانية ومكتشفاتها الهامة، وبعلوم البيولوجيا والطب.

نضيف إلى ذلك سعة المادة المدروسة، وشمولها خصائص بيئاتها المختلطة، مما يُمكّن أن نستخلص منه قوة الحس التاريخي في التراث العربي، وشدة اتصال العربي بموطنه، على عكس ما يُشيع بعض الناس.

ولعل الجديد في هذه الدراسة يكمن في طموح الباحث إلى رصد هذا التراث المترامي وتصنيفه، واكتشاف أهم خصائصه، ولفت النظر إلى المكتبة المغربية وثرائها بمعجمات الرجال والطبقات، وتثبيت وحدة الثقافة العربية، على امتداد الوطن العربي واختلاف أقاليمه، وعلى مدار التاريخ، ثم النص على قيمة هذا الجنس الأدبي في إضاءة زوايا تاريخية وأدبية مهملة.

مراجعــة في كتاب
«نَوْر الكمائم وسَجْع الحَمائم»
ونصوص مخطوطة أُخرى
لابن مُغاور الشّاطبي الأندلسيّ

د. محمد رضوان الدّاية

كتاب «ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره»[(١)]، يجمع بين مقدّمة مطوّلة فيها ترجمة وافية لابن مغاور، ودراسة لأَدبه: نثره خاصّة، وتحقيق للنصوص الباقية من آثاره التي ضمّتها مخطوطة «نَوْر الكمائم وسَجع الحَمائم» ونصوص أُخرى استخرجَها المؤلّف، المحقّق الدكتور محمد بن شريفة من مصادر أُخرى مخطوطة.

ومن هنا يمكن أن يكون تفصيل العُنوان: دراسة في حياة ابن مُغاوِر وأَدبه، وتحقيق كتابه: نور الكمائم وسجع الحمائم، مع ماعَثر عليه المحقّق من سائر رسائله ومقطّعات شعره.

وابن مُغَاوِر[(٢)]، من مدينة شاطِبة[(٣)]، وهي ثالث المُدن[(*)] العلميّة بشرقيّ

---

(١) «ابن مغاور الشّاطبي: حياته وآثاره: دراسة وتحقيق محمد بن شريفة» كما ورد على غلاف الكتاب، طُبع في مطبعة النّجاح الجديدة بالدّار البيضاء في المغرب - دون دار نشر.

(٢) استوفى المؤلّف المحقّق مصادر ترجمة ابن مغاور (ص:١٦). وفيها: التكملة لابن الأبّار (ط بجريط): ٥٧٨، والمعجم في شيوخ الصّدفي لابن الأبّار (٢٤٣- ٢٤٥) وصلة الصّلة لابن الزبير ١٩٩- ٢٠٠ والمُغرب لابن سعيد ٢: ٣٨٥- ٣٨٦، وزاد المسافر لصفوان ٣٧-٤٠ وسير أعلام النبلاء ٢١: ١٥٠- ١٥١.

(٣) عَرّف عدد من الكُتب الجُغرافية والتاريخية بمدينة شاطبة مثل الرّوض المعطار: ٣٣٧، ومُعجم البلدان ٣: ٣٠٩.

(*) [الوجه أن يُقال: ثالثة المدن] / المجلة.

الأندلس بعد مدينتي بلنسية ومُرْسِيَة. وقد عَلَتْ مكانتها العلميّة منذ القرن الخامس، حين كانت ملاذًا لعدد من العلماء والأدباء الذين هجروا قرطبة أيّام الفتنة، وفيهم أبو محمد بن حزم؛ وفي شاطبة ألّف ابن حزم رسالته الشهيرة: (طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف)، وفيهم أبو عمر بن عبد البرّ الكاتب والمؤلّف المشهور وغيرهما.

وصاحب الرَّسائل التي يَضُمُّها كتاب: ابن مُغاور الشاطبي هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور الشاطبي، وهو أشهر واحد من مجموعة آل مغاور. وقد نبغت في العلوم الإسلامية والعربيّة، وكانت ذات شأن في تلك المدة؛ وفيهم: والده محمد، الذي كان أحد أساتذته؛ وجدّه مغاور بن حكم ابن مغاور، وفي ترجمته أنّه أدّب بالقرآن، وأقرأ بالسّبع، وذَكّر في مسجده المنسوب بناؤه إلى واصل، وحدّث عنهُ جماعة فيهم ابْنه، ومات عن أكثر من سبعين سنة[٤].

وأبو بكر بن مغاور ينتمي في(*) أُسرة عربية، فهو من بني سُليم: كانوا يقطنون غربيَّ الأندلس، ثم انتقل جدهم «حَكم» إلى شاطبة؛ فَنُسِبُوا بعد ذلك إليها.

وُلد أبو بكر سنة ٥٠٢هـ في شاطبة، وتتلمذ على أبيه(**) وطبقة من علماء زمانه حتى صار أهلاً للتصدّي للعمل، فمارس أعمالاً متعدّدة من: كتابة الشروط والوثائق والتدريس والفتوى؛ واشتهر كاتبًا بارعًا من كتّاب الدَّواوين. وفي ترجمة ابن مغاور التي سطّرها الدكتور بنشريفة أنه: «اتجه إلى الكتابة

(٤) كانت وفاته سنة ٥٠٩. وقد سرد ابن شريفة مصادر ترجمته في «ابن مغاور»: ١٢.

(*) [الوجه أن يُقال: ينتمي إلى أسرة]/ المجلة.

(**) [الوجه أن يُقال: وتَلْمَذَ لأبيه]/ المجلة.

الديوانية التي خُلِق لها ولم يُخلق لغيرها». وأورد له قطعة من الشعر يعتدّ فيها ببراعته في الكتابة منها قوله:

أُحْـرِزُ الشّـأوَ في نظـامٍ ونَثْرٍ ... ثمّ أثْـني وفي العِنانِ جِمـاحُ

فـبهزلٍ كمـا تـأوّدَ غُصْـنٌ ... وبجِـدٍّ كمـا تُهَـزّ الصّـفاحُ

وحَظِيَ ابن مغاور من ممارسته الكتابة الديوانية بالشهرة والمكانة وطيب العيش، واكتوى أيضًا بنارها في الأحداث المتسارعة المتقلّبة في المدّة التي فصلت بين المرابطين والموحّدين، والتي توثّب فيها عددٌ من المتغلّبين على شاطبة وغيرها من شرقي الأندلس: فتعرّض للسّجنِ، وتَنقّل بين عددٍ من بلدان تلك المنطقة كاتبًا لعدد من أصحاب الشأن المتنفّذين والمُتوثّبين.

محقّق الكتاب هو الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة الأستاذ الجامعي في المغرب وعضو الأكاديميّة الملكيّة، وأحد الباحثين في الأدب الأندلسي والمغربي، وأحد المحققّين المدقّقين للمخطوطات(*) العربيّة، وله من الإصدارات مايشهد له بالمكانة والإتقان.

وكتابه (ابن مغاور الشاطبي) يجمع بين هذين المَلْمَحَيْن: الدّراسة المتأنّية لهذا الأديب الأندلسي: شخصه، وأدبه، وعصره، ومَنْ حوله من جهة، والتحقيق العالي للنتّاج الأدبي الباقي لابن مغاور من جهة أُخرى.

وقد عَرَفْتُ الدكتور بن شريفة عن كثب، فقد كُنّا معًا تحت إشراف أ. د. عبد العزيز الأهواني رحمه الله وأجْزَلَ ثوابه من عالمٍ باحثٍ، ومحقّق مدقّق، ومختصّ بالأندلسيات والمغربيّات لم يكن له نظير؛ إلى ثقافة عربية وأجنبيّة، واتّساع أفق، وأستاذيّة متميّزة، في أناة العالِم، ورحابة صدره، وجُودِه بما يعرف وحَدْبه على مَنْ يَرْعَى.

(*) [الوجه أن يُقال: في المخطوطات]/ المجلة.

... ...

و«لابن مغاور الشّاطبي» أهميّة مُزدوجة، فإن الدّراسة التي صَدَّر بها د. بنشريفة الكتاب تُضيف إلى تاريخ الأدب العربي في الأندلس إضافات مهمّة، وتضيء جانبًا جديدًا من النثر الفنّي في الأندلس. فهو حلقة من حلقات الكُتّاب الكبار في الأندلس يلحق بابن أبي الخِصال الغافقي الأندلسي ويسبقُ لسان الدين بن الخطيب أشهر كُتّاب عصر غرناطة الأندلسي.

وكان هذا الكتاب قد وصل إليّ من الصديق الكريم، وقرأته في حينه، وسجّلت على النسخة ملاحظات تعوّدتُ إضافتَها إلى الكتب التي أقرؤها، وأخصّ هنا كتبَ التراث المحقّقة بين فائدةٍ أستفيدها، ولمحةٍ أنتبهُ إليها، وبين فكرةٍ تخطرُ لي، أو جواب عن تساؤل وضعه المحقّق عند كلمة أو عبارة أو إشارةٍ مناسبة تستحقّ أن تُضافَ، أو إلماعةٍ يمكن أن تُفيد.

ووضعت الكتاب في موضعه من مكتبتي حتى احتجتُ إليه لنقل قطعة نظَمها ابن مغاور على عادة كثير من شعراء الأندلس، وأعدّها لتُكتبَ على شاهد قبره بعد وفاته(٥). فأعدتُ قراءة مقدّمة الكتاب، ولفَت نظري عبارات أثارَتْ فيّ شجونًا ووقفت عند قوله، وهو يتحدّث عن أفرادٍ من أسرة آل مغاور بشاطبة: «وكان آخرهم وفاةً أبو بكر بن مغاور صاحب هذا المجموع القيّم الذي أعتزّ بإخراجه إلى الناس». لقد صرّح صديقي ابن شريفة في تلك العبارة بما في نفسي، ولم أُفسِحْ لقلمي التّعبير عنه: فقد حقّقْتُ رسائل ابن أبي

(٥) أعددتُ في هذا الموضوع رسالةً سمّيْتُهَا: «شواهد الشواهد» جمعتُ فيها مااستطعتُ التقاطه ممّا نظمه الشعراء، ممّن وصلت إليّ أشعارهم، لتُكتب على شواهد قبورهم، وقدّمت لها بدراسة مناسبة.

الخصال، وشرحته[٦]، وأخرجت نسخته – وهي فريدة – من المخطوط إلى المطبوع. وكان كثير من صفحاتها عَصِيًّا على القراءة – إلى آفات أخرى – فصبرتُ لها زمانًا وأخرجتُها بحمد الله. وأقول مع أخي وصديقي: إن النفس لتشعر بالاعتزاز بهذا العمل الذي يُضاف إلى كتب أندلسيّة ومغربية أُخرى أخرجتها محقّقة مشرُوحة.

في كتاب «ابن مُغاور الشاطبي» مادّة غنيّة للباحثين في تاريخ الأدب العربي عامّة، وفي تاريخ الأدب العربي في الأندلس، فإنه كتابٌ يقدّم مجموعة من الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية (الشخصيّة) ومجموعة من العقود والوثائق، والرسائل السياسيّة؛ إلى قطع مختلفة من الشعر في أغراض شتى للكاتب الشاعر ابن مغاور.

ودراسة محتويات الرّسائل ومضموناتها تقدّم – إلى الجوانب الأدبية الفنيّة– فائدة سياسيّة، واجتماعيّة، وتاريخيّة، وتلقي أضواء على طبيعة الحياة السياسيّة القلقة، التي كانت الأندلس تعاني منها في المدة الفاصلة بين عهدي المرابطين والموحّدين، وتعاني منها من جرّاء توثّب (خروج) بعض المغامرين المتوثبين على السلطة في مناطق كثيرة من شرقيِّ الأندلس، حيث كان ابن مغاور شخصية منظورًا إليها لمعالجة أُمور التَّرَسُّل، والكتابة، والإسهام في التّسيير والتدبير.

وها أنا ذا أقدّم بعض القراءات التي قرأتها، والملاحظات التي سجّلتها والتّكملة التي وضعتُها:

– جَرْيًا على عادتي في التّعليق على ما أقرأ ممّا أقتني من كتاب.

---

(٦) صدر بعنوان «رسائل ابن أبي الخِصال الكاتب الفقيه أبي عبد الله بن أبي الخِصال الغافقي الأندلسي» بتحقيقي، نشرته دار الفكر بدمشق ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

– وعنايةً إضافية بهذا الأثر الأدبي الأندلسي، الذي أجد نفسي معنيًّا به على وجهٍ من الوجوه، وقد عشت في رحاب التراث الأندلسي- إلى اليوم – نحو نصف قرن من الزّمان.

وهذا الذي أُسَجّله تعليقًا على الكتاب: قراءات واجتهادات وملاحظات ومطالعات موازية لمنهج د. بن شريفة الذي اتّبعه في تحقيق نصوص ابن مغاور المخطوطة.

وشيء آخر، هو أنّ المحقّق الفاضل تركَ عددًا من الحواشي خاليةً، وأثبتَ لها عَددًا (رقمًا) ارتقابًا لملئها بما يُناسب، ثم طبع الكتاب، وتلك الأرقام خالية على حالها. واجتهدتُ في ملء تلك الفراغات بما يُناسب أو يُقارب.

وهذا الذي صَنعه في عدد قليل من الحواشي قد رأيت مثله عند أُستاذنا الدكتور عمر فرّوخ – رحمه الله تعالى – في كتابه: تاريخ الأدب العربي، فقد ترك بعض الحواشي خاليةً بعد أن استشكلَ بعضَ الأمور أو أراد أن يعلّق عليها بما يراه مناسبًا ثم أعجله العمَلُ دون ذلك.

... ...

وإنّي لأُهدي هذه القراءة التي قرأتُها للكتاب بما معها من ملاحظات وإضافات إلى الباحث المحقّق والأخ الصديق محمد بن شريفة، اعترافًا بفضله فيما يؤلّف وما يحقّق، وتقديرًا لجهوده، وتنويهًا بعمله الكبير وإنجازه الضّخم بإخراجه الآثار الباقية للكاتب الأندلسي ابن مغاور الشّاطبي. وأقول بهذه المناسبة: إنّني كلما قرأت كتابًا أندلسيًّا شعرت بأنني أَصِلُ نفسي بقريبٍ من الأقارب، أو صديق عزيز من الأصدقاء؛ وأجدُ لنفسي واشجةً معه وإنْ بَعُدَ الزمانُ واختلف المكان.

وفي هذه الرسائل والأشعار ما يُستفادُ منه في قراءة شخصيّة ابن مغاور،

ومعرفة تفصيلات عن بعض مجريات حياته: توضّح من سيرته الذّاتية بفوائد قاصدة، وأُخرى عارضة لا تقل أهمّيّة؛ كأشعاره التي نظمها بعد بلوغه الثمانين، فقد قال مثلاً:

«وكتبتُ وقد أصابتني علّة الثمانين[٧]:

قــل لمن سال عن شكاتي وحالي	لستُ أشكُو غير الذّنوبِ الثقالِ

– وقال ابنُ مغاور: كتبتُ هذه الأبيات (يعني التالية) ووصّيتُ أن تُكتب على قبري بعد وفاتي، ونصُّها[٨]:

أيّهــا الواقــفُ اعتــبارًا بقبري	اســتمعْ فيه قولَ عظمي الرَّميمِ
جَهّــزوني إلى الضّــريح وخافوا	مــن ذنــوبٍ كلُومهــا بأديمي
قلــتُ لا تجــزعوا عــليَّ فــإنّي	حَسَــنُ الظنّ بالرؤوف الرّحيمِ
ودعــوني بمــا اكتســبتُ رهينًا	غَلِــقَ الــرّهنُ عند مولىً كريمِ
هــو زادي إلى المَعــاد فقولــوا:	نزل العــبدُ عــند مــولى كريمِ

... ...

حقّق د. بنشريفة تراث ابن مغاور الباقي تحقيقًا عاليًا، قلّ أهْلُه من المحقّقين في هذا الزمن؛ من قراءة النّصوص، وتكميل المقتطفات، وتفسير المُبهم، وإيضاح الإشارات، وفكّ الرُّموز، وبيان الاقتباس والتضمين، والتعليق المناسب، والتوضيح التاريخي، والإلماع إلى الأماكن والمواضع...

وقد اجْتَهَدَ – اجتهاد المدقّق ذي الخبرة – في قراءة ما غمض من خطّ

(٧) ابن مغاور الشّاطبي: ٢٢٨.

– لنا كلام على هذا البيت، وقطعته في صفحات هذه الدّراسة.

(٨) ابن مغاور الشاطبي: ٢٢٧.

المخطوطة، واستدراك مافات من كلمة أو كلمات على مُقتضى السّياق، وخَلَس المعنى، فتثبّتَ عند التمكّن، وشكّكَ عند التوّهم، وترك الأمر للقارئ.

وأفادَ الباحثُ المُحَقّقُ من خبرته الطّويلة في أُسلوب ابن مغاور ومعايشته له، ومن ثقافته الواسعة في رسائل الكُتّاب الأندلسيين السابقين لابن مغاور والمعاصرين.

وزّعتُ المُلاحظات والإضافات على النحو الآتي:

١- وضع الحواشي المقترحة، في المواضع التي تركها المحقّق فارغة، على منهج المحقّق وأسلوبه.

٢- الملاحظات والإشارات المتعلقة بالحديث والأثَر والخبر.

٣- الملاحظات المتعلّقة بقراءة النص وتوجيهه.

٤- الملاحظات والإشارات الشعريّة.

٥- الإشارات والاقتباسات من الأمثال.

٦- الملاحظات اللغوية، والمتعلّقة بالشُّروح والتعليقات.

ويصعُب أحيانًا الفصل بين جانب وآخر في بعض المواضع؛ فهذا التقسيم على الغالب.

أولاً: الحواشي المقترحة في المواضع التي تركها المحقّق فارغة

١) أورد ابن مغاور اسم جزيرة شُقر (ص١٣٢ س٢) وترك المحقّق رقمًا عند (شُقْر)[٩]؛ وكأنّه أرادَ التّعريف بالمدينة، وسَها عن ذلك، فهي مشهورة، ولها ذكر في المعاجم الجُغْرافيّة، وهي بلدة ابن خفاجة.

---

(٩) تُعرف بـ (شقر) و (جزيرة شُقر) وهي بالإسبانية (jucar) وحرف (j) يُلفظ خاء فهي بلسانهم خوكار = شُقْر.

- يُنظر الروض المعطار: ٣٤٩ في (جزيرة شُقْر) بضم الشين على الصواب وفي معجم البلدان (٣: ٣٥٤) بفتح الشين.

ورقم الحاشية الفارغة ٤٩.

٢) وفي الصفحة ١٥٠ ترك الحاشية (٨٣) فارغة. وقد ذكر ابن مغاور فيها «تيه عِزّة الميلاء».

قلت: ١- ضَبط المحقّق الاسم بكسر العين، والصَّوابُ: عَزّة بفتح العين، الاسم المعروف.

٢- والمراد: عَزّة التي كانت مَوْلاة للأنصار، وأقْدَم مَنْ غَنّى غناءً مُوَقّعًا بالحجاز، وكانت تَضْرِبُ بالعِيدان والمَعازف. لُقّبت بالميلاء لتمايلها في مشيها. ومن هُنا ذكر ابن مُغاور التّيه والخُيَلاء في كلامه.

وقدّر الزركلي وفاتها بسنة ١١٥هجرية[١٠].

٣) وفي الصفحة ١٦٧ (س٧-٨) بيتان هما:

إنّ نفســـي بالشّـــام إذْ أنت فيها ... لـــيسَ نَفْسي نفسِي التي بالعِرَاقِ

أشــــتهي أن تـــرى فؤادي فتَدْري ... كـــيفَ وَجْدي بكم وكيف اشتياقي!

وترك المحقّق الحاشية (١١٢) الخاصة بالبيتين فارغة.

قلت: الشعر لمحمد بن أبي أُميّة، وفي ترجمته أنّه كان على أيّام المأمون والمُعتصم، من ندماء إبراهيم بن المهدي. وأثبت له صاحب الفهرسة ديوان شعر من خمسين ورقة.

والبيتان المذكوران مع بيتين آخرين قبلهما في كتاب الورقة لابن الجرّاح: ص٥٠. وروى في الشّطر الأخير: «كيف صبري...».

- ويُنظر لترجمته: معجم الشعراء: ٣٥٥، وتاريخ بغداد ١: ٨٦، والوافي بالوفيات ٢: ٢٢٩ والورقة: ٢٤٧، ويُنظر الدّيارات: ١٨- ٢١.

---

(١٠) يُنظر: أخبار عزّة المَيْلاء في الأغاني (دار الثقافة) ١٧: ١٠١، والدّر المنثور في طبقات ربّات الخُدور: ٣٤١، والأعلام ٤: ٢٣٠.

٤) وقال (ص١٧٥ س٥).

«ومنشدةٌ تُنشد في ظل شجر الخلاف:

إن قضـــى الله حجّـــنا وانْصَـــرَفْنا   لـــيس في الوصل بيننا من خلافِ

وترك المحقّق الحاشية (١٣٦) فارغة،

قلت: ١- الخِلافُ هنا اسمُ شجر الصَّفْصَاف، وقد سَبق لابن مغاور أنْ ذكره باسم الصّفصاف قبل سطرين «عايّنا جنّاتِ ألفاف، ونسيم يُولول في أوراق صَفْصاف...»[١١].

والخلافُ بأرض العَرب كثير، ويُسمّى السَّوْجَر[١٢]، وهو شجر عظام وأصنافُه كثيرة كلّها خوّار ضعيف.

٢- أراد ابنُ مغاور التّورية بذكر الخِلاف في الشّعر، وفي التقديم له أيضًا. (في العبارة النثرية قبل البيت).

٥) قال ابن مغاور (الصفحة ٢٣٢ س٥).

«صدق الحَمْلَة، وأقْدَم إقدامَ عُمَير بن عبد الله على أنف رَمْلَة..».

ثم قال (الصفحة ٢٥٨ س٢).

«وصدقت، وأقدمت عليه إقدام عمرو بن عبيد الله على أنف رملة..».

قلت ١) ترك المحقّق الحاشيتين: ٢٧٤، و ٣٥٠ فارغتين.

٢) صواب الاسم الذي ورد في الموضعين الآنفين[*]، مختلفًا هو: عمر ابن عبيد الله (٢٢- ٨٢هجرية).

٣) وقد وقع التحريف والتّصحيف في الاسم مرّتين، وهو من أوهام الناسخ.

---

(١١) يُنظر للصفصاف وأنواعه: الموسوعة في علوم الطبيعة ٢: ٩٣٩ - ٩٤٠.

(١٢) قال في الموسوعة في علوم الطبيعة: ٢: ٨٣٢: السّوجر هو الخِلاف الضّيّق الوَرق.

(*) [الوجه أن يُقال: المتقدمين / المذكورين آنفًا]/ المجلة.

– والرّجل هو عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي. من كبار القادة الشجعان الأجواد. وَلِيَ الولايات وقاد الجيوش أيام مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان.

٤) «رملة» هي: رملة بنت عبد الله بن خلف، كانت زوجة عمر بن عبيد الله وولدت له طلحة الجود. وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف (الأغاني ١١: ١٧٥) قال: وفيها وفي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة يقول الشاعر:

أنعـــم بعائشَ عَيْشًا غير ذي رنَقٍ وانـــبذْ برَمْلةَ نبذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ

– وفي خبر للأصفهاني أنّ عائشة قالت يومًا لعمر بن عُبَيد الله اذكر أيّامك (تعني بطولاته فيها) فذكر ماشاء، فقالت عائشة: تركت يومًا لم تكن في أيامك أشجع منك فيه، قال: وأيّ يوم؟ قالت: يوم أرْخت عليها وعليك رملة الستر. تريد قُبح وجهها.

– وفيه أن عائشة كانت من أشدّ الناس مغايظةً لأزواجها. ولعمر تراجم وأخبار في التواريخ وكتب الأنساب وغيرها (المحبّر ، وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير، وأنساب الأشراف، والأغاني وغيرها).

٦) وفي الصفحة ٢٣٤ عن السطرين ٥-٦ ترك المحقّق الحاشية (٢٨٣) فارغة، وإشارتها في المتن عند قول ابن مغاور:

«ضَلّت ضلال هُذيل فيما استجازت من رسول الله ﷺ وسالت، وعَدلت عن الحقّ ومالت، فخسرت آراؤها وفالت...».

قلت: المحفوظ المشهور أنّ هذه الاستجازة كانت من وفد ثقيف، ومن ذلك:

في إمتاع الأسماع[١٣]: «فائتمرتْ ثقيف فيْمَن يُرْسلُونه إلى النبي ﷺ حتّى أجْمَعُوا أنْ يبعثوا بعبد ياليل بن عمرو بن عُمَير ومعه رَجُلان من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، – فقال عبد ياليل: أرأيت الزّنى فإنّا قومٌ عُزَّابٌ لابدَّ لنا منه، ولا يصبرُ أحدنا على العُزْبَة، قال: هو ممّا حَرَّم الله، قال: أرأيت الرّبا؟ قال: الرّبا حرام، قال: أفرأيت الخَمْر...» إلخ.

وفي سبل الهدى والرشاد: «قالوا أفرأيت الزنى؟ فإنّ قوم نغترب ولابدّ لنا منه، قال هو حرام عليكم، إن الله تعالى يقول: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى..﴾ (الإسراء: من الآية٣٢) قالوا: أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلّها قال: لكم رؤوس أموالكم إن الله تعالى يقول: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا..﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٨)، قالوا: أفرأيت الخمر فإنه لا بدّ لنا منها قال: إن الله قد حرّمها وقرأ ﴿...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (المائدة: من الآية٩٠)، فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض وكلّموه ألا يهدم الرّبة فأبى فقال عبد ياليل: إنا لا نتولى هدمها فقال: سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها، وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص[١٤]...

٧) وقال (ص٢٥٧ س١ أسفل):

«وذكرت ماجاء في الأثر عن **أصحاب الغار والحَجَر**، اللهمّ إن كان حَقًّا... » لم يعلّق المحقّق وترك الحاشية ٣٤٩ فارغة.

قلت: في الحديث: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار، فقالوا إنه لاُينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى

---

(١٣) إمتاع الأسماع: ٤٩٠- ٤٩١.

(١٤) سبل الهدى والرشاد: ٦: ٤٥٥.

بصالح أعمالكم قال رجل منهم...» الحديث بطوله... من حديث متفق عليه، وهو الحديث الثالث عشر في رياض الصالحين.

ثانيًا) مايتعلّق بالحديث والخبر والأثر

١) قال ابن مغاور (ص١١٥ س٣) في مجال الثناء على ولد الخليفة الموحدي «ولدته الخلافة مرّتين». وعلّق المحقّقُ متسائلاً: «هل معناه أنّه ولَدُ وَلَدِ الخليفة» ؟

قلت: نعم، وقد ورَد في الأثَر: «أنا ابنُ الذبّيحين». وعن معاوية ﷺ قال: سمعتُ رجلاً يقول للنبيّ ﷺ: يا بْنَ الذّبيحين، فضحك النبيّ.

فإسماعيل عليه السّلام هو الذبّيح الّذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم، وهو جدّ رسول الله ﷺ، وعبد الله هو الذبيح الثاني فقد فداه عبد المطّلب بمئة من الإبل في قصّة نَذْرِه المشهورة.

– وهناك كلامٌ على هذا الأثر في الجامع لأحكام القُرآن ١٥: ١١٣. وفي كشف الخفا ١: ٢٣٠.

٢) وفي (ص ١٢٤ س١٢).

«فلله ما صنعه سيّدنا معنا من جميل: لقد أغْضى وأرْضى، غسَل قُلوبنا بماءٍ وثلج تطهيرًا، وحشاها حبوة وسرورًا...».

قلت: في الكلام أخْذٌ من الأثَر من حديثِ الدُّعاء: «واغْسِلْ خُطاي بالثّلج والبَرد» (١٥).

٣) وقال: (ص١٤٦ س٧).

«وألقتْ إلينا منكم بفلذة من أفلاذِ كبدها..».

---

(١٥) اللسان (ث ل ج)، وأصله في النهاية لابن الأثير. وفي مسند الإمام أحمد ٢: ١٣١ «اللهم برّد قلبي بالثلج والبرد».

قلت: ١- هذا من الأثر المشهور في حديث بَدْر: «هذه مكّة قد رمتكم بأفلاذ كبدها» قال ابنُ الأثير: أراد صميم قريش ولُبابَها وأشرافها[١٦].

٢- تقتضي السّجعة أن يكون الكلام «وألقت إلينا منكم بفلذة من أفلاذ أكبادها»، ونصُوص الأثر تُتيحَ ذلك أيضًا.

٤) وفي (ص ١٦٤ س٦).

«وأمدّكم بمعونته بصيتٍ يَبقى لكم في بلدِ الأعادي دهرًا، وذُعْرٍ يسيرُ أمامكم شَهْرا...».

قلت: هذا من الأثر المَشهور: «نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شهر»[١٧].

٥) وقال في (ص١٧٢ س٧-٨).

«فمرقْتُ مُروقَ السَّهْم عن الرَّمّيَةِ».

قلت[١٨]: ١- الصّواب: الرَّمِيَّة (على وزن فَعيلة).

٢- والعبارة مؤسّسة على الحديث الذي جاءَ في الخَوارج: «يمرقون من الدّين كما يمرُق السّهْمُ من الرَّمِيّة» والرَّمِيَّةُ هي الطّريدة التي يرميها الصائد، وهي كل دابة مرميّة...

٦) وقال (ص١٧٣ س١).

«وغادَرْنا شِلْوَي الشّقيّين اللّعينين والنُّسورُ القَشاعِمُ تغاديهما خِمَاصًا وتروحُ عنهما بِطانًا...» .

---

(١٦) النهاية في غريب الحديث (ف ل ذ)، واللسان.

- وورد الأثر بصيغ متقاربة «هذه مكة قد رمت بفلاذ أكبادها» و «هذه قريش» و «قد ألقت بأفلاذها».

(١٧) مسند الإمام أحمد ٣: ٣٠٤، ٥: ٢٥٦.

(١٨) النهاية واللسان (ر م ى).

قلت: هذا من حديثٍ مشهور فيه «.. كالطّير تَغْدُو خِماصًا وتروحُ بِطانًا..» أي تغدو بكرةً وهي جياعٌ وتروحُ عِشاءً وهي ممتلئةُ الأجواف(١٩).

٧) وقال (ص١٨٩ س٢).

«أصابني بِمُرْسية — حَرَسَها الله — ألم من أُمّ مَلْدَم...». هكذا بفتح الميم الأولى من (ملدم).

قلت: الصّوابُ أُمّ مِلْدَم بكسر الميم. وفي اللّسان: أمّ مِلْدَم: كُنية الحُمّى، وفي بعض الحديث «جاءَت أُمُّ مِلدم تَسْتأذن».

٨) وقال (ص١٩٥ س٧ أسفل).

«قد جعَل فلانًا وهو منّي حيث تعلمُ، ولا تخفى الغرّةُ في وجه الأدْهم غَرَضَ سهامه، يفتِلُ في غاربه وسنامه...».

قلت: روى ابن الأثير من حديث الزّبير وعائشة رضي الله عنهما «فلم يزل يَفْتِلُ في الذُّرْوَةِ والغَارب». (٢٠)

— وفي مجمع الأمثال(٢١): «فتَلَ في ذُروته» قال: وأصل فتل الذّروة في البعير هو أن يَخْدَعَهُ صاحبه ويتلطّف بفتل أعلى سَنامه حكًّا ليسكن إليه فيتسلّق بالزّمام عليه. ويُروى عن الزّبير أنه حين سأل عائشة رضي الله عنها الخروج إلى البصرة أبَتْ عليه فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته. قال: والذروة والغارب واحد.

٩) وقال (ص٢٠٥ س٦ أسفل).

---

(١٩) النهاية في غريب الحديث (خ م ص)، واللسان.

(٢٠) النهاية في غريب الحديث (ف ت ل) واللسان.

(٢١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٦٩.

«... وكلّ مُيَسَّر[٢٢] لما خُلِقَ له، فليصلح الإنسان قبل غيره عمله...».

قلت: في الحديث: «اعملوا وسَدِّدُوا وقارِبُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له» أي: مُهَيّأ مصروفٌ مُسَهَّل...».

١٠) وقال (ص٢٠٦ س٥).

«طويت، أدام الله عزّك، الرّسائل، فَما المسؤولُ اليومَ بأَعْلَم بها من السَّائل...».

قلت: اقْتَبس من حديث جبريل عليه السّلام قال: أخْبِرْني عن السّاعة فقال رسول الله ﷺ: ما المسؤول عنها بأَعلم من السّائل، هنّ خمس لا يعلمهنّ إلا الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: ٣٤) قال: صدقت...»[٢٣].

١١) وقال (ص٢٠٧ س٧ أسفل).

«نعوذ بالله من حَوْرٍ بَعْدَ كَوْر، وإدْبار بعد إقبال...».

قلت: في الحديث: «نعوذُ بالله من الحَوْر بعد الكَوْن»[٢٤]، ومعناه من النقصان بعد الزّيادة، وقيل: معناهُ من فَساد أُمورنا بعد صلاحها.

١٢) وقال (ص٢٢٤ س٣).

«حتى شبّ واكتهل، وعَلّ ونَهل، وبلغَ مُرَفَّهًا المُنْتَهل، فَما بَرك حتى جاوزَ المُعْتَرك، وترك من الآثار الصالحة ما ترك...».

قلت: المراد هنا: «مُعْتَرَك المَنايا» ما بين السّتين إلى السّبعين من العُمر، والسبعون رأس المُعترك.

– وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «أكثر أعمار أُمّتي مابين الستين

---

(٢٢) النهاية في غريب الحديث، واللسان (ي س ر).

(٢٣) الحديث في تفسير القرطبي، ويُنظر كلامه في تفسير الآية الكريمة: ١٤: ٨٢ وهو مطوّل.

(٢٤) النهاية واللسان (ح و ر، ك و ر).

إلى السَّبعين».

– ولما أنافت سنوّ عبد الملك بن مروان على الستين وسُئل عن مبلغ عمره قال: في معترك المنايا(٢٥).

١٣) وقال (ص٢٢٥ س٣).

«فالجؤوا رحمكم الله إلى الدّعاء، وارفعوا أيديكم إلى الخَضْراء...».

قلت: من المُفيد الإشارة إلى أن الخَضْراء من أسماء السماء، سُمّيت كذلك لخضرتها: صفة غلبت غلبةَ الأسماء، وروى ابنُ الأثير من الحديث «ماأظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدقَ لهجةً من أبي ذرّ» الخَضْراء: السّماء، والغبراء: الأرض(٢٦).

١٤) وقال (ص٢٣٥ س٧).

«فاشْرَقي بريقِك، وغُرّي غيري ببريقك، فلستُ من حِزْبكِ ولا من فريقِك...».

قلت: في العبارة من قول علي رضي الله عنه للدُّنيا: «غُرّي غَيْري».

– وفي رواية: يادنيا يادنيا إليك عنّي»(٢٧).

١٥) وقال (ص٢٥٧ س١).

«فمن ورائك مع حِلم معاوية سطوة الحجّاج...».

---

(٢٥) يُنظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (مصر: ٦٩١) وطبعة دار البشائر – دمشق بتحقيق أ. صالح ص:٩٧٣ وتخريج الحديث فيه.

– ويُنظر: نشر الطيوب وريحان القلوب في المضاف المنسوب – لمحمد رضوان الداية – دار البشائر (دمشق) ٩٦: وفيه عنوان: «دقّاقة الرقاب».

(٢٦) النهاية: خ ض ر.

(٢٧) يُنظر حلية الأولياء ١: ٨٥ وصفوة الصّفوة ١: ٣١٦.

وقد أشار المحقّق إلى حلم معاوية رضي الله عنه.

قلت: يُزاد أن هناك كتبًا مستقلة أُلّفت في حلم معاوية رضي الله عنه منها كتاب ابن أبي الدّنيا المتوفى ٢٨١هـ[٢٨].

١٦) وقال (ص٢٥٧ س٢ أسفل).

«ووقفت ثابت الجَنان، وقلت: لا نامت عَيْنُ الجبَان..».

قلت: هذا من قول خالد بن الوليد رضي الله عنه عند وفاته:

«لقد لقيتُ كذا وكذا زحفًا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت أعين الجبناء»[٢٩].

ثالثًا: في قراءة النصّ وتوجيهه:

١) وأورد (ص١١٦ س٦) من شعر أبي تمّام:

مـــا أن يُـــبَالي إذا حلّـــى خلائقه   بجـــوده أيَّ قطريه حوى العَطَلُ

قلت: الصواب «**ما إن** يُبالي...» بكسر همزه إنْ. و «ما» هنا زائدة[*].

ومن مواضع زيادة (إن) أن تجيء بعد (ما) النافية وشاهده قول النابغة:

مـــا إن أتيتُ بشيءٍ أنتَ تكرهُهُ   إذن فلا رفعَتْ سَوطي إليَّ يدي

– وقد ورد الشعر على وجهه في ديوانه[٣٠].

---

(٢٨) منه طبعة جديدة صدرت سنة ٢٠٠٦ عن دار الوسام – دبيّ.

(٢٩) الكلام مشهور، يُنظر مثلاً: عيون الأخبار ١: ١٦٥.

(*) [(ما إن يبالي) بكسر همزة إنّ و (ما) هنا زائدة. والوجه أن يُقال: بكسر همزة (إنْ) و (إنْ) هنا زائدة]/ المجلة.

(٣٠) ديوان أبي تمام ٣: ١١.

٢) وقال(ص١٣١ س٧).

أمــــير المؤمـــنين نـــداء عـــبدٍ تَخَـــيَّر للرشـــاد مــن السَّفاهِ

قلت: الصّواب: «تَحَيَّز» فإنّه لا يُقال تخيّر لكذا. والمُرادُ أنّه انحاز إلى الرّشاد وأهل الرُّشدِ دون السَّفاهِ وأهل السَّفه.

٣) وقال (ص١٣٥ س١٣)

«حتى هدمَ الأصْنام والبِيعَ وكَسَرها، وحَصَر الأُنوف الأبيّة، والنّفوس العصيّة الجاهليّة على الانْقياد إلى الطاعة...».

قلت: الصواب: «وحَضّ...».

٤) وقال (ص١٥٢ س٥ أسفل).

كَفّــاك نيلُ ومصرُ أرضٍ شاطبة لو لم يكن في عُبابِ النّيل تمساحُ

قلت: الشطر الأول مضطرب الضبط، وصوابه (للوزن والمعنى):

كَفّــاكَ نيلٌ ومصرٌ أرضُ شاطبة .. إلخ

فكفّا الممدوح خيرٌ من النيل، وأكثَرُ سَلامة، فليسَ فيها تماسيح كالنّيل.

٥) وقال (ص١٦٦ س٥).

أآدابي عَــلى كِــبَري تُضـــاعُ وعَــرْف المِسْك من نَثْري يُذَاعُ

ولســتُ بعــاملٍ أجــبي وأجني ولا قــاضٍ فيكفــيني الرّضاعُ

قلت: ١- أُرجّح أن يكون الشّطر الثاني «من نَشْرِي يُذاعُ» وإن كانت كلمة (آدابي) في الشّطر الأول تُغري بـــ (نثري). والنّشرُ (بالشّين): الرّيح الطّيبة. وهي المُرادَة.

٢- لعلّ الشّطر الثاني «ولا قاضٍ فتكفيني (؟) الرّقاعُ» جمع رُقعة.

٦) وقال (ص١٦٩ س٥ أسفل)..

«فثنى عنانه من شيّع، وودّع مَنْ وَدّع، وكلٌّ أَوْحَش القلوبَ من استيحاش الفِراق ما أودع، وأنا أُنشدُ وإن اختلفت **الصِّنفان**:

هوى ناقتي خلفي وقُدّامي الهَوى: وإنّي ... إلخ ...

قلت: صوابُ العبارة: «وإن اختلفت **الصِّفَتان...**».

٧) وقال (ص١٧٦ س٢-٦): مخاطبًا صديقًا له أهدى إليه شيئًا من الكُحل كان طلبه منه:

١- عاينــت مــنكم أبــا النّعيمِ	في روضــةٍ نَضْــرة النّعِــيمِ
٢- تســيل كفــك بالعَطايــا	كالسَّــيْلِ مــن جودك العميمِ
٣- وجهت بالكحل وهو صِرْفٌ	قــد ســال مــن قُدْرةِ الحكيمِ
٤- لــو كحّــل الناس منه أعمى	أبصــــر باللــــيل البهــــيمِ
٥- وزدتَ في الـــزادِ فارتحلـــنا	عــن شــكرنا الــراحل المقيمِ
٦- فــانعَمْ ودُمْ في سمــاء مجــدٍ	مشــرقة الأُفْــق بالــنُّجومِ

قلت: ١- وَضَعْتُ من عندي أرقامًا للأبيات ليسهل الرجوع إليها. ثم أقول إن القطعة من مخلع البسيط.

٢- في البيت الثاني كذا «تسيل كَفُّك» وأفضل أن أقرأ النص (لو سمحت قراءة الأصل): **تسيل كفّاك**.

٣- في النص: «من قُدرة الحكيم» بضمّ القاف. والصّواب من «قَدَرَة» بفتح القاف والدّال معًا، ومعناها القارورة الصّغيرة. وسكّن الشاعرُ الدّال ضرورةً. والقَدَرَةُ هي المرادة لأنّه يذكُر قارورة كحل من عند حكيم كحال!..

٤- وقوله (البيت الرابع): «أبصر بالليل البهيم» مضطرب ويصلح لو قيل «أبصر **بالليلة** البهيم».

٨) وقال (ص١٧٧ س٢).

«والله يعصمك ويقيك، فإنّهم يسرقون ظلّك من الحائط وكُحْلَك من مآقيك»!.

قلت: هذا من كناية مشهورة وصلت إلى الكنايات العاميّة، وفي كنايات تيمور باشا[٣١]:

- حتّى سرقت النوم مِن ناظري ... يا سارق الكحل من العين

والكناية ثابتة في كلام أهل الشام[٣٢].

٩) وقال (ص١٧٩ س٥ أسفل).

فإنّ الأميرَ بها أعزل ... ويلقى حَرُونًا جماح الرّماحِ!

قلت: يُضاف إلى حاشية المحقّق ذات الرّقم ١٥٠: في البيت تورية بالسّماك الأعزل والسّماك الرّامح.

١٠) وقال (ص٢٠٦ س٧ أسفل).

«إنّما هي تحيّةٌ تُردُّ فَرْضا، ومودّةٌ لا تُتْرَكُ قَرْضا، وها أنا قد عجلتُ إليك بالمراجعة لترضى...»».

قلت: ١- هناك اقتباس في العبارة الأولى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...﴾ [النساء:٨٦].

قال القرطبي عند تفسير الآية الكريمة: «أجمع العلماء على أنّ الابتداء بالسّلام سنة مُرغّبٌ فيها، **وردُّه فريضة...**»[٣٣]. ولهذا قال ابن مغاور: «تُرَدُّ فَرْضًا».

(٣١) الكنايات العاميّة: أحمد تيمور باشا: ٣٣.

(٣٢) معجم الكنايات العاميّة الشاميّة - محمد رضوان الداية: ٢٩٧.

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن ٥: ٢٩٨.

٢- وقوله «عجلت إليك...» من قوله تعالى:﴿ قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

- ولعلّ عبارة المؤلّف في أصلها هكذا: «وها أنا ذا قد عَجِلْتُ إليكَ» على الوجه الفصيح. وقد قال في موضع آخر: (ص١٦٥ س١ أسفل): من الشعر:

فهـــا أنـــا ذا بقصـــرك مستجيرٌ   بَسَـــطْتُ له ذراعـــي بالوَصِيْدِ

فجاء بالكلام على الصحة والفصاحة(*).

١١) وفي (الصفحة٢٠٧ السطر١٠ أسفل) وردت كلمة الخلوة مضبوطة بضم الخاء والصواب: الخَلْوة بالفتح، للمصدر وللاسم معًا.

١٢) وأورد ابن مغاور قطعة من الشعر هنًّأ فيها أحد القادة بمولود (الصفحة٢١٠ س٦أسفل).

بعـــيدِ السّـــعود وخفـــق البُنود   وقَـــوْدِ الجُـــنود وعـــزّ الدُّوَلِ

وضبطت الأبيات بكسر حرف الروي فيها جميعًا (عدا بيتًا واحدًا).

قلت: ١- الصَّوابُ أن تكونَ القافيةُ مقيّدة ((الدّولْ، الأَسَلْ..)) إلخ وليس في أضرُب المُتقارب (فَعِلُنْ).

٢- وإطلاق القافية يُوقع الشعر في الإقواء.

(*) [الرأي أن العبارتين فصيحتان:

فقد قال عمر بن الخطاب لأبي سفيان في نهاية معركة أُحُد: ها أنا عُمر!

وقال الشاعر المخضرم أبو كبير الهذلي: ... فها أنا أبكي والفؤاد قريح.

وقال الشاعر المخضرم سحيم عبد بني الحسحاس: ... ها أنا دون الحبيب يا وَجَعُ.

وقال خالد بن الوليد: وها أنا أموت حتف أنفي...

وقال صالح بن عبد القدوس (ت١٦٧هـ):

رضيتُ بوَحدتي ولزمت بيتي   فها أنا لا أُزار ولا أَزُورا]/ المجلة.

١٣) وقال (ص٢٢٨ س٩).

ليت شعري وهي الجبالُ الرّواسي مَنْ يُجِرْني من صَعْقِ هَدِّ الجبالِ

والشعر لابن مغاور. و (مَنْ) في الشطر الثاني هي اسمُ استفهام وليستْ شرطية، ويكون جزم (يُجير) ضرورةً قبيحة جدًّا لا يرتكبها مثل ابن مغاور.

قلت: اقرأ: «مَنْ مُجيري من صَعْقِ هَدّ الجبال»؟...

١٤) وقال (ص٢٣٥ س٤ أسفل).

«تأرّجتِ فتبرّجَتِ، ودَفَرْتِ صنافًا فاتخذتِ صوانا، وجُنِنْتِ فَرقا فاتّخذت نفقا..».

قلت: ١– ضبط المحقّق. دفرْت بفتح الفاء والصواب كسرها يُقال دَفِرَ يَدْفَرُ أي: نَتِنَ، ومعنى أدْفَر: فاحَ ريحُ صُنَانه.

– والصُّنان: دَفر الإبط، وريح الذَّفر.

٢– قوله: «صنافًا» خطأ، والصّواب «صنانا». وهي تُوافق المعنى المطلوب، وتوافق السَّجع أيضًا.

١٥) قال (ص٢٤٨ س٤ أسفل).

«إنّي احتجت إلى ماتَعْرى من لَبُوسه ظُهور الرّجال ويُحاك منه وشي البُرود من الخال، أعلى من جنس الدّمقس وألْيَن من حلّة أُكيدر في المَلْمَس، لو رآهُ هشام استأثر منه بالعِلق الثمين...».

– وقال المحقّق في الحاشية (٣١٨): «هو هشام بن عبد الملك الخليفة الأمويّ».

قلت: يُزادُ في الحاشية من مروج الذهب في أخبار هشام أنّه «**استَجاد الكُسى والفُرش**»[٣٤]، ومن هنا كانت عبارة ابن مغاور.

(٣٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣: ٢١٧.

١٦) وقال (ص٢٥٧ س٥ أسفل).

«وانتفضَ إليَّ كما انتفض إلى الفريسة أُسامة، وانتفض الضريحُ آية للناس بمحلم بن جُثامة..».

والفعْلان في النّص: (انتفض) بالفاء.

قلت: الثانية هي بالقاف: **انتقض**، ومعنى انتقض البِنَاءُ: تَهدّم، وهو المعنى المقصود لأنّ محلّم بن جثامة لمّا دُفِنَ لفظتْه الأرضُ مرّة بعد مرّة، وقد سبق ذكره في الرسائل ص٢٣٣.

١٧) وقال (ص٢٥٩ س١).

«لا زلت تُحَسِّنُ صَنِيْعا، وتَجبُر صَرِيعا...».

قلت: ١- اقرأ: «**تُحْسِنُ**» فهي تُوازن «تَجْبُر» في مقياس صنعة الكلام.

٢- هذا يأخذ من قول أبي الطيب[٣٥]:

رُبّمـا تُحْسِنُ الصَّنيعَ ليالِيـ... ...ـهِ ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا

رابعًا: مايتعلّق بالشعر

١) قال (ص١١٧ س٥).

«فأيُّ نشاطِ أَجُرُّ رَسَنَهْ، بعد أربعِ وسبعين سَنه؟».

قلت: هذا من شعرِ لابن خفاجة[٣٦]:

أيُّ أُنسٍ أو غِذاءٍ أو سِنَةْ ... لابنِ إحدى وثمانين سَنَهْ؟

قلّص الشيبُ بها ظلّ امرئٍ ... طالما جَرَّ صِباهُ رسَنَهْ

تارةً تخطُو بهِ سيّئةٌ ... تُسْخِنُ العينَ وأُخرى حَسَنَهْ!

---

(٣٥) ديوانه (عزام): ٤٧٠.

(٣٦) ديوان ابن خفاجة: ٣٥٥.

وقد سبق لابن مُغاور أن استفاد في ترسّله وشعره من ابن خفاجة[٣٧].

٢) وقال (ص١٤٧ س٣).

«فأبَوا وثناؤهم يعذب في عذباهم...».

قلت: يَقْرُبُ من قول نُصَيب الأكبر في مدح سُليمان بن عبد الملك (قبل خلافته) [٣٨]:

فعَـــاجُوا فأثْـــنَوا بالّذي أَنْتَ أهلُه   ولـــو سَـــكَتُوا أَثْنَـــتْ عليك الحَقائبُ

٣) وقال (ص١٥٨ س٣ أسفل).

«وهيّأ للثغور الغربيّة أمانًا جمع الذّئب والنّعجة، فهما راتعان في مَرادها، وأناف بكل نسمةٍ ساعية على بغيتها ومرادها..».

قلت: ١- المَراد (بفتح الميم) والمُستَراد: اسم مكان من الارتياد: فيه ترعى الإبل وسائر الأنعام.

٢- العبارة من قول مخلّد بن بكّار في مدح محمد بن البعيث[٣٩]:

يَلْقَـــى الأمانَ على حياضِ مُحَمّدٍ   ثَـــوْلاءُ مُخْـــرِفَةٌ وذئبٌ أطْلَسُ

والثّولاء: شاةٌ أصابها جُنون. والمخرفة: مَعها خروف (ولدها) يَتْبَعُها.

٤) وقال (ص١٦٤ س٢ أسفل).

«حتى أشرقتني النوائب بالعذب البَرُود... وكلّفتني رَدّ مافات، وجاوز اللهوات، وكدّرت قرارة الإحْسَان».

---

(٣٧) يُنظر كتاب ابن مغاور الشّاطبي (مثلاً: ٨٤، ١١٧، ١٨٠).

(٣٨) ديوان نصيب: ٥٩ (وللشعر خبر).

(٣٩) الحماسة المغربية ط٢: ٣٨٧ – ٣٨٨.

– ويُراجع الكلام في اسم الشاعر.

قلت: الجملة الأخيرة من العبارة، من قول أبي الطيب في قصيدته التأمّلية في الزمان[٤٠]:

ربمــا تحســن الصّــنيع لياليــ.. ..ـــه ولكنْ تكدّر الإحسانا

٥) وفي الصفحة ١٦٧ من ملاحق الرسائل:

«قال أبو مسمر:

أُفٌّ لدنـــيا أبـــت تواتـــيني إلاّ بنقضــي لهــا عُــرى ديني

عَــيْني لِحَــيْني تُديــر مُقْلَــتَها تــريدُ ماســاءَها لِــتُرديني!

– أثبته أبا (مسمر) بالميم.

قلت: ١– هو أبو مسهر (بالهاء) عبد الأعلى بن مسهر الغَسّاني الدمشقي من حفّاظ الحديث، توفي ٢١٨هـ.

٢– في البيت الثّاني نظرٌ إلى قول بشّار الذي ارتجله[٤١]:

نظـــرتْ عَـــيْني لِحَـــيْني نظَـــرًا وافَـــق شَـــيْني

٦) وأنشد ابن مغاور من غير شعره قطعةً من ثلاثة أبيات (ص١٧٩).

يــا أيّهــا السّــائل عن منــزلي نــزلــتُ في الخان على نفسي

أغــدو إلى الخــبز مــن خابــزٍ لا يقــبل الــرّهن ولا يُنســي

آكــلُ مــن كيسي ومن كسوتي حــتى لقــد أوجعنــي ضرسي

وقد وردت الأبيات في الرسائل ص١٧٩، ونقلها المحقّق قبل في مقدمة الكتاب ص٢٨.

---

(٤٠) ديوان أبي الطيب (عزام): ٤٧٠.

(٤١) البيت: أوّل قطعة من ستّة أبيات، لها خبرٌ في الأغاني، نقله في ملحق ديوان بشار ٤: ٢٠٥– ٢٠٦. يُنظر الديوان وحواشي الصّفحتين المذكورتين.

قلت: ١- الأبيات في زهر الآداب كما نبّه المحقّق. غير أن في النصّ هنا خطأين: في البيت الثاني «أغدو إلى الخبز»، والصّواب: إلى الخبّاز. وفي البيت الثالث «ومن كسوتي» والصّواب «ومن كسرتي». وقد وردا على الصواب في زهر الآداب(٤٢).

٢- وقول الشاعر: «ولا يُنسي» هذه مخففة من «يُنسئ» بالهمزة أي لا يبيع بأجل (بالدَّين).

٣- الكِسْرَة: الخُبزة. قال بن عبد ربّه(٤٣):

أمّـــا الشَّـــرابُ فإنّي لست أقْرَبُهُ   ولَسْتُ آتيك إلاّ كِسْرَتي بيدي!

٧) وقال (ص١٩٩ س٥ أسفل):

«... اللّهمّ إلاّ إن كان شَحْمُهُ ورَما، والشّباب هَرما، والشرابُ سرابا...».

قلت: هذا من قول أبي الطيب(٤٤):

أُعيـــذُها نظـــراتٍ مـــنك صـــادقةً   أن تحســـبَ الشّحمَ فيمَن شَحْمُهُ وَرَمُ!

٨) وقال (ص٢٠٠ س٤):

«ويُحتمى ذماره وجنابُه، ولا تمرّ دون طارق الأضياف كلابُه...».

قلت: اشتهر قول الحطيئة(٤٥):

مَلُّـــوا قِـــراهُ وهَـــرَّتْهُ كلابُهُـــم   وجَـــرَّحُوهُ بأنـــيابٍ وأضراسِ

---

(٤٢) زهر الآداب (طبعة البجاوي) ١: ١٦٠.

(٤٣) ديوان ابن عبد ربّه: ٥١ وللأبيات خبر طريف.

(٤٤) ديوانه (عزام): ٣٢٣.

(٤٥) ديوان الحطيئة: ٤٩.

٩) أورد ابن مغاور (ص٢٠١ س٦ أسفل) هذا البيت:

إن الكـــلاب بمـــثله عُقْـــمُ   عقـــم الكـــلاب فمـــا يلدن بمثله

وقال المحقّق (الحاشية ١٩٨): تصرّفَ الكاتب في البيت المعروف:

إن النســـاء بمـــثله عُقْـــمُ   عقـــم النســـاء فمـــا يلدن بمثله

قلت: لم يرد في رواية البيت عبارة «بمثله» ورُوي فيه(٤٦):

إنّ النّســـاء بمـــثله عُقْـــمُ   عقـــم النّســـاء فما يلدن شبيهه

ورُوي: فلم يلدن، و: فلا يلدن.

ولو كانت الكلمة هي: «مثله» للزم إسقاط الباء لأنّ «ولد» لا تتعدّى بالباء في هذا السِّياق.

١٠) وقال (ص٢٠٧ س٣) عند ذكر قرية اسمها «إغرش» من أعمال شاطبة:

«... أنّ من جُملة مَنْ كان فيها رجلاً يُعْرَفُ بالمالقي يُتقبلُ دعاؤه ويُستجاب، وتنشأ السحابُ بهِ وتنجاب...».

قلت: في شعر لأبي طالب في رسول الله ﷺ(٤٧):

ثمـــال اليـــتامى عصمةٌ للأَراملِ   وأبـــيض يُستسقى الغمام بوجهه

وقد قال ابن مغاور في الصفة نفسها:

«كانت مقرًّا للأبرار، وموطنًا للأَخْيار ومنشأ لكلّ مستجاب الدعوة، كريم المناجاة والخلوة يُستنـــزل به المطر ويُستدفع به الضرر...».

---

(٤٦) انظر البيت في قطعة نُسبت لأبي دهبل الجمحي: الحماسة المغربية ط٢: ٧٢- ٧٣ وتخريجها فيه.

(٤٧) الحماسة المغربية ط٢، ج١/ ص١٠٤.

١١) وقال: (ص٢٠٩ س١ أسفل)

«وألجأتْهُ إلى العودة إليه فاقَتُه وعَيْلَتهُ، مع فَرَقٍ ورُعب على أفراخٍ حمر الحواصلِ زُغب...».

قلت: هذا من قول الحطيئة[٤٨]:

مـــاذا تقـــول لأفراخٍ بذي مَرخٍ زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجرُ

- ورُوي أيضًا: «حُمْر الحَواصل» وقد استفاد ابن مغاور من الروايتين.

١٢) وقال (ص٢١٦ س٢- ٣)

«فكم من داعٍ لَدَيْنا: اللهمَّ حَوالينا ولا عَلينا، فكأنا نستسقي بالاستصحاء، ونبط تحت كل قدمٍ بئر حاء...».

قلت: ١- عبارة «اللّهم حوالينا ولا علينا» من حديث الاستسقاء مشهورة[٤٩]، قال ابن الأثير: يريد اللّهمّ أنزل الغَيْث علينا في مواضع النّبات لا في مواضع الأبنية[٥٠].

٢- استدرك المحقّق في آخر الكتاب على عبارة «فكأننا نستسقي بالاستصحاء» بشعر لابن الطّراوة الأندلسي (ابن مغاور ٢٧١).

---

(٤٨) ديوان الحطيئة: ١٩١- ١٩٢.

- و«حمر الحواصل» كناية عن صغرهم.

(٤٩) النّهاية، واللسان (ح و ل).

(٥٠) قال المحقّق، وأحْسَن: «تُذَكّر هذه السجعةُ بقولِ ابن الطّراوة المالقي:

خـــرَجُوا ليستســـقوا وقـــد نشـــأت بحـــريّةٌ قَمِـــنٌ بهـــا السَّـــحُ

حـــتى إذا اصـــطفّوا لدعوتهـــم وبـــدا لأعيـــنهم بهـــا نضْـــحُ

كُشِـــفَ الغَمـــامُ إجابـــةً لهـــمُ فكأنما خَرجُـــوا لـيســتـصحوا!!»

قلت: سَبق إلى المَعْنى أبو عليّ المُحَسّن بن علي التّنوخي (المتوفى ٣٨٤هـ) وقال معرّضًا بأحد الفقهاء[٥١]:

خَرجــنا لنستســقي بِيُمْنِ دعائه ... وقــد كادَ هُدْبُ الغَيمِ أن يلغ الأَرْضا

فــلما ابْتدا يَدْعُو تَقشَّعت السَّما ... فمَــا تمّ إلا والغَمامُ قد انْفَضَّا!

١٣) وقال (ص٢١٩ س٤ أسفل)

قــد يجمــع الله بين النّازِحَيْنِ معًا ... مَنْ بالحجازِ بمن في أرضِ أَنْدَلُسِ

قلت: هذا البيت يشربُ من قول مجنون ليلى[٥٢]:

وقــد يجمــع الله الشتيتين بعدما ... يظــنان كــلّ الظنّ أن لاّتلاقيا

١٤) وقال (ص٢٢٠ س٦)

«وكيف بهذا التأويل، وقد أنافَ على التّأميل، وبات بوادٍ وحوله إذْخِرٌ وجَليل...» إلخ.

قلت: الإشارة إلى قول بلال ﷺ:

ألا ليــت شــعري هل أبيتنّ ليلةً ... بفــجٍّ وحــولي إذْخِرٌ وجليل؟

وهــل أَرِدَنْ يومًــا مــياهَ مَجنّةٍ ... وهــل يبدوَنْ لي شامَةٌ وطفيلُ؟

(الإذْخِر: حشيش طيّب الرِّيح. وقد وردت الكلمة في بعض أخبار السِيرة النبوية. والجليل: الثّمام: نبتٌ ضعيف يُحْشى به خصاصُ البيوت)[٥٣].

١٥) وقال (ص٢٢٩ س ١-٢)

---

(٥١) وفيات الأعيان ٤: ١٦٠.

(٥٢) ديوان مجنون ليلى ٢٩٣، ويُنظر فيه ماقيل في نسبة البيت، ومصادر تخريجه.

(٥٣) اللّسان (ج ل ل).

– والبيتان فاشيان في كثير من المصادر (انظر مثلاً: مختصر ابن عساكر ٥: ٢٥٩، ومعجم البُلدان: مواضع متفرقة).

لكـنّني أسـأل الـرحمن مغفرةً تَمْحُـو الذنوب التي قدّمتُ في عمري
تـأتي قبـيل لقـاء الله خالصـةً كمـا أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ

قلت: في الشعر اقتباس قرآني أشار إليه المحقّق؛ وأزيدُ أنّ جريرًا سبقَ فقال (في معرض الثناء على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه):

أنْـتَ المـباركُ والمهـديُّ سيرتُهُ تعصي الهَوى وتقومُ الليل بالسُّوَرِ
نـالَ الخلافة إذْ كانت لـه قَدرًا كمـا أتـى ربَّهُ موسى على قَدَرِ(٥٤)

١٦) وقال (ص٢٢٨ س٥ أسفل):

«اجتزْتُ يومًا على مكانٍ كنت خلوتُ فيه في أيام الصِّبا إلى بطالة فاستغفرت الله تعالى وقلت:

يا ويح نفسي ماذا قبلُ قد كسبت مـن المـآثم في بدوٍ وفي حَضَرِ

قلت: يُشار هنا إلى نمطٍ من الشّعر شاع في الأندلس، من وقتٍ مبكّر، في آثار شعراء كُثُرٍ نَحَوْا هذا المنحى من التكفير عن شعرٍ مضى أو أمرٍ سبق بأشعار جديدة فيها معاني الأوبة والتوبة، والتنصّل مما كان، والتلوّم عُرِفت باسم الممحّصات، أو المكفّرات(٥٥).

١٧) وقال (ص٢٢٨ س٨)

قـل لمن سال عن شكاتي وحالي لست أشكو سوى الذنوب الثقالِ!

قلت: كررّ أبو إسحاق الإلبيري الكلام على الذنوب الثّقال بأساليب

(٥٤) ديوان جرير ١: ٤١٦.

(٥٥) يُنظر مثلاً ديوان ابن عبد ربّه:

– وفَضل الزّهد من كتاب «في الأدب الأندلسي» لمحمد رضوان الداية – نشر دار الفكر – دمشق – الطبعة الثانية.

مختلفة، قال[٥٦]:

فـإن عاقبـتَ يـاربّي تعاقـب محقّـا بـالعذاب وبالـنّكالِ
وإن تعـف فعفـوك قـد أراني لأفعـالي وأوزاري الـثقالِ

وقال[٥٧]:

مـا يـثقل المـيزان إلا بامـرئٍ قـد خَـفَّ كاهلُه من الأثقال

وقال[٥٨]:

ثقلـت من الذنوب ولست تخشى لجهلـك أن تخـفَّ إذا وزنـتا

– وفي بعض شعر ابن مغاور صدىً لشعر الإلبيري.

١٨) وقال (ص٢٣٦ س٨)

«فبتّ ليالي أتقلّب سليما، وأضع يدي على صدري كليما...».

أي يتقلّب في فراشه تقلّب السليم: أي اللّديغ الذي لدغته أفعى. وهذه الليالي هي من اللّيالي النابغيّة، وقد قال[٥٩]:

فبـتّ كـأني سـاورَتني ضئيلةٌ مـن الرُّقْشِ في أنيابها السمّ ناقعُ

١٩) وقال (ص٢٣٧ س٣)

«فإن أنسأ القدر في الأجل، وأرْخى للعمر في الطّوَل فسأتبعه ذيلاً يكون أكثر منه نيلا...».

---

(٥٦) ديوان الإلبيري ١٣٩.

(٥٧) المصدر السابق ٤٦.

(٥٨) المصدر السابق ٣٢.

(٥٩) ديوان النابغة الذبياني: ٣٠.

قلت: هذا من قول طرفة(٦٠):

لعمـــرك إن المـــوت ماأخطأ الفتى   لكـــالطِّوَل المُرْخى وثنياهُ في اليَدِ

والطِّوَلُ: الحبل الذي يُطوَّل للدابّة فترعى فيه(٦١).

٢٠) وقال (ص٢٤٦ س٢ أسفل)

«... ويتضوّع بطن نَعْمانَ بِصَباه، وسلامًا يحلُّ له حُبَاه...».

قلت: هذا من قول محمد بن عبد الله النميري الثقفي:

تضوّع مسكًا بطن نعمان أنْ مشتْ   بـــه زينـــب في نســـوة خَفِراتِ

والبيت من قصيدة من أرقّ الغزل وأعذبه. و (زينب) هي أخت الحجّاج. وللشاعر خبر مع الحجّاج طريف في هذا الشعر(٦٢).

٢١) وقال (ص٢٥٢ س٩– ١٠)

«فلو غير المنيّة آلمته، أو يدٌ سواها رمته أو رامته، **إذن لقامت لنصره الأساودُ** والأُسود، وعُقِدت لِثارِه الرايات السُّود...».

قلت: هو من قول الحماسي(٦٣):

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي   بـــنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

إذن لقـــام بنصـــري معشر خشنٌ   عـــند الحفـــيظة إنْ ذو لوثة لانا

---

(٦٠) ديوان طرفة: ٣٧.

(٦١) يُسمّيه أهل الشام في دارجتهم: الطّوالة، وفي أمثالهم: «ثور الشّراكة (الشّركة) يموت على الطّوالة»: لأنّ كل واحد في الشّركة يتّكل على شريكه في مدّ الحبل للثور ليرعى؛ فيهمل فيموت.

(٦٢) الأغاني (دار الثقافة – بيروت) ٦: ١٨٢.

(٦٣) الحماسة بشرح المرزوقي ١: ٢٣– ٢٥.

– ولعل عبارة المؤلّف لو أسْعَف الرّسْمُ «إذن لقامت بنصره».

٢٢) وقال (ص٢٥٧ س٢-٣ أسفل):

«فنظرتُ يمنةً وشَمْلة، فلم أرَ إلا خنجرًا وشَمْلة، فلففتُها على ذراعي، وقلت لنفسي: لا تُراعي...».

قلت: هذا من قول قطريّ بن الفجاءَة:

أقــول لهــا وقــد طارت شَعاعًا ... مــن الأبطال ويحك لا تُرَاعي!

فــإنك لــو ســألت بقــاء يوم ... عــلى الأجل الذي لك لم تطاعي(٦٤)

٢٣) وقال (ص٢٦٦ س٤ أسفل)

«نبأ يكرهه المحدّث والسّامع، وتكاد تستك منه المسامع...».

قلت: هذا من قول النابغة الذبياني من عينيّته الاعتذارية(٦٥):

أتــاني – أبيــتَ اللّعــن – أنّك لمتني ... وتلــكَ الــتي تَسْــتَكُّ مِنْها المَسامِعُ!

خامسًا: مايتعلّق بالأمثال والأقوال:

١) قال (ص١١٣ س١٠)

«فَيستَنْسِرُ البُغاث، وتَستَفْحِلُ الإناث...».

قلت: ١– أشار المحقّق إلى المثل: إنّ البُغاث بأرضنا يَستنسر».

---

(٦٤) شعر الخوارج: ٤٢.

– ونقله د. وليد قصاب في ديوان قطري: ٦٨.

(٦٥) ديوان النابغة: ٣٤.

– معنى تستكّ: تشتدّ وتضيق فلا تُسْمِع، والمسامع جمع المسمع وهو الأذن. والسكك: ضيق الصّماخ. يقول: تلك الملامة التي أتتني عنك أصَمّت مسامعي، كراهةً لسماعها. (من شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِيّ على الدّيوان).

٢- وفي الجُملة الثانية إشارة إلى مَثَل؛ وقد قلبه ابن مغاور، وهو: «استَنْوَق الجمَل» ومعناه: صار كالنّاقة في ذُلّها كما شَرحه ابنُ سيده[٦٦].

٢) وقال (ص١١٥ س١ أسفل)

«شنشنة أعرفها من أخزم، ومَنْ أشبَه أباه فما ظلَم، السيّد الأجلّ، الهمام الأفضل...».

- استخرج المحقّق المثل الأول «شنشنة أعرفها من أخزم»

قلت: والعبارة الثانية من أمثال العرب: أي من أشبه أباه لم يضع الشبه في غير موضعه...»[٦٧].

٣) وقال (ص١٢٢ س ٦أسفل)

«فكلّما رعى الناس السَّعْدان رَعَيْنا مُرارا، واللبن من المُرار مُرّ، ومن السعدان طيّب حُرّ...».

قلت: ١- في الكلام إشارة إلى مثل عربي قديم مشهور: «ماءٌ ولا كصَدّى، ومرعى ولا كالسَّعدان»[٦٨]. وفي اللّسان: سُئلت امرأةٌ تزوّجت عن زوجها الثاني: أين هو من الأوّل؟ فقالت: مَرْعًى ولا كالسَّعدان، فذهبت مثلاً، والمُراد بالمثل أنّ السَّعدان من أفضل مراعيهم.

٢- **المُرار:** شجر مُرّ، قيل: إذا أكلته الإبل قَلّصت عنه مَشافرها.

والسَّعدان نبات. والإبل تَسْمَنُ على السّعدان وتطيبُ ألبانُها. والسعدان من أطيب مراعي الإبل.

---

(٦٦) اللسان (ن و ق).

(٦٧) مجمع الأمثال ٢: ٣٠٠.

(٦٨) مجمع الأمثال ٢: ٢٧٧، واللسان (س ع د).

٤) وقال (ص١٢٢ س١ أسفل)

«.. وغاراتُهم تُشنّ علينا يمينًا ويسارا، وأيديهم تتقسّمنا قتلاً وإسارا، فكلما هَبَبْنا ريحًا لاقينا إعصارا...».

قلت: هذا من مثل مشهور «إن كنت ريحًا فقد لاقيتَ إعصارا» قال أبو عبيدة في شرحه: الإعصار ريح تهبّ شديدةً فيما بين السماء والأرض. ويُضرب مثلاً للمُدِلّ بنفسه إذا صَلِيَ بمن هو أدْهى منه(٦٩)!

٥) وقال (ص١٦٧ س١ أسفل).

«ولو شبّ في كل تَلْعةٍ نارا، ورفع النيّر الأكبر منارا، وقدح شجر الأرض مَرْخًا وعَفارا..».

قلت: هذا من المثل المشهور: «في كل شجر نار واستَمْجَد المَرْخُ والعَفار» (٧٠)، وهما نوعان من الشجر: يضرب الزند (ويكون في الأعلى) على العفار (ويكون في الأسفل) فيتطاير الشّرر وتُتخذ النار.

٦) وقال (ص١٧٠ س٤–٥ أسفل)

«وبوادي الطين ناس في زيّ الشياطين، وعزّة السلاطين، عُربان كالغِربان، ونذير بالشرّ عُريان، وانْجُ يا فلان فهنا سُلِبَ فلان...».

قلت: ١– قوله «عُرْبان كالغِرْبان» من قول العرب «غُرابيّ وغربيب» إذا كان شديد السّواد. والتلميح إلى أَغربة العرب مثل عنترة وخفاف بن ندبة، وأبي عمير بن الحباب، وسليك بن السلكة، والشنفرى وتأبّط شرًّا، وهشام بن عقبة وغيرهم..

---

(٦٩) مجمع الأمثال ١: ٣٠.

(٧٠) مجمع الأمثال ٢: ٧٤.

– نقل ذلك في اللسان (غ ر ب) عن ابن الأعرابي[٧١].

٢– قوله «ونذيرٌ بالشرّ عُريان» من عبارة: «أَنا النّذير العُريان» قالها أحد بني خَثْعَم في خبرٍ له. وورد في الأثر «إنّما مَثَلي ومثلكم كمثل رَجُلٍ أَنْذَر قومه جَيْشًا فقال: أنا النّذير العُريان...» خصّ العُريان لأنه أَبْيَنُ للعَيْن، وأغرب وأشنع عند المُبصر..[٧٢].

٣– وقوله «انْجُ يا فُلان» من المثل المشهور: انْجُ سعد فقد هلك سُعيد!»[٧٣].

٧) وقال (ص٢٠٨ س٧)

«وأياديه في الأعناق والجباه أثر السجود، وطوق الحمامة، ولا زال يُحرز شأو الفضائل عفوًا دون نصَبٍ ولا سآمة..».

قلت: تضرب العرب المثل في الأمر الملازم والشيء اللازم بطوق الحمامة، وفي ثمار القلوب: طوق الحمامة يُضرب مثلاً لما يلزم ولا يبرح ويُقيم ويستديم[٧٤].

٨) وقال (ص٢٢٧ س٢–٣)

---

(٧١) النهاية، واللسان (غ ر ب).

(٧٢) النهاية، واللسان (ع ر ي).

– وفي الفتح الكبير ٣: ١٣٤ في الحديث «مثلي ومثل مابعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال يا قوم: إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء...» الحديث.

(٧٣) من مثل طويل ورد في شرح «الحديث ذو شجون» وفيه: انْجُ سعد فقد هلك سعيد».

– انظر: الميداني ١: ١٩٧ وأمثال العسكري ١: ٢٧٦، والفاخر في الأمثال ٥٩، والوسيط للواحدي: ٣٦.

(٧٤) ثمار القلوب (مصر): ٤٦٥.

«فصَبْرًا – جَدَّد اللهُ أُنسك – صَبْرا، لا تندبْ رِمّةً وقبرا، وارْضَ به لكريمتك صِهْرًا بَرًّا، واستَقْبِلْ أجْرا...».

قلت: في أمثال المولّدين[٧٥]: «نعم الصِّهْرُ القَبْر».

– وقالوا: دَفْنُ البَنات من المَكْرُمَات.

– ونقل في اللّسان عن ابن سيده: وربّما كنّوا بالصِّهْرِ عن القبر، لأنّهم كانوا يئدون البَنات، فَيدْفِنُونَهنّ، فيقولون: زوَّجْنَاهُنّ من القبر، ثم استُعمل هذا اللفظ في الإسلام فقيل: نِعْمَ الصِّهْرُ القبر. وقيل: هذا على المثل، أي: الذي يقوم مقامَ الصِّهر، قال: وهو الصّحيح[٧٦].

– يعني على المجاز.

٩) وقال (ص٢٣٢ س١)

«سيل بلغ الزُّبى، وحُكْم جَدَع أنوف الرُّبا، وزاد على المعهود وأرْبى..».

قلت: «بلغ السيل الزبى»[٧٧]، مثل مشهور. والزُّبى جمع زُبْيَة: حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان جارفًا مُجحفًا. يُضرب المثل لِمَا جاوز الحدّ، ومثله: أيضًا: بلغ السكين العظم، وبلغ منه المخنق.

سادسًا: ملاحظات في اللغة، والشّرح

١) قال (ص٦٣ س١٢)

«هكذا تُنتهز الفُرَص، وينشأ في حلوق الأعادي الشَّرَق والغُصَص...».

(٧٥) أمثال المولّدين للخوارزمي: ١٠٩.

(٧٦) اللسان: (ص هـ ر).

(٧٧) مجمع الأمثال ١: ٩١.

- أوْرَد «الغُصَص» هكذا بضمّ الغين.

قلت: الشَّرَق مَصْدَرُ شَرِق، والغَصَصُ (بفتح الغَين) مصدر غَصّ، وهي المُرادة؛ أمَّا الغُصَص (بضمّ الغين) فجمع غُصَّة.

٢) وفي (ص١١٥ س٧–٨) أثنى ابن مغاور على ولد الخليفة، فقال: «كفّه أجود من الغمام، وعزمه أمضى من الحسام، ووجهه أشرقُ من بدر التمام...» ثم استأنس بقول أبي سليمان الخطّابي:

خلقٌ مشرقٌ ورأي حسامٌ ووِدادٌ عذبٌ وريحٌ جَنُوبُ

قلت: يُوَضّح الاستشهادَ بشعر الخطّابي شرحُ «ريح الجنوب» فقد نقل في اللسان: قال الأصمعي إذا جاءت ريح الجنوب جاء معها خير وتلقيح، وإذا جاءت الشمال نشفت. وتقول العرب للاثنين إذا كانا متصافيين: رِيحُهما جَنُوب[(٧٨)].

٣) وفي (ص١١٨ س٣) شعر وردت فيه كلمة (عارية) هكذا، والصواب تشديد الياء: عارِيّة. والعارة والعاريّة: ماتعطيه غيرك على أن يُعيده إليك. قال الجوهري:

كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عارٌ وعيب...

- وقد وردت الكلمة هكذا بياء واحدة في أكثر من موضع في رسائل ابن مغاور (التحقيق، والتقديم).

٤) وقال (ص١١٩ س٦)

«... حتّى أقام الأَمْتَ والمَيَل، وكمّل الدين كما كان وأَمْرُهُ قد كمل، ورضي عن حواريّه ووليه وخليفته بعده..»).

---

(٧٨) اللسان (ج ن ب).

قلت: ١- الصواب: «حتّى أقامَ **الأَمْتَ** والمَيَل...» أي: العِوَج.

٢- والصواب: «ورضي عن **حوارِيِّه**» بالإفراد، فالمقصود واحدٌ لا جمع.

٥) وقال (ص١٢٠ س٦)

«... الذي جمع خلال الخلافة وأشراطَها، وأوضح سبيل الحنفيّة السّمحة وصراطَها...».

قلت: الصواب: «الحنيفيّة» لأنّه يتحدّث عن الشريعة الإسلامية لا عن المذهب المعروف. والمذهب الغالب في الأندلس – كان – المالكي.

٦) وقال (ص١٢٢ س١)

«الملأ من أهل شاطبة راجيه وأُمّاله».

قلت: في كتب اللغة أن جمع آمِل: أَمَلَة، و لم أجد «أُمّال» التي أوردها ابن مغاور.

٧) وقال (ص ١٢٦ س٨)

«وبساط العدل بعد العمرين: عمر بن الخطاب، وأبي بكر بن قحافة».

قلت: ظاهر أن هناك سقطًا، صوابه: وأبي بكر بن أبي قُحافة.

٨) وقال (ص١٣١ س٨)

أضـــرّ بـــه الأَوامُ فحـــامَ وَهْـــنًا عـــلى الـــوِرْد المُـــرَوِّي للشِّفاهِ

قلت: صواب ضبط كلمة **الأُوام** بضم الهمزة ليس غير، وهو حَرارة العَطش، ومثله الأُوار: وزنًا ومعنًى.

٩) وقال (ص١٤٧ س٦ أسفل)

«ولنؤازرنّه إبرامًا ونقضا، ولنكونن معه كشَرْج العَيْبَة أو كالبُنيان يشدّ بعضهُ بَعْضًا».. بسكون راء شرج.

قلت: ١- هي الشَّرَج (بفتح الراء) «عُرى المُصحف والعَيْبَة والخِباء، ونحوها» يُقال شَرَجها وأشْرَجَها وشرَّجها: أدخل بعض عُراها في بعض، وداخل بين أشراجها... وفي حديث الأحنف (اللسان ش ر ج) فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتُها...» أي شدّها بالعُرى.

٢- في الكلام أخذ من الحديث المشهور «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا». وهو مشهورٌ جدًّا.

١٠) وقال (ص١٦١ س٨ أسفل)

بِهُدَاكــــم إن ضَــــلِلْنا نهـــتدي   وبكـــم يُضـــرب في الصّبرِ المَثَلْ

– (ضبط الفعل بكسر اللام الأولى).

قلت: ١- الفعل ضلّ يَضِلُّ بكسر الضاد في المضارع، وضَلّ يَضَلُّ بفتحها أيضًا. أما اللام فلم ترد مكسورة إذا فُكّ الإدغام(*).

٢- بالمناسبة: الشعر من معنى آية قرآنية: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٦/٩٠].

١١) وقال (ص١٦٦ س٤ أسفل)

«فناديتُ بعطشي وأَعْلَيْتُ النّداء، واستَسْقَيْتُ وحَوَّلْت الرّداء، فآن لسحائب مولاي أن تسقيني غَدقًا طبقًا، وأروح إلى وَطني مُنطلقًا طلقا؛ قد جادتني [الجهَام] صبًّا صبًّا، واخضرّت لي الأكام كلأً وأبًّا...»).

قلت: ١- المراد بتحويل الرّداء، أو قلبه ماوَرد في الأَثر عند صلاة الاستسقاء من الخُروج.. وفي: «الفقه الإسلامي وأدلته»: رُوي أنه ﷺ «لما

(*) [جاء في معجم «متن اللغة»: ضَلَلْتَ تَضِلُّ: لغة نجد وهي الفصيحة.
ضَلِلْتَ تَضَلُّ: لغة الحجاز والعالية.
ضَلِلْتَ تَضِلُّ: لغة مرويّة عن تميم] /المجلة.

استسقى حَوَّل ظَهْرَه إلى الناس واستقبل القبلة **وحَوَّل رداءه..**»[٧٩].

٢- كلمة الجهام من اقتراح المحقّق وليست في الأصل المخطوط. وهي غير مناسبة للسّياق لأنّه يرجُو مطرًا يَصُبُّ صبًّا وتخضّر له الأكام كلأً وأبًّا، والجهام: السّحابُ لاماءَ فيه، ويُقال جاءني من هذا الأمر بجهامٍ أي: بما لا خيرَ فيه.

والصَّواب: أن يُقال قد جادتني **الرِّهام**، ومَعْناها المَطَرُ الضّعيف الدّائم الصغير القَطْر. فهذا المطر أكثر الأمطار فائدة للأراضي الزراعيّة. وقد سَمّى لسانُ الدّين بن الخطيب ديوانه: الصَّيِّبُ والجَهام، والماضي والكَهام[٨٠]، فقابل بين الصيّب (المطر الشديد الانصباب) والجهام ثم قابل بين السّيف الماضي القاطع والكهام الذي لايقطع.

- واختَرْتُ الرِّهام لتناسب في السّجع والتّوازن «الإكام».

- وقد وردت الكلمتان: الكهام والجَهام على وجهيهما في رسالة لابن مغاور إلى ابن النقّاش (ص:٢٠٦ س٩).

٣- وردت الكلمة «أكام» وليس في جُموع أكمة: أكام بهمزة واحدة مفتوحة، وفيها: **آكام** (بالمدّ) **وإكام** بكسر الهمزة **وأكمات...**» . والمناسب للنصّ «إكام» بكسر الهمزة.

١٢) وقال (ص١٦٨ س٤):

«ويلقى دون سمائه من نُجوم القذف رجوما...».

قلت: المراد بـ (نجوم القذف) ذلك النوع من الأجْرام الذي جُعِلَ

(٧٩) الفقه الإسلامي وأدلّته – وهبة الزحيلي – ط٤ – دار الفكر دمشق – ٢: ١٤٤٩ وللكلام تفصيل وأدلة تُنظر فيه.

(٨٠) طُبع مرتين: في الجزائر، وفي المغرب.

رُجومًا للشّياطين، وفي سورة المُلك: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الآية٥].

١٣) وقال (ص١٧١ س٤-٥)

«فبتّ بليلة السليم الكليم، المُكابد للعذاب الأليم، كأنما كحلت عيني بالسُّهاد، وفرش وسادي بشوك القتاد...».

قلت: ١- السّليم هنا اللديغ، سمّوه السليم على التفاؤل، ومنه قول النابغة:

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة   من الرُّقش في أنيابها السمّ ناقع[٨١]

٢- لا أعرفهم قالوا «بات بليلة السّليم»، ولكنهم قالوا «بات بليلة أَنْقَد»، والأنقد القُنْفُذ لأنه لا ينامُ اللّيل كُلّه. وقالوا: ذهبوا إسراءَ قُنفذ، يعني: ذهبُوا ليلاً، لأنّ القُنفذ يسري في الليل كثيرًا.

- والعبارة خالصة للكاتب.

١٤) وقال (ص١٧٣ س٩)

«ثم استقبلنا يوم عروبةٍ غرناطة» بتنوين عروبة.

قلت: ١- تقرأ يوم عروبةَ بترك التنوين. وقد ورد عن العرب: يومُ عروبةَ، ويوم العروبة.

٢- ويوم عَرُوبةَ هو يوم الجمعة.

٣- ورَدت الكلمة على الصّواب ص١٩١ س٣ أسفل.

١٥) وقال (ص١٨٠ س٣ أسفل)

«فما راعنَا خلال تلك الأنجاد والأوهاد إلاّ لِمّة مستلئمة...» .

قلت: في اللسان: أنّ جمع وهدة: أوهد، ووَهْد، ووِهاد. والوَهْدُ والوهدة: المطمئنّ من الأرض والمكان المنخفض كأنّه حفرة[٨٢].

- و لم ترد «الأوهاد» في جموع الوَهْدَة.

---

(٨١) اللسان (س ل م) وحياة الحيوان الكبرى للدّميري ٢: ٢١٩ و ١: ٥٣.

(٨٢) اللسان (و هـ د).

١٦) وقال (ص١٨١ س١)

«وقلت: أَفَلَّ فَجُّ المَصالب، لقد ضَعُفَ المطلوبُ منكم لهذا والطالب...».

قلت: ١- يُقال: أَفَلَّ الرجل إذا ذهب ماله، وأفلّت الأرضُ صارت فَلاً أي جَدْبةً أخطأها المطر أعوامًا. وكأنّ «فجّ المصالب» اسم مكان: والعبارة تحتاج إلى مزيد نظر.

٢- في العبارة الثانية اقتباس من قوله تعالى: ﴿..ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [من الآية٧٣ من سورة الحجّ]

١٧) وقال (ص١٨٤ س٦)

وتــؤوبُ للشــرقِ القَصِيّ مُظَفَّرًا وتغيظُ من غَلَبِ الملوك حَسُودا

قلت: كذا وردت الكلمة (غَلَب) بفتح الغين واللام والصواب مِنْ غُلْبِ. وفي اللسان أن العرب يصفون السّادة بغلظ الرقبة وطولها. المذكّر: أغلب، والجمع غُلْب، والمؤنثة غلباء. وفي حديث ابن ذي يزن: «بِيضٌ مرازبة غُلْب جحَاجحة..»[(٨٣)].

١٨) وفي (ص١٩٩ س١-٢).

«وأين هي من نفس حمزة، وحربة أبي دسمة..».

قلت: استدرك المحقّق في آخر الكتاب أبا دسمة، وهي كنية وحشيّ. ويُزاد عليه: الدسمة لغةً السواد. ومنه قيل للحبشي (مطلقًا) أبو دسمة. وأبو دسمة كنية وحشي[(٨٤)]...

---

(٨٣) اللسان (غ ل ب) أي «غُلْب» بضم الغين وإسكان اللام.

(٨٤) اللسان (د س م).

١٩) وقال (ص٢٠٣ س١)

«يصِفُ مع الطّير الصوافّ بجناحٍ ضافٍ..» بكسر صاد «يصفّ»؛

قلت: الصواب: يَصُفُّ (بضم الصّاد) يُقال: صفّت الطيرُ أجنحتها وبسطتها في الطيران فلا تحرّكها، فهي صَوافّ وصافات.

٢٠) وقال (ص٢١٤ س٩)

«فإن النكاح يُغيّل اللبن، فإن الرضاع ينقل الطباع، وقد بذلتُ لك النصيحة فاسمعها، وأريْتُكَ المحجّة البيضاء فاتّبعْها».

قلت: قوله «يُغَيّل اللبن» اشتق ابن مغاور من (الغيل) وهو أن تُرضع المرأة الولد وهي حامل..

٢١) وقال (ص٢١٤ س٥ أسفل)

«وقد بذلت لك النصيحة فاسْمَعْها، وأَرَيْتُكَ المَحَجَّةَ البيضاء فاتَّبِعْها...».

قلت: الأَوْلى مُجاراة ابن مغاور في صنعته الفنيّة، وقراءة العبارة الثانية: «وأريتُك المَحَجَّةَ البيضاء **فاتْبَعْها**...».

٢٢) وقال (ص٢٢٣ س٣ أسفل)

«وبدركم المنير كلّما تجلّى قد كَسَف وخَسَف، واقْتُطِفَ نَوْرُه ونُوْرُه واختُطِف، وحُمّ حمامه وأزِف، ونضب بحره ونزِف..» إلخ.

قلت: العربُ تقول: كسَفَ وخَسَف، وتقول: **كُسِفَ وخُسِف**. والذي يُناسب النصّ الوجه الثاني لمناسبة السّجع.

٢٣) وقال (ص٢٢٧ س٢ أسفل) من الشعر «غَلّق الرّهن عند مولًى كريم» بتشديد اللاّم.

قلت: الصواب: غَلِقَ (ثلاثي الأحرف) ومعنى غَلِق الرهن أي استحقه المرتهنُ، و لم يقدر الراهن على فكّه.

٢٤) وقال (ص٢٣٢ س٢ أسفل)

«كبطشة أبي الأشبال بالنَّقَد..».

قلت: النَّقَدُ (بفتح القاف) جمع النَّقَدة (بفتحها أيضًا): الصغيرة من الغنم.

٢٥) وقال (ص٢٣٣ س١-٢)

«وقالت: مَنْ عاش رَجبًا رأى عجبًا، اَلْفَظْ حديث الزُّواني لفظ المُطْحِن حَبَّ الزُّوَان..».

قلت: ١- قوله «الْفَظْ»(*) صوابُها بكسر همزة الوصل العارضة، فهي فِعْلُ أمر.

٢- قوله «المُطحِن» لم أجدها في المعاجم، و لم أقرأها من قبل؛ وكأنّه يريد الطَّحَّانة الذي حرفتُه الطِّحَانة. والدّارجُ في كلام أهل الشّام اليوم: الطَّحَّان. والقياس لا يمنعه.

٣- قوله: الزُّوان صَوابُه الزُّوان (بضم الزّاي: يُهمز، وبكسرها لا يُهمز، كما في اللسان)[٨٥]، ويُسمّيه أهل الشام الزِّوان – بكسر الزاي، والشّيلم[٨٦].

وفي مُفردات ابن البيطار: «الزّؤان: الحَبُّ الذي يكون في الحِنطة فيفسدها، ويُخْرَجُ منها»[٨٧].

(*) [الوجه أن يقال: الِفظْ، بكسر همزة الوصل العارضة، وكسر الفاء]/ المجلة.

(٨٥) اللسان (ز و ن).

(٨٦) انظر مادة (مشيلم) في معجم الكنايات العاميّة الشاميّة – محمد رضوان الداية : ٢٣٩.

(٨٧) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (زون ١: ١٧٤) و (ش ل م ٢: ٧٤- ٧٥).

ولهذا ذكر ابن مغاور عبارة «لَفَظ» أي أخْرَجَ بالتّنقية. وتنقية القمح من الزّوان وغيره كان من صنعة العَلاّف الذي يكلف به بعض عُمّاله رجالاً أو نساءً. وفي قاموس الصّناعات الشامية(٨٨)، في كلامه على مادة: (الطحّان) أنّ أهل الشام يُفضّلون الخُبز البيتي (على السُّوقي) فهم يشترون الحِنْطة ... **ويعتنون بتنظيفها في دُورهم** وتصويلها أي غسلها بالماء النظيف... إلخ.

٣٠) وقال (ص٢٤٠ س١٠)

«ولو ربَع على ضَلْعِه في خُمولِه، وقاسَ شَبْرَهُ بفترِهِ في مأمولِه...».

قلت: ١- الصواب بالظاء: «على **ظَلْعه**» من: ظلع: عرَج وغمز في مشيه. وقالوا: «اربَعْ على ظَلْعك» أصله من رَبَعْت الحجَر: إذا رفعته بمقدار طاقتك. هذا أصلُه ثم صار المعنى: ارفق على نفسك.

٢- ضَبَط الشّبر بالفتح والصَّواب: شِبْر، بالكَسر. أمّا الشَّبْرُ بالفتح فلهُ مَعانٍ أُخَر.

٣١) وقال (ص٢٥٢ س٤ أسفل)

«مَنْ يجرحُ فَيُدْمي، من يَنْصَحُ فَيُرْبي...».

قلت: لعلّ الأصل: «مَنْ يَنْصَحُ فَيُرْمي» بالميم لا بالباء؛ لأنّ هذا يوافق أسلوب الكاتب في صَنْعَته.

- وفي اللغة: أرْبى على كذا، وأرْمى: زادَ؛ فهما بِمَعنًى.

٣٢) وفي (ص٢٥٩ س١ أسفل)

«كتبَ إلى صديق له وكان مولعًا بالتين الصُّهابي..».

---

(٨٨) قاموس الصناعات الشامية: ٢٩٠- ٢٩١.

- وانظر مادة (علاّف) فيه: ٣١٩.

- قال المحقق في الحاشية (٣٥٥) عند كلمة الصُّهابي إنّ مؤلّف كتاب (عُمدة الطبيب) ذكر أجناسًا من التين منه التّين الصّنّابي؛ وقال: يبدو أنه سُمّي كذلك نظرًا للونه الأبيض الرّمادي.

قلت: قول ابن مغاور «التين الصُّهابي» هو المقصود، وليس في الكلمة تحريف أو تصحيف، فالصُّهبة حمرةٌ يعلوها سَواد. وقد قال ابن مغاور في وصف ذلك التّين (ص٢٦٠ س١٠).

بـــأبي الـــيوم ونفســـي بَلَـــسٌ كَـــثُديَ الـــزَّنْجِ دَرّتْ عَســـلا

فقوله «كثدي الزَّنْج» يُشير إلى معنى الصُّهبة السابق ذكره.

- والبَلَسُ هو التين[٨٩].

بيَانُ المصادر والمرَاجع

- الأعلام – خير الدين الزركلي– دار العلم للملايين – ١٩٨٩م.
- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني– دار الثقافة بيروت (بعناية عبد السَّتّار فراج).
- إمتاع الأسماع للمقريزي – ج١– صحّحه وشرحه محمود محمد شاكر طباعة الشؤون الدينية بدولة قطر – الطبعة الثانية.
- أمثال المولّدين – الخوارزمي– المجمّع الثّقافي – أبو ظبي– ٢٠٠٣ – الطبعة الثانية.
- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) – دار المعارف– مصر (بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم).
- تاريخ بغداد – للخطيب أبي بكر البغدادي– (طبعة مصورة).
- التكملة لابن الأبّار (ط مصر ١–٢) مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – الثعالبي– محمد أبو الفضل إبراهيم – (ط

(٨٩) وفي أنواع التين في الشام نوع يُعرف بالتّين السّوادي.

مصر) دار نهضة مصر ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.

- ثمار القلوب ...– تحقيق إبراهيم صالح – دار البشائر– دمشق.

- الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبي– دار الكتب المصرية (طبعة مصورة)، ويُشار إليه في المصادر والمراجع كثيرًا باسم: تفسير القرطبي.

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (طبعة مصورة) – أخرجها قاسم الرجب– بغداد.

- جمهرة أنساب العرب للإمام ابن حزم الأندلسي – تحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف– القاهرة.

- حلم معاوية لابن أبي الدنيا – دار الوسام – دبيّ – ٢٠٠٦م.

- حماسة أبي تمّام – شرح المرزوقي– لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة– تحقيق عبد السلام هارون وآخرين.

- الحماسة المغربية – الجراوي– تحقيق محمد رضوان الدارية – دار الفكر دمشق– الطبعة الثانية.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – للحافظ أبي نعيم الأصبهاني– دار الكتاب العربي – بيروت.

- حياة الحيوان الكبرى – الدّميري– المطبعة الكستلية – القاهرة ١٣١٩ هجرية.

- الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور – زينب فواز– المطبعة البولاقية بمصر ١٣١٣هـ – ١٨٩٦م.

- الدّيارات: للشابشتي – تحقيق كوركيس عواد– بغداد.

- ديوان أبي إسحاق الإلبيري – تحقيق محمد رضوان الداية– دار الفكر دمشق الطبعة الثانية.

- ديوان أبي تمام – تحقيق الدكتور محمد عبده عزام– دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٤م.

- ديوان الحطيئة – مكتبة الخانجي– الطبعة الثانية – تحقيق د. نعمات طَه.

– ديوان أبي خفاجة – تحقيق د. السيد غازي– منشأة للمعارف – الإسكندرية– ١٩٦٠م.

– ديوان طرفة بن العبد – تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال– نشر مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥ م.

– ديوان أبي الطيب للتنبّي –لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة– ١٣٣٩هـ–١٩٤٤م.

– ديوان ابن عبد ربه – محمد رضوان الداية– الطبعة الثالثة – دار الفكر دمشق.

– ديوان قطري بن الفجاءة جمع د. وليد قصاب– قطر.

– ديوان مجنون ليلى – جمع وشرح– عبد الستار فرّاج – مكتبة مصر – القاهرة.

– ديوان النّابغة الذّبياني – الأعلم الشنتمري– دار المعارف– القاهرة (بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم).

– ديوان نُصَيب – جمعة داود سلوم– طبع بغداد.

– رسائل ابن أبي الخِصال الغافقي الأَندلسي – تحقيق محمد رضوان الدّاية – دمشق– ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

– الروض المعطار في خبر الأقطار – الحميري– تحقيق إحسان عباس.

– رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين – الإمام النووي– دار الفكر– دمشق.

– زاد المُسَافر – صفوان بن إدريس – دار الرائد العربي– بيروت– ١٩٧٠م– (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد).

– زهر الآداب – القيرواني– تحقيق البجاوي.

– سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – الصالحي الشامي– (اشتهرت بالسيرة الشامية) نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة (مجموعة من المحقّقين).

– شعر الخوارج – إحسان عباس– دار الثقافة – بيروت.

– صلة الصلة – أبو جعفر بن الزبير– (الأقسام ٤– ٥–٦) تحقيق الدكتور عبد السلام هرّاس والشيخ سعيد أعراب – الرباط ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

- صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي - طبعة دار المعرفة- بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- الصيّب والجهام والماضي والكهام - لسان الدين بن الخطيب- تحقيق محمد الشريف قاهر - ط١- ١٩٧٣ م- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر.

- عيون الأخبار - ابن قتيبة- دار الكتب المصريّة- (طبعة مصوَّرة).

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير - السيوطي - طبعة مصورة في دار الكتاب العربي- بيروت.

- الفقه الإسلامي وأدلته- د. وهبة الزحيلي- دار الفكر- دمشق - الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

- قاموس الصّناعات الشاميّة - (مجموعة بن المؤلّفين)- نشر دار طلاس - دمشق.

- كشف الخفا ومزيل الإلباس - العجلوني- بعناية أحمد القلاش - مكتبة التراث الإسلامي- حلب.

- الكنايات العاميّة - أحمد تيمور باشا- القاهرة.

- لسان العرب - ابن منظور- دار صادر- بيروت.

- مجمع الأمثال - الميداني- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية- القاهرة.

- المحبّر - أبو جعفر محمّد بن حبيب (نسخة مصوَّرة) بيروت.

- مختصر تاريخ دمشق - ابن عساكر - دار الفكر- دمشق (مجموعة من المحقّقين).

- مُروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي - نشره محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية- القاهرة (صورها دار الفكر بيروت).

- مسند الإمام أحمد - المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٣ هجرية.

- معجم البلدان - دار صادر- بيروت (١-٥).

- معجم الشعراء - المرزباني- تحقيق عبد الستّار فرّاج- مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

– المعجم في شيوخ الصدفي – ابن الأبّار– طبعة مصورة في مكتبة المثنّى قاسم – الرّجب بغداد عن طبعة مجريط ١٨٨٥م.

– معجم الكنايات العاميَّة الشاميَّة – محمد رضوان الداية– دار الفكر دمشق– الطبعة الثانية.

– المغرب في حُلى المغرب – ابن سعيد– تحقيق شوقي ضيف – الطبعة الثانية– دار المعارف بالقاهرة.

– الموسوعة في علوم الطبيعة – إدوارد غالب– دار المشرق – بيروت – الطبعة الثانية– ١٩٨٨م.

– نشر الطيوب وريحان القلوب في المضاف والمنسوب– محمد رضوان الداية –دار البشائر– دمشق الطبعة الأولى.

– النّهاية في غريب الحديث – ابن الأثير– تحقيق محمود الطّناحي وآخرين – مكتبة عيسى البابي الحلبي – القاهرة– الطبعة الأولى.

– الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي (الجزء الثاني) (بعناية س ديدرنغ) ١٤٠١ هـ–١٩٨١م.

– الورقة – ابن الجرّاح – تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستَّار فرَّاج.– دار المعارف – القاهرة– ١٩٥٣م.

– وفيات الأعيان – ابن خلكان – تحقيق إحسان عبّاس – دار صادر بيروت– ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

قـــراءة في شـــواهد ســـيبويه الشـــعرية

د. أسيدة بشير شهبندر

قال سيبويه في باب الفاعلين والمفعولَيْن[1]، قال طفيل الغنوي[2]:

وكُمــتًا مدمّاة كأن متونَها   جرى فوقَها واستشعرتْ لونَ مُذْهبِ

الشاهد فيه على إعمال الفعل الثاني، وإضمار الفاعل في الأول على شرط التفسير، وهذا من باب التنازع، لأن هناك عاملين هما (جرى) و(استشعرت) والمعمول واحد (لونَ مذهب) وقد أعمل الشاعر الثاني. ويحتمل الشاهد احتمالَيْن:

أولهما: رفع لون، وفيه وجهان، الأول أن يكون استشعرتْ بمعنى شَعَرتْ، ومدمّاة بمعنى دامية من الغزو، والمعنى: جرى فوقها لون مُذْهب، وهو لون الدم، واستشعرتْ ألمه، فلا تنازع، وجملة (استشعرت) اعتراضية.

والوجه الثاني أن يكون المعنى: جرى فوقها لونُ مذهب واستشعرتْه رداءً. ورداءً مفعول ثان، لأن المعنى: اتّخذتْه رداءً. فلا تنازع أيضًا. وجملة (استشعرتْ) اعتراضية.

والاحتمال الثاني هو نصب لون، وفيه تنازع، وبه احتجَّ البصريون في الإنصاف على أن إعمال العامل الثاني هو أوْلى.

---

(١) عنوان الباب في كتاب سيبويه: (هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كلّ واحد منهما يفعل بصاحبه مثل الذي يفعل به، وما كان نحو ذلك) وهو ما سمّي فيما بعد بباب التنازع.

(٢) البيت في الإنصاف (١/ ٩١) (الشاهد ٤٤) وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٨٣)، وشرح المفصل (١/ ٧٨)، والكتاب (١/ ٧٧). والمدمّى: الشديد الحمرة، واستشعرتْ لونَ مُذْهب: جعلته شعارًا لها، أي ارتدتْه، كأنها لصفاء لونها وحسنه لبست لونًا مُذْهبًا. والشعار: ما يلي الجسد من الثياب.

والذي يجعل كون مدمّاة. بمعنى جريحة ممكنًا، قوله: جرى، فاللون لا يجري، وإنما يجري الدم. ومن عادة الشاعر الافتخار بأن خيله مدمّاة لكثرة خوض المعارك. وقرينة أخرى على ذلك أنه يذكر الغزو في الأبيات الأخرى من القصيدة، من ذلك:

كـــأنّ يبـــيسَ المـــاء فوقَ متونها　　أســـاريرُ مـــلحٍ في مباءةِ مُجْربِ

مـــن الغزو واقورّتْ كأن متونَها　　زحاليفُ ولدانٍ عَفَتْ بعد ملعب

وقال سيبويه، قال ضابئ بن الحارث البرجمي[٣]:

فمـــن يـــكُ أمسى بالمدينةِ رحلُهُ　　فـــإنّي وقـــيارٌ بهـــا لغريـــبُ

البيت من باب التنازع أيضًا، استشهد به البصريون على الاستغناء بخبر الثاني عن خبر الأول.

جاء في شرح الأبيات[٤]، أنه رفع (قيّار) ولم يعطفه على (إنّ) وهو على التأخير، كأنه قال: فإني لغريبٌ بها وقيّار، فعطفه على الموضع[٥].

وأرى أن البيت يحتمل توجيهًا آخر، وهو أن جملة (وقيار بها) حالية، وأنه أراد: إن من يُنْزل رحلَه بالمدينة يلقَ مواساة أهلها ومودّتهم، وإني حال نزول رحلي بها غريبٌ لا ألقى من أهلها مواساة، ويريد من ذكر (قيّار) أن راحلته نازلة بالمدينة، ولا يريد أن قيارًا غريب مثله. أي إنه غريبٌ حالَ

---

(٣) الإنصاف (١/ ٩٤) (الشاهد ٤٦) وشرح أبيات سيبويه (١/ ٣٦٩)، وشرح المفصل (٨/ ١٨٦)، والكتاب (١/ ٧٥). وقيّار اسم جملة، ويروى: وقيّارًا.

(٤) شرح أبيات سيبويه للسيّرافي (١/ ٣٦٩) (الشاهد ٢٠٥).

(٥) أي عطفه على اسم (إنّ) وموضعه قبل دخول (إنّ) الرفع. والعطف بالرفع على اسم (إن) ممكن بعد إتمام الخبر، ومختلف فيه قبل إتمام الخبر. وعلى التوجيه الذي وجّه به السيرافي الشاهد لا تنازع في الشاهد.

إلقاءِ رحله لا كسائر من ألقَوا بالمدينة الرّحال. وعلى هذا فلا تنازع، لأن جملة (وقيارٌ بها) حالية، وخبَر قيار محذوف تقديره كائن أو نازل أو مربوط.

وقال سيبويه، قال المرّار[٦]:

فــردّ عــلى الفؤاد هوى عميدًا   وســوئل لــو يُبــيّن لنا السّؤالا

وقــد نغــنى بهــا ونرى عصورًا   بهــا يقتدنــنا الخــردَ الخِــدالا

هذا الشاهد من باب التنازع أيضًا، وقد تقدَّم فعلان هما (نرى) و(يقتاد) وتأخر معمولٌ واحدٌ هو (الخرد الخدال). وقد أعمل الفعل الأول في هذا المعمول بدليل نصبه. ولو أعمل الثاني لقال: يقتدْننا الخردُ الخدال. والتقدير: ونرى الخردَ الخِدال يقتدننا بها عصورًا.

وفي شرح الأبيات[٧]: الشاهد فيه على إعمال (نرى) ونصب (الخردَ الخدال) به. وعلى هذا أعمل الفعل الأول.

وأرى وجهًا آخر محتملاً هو أن عصورًا مفعول (نرى)، والخردَ الخدالَ حال، لأنها أتت بمعنى النكرة، والتقدير: نرى بها عصورًا يقتدننا فيها النسوة خردًا خِدالاً[٨]. وفاعل يقتدننا يعود على مذكور في مكان آخر من

---

(٦) البيتان للمرّار الأسدي في الإنصاف (١/ ٨٨) (الشاهد ٤٠) وشرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٦)، والكتاب (١/ ٧٨).

(٧) شرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٦) (الشاهد ٢٠٩).

(٨) من شواهد سيبويه:

فأرسلها العراكَ ولم يذدْها   ولم يشفقْ على نغَصِ الدِّخالِ

العراكَ حال لأنها بمعنى (معتركةً). فإذا كان المصدر المعرّف يستعمل استعمال النكرة ليكون حالاً فالصّفات أولى من نحو الخرد الخدال، وكما تحتمل الخرد تأويلاً آخر، فإن العراك تحتمل النصب على نزع الخافض (أي إلى العراك) لكنه إيثار للمعنى الأقوى.

القصيدة، أو يعود على غيْر مذكور، وعودة الضمير على غيْر مذكور ممكنة عند النحاة لدى وجود قرينة، وورد مثل ذلك في كتاب الإنصاف في مسائل التنازع، وهو نحو ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [من سورة ص:٣٢] أي الشمس. وعلى هذا الوجه لا تنازع في الشاهد.

أما البيت الذي قبله:

فـــردّ عـــلى الفؤاد هوىً عميدًا وســـوئل لـــو يُبـــيّن لنا السؤالا

فإنه يحتمل وجهيْن، أولهما: وسوئل سؤالاً لو يبيّن لنا الجواب، فلا تنازع، وجملة (لو يُبيّن لنا) اعتراضية، وهو أفضل الوجهيْن لأن المسؤول بعد المساءلة لا يُبيّن السؤال وإنما الجواب.

والسؤال على هذا الوجه مصدر بمعنى النكرة، وهو مفعول مطلق.

وثاني الوجهيْن: وسوئل لو يُبيّن لنا السؤالَ، على أن السؤال مفعول به، و(الـــ) التعريف أفادت معنى الاسم الموصول، أي: يُبيّن لنا ماسألناه. أي: لو كان يُبيّن لنا ما سألناه لكان سوئل. ولا تنازع.

والوجه الذي أورده السيْرافي في شرح الأبيات هو تقدير حذف المضاف، قال: أراد لو يُبيّن لنا جوابَ السؤال، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وعلى هذا التوجيه أيضًا. لا تنازع.

وقال سيبويه، قال القنّانيّ(٩):

عمـــرُك مـــا زيـــدٌ بنامَ صاحبه ولا مخـــالطِ اللّـــيانَ جانـــبُه

في شرح الأبيات يقول السيْرافي(١٠): يقول ما زيد برجلٍ نام صاحبه، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه. يريد أن الذي يصاحبه في السفر لا

---

(٩) الإنصاف (١/ ١١١) (الشاهد ٦٤) والشطر الأول فيه: (والله ما ليلي بنامَ صاحبُه). وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٤١٦)، والخصائص (٢/ ٣٦٦)، وشرح المفصل (٣/ ٦٢).

(١٠) شرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٧٢) (الشاهد ٦٩٣).

ينام، لأنه هو قليل النوم متيقّظ جلد، لا يكسره السفر. ا. هـ.

وأرى أنه يحتمل إنزال الفعل منزلة اسم الفاعل اتّساعًا، أي: ما ليلي بنائمٍ صاحبه، ليكون ذلك نظير قوله في الشطر الثاني: ولا مخالطِ الليان جانبه.

استشهد البصريون بالبيت للردّ على الكوفيين الذين يقولون إن (نعمَ) و(بئسَ فعلان بدليل دخول الباء عليهما. وقالوا: دخول حرف الجرّ عليهما ليس لهم فيه حجّة، لأن الحكاية فيه مقدَّرة، وحرف الجرّ يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا شبهة في فعليته.

ومثله قول حسان بن ثابت[11]:

ألســـت بـــنعمَ الجارُ يُؤلِفُ بيتَه أخــا قلّــة أو مُعْدمَ المالِ مُصْرما

والتقدير عند البصريّين: ألست بجارٍ مقولٍ فيه نعمَ الجارُ.

ويحتمل هذا الشاهد كما أرى أن تكون الباء داخلة على (نعم) لتوهم الاسمية، وليست للاسمية حقيقة، فلو كانت (نعم) اسمًا لم ترفع الفاعل الذي هو هُنا (الجارُ). فهي فعل لّما جمد أشبه الاسم في ذهن المتكلم، وأخذ عنده اعتبارين، فأدخل عليه الباء ورفع به فاعلاً.

وقال سيبويه، قال النابغة[12]:

فــإن يهلــكْ أبو قابوسَ يهلكْ ربــيعُ الــنّاسِ والشّــهرُ الحرامُ

ونمســكْ بعــدَه بذِنــابِ عيشٍ أجــبَّ الظهــرَ لــيس له سنامُ

الشاهد نصب الظّهر بأجبّ، وقد ردّ به الكوفيون - كما جاء في الإنصاف - قول البصريين إن أفعل التعجب فعل، ولو كانت اسمًا لنصبت النكرة فقط، فقالوا - أي الكوفيون - إن العرب نصبت المعرفة بأفعل، وهي اسم.

---

(١١) الإنصاف (١/ ٩٨) (الشاهد ٥١) وشرح المفصل (٧/ ١٢٧)، وأسرار العربية ص (٩٧).

(١٢) الإنصاف (١/ ١٢٩) (الشاهد ٨٤)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٨)، وشرح المفصل (٦/ ٨٣، ٨٥)، والكتاب (١/ ١٩٦).

وفي شرح الأبيات[١٣]: يريد أن عيشنا قد ذهب معظمه وخيْره وما كنّا فيه من السعة والخصب، فهو كبعير جُبَّ سنامه. وقال: ويجوز أن ينشد أجبَّ الظهرِ بإضافة أجبّ إلى الظهر، ويجوز أن ينشد بنصب الظهر، ويكون التنوين قد سقط من أجبّ لأنه لا ينصرف، وإنشاد الكتاب على نصب الظهر.

ومثله الشاهد:

قال سيبويه، قال الحارث بن ظالم المرّي[١٤]:

فما قومي بثعلبةَ بن بكرٍ ولا بفزارةَ الشُّعرِ الرِّقابا

استشهد به الكوفيون على إعمال أفعل بالمعرفة، مع أن الجمع يباعده عن مشابهة الفعل ويبعده عن العمل[١٥]. وقد روي الشعرى رقابا، فلا شاهد.

ويحمل البصريون مثل هذه الشواهد على التشبيه بالمفعول به، أو على زيادة الألف واللام؛ فقد جاء في الإنصاف أن بعض البصريين أجاز كون الألف واللام زائدتين، وتكون الظهر والرقاب بمعنى ظهرًا ورقابًا، فيكون تمييزًا نكرة.

وهذان الشاهدان يلزمان بالقول بأن التمييز يمكن أن يكون معرفة، وهو ما لا يقرّه البصريون في مباحث التمييز، لكن ما أقرّوه في مكان يلزمهم بما لم يقرّوا به في مكان آخر.

نسب سيبويه إلى عمرو بن معدي كرب[١٦]:

وكلُّ قرينةٍ قرنتْ بأخرى وإن ضنّتْ بها ستفرّقانِ

---

(١٣) شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٨) (الشاهد ١٢).

(١٤) الإنصاف (١/ ١٢٨) (الشاهد ٨٣) وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٥٨)، والكتاب (١/ ٣٠١)، وشرح المفصل (٦/ ٧٩).

(١٥) فالشُّعر ج أشعر.

(١٦) مختلف في نسبته، والبيت في الإنصاف (١/ ٢٥٠) (الشاهد ١٥٨) وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٤٦)، والكتاب (٢/ ٣٣٤)، وشرح المفصل (٢/ ٨٩).

وكـــلُّ أخٍ مفارقــه أخوه لعمــرُ أبيك إلا الفرقدانِ

استشهد به الكوفيون على مجيء (إلا) بمعنى واو العطف، التقدير: والفرقدان[١٧]. ورأى سيبويه أن (إلا) هنا بمعنى (غير) وهي صفة لكل، ولذا ارتفع ما بعدها[١٨]. و(إلا) التي بمعنى غير يظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العاريّة. وفي شرح الأبيات[١٩]: جعل الفرقدين وصفًا لكل. ورأى البصريون أنه أراد: لكنْ الفرقدان فإنهما لا يتفرّقان. ويحتمل عندهم أن تكون (إلا) بمعنى (غير) ولذا ارتفع ما بعدها. والمعنى: كلّ أخٍ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

كما قال تعالى﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الانبياء:٢٢] أي لو كان فيهما آلهة غيْرُ الله، ولهذا رفع ما بعد (إلا)، ولا يجوز أن يكون الرفع على البدل لأنه في الإثبات غير جائز.

أقول: ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى ما قيل وجهًا آخر، وهو تقدير محذوف، وجعل الكلام مستأنفًا، أي كلّ أخٍ مفارقه أخوه، لا يبقى إلا الفرقدان، كذلك في الآية نقدّر محذوفًا، والجملة - إلا الله — اعتراضية، أي: لو كان فيهما آلهة لفسدتا، ليس فيهما إلا الله. وترتيب الكلام: لو كان فيهما آلهة - وليس فيهما إلا الله - لفسدتا.

وقال سيبويه في الاستثناء، قال أبو قيس بن رفاعة من الأنصار[٢٠]:

لم يمــنعِ الشُّربَ منها غيْرَ أن نطقتْ حمامــةٌ في غصونٍ ذاتِ أوْقالِ

---

(١٧) الإنصاف (١/ ٢٥٠).

(١٨) الكتاب (٢/ ٣٣٤).

(١٩) شرح أبيات سيبويه (٢/ ٤٦) (الشاهد ٤١١).

(٢٠) الإنصاف (١/ ٢٦٥) الشاهد ١٧١) وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٨٠)، وشرح المفصل (٣/ ٨١)، (٨/ ١٣٥)، والكتاب (٢/ ٣٢٩)..

يريد أن راحلته لم يمنعْها من الشّرب إلا أنها سمعت صوت حمامةٍ فنفرت. والأوقال: ج وقْل، وهو شجر المقل[٢١].

الشاهد فيه أنه بنى غيْرَ على الفتح لإضافتها إلى غير متمكن، والذي أضيفت إليه (أن) والفعل[٢٢].

ومثل ذلك بناء (مثلَ) في الآية ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذريات:٢٣] في قراءة من قرأ (مثلَ). وتوجيه القراءة أن (مثل) اسم مبهم أُضيف إلى غير متمكن فبني[٢٣]. وشُبّه ذلك ببناء الظروف حين إضافتها إلى جملة صدرها مبني.

وأرى في الآية توجيهًا آخر محتملاً هو أن (مثلَ) منصوبة على أنها حال، أي: إنه لحقٌّ مماثلاً ما أنكم تنطقون. وصاحب الحال (حقّ) نكرة بمعنى المعرفة، التقدير: إنه الحقّ مماثلاً. (*)

أما في البيت فأرى توجيهًا آخر محتملاً، هو أن نقدِّر فاعلاً، وننصب (غيْرَ) على الاستثناء المنقطع. أي: لم يمنع الشرب أحد من الناس، غيْرَ أن نطقتْ حمامةٌ في الغصون.

أما بناء الظروف إذا أُضيفت إلى غيْر متمكن فأرى أن ذلك لكون الظروف تصبح محدّدة في تلك التّراكيب. والظرف المحدد يُبنى لأنه عرّف.

---

(٢١) شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٨٠) (الشاهد ٥٠٦).

(٢٢) شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٨٠) (الشاهد ٥٠٦).

(٢٣) الإنصاف (١/ ٢٦٥) (الشاهد ١٧١).

(*) [هذا التوجيه أورده العكبري فقال: « ثم في نصبه على هذا أوجه: إما حال من النكرة، أو من الضمير فيها، أو على إضمار أعني ». يُنظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٤٤.]/ المجلة.

فنقول (أمسِ) بالبناء لأمسٍ محدَّد، ونعرب إذا لم يكن كذلك.

ونقول جئت (سحرَ) لسحرٍ محدَّد، فنمنع من الصرف للتعريف، ونقول: جئت سحرًا لسحرٍ غيْرِ محدَّد.

ومن ذلك بيت سيبويه، قال النابغة(٢٤):

على حيْنَ عاتبتُ المشيبَ على الصّبا وقلتُ ألّا تصحُ والشيبُ وازعُ

أُضيف الظرف (حيْن) إلى جملة صدرها مبني فجاز فيه الإعراب على الأصل، وجاز البناء لاكتسابه البناء مما أُضيف إليه. أقول: اكتسب من إضافته إلى مبني معنىً محددًا جعله مبنيًّا. ولو قال: على حيْن أعاتبُ لكان الفعل غير محدد بزمن، فلا يُبنى.

قال سيبويه، وأما قول جرير(٢٥):

مـــا بال جهلك بعد الحلم والدّين وقـــد علاكَ مشيبٌ حيْنَ لا حيْنِ

فإنما هي حيْنِ حيْنِ، و(لا) بمنْزلة (ما) إذا ألغيتْ.

قال السيرافي في شرح الأبيات(٢٦): جعل سيبويه (لا) زائدة في هذا الموضع، والمعنى أنه علاك مشيبٌ حيْنَ حيْنِ نزولِ المشيبِ. يعني أنه لم يعجل في غيْرِ وقته.

أقول: إن مجيء المشيب قبل أوانه أولى بموضوع التشبيب، وليس سنّ الحلم بلازم للمشيب، ويحتمل البيت ألا تكون (لا) زائدة، وأن يكون التقدير أحد ثلاثة أوجه:

أولها: أن يكون التقدير: حيْن لا حيني، أي: حين لا حيني شائبًا.

وثانيها: أن يكون التقدير: حينَ لا من حينٍ، حذف حرف الجرّ مع

---

(٢٤) الإنصاف (١/ ٢٦٩) (الشاهد ١٧٥) وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٥٣)، وشرح المفصل (٣/ ١٦)، (٤/ ٥٩١)، (٨/ ١٣٧)، والكتاب (٢/ ٣٣٠).

(٢٥).شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٣٠)، والكتاب (٢/ ٣٠٥).

(٢٦) شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٣٠) (الشاهد ٤٧٠).

إعماله، وهذا جائز، نحو بيت الفرزدق[٢٧]:

وما زرتُ سلمى أن تكونَ حبيبةً إليّ ولا دَيـــنٍ أنـــا طالـــبُهْ

أي: ولا لدينٍ.

وثالث الأوجه: أن يكون جرّ الاسم بـ (لا) عودةً إلى الأصل، لأن الأصل في الأحرف أن تجرّ، وقد ورد الجرّ ببعض الأحرف المتخصصة بغير الجرّ، نحو بيت أبي زبيد الطائي[٢٨]:

طلـــبوا صـــلحنا ولاتَ أوانٍ فأجبـــنا أنْ لـــيس حـــينَ بقـــاءِ

وفي جرّ (أوانٍ) أقوال، لا يتسع المجال هنا لذكرها، منها أن (لات) في مثل هذا عاملة الجرّ، وهذا رأي الفرّاء.

وجاء في معاني القرآن للأخفش[٢٩]، أن هناك من يجرّ بـ (لعلّ) مع فتح لامها.

قال كعب بن سعد الغنوي[٣٠]:

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً لعلّ أبي المغوارِ منكَ قريبُ

ويروى أبا المغوار فلا شاهد.

وفي معاني القرآن للأخفش[٣١]:

---

(٢٧) الإنصاف (١/ ٣٧٠) (الشاهد ٢٥٦)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٠٢)، والكتاب (٣/ ٢٩).

(٢٨) الخصائص (٢/ ٣٧٠)، ورصف المباني (١٦٩، ٢٦٢)، وسرّ صناعة الإعراب (٥٠٩)، وشرح المفصل (٩/ ٣٢)، ومعاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٩٢)، ومغني اللبيب (الشاهد ٤١٣).

(٢٩) معاني القرآن (١/ ٣٠٥).

(٣٠) سر صناعة الإعراب (٤٠٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٦٩)، ورصف المباني (٣٧٥)، وشرح ابن عقيل (٣٥٠).

(٣١) معاني القرآن (١/ ٣٠٥)، وشرح الأبيات المشكلة للفارقي (٥١).

لعـــلَّ اللهِ يمكـــنني علـــيها   جهـــارًا مـــن زهـــيرٍ أو أســـيدِ

وخرّجه بعضهم على أن لام (لعل) مكسورة لأنها لام الإضافة، وأنه يريد: لعلّ عبدِ الله. وروى الجر بـــ (لعل) أبو زيد والأخفش والفراء، وغيرهم من الأئمة(٣٢).

قال سيبويه، قال ابن قيس الرقيَّات(٣٣):

لا بـــارك اللهُ في الغـــواني هل   يصـــبحنَ إلا لهـــنّ مطّلـــبُ

الشاهد أنه حرّك الياء من الغوانيِ بالكسر للضرورة. والبيت من المنسرح، وعروض المنسرح دائمًا مطويّة (مستعلن) ولو روي البيت:

لا بارك الله في الغوانيْ فما... لأصبحت عروض البيت تامة (مستفعلن)

وهو رجوع إلى الأصل لأن الاستعمال جرى على غير الأصل.

وفي تحريك (الغوانيِ) رجوع إلى الأصل أيضًا، لأن الأصل في الجر ظهور الكسر، وتُرك في الاستعمال استثقالاً. ففي كلٍّ من الحالَيْن رجوع إلى الأصل، لكنهم آثروا على ما يبدو الضرورة النحوية على الضرورة العروضية. وسوّغ لهم ذلك أن التصرف بالياء كثير في الضرورة من حذف أو تحريك أو تسكين.

وقال سيبويه، قال الفرزدق(٣٤):

إنّـــي وإيّـــاك إذ بلَّغْـــنَ أرحلَنا   كمـــن بواديـــه بعد المحلِ ممطورِ

الشاهد فيه أنه جعل (من) اسمًا نكرة موصوفًا بممطور، وليست له صلة(٣٥).

---

(٣٢) الجنى الداني (٥٨٣).

(٣٣) شرح أبيات سيبويه (١/ ٥٦٩)، وشرح المفصل (١٠/ ١٠١)، والكتاب (٣/ ٣١٤)، ورصف المباني (٢٧٠)، والمحتسب (١/ ١١١) والمنصف (٢/ ٦٧، ٨١).

(٣٤) شرح شواهد الكتاب الشاهد (٣٠٤)، والكتاب (١/ ٢٦٩)، ومغني اللبيب الشاهد (٥٣٤).

(٣٥) شرح أبيات سيبويه الشاهد (٣٠٤).

وجاء في المغني: وزعم الكسائي أنها لا تكون نكرة إلا في موضع يخصّ النكرات[٣٦]، وخرج هذا البيت على الزيادة.

وأرى أن البيت يحتمل أن تكون الصلة فيه فعل الاستقرار في (بواديه) وقد ناب الظرف عن الفعل، وعلى ذلك فإن جرّ (ممطورٍ) لأحد أمرين:

الأول أن ممطورًا بدل من الهاء في (بواديه) وبدل النكرة من المعرفة جائز على اختلاف.

والثاني أن ممطورًا صفة لواديه لأن الهاء لا تفيد تعريفًا، والمعنى: كمن بوادٍ ممطور له. وقد أتى المضاف إلى ضمير بمعنى النكرة في نحو شاهد سيبويه[٣٧]:

يـــا ربَّ غابطِنا لو كان يطلبكم   لاقـــى مـــباعدةً منكم وحرمانا

وفي شرح الأبيات[٣٨]:الشاهد فيه أن غابطنا بمعنى نكرة مفردة، وأن هذه الإضافة لم تعرّفه، يريد يا ربّ غابطٍ لنا.

---

(٣٦) من ذلك الشاهد:

ربّ مـــن أنضـــجتُ غـــيظًا قلـــبه   قـــد تمـــنّى لي موتًـــا لم يُطـــعْ

مجرور ربّ لا يكون إلا نكرة، وهنا أتت (من) مجرورة بربّ فقيل إنها نكرة.

(٣٧) سر الصناعة (٢/ ٤٥٧)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٥٤٠)، والكتاب (١/ ٤٢٧).

(٣٨) شرح أبيات سيبويه (١/ ٥٤٠) (الشاهد ٣٣٧).

(أنباء مجمعية وثقافية)

قرار انتخاب أعضاء مراسلين

القرار رقم /١/ ت. ع

وزير التعليم العالي

بناءً على أحكام المرسوم التشريعي ذي الرقم /١٤٣/ المؤرخ في ٢٤/١١/١٩٦٦.

وعلى أحكام قانون مجمع اللغة العربية ذي الرقم /٣٨/ المؤرخ في ٦/٦/٢٠٠١ ولاسيما المادة /٢٣/ منه.

وعلى اقتراح مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ٧/٢/٢٠٠٧.

يقـــرر مايلي:

المـــادة١ - يعتمد السادة الواردة أسماؤهم أدناه أعضاء مراسلين في مجمع اللغة العربية بدمشق:

أ- من سورية:

١- الدكتور عبد الحليم منصور.

٢- الدكتور برهان العابد.

٣- الدكتور عماد صابوني.

٤- الدكتور صادق فرعون.

٥- الدكتور أحمد الحاج سعيد.

٢- من الجزائر:

- الدكتور صالح بلعيد.

٣- من السعودية:

- الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان.

٤- من السودان:

- الدكتور علي أحمد بابكر (رئيس المجمع).

٥- من العراق:

- الدكتور داخل حسن جريو (رئيس المجمع).
- الدكتور علي القاسمي.
- الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي.

٦- من فلسطين:

- الدكتور أحمد حسن حامد (رئيس المجمع).

٧- من مصر:

- الدكتور نبيل علي.

٨- من الصين:

- الدكتورة أمل قوه شوه هوه.

١٢/٢/١٤٢٨هـ

١/٣/٢٠٠٧م

وزير التعليم العالي

الدكتور غياث بركات

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٧م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره/** د. محمد بن شريفة – ط١– الدّار البيضاء: مطبعة الجديدة، ١٩٤٤م.
- **الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام** / مجموعة باحثين – دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٦م – (سلسلة أدباء مكرّمون ٣٠).
- **أسد الله غالب شاعر الهند/** محمد سعيد الطريحي – ط١– هولندا: ٢٠٠٥م – (سلسلة دائرة المعارف الهندية).
- **إسرائيليات/** اللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الانتفاضة – ٢٠٠٦م– مج ٥ (ج ٧١، ٨١، ٩١).
- **أصول السنة/** أحمد بن حنبل، حقّقه، مرتضى الداغستاني– ط١– دمشق: المشرق للكتاب، ٢٠٠٥م.
- **الأعمال الكاملة/** د. خالد محيي الدين البرادعي – يبرود: المبدعون، ٢٠٠٥م– ١٦مج.
- **الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٧م: لمحة خاطفة/** مجموعة– لندن: شركة ترايدنت بريس ليمتد، ٢٠٠٧م.
- **بحوث مصطلحية/** د. أحمد مطلوب – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٦م.

- **تاريخ مدينة دمشق/** ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي- دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٧م، مج ٨٦.
- **تناسل السرد ومستوياته في سلوان المطاع.. لابن ظفر/** د. عبد الله محمد الغزالي- الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦م، (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، رسالة ٢٥٣، حولية ٢٧).
- **حلب المدينة الخالدة عاصمة الثقافة الإسلامية/** مجموعة باحثين، قدّم له: د. محمد عزيز شكري- دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٦م- (١٧).
- **الحياة العلمية في وسط الجزيرة /** د. أحمد بن عبد العزيز بن محمّد البسّام- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ- (سلسلة إصدارات الدّارة ١٤، الرسائل الجامعية١٣).
- **حياة في حوار/** د. أنطوانيت زحلاوي، د. خالد محي الدين البرادعي- ط ١، دمشق: الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية، ٢٠٠٥م.
- **خالد محي الدين البرادعي والجامعات/** لجنة من العلماء - ط١- وجدة: جامعة محمّد الأول، ٢٠٠٣م، ٣ ج.
- **الخطاب الأخلاقي في وصايا العصر الإسلامي مضامين وأساليب/** د. فريال عبد الله هديب - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦م — (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، رسالة ٢٥٥، حولية ٢٧).
- **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب/** شحادة الخوري - ط١- دمشق: دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٧م - جـ ٣.
- **دورة ابن زيدون/** مجموعة باحثين - الكويت: مؤسسة البابطين، ٢٠٠٦ م، ٤ جـ.

- **ديوان أبي النجم العجلي**/ جمعه وشرحه وحققه د. محمد أديب عبد الواحد جمران – دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٦م.
- **ديوان المرتضى**/ رضا مرتضى الحسيني الدّمشقي، عُني به: رضا مهدي مرتضى – ط٢– دمشق: مطبعة ابن زيدون، ١٩٩٩م.
- **رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة**/ إسماعيل جغمان، د. محمد بن عبد الرحمن الثنيان– الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ (سلسلة إصدارات الدارة ١٨٣، كتاب الدارة ٩).
- **زواج الأقارب في المجتمع الكويتي**/ د. يعقوب يوسف الكندي– الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦م – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، رسالة ٢٥٢، حولية ٢٧).
- **الشاعر الدكتور خالد محيي الدين البرادعي**/ مجموعة باحثين – دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٥م – (سلسلة أدباء مكرّمون ٢٢).
- **شجرة نسب السادة آل المرتضى**/ محمد رضا مرتضى، د. هاني مرتضى – دمشق: مؤسسة الصالحاني للطباعة.
- **شعر ابن جابر الأندلسي**/ د. أحمد فوزي الهيب – ط١– دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٧م.
- **الشيعة في العصر المغولي**/ محمد سعيد الطريحي – ط١– هولندا: أكاديمية الكوفة، ٢٠٠٦ – (سلسلة دائرة المعارف الهندية).
- **صلة الخلف بموصول السلف**/ الرَّوداني، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي – شيكاغو: المدرسة المفتوحة – صورة مخطوط.
- **علاقة المسرح بالتربية وتنمية الذائقة الفنية**/ مجموعة من الباحثين/ دمشق:

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٥م.

- **فقه القسامة وموقفها في حجج القضاء**/ محمد علي رازي زاده – قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٧هـ.

- **الكتاب السنوي لدولة الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٧م**/ مجموعة – لندن: شركة ترايدنت بريس ليمتد، ٢٠٠٧م.

- **كتاب العربية والأدب**/ د. محمد نعمان الدين الندوي – ط١– حيدر آباد: دار حسان، ٢٠٠٧م.

- **الكشاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز**/ دارة الملك عبد العزيز – الرياض: الدارة، ٢٠٠٦م.

- **مؤتمر الأدب العربي وأثره في تعزيز الانتماء**/ مجموعة باحثين – دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٦م.

- **المخزومي ونظرية النحو العربيّ**/ د. زهير غازي زاهد – ط١– النجف الأشرف: دار البيضاء ٢٠٠٦م.

- **مسائل الحمل بين الإعراب والصرف**/ د. أسيدة بشير شهبندر – دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

- **معرفة مصادر اللغة العربية في اللغات الأوربية**/ رامين خانبكي – طهران: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م.

- **الملاحظات والتعقيبات (١٠٣ – ١٠٤)**/ محمد حسين الحسيني الجلالي – شيكاغو: المدرسة المفتوحة.

- **ملوك حيدر آباد**/ محمد سعيد الطريحي– ط١– هولندا: أكاديمية الكوفة، ٢٠٠٥م –(سلسلة دائرة المعارف الهندية).

- **المملكة البهمنية**/ محمد سعيد الطريحي – ط١– هولندا: أكاديمية الكوفة، ٢٠٠٦م – (سلسلة دائرة المعارف الهندية).
- **المملكة النظامية**/ محمد سعيد الطريحي – ط١– هولندا: أكاديمية الكوفة، ٢٠٠٦م – (سلسلة دائرة المعارف الهندية).
- **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**/ الشهيد الثاني، تحقيق: رضا المختاري – ط٦– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٧هـ.
- **الموسوعة التاريخية للعصرين الأموي والعبّاسي**/ د. حسين عطوان – ط٢ – بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م– (٢٠مج).
- **موصل الطّلاب إلى الإعراب لابن هشام**/ خالد الأزهري، ضبطه: علاء الدّين عطية، راجعه: د. أيمن عبد الرزاق الشّوّا – ط١– دمشق: مكتبة ابن عطية، دار الغوثاني، ٢٠٠٦م .
- **النشاط الزراعي في الجزيرة العربية..**/ د. عبد الله بن محمد السيف– الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ – (سلسلة إصدارات الدارة ١٨٣، كتاب الدارة ١٢).
- **هل يمكن إقامة ديمقراطية في العراق**/ رعد حافظ سالم – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٦م – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، رسالة ٢٥٤، حولية٢٧).
- **الهيام بين العراق والشام..** / محمد سعيد الطريحي – ط١– هولندا: أكاديمية الكوفة، ٢٠٠٦م – (سلسلة دائرة المعارف الهندية).
- **وللّغة العربيّة تاريخها**/ د. أيمن عبد الرزاق الشّوّا – دمشق: دار الغوثاني، ٢٠٠٧م – (سلسلة مكتبة الأسرة ٣).

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
– الأسبوع الأدبي	١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧	٢٠٠٦م	سورية
– البطريركية	السنة (٤٤) ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣	٢٠٠٦م	سورية
– التراث العربي	السنة (٢٦) ١٠٢، ١٠٣	٢٠٠٦م	سورية
– عالم الذرة	(١٠٤)	٢٠٠٦م	سورية
– مجلة جامعة تشرين	علوم صحية العددان (٢، ٣) للمجلد (٢٧)	٢٠٠٥م	سورية
– مجلة جامعة دمشق	علوم تربوية/ العدد١/ مج٢٢	٢٠٠٦م	سورية
	علوم اقتصادية/ العدد١/ مج٢٢	٢٠٠٦م	سورية
	علوم زراعية/ العدد١/ مج٢٢	٢٠٠٦م	سورية
	علوم صحية/ العدد١/ مج٢٢	٢٠٠٦م	سورية
– النشرة الاقتصادية	العدد (٢، ٣)	٢٠٠٦م	سورية
– فكر وفن	السنة (٤٤) العددان (٨٣، ٨٤)	٢٠٠٦م	ألمانيا
– النشرة الأخبارية	(٦٩)	٢٠٠٦م	تركيا
– الأمن والحياة	السنة (٢٥) الأعداد (٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥)	٢٠٠٧م	السعودية
– المجلة العربية	(٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١)	٢٠٠٧م	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
-مجلة المجمع العلمي العراقي	مج (٥٢) الجزء (٣) مج (٥٣) الجزء (١)	٢٠٠٥م	العراق
- البيان	٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦	٢٠٠٦م	الكويت
- مجلة كلية دار العلوم	٤٠، ٤١	٢٠٠٦م	مصر
- صوت الأمة	الأعداد (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢)	٢٠٠٦م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني

1- Books:

- Development at Risk/ Ann Zammit.
- Bursaries for Artists/ Unesco.
- Vers libres/ José Marti.
- Catalogue of Arabic Monuscripts/ Rudolf mach.
- Dictionnaire Archéologique de la Mauritamie / Robert vernet.
- Traduction de Saint – Coran/ Mohamad El - Moktar ould Bah.
- Islamic Art in the Ashmolean/ j.W.Allan.
- Sur la voie De l`islam/ Mohamed El- Moktar ould Bah.
- L`éducation pour une culture de la paix/ Betty A. Reardon.
- Webesters Dictionary.
- Wartime japonese Anthropology in Asia and The Pacific/ Akitoshi Shimizu – Jan van Bremen.

2 – Periodicals:

- The Muslim World, Vol. 96 – No. 2 (2006).
- Resistance, No. 9-10 (2006).
- Korea Focus, Vol. 14-No.3 (2006).
- Journal of Asian and African Studies, No. 71 (2006).
- East Asian Review, Vol. 18- No.3 (2006).
- Haj, Vol. 61 – No.8 (2006).

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصـــيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي
- عـــبد الله كـــنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كـــتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ــ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)
- الـــنجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ – ١٩٩٦
- كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٥١، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.
- كتاب «كتب الأنساب العربية» تأليف الدكتور إحسان النص

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٥٩.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٠.
- الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش.
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦١.
- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٤

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٢.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٣.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٥

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٤.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٥.
- قواعد الإملاء.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٦.
- كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجَّاج، تحقيق الدكتور عزة حسن.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، المجلد ٦٧.
- معجم أسماء الأفعال، إعداد الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا.
- الدر النثير والعذب النمير، للمالقي، تحقيق الدكتور محمد حسان الطيان.
- ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران.

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثاني والثمانين

البحوث والدراسات

المقالات والآراء

أنباء مجمعية وثقافية

المجلد الثاني والثمانون

الجزء الثالث

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

مجلة محكَّمة فصلية

جمادى الآخرة / ١٤٢٨ هـ

تمّوز / ٢٠٠٧ م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

(مجلة محكّمة فصلية)



جمادى الآخرة / ١٤٢٨ هـ
تمّوز / ٢٠٠٧ م

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

الرؤى الفكريّة والفنيّة في شعر بدوي الجبل

(محمد سليمان الأحمد)[1]

١٩٠٤- ١٩٨١

د. عبد الكريم الأشتر

- ١ -

ينتسب البدوي، ضمن صفات شعره الأسلوبية الخاصة، إلى شعراء حركة الإحياء من الاتباعيين «الكلاسيّين» الجدد. يظل شعره، بمجموع خصائصه الفنيّة، سليل تراثنا الشعري: فيه روحه، أعني: قوة الفكر الشعري فيه وتلبّسه بالوجدان، ووضوح صوره وحسيّتها. وفيه نسجه: متانة جملته وشفافيتها. وجهارة الصوت فيها، ومكان البيت من بناء القصيدة. وفي هذا كله الدليل (الذي يُؤيده تاريخ الرجل) على مخالطته العميقة لدواوين كبار

(١) صلتي بالبدوي ذات منحى خاص، فقد عرفت ابنته جهينة، قريبًا من نهاية العقد الخامس من القرن الماضي. وما أزال أحتفظ بكلماته الحزينة التي تلقيتها منه، بعد وفاتها: «أبكتني رسالتك وأنا في حاجة إلى البكاء». وعرفت بعدها، في أواخر العقد السابع من القرن الماضي ابنة أخته «أُمامه»، فنقلتْ إليّ (وكانت واحدة من طالباتي المتميِّزات في الجامعة) ترجمة قصيرة لحياته الحافلة، أملاها هو نفسه عليها، مع صورة من قصيدته (ابتهالات) التي نظمها في مغتربه في سويسرة، وجاوزت، في تمامها، مئة بيت. والذي خلّفه هؤلاء الثلاثة في نفسي صورة أجد سِماها الأولى في تكوين الأسرة جميعًا وتكوين البدوي، وألتقط ملامحها في خصائص شعره العامة: حرارة الاستجابة لوقع الأشياء، وقوة التعبير عنها وتميُّزه.

شعراء العربية (المتنبي، أبو تمام، البحتري، أبو فراس، الشريف الرضي، المعري) ومخالطتِه مجموع تراثنا الأدبي، بعيدًا من تأثره بشعر اللغات الأخرى، إذ كان لا يعرفها.

ويلزم، في البداية، أن نستعيد أوسع خطوط حياة البدوي أثرًا في فهم رُؤاه الفكريَّة والفنيَّة، وراثةً واكتسابًا:

١– خصب التكوين الموروث، فالبيت الذي نشأ فيه معدود من بيوتات الشعر أصولاً وفروعًا. أبوه واحد من علماء العربية، درس البدوي عليه[٢] علوم العربية وأصول ثقافتها لغة وأدبًا، واتصل بالمكتبة القائمة في البيت، فطالع فيها شعر كبار شعراء العربية.

٢– طول التمرس بصياغة الشعر، ابتداءً من أول العقد الثاني من عمره.

٣– قوة الارتباط بهموم المرحلة التاريخية وأحداثها، وحمل تبعاتها الثقيلة: المَنافي والسجون والمغتربات، والتخفّي عن العيون، والأسفار.

٤– قِيَم الثقافة العربية الإسلامية في البيت الذي نشأ فيه، النفسيةُ والاجتماعية والخُلُقية: قَبول التضحية، والإيثار، والحنان الدافق، والاعتزاز بالكرامة القومية والإنسانية، والسمو بالموهبة إلى حد الاعتداد، مع التمسك بالأصول.

وفيما يلي جِماع أهمّ ما أملاه هو نفسه على السيدة «أُمامة» ابنةِ أخته، ونقلته إليّ من وقائع حياته، نجيء به لأنه يحمل صوت نفسه. ونكتفي به عمّا نقرؤه في الكتب:

– وُلد سنة ١٩٠٥ في قرية ديفة (قرية هادئة على الساحل السوري).

---

(2) يُقال: درس على فلان.

قال الكسائي للأخفش: أولادي، أُحب أن يتأدبوا بك ويُخرَّجوا على يديك.[المجلة].

– تُوفيت عنه والدته وهو رضيع.

– دخل المدارس الحكومية في اللاذقية ودمشق، وتقطّعت دراسته في مكتب عنبر، لاشتراكه في حركات النضال السلبي المضاد للمحتل الفرنسي.

– التجأ في دمشق، مدة من الزمن، بعد انهيار الدولة العربية فيها، فاختبأ في بيت ناصيف أبي زيد ووجيه الكيلاني، فرّ بعدها إلى حماة فاعتُقل فيها.

– تنقّل في سجون حمص وبيروت وقلعة أرواد. وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عامًا، قضى ثلاثة منها في السجن. ثم أُوقف التنفيذ لصغر سنه (كان في نحو الخامسة عشرة).

– بعد إلغاء المعاهدة السورية الفرنسية (١٩٣٩) فرّ إلى العراق، مع عدد من السياسيين، وبقي فيها سنتين.

– عاد سنة ١٩٤٢ (خلال الحرب العالمية الثانية) فاعتُقل في قلعة كَسَب.

– كان من مؤسّسي الحزب الوطني الذي خلَف الكُتلة الوطنية، ومثّل الحزب في الوزارة مرتين، ومرة ثالثة بصفته مستقلاً.

– سنة ١٩٥٠ ماتت ابنته جهينة، «فأبقتْ في نفسه، مع الغربة، أثرًا خلّف في شعره مسحة من الكآبة»، على حد تعبيره!

– سنة ١٩٥٥ فرّ ثانية من سورية، وبقي سبع سنوات مشرّدًا في لبنان وتركية وأوربة.

– سنة ١٩٦٣ عاد إلى الوطن. وصدر، بعد أشهر من عودته، الأمر باعتقاله، وعُزل عزلاً مدنيًا، وتوارى عن الأنظار. ثم غادر سورية إلى النمسا وسويسرة، فقضى فيهما عامًا كاملاً رجع بعده، حين أُلغي عنه العزل، وأُلغيت مذكرات التوقيف. صاغ خلال هذا العام قصائده (البلبل الغريب) في

فيينا، و(حنين الغريب)، و(ابتهالات) في حنيف.

– أبوه فقيه عالم واسع الأفق، له دراسات أدبية وفقهية، وتفسير للزوميات لم يُطبع، وديوان شعر. وله صلات بكبار علماء العالم الإسلامي وكبار المستشرقين (زاره في بيته المستشرق ماسينيون، فصحَّح له الشيخ كثيرًا مما قال عن المسلمين).

– طبع ديوان البدوي سنة ١٩٢٤، فأهداه إلى يوسف العظمة. وسَلِمت منه نسخ قليلة، بعد أن صادره المحتل لأنه يحرّض على الثورة.

– ٢ –

أعمق سمات الصورة الشخصية التي تُستخلص من جماع هذه الخطوط المكثّفة –كما نرى– هو غَلَبة السمة الوجدانية غَلَبة مطلقة. نَفْسٌ بهذا الموروث الحي الذي تزيده الثقافة الأدبية حدّة، يتفتح وعيُها على اليتم والتشرد والتنقل في السجون، والاختفاء في المغتربات والمنافي، وتكتهل على فقد الولد، والدخول المتكرر في دورات النفي والتشرد في المغتربات، إلى أن تغادر الحياة على خوف وترقُّب. نفس بهذا الموروث الحي والمكتسب جميعًا، نستطيع أن نفهم جيدًا – ودعونا الآن مما تقول بعض مناهج النقد الحديثة من فصل النص عن صاحبه وموته عنه – ما انتشر في شعرها من صور الحزن والهمّ، حتى لنجدها تطغى بمعانيها على معاني الحياة، وتتلبّس صورها الجميلة، وتختصر حقائقها وفضائلها، فتستحيلُ في النفوس، هي والخير، من معدن واحد:

والخَير في الكون لو عَرَّيتَ جَوهَرَهُ   رأيـــتَهُ أدمعًا حَــــرَّى وأحــــزانا

ويزهر الحزن فيها وينتشر ورده ويتلوّن، ويندى الصخر من مائه، ويروع حسنه وبريقه:

إن قلـــي خمـــيلة تنبـــت الأحـــ ـــــزان وردًا ونرجسًـــا وشقيقا
لـــو على الصخر نملة من جراحي راح مخضوضـــل الظـــلال وريقا
همّـــيَ الهـــمّ لـــو تكشّـــف للنا س لأغـــرى حســـنًا وراع بريقا

ويجعلها تروي نبعة الشعر عنده:

شـــاعرًا كنـــت عـــندما كـــان في مقلـــتي دمـــوعٌ!

* * *

والذي أريده من الوقوف الطويل عند هذه السمة هو استيعابها، في مداها الواسع، مفهومَ الشعر عنده، وأقصد هنا صنعة الشعر: فقد جعله استغراقُها جماعَ تكوينه النفسي وأحداثِ حياته، قريبًا من الطبيعة قرب المخالطة الحيَّة، يتناولها غناءً، كما يفعل الرومانسيون. وعزاءً. ويعيش عَبْر رؤاها حياته، ويشكل من مدادها صوره، وينفذ من خلالها، إلى ساحات التراث المترامية، القريبة والبعيدة، يستهدي طريقه إليها، خفية حينًا، وجهرة، في غير التحاء إلى الرمز حينًا. لا يجد في نفسه الفرصة في تأملها قدْر ما يجدها في مخالطتها، منذ بداية طريقه إلى نهايتها، حتى ليلتقط الصورة في الطريق إلى المكابدة، أو يجعلها في صلبها:

ألمّ، واللـــيل قـــد أرخى ذوائبَه طـــيفٌ مـــن الشام حيّانا فأحيانا
تُنضّـــر الـــوردَ والـــريحانَ أدمعُنا وتســـكب العطرَ والصهباءَ نجوانا

* * *

وللحـــياد صـــهيل في شكائمها تكـــاد تشـــربه الصحراء ألحانا

* * *

تعـــرفُ الراح أن دمعي سلاف وجفـــوني كؤوســـها والدِّنـــانُ

لم أضــــق بـــــالهموم ذرعـــــاً وهل ضاق بشتى غصونه البستانُ؟

والهموم الحسان تفعل في الأنفـــ ـــــس ما تفعل الغواني الحِسان

ســـائلوا زحمـــة العواصـــف لما رَجَّت الأرض: أين كنا وكانوا؟

تحجـــل الخـــيل بالذلـــيل إذا صا لت، ويشقى سرجٌ ويشكو عِنان!

* * *

وتطـــير النســـور في ذُروة الـــــ ـــــنجم وفي عشّه البُغاثُ يطير

يشــــهد الله مـــا بقلـــبيَ حقـــد شـــفّ قلـــبي كما يشِفّ الغدير

* * *

إن مفهوم الفن الشعري عند البدوي يقرّبه من الأخذ بفلسفته عند الرومانسيين: بوح بما في النفس يجعله يلتمس العزاء في مخالطة الطبيعة وكائناتها، ويقرّبه من تلمُّس حركة الحياة فيها، وإنطاقه صورَها بصوته الخاص الذي يمثّل الحزنُ والهمُّ أعذبَ نبراته، ويكوّن، في مجموع شعره، عمادَ رؤيته الجمالية نفوذاً في متلقيه، إلى جانب التشكيل اللغوي الموحي بقُدُراته المفطورة، القادرة، في أقصى حدود الصورة المشكلة بقصد تعميق الإحساس وتوسيعه، أن تَبقى قريبة من نفس المتلقي والتأثير فيها وحملِه على تصديقها.

وعند هذا التشكيل اللغوي يتجلّى تكوين البدوي اللغوي المكين المتين بحيث تسهل جدًا دراسة خصائصه العامة. وقد عرفنا من ظروف نشأته وتكوينه الفكري والأدبي ما يقرّبنا من وصفها. وأقرب ما نقول فيها، قُرْبُها من لغة الكلاسيين الجدُد، من رؤوس حركة الإحياء في مراحلها الأخيرة: شوقي ومَن بعده، وعلى مثالهم أحيانًا، حتى ليذكّرنا، في بعض قصائده، بمقاطع محدَّدة من شعرهم (وصف الراقصين مثلاً عند بحيرة جنيف في شعر البدوي – ووصف الراقصين في قصر عابدين في شعر شوقي).

- ٣ -

وفي الإمكان الآن أن نستخلص أبرز صفات شعره الأسلوبية توفيرًا لجماليات شعره: الاختيار المفطور للوحدات القوية في المواطن التي تستلزم القوة، والوحدات السهلة في المواطن الأخرى. تستغرقها جمل شعرية ساطعة الإيقاع، واضحة المقاصد، تجهر بما يريد أن يقوله في غير خفاء يستشعره المتلقي، حتى في مواطن اللجوء إلى الكناية وانزياحات المجاز في شتى صورها، بقصد الطعن والغمز أو بقصد السخرية:

يـــا وزيـــرًا يطـــلّ بعـــد وزير	والعُـــلا في ركابـــه والـــزمانُ
رب نعمـــى تضـــيع منا إذا زُرْ	تَ ولا ضــــجّةٌ ولا دَيْدَبـــــان
وإذا فُـــتَّ أعـــينَ الـــناس دَلاًّ	فـــلمن صـــاغ حسنَك الرحمن!
ولمـــن تُحشـــد الجموع؟ فهل زا	رَ ولايـــاتِ مُلْكـــه الخاقـــان؟
لكـــمُ لا لقيصـــرٍ أو لكســـرى	رُصِّـــع الـــتاج وازدهى الإيوان
وكفـــى هـــذه الرعـــيّةَ عـــزًّا	أنهـــا في رحـــابكم صـــنفانُ!

فهذا الذي جعل بعض النقاد يشكو الجهارة الخطابية والمباشرة والتقريرية في بعض شعره، بحيث يُضعِف ذلك من إحساسهم بالحيوية الفكرية فيه، فقد تسوقه الشكوى وتقليب صورها إلى استيفائها في جمل اسمية إخبارية متتابعة تتابعًا يستوفي بعض مقاطعها كاملة، في بعض القصائد. وقد يكون تفسير هذا النزوع يكمن في امتلاء النفس وتنازع صور الشكوى فيها، وعمق إحساسها بالحزن وثقل الهمّ.

على أنه حين يشتد انفعاله - ضمن جمله الإخبارية - تستغرقه الجمل المتوترة نداءً وأمرًا ونهيًا ومساءلة فيخفّف ذلك من أثر النـــزوع إلى التقرير،

وإن لم يخفّف من سطوع معانيه ومباشرتها.

أما جمالية الإيقاع في شعره فموفورة وفْرة لا يخطئها السمع أبدًا. يوفّرها له تكوينه المفطور الغنيّ بصور الإيقاع الشعري الموروث حسًّا وإبداعًا، في تكوين الجملة الشعرية واختيار وحداتها، وفي تذوق رنينها في فواصل البيت، وفي الأعاريض والضروب، وفي الرويّ وحروف قوافيه جميعًا: فالموسيقا، عنده، «ليست صناعة، ولكنها تنسكب من الطبيعة» هي «أساور وعقود، لا سلاسل وقيود»[٣]. هكذا تفيض أصداؤها في شعره:

أدموعًــــا تـــريدها أم رحـــيقا لا ونُعمـــاك مـــا عرفت العقوقا

تـــتحلّى عـــند المغيـــب لعـــينيَّ ضـــياءً عـــذب الحـــنان رفـــيقا

نم بعـــيني فقـــد فرشـــت لـــك الأحـــلام مخضـــلّة الورود طريقا

إن قلــــبي حمـــيلة تنبـــت الأحـــزان وردًا ونرجسًا وشقيقا

لـــو على الصخر نملة من جراحي راح مخضوضـــل الظـــلال وريقا

* * *

ولعله لهذا، ولمعانٍ أخرى، لم يخطر له، كما لم يخطر للجواهري ولأبي ريشة معه، أن يقرُبوا من شعر التفعيلة، إن لم يكن عدّوه كما عدّه الأخير (أبو ريشة) من «غير شعر الفصحى»!

وقد تغريه نماذج تكتظ بها ذاكرته، من شعر التراث، في مواقف نفسيَّة متماثلة، فينسج على مثالها شعرًا ينظر إليها في اختيار قوافيه (النص الغائب)، فيُغْني النموذجان أحدهما الآخر، إحساسًا، من البدوي، بعمق جذوره وتماثل تجربته وغنى أصولها، على نحو ما نعرف في شعر المعارضات:

---

(٣) يقول صديقه أكرم زعيتر: «إنه لم يدرس العروض» دراسة نظرية.

أنـا مـا عتبـت عـلى الصحا ... ب فلـيس في الدنـيا صـحاب

خـرْس ولكـن قـد تفـا ... صـحت الخـواتم والثـياب

أنـا كالمسـافر لاح لي ... أيـك، وأغـرتني قـباب

وتفتحـت حـولي الـريا ... ض الخُضْـر واصـطفق العُباب

ووثقـت أن الـنهر ملْـ ... ـك يـدي، ففاجأني السراب

فإلى جانبها نسمع صوت أبي فراس في مغتربه هو الآخر (في أرض الروم):

بمـن يـثق الإنسـان فيما ينوبه ... ومـن أين للحرّ الكريم صحاب

وقـد صـار هذا الناس إلا أقلّهم ... ذئابًـا عـلى أجسـادهن ثياب

ونسمع صوت المتنبي في مثل قول البدوي:

وثغـرها: آهـاً عـلى قـبلة ... طهـورة مـن ثغـرها آهـا

تُلـثمني ضـاحكة كفّهـا ... يـا ليـتها تُلـثمني فاهـا

وهكذا تتردد في أنفسنا، ونحن نقرأ شعره، أصداء قريبة من تراثنا الشعري، على مدى عصوره، معانيَ وصورًا وصياغات، على مثل قوله:

إذا انقصـفت أسـنّتنا وصـلنا ... بأيديـنا الأسـنّة والصّـفاحا

– ٤ –

لم تُتح للبدوي، كما رأينا، دراسة مستقرة، فتم تكوينه على ما درج عليه في نشأته، عن طريق المطالعة الذاتية، تغذيها حكمة التجربة والاختبار التي نطالع صورها في شعره، إذ غلبته أحداث حياته فبقي شعره يجول في منعطفاتها ومواقعها. إن أكثر ما بدت رؤاه الفكرية (التي غلب عليها، وعلى ثقافته، في جملتها، كما قلنا، العنصر الوجداني، وتغذيها صلته العميقة بالتراث) في اتجاهات شعره الوطنية والقومية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والإنسانية العامة، في

حدود ما يُنتظر من مثله في ماضيه الحافل، وحاضر صلته به وبالأحداث والناس من حوله، على اختلاف المراحل السياسية وألوان سياسات رجالها.

على أن رؤاه الفكرية، في المواقف الإنسانية العامة، تظلُّ أحفلَها بصور الحزن ومعانيه، على نحو ما تبينّا، تخالطها قيم سياسية واجتماعية وأخلاقية، يرتفع بها البدوي إلى أفق إنساني عام يتخطّى فيه واقعه الخاص الضيق، زمانًا ومكانًا، وتوشحها صور الطبيعة من حوله. فالوفاء لأصحابه الذين افتقدهم على طول الطريق، فناجى قبورهم الصامتة وهو بعيد عنها، وأصغى لاصطخاب الطيور على مشارفها، وأحسَّ بلهفتها إليه، و«أراق قلبه على ثراها وأهدى إليها قصائده» كما أملى على أُمامة:

أيـن الشـآم مـن الـبحيرة والمـآذن والقباب
وقـبور إخـواني ومـا أبقى من السيف الضِّراب
الصـامتات وللطـيور على مشارفها اصطخاب
أشـتاق أحضُـنها وألـثُمها، وللدمـع انسكاب
تحـنو الدمـوع على القبور فتورق الصُّمُّ الصِّلاب
ولهـا إليـنا لهفـة، ولطـول غربتـنا انـتحاب

* * *

ومع الوفاء التواضع لمن يستأهله، والاعتداد لمن يظهر العظمة عنده، يصطنعه وقلبه، إذ يُمليه على نفسه، يتفطّر ألمًا:

البِشْـر عـندي للعظـيم إذا تكبّر لا العتاب
عندي له زهـو يُدلّ على الكواكب واجتناب
يـزهو الكـريم وقلـبه دامٍ تمـزّقه الحـراب

ويظلُّ الإيمان النقي جُنَّته التي تحميه، وجنّته التي يلجأ إليها ويتحصَّن فيها: نَفَس صوفي يُشير إلى صفاء التكوين ويستبطن صوت رابعة العدوية:

أنــا لا أرجّي غير جبار السماء ولا أهاب

بـيني وبين الله، من ثقتي بلطف الله، باب

أبـدًا ألوذ به، وتعرفني الأرائك والرحاب

يـا ربِّ بابك لا يردّ اللائذين به حجاب

مفـتاحه بـيدي: يقـين لا يُلمّ به ارتياب

ومحـبة لـك لا تُكـدَّر بالرياء ولا تُشاب

وعبادة لا الحشر أملاها عليّ، ولا الحساب

وبهذا الصدق الساطع يستمسك ليحمي كرامته ويحفظ إباءه أن يَذِلَّ للئيم، أو ينحني لأحداث الزمان:

في غـربة أنـا والإبـا ء المـرّ والأدب اللُّـباب

طَـوْد أشـمّ فكـيف تـر شُـقني السـهام ولا أُصـاب

يخفـى الـبُغاث فـلا تُلِـمُّ بـه، ولا يخفـى العُقـاب

* * *

ونفسـي لو أنّ الجمر مَسّ إباءها على بشرها الريّان، لاحترق الجمر

* * *

كـبريائي فـوق النجوم ولولاها لمـا كنـت بالـنجوم خلـيقا

ولكنه، على هذا كله، لم يفتقد – وهو العميق الإحساس بما يَلقى –

إنسانيته، إذ احتفظ لها بحقها في الغضب والثأر والشماتة بمن أذلّ وطنه، وبالحقد الذي يغذّي تطلّعها إلى الانتقام منه. وأعلن هذا بمثل الحرارة التي عبّر بها عن تسامحه ولينه ومحبته، وباللغة نفسها:

آمنت بالحقد يُذكي من عزائمنا، وأبعد الله إشفاقًا وتَحنانا
إني لأشمت بالجبار يصرعه طاغٍ، ويُرهقه ظلمًا وطغيانا
لعله تبعث الأحزانُ رحمته فيصبح الوحش في بُرديه إنسانا
قل للأُلى استعبدوا الدنيا لسيفهمُ: مَن قسّم الناس أحرارًا وعِبدانا؟

وعلى هذا المثال يُخاطب المحتل الفرنسي بعد أن احتل الألمان باريس في الحرب العالمية الثانية، ويذكّره بما لقي منه، وبالقيم التي ادّعاها لنفسه:

سمعت باريس تشكو زهو فاتحها هلاّ تذكرتِ يا باريس شكوانا!
والخيل في المسجد المحزون جائلة على المصلّين أشياخًا وفتيانا
إذا انفجرتِ من العُدوان باكية فطالما سُمْتِنا بغيًا وعدوانا
عشرين عامًا شربنا الكأس مترعة من الأذى، فتملّيْ صِرْفها الآنا
ضغينة تتنزّى في جوانحنا ما كان أغناكمُ عنها وأغنانا!

وبمثل هذا الخطاب – ونحن نتحدث عن الجانب الإنساني من فكر الشاعر، ولهذا نُغفل الأسماء إذ نلتفت إلى معاني المواقف لا غير – خاطب الأفراد أيضًا، وبشّرهم بالفناء وبزوال سلطانهم:

من أنت؟ عاصفة وتذهب مثلما انقشع الدخانُ!

وربط بهذا، في أنحاء شعره جميعًا، الدعوة إلى النهوض والوحدة، وقد ألحّ عليها في شعره إلحاح من يدرك حاجة أمته إليها، وبعْث الأمل في النفوس، وتذكيرها بالماضي العظيم وكتائبه وفتوحه!

ســـألوني عـــن الغـــزاة فحـــاوبـــ ـــــت: ليالٍ تمضي ونحن الدهور
لن يعيش الغازي وفي الأنفس الحقــ ـــــد علــيه وفي القلوب السعير

ولكن صور الواقع الحزين تظلُّ تفرض نفسها[٤]، وإن لم يغب عنها وجه الأمل المرصود:

أنا حزن، شخص، يروح ويغدو ومســـائي مـــع الأسى والبكورُ
أيـــن مســـرى الـــبُراق والقدسُ والمهـــد وبيـــت مقدّس معمور؟
لم يُـــرتّل قـــرآن أحمـــد فـــيه ويُـــزار المـــبكى ويُتـــلى الزبور!

* * *

تمهلـــتْ أمـــتي لّمـــا غدت أممًا وزُوّر الوطـــن المســـلوب أوطانا

* * *

مـــا للســـفينة لم تـــرفع مراســيَها ألم تهـــيء لهـــا الأقـــدار رُبانا
شـــقّي العواصف، والظلماء حارية: باســـم الجزيرة مَجرانا ومَرسانا
ضمي الأعاريب من بدْوٍ ومن حَضَرٍ إني لألمـــح خلف الغيب طوفانا
يـــا مـــن يُـــدلّ علــينا في كتائبه نَظـــارِ تطلُعْ على الدنيا سرايانا

* * *

ثـــارات يعرب ظمأى في مراقدها تجاوزتهـــا سُـــقاة الحـــيِّ نِسيانا
ألا دمٌ يتـــــنـــزّى في سُـــــلافتها أســـتغفر الثأر، بل حَفّت حميّانا

---

(٤) بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧.

لا خالد الفتح يغزو الروم منتصرًا ولا المثـــنّى عـــلى رايات شيبانا

* * *

ويمثل هذا الزهو، بالماضي المجيد، زهوه – وهو الإنسان – بموهبته وخلود شعره:

الخـــالدان، ولا أعُـــدُّ الشـــ ـــــمس، شـــعري والـــزمانُ

* * *

ســـوف يُمـــلي التاريخ عنيَ ما يمـــلي فـــتخزى بظلميَ الأوطانُ

يُنصِـــف العـــبقريَّ دهـــرٌ فسيا نَ وفى أصـــــفياؤه أم خـــــانوا

* * *

مُرْ أرنّح عِطفيك بالشعر من عيـــ ـــني وقلـــبي منمـــنمًا منسوقا

حَضَـــري الخـــيال إن ذكر المنـــ ـــبِـــت سمّـــى نجدًا وسمّى العقيقا

* * *

وأنـــا الـــذي غنّى الشآمَ فهزّها مـــنه البـــيان العـــبقري المونِـــق

* * *

ويفتنه شعره، ويدركه فيه نزوعه الصوفي العميق، فيجعله يشهد من نار القدرة الإلهية ونورها أكثر مما شهد موسى في جبل الطور:

إن آنس النار بالوادي فقد شهدت عـــيني من اللهب القدسي نيرانا!

– ٥ –

ولسنا نحتاج إلى بيان قِيَمه الأخرى: في عمق المحبة وسَعتها، وتوشيح الوطن وأهله وقومه بحللها، وقيَمه الاجتماعية في نصرة المظلومين والمسحوقين[٥]، وكفّ يد الطغيان عن شعوب الأرض «فكل طاغية جبان»:

أنـــا أبكـــي لكـــل طاغ فما يســـتر إلا الضـــراعَة الطغيان

وانحيازه إلى الحفاظ على حرية الفكر والتعبير، والخروج بها إلى النور:

ســـبّة الدهـــر أن يُحاسب فكر في هـــواه، وأن يُغَـــلّ لســـان

الضـــحى والشجاع حلفا كفاحٍ مـــا احـــتمى بالظلام إلا جبان

وتهديده بعض الأنظمة بغضْبة شعوبها، وإن ضحكت لهم ومَرَنت على الرضا بالهوان:

حسبوا ضحكة الشعوب ارتياحًا واللظـــى حـــين يضحك البركان

لا يُهـــين الشـــعوب إلا رضاها رضـــيَ الـــناس بالهوان فهانوا!

ويخاطب صاحب السلطة، فينعى عليه إغفاله حقائق الناس، واحتفاله بالمظاهر:

الفكـــر مـــن صـــرعى هـــواك ومـــن ضـــحاياك الحـــنانُ

ولـــك العـــبادة لا لغـــيـــرك والتشـــهّد والأذان

ويُخاطب أرض الشام، فيجعلها هواه على مدى العمر:

---

(5) من شعره:

كـــلما أنّ في الخـــيام شـــريد خجـــل القصـــر والفـــراش الوثـــير

هـــذا الأدم أبي وأمـــي والـــبداية والمـــآب

ووسائدي وقلائدي، ودُمى الطفولة والسِّخاب[٦]

الروح من غيب السماء ومنكَ قد نُسج الإهاب

وفيما مرّ ما يكفي للتمثيل عليها، في جملة شعره، وعلى غلاء تراها وتراثها الحضاري وقيمها الروحية، وللتمثيل على ربطه الحاضر بالماضي وتوثيق صلته به، دون تشنُّج ولا أُحادية، فعناوين بحدها يحملها أبو حفص، ومروان، وخالد، والمثنّى، والأمويون، والرشيد، والمنصور، و«الظباء الأمويات» ومعهم جميعًا آل البيت.

– ٦ –

أعود فأقول: شعر البدوي صفحة ناصعة من ديوان حركة الإحياء (الكلاسـّـيّة الجديدة) في مراحلها الأخيرة، حين صاحبتها واختلطت بها حركة الشعر الوجداني (الرومانسية)، وإن بقيت تنفرد بسمْتها التراثي، قيَمًا ولغة ونهجًا في تصوير حركة الفكر والشعور، على نحو ما نجد عليه الحال في شعر الجواهري. وقد كان هذا، مع البدوي، يشكّلان الحجة الباقية لهذا النهج الشعري الذي نهجته حركة الإحياء في نهايات القرن التاسع عشر، وانتهت به إلى العقود الأولى من القرن الماضي. ولو تأملنا حقائق الصنعة الشعرية في المفهومين اللذين بدأنا بهما الحديث (خلق الحياة في الألْواح والصور، أو مخالطتها وعيشها بتمام حرارتها) تبادرت إلى أذهاننا حقائق الخلاف الذي شبَّ في العصر العباسي بين حركة عمود الشعر وحركة البديع. وأظنه يصلح

---

(٦) القلادة.

أن يتلبَّس حقيقة الخلاف الذي ينطوي في حركات الصنعة الشعرية على مدى الحياة، وإن اختلفت الأسماء والمذاهب والمدارس.

في شعر البدوي، مهما يكن الرأي فيما نقول، قيم تراثنا الشعري، كما قلت، وتقاليده الفكرية والجمالية واللغوية: الوضوح، القرب من الحس، عدم الإغراق في المجردات، غزارة الماء (العاطفة)، الجزالة، الاستقامة في اللفظ وصياغة جمله، صحة المعاني، مراعاة عُرف اللغة، في الأغلب، في مجازها، وهو مذهب العرب، كما يقول نقّادنا القدامى، في شعرها. وبهذا يمثّل البدوي لقيم (الكلاسية الجديدة) الجمالية أقوى تمثيل. على أنّ هذا ينبغي ألا يلفتنا عن قُدُراته الذاتية في تكوين لغته الخاصة التي يخفق فيها روحه الحار، ومعانيه، وصوره المبتدعة، ولفتاته الذهنية الباهرة، في مثل قوله مثلاً:

«قد هان حتى سمت عنه ضغينتنا»، وقوله:

ولــو شــئنا جزيــناه، ونُرضي ... شمائلَــنا فنوسِــعه سَــماحا!

* * *

وقوله:

جلّ شعري، أقيه بالروح من كـ ... ـل هوانٍ، والشعر كالعِرض يُوقى

وقــبلكِ مــا رأت عــيني همومًا ... مُدلّلــة وأحــزانًا ملاحــا

* * *

نكرِّر في الأخير ما قلناه ومثّلنا له، فقد أبقت فيه حياته ومعاناته الطويلة، دفقة غزيرة من الحزن، تظلُّ تلمع دموعًا في طيّات الأبيات. فمن هنا يكون العنصر الوجداني هو أقوى عناصر صنعته الشعرية: تقريرًا وتصويرًا. وتظل جملته الشعرية المرهفة القوية، ورموزه القريبة وصوره الحسية، وإيقاعاته

الساطعة، قادرة على نقل رؤاه الفكرية والشعورية التي عرضنا في الحديث لأمثلة كثيرة منها.

هو، في جملة واحدة، قبْسة ثمينة معاصرة من تراث الشعر العريق، تهيأ للبدوي أن يرقى، في كثير منه، إلى مراتب أولئك الفحول. وقد أمّدته حياته المضطربة وأحداثها الحزينة بزاد وجداني أرهفته ذكريات التاريخ العربي الإسلامي، فظلّ مخزونها يتردد صداه في شتى المواقف التي وقفها.

* * *

دقةُ الألفاظ وإيحاءاتُها في شعر المتنبي

قصيدتُه في مدح كافور «فراق» أنموذجًا

د. عبد الهادي خضير الحطاب

روى الصولي عن إسحاق الموصلي أنَّ رجلاً أنشد ابنَ هرمة قولَهُ:

بـــاللهِ ربِّـــكَ إنْ دَخَلْتَ فقلْ لها: هـــذا ابـــنُ هـــرمةَ قائمًا بالبابِ

«فقال ما كذا قلت، أكنْتُ أتصدق؟ قال: فقاعدًا

قال: كنْتُ أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفًا.

ليتَكَ علمتَ ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى»[(١)].

لعل هذا الخبر من خير الأمثلة وأشدّها دلالة على إحساس الشاعر المرهف بالألفاظ، وتنبهه عليها تنبهًا متميزًا، ينم على ذوق وإحساس فنيين عاليين، وإدراك عميق لما بينها من تفاوت في الدلالة والمعنى.

وبذا كان للألفاظ المقام الأول في العملية الإبداعية، مادامت اللغة أداة المبدع الأدبي - شاعرًا كان أم ناثرًا - في تشكيل بنائه الفني، وهي وسيلته لنقل شعوره وتجربته إلى الآخرين، وهما ما يجب أن تصورهما الألفاظ وطريقة تأليفها أدق تصوير...

وإذا كانت المعاني «مطروحة في الطريق» كما عبّر الجاحظ فإن «المعنى»، أو بتعبير أدق الوصول إلى المعنى، لم يكن هدفًا بذاته، مادامت الألفاظ الرديئة تقوم مقام الجيد منها في الفهم والإفهام.

---

(١) كتاب الصناعتين (٧٤).

ومن قدرة المبدع الأدبي على اختيار ألفاظه ووضعها في مواضعها، يأتي تميزه من سواه، ولذا يتفاوت المبدعون في «أساليبهم» ممثّلة بالألفاظ التي اختاروها والتي تعبّر عن إحساسهم العميق بجمالها وبطاقاتها الإيحائية، وقدرتها على تجسيد المعاني في ذاتها، فضلاً عن المعنى العام الذي يؤلّفه النظم.

ويظل المتنبي بين شعراء العربية – قدماء ومحدثين – علمًا بارزًا في هذا الباب، فمن يُنعم النظر في شعر هذا الشاعر، يتجلّى له المتنبي معماريًا فذًا، يُحسن هندسة بنائه الفني، إلى الحد الذي لا يكون في مقدور أحد – كائنًا من كان – أن يزحزح لبنة واحدة من هذه العمارة الباهرة الجميلة، أو أن يستبدل بها غيرها، لأن ذلك يأتي عنه «إما تبدّلُ المعنى الذي يكون منه فسادُ الكلام، وإما ذهابُ الرونق الذي يكون معه سقوطُ البلاغة»[٢]، كما قال الخطابي معبّرًا عن بلاغة النص القرآني، ودقته في وضع الألفاظ في مواضعها.

وإذا كانت لنا – قبل هذه الدراسة – محاولتان لارتياد عالم المتنبي الشعري هذا، وسبر أغواره[٣]، وإذا كانت المحاولة الأولى قد انصبّت على قصيدته في هجاء كافور، والمحاولة الثانية على قصيدته في عتاب سيف الدولة، فإن هذه الدراسة – وهي في مدح كافور – تسعى – فضلاً عن تأكيد ما قررته الدراستان السابقتان من دقة المتنبي في اختيار ألفاظه المعبّرة والموحية ووضعها في مواضعها – لإبراز موضوع غاية في الأهمية، وهو مدى

---

(٢) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (٢٦).

(٣) الدراسة الأولى: «المتنبي في معيار النقد البلاغي من خلال قصيدته «عيد»» المنشورة في مجلة كلية التربية للبنات، ع٣ س ١٩٩٢. والدراسة الثانية: «دراسة نقدية بلاغية لقصيدة المتنبي» «واحرَّ قلباه» المنشورة في المجلة نفسها: م١٣ ج١ س ٢٠٠٢.

صدق المتنبي في مدح كافور، وهل كان هذا المدح يصدر عن إحساس المتنبي بأحقية هذا الرجل بالمدح؟... إذ ستتجلّى لنا شخصية المتنبي الشعرية، شخصية فذة، متمكّنة من أدواتها الفنية، وماسكة بزمام اللغة تسيّرها كيف تشاء ويبدو لنا شاعرًا موهوبًا في اختيار ألفاظ في هذا المقام، هي أشبه «بالبلورات» التي تعطيك ألوانًا متعددة بحسب الزاوية التي توجّه منها نظرك إليها، لتختار بعد ذلك المعنى الذي تبتغيه أو المعنى الذي تعتقد أن المتنبي أراده ...

أمّا هو فيظل مستويًا في جلسته، متربّعًا على عرشه ينظر إلينا من عَلٍ ونحن نجاهد في الوصول إلى مبتغاه... ويردد مع نفسه مبتسمًا:

أنـــامُ ملءَ جُفونِي عَنْ شوارِدِها ويَســـهرُ الخَلْـــقُ جَرّاها ويختصمُ

بين يدي القصيدة:

تأتي هذه القصيدة وليدة صراع نفسي قاسٍ، كان يعيش فيه أبو الطيب المتنبي، وهو يغادر سيف الدولة مرغمًا بعد أن أحسّ الذل والمهانة في بلاطه، و لم يلمس منه بادرة لرد اعتباره، وهو الذي اصطفاه حبيبًا لنفسه، قبل أن يكون ممدوحًا يرتجي عطاياه.

لقد أحبَّ المتنبي سيف الدولة حبًّا متميّزًا ستتجلى صورته في هذه القصيدة، وكانت مدائحه فيه تصدر عن نفس معجبة بهذا الأمير الحلبي الذي استولى على قلب المتنبي بعظيم صفاته وجميل شمائله، وتنامى هذا الحب حتى صار عشقًا مَلَكَ على المتنبي كل مشاعره وأحاسيسه. وما كان للأمور أن تسير سيرها الطبيعي بين أمير السيف وأمير الكلام، وما كان للزمن أن يظل رخيًّا هانئًا للمتنبي، إذ سرعان ما استطاع أعداء المتنبي وحاسدوه أن يُوغروا صدر الأمير عليه، فيبدأ بإهمال المتنبي وتجاهله، ثم تقديم من هو أدنى منه

عليه، حينذاك نبّه المتنبي الأمير على ما يجري تلميحًا، ثم تصريحًا، حتى إذا لم يجد منه تغييرًا كاشفه بحقيقة ما يجري، في قصيدته «واحرَّ قلباه» وحذّره من مغبة تصديق ما يقوله أعداؤه فيه، وأنذره أنه سيغادره إلى سواه وأنه سوف يندم على تفريطه به، ولكن لات ساعة مندم.

وهكذا غادر المتنبي سيف الدولة على حبه الكبير له، وصار مضطرًا إلى أن يقصد كافورًا على ما يرى فيه من «قلّته في نفسه، ونقص عقله، ولؤم كفّه، وقبح فعله»[٤]، كما يقول أبو العلاء المعري، علَّ هذا الأسود المخصي يُحقق له ما عجزت عنه الفحول البيض، وتكون مجازاة كافور للمتنبي، وهو يستخلصه ممدوحًا دون سواه من الأمراء الذين كانوا يمنّون النفس بضم شاعر العرب إلى بلاطهم، ويبذلون له عطاياهم بلا حساب، أن يُحقق له حلم حياته «الولاية» التي اعتقد المتنبي أنها وحدها من تنصفه من دهره العاق الذي لا يعطي كلَّ ذي حق حقه، وأنها ستكون وسيلته في كيد أعدائه وحاسديه، ثم تحقيق ما تصبو إليه نفسه من سيادة وعز.

القصيدة من البحر الطويل، وهو صالح في تفعيلاته الثماني لاستيعاب مشاعر الألم والحزن التي كانت تعتصر قلب الشاعر، فضلاً عن أنه البحر المثالي لقصائد المديح عند العرب. أما قافيتها فهي «الميم» وهي ومعها «النون» خيشوميّتان، يجري النَّفَس فيهما على شكل غُنّة[٥]، ويتكون بعد انطباق الشفتين وانحباس الهواء الخارج من الرئتين، ثم خروجه من الخيشوم

(٤) شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري (معجز أحمد): (٤/ ٧٥).

(٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية (٣٥). وكذلك الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني (٣١٧).

بما يلائم الأنين المكتوم المنبعث من نفس المتنبي المجروحة من سيف الدولة، ومن اضطراره إلى الوقوف بين يدي كافور مادحًا.

يعزّز هذا اختيار (الكسرة) حركةً لهذه الميم، فهي فضلاً عن مناسبتها لما كان يشعر به المتنبي من ذلٍّ وانكسار - عند مد الصوت بها أي: إشباعها - تكون ياءً معبِّرة عن الحسرة على ما فات، والألم مما هو واقع.

القصيدة واحد وأربعون بيتًا، وهي بهذا الطول لا تندُّ كثيرًا عن قصائد المتنبي الأخرى، حرص المتنبي فيها على أن يقدِّم نفسه لكافور، ليعرفه عن قرب، فهي أشبه ببطاقة تعريف للمتنبي عند كافور. فمنذ أول بيت فيها يذكر المتنبي كافورًا أنه، وإن اضطرَّ إلى فراق سيف الدولة، وعلى الرغم مما حصل بينهما من جفوة، لا يفكر في ذم الأمير الحلبي، أو الانتقاص منه، وبعبارة أوضح، إن مديحه لكافور لن يكون بهجاء سيف الدولة فهو مع كل ما فعله «غير مذمَّم». ثم شرع بتقديم نفسه لكافور وذلك من البيت الثاني في القصيدة، إذ يوضِّح سجاياه، وما يتركه من أثر في نفوس من يعاشرهم، رجالاً ونساءً، ثم بيَّن طبيعة علاقته بسيف الدولة، وشروطه في اختيار من يكون صديقًا له ومفهومه الخاص للصداقة والصديق... ويستغرق هذا ستة عشر بيتًا من القصيدة. ينتقل بعدها أبو الطيب لمدح كافور مدحًا سنعرف طبيعته حين نقف على أبيات القصيدة. وإذا كان هذا المدح هو الغالب على الجزء الأخير من القصيدة، فإن إنعام النظر فيه، يؤكِّد أن المتنبي قد قاسم كافورًا كل أبياته، وهو يصف ما صادفه من لوم وما تعرَّض له من محاولات لثنيه عن عزمه على التوجه إلى كافور، وكأنه يريد أن يقول له إنه متفضِّل عليه بهذه الوفادة، وإن هناك من يراقب علاقتهما الجديدة هذه مرجِّحًا

إخفاقها ليشمت بهما، وبذلك فإنه يضع كافورًا في زاوية خانقة، وهو يصرِّح له بما يرجوه منه، وما يعقده عليه من آمال، فهو ملاذه الأخير، وهو سلاحه في تحقيق النصر على أعدائه، والانتقال به إلى حال النعيم الذي سيغيظ حسّاده ويخيّب ظن اللائمين... مضمِّنًا قصيدته أبيات الحكمة الخالدة التي تعكس خبرة المتنبي بالحياة والناس.

تحليل القصيدة:

فِـــرَاقٌ وَمَـــنْ فَارقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ   وَأَمٌّ ومَـــنْ يَمَّمْـــتُ خَـــيْرُ مُيَمَّمِ

إنَّ الألم الذي يعتصر قلب المتنبي، وهو يفارق سيف الدولة مكرهًا وما مرَّ به من معاناة بعد هذا الفراق، واضطراره إلى أن يقصد كافورًا هي التي جعلت لفظ (فراق) مفتتحًا لقصيدته، ذلك «أن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس»[٦]، وبذلك جاءت نكرة استعظامًا لهذا الفراق، وما أحدثه في نفسه. ثم إنه قصد التنكير، حتى لا يصرِّح باسم سيف الدولة، وهو ما يؤكِّده اختيار الاسم الموصول (مَنْ) دون التصريح بالاسم، مع أنه جمع بين الفراق والاسم الموصول، (فِراقٌ ومَنْ) فما إن تداعى إلى ذهنه الفراق حتى تداعى بعده مباشرة «مَنْ» فارقَهُ. ثم كرّر لفظة (فراق) بقوله (فارقتُ) ليؤكِّد أنه هو الذي اختار الفراق، و لم يطلب منه أحد ذلك، فهو عزيز النفس، أبيٌّ لا يحتمل أيَّ إهانة، ولا ينتظر أن يُطلب منه المغادرة، بل هو الذي يبادر بذلك مهما كانت المنافع واللذات التي يتحصَّل عليها، وهو ما يؤكِّده البيت التالي لهذا البيت.

(٦) دلائل الإعجاز (٩٨).

إنّ الصراع النفسي الذي كان يعيش فيه المتنبي، بين حبّه العميق لسيف الدولة، وما لمسه منه من تكريم وحفاوة، وما وجده منه بعد ذلك من إهمال وجفوة، وعدم مبادرته في رد إهانة من أهانوه، جعله مختارًا بين أن يذمَّه أوْلا، وهكذا قال (غير مذمَّم) ذلك أن لفظ (مذمَّم) معناه «مذموم جدًا»[٧]، فكأنه أراد أن يقول إن سيف الدولة مذموم، ولكن ليس مذمومًا جدًّا.

ولعل هذه المقابلة التي ميدانها ذات المتنبي وتفكيره، بين حاليه يوم كان عند سيف الدولة واضطراره إلى مفارقته، ومقته الكبير لكافور واضطراره إلى قصده، هي التي جعلته – دون وعي منه – أن يخلق هذا التوازي الواضح بين شطري البيت، فلفظه (فراقٌ) بمقابلة (أَمٌّ)، (ومَنْ فارقتُ) بمقابلة (ومَنْ يَّممتُ)، و(غيرُ) بمقابلة (خيرُ) و(مذمَّم) بمقابلة (ميمَّم)...

إنها تعادلية معنوية خلقت توازيًا لفظيًا.

بدأ المتنبي عجز البيت بلفظة منكَّرة (أَمٌّ) كما بدأ الصدر بلفظة (فراقٌ)، فكما استعظم فراق سيف الدولة استعظم كذلك أَمَّ كافور، فما كان في تصور أبي الطيب أنه سيضطر يومًا إلى أن يقف بين يدي رجل مثل كافور ليمدحه. وكما لم يصرح باسم من فارق، لم يصرِّح باسم من أمَّ، وكأنه يعبّر بذلك عن جهله بحقيقة هذا المأموم، وما سيكون عليه حاله معه، وربما كان هذا ما جعله يكرِّر الألفاظ المعبِّرة عن هذا الأم ثلاث مرات (أَمّ... يممت... ميمَّم)، في حين ردَّد لفظ الفراق مرتين (فراق...: فارقت) فأَمُّهُ كافورًا، هو الأهم عنده الآن، وهو ما يشغل باله، فهو لا يزال يفكر فيه وماذا ستكون نهاية ما أقدم عليه، وهو ما جعله يسند الفعل إلى نفسه (يممّتُ) فهو الذي

(٧) مختار الصحاح (٢٢٤).

اختار كافورًا فقصده، على الرغم من لوم اللائمين، الذين حاولوا ثنيه عن عزمه، كما سيصرِّح بذلك في أبيات القصيدة اللاحقة.

بقي أن نسأل لماذا اختار المتنبي لفظ (الأمّ) فقال (أمٌّ، يممّتُ، ميمَّم) دون غيرها كالقصد أو اللقاء أو الوفادة أو سواها من المرادفات الدالة على المعنى نفسه؟ يمكن القول إن شعور المتنبي بالمرارة وهو يُكْرِهُ نفسه على قصد كافور هذا العبد الأسود والمخصي الذي تزدريه العين حالما تقع عليه، واضطراره إلى مدحه بعد أن أحسَّ أن لا سبيل أمامه لتحقيق ما تصبو إليه نفسه سوى بيع حريته وشعره لكافور، هو الذي جعله يختار ألفاظًا قريبة من لفظ (التيمّم)، وهو ما يضطر إليه المصلّي حين لا يجد ماءً فيلجأ إلى تعفير يديه وجبهته بالتراب، فلولا الحاجة لقضاء الواجب (الصلاة) وامتناع الماء عليه لما مسَّ التراب، وهذا هو حال المتنبي فحاجته ألجأته، بعد غياب الماء عنه (سيف الدولة)، إلى أن يتيمَّم التراب (كافورا) أملاً في تحقيق ما يريده.

وَمَــا مَنْزِلُ اللّذاتِ عِنْدي بمَنْزِلٍ إذا لَــمْ أُبَجَّــلْ عِــنْدَهُ وأُكرَّمِ

من البيت الثاني في القصيدة بدأ أبو الطيب تقديم نفسه لكافور، فهو يبيِّن له أوّلاً سبب مغادرته بلاط سيف الدولة، على ما كان متوافرًا له من لذات ومُتع هناك. لأنه يريد ما هو أعظم وأبقى... إنه يريد التعظيم والتكريم... وكأنه يضع بين يدي كافور أهم شروطه عليه حتى يمكث عنده.

ربما كان إحساس المتنبي بنــزول قيمته وقدره، بعدما تعرَّض له من إهانات في بلاط سيف الدولة، هو الذي دعاه إلى اختيار لفظ (منــزل) دون سواه، فهو مكان نزلت فيه قيمته، فضلاً على أنه قد أضاف لفظة (منــزل) إلى (اللذات) بكل ما تعنيه اللذة من استسلام الإنسان لغرائزه

وانقياده لأهوائه. يؤكّد ذلك، بل يقوّيه، إن لفظة (اللذة) مرتبطة بالفعل (لذّ)، وإذا ما قلبنا الفعل صار (ذلّ)، وهكذا فإن اللذة في هذا المنـــزل إذا ما نُظر إليها من جهة ثانية فإنها ذلٌّ، وإشارة منه إلى كثرة هذه اللذات وتنوعها جاء بها بصيغة الجمع (اللذات).

وتأكيدًا منه لاختصاصه بهذه النظرة وتفرُّده بها قال (عندي)، فقد لا يكون هذا رأي سواه من الناس، لاسيما أولئك الشعراء الذين ارتضوا البقاء في بلاط سيف الدولة، ذلك أن ما يهمهم هو ما يكسبونه وما يتحقق لهم من لذات ومتع، أما هو فقد تفرَّد بالارتفاع فوق هذه الغرائز والأهواء... إنه لا يرضى أن ينـــزل هذا المنـــزل، إنه لا يقبل أن (يلذّ) جسده بما (يذلّ) نفسه... هذا هو (قياسه) للأمور، ولذا نراه يكرِّر لفظة (منـــزل) مسبوقة بباء زائدة، قيل عنها إنها مقيسة إذا وقعت في خبر ما[٨].

إن ورود الباء زائدة قياسية قبل لفظ (منـــزل) إيحاء بإمكان استغناء المتنبي عن هذا المنـــزل، وإن هذا هو مقياس حياته، الذي يعرضه على كافور، حتى يكون على بيّنة وهو يضم أبا الطيب إليه... إنه لا يتهالك على اللذات الجسدية المتدنية، إنما هو يريد التبجيل والتكريم، وهذا ما دعاه إلى أن يأتي بهما بصيغة الفعل (أُبجِّل.. أُكرِّم) كي يؤكّد تجددهما واستمرارهما، ثم ضعَّفَهما ليشير إلى أنهما تبجيل وتكريم متميزان، أو أنه يسعى إلى تبجيل وتكريم مبالغ فيهما، ثم هو قدَّم (التبجيل) على (التكريم) حين قال (أبجِّل... وأكرِّم)، ذلك أن التبجيل هو التعظيم وهذا لا يكون إلاّ في المعاملة

(8) الجنى الداني في حروف المعاني (١١٥).

والسلوك، أما التكريم فيمكن أن يكون بالمال أيضًا، ولكنّ المقدّم عند المتنبي هو التبجيل فهو الأهم، لذا قدّمه.

يُلاحظ أنه قال في الشطر الثاني (عنده) إشارة إلى المنـــزل وفي الشطر الأول (عندي) إشارة إلى نفسه، وهذا يُوحي أن المتنبي لم يرد بقوله (عنده) المنـــزل، إذ كان بإمكانه أن يقول (فيه)، وإنما أراد به سيف الدولة، وإنْ لم يصرِّح بذلك، فكأنه خلق بذلك مقايسة بين ما يراه هو، وما يراه سيف الدولة، فإذ يرى سيف الدولة، أن المتنبي شاعر، وما يهمه هو الحصول على المال، مصدر اللذات والمُتع، يرى المتنبي أن المهم عنده هو التبجيل والتكريم... يقوّي ذلك، أننا نستطيع أن نقرأ لفظ (منـــزل) بضم الميم (مُنـــزل) بصيغة اسم الفاعل، فتأتي موافقة تمام الموافقة لما ذهبنا إليه، من أنه أراد بلفظ (منـــزل) سيف الدولة، أو حتى بلاطه الذي تماهى به فصارا شيئًا واحدًا.

سَـــجِيَّةُ نَفْـــسٍ مَـــا تَزَالُ مُلِيحَةً مِـــنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرَمِ

يؤكّد المتنبي في هذا البيت ما قاله في البيت السابق «عندي» أي إنه مخصوص بهذا الأمر. فأوضح أن هذا هو طبعه وسجية نفسه. ومعلوم أن السجية هي «الخُلُق والطبيعة»[٩]، ولعله أراد أن يؤكّد أن نفسه لا تهدأ ولا تسكن إلاّ للتبجيل والتعظيم، ولذا تداعت لفظة «سجية» إلى ذهنه دون سواها من مرادفاتها، لقربها من «السجو» أي السكينة والهدوء، واستعمالها مضافة إلى «نَفْس» التي جاءت نكرة، والمراد بها نفس المتنبي، كما يفسرها السياق، يؤكّد اختصاص نفس المتنبي بهذا الأمر وهو ما دعاه إلى المجيء بها نكرة تعظيمًا لها، أيْ نفسٌ وأيُّة نفس، تلك هي نفس المتنبي.

(٩) مختار الصحاح (٢٨٧).

إنّ المتنبي - على ما كان يلقاه من تكريم وتعظيم حيثما حلّ - ظل يشعر دائمًا أنه لم ينل حقه، ولم يحقّق ما يصبو إليه وظلّ دائمًا - على ما وصل إليه من مكانة يحسده عليها كل الشعراء - يعيش في صراع داخلي، يؤججه إحساسه أن من هو أدنى منه قدرة وموهبة، قد أعطاه زمانه فوق ما يستحق، ولكنه - وهو المتنبي بكل عظمته - ما يزال ينتظر عطايا ممدوحيه وهباتهم، وفيهم من لا يدانيه في خصاله. وهكذا ظل يشعر دائمًا بالضيم، وأن دهره يناصبه العداء وأنه لم ينل ما يريده، وهو ما جعله يستعمل لفظ «مُليحَة» التي - وإنْ كان معناها مشفقة أو خائفة - فإنها توحي بمعنى مَنْ لوّحته الشمس إذا «غيَّرته وسفَعَتْ وجهَه»(١٠).

فقد عانى كثيرًا، شأنَ من لوّحته الشمس وهو يسير تحتها مضطرًا وهو ما دعاه إلى استعمال لفظ «الضيم» التي تعني «الانتقاص»(١١) دون سواها، وإذا كانت هذه اللفظة مقابلة «للعز» أدركنا أن هذا هو هَمُّ المتنبي الكبير وهو ما جعل نفسه قلقلة حيرى لا يقرّ لها قرار ولا تستقر على حال.

ولكي يُطمئن أبو الطيب نفسه بأن هذا الأمر خارج عن إرادته، وأن هناك قوى أكبر منه، لا يقوى على مصارعتها ولا يستطيع لها تبديلاً، هي التي ترسم له طريق حياته قال «مرميًا» بصيغة اسم المفعول، ولم يسند الفعل إلى نفسه، فهو لم يُورد نفسه هذا المورد، وإنما هي مقاديره وحظه وزمانه الرديء جعلته يسلك الطرق الوعرة والمسالك الصعبة، هربًا من الضيم والذل... ولذا قال «مرميًا بها» فقد ابتلي قدرُهُ به كما ابتلي هو به.

---

(١٠) م. ن (٦٠٨).

(١١) العين: (٧/ ٧٢).

وإذا كانت لفظة «مخرم» هي «ما خرمَ السيلُ، أو طريق في خف أو رأس جبل»[١٢]، فإن ورودها هنا تصوير صادق لما كان يشعر به المتنبي، فكأن الضيم جبل جثم على صدره، أو أن قدره يحاربه فيقطع عليه طريقه بجبل كبير، يحاول هو أن يجد فيه لنفسه مخرمًا. وقد لا نغالي إذا ما قلنا إن هذا «المخرم» عند المتنبي إنما هو كافور، الذي لاح له أملاً ضعيفًا، أو (خرمًا) صغيرًا يحاول بالاستفادة منه أن ينفذ إلى تحقيق ما يريده... وبذا يبدو لنا سيئ الظن بكافور منذ البدء، فهو ليس شيئًا كبيرًا يعقد عليه الآمال وربما لم يجده أهلاً لتحقيق ما يصبو إليه، ولكن ماذا يستطيع أن يفعل، وقد سُدَّتْ الطرق جميعًا في وجهه... إنه ليس في وضع من يستطيع المفاضلة أو الاختيار.

رَحَلْــتُ فَكَمْ بَاكٍ بأَجْفانِ شَادنٍ عَــليَّ وكَــمْ باكٍ بأَجفانِ ضَيْغَمِ
وَمَــا رَبَّــةُ القُــرْطِ الَمليحِ مكانُهُ بأَجْــزَعَ منْ ربِّ الحُسامِ الُمصمِّمِ
فَلَــوْ كان ما بي مِنْ حبيبٍ مُقنَّعٍ عَــذَرْتُ ولكِنْ مِنْ حَبيبٍ مُعمَّمِ

في هذه الأبيات يصوِّر المتنبي مكانته عند من يعاشرهم وما يُحدثه فراقه في نفوسهم، نساءً ورجالاً، من ألم يدفعهم جميعًا إلى البكاء حدَّ الجزع، حتى إن الرجال، وهم من يُفترض فيهم الجَلَد والصبر، أكثر جزعًا من النساء لفراقه. ثم يلتفت إلى حاله ليقول إنه لأمر غريب أن يعاني ما يعانيه من ألم الفراق وشدة الوجد لأنّه أحب رجلاً (سيف الدولة) إذ جرت العادة أن يعاني الرجل من حب امرأة وفراقها، والناس تعذره في هذا، وهو يعذر نفسه كذلك، ولكنه المتنبي، عجيب في كل شيء، متفرد عن الآخرين، حتى فيمن يحب.

---

(١٢) م. ن: (٤/ ٢٥٩).

ابتدأ البيت الرابع بقوله: (رحلتُ) وهي وإن كانت بمعنى سار وانتقل، إلاّ أن علاقتها بالرَّحْل واضحة، فـ «الرحل مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث»(١٣)، فهل أراد المتنبي أن يقول إنه لم ينقل من بلاط سيف الدولة سوى مسكنه وأثاث بيته؟ وإنه لا يزال يعيش في ذلك المكان بروحه؟... أم إنه كان يشعر أنه في رحلة وأنه سوف يعود إلى هناك مهما طالت سفرته؟ يؤكّد ذلك قوله (رحلتُ) إذا أسند الفعل إلى نفسه، فهو الذي اختار الرحيل، و لم يطلب ذلك منه أحد، ولذا فإن عودته مرهونة بقراره هو.

إنَّ من يُنعم النظر في هذه الأبيات الثلاثة، يجد فيها ست كنايات متتابعات، اثنتين في كل بيت، إحداهما عن المرأة والأخرى عن الرجل: «باكٍ بأجفان شادن، باكٍ بأجفان ضيغم» و«ربة القرط المليح مكانه، رب الحسام المصمم» و«حبيب مقنع، حبيب معمم». وتتابع هذه الكنايات يوضِّح حقيقة موقف المتنبي من هؤلاء الذين فارقهم (سيف الدولة وأهل بيته) وما يحمله لهم من حب واحترام، فهو حريص أشد الحرص على ألاّ يسمِّيهم بأسمائهم، بل يكنِّي عنهم، وهو يتحدث عن مشاعرهم نحوه، وكأنه يريد أن يلمّح لنا بمشاعره هو عنهم، فهو لايزال يحمل لهم كل الودِّ والاحترام ولا يريد لأسمائهم أن تُبتذل بمداولتها في الشعر في غير المديح، ولعل في قوله «ربة القرط المليح مكانه» خير دليل على تأدبه في الحديث عمن يحب، فقد نسب الملاحة إلى مكان القرط دون أن يسميه، والعبارة كلها كناية عن الجمال، وليست حديثًا صريحًا فيه.

---

(١٣) مختار الصحاح (٢٣٧).

يبدو أن تأثر المتنبي لموقف المرأة المودِّعة وهي تبكي لفراقه، هو الذي دعاه إلى تأخير متعلق (باك) وهو (عليَّ) إلى آخر العبارة، فهو في موقف شغله بكاء هذه المرأة لا سبب بكائها، وهو ما جعله يقدِّم بكاءها على بكاء الرجل، وحتى لا يُفهم من كلامه هذا أنه قدّمها لأنها الأكثر بكاءً، تدارك ذلك في البيت اللاحق حين نفى أن تكون المرأة أشد جزعًا لرحيله من الرجل، مع أنه ظل محافظًا على تقديم المرأة على الرجل في ترتيب العبارة في الأبيات الثلاثة.

وإذا كان المتنبي قد آثر التعبير بالكناية، للتمويه على من عناهم بأبياته السابقة، فلا شك في أن وصف المرأة بالشادن، وربة القرط المليح مكانه، والحبيب المقنع، ووصف الرجل بأنه ضيغم، ورب الحسام المصمم، وحبيب معمم، يوضح أن هؤلاء الباكين لفراقه ليسوا من عامة الناس، الذين يسهل بكاؤهم إنما هم من عِلْيَة القوم، وبكاؤهم لا يكون إلا للأمر الجلل. ولابد أن يستوقفنا تعبيره المجازي (باك بأجفان) فالبكاء إنما يكون بالعيون، فلماذا جعله بالأجفان على طريقة المجاز المرسل؟ أتراه أراد أن يلمّح إلى أنه شُغِل بمنظر هذه الجفون التي أغرقتها الدموع؟ أم أنه أراد أن يشير إلى غزارة ما ذرف لفراقه من دموع، حتى إنها ملأت العيون ثم غطت الجفون فصار الدمع يبدو خارجًا منها لا من العيون؟

وإذا كان بعض الشرَّاح قد فسّر قوله: فلو كان ما بي... (البيت) على أنه «يقول: لو كان الذي أشكوه من الغدر بي كان من امرأة عذرتُها، لأن شيمة النساء الغدر، ولكنه من رجل فلا أعذره»[14]، وشرحه آخر بقوله:

(١٤) شرح البرقوقي: (٤/ ٢٦٤).

«لو كان ما بي من الشوق إنما هو لحبيبي المقنع، لعذرت نفسي في فراقه، لأني فارقته لطلب المجد والعلا، ولكن أي عذر في مفارقة حبيبي المعمم؟ وما رجوته من قصد غيره، كان موجودًا عنده، يظهر الندم على فراق سيف الدولة»[١٥]، فإننا نرى أن المتنبي لم يُرد (الغدر) كما لم يُرد (الندم)، وإنما أراد (الحب) وما أثّر فيه هذا الحب من آثار اعتاد الناس أن يروها على الرجل وهو يعاني من حبه للمرأة، أما أن تكون هذه نتيجة معاناة حبه لرجل آخر مثله، فهذا ما لم تَجْرِ به العادة، وهو ما لا يعذر نفسه عليه.

ويُلاحظ أن المتنبي حذف المفعول به في قوله (عذرتُ) فهل تراه أراد (الحبيب) فهو يعذر المرأة إن صدّتْ وأخلفَتْ وعودَها حتى يزداد حبيبها تعلقًا بها؟ أما (الحبيب) الرجل فلا يعذره لأن هذا ليس من شيمة الرجال! أو أنه أراد (نفسه) أي إنه يخاطب نفسه مستغربًا ما أصابها لأنها لم تُعَلّق امرأة فتُعذر، إنما عُلّقت رجلاً.

رَمَى واتَّقى رَمْيي ومِنْ دُونِ ما اتَّقى ... هوًى كاسرٌ كفّي وقوسي وأسْهُمي

لم يعتد المتنبي السكوت على من آذاه، أو لم يُحسن معاملته. ولكن حين يأتي ذلك من حبيب يهواه، فإنه لا يردّ عليه ليس عجزًا أو ضعفًا، إنما هو هواه الذي يمنعه من رد الإساءة إليه.

يلمّح أبو الطيب إلى أنه لم يبادر بالإساءة، وهكذا بدأ بيته بلفظ (رمى) فالآخر هو الذي بادر بالفعل... ويُلاحظ أنه لايزال مصرًّا على عدم التصريح باسم من يعينه في كلامه وإن عاد الضمير في (رمى) على «الحبيب المعمم». وإذا كان معنى الفعل (رمى) واضحًا، فإن من دلالات الرمي إلقاء الشيء من

(١٥) شرح أبي العلاء المعري: (٤/ ٧٧).

اليد، فهل أراد المتنبي أن يقول إن سيف الدولة هو الذي فرّط به واستغنى عنه؟ وإنه لا يستطيع مجازاته بالمثل، لأنه يهواه؟ ويُلاحظ أنه حذف مفعول (رمى) فهل تعمّد ذلك ليُوحي أنه أخطأ في رميته و لم يصب المقصود؟

وكي يؤكد أن هواه مع سيف الدولة، دائمًا، وأنه لا يفكِّر في هجوه أبدًا، قال: «ومن دون ما اتقى هوى كاسر» بصيغة الجملة الاسمية، وجاءت (كاسر) بصيغة اسم الفاعل للتدليل على ثبات هذا الهوى في قلبه، ومنعه من رد الإساءة إلى الحبيب. ولاشك في أنه حين استعمل لفظ (هوى) من بين مرادفاتها، إنما أراد أن يؤكِّد أن هذا هوى روحه، فالهوى هو «هوى النفس»[١٦] ...إنه يعشق سيف الدولة، وهذا وحده ما يمنعه من هجائه، مكنّيًا عن ذلك بكفه وقوسه وأسهمه، فقصائده قادرة على النفاذ إلى من يُسيئون إليه نفاذ السهام، ولكن سيف الدولة اتقى ذلك بأقوى حجاب، وهو هواه في قلب المتنبي «وهذا عتاب لطيف»[١٧].

إذا سَـــاءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصـــدَّقَ مـــا يعـــتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
وعَـــادى محبِّـــيهِ بقـــولِ عُداتِهِ وأصْـــبَحَ في ليلٍ منَ الشَّكِ مُظلِمِ

كعادة المتنبي في الانطلاق من قيود الخاص إلى رحابة العام في صوغ أبياته الحكيمة، يرسِّخ هنا تجربته الخاصة مع سيف الدولة في بيتين يضمان حكمة تصلُح لكل زمان ومكان... ولاشك في أن سلوك المتنبي هذا المسلك هنا إنما يترجم ذكاءه في عتاب سيف الدولة عتابًا مؤدَّبًا ما كان ليسلكه لولا حبه له، فكأنه بذلك يؤكِّد ما قاله في البيت السابق من أن هواه يمنعه من هجائه. فمع إحساس المتنبي بالضيم الذي لحقه من نهاية علاقته بسيف الدولة

(١٦) مختار الصحاح (٧٠٢).

(١٧) شرح أبي العلاء المعري: (٤/ ٧٧).

على هذا النحو، وشعوره بظلمه له وهو يصدّق قول أعاديه وحسّاده فيه، دون أن يميِّز صدقه من كذبهم، لا يسمّيه باسمه ولا يخاطبه خطابًا مباشرًا، كما أنه لا يقف منه موقف الواعظ الناصح، وإنما صاغها حكمة مطلقة من قيود الزمان والمكان أو الارتباط بأشخاص بأعيانهم، وكأنه أراد بذلك أن يتجنب الوقوف موقف المتهم الذي يحاول أن يبرّئ نفسه، فتبدو حجته ضعيفة، إنما أراد أن يذكّر سيف الدولة بمنطق الأشياء وسببية الأحداث والمواقف.

إنه في هذين البيتين يلخِّص جوهر خلافه مع سيف الدولة، معرّضًا به تعريضًا خفيًا، لأنه أساء الفعل والتصرف معه، فمن الطبيعي أن تسوء ظنونه فيه، بما يسهّل وقوعه في الوهم وعدم رؤيته الأشياء بوضوح، وهذا الأمر يدفعه حتمًا إلى تصديق ما يقوله أعداؤه فيه، فيبقى متخبطًا في شكوكه وأوهامه.

يلاحظ هنا أن الشاعر قلب المعادلة، إذ إن المنطق يقتضي أن تسوء ظنون الإنسان أو أفكاره فيبدأ بتصرفات خاطئة هي نتيجة هذا المنطق الخاطئ الذي يوجهها، وهذا ما اعتاده الناس وألفوه، ولكن المتنبي قلب المعادلة فجعل ظنون المرء وأفكاره السيئة، هي نتيجة أعماله وتصرفاته السيئة، لقد عكس طرفي المعادلة، ولكنها ظلت صحيحة فقد جعل النتيجة سببًا والسبب نتيجة، ثم عاد بعد ذلك ليقلب المعادلة مرة أخرى فتعود كما اعتدنا أن نراها، فهو يبدأ بفعل المرء السيئ، الذي يكون سببًا للأفكار السيئة لتقود هذه بدورها إلى أفعال سيئة أخرى هي نتيجة حتمية للظنون السيئة... وفي علاقة سيف الدولة بالمتنبي يكون تسلسل الأحداث كما يأتي: أساء سيف الدولة التصرف مع المتنبي فساء ظنه به لسوء ما انطوى عليه، ووقع في الوهم الذي أدى به إلى معاداة محبيه (المتنبي) لأنه صدّق قول أعدائه فيه.

إن إحساس المتنبي بالسوء لما حدث، دفعه إلى تكرار الفعل (ساء، ولكنه لا يزال محبًّا لسيف الدولة، ولذا نجده في المرتين لم يسنده إلى (المرء) مباشرة، وإنما أسنده إلى (الفعل) و(الظنون) وجاء بلفظ (المرء) بقصد التعميم، وكأنه في كل ذلك يحرص على تنــزيه سيف الدولة بعدم نسبة السوء إليه. ولكن حين ذكر الأفعال اللاحقة (صدّق) و(عادى) و(أصبح) وهي أقل سوءًا من (ساء) أسندها إلى (المرء) مباشرة. بل إننا نلمس محاولة خفية من المتنبي للدفاع عن سيف الدولة، حين جعل معاداته نتيجة الوقوع في الوهم، إنها تسويغ مبطّن ومحاولة لالتماس العذر له فيما وقع فيه.

إن المتنبي هنا يقدّم لنا أنموذجًا للعتاب الراقي المهذّب الذي قلّما نجده حتى عند المتنبي نفسه، في غير علاقته بسيف الدولة، وهو نتيجة واضحة لحب المتنبي لسيف الدولة، وهو ما أكّده بقوله (محبيه) فهو لايزال على الرغم من كل ما حدث محبًّا له، وإن هذا الحب يمنعه من الإساءة إليه من قبل أو من بعد، ولذا قال (وعادى محبيه بقول عداته)، إذ اختار لفظ (قول) ليوحي أن ما بنى عليه سيف الدولة ظنونه وأوهامه إنما هو (قول) صادر من أعداء له، إنه مجرد كلام لا نصيب له من الصحة والواقع، ولا تخفى دلالة (قول) وارتباطها (بالقيل والقال) وهو الكلام الهذر الذي لا يستند إلى شيء من الحقيقة والواقع.

يقوّي هذا ذكره لفظ (قول) مسبوقة بهذه الباء التي تفيد الاستعانة[١٨]، فكأن سيف الدولة حين لم يجد في سلوك المتنبي معه، ما يدعو إلى معاداته، استعان بقول أعدائه وكارهيه، ولاشك في أن نسبة الأعداء إلى (الهاء) التي

(١٨) يُنظر الجنى الداني (١٠٣).

تعود على سيف الدولة إشارة صريحة من المتنبي إلى أن هؤلاء القائلين زورًا عليه هم أعداء سيف الدولة قبل أن يكونوا أعداء المتنبي. وكي يُشير إلى كثرتهم قال (عُداته) ذلك أن لفظ (عدو) «اسم جامع للواحد والجميع والتثنية والتأنيث والتذكير... ويُجمع العدو على الأعداء والعِدى والعُدى والعداة والأعادي»[١٩]، فكأنه أراد كثرة هؤلاء الأعداء الحالمين بتخريب صداقتهما ثم إننا نلمح ارتباط لفظ (عداته) بالعادي وهو «الظالم والعِدى بالكسر الغرباء... وقوم عدى إذا كانوا متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلفًا»[٢٠]،... لقد أراد أن يُوحي بأن هؤلاء ليسوا أعداءً لسيف الدولة فحسب، إنما هم ظالمون له وللمتنبي وهم غرباء طارئون لا تربطهم بسيف الدولة ما يربط المتنبي به.

إن إحساس المتنبي العميق بمفارقة ما حدث، تجلّى واضحًا في تعبيره عنه بألفاظ تحمل روح المفارقة كما في قوله:

«وأصبح في ليل» جمع بين نقيضين (الصباح والليل)، وفي اعتقادنا أن المتنبي كان واعيًا لهذا، بل إنه تقصده لغرض كان يعينه، فهو يعرّض بسيف الدولة تعريضًا خفيًّا جدًّا، ذلك أن سيف الدولة، بعد تصديقه قول أعدائه في المتنبي، أعتقد أنه قد أصبح في جليّة من أمره، وتوضَّحت له حقيقة الأمر، في هذا الوقت ذاته إنما يكون قد أغرق نفسه في ليل من الشكوك المظلمة والظنون الموحشة، فما عاد يميِّز الصديق من العدو أو الحق من الباطل. وهكذا لم يكتف بلفظ (ليل) وإنما وصفه بالظلام إمعانًا في تصوير هذا الليل الذي ألقى سيف

(١٩) العين: (٢/ ٢١٦).

(٢٠) لسان العرب: مادة (عدا).

الدولة نفسه فيه، مستعينًا بالتشبيه البليغ (ليل من الشك مظلم) ليرسم لنا صورة قاتمة لما يحل بالمرء وهو ينساق وراء شكوكه وظنونه.

أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وأعْـــرِفُها في فِعلِــهِ والــتَّكلُّمِ

عاد المتنبي إلى تقديم نفسه لكافور، وتصوير ما ينماز به من خلال وطبائع. ولا أدري لماذا أشعر وكأن المتنبي يحاول هنا أن يسوِّغ للائميه قصده كافورًا، فها هو يوضِّح أنه لا يروم من صداقته للصديق هيأته وجسمه، إنما نفسه وما يُترجم عنها من أفعال وأقوال...

وكي يؤكِّد صدقه في علاقته بالصديق المختار (كافور) جاء بالفعل (أصادق) دون سواه مثل (أصاب) ليدل على صدق مودته. وقد أتى بلفظ (نَفْس) مقابل لفظ (جسم) مع أن المقابل له هو لفظ (روح)، وربما كان سبب ذلك أن (نفس) تُستعمل، فضلاً عن دلالتها على الروح، للدلالة على «جملة الشيء وحقيقته»[٢١]، فضلاً عن «أن الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل»[٢٢]،...فكأنه أراد التلميح للائميه أن ما يهمه من كافور حقيقته وعقله لا جسمه، وربما يقوّي ذلك استعماله لفظ (جسم) دون (جسد) لدلالة الأول على العِظَم، فقولهم «أجسم الشيء، أي عظم، فهو جسيم وجسام»[٢٣]،... فالمتنبي لا يصادق الناس لضخامة أجسامهم أو جمالها واعتدالها، وإنما هو يبغي نفوسهم، في صفائها ونقائها وصدق مودتها، وحتى يُجيب من يسأله: وأنّى لك معرفة ما في نفوس الآخرين؟ قال: (وأعرفها في فعله والتكلم)، مقدّمًا الفعل على الكلام، لأنه الأكثر دلالة على

(٢١) لسان العرب: مادة (نفس).

(٢٢) لسان العرب: مادة (نفس).

(٢٣) الصحاح: مادة (جسم).

دخيلة الإنسان، أما الكلام فقد يكون خادعًا، ويحتاج إلى ذكاء وخبرة وتجربة حتى تعرف نَفْسَ الإنسان من كلامه.

وأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وأعْلَمُ أنَّهُ   مَتَى أجْزِهِ حِلْمًا على الجَهلِ يَنْدَمِ

إذا كنا قد رجَّحنا أن أبا الطيب يعني (بالصديق) في البيت السابق كافورًا، فإننا نرجّح أنه يريد (بالخِل) في هذا البيت سيف الدولة، فها هو يؤكّد ما كان قاله من أن حبه له، وما بينهما من صلات، تمنعه من رد الإساءة إليه، وأنه على ثقة بأنه سيندم على ما ارتكبه من جهل وحماقة بحقه.

لا يزال المتنبي يعاتب سيف الدولة عتابًا مؤدَّبًا خفيًا، فهو لا يخاطبه مواجهة، ويبتعد عن نسبة كل ما لا يليق به إليه، إذ يلجأ إلى أسلوب الحذف لهذا الغرض فيقول (وأحلم عن خلّي) إذ إن هناك محذوفًا هو (جهل) أو (إساءة) خلّي، وهذا الحذف أفاد - فضلاً عن التنزيه - تعظيم هذا الحلم لأنه عام لكل ما يصدر عن الخليل دون أن يحدَّ ذلك بإساءة أو جهل، أو أي شيء آخر محدود.

ولا شك في أن استعمال المتنبي لفظ (خلّي) دون لفظ (صديق) يوضّح الفرق بين مكانة الرجلين (سيف الدولة وكافور) من نفسه، فكافور (صديق) أما سيف الدولة (فخليل)، والخل هو «الصديق المخلص... والخليل الصادق أو من أصفى المودة وأصحها»[٢٤]. وقد قالها بالإضافة إلى ياء المتكلم ليشير إلى أنه هو الذي اختص سيف الدولة بهذه العلاقة إذ اختاره خليلاً له.

---

(٢٤) القاموس المحيط: مادة خلل.

وحتى يوضّح لنا المتنبي أن حلمه وعفوه عن إساءة الخليل أكبر من جهل هذا، فإنه استعمل لفظ (حلمًا) بالتنكير فيما جاء (الجهل) معرفة، فالتنكير أفاد الإطلاق أو التعظيم، أيْ حلمًا بلا حدود، أما جهل الخليل فإنه محدود بما فعله وبدرَ منه. كما وضع الفعل (يندم) في آخر البيت ليشير إلى أن نهاية هذا الخليل – سيف الدولة – هي الندم.

وإنْ بَذَلَ الإنسانُ لي جودَ عَابِسٍ حَزَيْتُ بجُودِ التَّارِكِ المتَبسِّمِ

يستمر المتنبي في تقديم نفسه لكافور، مبينًا طريقة تعامله مع ممدوحيه وهو وإن بدا أنه يتحدث بالإطلاق، ولكن إنعام النظر في البيت يوضح أنه يقدّم موازنة خفية بين سلوك سيف الدولة معه وسلوكه هو مع سيف الدولة، فقد استمر سيف الدولة في بذل العطاء له، ولكنه غيَّر من حفاوته به، فصار يلقاه بالتقطيب والعبوس، فما كان من المتنبي إلاّ أن يردّ على ذلك بالتبسم والترك.

يُلاحظ أن الشاعر كرّر في هذا البيت والبيت السابق لفظ (المجازاة) بما يدل على حضور هذا المعنى في ذهنه، بعد سوء مجازاة سيف الدولة له، على كثرة عطاياه له، ذلك أنه يريد التبجيل والتكريم لا العطاء فقط، مهما كان هذا العطاء كبيرًا، يؤكّده قوله (بذل) الذي يُشير إلى وفرة العطاء وابتذاله بين يديه، وكي يؤكد أن هذا هو قانونه في الحياة ومع الناس جميعًا وليس ممدوحيه فقط قال (الإنسان) التي أراد بها التعميم وهي تُشير إلى الجنس.

وفي قوله (جود عابس) أضاف المفعول به إلى ما يمكن أن يكون حالاً لو قال (الجودَ عابسًا) وكأنه أراد بهذا أن يكون هذا التصرف من الإنسان مستمرًا وأكثر من مرة، حتى صار العبوس صفة له، أما الحال فيُحتمل أن

يكون هذا العبوس مؤقتًا أو مرة واحدة لسبب ما، وكأنه يُشير من طرف خفي إلى أن سلوك سيف الدولة معه في عبوسه وتقطيبه لم يكن حالاً زائلة وإنما صارت صفة لازمة له كلما قابل المتنبي.

وإذا كان المتنبي قد نكّر (عابس) ليشير إلى استنكاره لهذا العابس، وعدم احتفاله بجوده حتى إنه وضعه في آخر عبارته، فإنه عرّف (التارك المتبسم) لأنه أراد به نفسه... وإذا كان قدّم البذل على العبوس في صدر البيت، فإنه قدّم كذلك الترك على الابتسام في عجزه ليؤكّد أن المجازاة كالفعل، وجاء الجواب كالشرط.

وَأَهْــوَى من الفتيانِ كلَّ سَمَيْذَعٍ نَجيــبٍ كصدرِ السَّمهري المُقَوَّمِ
خَطَتْ تحتَهُ العيسُ الفلاةَ وخالطَتْ بــهِ الخيلُ كبَّاتِ الخميسِ العَرَمْرَمِ
وَلا عفــــةٌ في ســــيفهِ وســــنانِه ولكــنَّها في الكفِّ والفرجِ والفمِ

المتنبي، شاعر الفروسية المتغني بأمجاد الفرسان وبطولاتهم، يلخّص في هذه الأبيات الثلاثة، المواصفات التي يعشقها في الفارس الفتى، ولذا قال (أهوى) معبّرًا عن عشقه وولعه بهذه الصفات ومن يحملها، وكأنه يُؤكّد من طرف خفي ما قاله عن (حبيبه المعمم) فحبيبه فارس يجسّد كل معاني الفروسية وصفاتها، وقد اختار لفظ (الفتيان) لما تعنيه هذه اللفظة من قيم الرجولة وصفات الفرسان، ثم اختص من هؤلاء الفتيان (كل سميذع نجيب)، فخليله مختار من الصفوة المختارة. وإذا كانت لفظة (سميذع) تعني «السيد الموطأ الأكناف»[٢٥]، فإن الفتوة كما يفهمها المتنبي أو يريدها في الفتى: أن يكون سيدًا كريمًا متواضعًا قريبًا من خلاّنه وأصدقائه يبذل لهم من جوده وجاهه.

---

(٢٥) الكامل: (١/ ٤).

يبدو لنا أبو الطيب وكأنه يبسط أمام كافور الصفات التي يجب أن يكون عليها حتى يحظى بصداقته وودّه، ولعل هذا ما دعاه إلى تشبيه فتاه (السميذع النجيب) بصدر السمهري المقوّم، فكأنه يُشير من طرف خفي إلى ما يريده من كافور، وهو أن يكون رمحه المصوَّب إلى أعدائه... وإذا ما سألنا: لماذا خصَّ المتنبي الصدر فقال (صدر السمهري)؟ فإن العودة إلى كتب اللغة قد توضّح ما أراده، فقد جاء في أساس البلاغة «سهم مصدَّر: غليظ الصدر»[٢٦]، فكأنه يريد القول لكافور: إن عليه أن يكون واسع الصدر قويَّه حتى يكون قادرًا على ردِّ الكائدين والحاسدين، لا أن يكون ضيّق الصدر، يتأثّر بأقوال الوشاة والأعداء.

وكي يؤكّد المتنبي أن هذا الفارس قد تربّى على قيم الرجولة التي تمنحها الصحراء لأبنائها، قال: (خطت تحته العيسُ الفلاةَ) مستعملاً الفعل (خطت) وهو وإن كان معناه جابت وقطعت، فإنه يُوحي بكثرة الخطو، حتى إنها رسمت خطًا لمسيرها في الفلاة، كما ألمح إلى أن هذا الفارس يجوب الصحراء باختياره تعبيرًا عن فتوته فقال (تحته) أي إن هذه العيس بإمرة راكبها، يسير بها حيث يشاء، وهو ما دعاه إلى تقديم الظرف (تحته) على الفاعل والمفعول به. وخصَّ (العيس) لكونها من كرائم الإبل، وكأنه يريد الإشارة إلى أن هذا الفتى من كرام القوم، وساداتهم، يؤكّد ذلك قوله (وخالطت به الخيل) فهو لا يخوض الحرب فردًا إنما هو قائد يقتحم بفرسانه وخيله جيوش الأعداء. ويعبّر الشاعر عن شجاعة فارسه، وإراقته دماء أعدائه تعبيرًا كنائيًا متميِّزًا بطريقة تأكيد المدح بما يشبه الذم، حيث يقول (ولا عفة في سيفه وسنانه) وواضح أن

---

(٢٦) أساس البلاغة: مادة صدر.

المتنبي اختار العفة لارتباطها بجريان الدماء كالضرب بالسيف والطعن بالرمح.

وتأكيدًا لانتفاء مثل هذه العفة عن سيف فتاه ورمحه جاء بها نكرة بعد لا النافية للجنس مبالغة في انتفائها.

ويُلاحظ حرص المتنبي على تنـــزيه فارسه، إذ أسند عدم العفة إلى السيف والرمح لا إلى صاحبهما، حتى لا يتبادر إلى الذهن أنه ليس عفيفًا، ولكنه حين أراد إثباتها له في عجز البيت قال: (ولكنها في الكف والفرج والفم) وهي أعضاء جسمه. كما أنه رتّب هذه الأعضاء بحسب أهمية العفة في كل عضو منها، فعفة اليد أي الامتناع عن (السرقة) أولاً ثم عفة الفرج أي الامتناع عن (الزنى) ثم عفة اللسان أي الامتناع عن (الكلام السيئ).

وَمَــا كُــلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعِلٍ وَلاَ كـــلُّ فعّـــالٍ لَـــهُ بمُـــتمِّمِ

يقول المتنبي: ليس كل من تعلّق بالجميل وأُغرم به قادرًا على القيام به. وتعبيرًا عن شدة حبه للجميل قال (هاو) فاستعمل الهوى ولم يستعمل الألفاظ المرادفة: الحب، الرغبة، الود... إلخ، كما أنه استعملها بصيغة اسم الفاعل تعبيرًا عن شدة ولعه بالجميل حتى صار هاويًا له، يُعرف به.

وكما أكد هواه للجميل وولعه به، أكّد كذلك عدم قيامه به فقال (بفاعل)، فهذه الباء الزائدة زيادة مقيسة تُفيد التوكيد، فأراد أنه على شدة حبه للجميل، لا يفعله أبدًا... ثم عاد وكأنه يستدرك ما قاله كي يستثني حتى كثير الفعل للخير (فعّال) من أن يكون متمِّمًا له... فكما أن العبرة ليست بحب الجميل فإنها ليست بفعله ناقصًا «كأنه يعرّض بسيف الدولة»[٢٧]، ذلك أنه أتبعه منًّا وأذًى فكان كمن يهوى الجميل ولا يفعله.

---

(٢٧) شرح أبي العلاء: (٤/ ٧٩).

حذف الشاعر في صدر البيت متعلق اسم الفاعل (فاعل) وهو (له)، في حين أثبته في العجز بقوله (فعّال له)، ذلك أنه إذ نفى حصول الفعل في صدر البيت حذف متعلقه، ولكن حين أثبته في عجزه، أثبت كذلك متعلقه.

إن حرص المتنبي على مساواة من يقوم بالجميل ولكنه لا يتممه، بمن يهوى الجميل ولكن لا يفعله، هذا مثل ذاك، وهو تعريض شديد بسيف الدولة، دفعه إلى خلق هذا التوازي التركيبي والمعنوي بين الشطرين.. وما كل... ولا كلٌ هاوٍ للجميل... فعّال له، بفاعل... بمتمم»، وكما بالغ في قوله (هاو) بالغ في قوله (فعّال)، وكما أكد بقوله (بفاعل) أكّد بقوله (بمتمم) وكما حذف متعلق (بفاعل) حذف كذلك متعلق (بمتمم).

فِــدًى لأبي المِسْــكِ الكرامُ فإنَّها سَــوَابقُ خَــيلٍ يَهْــتدينَ بأدْهَمِ

يبدأ أبو الطيب المتنبي مدحه المباشر لكافور، بعد أن أشار في مفتتح قصيدته إلى أمِّه إياه، وعدّه خير ميمَّم... ولكن أتراه كان صادقًا في دعواه؟ وهل كان مدحه مدحًا خالصًا، أم جعله كلامًا موجَّهًا، يحتمل المدح وغير ذلك؟ هذا ما سنحاول أن نتلمسه في أبيات القصيدة الباقية.

كان المتنبي قد وصف كافورًا بأنه خير ميمَّم ثم عاد ليجعل الكرام فداءً له، وهم وإن كانوا سوابق في الكرم، إلاّ أنه إمامهم وهم يهتدون به. وقد صاغ عبارته بما يؤكّد هذا التقدم الذي يريده، إذ قدّم الخبر (فدى) على المبتدأ (الكرام) فهو يريد تخصيصه بهذا النوع من الفداء، كما قدّم متعلق الخبر (لأبي المسك) وهي كنية كافور، فكأنه أراد تأكيد تقدُّمه عليهم فقدّمه إذ قدّم كنيته عليهم.

وإذا كان المتنبي قد حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه فقال (الكرام) بما يُوحي أنه يريد (السادة) أو (الممدوحين) فإن هذا الحذف جعل كلامه موجهًا، أي إنه يحتمل التوجيه إلى مبتدأ آخر يفسّره قوله (سوابق الخيل)، فما الذي يمنع أن المتنبي أراد (الخيل) التي شاع بين العرب وصفها بأنها (كرام)؟ يؤكّد ذلك بل يقوّيه قوله بعدها (فإنها) وكان بإمكانه أن يقول (فإنهم)[٢٨]، فتكون أنسب في عودتها على الممدوحين أو السادة... ثم يأتي التشبيه البليغ المسبوق بأداة التوكيد (إن) ليوضّح الكرام بأنها (سوابق خيل يهتدين بأدهم، فإن حقيقة مدحه له لا يتعدى كونه سابقًا للخيل الكريمة إذ يسير أمامها متميِّزًا منها لا لشيء إلاّ لكونه (أدهم) أي أسود اللون.

لقد ابتدأ المتنبي من هنا، أولى خطواته في هجاء كافور هجاء مبطّنًا فهو لم يَعْدُ أنْ جعله دليلاً للخيل يسير أمامها وهي تهتدي بسواد لونه الذي يميِّزه منها.. يؤكّد ذلك قوله (يهتدين) ولم يقل (يقتدين) فهو (إشارة) أو (علامة) مميَّزة وُضعت أمامها كي تسير خلفها، بل إن لفظ (الاهتداء) يُوحي بأن هذه الخيل قد ضلّت طريقها فهي جماعة من الخيل تائهة يقودها فرس أسود... بل إننا نستطيع أن نوجّه البيت بقراءة أخرى هي أن المتنبي كان خبيثًا في مدحه هذا لكافور، ذلك أنه جعل كل الكرام التي تقتدي بكافور فداء له، فهو يدعو عليها لأنها اقتدت بمثله.

أَغَــرُّ بِمَجْــدٍ قَدْ شَخَصْنَ وراءَهُ إلى خُلُــقٍ رَحْــبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ

يصرّ المتنبي على قصده ومعناه، ويعاود وصف كافور بأنه (أغرّ)، وهي من صفات الخيل، ويؤكّد أنه لم يرد بلفظ (الكرام) السادة أو الممدوحين

(٢٨) يُنظر شرح أبي العلاء: (٤/ ٧٩) هـ٣٨.

وإنما الخيل، حين يقول - شخصْن) ليختم البيت بصفة أخرى من صفات الخيل وهي (مطهّم).

إن قراءة البيت بتأنٍّ، توضّح روح الصنعة التي تطغى عليه، إذ يصرّح المتنبي بالمعاني التي في نفسه، ثم يحاول التمويه عليها بالاستعارات أو الجناسات المكرورة. فإذ وصف كافورًا بأنه (أغر)، حاول أن يستر استهزاءه به وبلونه الأسود، بأن جعل هذه الغرة معنوية وهي (غرة المجد). وإذ وصف هذه الخيل بأنها (قد شخصن وراءه) وأراد - في الظاهر - أنهن يرتفعن بنظرهن، فإن معاجم اللغة تعطي للشخوص معنى آخر هو «السير من بلد إلى بلد»[٢٩]، وهو ما يجعل كلامه يحتمل التوجيه إلى معنى آخر، وهو أن هذه الخيول - التي لا نستبعد أنه أراد بها أتباعه من العبيد - تنتقل من بلد إلى بلد، من بلاد النوبة إلى مصر، يتقدمها كافور طمعًا في تحسين خَلْقها وأَخْلاقها.

وفي قوله (إلى خُلُق رحب وخَلْق مطهَّم) ما يقوّي هذا التوجيه، ففضلاً عن هذا الجناس المستهلك (خُلُق وخَلْق)، إن وصف الخلق بأنه رحب تعبير غير مألوف، وقد يحتمل الذم لأن وصفه بالرحب يعني القادر على تحمُّل أي شيء، حتى الإهانات، وهذا هو شأن العبيد وكذلك قوله (خَلْق مطهَّم) فإن المطهَّم تعني فيما تعنيه: «المنتفخ الوجه... وقيل المطهم السمين الفاحش»[٣٠]، فلا نستبعد أنه قصد الاستهزاء بهؤلاء العبيد وهم يفرطون في طعامهم بعد أن صار إمامهم سيد مصر، وراحوا يقلّدونه في كل شيء، فبدنوا مثله.

إذَا مَنَعَـــت مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَها   فَقِـــفْ وَقْفَـــةً قُدّامَــه تُـــتَعَلَّمِ

---

(٢٩) العين: (٤/ ١٦٥).

(٣٠) لسان العرب: مادة (طهم).

أشعر أن المتنبي في هذا البيت يخاطب نفسه، إذ يحاول أن يُخفف عنها، ويُهدّئ من روعها، وهو يرى شخصًا مثل كافور سيدًا على مصر، ويبقى هو مجرد شاعر يقف بين يديه مادحًا.

إن حقد المتنبي على السياسة وغضبه منها، يتجلّيان في هذه الصورة الغريبة التي رسمها للسياسة، ممثّلة بامرأة تمنع نفسها عن أناس، فيما تهب نفسها لآخرين... إنها لا تعدو أن تكون عاهرًا تبيع نفسها في سوق النخاسة، وإذا ما أردت أن تتبيَّن هذه الضعة وهذه الخِسّة، فما عليك إلاّ أن تقف وقفة واحدة أمام كافور لتعلم صدق ما يقوله.

وهكذا جاء الشطر الثاني من البيت ثقيلاً بتلك القافات المتتابعة، معبِّرة عما ينوء به صدر المتنبي من غيظ وألم من مقاديره التي قادته إلى أن يكون مادحًا لكافور، ولو أنصفت لكان هو السيد ولا يعدو أن يكون كافور عبدًا من عبيده... هذه المعاني والأفكار تولّدت في نفس المتنبي وهو يقف أمام كافور، وهكذا يدعونا إلى أن نقف معه هذه الوقفة، حتى نتعلّم ونعرف حقيقة السياسة... ولذا قال (تتعلم). بحذف المفعول به، ولم يصرّح بما نتعلمه من وقوفنا وقفة واحدة أمام كافور، يؤكّد ذلك قوله (قدّامه) ولم يقل (بين يديه) أو (في حضرته)، لأن الأولى هي وقفة التعلم، والثانية وقفة الإكبار، ولكن (قدّامه) هي وقفة المتطلّع المتفحِّص. إن الوقفة الواحدة لا يمكن أن تُفيد سوى النظر والتطلع، وهذا ما نتعلمه من كافور حين نرى سواد لونه وانتفاخ بطنه وغلظ شفتيه وتشقق رجليه، وزمزمته بكلام لا يفقه معناه إلاّ أولئك العبيد أشباهه الذين أحاطوا به، ولا نستبعد أن يكون المتنبي أراد أن يستحضر

في أذهاننا هذه الجَلَبة التي يستشعرها في بلاط كافور وهو يعج بهؤلاء الزنوج يزمزمون بكلام لا يفهم معناه... فجاء بهذه القافات المتابعة.

يَضيْقُ عَلَى مَنْ راءَهُ العُذرُ أَنْ يُرى ضَـــعيْفَ المساعي أو قليلَ التكرُّمِ

يستكمل المتنبي مديحه المبطَّن بالهجاء لكافور، وهو يراه عديم المواهب وليس عنده ما يؤهِّله للولاية والزعامة، ويؤكِّد ما قاله في البيت السابق من أن نظرة واحدة إليه تعلِّمك ما السياسة؟ وكيف تعمل؟ فها هو يقول إن من يرى كافورًا سيدرك أن الوصول إلى السلطة صار أمرًا ميسورًا ومبذولاً لمن يبذل القليل من الجهد فلا عذر له في عدم السعي إليها.

وكي يؤكِّد انقلاب الموازين التي تقعد بالقادرين وأصحاب المواهب من أمثاله، وترفع العجزة والعبيد من أمثال كافور، نجده يستعمل الفعل (راءه) وهو مقلوب الفعل (رآه)[٣١]،... فهذا القلب تعبير عن انقلاب القيم والموازين في نظر من يرى كافورًا متربعًا على عرش مصر. وقد تنبَّه ابن جني على ما وراء هذا البيت من هجاء حين حمله على معنى «لم أرَ مثله في خسته ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده في تركها»[٣٢].

ولعل ضيق المتنبي مما يراه وهو ينظر إلى كافور، دفعه إلى افتتاح البيت بالفعل (يضيق)، فهو يتميَّز غيظًا وغضبًا ويضيق به المكان وكل شيء، بعد أن سقطت الولاية هذا السقوط وابتذلت هذا الابتذال، حتى لم يعد الوصول إليها يستلزم سوى القليل من السعي والقليل من اصطناع الكرم، وبذا قال

---

(٣١) شرح البرقوقي (٤/ ٢٦٧).

(٣٢) م. ن.

(التكرّم) للإيحاء بتكلف الكرم، فكافور ليس كريمًا طبعًا، إنما هو يتكلفه ويتصنعه عسى أن يلحق بالكرام.

وإذا ما تنبهنا على أن (العذر) جمع العَذِرة[٣٣]، وهو ما تطرحه الدابة من فضلات، يمكن أن نقرأ البيت قراءة أخرى، وهي أن من يرى كافورًا وما وصل إليه سوف يحتبس عليه جوفه حتى تضيق عليه العذرة على صغرها.

وَمَنْ مِثْلُ كافور إذا الخَيْلُ أَحْجَمَتْ   وَكـــانَ قليلاً مَنْ يقولُ لها اقدُمي
شديدُ ثباتِ الطَّرْف والنقعُ واصلٌ   إلى لَهَـــواتِ الفــــارسِ المُتلـــثِّمِ

قد يبدو ظاهر البيتين أن المتنبي يمدح كافورًا بالإقدام والشجاعة، إذ يقول: مَنْ مثل كافور إذا أحجمت الخيل عن التقدم، وفزع الناس حتى قلّ من يتقدَّم بها، وإذا تعالى الغبار حتى وصل لهوات الفارس المتلثم فإن عينه لا تطرف.

ولكن إنعام النظر في البيتين والتنبه على الألفاظ التي اختارها المتنبي وطريقة صوغه لها ستجلّي حقيقة ما أراده المتنبي وحقيقة نظرته إلى كافور، فهو أدنى إلى الهُزء به من مدحه، ففي البيت الأول ليس هناك أية إشارة إلى معركة أو حرب ولا ذكر للفرسان أو القتال، وإنما هناك خيول محجمة - دون التصريح بسبب إحجامها أو الشيء الذي أحجمت عنه - وكافور وحده من يأمرها بالتقدم، إذ قلّ من يقول لها ذلك... إن كل ما فعله المتنبي تصوير كافور بصورة سائس الخيل الذي يحثها على المسير إذا ما امتنعت، فلم يسند له أيَّ فعل سوى طلبه من الخيل التقدم، وخصَّه بهذه المهمة لكثرة مزاولته إياها حتى صار متمرسًا فيها.

---

(٣٣) مختار الصحاح (٤٢٠).

وكذا في البيت الثاني، ليس هناك ذكر لمعركة أو قتال إذ وصفه بثبات الطرف، فلم يصفه بثبات القلب أو ثبات الرِّجْل، كما أن هذه الكناية لم تَشِعْ عند العرب دليلاً على الشجاعة، بل إن إيحاءها بشدة الفزع والذهول أقوى من إيحائها بالشجاعة(٣٤)، وثبات العين في حال اشتداد الغبار وكثرته ليس دليلاً على الشجاعة قدر دلالته على الاعتياد والتمرّس. إننا لا نستبعد أن هناك معنى آخر قصده المتنبي وحاول إخفاءه بمهارة، هو أن كافورًا رجل ممتهن بالأعمال الشاقة وفي الظروف الصعبة، فحين يتعالى الغبار – دون توضيح لسبب تعاليه – ويصل إلى لهوات من امتطى الفرس وتلثّم، فإن كافورًا العبد السائر على قدميه يحثّ الخيل على التقدُّم، لا تطرف له عين، فهذه العيون التي أدمنت الاحمرار لم تعد تطرف للغبار الذي يصيبها.

وحين نقف على ألفاظ البيت وبنيته يتوضّح لنا صدق ما ذهبنا إليه فهو أولاً حذف المبتدأ (هو) العائد على كافور في قوله (شديد ثبات الطرف) وفي ذلك تغييب واضح لشخصه، كما أن قوله «والنقع واصل» بصيغة اسم الفاعل، فضلاً عن إشارته إلى ثبات هذا الحال وديمومته بما يدل على الاعتياد والمعايشة، فإن فيه إيحاءً بتصاعد الغبار بفعل ذاتي لا بفعل الفرسان أو اشتداد المعركة، إنما هو متصاعد بحكم الظروف الجوية أو ظروف البيئة... ثم إن لفظة (فارس) لا تعني ضرورة فارس المعركة، إنما هو وصف لكل من امتطى فرسًا تمييزًا له من سواه... وقد استطاع المتنبي بمهارة لغوية فائقة ألاّ يسند

---

(٣٤) قال تعالى في بيان حال الظالمين يوم القيامة: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[إبراهيم: الآية٤٢– ٤٣].

أي فعل إلى كافور في هذين البيتين، وهو ما التزم به في كل أبيات المدح في القصيدة، وفي ذلك دلالة واضحة على نظرة المتنبي إلى كافور التي تقوم على استصغاره واحتقار همته وقدرته على الفعل.

وإذا كان هناك من يقرأ البيت الثاني قراءة أخرى، وهو يفسِّر لفظة (الطِّرْف) على أنها الفرس[٣٥]، فإنني أجد في هذه القراءة تصريحًا بالهجاء، لا سيما إذا ما ربطنا معنى هذا البيت بالبيت الذي تقدَّمه، فإذ يأمر كافور الخيل المحجمة بالتقدُّم فإنه يظل ثابتًا بفرسه في مكانه، لا يقوى على التقدم، وهو هجاء مقذع لا محالة.

أبا المِسْكِ أرْجو مِنكَ نَصْرًا على العِدا وآمــلُ عــزًّا يَخْضِبُ البيضَ بالدَّمِ
وَيَوْمًــا يغــيظُ الحاســدينَ وحالــةً أُقــيمُ الشــقا فــيها مقــامَ التنعُّمِ

يبدو من ظاهر البيتين أن المتنبي ينتدب كافورًا لمعركة مع أعداء كافور، ويرجوه تحقيق النصر والعز المخضّب بالدم، بما يغيظ الحاسدين ويُحيل نعيمهم شقاءً.

ولكن واقع الحال، إنه ينتدبه لمعركته هو - المتنبي - مع أعدائه الذين ناصبوه العداء في بلاط سيف الدولة، ولم يمكّنوه من تحقيق حلمه بالولاية، وبذلك فإن كافورًا إذا ما مكّنه من هذه الولاية، فإنما يحقّق له نصرًا على أعدائه وعزًّا يمكّنه من تخضيب سيوفه من دمائهم، أما حاسدوه فسيقتلهم الغيظ ويستحيل نعيمهم شقاء.

ولعل ألفاظ البيتين ونظمهما يساعداننا فيما ذهبنا إليه، فقد قال المتنبي مخاطبًا كافورًا (أرجو) فهو ابتداء يرجوه، والرجاء فضلاً عن أنه ليس مدعاة

(٣٥) شرح البرقوقي: (٤/ ٢٦٧) هـ ٥.

للمدح، يكشف لنا أن المتنبي يريد من كافور تحقيق أمر بعينه له وهو الولاية، التي بدأ أولى خطواته في التلميح بها، فهي نصره على أعدائه، وهي عزّه الذي سيمكّنه من دمائهم، وبها يغيظ حاسديه ويتركهم في شقائهم يتقلبون. ثم إنه قال (العدا) و لم يحدِّد هؤلاء الأعداء، ثم قال (نصرًا) بالتنكير، و لم يصرِّح بالكيفية التي يتحقق فيها النصر، وهل هو النصر الذي يتحقق في سُوْحِ القتال؟ وقال (وآمل عزًا يخضب البيض بالدم) بطريق المجاز العقلي، إذ لم يُسند تخضيب البيض بالدم لكافور بل للعز وهو سبب، ولا ندري عزّ مَنْ أراد بقوله (عزًّا) بالتنكير، هل هو عز كافور أم عزّه هو؟ وكذا فعل في البيت الثاني حيث قال (ويومًا يغيظ الحاسدين) فلجأ إلى المجاز العقلي ثانية بإسناد الفعل (يغيظ) إلى (اليوم) وهو ظرف زمان، وهكذا جرّد كافورًا من أي فعل حتى إنه قال بعدها (أقيم الشقا فيها مقام التنعم) فأسند الفعل إلى نفسه فهو الذي سيحيل نعيم الحاسدين إلى شقاء لا كافور. لقد استثمر المتنبي مهارته اللغوية ببراعة فائقة كي يجرِّد كافورًا من كل شيء ويجعله منفّذًا لرغبات المتنبي، فالمتنبي هو الذي يرجو النصر، والعز هو الذي سيخضِّب البيض بالدم، واليوم هو الذي سيغيظ الحاسدين، والمتنبي هو الذي سيقيم الشقا مقام التنعم.

وَلَـمْ أَرْجُ إلاّ أهْلَ ذاكَ وَمَنْ يُرِدْ مَوَاطِـرَ مِنْ غيرِ السحائبِ يَظْلِمِ

يأتي هذا البيت تأكيدًا لما استنتجناه من البيتين السابقين، من أن المتنبي يريد من كافور أن ينصره على أعدائه وحاسديه، فها هو يؤكّد رجاءه ويمدحه بأنه لم يرجُ إلاّ من هو أهل لتحقيق ما يصبو إليه.

ومن يقرأ البيت بإنعام يدرك أن المتنبي حتى في هذا البيت يبدو ظالمًا لكافور، فإنه يقول له: أنا مضطر إلى قصدك لأنك وحدك من يستطيع تحقيق ما أصبو إليه... فمن يريد المطر لابد أن يلتمسه من السحاب، إنه بذلك يردّ على لائميه، ومن حاول أن يثنيه عن قصده كافورًا، كما سيصرِّح بذلك في أبيات القصيدة القادمة.

إن بناء البيت على التشبيه الضمني، تأكيد لهذا الذي نقوله، فقوله «ولم أرجُ إلاّ أهل ذاك» هو الطرف الأول من التشبيه ويمثّل المشبه وهذا يكون دائمًا ادعاء أو دعوى، قد تكون صادقة أو كاذبة، أما الطرف الثاني وهو قوله (ومن يرد مواطر من غير السحائب يظلم) فيمثّل المشبه به، وهذا يكون دائمًا حقيقة راسخة لا يمكن إنكارها، وتساق دليلاً أو برهانًا على إمكان ما جاء في المشبه، من ادعاء... هكذا يبدو لنا المتنبي وكأنه يسوّغ للائميه سبب قصده كافورًا... وفي استعماله لفظ (يظلم) تأكيد لما قلناه، فهؤلاء اللائمون ظالمون له، لأنهم لم يفهموا حقيقة ما يريده ولماذا قصد كافورا، يقوّي ذلك حذفه مفعول (يظلم) فلم يحدِّد لنا من هو ذلك المظلوم.

وإذا ما وقفنا عند الألفاظ وإيحاءاتها، نجد أن استعمال المتنبي للفظ (مواطر) يؤكّد ما نقوله، ذلك لأنه لم يقل (المياه) لأن هذه يمكن أن تُلتمس من مصادر أخرى غير السحاب، أما من يريد المطر، فليس أمامه إلاّ السحاب. ثم إن لفظة (مواطر) هي جمع لاسم الفاعل، وهذا يعني أن المتنبي لم ينظر إلى كافور على أنه مطر وإنما هو ماطر، أي هو من يستطيع المطر الذي يبغيه المتنبي، فهو لا يرجوه إلاّ لأن المطر عنده، ثم ألا يمكن أن يكون المتنبي قد تقصّد أن يشبّه كافورًا بالسحب المواطر، إشارة إلى سواد لونه،

ذلك أن السحابة كلما ازدادت سوادًا، ازداد مطرها، فهو يرى أن سواد لون كافور، وضِعَة أصله سيكونان حافزًا لكافور، حتى يحقّق للمتنبي ما يطمح إليه، كي يدلّل على كرمه، وحسن شمائله، وأريحته.

ويُلاحظ أن المتنبي حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه وذلك في قوله (ولم أرجُ إلاّ أهل ذاك) إذ أراد (رجلاً) أو (شخصًا) أهل ذلك وأراد به كافورًا، ولاشك في أن حذفه وإبقاء صفته فقط يقوّي ما ذهبنا إليه من أنه مضطر إلى قصد كافور لأنه من يستطيع أن يحقّق له ما يرجوه وهو ما تأكّد بأسلوب القصر الذي استعمله في عبارته السابقة.

فَلَوْ لَمْ تَكُنْ في مصرَ ما سِرْتُ نحوَهَا ... بِقلبِ المَشُوقِ المُستَهامِ المتيَّمِ

ولا نبحَتْ خيلي كلابُ قبائلٍ ... كأنّ بها في اللّيلِ حَمْلاتِ ديلَمِ

ولا اتّبعَتْ آثارَنَا عينُ قائفٍ ... فلمْ تَرَ إلاّ حافرًا فوقَ مَنْسَمِ

وَسَمْنَا بها البيداءَ حتّى تغَمَّرتْ ... منَ النيلِ واستَذْرَتْ بظلِّ المقطَّمِ

ليس في هذه الأبيات مدح لكافور، إنما هي تصوير لقصد المتنبي إياه، وما عاناه، وهو يقطع الصحراء في مسيره إليه، واصفًا موقف القبائل التي مرّ بها من هذا المسير وعدم رضاهم عنه.

إن المتنبي الذي ضنَّ على كافور بأن يسند إليه أي فعل على امتداد الأبيات التي يُفترض فيها أن تكون في مدحه، أسند إليه فعلاً ناقصًا (تكن) الذي لا يعبر عن شيء سوى كينونته في مصر، ولا فضل له في ذلك.

وحتى حين أراد وصف اشتياقه للُقيا كافور، لم يصف حال قلبه مباشرة، أو أن يسند الشوق إلى شخصه، بقوله (بقلب المشوق المستهام المتيم)، فبدا وكأنه يستعير قلبًا غير قلبه، أو أن هذا القلب الذي يسير به نحو

كافور ليس قلبه الحقيقي... كما يُلاحظ أن الصيغ التي استعملها لوصف صاحب هذا القلب جاءت بصيغة اسم المفعول (المشوق المستهام المتيم) وكأنه يريد أن يُوحي بذلك أنه مضطر إلى هذه الوفادة، فهو ليس فاعلاً بل مفعول... إنها قوى أقوى منه تدفعه إلى ذلك، شأن المشوق المستهام المتيم، فهؤلاء جميعًا مسلوبو الإرادة وما عادوا يملكون من أمرهم شيئًا.

وفي قوله «ولا نبحت خيلي كلاب قبائل» صورة كنائية تفضح حقيقة شعوره تجاه مسيره نحو كافور، فقد عبّر عن عدم رضاه بهذه الكلاب التي جعلها تنبح خيله بشراسة وكأنها أعداء جاؤوا للإغارة عليها ليلاً... وفي قوله (قبائل) إشارة واضحة إلى كثرة لائميه على قصده ومسيره. وإذا صدقت رواية ابن جني من أن بعضهم سأل أبا الطيب «فقال أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم؟ فقال: من العجم»[٣٦]، فلا نستبعد أن المتنبي أراد الإيحاء بأن هذه القبائل التي مرَّ بها والتي لم تكن راغبة بمسيره إلى كافور، لم يفهموا مراده. ومع أنه حاول أن يفسِّر لهم ذلك، لم يدركوا ما يسعى إليه حتى بدا لهم وكأنه أعجمي لا يفهمون ما يقول.

وكي يؤكّد إصرار هذه القبائل على ثنيه عن عزمه على المسير نحو كافور، جعل هذه القبائل تُرسل خلفه من يقفو أثره محاولة منهم في إقناعه بالعدول عن ذلك. ولكنه أسرع في مسيره حتى يفوقهم إدراكه... ثم إنه كان ماهرًا في خلط الأمر عليهم فلم يدركوا ركبه إذا اختلطت آثار الحوافر بآثار المناسم، وتعبيرًا عن ضياع هذه الآثار نجده يحذف لفظ (أثر) في قوله (فلم تر إلاّ حافرًا فوق منسم) أي أثر حافر فوق أثر منسم.

---

(٣٦) شرح البرقوقي: (٤/ ٢٦٩).

وإذا كان أراد بقوله (وسمنا بها البيداء) أنه وسم الصحراء بآثار خيله وركائبه، فإننا لا نستبعد أنه أراد أنه في مسيره نحو كافور، قد ترك أثرًا في نفوس أهل الصحراء الذين مرَّ بهم، وهم يستغربون قصده كافورًا، وكيف أنهم تبعوا آثاره، كي يلحقوا به ويمنعوه، ولكنه أسرع حتى (تغمّر من النيل واستذرى بظل المقطم) وهو في هذا يعبِّر عن هربه من لوم العرب إياه، فاستعجل دخول مصر حتى يدخل في غمار أهل النيل ويستذري بالمقطم منهم... وإذا ما أنعمنا النظر في قوله (تغمّرتْ... واستذرتْ) فإن هذين الفعلين يعبران عن إحساس المتنبي المبكِّر بأن إقامته في مصر لن تطول فركائبه (تغمَّرتْ) أي شربت قليلاً من الغمر – وهو القدح الصغير – (واستذرت) أي نزلت للراحة في ظل المقطم، وكأنها عازمة على مواصلة رحلتها.

وَأَبْلَخَ يعْصِي باختصاصي مُشيْرَهُ عَصَـيْتُ بقَصْديه مُشيري وَلُوَّمي

فســاقَ إليَّ العُـرْفَ غيرَ مُكدَّرٍ وَسُقْتُ إليهِ الشكرَ غيرَ مُجَمْجَمِ

يقول الشاعر مادحًا: إن ركائبه قد استذرت بملك عظيم يعصي من أشار عليه بتركي، كما عصيت أنا من أشار عليَّ بترك المسير إليه، أو من لامني على ذلك، وكما أسدى لي معروفًا بذلك، شكرته شُكرًا صريحًا.

وهذه هي قراءة من يوجِّه الأبيات إلى المدح فيعطف (أبلخَ) على (المقطَّم) أي إن ركائبه كما استذرت بالمقطم استذرت بهذا العظيم. ولكن ألا يمكن عدّ هذه الواو التي افتتح بها البيت – واو (رب) فينقطع الكلام عما سبقه ويمكن قراءة البيت قراءة ثانية، إذ فضلاً عن بشاعة هذا الوصف (أبلخ) وكراهة صوته، فإن معناه «العظيم في نفسه، الجريء على ما أتى من الفجور»[٣٧]،

---

(٣٧) العين: (٤/ ٢٧١).

وهو وصف مطابق تمام المطابقة لما قام به كافور من خيانة سيده الإخشيد واستيلائه على ملك مصر، وهو المعنى الذي كان في نفس المتنبي وعبّر عنه فيما بعد عندما هجا كافورًا في قصيدته المعروفة «عيد»[٣٨]. وإذا كان هناك من يرويها (أبلج)[٣٩]، ومعناها «الجميل» فلا شك في أن سخرية المتنبي من كافور تكون أكثر صراحة ووضوحًا.

إن قراءة هذين البيتين بإنعام توضِّح أن المتنبي حرص فيهما على أن يخلق تعادلاً بين ما قدّمه كافور له، وما قدَّمه هو لكافور، فإذا عصى كافور من أشار عليه بعدم اختصاصه، فعل المتنبي الشيء ذاته، وإذ ساق كافور إليه المعروف غير مكدّر، ساق هو إليه الشكر غير مجمجم، وهو ما تجلّى في استعماله الأفعال والصيغ نفسها مسندة إلى كافور أو إليه (يعصي... عصيت، فساق إليّ... وسقت إليه، غير مكدّر، غير مجمجم) ولكننا نجد أن المتنبي قد رجّح كفته في ذلك على كافور، فإذ قال عن كافور إنه (يعصي) قال عن نفسه (عصيتُ) أي إنه أسبق من كافور في معصية من خالفه الرأي، وإذ قال عن كافور إنه عصى (مشيرَه) قال المتنبي عصيت (مشيري ولوّمي) فزاد عليه باللائمين. ثم إن قول المتنبي (فساق إليّ العرف) تُوحي باستهانة المتنبي بكافور بتصويره إياه وهو يسوق المعروف قاصدًا المتنبي وكأنه هو الممدوح، وكافور بين يديه يقدِّم إليه المعروف.

---

(٣٨) في قوله:

أكلّما اغتال عبدُ السوء سيدَه   أو خانه فله في مصر تمهيدُ

(٣٩) شرح أبي العلاء المعري: (٤/ ٨٣).

بل إننا نشعر أن استعمال المتنبي لفظ (العرف) بدل المعروف مقصود، وكأنه أراد أن يُوحي أن كافورًا بتكريمه المتنبي لم يقم بأكثر مما يقتضيه العرف العربي وهو إكرام الضيف ما دام المتنبي قد نزل ضيفًا عليه، وأن الواجب يقتضي أن لا يكون هذا الإكرام مكدَّرًا. وإذا ما تنبَّهنا على هذه (الفاء) التي افتتح بها البيت نجدها، بدت لنا وكأنها جعلت معروف كافور للمتنبي مجازاة لعصيانه مشيريه ولومه، فبذلك لم يزد كافور على ما يقتضيه العرف في ذلك... وهو ما يؤكِّده إصرار المتنبي على الإشارة إلى كافور بضمير مستتر (فساق).

ويعود المتنبي مرة أخرى لخلق موازاة تركيبية بين شطري البيت معبِّرًا بذلك عن المساواة المعنوية التي خلقها بين ما قدَّمه كافور له وما قدمه هو لكافور، وهكذا قال (فساق إليَّ... وسقتُ إليه) و(العرف... الشكر) و(غير مكدر... غير مجمجم)، إنه مصرٌّ على التعامل مع كافور تعامل الندّ للندّ.

وإذا كان قوله (غير مجمجم) يحتمل الاستهزاء من لغة كافور وأتباعه في عدم وضوحها، فإننا لا نستبعد أنه أراد الاستهزاء منهم بهذا المدح المموَّه الذي يقدمه لكافور، وكما قال ابن جني «هذا النفي يشهد بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء»[٤٠].

قَدْ اختَرْتُكَ الأَمْلاكَ فاخترْ لَهُمْ بِنَا ... حَديثًا وقَدْ حكَّمْتُ رَأيَكَ فاحْكمِ

فأحْسَنُ وجهٍ في الورى وجهُ مُحْسِنٍ ... وأيْمَنُ كَفٍّ فيهمُ كفُّ مُنْعِمِ

وأشْرَفُهُمْ مَن كان أشرفَ هِمَّةً ... وأكبرَ إقدامًا على كلِّ مُعْظَمِ

---

(٤٠) شرح البرقوقي: (٤/ ٢٧٠).

هذه الأبيات الثلاثة هي أدنى إلى الهجاء منها إلى المدح، ذلك أن المتنبي يذكّر فيها كافورًا. بأنه اختاره من بين الملوك وأن هؤلاء سيرقبون ما يكون منه تجاه المتنبي فيكون حديثًا لهم، سواء أكان مدحًا أم ذمًا، وقد حكّمه في اختياره الأنسب منهما... وبذلك يضع كافورًا في زاوية ضيقة، لا يستطيع الإفلات منها، وقد حمّله من البدء، مسؤولية إخفاق علاقتهما. بل إنه راح يرسم له السبيل لتجاوز سواد لونه، وتشقّق كفيه، ووضاعة أصله.

وأول ما يستوقفنا في البيت الأول منها، حذف (من) في قوله (قد اخترتك الأملاك) أي من الأملاك، ثم هذا الجمع الغريب، غير الشائع للفظ (مَلِك) فقد ألفنا جمعها على (ملوك)، أتراه أراد أن يلمّح إلى غرابة هذا النوع من الملوك وعدم ألفتنا إياه، فاختار هذا الجمع النادر، أم أنه أراد بقوله (اخترتك الأملاك) أنه اختاره من أجل الأملاك، أي أن يملكه ويوليه، كي يصبح هذا التمليك وهذه التولية، حديث الملوك الآخرين؟

يُلاحظ على بنية البيت إصرار المتنبي على التعامل مع كافور بنديّة، فها هو يخاطبه بقوله: (اخترتك... فاختر) و- حكّمتُ رأيك فاحكم)، بل غنه ليبدو المبادر بالفعل، أما كافور فمقتدٍ به. ثم إنه أخرّ المفعول في قوله (فاختر لهم بنا حديثًا) وقدّم عليه متعلقَين (لهم) و(بنا)، وكأنه يُشير إلى أنه غير معنيّ بهذا الحديث، مادامت تبعته تقع على كافور وليس عليه، لأنه هو الذي سيختار. كما يُلاحظ في قوله (فاختر لهم) أن الاختيار سيكون للملوك، ولابد لهذا الحديث من أن يكون متناسبًا مع رفعة هذه المجالس، أي أن يكون الأمر عظيمًا يستحق أن يكون حديث بلاطاتهم... وهكذا قدّم (بنا) أيضًا على (حديثًا) فهم معنيون بمن يدور عليهم الحديث لا بالحديث ذاته.

ولا يزال المتنبي على إصراره على التقليل من شأن كافور، فها هو يقول له (حكّمتُ رأيك)، ولم يقل له (حكمتُكَ) وكأنه يريد أن يفصل بين كافور (الشخص) وكافور (الرأي)، فهو حين ينظر إليه لا يجد في شخصه ما يدفعه إلى الثقة به، فلا بأس أن يعوّل على رأيه، إذ قد يخالف هذا مظهره... وهو ما يؤكّده البيتان الآخران، فهو يقول له بعبارة صريحة: لابأس أن يكون وجهك أسود، لأن العبرة بما يصدر عنه من إحسان، فتراه الناس بذلك أحسن الوجوه، ولابأس أن تكون كفُّك خشنة، قد تشققت بكثرة الأعمال الشاقة، إذ ستصبح أيمن كف إذا ما أنعمت بها على الآخرين، وإذا كنت عبدًا ليس لك من شرف النسب، فأنا أرسم لك طريقًا تُنسي الناس وضاعة أصلك، وهو أن تكون شريف الهمّة، مُقْدِمًا على ما لم يُقدم عليه سواك من الملوك، فتحقق (المعظم) الذي عجز السادة البيض عن تحقيقه. إنه يعبِّر بذلك عمّا يريده من كافور كي يتجاوز مظهره غير اللائق ونسبه غير الشريف، وذلك بالإقدام على (المعظم) الذي يريده منه (الولاية). والمتنبي إذ يستشعر عِظَمَ ما يطلبه من كافور وما يحتاجه من همّة وإقدام، فإنه يستحثه على تحقيق ما يريده، واضعًا يديه على أكثر المواضع إيلامًا عند كافور... سواد لونه وخشونة يديه وضِعَة نسبه... وهي نقاط ضعف كافور التي ستصبح فيما بعد مادة هجاء المتنبي لكافور بعد أن أخلف وعده له.

لِمَــنْ تُطْلَبُ الدنيا إذا لَمْ تُرِدْ بِهَا   ســرورَ محــبٍ أو إساءةَ مُجْرِمِ

لا يزال المتنبي في سعيه لحث كافور على الإقدام على تحقيق ما يصبو إليه، وها هو يبلغ من المهارة اللغوية درجة عالية، إذ يصوغ ما هو خاص في إطار حكمة عامة يستحسنها كل من يسمعها. فيقول في خطاب غير مباشر

لكافور، إنما تطلب السلطة والزعامة لإدخال السرور إلى قلوب المحبين والإساءة إلى قلوب المجرمين، وهكذا جمع المتنبي بذكاء متميز بين ما يرضيه وما يرضي كافورًا، إذ يقول له إنْ كنتَ – في تحقيق ما أصبو إليه – تدخل السرور على قلبي وأنا محب لك، وكذلك كل محبيك، فإنك في الوقت نفسه ستسيء إلى كل المجرمين من أعدائك، لقد زيّن في عينيّ كافور ما يريده منه، حتى جعله غاية كافور من دنياه.

إن افتتاح المتنبي بيته باسم الاستفهام (مَنْ) بدل (لماذا) أو (لِمَ) موافق لما قاله بعد ذلك (محب أو مجرم)، فالصراع الذي يخوضه المتنبي لتحقيق ما يرجوه، إنما هو صراع مع هؤلاء المجرمين الذين يقفون في طريق تحقيق أحلامه. وإذا كان المتنبي قد كنّى عن السلطة أو الزعامة بلفظ (الدنيا)، فإنما يعبِّر بذلك عن نظرته إليها، فهي الدنيا التي يطمح إليها، ويحلم بتحقيقها، وهي وحدها التي ستدخل السرور إلى قلبه وتغيظ أعداءه.

يُلاحظ أن المتنبي قال (سرور محب أو إساءة مجرم) وبذلك وضع (إساءة) بمقابل (سرور)، وكان الطباق يقتضي أن يقول (حزن) وتفسير ذلك أن المتنبي أراد بالمحب نفسه أي المتنبي، وبذلك فإن الولاية هي سرور له، أما المجرم فلعله (ابن خنـــزابة) وزير كافور الذي يُشير ابن جني إلى أنه عدو المتنبي في مصر وهو الذي كان يُشير على كافور بعدم استقدامه وتقريبه منه، وبذلك فإن تولية كافور للمتنبي إساءة بالغة لهذا (المجرم) بنظر المتنبي لأنه يقف حائلاً دون تحقيق المتنبي ما يطمح إليه.

وَقَدْ وَصَلَ المُهْرُ الذي فوقَ فَخْذه ... من اسمكَ ما في كلِّ عُنْقٍ ومِعْصَمِ
لَـــكَ الحَيوانُ الراكبُ الخَيْلَ كلُّهُ ... وإنْ كـــانَ بالنـــيِّرانِ غَيْرَ مُوسَّمِ

كان قد بلغ كافورًا أن جرحًا أصاب فرس المتنبي، فأنفذ إليه مهرًا أدهم وها هو يُشير إلى وصول هدية كافور إليه. ولكن هل هناك ما يُشير إلى شكره على هذه الهدية؟ إن إنعام النظر في البيت يجلّي حقيقة هي أن المتنبي لم يُشر حتى إلى كون هذا المهر هو هدية من كافور إليه، فهو يُسند الفعل (وصل) إلى المهر دون الإشارة إلى كيفية وصوله أو سببه. ثم إنه حين أراد الإشارة إلى أنه من كافور، جعل ذلك بطريقة غريبة تدعو إلى الاستهجان أكثر من المدح، إذ أشار إلى أن المهر قد وُسِمَ على فخذه (من اسمك) فأشار إلى كافور بالضمير ولا نستبعد أنه أراد التلميح إلى لؤم كافور وبخله، فهو لا يهدي الهدية إلاّ بعد أن يسمها بوسمه كي تبقى دليلاً على أنها من عطاياه، فيشيع بين الناس أنه كريم.

ولعل في قوله بعد ذلك (ما في كل عنق ومعصم)، وتوجيهه بهذا المعنى، ما يقوّي ما ذهبنا إليه، فكأنه أراد أن يقول: إن كافورًا لم يسم الخيل فقط، وإنما وسم حتى عبيده وجواريه، فالعنق تعبير مجازي عن العبد، والمعصم عن الجارية على سبيل المجاز المرسل بالعلاقة الجزئية، وبذلك سيبقى هؤلاء دليلاً على كرمه إذا ما أهدى أحدًا منهم إلى الآخرين.

وفي البيت الثاني بلغ المتنبي الغاية في السخرية المبطنة من كافور وهو يجعله ملكًا على الحيوانات في قوله (لك الحيوان الراكب الخيل كله)، والأرجح أنه أراد الإشارة إلى أتباعه الذين يمتطون الخيول ويدّعون أنهم فرسان، فهم مجرد حيوانات وعبيد لكافور وإن لم يُوسموا بالنيران، أليس هو القائل في مدح سيف الدولة:

وما تَنْفعُ الخيلُ الكرامُ ولا القنا   إذا لَمْ يكُنْ فوقَ الكرامِ كِرامُ

وهو في تقديمه الخبر (لك) على المبتدأ (الحيوان) إنما أراد تخصيص كافور بهذا اللون من التملك.

وَلَوْ كُنْتُ أدْرِي كَمْ حياتي قَسَمْتُها وَصيَّرتُ ثُلثَيها انتظارَكَ فاعلَمِ

ولكنَّ ما يمضي من العمرِ فائتٌ فَجُدْ لي بحظِّ البادرِ المُتَنَعِّمِ

قد يبدو ظاهر البيتين أنهما في مدح كافور، ولكنهما في حقيقتهما تصوير لما يعنيه كافور للمتنبي، أو بتعبير أدق ما يأمله المتنبي من كافور واستعداده أن يفني ثلثي عمره في انتظار أن يحقق له كافور مطمحه (الولاية)، ولكن مادام العمر قد مرّ، فلم يبق إلاّ أن يبادر كافور بالإسراع في ذلك.

يمكن ملاحظة روح الاستعلاء التي يخاطب بها المتنبي كافورًا، وذلك من خلال فعلي الأمر (فاعلم، فجد) وهو ما نلمسه في أبيات أخرى من القصيدة (فاختر، فاحكم،...) وهكذا فإن قوله في نهاية البيت الأول (فاعلم) تأكيد على كافور أن يعي وعيًا تامًّا ما يرجوه منه، وما يمثّله للمتنبي هذا الذي يرجوه منه.

وقوله في البيت الثاني (فجد لي بحظ البادر المتنعم) يجلّي حقيقة نظرة المتنبي إلى حاله وحال كافور، إذ يشعر أنه قد توفّر على كل أسباب الزعامة إلا الحظ، فيما أُعدم كافور كل هذه الأسباب ولم يتوفّر له غير الحظ، فالذي ينقص المتنبي هو (الحظ) الذي يجده عند كافور وافرًا، فلابأس أن يجود له بشيء منه حتى يصل إلى بعض ما وصل إليه كافور.

ولا نشك في أن إضافة لفظ (حظ) إلى (البادر المتنعم) وهو يريد به كافورًا، إشارة لا تخلو من سوء الظن في كافور ذلك أنه محظوظ في المسارعة في اغتنام الفرصة حالما تُتاح له دون الالتفات إلى أي اعتبار آخر.

رَضِـيْتُ بمـا تَرْضَى به لي مَحَبَّةً وَقُـدْتُ إليكَ النفسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ

ومـثلُكَ مَنْ كانَ الوسيطَ فؤادُهُ فكَلَّمَـهُ عَـنِّي وَلَـمْ أتكلَّـمِ

قد يبدو المتنبي في خاتمة هذه القصيدة في غاية التذلل لكافور، بما لا يتناسب وروح الاستعلاء التي طغت على أبياتها السابقة، ولكن يبدو لي أن استسلام المتنبي هنا لكافور، هو استسلام لقدره الذي ختم نضاله وسعيه بأن يقف مستعطفًا كافور، وهو يراه فرصته الأخيرة وأمله الوحيد في تحقيق ما يطمح إليه، وإذا كانت خاتمة القصيدة هو ما سيبقى منها في ذاكرة من يسمعها، فلابأس في شيء من التذلل يُكره النفسَ عليه، يجري على لسانه أملاً في استرضائه واستعطافه، وليبق ما في النفس تجاه كافور على ما هو عليه، وليس أدل على ذلك من قوله (وقدت إليك النفس قود المسلم) فنفسه لم ترغب بالقدوم إلى كافور، ولكنه أكرهها على ذلك وقادها إليه، كما يقاد الإنسان إلى منيته وقدره المحتوم مؤمنًا ومسلِّمًا بأن هذا ما قُسم له.

وهكذا جاءت ألفاظه معبرة عن هذا الاستسلام فهو يقول له (رضيت) بصيغة الماضي (بما ترضى) بصيغة المضارع، فهو قد بادره بالرضا حتى قبل أن يرضى هو، وإذا كان قد سوّغ ذلك بمحبته لكافور، فانظر كيف وضع لفظ (محبة) في آخر عبارته لأنها المعنى الأبعد عن ذهنه، وهو لا يمكن أن يحب كافورًا ولكن هذا هو قدره الذي ظل يصارعه زمنًا، ولا يملك اليوم إلاّ أن يستسلم له... ولذا توجَّه إلى قلب كافور يتوسطه في تحقيق أمله، ولا يخلو بيته الأخير من شيء من روح التعاظم عند المتنبي فكأنه يقول لكافور: إذا لم أستطع أن أتكلم لك عن مزاياي، و لم تستطع أن تعترف أنت بها، فلا أقل من أن تسأل قلبك عنها وتعترف بها فيما بينك وبين قلبك.

المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة، تأليف الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢- بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلّق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

٣- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف حسن بن قاسم المرادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٤- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠.

٥- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، تعريب صالح القرمادي، تونس - ١٩٦٦م.

٦- دلائل الإعجاز، للإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. مكتبة سعد الدين - دمشق.

٧- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري «معجز أحمد»، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر.

٨- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية بمصر.

٩- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.

١٠- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادي، الطبعة الثانية ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م.

١١- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، عارضه بأصول وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر.

١٢- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي.

١٣- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية.

١٤- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ.

١٥- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الطبعة الأولى ١٩٦٧، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

جدل العصبيّة القبليّة والقيَم
في نماذج من الشعر الجاهلي

د. علي مصطفى عشا

تمهيد:

يكوّن البناء الاجتماعي في العصر الجاهلي مدخلاً مهمًّا في كشف مغزى الشعر الجاهلي، الذي أدّى دورًا طليعيًّا في التعبير عن تطلّعات الحياة الجاهلية وأشواقها، حيث القبيلة مثّلت قطب الرحى في هذه الحياة، والبعد الأعمق في وجدان الشاعر الجاهلي؛ باعتبارها الوطن الراحل معه أبدًا، الذي يقيه من الذوبان في هذا المدى الصحراوي، ويُؤسّس له شرعية أخلاقية وثقافية ضمن شروط البيئة والتاريخ.

ومثّلت القبيلة خيارًا حقيقيًّا للإنسان الجاهلي، الذي وجد نفسه في عالم مستغلق بسبب معطيات الجدب والحرب، وما نتج عنهما من الانطلاق من أساسٍ هو القوّة التي حاولت فرض معاييرها بوصفها مرجعية جوهرية يقوم عليها البناء القيمي في المجتمع القبلي الجاهلي.

ويعدّ الانتماء القبلي الركيزة الأساسية في الحياة القبلية، وكانت العصبية مظهرًا لهذا الانتماء، وهي التي تستند بدورها إلى الدّم، ووحدة القبيلة في المصير والغاية. واستطاعت العصبية أن تخلق مركزية لها في الوجدان الجاهلي، وتجلّى ذلك في الشعر، واتخذت مسارًا آخر لها تمثّل في الوعي العصبي، ليكوّن مضمونًا أخلاقيًّا وإنسانيًّا سعى لإيجاد التوازن التاريخي بين القوّة ومعاييرها، والحقيقة وثقافتها؛ وجسّم لنا الوعي العصبي نزعة إنسانية وأخلاقية جوهرية في الحياة الجاهلية التي تكاد تغطيها صورة الحرب والصراعات.

(١)

كـــان للـــتحدي البيـــئي والتاريخي دور حاسم في خيار الجاهليين على مســـتوى البـــناء الاجـــتماعي، إذ جعلته معطيات الجدب والقحط وندرة الأمطـــار، يتخذ صورة واحدة تقوم على النظام القبلي؛ فالرابطة القبلية هي الهوية والاستراتيجية، التي ستأخذ الدور الحاسم في تكوين الوعي العربي في العصر الجاهلي. وتجسّمت هذه الرابطة بالعصبية التي تُعدّ قوام الحياة القبلية، وتعـــني وحـــدة القبـــيلة باعتبارها كلاً سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وهي المرجعـــية والشـــرعية الأخلاقية؛ إذ الحق والخير، هو حقّ القبيلة، وخيرها. وهذه البنية الاجتماعية لم تنشأ في فراغ، وإنما صنعتها البيئة الصحراوية التي لا تتســـع للتجمعات الكبيرة، بل تتخذ وحدات اجتماعية تناسب إمكانات البيئة. وهذه التنظيمات ينبغي أن تكون قادرة على التماسك والحركة في آن معًـــا. ومن هنا كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع الجاهلي، وهي وحدة سياسية، وقد تدعو الظروف الطبيعية مثل الجفاف، أو الظروف البشـــرية الاســـتثنائية كالحرب إلى تكوين تحالفات أكبر، وقد تتجزّأ القبيلة ذاتها، لكن الجزيرة العربية ظلت محافظة على هذه الوحدات القبلية[١].

وتقـــوم العصـــبية القبلية في جوهرها على صلة الدم والنسب، واتخذت أســـلوب الثأر منهجًا للمحافظة على ذاتها، وعلى أفرادها؛ لذا تحمّل النظام القبـــلي عبـــئًا ثقـــيلاً في ســـبيل الدفاع عن الأفراد، إذ كانت القبيلة تهبّ بمجموعها لدفع ما قد يلحق بأفرادها من أذى، والثأر لقتيلها، حتى إن أدّى

(١) الدوري، عبد العزيز، ١٩٨٥، **التكوين التاريخي للأمة العربية**، ط٢، دار المستقبل العربي، القاهرة، ص ٢١.

ذلك إلى خوض حرب طويلة الأمد[٢].

وفي المقابل لم تكن القبيلة لتسمح لأفرادها بالخروج على مرجعيتها ونظامها الصارم، وأدّى ذلك إلى ظهور نظام «الخلع» في المجتمع القبلي، فالخليع هو الذي يجني الجنايات يُؤخذ بها أولياؤه، مما يدفعهم إلى طرده من القبيلة، وإعلان «الخلع» على أهل القبيلة، أو في الأسواق. والخليع قد يلجأ إلى قبيلة أخرى، فيحصل على الحماية، أو يلحق بالصعاليك. ومثّل الخلع أعلى درجات النفي الفردي، حفاظًا على المصلحة العليا للقبيلة، والتزاماتها الأخلاقية ضمن توازن القوة في المجتمع القبلي.

وجسّمت القبيلة نظامًا متحركًا، وأدّت دورًا مهمًّا في تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحوّلت العصبية في سيرورة الشعور الجاهلي إلى وعي عصبي، تمثّل في صلات الرحم، والمضمون الأخلاقي، وأصبح رابطة نفسية اجتماعية، شعورية ولا شعورية[٣]، يُحقّق فيها الشاعر الجاهلي مشروعه الإنساني وذاتيته منطلقًا هذه الذات الجماعية، ويمتد من خلال القبيلة والشعر ليلامس أطراف العالم.

إن الجدل بين العصبية التي تستند إلى الدم والوعي الفردي الذي يحمل مضمونًا أخلاقيًا، جعل ذات الشاعر الجاهلي أكثر تجذّرًا في إنسانيتها، وأشدّ حساسيَّة في نشدانها لمثلٍ أعلى، يخلق لديها نوعًا من التوازن في عالم كاد أن

---

(٢) دلو، برهان الدين، ١٩٨٩، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، ط١، دار الفارابي، بيروت، ص١٥٣.

(٣) حسام الدين، كريم زكي، بلا تاريخ، **القرابة (دراسة أنثرو لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)**، ط١، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ص٨٧.

يصبح مستغلقًا بسبب الصراعات على الحمى، ومشاهد الحرب التي أوشكت أن تطيح بمبنى حياتها ومغزاها.

والأدب اجتماعي في صميمه، أداته اللغة، وهي من خلق المجتمع، وأعرافه الجمالية هي أعراف اجتماعية من نمط معيّن، على حدّ تعبير تومارس (Tomars)[٤]، وهو يجسّم إرادة الذات الشاعرة ومتطلبات الجماعة[٥]، ومن هنا جسّمت الفكرة البنائية في القصيدة الجاهلية النظام القبلي؛ فالوحدة التي تمثّلها القبيلة تتمثّل في بيت الشعر، وإذا كان المجتمع القبلي مكوّنًا من عدد هائل من القبائل المستقلّة، فكذلك الشأن في القصيدة العربية؛ إذ هي مجموعة من الوحدات (الأبيات) المستقلّة بذاتها التي لا يربطها بغيرها سوى القافية، وهكذا يمكن أن يقدّم لنا نظام الحياة الاجتماعية الجاهلية تفسيرًا لبنائها[٦].

وفي معرض حديثه عن الصورة الجاهلية يعلّل يوسف اليوسف الشحّ في الذاتية الذي يسم الكثير من القصائد الجاهلية، بأنها تحاول كثيرًا تنسيق الوقائع والحيثيات في شذرات أو وحدات صغيرة، تتباين كثيرًا أو قليلاً بدلاً من أن تنسّق عالمها النفسي، بحيث تجمعه في موقف عاطفي للشاعر والمتلقي على السواء[٧].

---

(٤) وليك، رينيه، وأوستن وارين، ١٩٨٥، **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، ط ٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٩٧.

(٥) ريد، هربرت، بلا تاريخ، **الفن والمجتمع**، ترجمة فارس متري ضاهر، دار القلم، بيروت، ص١٢٠.

(٦) إسماعيل، عزالدين، ١٩٧٤، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ط٣،دار الفكر العربي، ص٣١٥.

(٧) اليوسف، يوسف، ١٩٧٥، **مقالات في الشعر الجاهلي**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص ٥٧.

ويـــرى يوسف خليف أن «العقد الاجتماعي» بين الشاعر والقبيلة تحوّل إلى «عقد فنّي»، جعله معبّرًا عن مشاعرها وتطلّعاتها قبل أن يكون معبّرًا عن مشـــاعره واتجاهاتـــه الشخصية؛ لذا اتجهت «الأنا» نحو «النحن» من خلال الفخر، والإشادة بالقيم الجماعية التي تمثّلها القبيلة، فكانت الغاية قبليّة، وإن تكن الوسيلة فردية[٨].

ويتصل السياق الاجتماعي في الشعر الجاهلي باستجابة الشاعر للتحدي لـــدى محمـــود الجـــادر؛ إذ التصوّر الجماعي للتحدي لا موضع فيه للذات الشـــعرية التي تسعى لسَحْب الآخرين إلى موقف «النحن»، في سبيل تثبيت موقـــف اقتدار القبيلة في ظلّ الحرب، ومحاولة رفع مكانتها في ظرف السّلم، وهـــذا اقتضى من الشعراء أن يوظّفوا جلّ جهدهم للمهمّة الجماعية[٩]. بيد أن ذلـــك لم يرقَ دائمًا إلى إلغاء الفردية، فثمّة شواهد على صور متباينة من

(٨) خليف، يوسف، بـــلا تاريخ، **دراسات في الشعر الجاهلي**، مكتبة غريب، القاهرة، ص ١٧٤–١٧٥.

(٩) الجادر، محمـــود عبد الله، ١٩٨٦، الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر، **مجلّة المورد**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مجلّد (١٥) العدد (٢)، ص ٩. **وانظر:**

- القيسي، نوري حمودي، ١٩٨٤، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط٢، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ص ٢٤٦ وما بعدها.
- عبد الفتاح، فاطمة، بلا تاريخ، **الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، ص ٣٨ وما بعدها.
- عمارة، إخلاص فخري، ١٩٩١، **الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٧ وما بعدها.
- شحادة، عبد العزيز، ١٩٩٥، **الزمن في الشعر الجاهلي**، مكتبة الكتاني، إربد، الأردن، ص ١٦٨ – ١٧٣.

محاولات التمرّد الفردي، تجسّمت في ظاهرة الصعلكة التي تمثّل محاولة الجهد الفــردي لإيجــاد متنفسه في الانفلات من القيد القبلي[١٠]، ويظهر ذلك في شعر الشنفرى، وعروة بن الورد وتأبّط شرًّا وغيرهم.

ويرى حسين جمعة أن الانتماء ظاهرة اجتماعية وفكرية ثمّ فنية، تأصّلت لدى الجاهليين في وجوه كثيرة، وهو حسّ مرتبط بالقبيلة، جعل الجاهلي - في ذاتــه الفــردية - جزءًا منصهرًا في كيان أكبر يُقال له الذات الجماعية، تنــتهي حريته عند حدود مصالحها ووجودها. وبهذا الوعي يصبح المجموع لــدى الشــاعر المنــتمي مساويًا للذات؛ لذا كان ملزمًا بالدفاع عن قبيلته وقيمها، وهو التزام أدبي وطوعي[١١].

ويحقّــق الشاعر الجاهلي ذاته وطموحه بفضل هذا الانتماء؛ لأنه غدا اللسان المعــبّر عن حال القبيلة وتطلّعاتها، ولــمّا كانت هذه رسالة طوعية، كان لا بد له من أن يؤصّل القيم في أفرادها، ليعمّق ارتباطهم بها، فيُحسنوا الدفاع عنها[١٢].

وتظهر المرأة وجهًا أصيلاً من وجوه الانتماء القبلي؛ فحماية الذّمار لا تنفصل عــن حماية المرأة، إضافة إلى أن المرأة تعدّ مصدرًا ثرًّا لجملة من القيم لدى العرب، وهي في ذاتها هاجس العربي، وحمايتها فخر له، وسبيها عار عليه[١٣].

---

(١٠) المرجع السابق، ص ٩. وانظر:

- خليف، يوسف، بلا تاريخ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ط٣، دار المعارف، مصر، ص ٨٩ وما بعدها.

(١١) جمعة، حسين، ١٩٩٦، الانتماء وظاهــرة القيم العربــية في القصيدة الجاهلية، **مجلّة التراث العربي**، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، العدد (٦٣)، السنة السادسة عشرة، ص٨١-٨٣.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٨٥.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٩٦.

ويرتبط الانتماء بمعاني الزيادة في المنزلة والرفعة في الشأن، والنهوض للأمر الشريف، والانتشار في المكان، والنجاة من الأخطار، ومن خلال الوعي طوّر الجاهلي هذا الأصل اللغوي، ليعبّر عن التنوّع في إطار الوحدة، وعن معان إنسانية تؤكّد استمرارية ظاهرة الانتماء، وترفع شأن الإنسان باعتباره منتميًا إلى رابطة إنسانية(١٤).

ويتّصل الشعر القبلي بالوظيفة الاجتماعية التي يؤديها هذا الشعر، فيُحاول الشاعر الجاهلي رسم صورة مثالية لقبيلته، ومن خلال ذلك يسعى لدفْع القبيلة إلى الاقتراب من هذه الصورة والتمسّك بها(١٥). وهذه الصورة المثاليَّة لا تتعلّق بحماية القبيلة من الأخطار الخارجية فقط، بل تُسهم في تأسيس نمط من العلاقات بين أفراد القبيلة، وتساعد على توحيدهم(١٦).

نخلص إلى القول إنّ ثمّة علاقة بين الأدب والمجتمع أبعد غورًا من أن يكون الأدب مرآة تعكس الواقع؛ إذ الأدب يهدف إلى خلق علاقة مغايرة كيفيًّا للعلاقات المألوفة بين الإنسان والعالم، وهذا لا يتأتّى دون علاقة عميقة مرهفة ومعقّدة بين الأدب والمجتمع(١٧). ومن هنا فالأدب يتجلّى في

---

(١٤) فاروق اسليم، وعصام قصبجي، ١٩٩٥، الانتماء في العرف الجاهلي، **مجلّة بحوث جامعة حلب**، جامعة حلب، العدد (٢٧)، ص ٦٠-٦٨.

(١٥) الشحادة، عبد العزيز محمد، ١٩٩٠، **الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، ص ٢٣٣.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(١٧) عبد الرحمن، عفيف، ١٩٨٧، **الأدب الجاهلي في آثار الدارسين (قديمًا وحديثًا)** ط١، دار الفكر، عمان، ص ٢٢٧.

- وانظر إلى عرض مكثّف للمنهج الاجتماعي في دراسة الشعر الجاهلي في المرجع نفسه، ص ٢٢٩-٢٦٢.

سياق اجتماعي، كجزء من ثقافة، في بيئة[١٨] ويجسّم رؤى «الأنا» لتطلُّعات الجماعة التي تنتمي إليها من جهة، وأشواقها الخاصّة، ورغبتها في بلوغ رؤية مبدعة للعالم على مستوى الفكر، وحيازته جماليًّا[١٩] من جهة أخرى.

لقـــد مثّلـــت العصبية مدخلاً مهمًّا لدخول الجاهلي عالمه ضمن تحدِّيات البيـــئة، وأظهـــرت وعيه على شرطه التاريخي؛ إذ التكتّل ضمن هذه البُنى المتلاحمة يقيه من الذوبان في هذا المدى الصحراوي المفتوح، ويؤسِّس للفرد شرعيَّة للبقاء، ويمنحه القدرة على التحدّي، ويحمي هويته الثقافية والتاريخية مـــن الاندثار. من خلال الجدل الدائم بين العصبية والوعي العصبي، تتجلّى استجابة الشاعر الجاهلي لتحديات البيئة، ووعيه لهذا التحدّي التاريخي.

(٢)

ذكر السيوطي أن القبيلة – في العصر الجاهلي– إذا نبغ فيها شاعر، أتت إلـــيها القـــبائل، وهـــنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس؛ لأنه الحامي لأعراضهم، وهو المدافع عن أحسابهم، وهو الذي يخلّد مآثرهم[٢٠]، ولم يكن يعدل فرحة القبيلة بالشاعر سوى فرحتها بغلام يولد أو فرس تُنتج[٢١].

– وانظر أيضًا: رومية، وهب، ١٩٩٦، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، عالم المعرفة، الكويت، ص ٢٧٣ وما بعدها.

(١٨) وليك، رينيه، وأوستن وارين، **نظرية الأدب**، ص ١٠٩.

(١٩) رومية، وهب، ١٩٩٦، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص٢٦.

(٢٠) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، بلا تاريخ، **المزهر في علوم اللغة**، شرحه وضبطه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ج٢/ص٤٧٣.

(٢١) القيرواني ، ابن رشيق، ١٩٨٨، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد –

ونلمح خلف هذه الإشارات أن ميلاد الشاعر في القبيلة يُمثّل إيذانًا بمولد جديد للقبيلة، تُؤكّد فيه ذاتها الجماعية، وحضورها المعنوي، وامتلاكها - إضافةً إلى القوّة- الشرعية المعنوية والأخلاقية، وبالكلمة /الشعر، يستطيع الشاعر ملء شقوق الواقع المتصدّع بفعل الحرب والجدب والصراعات؛ إذْ هو يغذّي قيم الفروسية والبطولة، وهو الذي ينفض الرمال عن المرأة، لتصبح قيمة وجدانية وثقافية في المجتمع، وهو الذي يُؤرّخ للقبيلة، ويحوّل سيرتها الخاصّة إلى تاريخ يُنقل من ذاكرة إلى ذاكرة، وهو الذي يلمّ شعثها، ويرأب صدعها؛ لذا يظهر الشاعر رائيًا في الشعر الجاهلي، يتحمّل مسؤولية القيادة المعنوية لقبيلته، وهو القادر على تحويل خراب الواقع إلى حياة؛ لذا تتجلّى الروح الجماعية في الشعر الجاهلي؛ إذ إن فردية الشاعر فردية اتصال، تجسّم الشعور بالفخر والأنفة والاعتزاز، وتؤكّد أنه لا يفعل سوى الخير، وأنه يتابع سيرة آبائه وأجداده، فالفردية فردية القبيلة لا فردية الفرد[٢٢]، وهذه الفردية القبلية، وتحويل «الأنا» إلى «النحن» مثّلت الركيزة الأساسية في استجابته للتحدي البيئي والتاريخي.

يقول المُتلمّس الضُّبعي:

إلى كلِّ قَوْمٍ سُلَّمٌ يُرتَقَى بِهِ	وَلَيْسَ إليْنا في السَّلاليمِ مَطْلَعُ
ويَهْرُبُ مِنّا كلُّ وَحْشٍ وينتهي	إلى وَحْشِنا وَحْشُ الفَلاةِ وَيَرْتَعُ[٢٣]

- قرقزان، ط١، دار المعرفة، بيروت، ج١/ص٤٩.

(٢٢) أدونيس، بلا تاريخ، **كلام البدايات**، دار الآداب، بيروت، ص٦١.

(٢٣) الضُّبَعي، المتلمّسُ، ١٩٧٠، **ديوان شعر المتلمس الضُّبَعي**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر، ص ٣٠٥-٣٠٦.

وشـاعت في الشعر الجاهلي هذه الصورة من الذوبان في الذات القبلية، وانصبت فعّالية الشعر في هذا الاتجاه بتلقائية مدهشة، كان باعثها الأساسي هـو القيم التربوية التي تلقاها الشعراء قانونَ حياة، قبل أن يصبحوا شعراء، وعـندما انبثقت عبقريتهم الشعرية، غدت هذه الآصرة القبلية سرّ وجودهم الإنسـاني؛ لذا لا تتجلّى «الأنا» إلا من خلال «النحن»، ويجد الشاعر نفسه في مجرى الحدث القبلي، وينغمر فيه انغمارًا[٢٤].

وتتصل العصبية القبلية بتمجيد القوّة، قوّة القبيلة والفخر بها، هذه القوّة المعلـنة، المسـتعدّة دائمًا للصراع والتحدّي، ويأتي دور الشاعر في تكثيف مشهد القوّة بأن يقول الشعر.

ويطمـح الشاعر من خلالها إلى خلق نوع من التوازن بين القوّة والحقّ. فقد ذكـر ابـن بشر الآمدي أن بني محلّم بن ذهل بن شيبان أغاروا على إبل جارٍ للشاعر حَزَن بن كهف، فذهبوا بها فأتبعهم وقَتَل منهم وارتجع الإبل وقال:

أمِن مالِ جاري رُحْتَ تَحْتَرِشُ الغِنَى ... وتدفـعُ منك الفقرَ يا ابن مُحَلِّمِ

لقـدْ ما أتيتَ الأمر من غير وَجهِهِ ... وأخطـأتَ جَهْـدًا وجهةَ المتغنّمِ

فمـا نحـنُ بـالقوم المُباحِ حِمَاهُمُ ... ومـا الجارُ فينا إن علمتَ بِمُسْلَمِ

وأنّـا مَـتَى نُـنْدَبْ إلى الموتِ نأتِهِ ... نخـوضُ إليه لُجَّ بَحْرٍ مِنَ الدَّمِ[٢٥]

لقـد مثّل الفخر أعلى درجات البوح بالعصبية القبلية، وهي تجسّم أعلى درجات التماهي بين «الأنا» و «النحن»، ولم تكن الذات الشاعرة ترى لها

(٢٤) الجادر، محمود عبد الله، ١٩٨٦، الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر، مجلة المورد، مجلد (١٥) عدد (٢)، ص٨.

(٢٥) الآمدي، أبو القاسم الحسن، ١٩٩١، المؤتلف والمختلف، دار الجيل، بيروت، ص١٢٧.

وجوداً أو مدى خارج نطاق هذه العصبية، حتى وهي تعيش أقسى حالاتها الوجودية في التوتّر والقلق، وتعاني تصدّعاتها وهي تتأمّل عوالمها الداخلية.

يقول سلامة بن جَنْدَل السَّعْديُّ:

أودى الشَّبَاب حميدًا ذو التَعاجيبِ	أَوْدى وذلك شَأْوٌ غيرُ مَطْلوبِ
ولّى حثيثًا وهذا الشَّيْبُ يطلبُهُ	لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ اليعاقيبِ
أودى الشَّبابُ الذي مَجْدٌ عواقبُهُ	فيه نَلَذُّ، ولا لذّاتِ للشِّيبِ
وللشبابِ إذا دامت بشاشتُهُ	وُدُّ القلوبِ من البيضِ الرَّعابيبِ
إنّا إذا غَرَبَتْ شمسٌ أو ارتفعتْ	وفي مباركها بُزْلُ المصاعيبِ
قدْ يَسْعدُ الجارُ والضَّيفُ الغريبُ بنا	والسائلون، ونُغْلي مَيْسَرَ النِّيبِ
وَعَنْدنا قَيْنةٌ بيضاءُ ناعمةٌ	مثلُ المهاةِ من الحُورِ الخَرَاعيبِ
تُجْري السِّواكَ على غُرٍّ مُفَلَّجة	لم يَغْذُها دَنَسٌ تحت الجلابيبِ
دَعْ ذا وَقُلْ لبني سَعْدٍ لفضلهم	مَدْحًا يَسيرُ به غادي الأراكيبِ
يَوْمانِ يومُ مُقاماتٍ وأنْديةٍ	ويَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تَأْويبِ(٢٦)

تتمحور هذه الأبيات حول ثنائية الشباب / الشيخوخة، وتكشف حالةَ الانقطاع بينهما بعَرْض صيرورة الزمن، وتعلن منذ البداية ابتلاع الحاضر للماضي (أودى – هلك)، وما يعقبه من تحوّلات عميقة في سيرة الشاعر جسدًا (وهذا الشيب يطلبه)، وروحًا (أودى الشباب حميدًا ذو التعاجيب)، وتواجه الذات محنتها من خلال تأمّل مصيرها؛ إذ التحوّل من الشباب إلى

(٢٦) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، بلا تاريخ، **المفضليات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٦، بيروت، ص١١٩-١٢٠.

الشـيخوخة ينـتج عنه تحوّل في الوعي على معنى الحياة ومغزاها، بعد أن وقعـت في دائـرة اليأس الوجودي، حيث الوجود الفردي تكتمل دائرته بالموت لا بالعودة المحالة إلى الماضي (أودى وذلك شأو غير مطلوب).

وتنـتقل الـذات إلى دائرة الحزن الوجودي وهي تتأمّل عوالمها الداخلية المتصدّعة، ويضيء لها مشهد الماضي / الشباب، حيث المجد واللذة، وتتجلّى المـرأة وجودًا مكثفًا وغنيًّا متصلاً بسيرة الشباب، وتغدو واهبة لمعنى الحياة ومغـزاها، ووجودًا منفصلاً ومفارقًا للشيخوخة، حيث مشهد التردّي لقيم الحياة ومعناها، وإيذانًا بانطواء سيرة الذات وتكوّرها على نفسها.

وتجهـد الذات بالبحث عن سيرة أخرى بعد المرأة، تخلق لديها نوعًا من التوازن وهي تعيش حالة انطفاءات الماضي، وهي تمرّ بدوائر اليأس والحزن، فتنفـتح لعوالمها الباطنية السيرة الجماعية للقبيلة، بعد أن أحسّت بالعجز عن مواجهـة محنـتها الوجودية بفرديتها، فتتحوّل من «الأنا» إلى «النحن»، حيث الفخـر القبلي، والمجد المعنوي؛ لتُغرق أساها الداخلي في أتون الجماعة، وتهرب مـن هـذا الـتهديد لوجودهـا وكينونتها إلى الذات القبليّة، وتستبدل القيم (الجماعية) المتمثلة بالكرم والشجاعة والحكمة، بالقيم الفردية الوجودية (اليأس، الحزن)، فتحوّل ثقافة الزمان / القلق الأسى، إلى شروط المكان (مَدْحًا يسير به غادي الأراكيب، مقامات وأندية، سير إلى الأعداء تأويب)، مُحاولةً حسم هذا الجـدل الداخلي بين الماضي والحاضر، الشباب/ الشيخوخة، لتصبح العصبية، مـلجأً حقيقـيًّا للشاعر، هربًا من مشهد الأسى الذي تُعمّقه عوامل الجدب، وغياب الاستقرار، والمشروع الحضاري.

ويقول ضَمْرة بنُ ضَمْرة النهشلي(٢٧):

وطـارقِ لَـيْلٍ كنْـتُ حَمَّ مبيته	إذا قَـلَّ في الحيّ الجميع الرَّوافدُ
وقلــتُ له: أهْــلاً وَسَهلاً وَمَرْحبًا	وأكرمْــتُهُ حتّى غدا وهو حامدُ
ومـا أنـا بالسَّـاعي ليُحْرِزَ نَفْسَهُ	ولكـنَّني عــن عَوْرَةِ الحيِّ ذائدُ
وإن يـكُ مَجْــدٌ في تمـيمٍ فإنّـهُ	نمـا في اليَفَاعِ نَهْشَلٌ وَعُطَارِدُ(٢٨)

وتـتجه الـذات الشاعرة نحو الآخر (وطارق ليل)، وتتجلّى فرديتها في أفعالهـا الذاتـية (قلـت، أكرمتُ)، وتتحسّس إنسانيتها وعظمتها الفردية بتحقـيقها لشرطها الأخلاقي، من خلال النسق القيمي للمجتمع؛ لكنها لا تسند مجدها الإنساني إلى ذاهّا، و لم تفعل ذلك لتحرز ذاهّا الفردية، بل لتظفر بـالذات الجماعـية؛ ذات القبيلة، وهذا يكشف بجلاء عن أن العصبية التي تمظهرت في الانتماء القبلي كانت خيارًا حقيقيًّا للشاعر الجاهلي، وهي المرآة الـتي يـرى فـيها وجوده كاملاً، والمجلى لحريته، فانتماؤه القبلي هو عين اكتساب الذات لهويتها الفردية ووجودها الأخلاقي؛ إذْلم يكن الفن – ومنه الشـعر– باستمرار مجردَ زخرف يُزيّن البناء الاجتماعي، بل جزءًا من دعائم هـذا البناء(٢٩). وتمتد ذات الشاعر الجاهلي بقدر تجلّيات القبيلة في الواقع، فهي مانحة الهوية الفردية، وصانعة مجال الحرية، والقدرة على البوح.

(٢٧) المفضليات ص ٣٢٤.

(٢٨) المعيني، عبد الحميد، بلا تاريخ، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، (جمع وتحقيق)، نادي القصيم الأدبي، بريدة، السعودية، ص٢٧٨.

(٢٩) هاوزر، أرنولد، ١٩٨١، **الفن والمجتمع عبر التاريخ**، ترجمة فؤاد زكريا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٢/١٥٦.

يقول تميم بن أُبيّ بن مقبل:

فقــل للــذي يــبغي عليَّ بقوْمِه: أحــدًّا تقول الحقَّ أمْ أنْتَ تَمزَحُ؟
بــنو عامــرٍ قومي، وَمَنْ يكُ قوْمُهُ كقَوْمي يكُنْ فيهمْ لَهُ مُتَنَدَّحُ[٣٠]

ويقول أيضًا:

لقــد كــان فينا من يحوط ذِمَارنا ويُحْذي الكَمِيَّ الزّاعِيَّ المؤَمَّرا[٣١]

ويقول جابر بن رألانَ السِّنْبِسيّ:

قَــدْ يعــلمُ القــوْمُ أنّا يوم نجدهمْ لا نــتَّقي بالكَميِّ الحاردِ الأَسَلاَ
لكــن تــرى رجُــلاً في إثْرِهِ رجُلٌ قَــدْ غادَرَا رجُلاً بالقاعِ مُنْجَدِلا
فَــذَاك فينا، وإن يَهْلِكْ نَجدْ خلفًا سَــمْحَ الــيدينِ قويًــا، أيّةً فعلا
يرضــى الخليطُ ويرضى الجارُ مَنْزِلهُ ولا يُرى عَوْضُ صَلْدًا يَرْصُدُ العللا[٣٢]

وتــبقى القوّة؛ قوّة القبيلة والعصبية متصلتين بالانتماء القبلي؛ وتأكيدهما وتأصــيلهما بــالفعل والكلمة/الشعر، هي المهمّة العظمى للشاعر الجاهلي، وهــي أكــثر الظواهــر تجذّرًا في شعوره؛ إذ القوّة هي القادرة على إعادة تشكيل العالم والأشياء من حوله، وهي التي تحقّق المجد الباحث عنه أبدًا؛ لذا

(٣٠) ابن مقبل، تميم بن أُبيّ، ١٩٦٢، **ديوان تميم بن أُبيّ بن مقبل**، تحقيق عزّة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص٥٦.
(متندّح: أي سعة وفسحة ومذهب في الأرض عريض).

(٣١) نفسه، ص١١٢.
يحذي: يطعن، الزاعبي من الرماح: إذا هز تدافع كله، المؤمّر: المحدّد.

(٣٢) الشّنتمْري، الأعلم، ١٩٩٢، **شرح حماسة أبي تمام**، تحقيق وتعليق علي المفضل حمودان، ط١، دار الفكر، دمشق، مجلد١/ص ٢٦٨-٢٦٩.

كان الشاعر الجاهلي عاشقًا للقوّة مؤمنًا بها، حريصًا عليها(٣٣)، يحاول بعَرْضها ردم الهوّة بين الواقع والحلم، بين الشرط البيئي، وشروط البقاء.

وتتجلّى العصبية القبلية عبر لحظات الأسى المركّزة، حيث الذاتُ تتجرّع الألم نتيجة الإحساس بالمصير الجماعي، والالتحام به:

يقول دُرَيْدُ بن الصِّمَّة في رثاء إخوته:

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى	مكان البُكا لكنْ بُنيتُ على الصَّبرِ
لمقْتَلِ عبدالله والهالكِ الذي	على الشَّرفِ الأعْلى قتيلِ أبي بَكْرِ
وعبْدِ يَغُوثٍ أو خَليليَ خالدٍ	وَعَزَّ مُصَابًا حَثْوُ قَبْرٍ على قَبْرِ
أبى القَتْلُ إلا آلَ صِمَّةَ إنَّهم	أَبوا غَيْرَهُ والقَدْرُ يجري على القَدْرِ
فإمّا تَرَيْنا ما تزالُ دماؤُنا	لدى واترٍ يشقى بها آخر الدَّهْرِ
فإنّا للحم السَّيْفِ غير نَكيرةٍ	ونُلْحَمُهُ حينًا وليس بذي نُكْرِ(٣٤)

واستطاع الأسى أن يأخذ ذات الشاعر بعيدًا إلى فرديتها في مشهد الفجيعة، وهي في قلب الأسى، حيث مشهد تتابع صور الموت عليها (حثو قبر على قبر)، تحاول إعادة بناء عالمها على وهج العصبية من خلال تحويل القدر الفردي إلى قدر جماعي (فإنّا للحم السّيف)، والتحوّل من المأساة الشخصية إلى المأساة الجماعية؛ إذ الموت قتلاً قيمة من القيم العليا في الاستراتيجية الروحية للجاهليين، وهو جزء من ثقافة الحياة التي تستحوذ عليها القوّة، ويهدّدها الجدب والتحدّي البيئي.

---

(٣٣) رومية، وهب ، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، ص٢٧٢.

(٣٤) ابن الصِّمَّة، دُرَيْد، بلا تاريخ، **ديوان دريد بن الصمة**، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، ص٩٥-٩٦.

يقول دُرَيْد أيضًا:

يُغَارُ علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أُصِبْنا أو نُغيرُ على وِتْرِ

بذاك قَسَمْنا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمةً فما يَنْقَضي إلا ونحنُ على شَطْرِ[٣٥]

لقد شكّلت العصبية محور التوازن الأخلاقي والروحي للذات في صراعها مع الآخر القبلي من جهة، ومناخ الجدب وعقم الحياة من جهة أخرى، وهي تحاول دومًا الهرب من أساها الداخلي إلى العصبية باحثة عن المَثَل الأعلى القبلي، الذي يُحوّل فجيعتها وحزنها إلى مجد، ورثاءها إلى فخر، وتداعيها إلى قوّة، وألمها إلى ثأر قادم، ومحدوديتها - نتيجة الفجيعة- إلى أمداء، وهزيمتها إلى نصر. واستطاعت العصبية أن توسّع من دائرة رؤيتها وأفقها، فالمصير الفردي يلتحم بالمصير الجماعي في سيرورة الشعور، وتظلّ الروح الجماعية تمتدّ وتتجذّر بعد هلاك الفرد.

واتصلت العصبية بالقلق على المصير الجماعي للقبيلة، من أن تنال منها القوى التي تتربَّص بها خارجيًا، أو أن تتفتت من داخلها نتيجة عوامل الفرقة وتشتت الهوى، واختلال الآصرة القبلية.

يقول الطُفيل الغنوي يرثي فرسان قومه:

تأوّبني هَمٌّ مع الليل مُنْصِبٌ وجاء من الأخْبار مالا أُكَذِّبُ

تظاهَرْن حتَّى لم تكُنْ لي رِيبةٌ ولم يَكُ عَمَّا أخبروا مُتَعَقَّبُ

وكان هُرَيْمٌ مِنْ سِنَانٍ خَليفةً وَحِصْنٍ وَمِنْ أسْمَاءَ لَمّا تَغَيَّبوا[٣٦]

---

(٣٥) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٣٦) الغَنوي، الطُفَيل، ١٩٦٨، **ديوان الطُفَيْل الغَنوي**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١ دار الكتاب الجديد، ص٣٧-٣٨.

ويتحوّل الموقف من «النحن» إلى «الأنا» في لحظات الأسى على المصير الجماعي، وتتجلّى الذات الشاعرة، فاديةً للروح الجماعية، وحاضنة لها، عندما تُصيبها الكارثة، وتمسّها الآلام، وتتحوّل الذات إلى مركز للشعور، والحساسية العصبية.

وبالعصبية يلتحم الشاعر الجاهلي بالذات القبلية من خلال الخطر الذي يُهدّد القبيلة، عندما يستشعر مواطن الضعف والخلل في روحها؛ إذْ ينبغي أن تبقى القوّة متماسكة، لا يتخلّلها الفراغ الذي يُنذر بتفتت القبيلة وضياعها.

يقول راشد بن شهاب اليشكري:

مَنْ مُبْلِغٌ فتيان يَشْكُرَ أنني ... أرى حِقْبةً تُبْدي أماكن للصَّبْرِ

فأوصيكمُ بالحيّ شَيْبانَ إنَّهُمْ ... هُمُ أهلُ أبناءِ العظائمِ والفخْرِ(٣٧)

ويتكشّف الشعور بالقلق على القبيلة لدى الشاعر الجاهلي، نتيجة الإحساس بخطر يُهدّد القبيلة من داخلها؛ قال قيس بن الخطيم:

تقول ابنةُ العَمْريِّ آخرَ لَيْلها: ... علامَ مُنِعْتَ النَّوْمَ، لَيْلكَ ساهرُ

فقلتُ لها: قَوْمي أخافُ عَلَيْهِمُ ... تباغِيَهُمْ، لا يُبْهِكُمْ ما أُحَاذِرُ

فلا أعْرِفَنْكُمْ بَعْدَ عِزٍّ وثَرْوَةٍ ... يُقالُ:ألا تلْكَ النَّبيتُ عَسَاكِرُ

فلا تَجْعلوا حَرْباتِكُمْ في نُحُورِكُمْ ... كما شَدَّ أَلْواحَ الرِّتاجِ المَسَامِرُ(٣٨)

---

(٣٧) الضبي، المفضل، المفضليات، ص٣١٠.

(٣٨) ابن الخطيم، قيس، ١٩٦٢، **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط١، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص١٤٥-١٤٦. يبهكم: أي يُفسد أمركم، عساكر: جموع متفرّقة.

تـــدور هذه الأبيات حول محور القلق على مصير القبيلة الجمعي، وتحاور الذات ضميرها الجمعي عبر المرأة، وتتأمل مصيرها الفردي من خلال الخوف عـــلى المصير الجمعي؛ إذ التصدّع الداخلي بسبب البغي، يفتّت القبيلة، ويهدّد الـــروح العصبية التي ينبغي أن تبقى متكتلة على ذاتها ومتماسكة، وقادرة على مواجهة القوى المبثوثة حولها، والمحافظة على شروط بقائها، وعناصر وجودها.

لقـــد أخذ الشاعر الجاهلي على عاتقه العبء الأكبر في تحمّل آمال قبيلته وآلامها، ومن طريق الكلمة/الشعر، تحمّل المسؤولية الأخلاقية عنها في السِّلم والحرب، حسب قيم العصبية القبلية، وأدّى دوره التاريخي، ضمن المعطيات التي صاغها شرطه التاريخي، والتحدي البيئي.

(٣)

واســـتطاعت العصـــبية القبلية التي تستند إلى وحدة الدّم والمصير والقوّة والتكـــتّل حـــول ذاتهـــا، أن تخلق بنية موازية لها تتمثّل في القيم الأخلاقية والإنسانية، وأن تحوّل مشروعها القبلي المحلّي إلى مشروع أكثر انفتاحًا على العصـــر، وأعمق غنى؛ فإلى جانب المركزية العصبية وجدت مركزية أخلاقية وثقافـــية، حاولت ملء شقوق الحياة الجاهلية، التي أحدثتها عوامل الجدب والحـــرب، وســـعت هذه المركزية إلى خلق توازن بين القوّة والحقّ؛ بل إلى زحـــزحة القـــوّة المجـــرّدة المهيمنة على صورة المجتمع الجاهلي عن شرعيتها المكتســـبة بفعل غياب الدولة المركزية، والمرجعية الواحدة، لتوسّع من دائرة الانـــتماء؛ فتنـــتقل رويدًا من القبيلة إلى القيمة، محاولة امتصاص الصراعات والحـــروب التي أنهكت المجتمع الجاهلي، وعمّقت أزمته، وأوصلته إلى حالة مـــن الاستغلاق، وما نتج عنها من صور الستخفاف بالحياة، كما تظهر في

صور الحرب والثأر التي تشيع في الشعر الجاهلي. وأدّت هذه المركزية الأخلاقية إلى ظهور الوعي العصبي الذي جسّم المُثُل الأخلاقية في ذلك العصر، وأحدث تأمّلاً باطنيًا عميقًا في مفاهيم الحبّ والخير والحق والجمال، وأخذت هذه الذات الجماعية تتحسّس هويتها الإنسانية، وتتأمل مغزى لوجودها أبعد غورًا من مجرد التكتل العصبي المسؤول عن جلّ الآلام والصراعات التي عاشها المجتمع الجاهلي.

فإذا كانت العصبية القبلية وقوتها الضاربة بقيت عاجزة عن خلق التوازن الاجتماعي، بل أدّت إلى نفي الجاهلي عن محيطه، فإنّ المركزية الأخلاقية أذكت الروح الإنسانية، وجسّمت مثلاً أعلى للحياة، حمل بذور مشروع طموح يسعى للتّوحُّد المعنوي، بفضل الهوية الأخلاقية والإنسانية. واكتسبت المركزية الأخلاقية قوّة العرف الاجتماعي الذي التزم به المجتمع العربي التزامًا صارمًا، وأصبح تمثّله سبيلاً وحيدًا إلى الكرامة الاجتماعية التي تجسّمت في حسن الثناء، وعدّوا التخلّي عنه طريقًا إلى السقوط الأبدي(٣٩).

يقول سعد بن زيد:

هل يَسُودُ الفتى إذا قَبحَ الوَجْـ ـهُ وأمْسَى قِراهُ غير عَتيدِ
وإذا النّاس في النَّديِّ رَأوهُ ناطقًا قالَ قَوْلَ غَيْرِسَديد(٤٠)

وظلّ الشاعر الجاهلي مشدودًا إلى المثل الأعلى الذي تجسّمه السّيادة ضمن إطار الواقع، ويقتضي تحقيقها الكفاح الذاتي، والتضحية، وبناء الذات

(٣٩) الجادر، محمود عبد الله، **الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر**، ص١٦-١٧.

(٤٠) المعيني، عبد الحميد، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، ص٨٤.

عتيد: حاضر، مهيأ، النّدي: مجلس العشيرة وناديها.

القادرة على تحمّل هذه المهمّة التي تجلب المجد المعنوي، الذي مثّل غاية ملحة للجاهليين.

يقول عَمْرو بنُ الإطنابة:

أَبَتْ لي عفّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحَمْدَ بالثمن الرَّبيحِ
وإقحامي على المكْروه نفسي ... وَضَرْبي هَامَةَ البطل المُشيحِ
وَقَوْلي كلّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ: ... مكانك تُحْمَدي أوْ تستريحي
لأدْفعَ عَنْ مآثر صالحاتٍ ... وأحْمي بَعْدُ عن عِرْضٍ صَحيحِ(٤١)

وتُمثّل هذه الأبيات نسقًا أخلاقيًا متكاملاً، يقوم في جوهره على «الحمد»، ويتخذ الكفاح طريقًا لبلوغه، وتتوازن داخل هذا النسق القوّة والحقيقة الأخلاقية كما يراهما الشاعر لتتكامل دائرة الوعي العصبي، والرؤية الاجتماعية للحياة ومغزاها.

ويقول سُوَيْدُ بن أبي كاهل اليشكري :

لا يَخافُ الغَدْرَ مَنْ جاوَرَهم ... أبدًا منهُمْ ولا يَخْشى الطَّبَعْ
وَمَسَاميحُ بما ضُنَّ بِه ... حاسِرُو الأنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ
حَسَنُو الأوْجُهِ بيضٌ سادَةٌ ... وَمَراجيحُ إذا جَدَّ الفَزَعْ
وُزُنُ الأحلامِ إنْ هُمْ وازنوا ... صادِقو البأسِ إذا البأْسُ نَصَعْ(٤٢)

---

(٤١) الشنتمري، الأعلم، **شرح حماسة أبي تمام**، مجلد١/ص١٧٣-١٧٤.

المشيح: المحاذر، الإجشام: الإكراه على احتمال المشقة، جشأت النفس: ارتفعت جبنًا وفزعًا، جاشت: غثت وغلت.

(٤٢) الضّبي، المفضّل، **المفضّليات**، ص١٩٤-١٩٥.

الطبع: ما يعابون به.

وتسعى هذه النظم الأخلاقية لِبَلْوَرَة صورة الحياة المعنوية للمجتمع الجاهلي، دون التخلّي عن القوّة، بل تظلّ الدعامة الأساسية لحفظ هذه القيم، التي شكّلت كيانًا معنويًّا، وقانونًا أخلاقيًّا أعلى يشدّ الحياة الجاهلية إلى المثال، ويكبح جماح القوّة التي كادت أن تعصف بالحياة والمجتمع.

يقول أوْسُ بن حَجَر:

فلا وإلهي ما غَدَرْتُ بذمّةٍ وإنّ أبي قبلي لغيرُ مُذَمَّمِ

يُجَرِّدُ في السِّرْبالِ أبيضَ صارمًا مُبينًا لِعَيْنِ النّاظرِ المُتَوَسِّمِ

يجودُ ويُعْطي المالَ مِنْ غيرِ ضِفّةٍ وَيضْرِبُ أنْفَ الأَبْلجِ المُتغشّمِ[٤٣]

ولا يتحرّك هذا النسق الأخلاقي في فراغ تاريخي، بل هو ضمن الموروث الثقافي والأخلاقي للشاعر الجاهلي، وهذه القيم تحاول خرق الحصار الذي فرضه التحدّي البيئي، بمزيد من التلاحم بين «الأنا» و «الآخر»، إنّها تسعى لتأسيس حياة أكثر إنسانية على أنقاض هذا العصر الذي تمزّقه الحروب والصراعات.

وتقول الخِرْنِقُ بنت بدر (أخت طرفة):

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداة وآفَةُ الجُزْرِ

النّازلون بكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطّيِّبونَ مَعاقِدَ الأُزْرِ

الضّاربون بِحَوْمَةٍ نَزَلَتْ والطّاعنون بأَذْرُعٍ شُعْرِ

والخالطون لُجَيْنَهُمْ بِنُضارِهِمْ وذوي الغنى منهُمْ بِذي الفَقْرِ[٤٤]

---

(٤٣) ابن حَجَر، أَوْسُ، بلا تاريخ، **ديوان أَوْس بن حَجَر**، تحقيق محمد يوسف نجم، ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص١١٨ .

أبيض: نقي العرض من الدنس، الأبلج: المتكبر.

(٤٤) بنت بدر، الخِرْنِق، بلا تاريخ، **ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد)**، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ص٣٩-٤٠.

ومن البنية اللغوية (النازلون، الطيبون، الضاربون، الطاعنون، الخالطون) تستلهم الشاعرة الروح القبلية كاملة، وهي تكافح باللجوء إلى الحلم لخلق مفهوم أعمق للإنسان، وإنضاج شروط الحياة الإنسانية، خلال إعلاء القيم الإنسانية، وتمجيد الروح، وتأسيسها على البذل، وإعلان مفهوم للقوّة خالٍ من الفحش والطغيان؛ إذ الفخر يكون بتحقيق مدى أبعد غورًا للشرط الإنساني، وَمَنْحِ العصبية وجهًا جديدًا يتمثّل بإزاحة الشعور عن محوره المعبأ دومًا لمُضادَّة الآخر، لتصبح الحياة أكثر إمكانًا، وتوازنًا.

يقول سِنَان بن أبي حارثة المُرّي:

إن أمسِ لا أشتكي نُصْبي إلى أحد ... ولست مُهتديًا إلاّ معي هادِ

فَقَدْ صَبَحْتُ سَوَامَ الحيِّ مُشْعَلَةً ... رَهْوًا تَطَالَعُ من غَوْرٍ وأنجادِ

وَقَدْ يَسَرْتُ إذا ما الشَّوْلُ رَوَّحَهَا ... بَرْدُ العَشِيِّ بِشَفَّانٍ وصُرَّادِ

ثُمَّتَ أطْعَمْتُ زادي، غير مُدَّخِرٍ، ... أهْلَ المَحَلَّةِ من جَارٍ ومن جادِ[٤٥]

لقد أحسّت الذات بعزلتها ومأساتها الوجودية، بسبب الشيخوخة وانحسار الحياة عنها، وقذفت بها الصيرورة الزمنية بعيدًا عن قلب حياتها الاجتماعية، وها هي تسعى لاستعادة حضورها، ومجدها المعنوي بالإيثار والتضحية؛ «فالأنا» تحاول دومًا أن تتغلّب على عزلتها بوسائل عدّة: كالمعرفة، والصداقة، والحياة الاجتماعية، والبذل[٤٦]، وبذلك تسعى الأنا

---

(٤٥) الضّبي، المفُضّل، المفضّليات، ص٣٥٠-٣٥١.

السوام: الإبل الراعية، مشعلة: الكتيبة، الشول: الإبل التي نقصت ألبانها، شفان وصراد: ريح باردة، الجادي: المجتدي الذي يطلب الجدا وهو العطية.

(٤٦) بردياتف، نيقولاي،١٩٨٢، **العزلة والمجتمع**، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص٩٥.

نحـــو الآخــــر في محاولــتها مواجهة حزنها العميق الذي أحدثته الشيخوخة وانحلال الحياة.

يقول أبو دواد الإيادي:

تـــرى جارنـــا آمـــنًا وَسْـــطَنا يَـــروحُ بعَقْـــدٍ وثـــيقِ السَّبَبِ
إذا مـــا عَقَدنـــا له ذِمّـــةً شَدَدْنا العِناجَ وَعقْدَ الكَرَب(٤٧)

وتحاول الذّات تجاوز شروط الواقع التي تدفعها نحو أنانيتها؛ وذلك ببلورة قيم فوق الواقع، يتحقّق فيها معنى الحياة ومغزاها، وتوسّع من دائرة انتمائها القبلي، إلى انتمائها الإنساني.

ويقول الحادرة:

أظاعـــنةٌ ولا تُوَدِّعُـــنا هِـــنْدُ لَتَحْزُنَـــنا، عَـــزَّ التَّصَـــدُّفُ والكُنْدُ
وَشَـــطَّتْ لِتَـــنْأى لي المَزارَ وَخِلْتُها مُفَقَّـــدَةً، إنّ الحَبيـــبَ لَـــهُ فَقْـــدُ
فَلَسْـــنا بِحَمّـــالي الكَشـــاحَةِ بَيْنَنا لِيُنْسِـــينا الذَّحْـــلَ الضَّـــغائنُ والحِقْدُ
فـــلا فُحُـــشٌ في دارِنـــا وصديقنا ولا وُزَّعُ النُّهْـــيَى إذا ابْـــتُدِرَ المَجْدُ
وإنّـــا سَـــواءٌ كَهْلُـــنا وَوَلـــيدُنا لَـــنا خُلُـــقٌ جَـــزْلٌ شَـــمائِلُهُ جَلْدُ
وإنّـــا لَيَغْشَـــى الطّـــامِعُونَ بُيُوتَنا إذا كانَ عَوْصاً عِنْدَ ذي الحَسَبِ الرِّفْدُ(٤٨)

---

(٤٧) الإيادي، أبو دواد، ١٩٥٩، **شعر أبي دواد الإيادي**، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرونباوم، ترجمة إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٩٢.

العناج: خيط أو سير يشد في أسفل الدلو، الكرب: الحبل الذي يشد على الدلو، والمعنى: أوثقوا العهد إذا عقدوه.

(٤٨) الحادرة، قُطْبة بن أوس، ١٩٨٠، ديوان شعر الحادرة، حقّقه وعلق عليه ناصر الدين الأسد، ط٢، دار صادر، بيروت، ص ٦٩-٧٢.

ويظهـــر في مطلع القصيدة البناء المنقطع[٤٩]، ليجسّم حالة الانفصال بين الذات والمرأة، التي تكشف مفارقة أكثر إيغالاً في الأسى؛ فرحيل المرأة / هند لم يكن مسوَّغًا بعد أن تجلّت الذات القبلية بأعلى صورة أخلاقية في مزاياها الإنسانية والاجتماعية، وإذا كانت المرأة والقبيلة هما قطب الرحى في مسيرة الشـــاعر الجاهلي، وتتبادلان الرمزية في بعض مطالع القصائد الجاهلية؛ فإن رحـــيل المـــرأة يؤدّي إلى الإخلال بالتوازن الوجداني لدى الشاعر الجاهلي. ويـــتحوّل الشاعر من الحب الضائع برحيل «هند»، إلى المركزية الأخلاقية، لتقيه من الشعور بالتردّي والحزن؛ فالإنسان – بالاستفادة التاريخ والفنّ – يطمـــح إلى أن يكـــون أكثر من كيانه الفردي، ليصبح أكثر اكتمالاً، أي يسعى للخروج من جزئية حياته الفردية إلى كلية يرجوها ويطلبها[٥٠]، وهو في كفاحه يبقى خارج ذاته، وبارتمائه خارجًا عن نفسه، يحيا ويبقى[٥١].

الخاتمـــة:

درس هذا البحث الانتماء القبلي وتجلياته في الشعر الجاهلي، وحلّل البناء الاجـــتماعي الجاهـــلي الذي يقوم أساسًا على القبيلة، وتوحّدها في المصير والغاية، ومثّلت القبيلة خيارًا حقيقيًّا لدى العرب قبل الإسلام، في ظلّ مناخ

الكند: الجحود، الجلد: المتين القوي، الورع: الجبان الهيوب.

(٤٩) عبد الرحمن، نصرت،١٩٨٢، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**. ط٢، مكتبة الأقصى، عمان، ص ٢٠٤.

(٥٠) فيشر، إرنست، ١٩٧١، **ضرورة الفن**، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ص ٨.

(٥١) سارتر، جان بول، ١٩٨٣، **الوجودية مذهب إنساني**، قدّم له كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٨٨.

الجدب، واستجابة للتحدّي التاريخي، إذ تُوفّر لها هذه الوحدة الاجتماعية الحماية والحركة معًا، وتمنحها القدرة على التكتّل والتلاحم في ظل المدى الصحراوي الذي يبدو منفتحًا بلا نهاية.

واحتلّ الشاعر الجاهلي مكانة مرموقة في ظلّ هذا البناء الاجتماعي، إذ هو الحافظ لأحلام القبيلة وآمالها والمعبّر عن تطلعاتها، وهو القادر على تحويل ركام الواقع من حوله إلى حياة؛ لذا اكتسب الشعر دورًا طليعيًّا في قيادة المجتمع الجاهلي، والتعبير عن وجدانه الجمعي، ورؤاه، وأشواقه.

واتخذ الانتماء القبلي العصبية مركزيةً تجسّد الولاء الكامل للقبيلة، واتصلت بالفخر القبلي، الذي سعى لتأكيد الذات الجماعية، ومدى حضورها في الواقع الاجتماعي، وارتبط بالقوّة القادرة على فرض وجودها وشروطها بديلاً من المرجعية الغائبة عن المجتمع الجاهلي، بسبب فقدانه للدولة المركزية. واستطاعت العصبية أن تخلق مركزية أخلاقية وإنسانية موازية لها، تسعى للتوازن بين القوّة المجردة والحقيقة، بين المادّة والثقافة، في محاولة الإنسان الجاهلي حماية بقائه ومشروعه من الانهيار بسبب التحدي البيئي الذي يستحوذ عليه مناخ الجدب، وما أعقبه من صراعات نهكت الحياة الجاهلية. واتصلت المركزية الأخلاقية بالقيم والجانب الإنساني، في سبيل كسب «الحمد»، الذي مثّل غاية عليا للمجتمع كما تجلّت في الشعر الجاهلي.

المصادر والمراجع

١-الآمدي، أبو القاسم الحسن، ١٩٩١، المؤتلف والمختلف. دار الجيل ، بيروت.

٢-أدونيس، بلا تاريخ، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت.

٣-إسماعيل، عز الدين ، ١٩٧٤، الأسس الجمالية في النقد العربي. ط٣، دار الفكر العربي.

٤-الإيادي، أبو دواد، ١٩٥٩، شعر أبي دواد الإيادي. ضمن كتاب **دراسات في الأدب العربي**، غوستاف فون غرونباوم، ترجمة إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٥-بنت بدر، الخرنق، بلا تاريخ، **ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد)**. تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت.

٦-برديائف، نيقولاي، ١٩٨٢، **العزلة والمجتمع**. ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٧-الجادر، محمود عبد الله، ١٩٨٦، **الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر**، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مجلد (١٥) عدد (٢).

٨- جمعة، حسين، ١٩٩٦، **الانتماء وظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (٦٣)، السنة السادسة عشرة.

٩-الحادرة، قُطْبة بن أوْس، ١٩٨٠، **ديوان شعر الحادرة**، حققه وعلق عليه ناصر الدين الأسد، ط٢، دار صادر، بيروت.

١٠- ابن حجر، أوْس، بلا تاريخ، **ديوان أوس بن حجر**.تحقيق محمد يوسف نجم، ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

١١- حسام الدين، كريم زكي، بلا تاريخ، القرابة **(دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)**. ط١، مكتبة الأنجلو مصرية)، مصر.

١٢- ابن الخطيم، قيس، ١٩٦٢، **ديوان قيس بن الخطيم**. تحقيق ناصر الدين الأسد، ط١، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

١٣- خليف، يوسف، بلا تاريخ، **دراسات في الشعر الجاهلي**. مكتبة غريب، القاهرة.

١٤- دلو، برهان الدين، ١٩٨٩، **جزيرة العرب قبل الإسلام**. ط١، دار الفارابي، بيروت.

١٥- الدوري، عبد العزيز، ١٩٨٥، **التكوين التاريخي للأمة العربية**. ط٢، دار المستقبل العربي، القاهرة.

١٦- رومية، وهب، ١٩٩٦، **شعرنا القديم والنقد الجديد**. عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

١٧- ريد، هربرت، بلا تاريخ، **الفن والمجتمع**. ترجمة فارس متري ضاهر، دار القلم، بيروت.

١٨- سارتر، جان بول، ١٩٨٣، **الوجودية مذهب إنساني**. قدم له كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٩- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، بلا تاريخ، **المزهر في علوم اللغة**. شرحه وضبطه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت.

٢٠- الشحادة، عبد العزيز محمد، ١٩٩٠، **الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي**. رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر.

٢١- الشَّنْتَمْري، الأعلم، ١٩٩٢، **شرح حماسة أبي تمام**. تحقيق وتعليق علي المفضل حمودان، ط١، دار الفكر، دمشق.

٢٢- ابن الصِّمَّة، دُرَيد، بلا تاريخ، **ديوان دُرَيْد بن الصِّمَّة**. تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر.

٢٣- الضُّبَعي المتلمّس، ١٩٧٠، **ديوان شعر المتلمس الضُّبعي**. تحقيق حسن

كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر.

٢٤- الضّبي، المَفَضّل بن محمد بن يعلى، بلا تاريخ، **المفضّليات**. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٦، بيروت.

٢٥- عبد الرحمن، عفيف، ١٩٨٧، **الأدب الجاهلي في آثار الدارسين (قديمًا وحديثًا)**. ط١، دار الفكر، عمان.

٢٦- الغَنَوي، الطُّفَيْل، ١٩٦٨، **ديوان الطُّفَيْل الغنوي**. تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد.

٢٧- فاروق اسليم، وعصام قصبجي، ١٩٩٥، **الانتماء في العرف الجاهلي**، مجلة بحوث جامعة حلب، جامعة حلب، العدد (٢٧).

٢٨- فيشر، إرنست، ١٩٧١، **ضرورة الفن**. ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر.

٢٩- القيرواني، ابن رشيق، ١٩٨٨، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**. تحقيق محمد قرقزان، ط١، دار المعرفة، بيروت.

٣٠- المعيني، عبد الحميد، بلا تاريخ، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي** (جمع وتحقيق). نادي القصيم الأدبي، بريدة، السعودية.

٣١- ابن مقبل، تميم بن أُبيّ، ١٩٦٢، **ديوان تميم بن أُبيّ بن مقبل**. تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

٣٢- هاوزر، أرنولد، ١٩٨١، **الفن والمجتمع عبر التاريخ**. ترجمة فؤاد زكريا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣٣- ويليك، رينيه، وأوستن وارين، ١٩٨٥، **نظرية الأدب**. ترجمة محيي الدين صبحي، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣٤- اليوسف، يوسف، ١٩٧٥، **مقالات في الشعر الجاهلي**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

النفي والإثبات في نقد الباقلاني

قراءة في (إعجاز القرآن)

د. حمود حسين يونس

المقدمـــة:

لقـــد بذل نقّادنا القدماء جهودًا حثيثة، تستحق الإعجاب والتقدير والثناء، وتبعـــث على الرضا والسرور بمنجزاهم النقدية، إلا أن ذلك لا يمنع من أن نجـــد في بعـــض ما أنتجوه شيئًا من الخلل أو القصور هنا أو هناك، عند من يمكـــن أن نسميهم بالصف الثاني من النقّاد خاصة ، وهم الذين يحتل النقد الأدبي لديهـــم مرتـــبة ثانية أو ثالثة في سلم اهتماماهم العلمية، فجمعوا بين الـــنقد وعلـــوم أخرى غيره، بل لعل اهتمامهم بتلك العلوم فاق اهتمامهم بالنقد، وغلب عليه. ومن هنا فإننا قد نقع على بعض القصور الذي يطالعنا في كتبهم بين الحين والآخر، ولكنه قصور لا يصل بنا، ويجب ألاّ يصل بنا، إلى درجـــة الاستهانة بما أنجزوه، أو التقليل من الإعجاب بما قدّموه للثقافة العربية عامة، والفكر النقدي خاصة.

ولعل من أبرز تجليات ذلك القصور أو الخلل، غياب الموضوعية والحيادية في قـــراءة النصوص الأدبية عند بعض النقّاد، وعدم الاهتمام بتأصيل حقيقي لمصطلحات ذلك النقد، وغياب الدقة في استعمال تلك المصطلحات أحيانًا، وحضورها حينًا، والركون إلى أحكام نقدية ذوقية عامة وغائمة في آن معًا، ذات دلالات خاصة بالناقد، وحبيسة في ذهنه، ولا تُدرك مدلولاهما بدقة في معظـــم الأحـــيان إلا من قبل الناقد نفسه الذي أطلقها، وتبقى أي محاولة

لفحصها أو تأويلها، هي مجرد محاولة قد لا تنتهي إلى النتائج التي تُرضي عقل المتلقي قارئًا أو ناقدًا.

وقد يكون من أخطر ما يصادفنا عند بعض النقاد، هو محاولة إسقاط الأحكام النقدية الجاهزة، والمعدَّة سلفًا في ذهن الناقد على النصوص الأدبية، لتكون العملية النقدية عملية معكوسة. فبدلاً من أن يكون النص الأدبي هو الأصل والمنطلق في القراءة النقدية، ويأتي بعد ذلك وفي مرحلة تالية الحكم النقدي الموضوعي تتويجًا لتلك القراءة، ونتيجة لها، نجد أن الحكم النقدي السابق الإعداد، والجاهز سلفًا، هو الذي سيُسقط على النص الأدبي، وسيحاول الناقد أن يلوي عنق النص الأدبي قسرًا، ويرغمه على مسايرة الحكم النقدي، ويُحوِّل معطياته جميعًا المصلحة ذلك الحكم، ولمصلحة المعطى الثقافي، والمخزون الفكري لدى الناقد. وهكذا فإن النتيجة قد سبقت المقدمة، وعُرف الفائز قبل بدء السباق، ولا شك في أن قراءة كهذه القراءة، هي قراءة ناقصة، بل قراءة جائرة أيضًا، لأنها تظلم النص الأدبي، وتظلم مبدعه، وتنأى عن موضوعية النقد.

العرض:

وفي نقد أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن» قد نلمح بعضًا من هذا الذي قدَّمنا به، فقد ألَّف كتابه هذا ليُثبت إعجاز القرآن، وتفوقه على غيره من أساليب الكلام عند العرب، وفنون القول لديهم، وقد سلك في دراسته سبلاً مختلفة، واتبع طرقًا شتى، لعل الجامع لها، والمشترك فيما بينها، هواعتماده على مبدأين اثنين، يظهران للدارس المتأني في أثناء دراسته للكتاب، وإمعان النظر فيه، وهما (النفي

والإثـــبات) فديدنه في معظم كتابه هو نفي أمر لإثبات آخر، أو إثبات رأي لنفي آخر، فقد اعتمد على ثلاثة وجوه لإثبات الإعجاز القرآني:

الأول: الإخبار عن الغيوب والصدق والإصابة في ذلك.

والثاني: ما في القرآن من قصص الأولين وسِيَر المتقدمين.

والثالث: نظم القرآن وتأليفه ورصفه[1].

والـــناظر في هذه الوجوه يرى أنها غير جديدة كل الجدة، فقد سبق أن عـــرض لها بعض العلماء الذين بحثوا في قضية الإعجاز القرآني مثل علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) الذي رأى أن إعجـــاز القرآن يمكن أن يُستدل عليه من سبع جهات من بينها البلاغة. ثم بيَّن أن البلاغة على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طـــبقة، ومـــنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة؛ فما كـــان في أعلاهـــا طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلـــك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وانتقل بعد هذا ليفصِّل القول فيما أجملـــه، فقســـم الـــبلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والـــتلاؤم، والفواصـــل، والـــتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البـــيان[2]. وحمـــد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) في رسالته (بيان إعجاز القرآن) الـــذي رأى أن البلاغة تُقسم إلى ثلاثة أقسام «فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل... فالقسم الأول أعلى طبقات البلاغة وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث

(١) إعجاز القرآن: ٣٣- ٣٥.

(٢) انظر (النكت في إعجاز القرآن): ٧٥-٧٦.

أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخـذت مـن كل نوع من أنواعها شعبة»[٣]. وإذا كان هنالك من شيء جديـد عـند الباقلاني فهو في طريقة بحثه الوجه الثالث من هذه الوجوه، وكيفـية عرضه له، والتدليل عليه، وهو ما يهمنا في بحثنا هذا، فقد رأى أنه يمكـن قسمة هذا الوجه إلى عشرة أوجه، تمثّل في مجموعها إعجاز القرآن، وتبرهن على بديع نظمه، وهي:

الوجه الأول: أن نظم القرآن مباين لنظام جميع كلام العرب، ومغاير لأسلوب خطابهم، ولما كان مألوفًا عندهم من أساليب الكلام، كالشعر والسجع والترسل وغير ذلك.

والثاني: أنه ليس للعرب كلام مشتمل على الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والحكم الكثيرة على هذا الطول، وذلك المقدار.

والثالث: خلو نظم القرآن من التفاوت، وبعده عن التباين، على تضمُّنه للعديد من الوجوه التي يتصرف فيها، من قصص ومواعظ وأحكام وأوصاف ...

والرابع: هو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتًا بينًا في الفصل والوصل، والعلو والنـزول، والتقريب والتبعيد، وليس كذلك القرآن، فهو يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب...

والخامس: هو أن نظم القرآن ليس معجزًا للإنس فقط، بل هو معجز للجن كذلك، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كَعَجْزنا.

والسادس: وجود أنواع الخطاب جميعًا في القرآن، كالبسط والاقتصار،

(٣) بيان إعجاز القرآن: ٢٦.

والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح...

والسابع: مناسبة الألفاظ للمعاني، ولاسيما المعاني المبتكرة والمستحدثة.

والثامن: فصاحة ألفاظه، وحسن اختيارها.

والتاسع: افتتاح بعض سور القرآن بالحروف، ليُعرف أن كلامه منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم.

والعاشر: خروجه عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة(٤).

ولإثبات هذه الوجوه والتدليل على صحتها، والبرهنة على سلامتها، راح الباقلاني ينفي أمورًا، ويُثبت أخرى، فقد خصَّص فصلاً لنفي الشعر من القرآن(٥)، ولنفي الشاعرية عن الرسول ﷺ مستشهدًا على ذلك بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وما عَلَّمناهُ الشِّعرَ وما يَنبَغِي لَهُ، إنْ هُوَ إلاّ ذِكرٌ وقُرآنٌ مُبينٌ﴾(٦) ليُثبت بعد ذلك أن نظم القرآن خارج عن قوانين الشعر، ومغاير له(٧) كما أنه خصَّص فصلاً آخر لنفي السجع من القرآن، منبِّهًا على أن ما زعمه بعضهم من وجود السجع فيه زعم غير صحيح، لأنه «لو كان القرآن سجعًا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولوكان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز»(٨)، وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن البديع متسائلاً: «هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمَّنه من البديع؟»(٩)، فذكر

---

(٤) إعجاز القرآن: ٣٣ - ٤٧.

(٥) نفسه: ٥٧.

(٦) يس: ٦٩.

(٧) يس: ٦٩.

(٨) إعجاز القرآن: ٧٦ وما بعدها

(٩) إعجاز القرآن: ٦٦.

بعضًا من فنونه وأنواعه، مستشهدًا عليها من القرآن والشعر لينتهي بعد ذلك إلى نفي إمكان استفادة الإعجاز وإثباته اعتمادًا على أبواب البديع ووجوهه «لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه، صح منه التعمل له وأمكنه نظمه». مخالفًا بذلك بعض العلماء الذين ذهبوا إلى إمكان إثبات إعجاز القرآن اعتمادًا على ما تضمَّنه من صنوف البديع، وفنونه المختلفة، كالرماني مثلاً الذي كانت بعض فنون البديع إحدى وسائله في إثبات الإعجاز القرآني كما سبق أن رأينا(١٠).

ويتابع الباقلاني دراسته لإثبات الإعجاز، معتمدًا على منهج الموازنة بين القرآن الكريم، وأساليب الخطاب عند العرب، ليُثبت مباينة القرآن لتلك الأساليب على تنوعها وتعددها من جهة، وليُثبت أيضًا عدم التفاوت في النظم القرآني على طوله وكثرة موضوعاته وتنوع أغراضه، بخلاف فنون القول الأخرى التي لا تخلو من الكثير من التفاوت والخلل، حتى عند كبار البلاغيين ومشاهير الشعراء من جهة أخرى، فكثرت موازناته وتنوعت، لتشمل الكثير من أساليب الكلام، وأنواع الخطاب من نثر وشعر، ليُعرف الفرق بينها و«بين الكلام الصادر عن الربوبية، الطالع عن الإلهية، الجامع بين الحُكْم والحِكَم، والإخبار عن الغيوب والغائبات، والمتضمن لمصالح الدنيا والدين ....»(١١).

---

(١٠) نفسه: ١٠٧.

(١١) لعل من نافلة القول أن أشير هنا إلى أن البديع غدا نظرية مستقلة في إثبات الإعجاز القرآني على يدي ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤ هـ) في كتابه (بديع القرآن) الذي برهن فيه على الإعجاز القرآني انطلاقًا من أبواب البديع وفنونه، وتفوق ما جاء منها في القرآن على ما ورد في كلام البشر.

١- بين القرآن والكتب السماوية الأخرى:

وازن الباقلاني موازنة عجلى بين القرآن وبعض الكتب السماوية الأخرى، كالتوراة والإنجيل والصحف من جهة الإعجاز، فذكر أن تلك الكتب ليست معجزة في تأليفها ونظمها، وإنما يقع إعجازها من جهة ما فيها من الإخبار عن الغيوب، وشرح ذلك بمجموعة من الأسباب منها: أن الله سبحانه لم يصف تلك الكتب كما وصف القرآن من حيث الإعجاز، ولم يقع فيها التحدي كما وقع في القرآن، إضافة إلى أن اللسان الذي نزلت فيه تلك الكتب لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة، ما يقع فيه التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز، ولكنه يتقارب، وضرب مثلاً على ذلك وهو أننا لا نجد في تلك الألسنة الأسماء الكثيرة للشيء الواحد، أو الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة كما في العربية، إضافة إلى التصرف في الاستعارات والإشارات وغير ذلك[١٢].

وأعتقد أن مثل هذه الموازنة بين القرآن والكتب السماوية الأخرى من جهة الإعجاز، عمل غير مجدٍ ولا يحمل الكثير من الفائدة، وذلك لأن المعروف أن لكل نبي معجزة، وعادةً ما تكون هذه المعجزة من جنس ما برع فيه القوم، ونبغوا فيه في زمن نزول المعجزة، ومن هنا وجدنا أن معجزة موسى عليه السلام كانت السحر لأن قومه كانوا متفوِّقين في هذا الجانب، وكانت معجزة عيسى عليه السلام في ميدان الطب عامة، وهو المجال الذي كان قد برع فيه الناس آنذاك، في حين أن معجزة الرسول ﷺ كانت في ميدان البلاغة والفصاحة، وذلك لما عُرف عن حال العرب من تفوقهم في

(١٢) إعجاز القرآن: ١٢٦.

هذا الميدان، ونبوغهم فيه، واهتمامهم به، فجاء القرآن مُعجزًا للناس من جهة ما هم ناهون فيه، ومتفوقون في مجاله، ومن هنا نرى أنه لا فائدة تُرتجى من موازنة إعجاز القرآن بإعجاز الكتب السماوية الأخرى، لأن تلك الكتب – كما ذكر الباقلاني نفسه – لم تكن معجزة لخرقها العادة بالفصاحة كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم[١٣].

٢ – بين القرآن والنثر:

أكثر الباقلاني من الموازنة بين القرآن والنثر بمفهومه الواسع، أي بما يتضمنه من خطب الرسول ﷺ وأحاديثه ورسائله، وكذلك خطب الصحابة، وأقوال البلغاء وكتابات الفصحاء، وغير ذلك مما يدخل ضمن إطار النثر.

أما الموازنة بين القرآن الكريم وخطب الرسول ﷺ ورسائله فقد اهتم بها الباقلاني لسببين رئيسين:

الأول: إثبات تفوق التأليف الإلهي على التأليف النبوي، والانتهاء إلى أن الأول منهما معجز وليس كذلك الثاني، **والثاني**: الرد على من يدَّعي أن القرآن ليس نظمًا إلهيًا بل هو من نظم الرسول ﷺ وتأليفه، وقد أورد لإثبات ذينك الأمرين، مجموعةً من خطب الرسول ﷺ ورسائله دون أن يعلّق عليها بشيء، ثم انتهى بعد ذلك إلى القول مخاطبًا قارئه: «.... فإن كان في الصنعة لك حظ، أو كان لك في هذا المعنى حس، أو كنت تضرب في الأدب بسهم، أو في العربية بقسط،.... فما أحسب أنه يشتبه عليك الفرق بين براعة القرآن، وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول ﷺ – في خطبه ورسائله – وما عساك تسمعه من كلامه، ويتساقط إليك من ألفاظه، وأقدر

---

(١٣) إعجاز القرآن: ٣١– ٣٢.

أنك ترى بين الكلامين بونًا بعيدًا، وأمدًا مديدًا وميدانًا واسعًا، ومكانًا شاسعًا»[١٤].

وفي رده على من ينسب نظم القرآن للرسول ﷺ يقول: «تيقن أن الخطب يُحتشد لها في المواقف العظام، و المحافل الكبار، ... والرسائل إلى الملوك مما يجمع لها الكاتب جراميزه[١٥]، ويشمِّر لها عن جدٍّ واجتهاد، فكيف يقع بها الإخلال ؟ وكيف تعرض للتفريط ؟ فستعلم لا محالة أن نظم القرآن من الأمر الإلهي، و أن كلام النبي ﷺ من الأمر النبوي»[١٦].

فالباقلاني يبيِّن أن الخطب والرسائل هي مما يهتم بها الكاتب كثيرًا، ويحشد لها طاقاته الفكرية والعقلية جميعًا، ويُهيئ لها من أدواتها وسبل نجاحها الشيء الكثير، ومن هنا فإنها تمثِّل ذروة كتابة الكاتب، وقمة إبداعـــه، ومع ذلك فإننا لو نظرنا في خطب الرسول ﷺ لتبيَّن لنا الفرق الكبير فيما بينها وبين البيان الإلهي نظمًا وبلاغة وفصاحة، ويرى الباقلاني الشيء نفسه عندما ينظر في بعض خطب الخلفاء الراشدين، وبعض الصحابة والبلغاء، فقد أورد لهم مجموعة من الخطب ثم قال مخاطبًا متلقيه:

«... ثم انظر – بسكون طائر، وخفض جناح، وتفريغ لب، وجمع عقل _ في ذلك، فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين، وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين، وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ، والخطيب والخطيب، والشاعر والشاعر، وبين نظم

---

(١٤) إعجاز القرآن: ٣١-٣٢.

(١٥) نفسه: ١٣٥ - ١٣٦.

(١٦) جراميز الرجل: جسده وأعضاؤه، وجمع فلان لفلان جراميزه: إذا استعد له، وعزم على قصده، وجمع جراميزه إذا تقبض ليثب (لسان العرب) مادة: جرمز.

القرآن جملة»[١٧].

إذًا فهنالك فوارق بين كلام الناس في كل ميدان من ميادين الكتابة والتأليف، في الخطابة والشعر والترسل وغير ذلك، وقد يتفوق بعضهم على بعض في بلاغته وفصاحته وحسن تأليفه، فتجد بينهم من التباين ما تجد، وتقع عندهم على التباين علوًا أو سفلاً، فيرتفع بعضهم ببلاغته ويسمو، ويقل حظ الآخر ويهبط وهكذا، وبالنظر في كلام الناس جملة، وفي القرآن، يتبيّن لنا الفرق بينهما، فالقرآن لا تتفاوت سوره، وآياته، فهو مُعجز للناس جميعًا.

والباقلاني في هذه الموازنات التي يعقدها بين النثر خطبًا ورسائل، و بين القرآن لا نجده يُفصِّل فيها، فيتناول بعض القضايا الفنية، أو العناصر المكونة لها، فيعكف عليها بالشرح والتحليل والتعليل، لينتهي إلى أحكام دقيقة معلَّلة تستند إلى مقدمات منهجية تؤدي إلى نتائج علمية، وجلّ ما فعله في هذه الموازنات هو أنه كان ينطلق من مسلّمة هو مؤمن بها سابقًا، وهي أن القرآن معجز في بلاغته ونظمه وتأليفه، ومن هنا فإنه قد يرى نفسه غير مطالب بإثبات ذلك بالبراهين والأدلة، أو على الأقل لنقل: إنه لم يفعل هذا هنا، ونعتقد أنه كان ينبغي ألا يُعفي نفسه من ذلك، خصوصًا لأنه يدافع عن فكرة الإعجاز القرآني، ويريد إثباتها لمن ينكرها، ولا يقر بها، و ليس يكفي أن نقول لمنكر أو معاند: تأمل القرآن، وانظر الفرق بينه و بين هذه الخطبة أو تلك الرسالة، فلا بد أنك ستجده وتقع عليه، دون أن نقدّم له من الأدلة والبراهين، ما يجعله يؤمن بفكرة إعجاز القرآن إيمانًا قاطعًا مبنيًا على الحجج التي تؤدي إلى اليقين الذي لا يساوره شك، و إلى الاقتناع الذي لا يعتريه تردّد.

---

(١٧) إعجاز القرآن: ١٣٦.

قد لا نحتاج إلى مزيد من الجهد أو الفهم حتى نكتشف تلك النبرة الإنشائية الخالصة في خطاب الباقلاني النقدي، واعتماده على ما يمكن أن يسمى بالتأويل الذوقي أكثر من اعتماده على تأويلات عقلية. وهذا النمط من التأويل، على ما يقدِّمه من فوائد، لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في قراءة النص، فإن تلك الفوائد قد تبقى غير مقنعة للقارئ الذي يبحث عن أسباب وعلل عقلية ومنطقية، تؤدي به إلى الاقتناع الذي لا يخامره ريب، وإقناع القارئ لا يكون بالتعاطف الوجداني مع النص، بل يحتاج إلى قوانين منطقية، و أدلة موضوعية منضبطة بقوانين اللغة المختلفة.

ومما يندرج كذلك ضمن النثر ما نُقل عن مسيلمة الكذاب، وما ادَّعاه من معارضة القرآن، وقد أشار الباقلاني إلى ذلك إشارة سريعة، وأورد بعضًا من النصوص التي نُقلت عنه، للتدليل فقط على سخافتها وركاكتها، لأنه كان قد أعلن أن كلام مسيلمة «أخسُّ من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكر به»[١٨]. ولم يُعِره اهتمامًا كبيرًا كالذي نجده عند بعض الباحثين في الإعجاز كالخطابي مثلاً الذي أطال في الرد على هذا الدَّعِيِّ بما لا يُحتاج إلى مثله[١٩].

٣ – بين القرآن والشعر:

احتفل الباقلاني بالموازنة بين القرآن الكريم والشعر احتفالاً كبيرًا، واهتم بها اهتمامًا فاق اهتمامه بالموازنة بين القرآن وفنون النثر المختلفة، ونالت من جهده النصيب الأعظم، واحتلت القسم الأكبر من كتابه، وقد بيَّن سر احتفاله بهذا الأمر، بعد أن انتهى من الموازنة بين الخطب والرسائل وبين

---

(١٨) إعجاز القرآن: ١٥٤.

(١٩) إعجاز القرآن: ١٥٦.

القرآن، إذ قال مخاطبًا القارئ: «فإن خُيِّل إليك، أو شبه عليك، وظننت أنه يُحتاج أن يُوازن بين نظم الشعر والقرآن، لأن الشعر أفصح من الخطب، وأبرع من الرسائل، وأدق مسلكًا من جميع أصناف المحاورات... وسوّل إليك الشيطان أن الشعر أبلغ وأعجب، وأرق وأبرع وأحسن الكلام وأبدع، فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين، وكلام بين المحقّقين»[٢٠].

وقد عمد الباقلاني لتحقيق هذه الغاية في المقام الأول، إلى قصيدتين اثنتين أولاهما لامرئ القيس وهي معلقته المشهورة التي مطلعها:

قفا نَبكِ من ذكرى حَبيبٍ ومَنـــزِلِ بسقط اللّوى بين الدخولِ فحَومَلِ

وثانيتهما للبحتري وهي قصيدته ذات المطلع:

أهـــلاً بذلكـــم الخـــيالِ المُقـــبلِ فعـــلَ الـــذي نهـــواهُ أو لم يَفعَلِ

وأمـــا اختيار الباقلاني لهاتين القصيدتين فإنه لم يكن اختيارًا عفويًا أو اعتباطيًا، بل إن له أسبابًا ودوافع بعضها يرجع إلى القصيدة نفسها، وبعضها الآخـــر يعود إلى صاحب القصيدة و ناظمها. فأما قصيدة امرئ القيس فقد ذكـــر أنه «متفق على كبر محلها، وصحة نظمها، وجودة بلاغتها، ورشاقة معانـــيها، وإجمـــاعهم عـــلى إبداع صاحبها فيها، مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة، والمعروفين بالحذق في البراعة»[٢١].

فالباقلاني يُشير إلى أن ثمة إجماعًا على أن القصيدة تتصف بالجودة والحسن في ألفاظها ومعانيها، وأن صاحبها يُعدّ أيضًا واحدًا من الشعراء

---

(٢٠) انظر (بيان إعجاز القرآن): ٥٠ وما بعدها.

(٢١) إعجاز القرآن: ١٥٤.

الموصوفين بالتقدم والبراعة، و له الحظوة والسبق في الكثير من المعاني، ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن امرأ القيس كان واحدًا من كبار الشعراء، وقد عدَّه كثير من النقّاد السابق والفاتح للكثير من المعاني التي ابتدعها واتبعه فيها الشعراء، يقول ابن سلام مثلاً: «...ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والبكاء على الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ ...»[٢٢]، وهذه الصفات كانت من جملة الأسباب التي دفعت بالباقلاني إلى اختيار امرئ القيس دون غيره من الشعراء.

و لم يقف الباقلاني على أبيات القصيدة جميعًا، بل اختار منها أبياتًا ليست بالقليلة ليطبِّق عليها منهجه في الموازنة بين القرآن والشعر، فتناول واحدا وثلاثين بيتًا مما عدَّه أبياتًا مبتذلة، وستة أبيات مما يعدونه من محاسنها[٢٣]، وبذلك يكون جماع الأبيات سبعة وثلاثين بيتًا من مجموع أبيات القصيدة البالغة سبعة وسبعين بيتًا[٢٤]. وكذلك فَعَل بقصيدة البحتري التي تناول جلها و لم يتناولها كلها، فقد وقف فيها على واحد وأربعين بيتًا من أصل ثلاثة وخمسين بيتًا هي جماع القصيدة و أبياتها الكاملة[٢٥]، وقد وهم الدكتور محمد زغلول سلام فذكر أن الباقلاني وقف على القصيدتين جملة وتفصيلا، يقول: «وأول ما فعله - تطبيقًا لمنهجه - تناول القصيدة

(٢٢) إعجاز القرآن: ١٥٦.

(٢٣) انظر (طبقات فحول الشعراء): ١ / ٥٥.

(٢٤) إعجاز القرآن: ٢٤١ - ٢٧٨.

(٢٥) انظر (ديوان امرئ القيس): ٨ - ٢٦.

جملــة، لا أبـــياتًا متفرقة مفردة، وهو عين ما اتبعه مع قصيدة البحتري... وينـــتقل في كلـــتا القصـــيدتين من المطلع حتى النهاية»[٢٦] إذ لم يكن همه الاستقصـــاء الكامل للقصيدتين فيما يبدو، بل الإشارة إلى ما في أبياتهما من الخلـــل والقصور، ولينفي عنهما الكثير من علامات الجودة والحسن، حتى ينـــتهي فـــيما بعد إلى إثبات تفوق القرآن الكريم عليهما بوصفهما ممثلتين للشـــعر الجيد عامة، ولأفضلِ أشعار امرئ القيس والبحتري خاصة، وليثبت أيضًا أن أشعار هذين الشاعرين إنما تُوازَن وتُساوى وتعدل بأشعار الشعراء، وتقـــابل بكـــلام أضرابهما «فأما أن يظن ظان، أو يتوهم متوهِّم أن جنس الشـــعر معارض لنظم القرآن» فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»[٢٧].

وأما عن عمله في هذه القصيدة، فقد لخَّصه بأنه سيقف على «مواضع خللها، وعلى تفاوت نظمها، وعلى اختلاف فصولها، وعلى كثرة فضولها، وعلى شدة تعسفها، وبعض تكلفها، وما تجمع من كلام رفيع، يُقْرَنُ بينه وبين كلام وضيع، وبين لفظ سوقي يُقرن بلفظ ملوكي»[٢٨].

فهو سيبيِّن مثالب هذه القصيدة، ويوضِّح عوارها، ويكشف عن النقص الذي يعتور أركانها، والخلل الذي أصاب أجزاءها، منبِّهًا على ما فيها من التفاوت في ألفاظها ومعانيها ونظمها. مع أنه أشار إلى أنه سيقف أيضا على

---

(٢٦) انظر القصيدة كاملة في (ديوان البحتري): ٣ / ١٧٣٧ - ١٧٤٨.

(٢٧) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٢٨٨. وانظر كذلك (نكت الانتصار لنقل القرآن)، مقدمة التحقيق: ٢٩ - ٣٠.

(٢٨) إعجاز القرآن:٢١٦. والآية في سورة الحج: ٣١.

ما فيها من كلام رفيع، ولفظ ملوكي، فإن ذلك بقي في إطار الكلام النظري بوجه عام ولم يشفعه نقده التطبيقي، إذ لانكاد نراه يُشيد بما في القصيدة من محاسن إلا قليلاً، بل ونادرًا أيضًا. والناظر في نقد الباقلاني لهذه القصيدة، المتأمل في حديثه عنها، يحس إحساسًا عميقًا بمدى الجهد الطيب الذي بذله الرجل ولكن في غير موضعه، ويتبيّن التمحل والتعسف، اللذين أوديا بالباقلاني إلى التحامل على الرجل، وظلمه ظلمًا شديدًا، والتنكر لما في هذه القصيدة من المحاسن، ولما تضمنته من الصور الرائعة، والمعاني البديعة، التي سبق إليها غيره من الشعراء، فاتبعوه فيها واقتفوا أثره، وساروا على نهجه، وهو يرى «أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة، و أبيات متوسطة، وأبيات ضعيفة مرذولة، و أبيات وحشية غامضة مستكرهة، وأبيات معدودة بديعة»[٢٩]، فالأبيات البديعة هي أبيات معدودة قليلة في القصيدة، على حين الكثرة الكاثرة من أبياتها هي أبيات سوقية مبتذلة... وقد بدأ نقده التطبيقي للقصيدة بما أسماه الأبيات المبتذلة، ثم انتقل بعد ذلك لينتقد ما وسمه بالأبيات البديعة، ولعل إيراد بعض الأمثلة من نقده لهذه القصيدة، يوضّح لنا مقدار تجنيه على الرجل، وعدم الاعتراف بمحاسنه، التي أقرَّ له بها النقاد، وأثنوا بها عليه، ويقف بنا على تلك النبرة التعميمية في نقده، وغلبة الأحكام النقدية العامة، التي لا ترضي غلة، ولا تشفي علة، فمن نقده للأبيات المبتذلة ما يذكره حول قوله:

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

إذا قامتا تضوع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

---

(٢٩) نفسه: ١٥٦.

إذ يعلق قائلاً: «أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة، ليس له مع ذلك بهجة، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ، وإن كان منـــزوع المعنى، وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله: «إذا قامتا تضوع المسك منهما» ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيبًا على كل حال، فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير، ثم فيه خلل آخر لأنه بعد أن شبَّه عَرْفها بالمسك، شبَّه ذلك بنسيم القرنفل، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص»[٣٠].

فالبيت الأول قليل الفائدة ليس له بهجة، وهذا كلام عام غير دقيق في مؤداه أو في دلالته، وفي البيت الثاني يأخذ الباقلاني على امرئ القيس أنه جعل رائحتهما لا تنتشر إلا عند القيام، وهذا تقصير منه، لأنه كان ينبغي أن يجعل الرائحة تفوح منهما في الحالين معًا، في القيام وفي الجلوس. مع وجاهة هذا الرأي، فإن امرأ القيس تنبَّه إلى نقطة ذكية، وهي أن رائحة العطر وغيره تفوح وتنتشر عند القيام والحركة أكثر منها عند الجلوس والسكون، وذلك لأن الهواء في أثناء الحركة سيحمل تلك الرائحة، وينشر شَذاها في المكان، وهذه لفتة ذكية تُحسب له، لا عليه، وهذا ما ذهب إليه الدكتور زغلول سلام فقد أشار إلى تحامل الباقلاني على امرئ القيس في هذا البيت، ورأى أن فيه «لمسة فنية دقيقة ترتكز على كلمة (قامتا) لأنها مبعث الحركة والحياة في الصورة كلها، ولا يخفى ما في القيام من نشر للعطر، فيفوح أريجُه في الجو ، لما تبعثه الحركة من تردد في الهواء فيحمل العطر إلى الأنوف، ولا يتسنى ذلك في القعود والسكون»[٣١].

---

(٣٠) إعجاز القرآن: ١٨٠.

(٣١) إعجاز القرآن: ١٦٣.

ويقارن الباقلاني شعر الرجل بأشعار غيره من الشعراء، فهو يرى أن في شعر الخبزرزي ما يفوق قوله:

ففاضـــت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بلّ دمعي محملي

حُسنًا وجودة، يقول بعد أن أورد البيت السابق: «وأنت تجد في شعر الخبزرزي ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن و أعجب منه»[٣٢]، وليس يخفى على ذي بصيرة، عنده شيء من العدل والإنصاف، ما في هذه المقارنة من ظلم وحيف.

ثم إنه يركّز في بعض نقده على مسألة التخنث في الكلام، وتأنيث الشعر، ويراها عيبًا من عيوب الشعر، وربما دلالة أيضًا على تخنث الشاعر نفسه، وتأثره بأساليب النساء، وطرائقهن في التعبير، فهو يرى أن بيت امرئ القيس:

أفـــاطم مهـــلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

«فيه ركاكة جدًا، وتأنيث ورقة، و لكن فيها تخنيث، ولعل قائلاً يقول: إن كلام النساء بما يلائمهن من الطبع أوقع و أغزل، وليس كذلك، لأنك تجد الشعراء في الشعر المؤنث، لم يعدلوا عن رصانة قولهم»[٣٣]، ويبدو أن نظرة الباقلاني هذه، تنسجم مع ميل العربي عامة إلى الذكورة، فالمجتمع العربي مجتمع ذكوري، يُعلي من مكانة الرجل على حساب المرأة، فضلا عن النظرة العامة إلى الشعر التي تراه فنًا ذكوريًا، وهو «أبوي يمتاز بقوته وسيطرته»[٣٤]، ولهذا فإن الألفاظ الرقيقة لا تليق به ولا تناسبه، بل ينبغي أن

---

(٣٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٢٨٩.

(٣٣) إعجاز القرآن: ١٦٤.

(٣٤) نفسه: ١٦٨، وانظر أيضًا (ص ١٦٦) تعليقه على بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

ويـــوم دخلـــت الخـــدر خدر عنيزة فقالـــت: لـــك الويلات إنك مرجلي

يتصف الشعر بجزالة الألفاظ، ورصانة الأسلوب، ونحو ذلك مما يبعده عن الرقة و التخنث، ومن هنا يمكن أن نفهم فخر بعض الشعراء بأن شياطينهم من الذكور، لا من الإناث، يقول أبو النحم العحلي:

إني و كـــل شـــاعر من البشــر

شــيطانه أنــثى وشــيطاني ذكر

فالشيطان الذكر وفق رؤيتهم أقدر على الإلهام، وأبرع في مد الشاعر بالطاقة الشعرية التي تجعل شعره متميزًا، ويأتي في هذا السياق تصنيف الشعراء وفق مقياس الفحولة الذي نجده عند الأصمعي في فحولته، إذ قسم الشعراء ضمن هذا المقياس إلى فحول و غير فحول، وليس يخفى ما في هذا المصطلح، من التركيز على ذكورية الشعر وقوته، لأن فحولة الشاعر «تعني قوة شعره، وسيطرته على المعاني، وحسن سبكه»[٣٥]، ووصف بعض الشعراء بالتخنث في أشعارهم، ليس بدعة جديدة بل هو داء قديم، فقد نعت الأعشى بأنه أخنث الناس في قوله:

قالـــت هريـــرة لما جئت زائرها ويلي عليك، وويلي منك يا رجل

والنابغة الذبياني في قوله:

ســقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولـــته واتَّقتـــنا بالـــيد[٣٦]

ويتناول الباقلاني في بعض نقده للقصيدة الجانب الأخلاقي فيها، فهو يُورد قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيـــتها عـــن ذي تمـــائم محول

(٣٥) الأصول: ٧٨.

(٣٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٥٣.

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق و تحتي شقها لم يحول

ثم يعلق على البيت الأول قائلاً:«... وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله، ويأنف من ذكره» وينتقد البيت الثاني بقوله إنه «غاية في الفحش، ونهاية في السخف، وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المذاهب، ويرد هذه الموارد، إن هذا ليبغضه إلى كل من سمع كلامه، ووجب له المقت، وهو – لو صدق – لكان قبيحًا، فكيف ويجوز أن يكون كاذبًا»[٣٧]. فهو يعيب على امرئ القيس تناوله هذه المعاني التي وصفها بالفحش والتفحش والسخف، ويرى أن أمثال هذه المعاني تُسيء للشاعر، وتنقص من قيمة شعره.

وهذه المسألة خلافية بين النقاد، فقد تناولوها وفصَّلوا القول فيها، وكانت لهم مواقف متباينة منها، فانقسموا إزاءها إلى فريقين: الأول يرى ضرورة التزام الشاعر بمبدأ الأخلاق الحميدة في شعره، وأغلب هؤلاء كانوا من علماء الدين، والقيمين على الدين، والمسؤولين عن تطبيق أحكام الشرع، والحريصين على نشر الفضيلة في المجتمع من أمثال الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين ومن إليهم.

والفريق الآخر وأغلبه من النقاد الذين غلب عليهم الاهتمام بنقد الشعر، من أمثال قدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشعر» الذي تناول بيتي امرئ القيس السابقين، مشيرًا إلى أن هناك من عابهما لفحش معناهما، فرد بقوله: «وليس فحاشة المعنى في نفسه، مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته»[٣٨]، فهو يخالف الباقلاني فيما ذهب إليه،

(٣٧) الموشح: ٦٦-٦٧.

(٣٨) إعجاز القرآن: ١٦٦-١٦٧.

ويرى أن المعوَّل عليه في الشعر، هو الصياغة الفنية، وأسلوب التعبير الذي يؤدي الشاعر من خلاله معانيه المختلفة. وهو يميِّز تمييزًا صارمًا بين المعنى الذي يتضمنه الشعر، وطريقة الأداء التي يلجأ إليها الشاعر في نظمه.

ومن نقّاد هذا الفريق كذلك، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في وساطته، الذي يفصل فصلاً حادًا بين معتقدات الشاعر وشعره، ففي معرض دفاعه عن المتنبي، نراه يهجم هجومًا عنيفًا على أبي نواس، مبيِّنًا تفاوت شعره، واختلاله واضطرابه، ويورد على ذلك الأمثلة الكثيرة من شعره، ثم ينتقل إلى ذكر المتنبي فيقول: «والعجب ممن يُنقص أبا الطيب، و يغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف في العقيدة، وفساد في المذهب، كقوله:

يترشـــفن مـــن فمـــي رشفات هـــن فـــيه أحـــلى من التوحيد

فلو كانت الديانة عارًا على الشاعر، وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويُحذف ذكره إذا عُدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر.... ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[٣٩]، فهو يقرر قرارًا حاسمًا وصريحًا لا لبس فيه ولا غموض، فحواه الفصل الكامل بين الدين والشعر، فالمعنى الذي يتضمنه الشعر شيء، وصياغته الفنية شيء آخر، ولا ينبغي بحال من الأحوال أن نربط بين معتقد الشاعر، والتزامه بالمثل و الفضائل، وبين نظم شعره وطرائقه في الأداء و التعبير، ومن هنا نرى أن ما أخذه الباقلاني على امرئ القيس في هذا الجانب، هو أمر لا تُبيحه جمهرة نقاد الشعر، ولا توافق عليه.

---

(٣٩) نقد الشعر: ٢١.

ويمكن أن نلحظ تجنيه المتواصل على القصيدة وعلى قائلها، ومحاولته المستمرة لإسقاطها وإسقاط صاحبها، فهو يقول بعد أن ينتقد عددًا كبيرًا من أبيات القصيدة: ((وإنما يكفي أن نبيِّن أن ما سبق من كلامه... مما لا يمكن أن يُقال إنه يتقدم فيه أحدًا من المتأخرين، فضلاً عن المتقدمين))(٤٠)، وليس يخفى على عاقل ما في هذا النقد من تجنٍّ وتعسف، فمن ذا الذي يوافق الباقلاني على هذا الذي ذهب إليه؟!

ولم تسلم **الأبيات المعدودة البديعة** من نقده اللاذع كذلك، فقد شن عليها هي الأخرى حملة شعواء، فقد أورد قوله:

وقد أغتدي و الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معًا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله:

له أيطلا ظبي و ساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ثم قال في نقد هذه الأبيات: ((فأما قوله ((قيد الأوابد)) فهو مليح ومثله في كلام الشعراء و أهل الفصاحة كثير، و التَّعَمُّل بمثله ممكن، .... وأما قوله في وصفه ((مكر مفر)) فقد جمع فيه طباقًا وتشبيهًا، وفي سرعة جري الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف، وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة، ولكن قد عُورض فيه، وزُوحم عليه، والتوصل إليه يسير، وتطلبه سهل قريب))(٤١).

فهو في هذا النقد لا يقرُّ للرجل بفضيلة، ولا يعترف له بشيء حسن، وكل

(٤٠) الوساطة بين المتنبي و خصومه: ٦٣ - ٦٤.

(٤١) إعجاز القرآن: ١٧١.

ما ذكره النقّاد على أنه من محاسنه، ومن الأشياء التي ابتدعها وسبق إليها غيره، وكان الشعراء له تبع فيها ومقلّدون، كل ذلك تحول على يدي الباقلاني إلى شيء يمكن التوصل إليه والتعمل بمثله، وللشعراء غيره ما هو أحسن منه وألطف، وغير ذلك، ناسيًا أو متناسيًا أن قول الشيء ابتداء ليس كقوله تقليدًا، والمبادرة إلى نظم المعنى أولاً، أصعب من محاكاته والسير على نهجه.

ويلخِّص الباقلاني رأيه في هذه القصيدة فيرى أنها تتفاوت في جودتها ورداءتها وسلاستها وانعقادها، كما يوجد له«شركاء في نظائرها، ومنازعون في محاسنها، ومعارضون في بدائعها.... فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه، ورصفه، فإن العقول تتيه وتحار في بحره، وتضل دون وصفه»[٤٢].

وبعد أن انتهى من تحليل القصيدة، أو الكثير من أبياتها إذا أردنا الدقة، عرج على بعض الآيات القرآنية محللاً وشارحًا، ليبيِّن للقارئ الفرق ما بين الكلام الإلهي وكلام البشر، وليوازن بين تلك الآيات وأبيات امرئ القيس، فقال: «ثم اقصدْ إلى سورة تامة، فتصرَّفْ في معرفة قصصها، وراعِ ما فيها من براهينها وقصصها، تأمل السورة التي يذكر فيها النمل، وانظر في كلمة كلمة، وفصل فصل»[٤٣]، ولعل ظاهر الكلام هنا يُوحي بأنه سيقف على السورة كاملة، إلا أن هذا لم يحصل بل اكتفى بالوقوف على بعض آياتها، وآيات أخر من سور أخرى، وهذا ما جعل الدكتور زغلول سلام يتوهم هنا أيضًا فيرى أن الباقلاني كان يتناول السورة من القرآن كاملة ولم يكن يقتصر على آيات محدَّدة، يقول: «من أهم ما يسترعي النظر في منهج الباقلاني لدراسة إعجاز القرآن، اعتبار

---

(٤٢) نفسه: ١٨١ – ١٨٢.

(٤٣) إعجاز القرآن: ١٨٢ – ١٨٣.

الوحدة الفنية التي تتضمن موضوعًا واحدًا، ويظهر هذا من تناوله سورة بتمامها، يتدرَّج فيها ليظهر ما تنطوي عليه من خصائص في النظم....))[٤٤].

وأما قصيدة البحتري - التي توخَّى أن تكون أجود شعره - فقد وقف على معظم أبياتها، و لم يقف عليها كلها كما سلف أن ذكرنا، وكان صنيعه فيها مماثلاً لما فعله مع قصيدة امرئ القيس، فنقده لهما متشابه، وتحامله عليهما متماثل، ونجده يُكثر في نقده من العبارات العامة غير الواضحة في مؤداها ودلالتها، من مثل قوله: ((هذا البيت فيه ثقل روح، وغيره أصلح له[٤٥]، وهذا مليح جدًا، وتستمر ملاحة ما قبله عليه، ولا يطرد فيه الماء اطراده فيه[٤٦]، وذاك فيه كزازة وفجاجة[٤٧]، وآخر وحش جدًا، قد صار قذى في عين هذه القصيدة، بل وخزًا فيها ووبالاً عليها[٤٨]. هذا كله مع تصريحه بتفضيل البحتري على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه، وتقديمه له ((بحسن عبارته، وسلاسة كلامه، وعذوبة ألفاظه، وقلة تعقد قوله))[٤٩].

وينتهي الباقلاني إلى أن شعر البحتري يمكن أن يوازن بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره، ومن هو في مضماره أو في منـــزلته، أما القرآن فإن نظمه ((عال عن أن يعلق به الوهم، أو يسمو إليه الفكر أو يطمع فيه طامع،

---

(٤٤) نفسه: ١٨٩.

(٤٥) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٢٨٩. وانظره أيضًا ص: ٢٩٢.

(٤٦) إعجاز القرآن: ٢٢٠.

(٤٧) إعجاز القرآن: ٢٢٥.

(٤٨) نفسه: ٢٢٧.

(٤٩) نفسه: ٢٣٠.

أو يطلبه طالب»[٥٠].

وعنده أن الشعر عامة «لا يجوز أن يوازن به القرآن»[٥١]. وهو يعني بذلك أن الشعر لا يمكن أن يُساوى بالقرآن أو يُعدل به، وليس يعني بذلك الموازنة بين الشعر والقرآن، كما فهم الدكتور إحسان عباس في حديثه عن خطورة منهج الباقلاني في الموازنة بين القرآن والشعر، «لأنه يوحي بالموازنة بين شيئين متباعدين، مع أن الباقلاني حاول جاهدًا أن ينفي الموازنة بقوله....»[٥٢]. وذكر قوله السابق، فسياق العبارة يدل على أن الباقلاني عنى بالموازنة هنا المساواة، ولو كان يريد الموازنة بمعنى المقارنة و المفاضلة لقال (لا يجوز أن يوازن بينه وبين القرآن)، هذا فضلاً عما وجدناه لديه، وعرضناه له من الموازنات بين القرآن والشعر، فكيف يحاول أن ينفي الموازنة بين القرآن والشعر ويفعل ذلك؟! بل و يكثر من تلك الموازنات كثرة لافتة للنظر.

ولعل من المفيد هنا أن نشير إلى أن الموازنة بين القرآن وبين غيره من فنون القول، وأساليب الخطاب، غدت واحدة من الاتجاهات التي سعى العلماء بواسطتها لإثبات إعجاز القرآن وتفوقه على سواه، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الإصبع المصري في كتابه (بديع القرآن) فقد أورد بيت السموءل الذي يقول فيه:

ونـــنكر إن شئنا على الناس قولهم و لا يـــنكرون القول حين نقول

ثم قال: «فإنك إذا وازنته بقول الله سبحانه ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

---

(٥٠) إعجاز القرآن: ٢٤٣.

(٥١) نفسه.

(٥٢) نفسه: ٢١٥.

يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]» تبيَّن لك مابين الكلامين من الفرق، وأمثال هذا الباب كثيرة، وهذا هو أحد وجوه الإعجاز، وهو قياس القرآن بكل معجز من الكلام»(٥٣)، ويبدو لي أن الباقلاني في نقده لقصيدتي امرئ القيس والبحتري، قد سلك مسالك وعرة، وتجشم من العناء الشيء الكثير، ليثبت شيئًا لا يُحتاج إثباته إلى مثل ذلك، فمن أراد أن يبرهن على تفوق شيء وتميزه،لا يحتاج إلى أن يسقط غيره، فلا يعترف بفضله، أو يقر بجودته، ولا يضير إعجاز القرآن، أو يطعن فيه، أو يقلل منه أن تكون قصيدة لامرئ القيس أو سواه من الشعراء جيدة وحسنة، ولهذا فإنني أعتقد أن الطريقة المثلى لإثبات الإعجاز تتمثل في الانطلاق من داخل النص القرآني لا من خارجه بقياسه إلى غيره، لأن لكل من القرآن الكريم أو الشعر أو الخطابة أو فن الترسل أو غير ذلك من فنون القول، وأنواع الخطاب عند العرب، خصائص تميزه من غيره، وصفات تجعله يختلف فيها عن سواه في بعض الجوانب، ولذلك فالموازنة فيما بين هذه الأساليب أمر قد لا يخلو من بعض المزالق، وقد يدفع بالناقد الموازن إلى بعض التمحل الذي يؤدي إلى الابتعاد عن المنهج العلمي الصحيح، وإصدار بعض الأحكام النقدية المجحفة بحق هذا النص أو ذاك،هذا مع التنبيه على ما بين هذه الأنواع من الاشتراك في بعض السمات، والتشاكل في بعض الخصائص، كونها تنتمي إلى ميدان واحد هو الأدب بمفهومه الواسع الذي يشمل الشعر و النثر بأنواعه المختلفة، ولكن هذا لا ينفي – كما سلف أن ذكرنا – أن يختص كل فن قولي بخصائص ينفرد بها عن سواه، ويتميز بها عن غيره من الفنون الأخرى. ومن العسف

---

(٥٣) بديع القرآن: ٩٦.

الشديد أن نطبق على الشعر خصائص الخطابة مثلاً، أو بمعنى آخر أن نطلب من فن الخطابة أن يتضمن خصائص فن الشعر أو العكس، و من ثم نسقط في معرض الموازنة هذا النص أو ذاك لمصلحة نص آخر غيره، يباينه في أسلوبه، ويفارقه في خصائصه وطبيعته وماهيته وأهدافه.

ولم يقف الباقلاني في موازنته بين القرآن والشعر عند قصيدتي امرئ القيس والبحتري فقط، وإن كان قد أنفق فيهما معظم جهده ووقته، وشكّلتا عماد موازنته ولبابها، بل تعرَّض لبعض القضايا الأخرى، فوازن بين ما ورد منها في القرآن وما يقابله في الشعر، وأهم هذه القضايا القصص في القرآن الكريم، فأورد عددًا من الآيات من سورة القصص، ثم بعض الآيات من سورة الشعراء والتي تحكي قصة موسى عليه السلام، ولكنه لم يقف عندها محلّلاً أو مبيّنًا لما فيها من وجوه البلاغة والفصاحة والبراعة، بل اكتفى بسرد بعض الملاحظات العامة، وإطلاق الأحكام النقدية غير المعللة، فقد أورد مثلاً قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[القصص:٨١]، ثم قال: «هذه ثلاث كلمات، كل كلمة منها أعز من الكبريت الأحمر»[٥٤].

ويلخّص لنا رأيه في قصص القرآن فيقول: «كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلّفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته، ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم، ونفور الطبع، وشرَاد الكلام، وتهافت القول، وتمنع جانبه، وقصورك في الإيضاح عن واجبه، ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة، وفصل إلى فصل، حتى تبتر عليك مواضع

(٥٤) إعجاز القرآن: ١٩٤.

الوصل، وتستصعب عليك أماكن الفصل، ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة، و أمثالاً سائرة، وحكمًا جليلة، وأدلة على التوحيد بيِّنة، وكلمات في التنزيه والتحميد شريفة»[٥٥].

فقصص القرآن تتميَّز عند الباقلاني بالإيجاز، وسهولة النظم، والدقة في التعبير عن المراد، وتقديم المعنى تقديمًا واضحًا، وحسن الانتقال، إضافة إلى ما تتضمنه في تضاعيفها من المواعظ والحكم والأمثال وغير ذلك، وهذا كله لم يجده الباقلاني في أشعار الشعراء، فقد وجد أنهم مقصِّرون في هذا الجانب تقصيرًا كبيرًا، و ليس لهم في هذا الباب ما قد نجده لهم في أغراض الشعر المختلفة، يقول: «وإن أردت أن تتحقق ما وصفت لك، فتأمل شعر من شئت من الشعراء المفلقين، هل تجد كلامه في المديح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص؟ إنك لتراه إذا جاء إلى وصف وقعة أو نقل خبر، عاميَّ الكلام، سُوقيَّ الخطاب، مسترسلاً في أمره، متساهلاً في كلامه، عادلاً عن المألوف من طبعه، وناكبًا عن المعهود من سجيته، فإن اتفق له في قصة كلام جيد كان قدر ثنتين أو ثلاثة، وكان ما زاد عليها حشوًا، وما تجاوزها لغوًا»[٥٦].

فهو يفرق بين النظم في أغراض الشعر المعروفة كالمديح والغزل والفخر وغيرها، ونظم القصص الشعرية، بما تتضمنه من وصف الوقائع أو سرد الأخبار وغيرها، ويرى أن النظم في أولاها أسهل من النظم في ثانيتها، فالشعراء يجيدون القول في الفنون الشعرية المختلفة ويحسنون فيه، في حين

(٥٥) نفسه: ١٩٤ – ١٩٥.

(٥٦) إعجاز القرآن: ١٩٥.

أنهم لا يفلحون في نظم القصص في أشعارهم، وتجدهم – حتى المفلقين منهم – لا يجيدون الخطاب، ولا يحسنون التعبير، وينخفض مستوى الإبداع لديهم، بخلاف قصص القرآن الكريم التي تتفوق على قصص الشعر نظمًا وأسلوبًا وفصاحة وبلاغة.

ولم يُورد الباقلاني بعض النماذج الشعرية التي تتضمن بعض القصص، فيتناولها بالتحليل والدرس ومن ثم يوازن بينها وبين قصص القرآن، ليعرفنا من خلال ذلك مقدارَ الفرق بينهما، من جهة الصياغة والأسلوب وتناول الأحداث وكيفية التعبير عنها ونحو ذلك، بل اكتفى بما سلف أن ذكرناه له دون تفصيل.

وأود أن أُشير في هذا المجال – و هذا ليس من باب الدفاع عن الشعر بمقدار ما هو تذكير بحقيقة قد لا يجهلها أحد من المشتغلين في الحقل الأدبي – إلى أن القصة في الشعر العربي قليلة بوجه عام، و لا نقع على الكثير منها لدى الشعراء، الذين لم يهتموا بها الاهتمام الكافي، و لم يولوها من العناية ما ينبغي، وربما يعود ذلك إلى تقيد الشاعر بالوزن الشعري، وبالقافية الواحدة، وبالروي الواحد، وهذا ما يحد من قدرة الشاعر على الاسترسال وسرد الأحداث، إضافة إلى غلبة الطابع الغنائي الوجداني على الشعر العربي منذ القديم، هذا مع الإشارة إلى أننا نجد بعض القصص في الشعر الجاهلي مثلاً، كقصة الثور الوحشي، وقصة حمار الوحش(٥٧)، وكذلك ما نجده من قصص المغامرات مع النساء عند امرئ القيس، التي تابعه فيها بعض الشعراء وعلى رأسهم

---

(٥٧) انظر في تفصيل ذلك كتاب (قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء و التجديد) ص (١٢٥) وما بعدها.

عمر بن أبي ربيعة. ولكن هذا النوع من الشعر يبقى قليلاً نسبيًّا، ومقصرًا جدًّا إذا قيس بما ورد في القرآن الكريم من قصص.

نتائج البحث:

١- اعتمد الباقلاني في تضاعيف نقده على مبدأين اثنين يتضحان للقارئ المدقق وهما: **النفي والإثبات**، فهو إما أن ينفي أمرًا ليثبت آخر، وإما أن يثبت أمرًا لينفي آخر.

٢- توزَّع نقده ما بين النقد الموضوعي، والنقد الذاتي، أما نقده الموضوعي فنجده في بعض قراءاته وتأويلاته للآيات القرآنية، وكذلك في بعض نقده للفنون الأدبية عامة، والشعر خاصة، إذ نراه يقدِّم المقدمات المنهجية السليمة لينتهي بعد ذلك إلى النتائج المنطقية التي تؤدي إليها تلك المقدمات، وتراه في هذا النقد يقدِّم الأدلة على ما يقول، ويورد التعليلات الفنية المناسبة لما يذهب إليه في نقده للنصوص المختلفة، وأما نقده الذاتي - ولعله الغالب على نقده - فقد كثر عنده كثرة لافتة، وتجلّى فيه اعتماده على ذوقه الخاص، وانطباعاته الشخصية في قراءة النصوص، مما أدى به إلى التحامل والتجني والظلم، وأوقعه في التعسف، وأبعده في كثير من الأحيان عن الموضوعية في تأويلاته وقراءاته عامة، وفي تحليله لقصيدتي امرئ القيس، والبحتري خاصة، فقد أسرف في نقده لهاتين القصيدتين في استعمال العبارات العامة، التي لا تُفصح عن مفهومها، ولا تبين عن دلالاتها، إلا بعد لأي و عنت شديدين، وقد لا تفعل البتة، فتبقى المقاصد حبيسة في ذهن صاحبها، والدلالات رهينة بما يرمي إليه قائلها، ومن هنا فقد خلّف ثروة طائلة من العبارات الطنانة والرنانة، وقد أشارت الدكتورة عائشة عبد

الرحمن إلى شيء من هذا، منبِّهة على تأثيره فيمن جاء بعده ممن بحثوا في الإعجاز، تقول: «ويمضي الباقلاني بعد أن ترك للبلاغيين ممن تكلموا في الإعجاز بعده، هذا الرصيد الضخم من ألفاظه الرنانة، و عباراته الفخمة، في النصاعة والبراعة، والفخامة والسلاسة، والنضارة والغضارة، والرونق والماء، والحسن والبهاء...»[٥٨].

٣- ونتيجة لاعتماده على النقد الذوقي أيضًا، فقد كثرت لديه الأحكام النقدية العامة غير المعللة، والتي لا تعتمد على أسس فنية دقيقة، ولا تستند إلى أسس علمية واضحة في دراسة النصوص.

٤- اعتمد الباقلاني على منهج الموازنة في نقده، وفي محاولته إثبات الإعجاز القرآني، ولهذا فقد وجدنا عنده نمطًا ثالثًا من النقد، هو النقد التحليلي أو التطبيقي، الذي اهتم به اهتمامًا فائقًا، وعُني به عناية كبيرة، من خلال دراسته لقصيدتي امرئ القيس والبحتري، والموازنة بينهما وبين القرآن الكريم. ومع أن هدفه من ذلك كان إثبات الإعجاز القرآني، وتفوقه على هاتين القصيدتين فضلاً عن سواهما من شعر، فإنه أسهم إسهامًا كبيرًا في توجيه أنظار النقّاد إلى التوسع في النقد التطبيقي والاحتفال به، ومحاولة دراسة القصيدة كاملة أو معظمها وتحليلها، وعدم الاكتفاء بالوقوف على البيت أو البيتين أو الأبيات القليلة منها، كما كان يفعل معظم النقاد الذين سبقوه، وقد أشار الدكتور طه حسين إلى شيء من هذا في حديثه عن نقاد أبي تمام والبحتري والمتنبي إذ يقول: «إنكم لا تجدون أحدًا من هؤلاء النقاد ينقد القصيدة من حيث هي قصيدة، فهم إذا قرؤوا أجمل قصائد أبي تمام

(٥٨) الإعجاز البياني للقرآن: ١٠٦.

والمتنبي والبحتري لا ينظرون إليها جملة، كيف استقامت ألفاظها ومعانيها وأسلوبها، وإنما يقفون عند البيت أو البيتين...»[٥٩]، وهذا من جديده الذي يُحسب له، ويُثنى به عليه.

٥– اتضح موقفه العدائي من مذهب البديع، فهو لا يراه الوسيلة المناسبة لإثبات الإعجاز القرآني، ولا يمكن الاعتماد عليه في هذا الباب، لأنه يمكن تعمله وإتقانه بالتعلم والدربة والممارسة، وهذا ينسجم مع نفوره من مذهب الصنعة والتكلُّف بوجه عام، ولهذا نجده يفضِّل البحتري على كثير من الشعراء ولاسيما من يغلب عليهم التصنع في أشعارهم، ويكثر البديع لديهم كثرة مفرطة، ولهذا أيضًا اختار إحدى قصائده، بوصفها ممثلة للشعر الجيد عامة، ولأفضل شعره خاصة، ليوازن بينها وبين القرآن الكريم.

٦– أفـــرغ معظـــم جهده واهتمامه للموازنة بين القرآن الكريم والشعر، وذلك لأنه يرى «أن معظم براعة كلام العرب في الشعر، ولا نجد في منثور قولهم مـــا نجد في منظومه.... وهو – أي الشعر – وإن ضيَّق نطاق القول، فهو يجمع حواشـــيه، و يضم أطرافه ونواحيه، فهو إذا تهذَّب في بابه، ووُفِّي له جميع أسبابه، لم يقاربـــه من كلام الآدميين كلام، و لم يعارضه من خطابهم خطاب»[٦٠]، ولهذا الذي يراه فإنه لم يطل الوقوف على فنون القول الأخرى، واقتصر على إيراد عدد كـــثير من خطب الرسول ﷺ والصحابة الكرام، دون نقد أو تحليل أو تأويل، وفي معـــرض الموازنـــة بين القرآن والشعر، وقع الباقلاني فيما لا تُحمد عقباه، وظهر الـــتجني والتعســـف في نقده ظهورًا واضحًا، وحاول جاهدا أن يُسقط قصيدتين

(٥٩) من حديث الشعر والنثر: ٢٩٥.

(٦٠) إعجاز القرآن: ٢٣٦– ٢٣٧.

اثنـــتين، هما في نظره من عيون الشعر، ومن أجوده وأروعه، وهما مما أجمع الناس عـــلى جودتهما وبراعة صاحبيهما وتميزهما في ميدان الشعر، الأولى لامرئ القيس، والثانية للبحتري، دون أن يتنبَّه على مسألة هي في غاية الأهمية من وجهة نظري، تتمـــثّل بالاخـــتلاف والتمايز بين الأنواع الأدبية المختلفة، إذ إن لكل فن قولي، ونوع أدبي، ماهيته و طبيعته وأهدافه ووظيفته وخصائصه، وهذه العناصر هي التي تجعل الأنواع الأدبية تختلف فيما بينها اختلافات تقل حينًا وتكثر حينًا آخر، على الـــرغم من القواسم المشتركة الكثيرة التي تربط فيما بينها، بسبب انضوائها جميعًا تحـــت مسمى الأدب. ولهذا كله فإنه ينبغي للناقد الموازن توخّي الحذر الشديد في أمـــثال هـــذه الموازنات، والابتعاد عن الذاتية المفرطة، والأفكار القَبْلِيَّة، المسلّم بها سلفًا، والتي تجعل الناقد ينحرف عن مسار النقد الموضوعي الذي يجب أن يتحلى به في نقده، و يتسم به في أحكامه النقدية على النصوص الأدبية المختلفة، هذا مع تحفظـــي الشـــديد الـــذي يكاد يصل إلى درجة الإنكار، على إمكان الموازنة أو المقارنة بين نوعين أدبيـــين مختلفين، فمنهج الموازنة الصحيح فيما أرى، هو الذي يوازن بين نصوص مختلفة، من فن قولي واحد.

٧- إن إعجاز القرآن الكريم حقيقة راسخة، لا يشك فيها إلا معاند، ولا ينكرها إلا جاحد، وتفوقه على أساليب الكلام عند العرب، وفنون القول لديهم، أمر ثابت لا مراء فيه، وقد سلك العلماء طرقًا شتى، واتبعوا وسائل متعددة لإثبات الإعجاز القرآني، وظهرت في هذا الميدان نظريات كثيرة، حاول كل منها أن يُثبت الإعجاز ويدلل عليه، بطريقة تختلف عن الأخرى، وكان من ذلك موازنة القرآن بغيره من فنون القول كما أسلفت قبل قليل، وكما فعل الباقلاني وآخرون سواه، وما أود أن أنبّه عليه هنا، هو أنه لا ينبغي أن يكون

هاجس الناقد الموازن إسقاطَ هذا النص شعرًا كان أم نثرًا، لمصلحة القرآن الكريم، و التدليل على إعجازه من وراء ذلك، لأن إثبات الإعجاز القرآني لا يقوم، ولا ينبغي أن يقوم على التقليل من أهمية النصوص الأدبية، ونفي الجودة عنها، وهدم أركانها، ولاسيما ما عُرف منها بالتميز والتفوق، ولأن إثبات الإعجاز كذلك لا يتطلب ركوب مثل هذه الطرق الوعرة، والمسالك الجافية. ولا يضير إعجاز القرآن أن يكون هذا النص أو ذاك متفوقًا أو متميزًا في بابه، أو أن يكون هذا الشاعر أو الأديب بارعًا ومتقدِّمًا على أشباهه ونظرائه، لا بل إن ذلك قد يعدُّ دليلاً على تأثر هؤلاء المبدعين بأسلوب القرآن، واستلهامهم طرائقه في الأداء، ووسائله في التعبير، لأنه ما من مبدع في ميدان الأدب إلا وقد تَلْمَذَ كثيرًا أو قليلاً لأساليب القرآن الكريم وطرائقه.

المصـــادر والمراجـــع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري. د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦١.

٣ - الأصول - قراءة جديدة لتراثنا النقدي - د. تامر سلوم، دار الحقائق، سورية، ١٩٩٣م.

٤ - الإعجاز البياني للقرآن و مسائل نافع بن الأزرق. د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، د. ت.

٥ - إعجاز القرآن. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ - ١٩٩١.

٦ - بديع القرآن. ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ) تحقيق: د. حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٣٧٧ - ١٩٥٧.

٧ - بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (٣٨٨هـ)، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د. ت.

٨ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري - د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٤٠١ - ١٩٨١.

٩ – ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨.

١٠ – ديوان البحتري. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط٣، د. ت.

١١ – طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) قرأه و شرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، د. ت.

١٢ – قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء والتجديد. د. وهب رومية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١.

١٣ – لسان العرب. ابن منظور المصري (٧١١هـ) دار صادر، بيروت، د. ت.

١٤ – من حديث الشعر والنثر. د. طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١.

١٥ – الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٣٨٥ – ١٩٦٥.

١٦ – نكت الانتصار لنقل القرآن. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣ هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د. ت.

١٧ – النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ)، حققها و علق عليها: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د. ت.

١٨ - نقد الشعر. قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي،- القاهرة، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

١٩ - الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٦٦هـ)، تحقيق و شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، مصر، ط٣، د. ت.

الألفاظ الفارسية في الشعر الجاهلي

الأعشى نموذجًا

أ. سعد الدين المصطفى

المقدمة:

قالوا قديمًا: «الشعر ديوان العرب»، فهو يحفظ تاريخهم وأيّامهم، ويبيّن مآثرهم وفضائلهم ويكشف ما كان بين القبائل العربية من حروب وقتال، فالعرب كانوا واترين موتورين؛ فالحرب قائمة بينهم، وكان الشعر مرآة لذلك الواقع. والشعر الجاهلي حجّة النحويين كما أنّهُ كان شُغْلَ اللغويين قبلهم، فقد كان نفرٌ من أهل اللغة يقطعون البوادي والقفار يطوفون شبه جزيرة العرب وأطرافها يستقصون الفصيح العالي من كلام القبائل، وثُلّةٌ منهم أنفدوا محابرهم في تدوين الشعر والنثر كأبي عمْرٍو بن العلاء وعيسى ابن عمر والأزهري وغيرهم كثير.

وليس غريبًا أن نقرأ في الأثر عن أهمية الشعر، فقد رُوي عن ابن عبّاس (ت٦٨هـ)، رضي الله عنهما قوله: «إذا قرأْتُم شيئًا من كتابِ اللهِ فَلَمْ تَعرِفُوهُ فاطلُبُوهُ في أشعارِ العَربِ».

ويذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) عن الشعر: «منه تُعُلِّمَتِ العربيّةُ، وهُوَ حُجّةٌ فيما أشكلَ من غريبِ كتابِ اللهِ جَلّ ثناؤهُ، وغريبِ حديثِ رسولِ اللهِ، ﷺ، وحديثِ صحابته والتابعينَ»[1].

وكان كثيرٌ من الشعراء العرب الجاهليين يتنقلون بين أنحاء شبه جزيرة

---

(١).الصاحبي لابن فارس ص ٢١٢.

العرب يبتغون الحظوة والمكانة والمنزلة عند الملوك والأمراء، وتحكي لنا كتب الطبقات والتاريخ والسِّير حكايات عن ذلك، فقد كان علقمة الفحل، وعبيد بن الأبرص ينادمان ملوك الحيرة مع النابغة، وقيل: إنّ علقمة مدح الحارث الأصغر بقصيدة مشهورة[٢]. ويروى أنّ سلامة بن جندل رثى النعمان بن أبي قابوس بقصيدة مذكورة في الأصمعيات.

والأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، وُلِدَ في منفوحة باليمامة، في بطن من بطون بكر، عُرِفوا بالفصاحة، اسمهم قَيسُ بنُ ثَعلَبَةَ[٣]. وعُرِف قبره بها في أزمنة متأخرة، ولم يحفظ لنا التاريخ شيئًا عن نشأة الشاعر الأولى، وجلُّ ما نعرفه أنّه نشأ راوية لخاله المسيِّب بن عَلَسَ، ثم تنقطع أخباره بعد ذلك، فلا نراه إلاّ شاعرًا مرهوب الجانب يطوف أنحاء الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها مادحًا الملوك والأشراف. ومن الجائز أن يكون الأعشى نصرانيًا، كما استخرج المستشرق كاسكل Kaskel من بيتين في ديوانه. وكان ربُّ نعمته نصرانيًا، وهو هَوْذَةُ بنُ عليّ الحنفي أمير اليمامة، الذي كان الأعشى ينادمه، كما كان راوِيته يحيى بن متى نصرانيًا[٤].

العرض:

ما من شك أنّ الأعشى كان يطوف في بلاد العرب، يكرمه الأمراء والملوك وشيوخ العشائر حين يمدحهم، ويخشون لسانه، لأنّه كان هجّاءً، وقد أخبرنا عن رحلاته بقوله:

---

(٢).تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١: ٩٧.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٩: ١٠٩. وطبقات فحول الشعراء ١: ٥٢.

(٤).تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١: ١٤٧. والعصر الجاهلي، شوقي ضيف ٣٣٦.

وَقَـد طُفْـتُ لِـلمالِ آفاقَـهُ عُمـانَ فحمْـصَ فأوريشَـلِمْ
أتَيْـتُ النَّجاشِـيَّ في أرضِـهِ وأرضَ النَّبـيطِ وأرضَ العَجَمْ(٥)

ولا يكتفي الرُّواة بما يدلُّ عليه شعره من الرحلة إلى الحِيرَة واليمن وديار كِندة في حضرموت ونجران وعكاظ، بل يذهبون به إلى فارس وعمان وبلاد الشام متغلغلاً فيها إلى حمص وأورشليم (بيت المقدس)، ويجتازون به البحر إلى نجاشي الحبشة، ويُجْرون على ذلك شعرًا يُتحدَّث فيه عن تلك الرحلات البعيدة.

والأعشى في شعره لم يكن ليعيش لمديح السادة والأشراف وأخْذِ نوالهم فحسب، بل هو يعيش أيضًا لقبيلته ومنازعاتها الكثيرة مع بكر للفرس، ففي ديوانه مطوّلة يهددهم فيها ويتوعَّدُهم، كما يتوعَّد من يقف معهم من العرب مثل إياد، فقال مخاطبًا كسرى:

فـاقعُدْ علَـيكَ التّاجُ مُعتَصِبًا به لا تَطلُـبَنَّ سَـوَامَنا فَتَعَـبَّدَا
في عـارضٍ مِـن وائلٍ إنْ تَلْقَهُ يَومَ الهياجِ يَكُنْ مَسيرُكَ أنكَدَا(٦)

وجدير بنا أن نجد في أشعاره، بعد تلك الرحلات مظاهر من حضارة تلك الشعوب في مطعمها وملبسها ومشربها، وفي شؤون حياتها وقت السلم والحرب، فليس غريبًا أن نلحظ كثيرًا من الألفاظ الفارسية في شعره، وتشمل تلك الألفاظ مظاهر اجتماعية عن مجالس اللهو والخمرة، والأُنس وآلات الطرب والغناء، وألوان الطعام والشراب، وصنوف الرياحين والطِّيب

---

(٥) ديوان الأعشى ص٤١. وينظر في أسفاره الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٩: ١٠٨ - ١٢٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٤٩- ١٥٠، والعصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٣٣٦.

(٦) ديوان الأعشى ص ٢٣٣.

والثياب والحرير والأحجار الكريمة والجواهر.

ومن الألفاظ الفارسية التي وردت في شعره ما يتعلق بآلات الطرب، نحو قوله:

لَـنَا جُلّسَـانٌ عِـندَهَا وبَنَفسَجٌ ... وسِيسَـنْبرٌ والمَـرْزَجُوشُ مُنَمنمَا

وآسٌ وخَـيريٌّ ومـروٌ وسَوسَنٌ ... إذا كـانَ هِنْزَمْنٌ ورُحْتُ مُخَشَّمَا

وشَاهَسـفَرمْ والياسَمينُ ونَرجسٌ ... يُصَـبِّحُنا في كـلِّ دَجْـنٍ تَغَيُّما

وَمُسـتُقُ سِـينينٍ وونٌّ وبَـرْبَطٌ ... يُجاوبُـهُ صَـنجٌ إذا ما تَرَنَّمَا[٧]

يصف الأعشى مجلس الخمر وما يحيط به من أزهارٍ ورياحين وغناء، فيجلو لنا صورةً من بيئات الخمر الفارسية المترفة في العراق، ويُعدّد أنواع الرياحين والزهور وآلات الطرب، التي لم يعرفها العرب، بأسمائها الفارسية، من جُلّسانٍ وبنفسج وسيسنبر ومَرْزجوش، إلى آخر هذه الأسماء، التي ذكرها مزهوًا مباهيًا[٨].

أولاً– آلات الطرب التي وردت عند الأعشى، هي:

«البَرْبَط» وهو العود، وأصلها في البهلوية barbut، يرى علماء اللغة القدماء أنّ الكلمة مركبة من: «بَرْ: صدر» و«بط» الطائر المائي من أصل يوناني barbitoh نُقلَتْ إلى البهلوية، وعُرِّبت من الأصل البهلوي[٩].

و«زير» في قوله:

وثَـنَى الكَـفَّ علَـى ذي عَتَبٍ ... يَصِـلُ الصَّـوتَ بذِي زِيرٍ أبحْ

---

(٧) ديوان الأعشى ص ٢٩٣.

(٨) شرح ديوان الأعشى د. محمد حسين ص ٢٩٢.

(٩) سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم: آذرتاش، ترجمة د. محمد ألتونجي، ص ١٩٤. والمعرب ص ٧١.

و«زير»: النغمة الرقيقة في الغناء، أعجمي معرّب[١٠]. ومعنى البيت: يصاحب غناءَهُ العود، ينقل أصابعه على أوتاره، فيختلط بأنغامه، بين حادٌّ رقيق، وخشنٍ أجشّ.

و«الصَّنْجُ»: آلة موسيقية فارسية أصلها: «جنك» وهي في البهلوية cang، والصنج نوعان: نوع تعرفه العرب من صُفْرٍ، يضرب أحدهما بالآخر، ونوع ثانٍ تختص به العجم، وهو ذو الأوتار. وقال الأعشى في موضعٍ آخر:

والـنّايَ نَـرْمِ وبَرْبَطٍ ذي بُحَّةٍ والصَّنجُ يَبكِي شَجوَهُ أنْ يُوضَعَا[١١]

و«الطُّنْبور» في قوله:

وطَنابِـيرَ حِسـانٍ صَـوتُها عِـندَ صَـنْجٍ كُلّما مُسَّ أرَنْ

و«الطُّنْبُورُ» آلةٌ من آلات الطّرب ذات عنق طويل وستة أوتارٍ من نحاس، وهذه الكلمة فارسية معرّبة. وهو بالفارسية «دُنْبِ بَرَه»[١٢].

و«المستق» آلة موسيقية، والكلمة مأخوذة من «مشته» الفارسية بمعنى الذي يُؤخذ باليد.

و«الناي نرمٍ» من الملاهي، أعجمي مُعرَّب. و«جُلَّسَان» مُعرَّب «كَلسان» أي: محل الورد، من «كَل» ورد، و«ستان» محل، أو نثار الورد في المجلس، وقال الأعشى في موضعٍ آخر:

---

(١٠) شرح ديوان الأعشى ص ٢٤٢– ٢٤٣. والكتاب لسيبويه ٣: ٢٣٤. ومختارات فارسية ص ٣٥٢.

(١١).المعرب ص ٧٢، ٣٤٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٧.

(١٢) ديوان الأعشى ص ٣٥٩. والمعرب ص ٢٢٥.

بالجُلَّسانِ وطَيِّبِ أردانُهُ ... بالوَنِّ يَضرِبُ لي، يَكُرُّ الإصبَعَا[١٣]

و«الونُّ» آلة يستعملها الفرس يُعزَفُ عليها بالأصابع من «ونج» الفارسية.

ثانيًا – أنواع الورود والرياحين وما يتبعها من الألفاظ الفارسية المعرّبة:

«آس»: والكلمة أصلها من اللغة السنسكريتية، وتعني: الريحان الطّيِّب الرائحة[١٤]. و«بنفسج»: معرّب أصله: «بنفشه»[١٥].

وقد وردت «الجلُّ» والياسمين في قوله:

وشَاهِدُنا الجُلُّ والياسَمِيـ ... ـنُ والمُسمِعَاتُ بِقُصّابِها[١٦]

و«الجُلُّ»: الورد. فارسي معرّب. والجلُّ بضم الجيم، وفي القاموس المحيط بالضم وبالفتح، و«الياسمين»: هو الجلُّ نفسه. وقيل: الورد أبيضه وأحمره وأصفره، والواحدة بهاء. وفي اللسان قيل: هو الورد. وأضاف في شرح مفردات البيت، القاصب: الزّامر، والقُصَّابة: المزمار، والجمع: القُصَّاب. وقال الأصمعي (ت٢١٦هـ): أراد الأعشى بالقُصّاب الأوتار التي سوِّيت من الأمعاء[١٧].

و«زَنْبَقٌ» في قوله:

وكِسرَى شَهنشَاهُ الّذي سار مُلكُهُ ... لَهُ ما اشتَهَى رَاحٌ عَتيقٌ وزَنبَقُ

و«الزنبق»: زهرة السوسن، فارسية معرّبة[١٨]. ومعنى البيت: وليس خلودُ «كسرى

---

(١٣).المعرب ص ١٠٥.

(١٤) مختارات فارسية: د. عبد العزيز بقوش، دار الثقافة العربية، ص ٣٥٦. وديوان الأعشى ص ٢٩٣.

(١٥).المعرَّب ص ٧٩.

(١٦) المصدر نفسه ص ١١٥.

(١٧) لسان العرب لابن منظور ت٧١١هـ ١٣: ١٢٨ و٢: ١٦٩. وينظر المعرب ص ١١٥.

(١٨) ديوان الأعشى ص ٢١٧.

شاهنشاه» بعد أن اجتَمعَ لَهُ مِن دُنياهُ ما اشتهى من خَمرٍ عتيقٍ ومن رياحين.

و«سَوسَن» وهي كلمة يحتمل أن تكون معرّبة عن البهلوية: Susan[١٩]. وهي زهرة فارسية مشهورة. و«سيسنْبر»: معرّب، وهي ريحانة يُقال لها بالعربية النّمام لسطوع رائحتها، وأصلها في البهلوية: sisimbar. وقيل: هو عشبٌ عطري يشبه النعناع، واسم هذا العشب كأسماء غيره من عددٍ من الأزهار والأعشاب الأخرى، وقد وردت هذه الكلمة مرّة في الشعر الجاهلي[٢٠].

و«شاهَسْفِرم»: وهي نوع من الرياحين، والكلمة من «شاه» ملك، و«سَفِرم» ريحان، وبذلك تعني الريحان الملكي[٢١].

و«فَصَافِصُ» في قوله:

ألم تَــرَ أنَّ العَــرضَ أصبَحَ بَطنُها نَخــيلاً وزَرعًــا نابتًا وفَصَافِصَا

ومفرده «فِصفِصة»: وهي الرُّطب من ثمار النخيل. فارسي معرّب. وأصلها بالفارسية إسبَست[٢٢].

و«قَنْديدُ» فارسية معربة وتعني عسل قصب السكر. وردت في قوله:

بِــبابلَ لم تُعصَــرْ فصارَت سلافةً تُخــالطُ قِــنديدًا ومِسكًا مُختَّما

ومعنى البيت: وكيف لا يفعل وهي خلاصة خمر بابل، ممّا سال وتحلّب قبل أن تُعصر، فكأنّها في دنّها المسدود بالختام[٢٣].

---

(١٩) ديوان الأعشى ص ٢٩٣.

(٢٠) سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم ص ٢٠٨ وديوان الأعشى ص ٢٩٣، والألفاظ الفارسية ص ١٤٤.

(٢١) ديوان الأعشى ص ٢٩٣. ومختارات فارسية ص ٣٥٧.

(٢٢) المعرب ص ٢٤٠ و٣٣٠.

(٢٣) لسان العرب مادة (قند). وشرح ديوان الأعشى ص ٢٩٢- ٢٩٣.

و«مَرْزَجُوش»: معرّب «مرزنكوش» بمعنى آذان الفار، من «مرزن» فأر، و«كوش»: أذن[٢٤].

و«خيري»: زهرة فارسية متعدّدة الألوان، والكلمة أصلها من البهلوية: harik[٢٥].

و«المرو» عشب فارسي طيب الرائحة، وأصل الكلمة من البهلوية: maru[٢٦].

و«مِسكُ»: هو الطِّيبُ وردت هذه اللفظة في قوله[٢٧]:

ورَادِعَـــةٍ بالمِســـكِ صَفراءَ عِندَنا لِجَسٍّ النَّدامَى في يَدِ الدِّرعِ مَفْتَقُ

وقوله:

مِـــثْلُ ذَكـــيِ المِسكِ ذَاكَ رِيحُها صَـــبَّها السَّـــاقِي إذا قِـــيلَ تَوَحْ

و«مَلابُ»: ووردت في قول الأعشى:

كالحُقَّـــةِ الصَّـــفرَاءِ صَـــا كَ عَبِـــــيرُها بمَلابِهَـــــــا

ومعنى البيت: وكأنّها وعاء طيبٍ أصفر، لُصِقَ بِهِ عبير خالطه الملاب. وهذه الكلمة فارسية معربة، ومعناها مطلق العطر. ويؤيد صحة الكلمة الجاهلية «مل» أو «قَل» في اللغة الفارسية، ويقابلها «كُل» و«كلاب»[٢٨].

و«النَّرجس»: أعجمي معرّب. وقد ذكره النحويون في الأبنية. وليس له نظير في الكلام. فإن جاء بناء على وزن «فَعْلِلٍ» في شعرٍ قديم فارْدده[٢٩].

---

(٢٤) المصدر السابق ص ٢٩٣.

(٢٥) مختارات فارسية ص ٣٥٦.

(٢٦) مختارات فارسية ص ٣٥٦، وديوان الأعشى ص ٢٩٣.

(٢٧) ديوان الأعشى ص ٢١٩ و٢٤١ والمعرب.

(٢٨) سبل نفوذ الفارسية ص ٢١٦.

(٢٩) المعرّب ص ٢٣١– ٢٣٢.

ثالثًا- أسماء الخمرة والأواني التي تُستعمل فيها:

وقد وردت أسماء فارسية معرَّبة في شعر الأعشى تتحدث عن أنواع الخمرة وأسماء الأواني التي كانوا يستعملونها في أثناء الشرب وهي:

«الإبريقُ» وردت في قوله:

بكـــأسٍ وإبـــريقٍ كـــأنَّ شرابَهُ إذا صُبَّ في المِصحَاةِ خَالَطَ بَقَّما[٣٠]

وقد ورد «إبريق» مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[٣١]. وهذه الكلمة من البهلوية: ap- rextan. وهي فارسية معرّبة، وترجمتها أحد شيئين: إمّا أن يكون طريق الماء وإمّا صبَّ الماء[٣٢].

و«الإسفنط» في قوله:

وإســـفنطَ عانَـــةَ بعـــد الـــرُّقا دِ ســـاقَ الرِّصـــافُ إلَيها غَديرَا

وقوله:

وكـــأنَّ الخَمرَ العَتيقَ من الإسْـ ـــفَـــنطِ مَمــــزُوجَةً بِمـــاءٍ زُلالِ

و«الإسفنطُ»: الخمر، وقال ابن أبي سعيد: «الإسفنط» أو «الإصفنط»: هي أعلى الخمر وأصفاها[٣٣].

«باطيةٌ» في قوله:

مِـــن زِقـــاقِ الـــتَّجرِ في باطِـــيةٍ جَونَـــــةٍ حارِيَّـــــةٍ ذاتِ رَوَحْ

---

(٣٠) ديوان الأعشى ص ٢٩٣.

(٣١) الآيتان ١٧- ١٨ من سورة الواقعة.

(٣٢) المعرّب ص ٢٣.

(٣٣) المعرب ص ١٨. ولسان العرب ٩: ١٨٧. وديوان الأعشى ص ٩٣.

و«الباطية» كوزٌ صغير للخمرة. وليس بعيدًا أن تكون الكلمة عُرِّبَتْ من البهلوية batiak . وقالوا: و«الباطية»: كلمة فارسية معربة، إناءٌ واسع الأعلى ضيّق الأسفل(٣٤).

و«حانوت» في قوله:

وقَــدْ غَدَوْتُ إلَى الحانُوتِ يَتبَعُنِي   شَــاوٍ مُشِلٌّ شَلُولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ

و«الحَانُوتُ» دكان الخمار(٣٥). ومعنى البيت: ولقد أغدو مع الفتية إلى دكان الخمرة يرافقني غلام خفيف نشط.

و«خَندرِيسُ» في قوله:

فأصــبَحْتُ ودَّعْــتُ لَهْوَ الشَّبا   بِ،والخَــندرِيسَ لأصــحابِهَا

و«الخَندرِيسُ»: الخمرة القديمة. ومعنى البيت: لقد أصبح مودِّعًا اللهو واللذات، وتَرَكَ الخمر لأصحابها من الشباب(٣٦).

و«الدُّستُ» وردت في قوله(٣٧):

قَــد عَلِمَتْ فارسٌ وحِميرُ والــ   أعــرابُ بالدَّســتِ أيُّكُــم نَزَلاَ

و«دَيسَقُ» في قوله:

وحُــورٌ كأمثالِ الدُّمَى ومَنَاصِفٌ   وقِــدْرٌ وَطــبَّاخٌ وصاعٌ ودَيسَقُ

و«الدَّيسقُ»: خوان من فضة(٣٨).

---

(٣٤) سبل نفوذ الفارسية ص ١٩٤ وديوان الأعشى ص ٢٤١ والمعرب ص ٨٣.

(٣٥) ديوان الأعشى ص ٥٩.

(٣٦) ديوان الأعشى ص ١٧٣ وشفاء الغليل ص ١٧٩– ١٨٠ والمعرب ص ١٢٥.

(٣٧) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ٥٠٠، وديوان الأعشى ص ٢٣٧.

(٣٨) ديوان الأعشى ص ٢١٧.

و«قاقزّة» في قوله:

وذُو تُومَتَـــــــينِ وقَاقُـــــــزَّةٌ يَعُـــلُّ ويُســـــرِعُ تَكـــــرارَهَا

و«القاقُوزَةُ» و«القاقزة»: إناء من آنية الشراب[٣٩].

رابعًا – ألقاب تدل على مراتب ملوك الفرس وقادهم، منها:

«دهقَانُ» في قوله:

عَـــدٌ هـــذا فِـــي قَـــرِيضٍ غَيرِهِ واذكُـــرَنْ في الشِّعرِ دِهْقانَ اليَمَن

و«دهقَانُ» فارسي معرّب أصلها «دهكان» أي: رئيس القرية، ومقدّم أهل الزراعة وهي في البهلوية: dehkan. وقد تعني التاجر. وأراد الأعشى بدهقان اليمن قيس بن معد يكرب[٤٠]. ولم ترد سوى مرّة في الشعر الجاهلي، وترجع في تاريخها إلى العهد الساساني[٤١].

و«سِمسَارُ» في قوله:

وأصـــبَحْتُ لا أســـتطِيعُ الكَلامْ سِـــوى أنْ أراجِـــعَ سِمسَـــارَهَا

والكلمة معناها: الرسول بين المحبين أو الشخص الوسيط بين البائع والمشتري، ووردت هذه اللفظة في الحديث النبوي الشريف: «كُنَّا نُسمَّى السَّماسِرَةَ فسمّانا النبي ﷺ بأحسنَ منه، فقالَ: يا معشَرَ التّجارِ»[٤٢].

و«شَاهنشَاه» وردت في قوله:

وكِسرَى شَاهِنْشَاهُ الّذِي سَارَ مُلكُهُ لَـــهُ ما اشتَهى رَاحٌ عَتِيقٌ وزَنبَقُ

(٣٩) ديوان الأعشى ص ٣١٩. والمعرب ص ٢٧٣. وشرح ديوان الأعشى ص ٥.

(٤٠) شرح ديوان الأعشى ص ٣٥٩. واللسان مادة دهق. ومختارات فارسية ص ٣٧١.

(٤١) سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم، ص ٢٠٢.

(٤٢) سنن النسائي ٧: ١٥. وديوان الأعشى ص ٣١٩. والمعرب ص ٢٠١.

و«شَاهنشَاهُ» كلمة فارسية معناها: ملك الملوك[٤٣].

و«شاهَبُور» وردت في قوله:

أقـــامَ بِـــهِ شـــاهَبُورُ الجُـــنُو دَ حَولَـــينِ تَضـــرِب فـــيهِ القُدُمْ

و«شَاه بُور» كلمة مركبة من «شاه» أي ملك، و«بُور» أي ابن. وشاهبور الجنود هو شاهبور بن هرمز[٤٤].

و«غِرنيقُ» وجمعها «غرانق». وردت في قوله:

إنِّـــي امـــرُؤٌ مِـــن عُصبَةٍ قَيْسِيَّةٍ شُـــمِّ الأُنُـــوفِ غَـــرَانقٍ أحشادِ

و«غِرنِيقٌ»: الشاب الأبيض الجميل، فارسية معربة. ومعنى البيت: ولكن لا يزال لي ما أفخر به من المجد الباقي في قومي أبناء قيس بن ثعلبة، الشم الأنوف البيض الوجوه، الذين يحشدون على هدفهم الجهد والمال[٤٥].

وتُلحق كلمتان بهذه الألقاب لأن فيهما معنىً يدل على ذلك، هما:

«قِطُّ» وردت في قوله:

ولا المَلِـــكُ الـــنُّعمانُ يَـــومَ لَقِيتَهُ بأمَّـــتِهِ يُعطِـــي القُطُـــوطَ ويأفِقُ

فالقطوط جمع «قِطُّ» بكسر القاف. وهي كلمة فارسية معرّبة[٤٦] تعني: الكتاب والصَّك. ومعنى البيت: وكذلك كان أمر النعمان، ولقد رأيته في نعمته، يصرف العطاء بين الناس، فيفضل هذا على ذاك، ويدفع إليهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز.

---

(٤٣) المعرب ص ٢٠٨ وديوان الأعشى ص ٢١٧.

(٤٤) تاريخ الطبري ١: ٤٨٤- ٤٨٥. والمُعرّب ص ١٩٤.

(٤٥) ديوان الأعشى ص ١٣١. والألفاظ الفارسية ص ١١٦.

(٤٦) شرح ديوان الأعشى ص ٢١٨- ٢١٩.

و«مَهارِقُ» وردت في قوله:

رَبِّـي كَـريمٌ لا يُكَـدِّرُ نعمَـةً وإذا يُناشَـدُ بِالمَهارِقِ أنشَدَا(٤٧)

و«المهارق»: كلمة فارسية معرّبة، والمفرد «مهرق» الصحيفة، وهي بالفارسية «مهرة» وقيل: أصلها «مَهَرْ كردة»، وهي في البهلوية **mutrak mudrak**.
وهي نوع من الورق الثمين، وقيل «المهرق» حرير أبيض يُسقى الصمغ ويُصقَلُ ثم يُكتَبُ فيه.

خامسًا – أنواع الثياب والجواهر والحرير:

«الدَّخارِصُ» في قوله:

قَوافِـيَ أمـثالاً يُوسِّعْنَ جِلدَهُ كما زِدْتَ في عَرضِ القَميصِ الدَّخارِصَا

و«الدَّخارِص» جمع دِخرِص. وتعني في الفارسية الرقعة في الثوب. وقال الأصمعي: و«الدَّخرصَةُ»: عُنَيِّقٌ يخرج من البحر(٤٨). ومعنى البيت: شعرًا يذهب مذهب الأمثال، ويظهر في جلدك كالرقعة زيدت في عرض القميص.

و«الدِّمقس»: هو القَزُّ الأبيضُ، وما يجري مجراه في البياض والنعومة(٤٩).

ومعنى البيت: ولسْتُ أنسى خدّها الأملس المسترسل، وقد تحدَّر فوقه الدَّمع، تكفكفه بأناملَ كأنّها هُدَّاب الحرير الناعم.

ومن الكلمات الفارسية التي وردت في شعره: «أرندج، ويرندج»، و«ديابُوذ» وذلك في قوله يصف ثورًا:

---

(٤٧) ديوان الأعشى ص ٢٢٩ والمعرّب ص ٣٠٣ ومختارات فارسية ص ٣٧٠ وسبل نفوذ الفارسية ص ٢١٦.

(٤٨) ديوان الأعشى ص ١٥١. والمعرب ص ١٤٤. ولسان العرب ٨: ٣٠١.

(٤٩) ديوان الأعشى ص ٢٠١. والمعرب ص ١٥١.

عَلَيهِ دَيابُوذٌ تَسَربَلَ تَحتَهُ أَرَندَجَ إسكافٍ يُخالِطُ عِظلِمَا

و«ديابوذ» كلمة فارسية تعني: الثوب ينسج على نيرين. و«أرندج»: هو الجلد الأسود(٥٠).

فكأنَّ ذلك الثور، في ظهره الأبيض وجسمه الأسود، قد لبس ثوبًا ناصعًا، من تحته جلد قاتم.

سادسًا- كلمات متفرقة:

و«هَنْزَمْن» فارسية معرّبة، تعني الجمع، وقد أطلقت هنا في شعر الأعشى على أحد أعياد النصارى. معرّبة عن اللغة البهلوية: **hangaman**(٥١).

و«السُّنْبُكُ» وردت في قوله:

وَلَقَد أُرجِّلُ جُمَّتِي بِعشيّةٍ لِلشَّربِ قَبلَ سَنابِكِ المُرتادِ

و«السنابك» جمع «سُنْبُك» وهي طرف مقدم الحافر(٥٢).

وردت كلمة «إستار» في قوله:

تُوَفِّي لِيَومٍ وفِي لَيلَةٍ ثَمانِينَ نَحسَبُ إستارَها

جاءت هنا بمعنى رابع أربعة، وأصلها «جهار» فأعرب فقيل: إستار وجمعها «أساتير»(٥٣). وهذه الكلمة في البهلوية styr أو sater.

و«خندق»: وردت في قوله:

يُوازِي كُبَيداءَ السَّماءِ ودُونَهُ بَلاطٌ وداراتٌ وكِلسٌ وخَندَقُ

(٥٠) ديوان الأعشى ص ٢٩٥. والمعرب ص ١٣٩.

(٥١) سبل نفوذ الفارسية ص ٢١٨.

(٥٢) ديوان الأعشى ص ١٣١. والمعرب ص ١٧٧.

(٥٣) ديوان الأعشى ٣١٩. والمعرب ص ٤٢- ٤٣.

و«خَندقُ» فارسية معرّبة، أصلُها في الفارسية «كندة» أي: محفور[٥٤].

و«جَهنّمُ» في قوله:

دَعَــوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً ودَعَوا لَهُ جُهُــنَّامَ جَدْعَــا لِلهَجِينِ المُذَمَّمِ

وقال يونس بن حبيب (ت١٤٩هـ) وأكثر النحويين قالوا: «جَهنّمُ»: اسم للنار التي يُعذِّب بها الله في الآخرة. وهي أعجمية[٥٥]. ومعنى البيت: فاستعنت بشيطاني «مِسْحَل» واستعانوا بشاعرهم «جهنّام». ألا تَبًّا لابن الأمَة الذميم!

– آراء اللّغويين والنحويين في استعمال الألفاظ الأعجمية:

إنّ لغة العرب قُبِلَتْ نُطقًا، ونُقلَتْ سماعًا، لم يضع لها العرب الأقدمون القواعد في الإعراب والتصريف علومًا مدوّنةً، وإنّما أُخذَتْ عنهم اللغة كما ينطقون بها، وجاء القرآن العظيم مُثبتًا أصالتها وقوتها، حافظًا كيانها، على مرّ العصور.

وللعرب في استعمال الأسماء الأعجمية مذاهب، منها: ما يجترئون فيه على تغيير هذه الأسماء فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا، وربّما غيّروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب. وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرّك، أو تحريك ساكن. وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه[٥٦].

ومما غيّروه من الحروف ما كان بين الجيم والكاف، وربما جعلوه جيمًا، وربما جعلوه كافًا، وربما جعلوه كافًا لقرب القاف من الكاف، قالوا: «كُرْبجٌ» وبعضهم يقول «قُرْبَقٌ». بضم أوّلهما وبالراء فيهما.

---

(٥٤) ديوان الأعشى ٣١٩. والمعرب ص ١٣٠- ١٣١.

(٥٥) المعرب ص ١٠٧. وشرح ديوان الأعشى ص ١٢٥.

(٥٦) المعرّب ص (٦).

وأبدلوا السين من الشين، فقالوا للصحراء: «دست» وهي بالفارسية «دشت»، وقالوا: «سراويل» و«إسماعيل»، وأصلهما: «شروال» و«إشماويل» وذلك لقرب السين من الشين في الهمس(٥٧).

ومما ألحقوه بأبنيتهم: «دِرْهَمْ» ألحقوه بـ«هِجْرَع» و«بَهْرَج» ألحقوه بـ«سَلهب». و«دينار» ألحقوه بـ«ديماس» و«إسحاق» بـ«إبهام» و«يَعقُوب» بـ«يَرْبُوع» و«جَورَب» بـ«كَوكَب» و«شُبارِق» بـ«عُذَافِر» و«رُزداق» بـ«قُرطاس». وقد ذكر ذلك النحاة، كسيبويه (ت ١٨٠هـ).

ومما زادوا فيه من الأعجمية ونقّصوا «إبْرَيْسَم» و«إسرافيل» و«فيروز» و«قهرمان» وأصله: «قرمان». ومما تركوه على حاله فلم يُغيّروه «خُراسان»(٥٨).

وبعد ذلك استنبط علماء النحو القواعد في النّحو والصرف والبلاغة والعروض، واستقصوا كلام العرب وتتبعوه، وضمّوا النظير إلى النظير، والشبيه إلى الشبيه، وما خَرَجَ عن النظائر جعلوه شاذًّا أو مسموعًا(٥٩). أمّا إذا جاءت كلمة معربة من الفارسية فنراهم يَذكرون أصلها وينهجون منهجًا صحيحًا في تعريبها، وهو على النحو التالي:

أولاً – التعريب دون تغيير: جرى التعريب من دون تغيير في وزنها، وإنما حدث التغيير في بعض حروفها، ولفظها، نحو: (بَخْت) بمعنى حظ، ونحو: «سخت» بمعنى شديد. وهذا النوع قليل جدًّا لا يتعدّى بضع كلمات.

ثانيًا– التعريب مع التغيير: وقد ذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) سبل التغيير،

---

(٥٧) المعرَّب ص (٧).

(٥٨) المعرَّب ص (٨).

(٥٩) لسان العرب مادة (قند). وشرح ديوان الأعشى ص ٢٩٢- ٢٩٣.

ونجملها فيما يلي:

١- **إبدال حرف صامت بحرف صامت آخر**: والمثال على ذلك قلب الكاف الفارسية جيمًا كما في «لجام» من «لكام»، فقد قلبت الكاف جيمًا لقربها منها كما قال سيبويه، وهذا لازم، لأنَّ هذا الحرفَ ليس من حروفهم[٦٠]. وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضًا، قال بعضهم: قُرْبُزْ، فقالوا: كُرْبَقٌ، وقُرْبَقٌ[٦١]. ومنه (صَرْدُ) بمعنى البرد، فإنَّه معرّب «سَرْدُ» فأُبدلت السين صادًا، وهذا الإبدال غير لازم لوجود السين في العربية[٦٢].

٢- **إبدال حركة صائت بحركة صائت**: ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في «زَوْرْ» وآشُوبْ»، فيقولون: زُورٌ، وأَشُوبٌ. وفسَّر الشيخ طاهر الجزائري، رحمه الله، ذلك بقوله: و«زور» بالضم بمعنى القوة معرّب من «زور» بضمة مشوبة بالفتحة فأُبدلت فيه هذه الضمة بضمة خالصة. وهذا الإبدال لازم لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة[٦٣]. فالبدل هنا مُطّرِد في كل حرفٍ ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من حروف العربية[٦٤].

وضَرَبَ الحريري أمثلة لذلك فرأى فتح السين في «سَوْسَن» وهو في الفارسية مضموم، وكسر الشين في «شِطرنج» وهو في الفارسية مفتوح، وضم الدّال في «دُستور» وهو في الأصل مفتوح، وهذا الإبدال غير لازم لوجود هذه

---

(٦٠) الكتاب سيبويه ٤: ٣٠٥.

(٦١) المصدر نفسه ٤: ٣٠٥. والقربق والكربق لغتان ومعناهما: الحانوت..

(٦٢) الصحاح للجوهري مادة ص ر د.

(٦٣) التقريب لأصول التعريب: طاهر الجزائري، المكتبة السلفية، دمشق، ١٣٣٧هـ. ص ٤.

(٦٤) الكتاب ٤: ٣٠٦.

الحركات في العربية[٦٥].

وأورد سيبويه شواهد وأمثلة على ما لا يَطّرد فيه البدل، فالحرف الذي من حروف العرب، نحو سين «سراويل»، وعين «إسماعيل» أبدلوا للتغيير الذي قد لزم، فأبدلوا من الشين نحوها في الهمس، والانسلال من بين الثنايا، وأبدلوا من الهمزة العين لأنّها أشبه الحروف بالهمزة[٦٦].

٣- زيادة حرف: وردت بعض الكلمات الفارسية المعربة، فوقع فيها زيادة حرف لتناسب المبنى والمعنى معًا، فمثلاً كلمة «أرندج» معرّب «رنده» وهو جلد أسود زيدت في أوله الهمزة، وأبدلت الهاء جيمًا. وقيل فيه «يرندج».

وقد تكون الزيادة في وسط الكلمات، وقد أورد صاحب اللسان كثيرًا من الأمثلة على ذلك ففي كلمة «صولجان» وأصلها في الفارسية «جوكان» أُبدِلَتْ فيها الجيم الفارسية صادًا، والكاف الفارسية جيمًا، وزيدت فيها لام فصار «صولجان»، وجاء في اللسان «صَوَّجان»[٦٧].

٤- حذف حرف أو أكثر:

ورد الحذف في كلمات فارسية معرّبة، فمثلاً «سابون» أصله في الفارسية «شاه بون» أبدلت الشين فيه سينًا، والباء الفارسية باءً عربية، ثم حذفت الهاء[٦٨].

و«بهرج» معرب «نبهره» أي الباطل، فقد حذفت منه النون، وأبدلت الهاء جيمًا.

٥- الإلحاق بالأوزان العربية:

وما من شك أنّ النحاة وقفوا على كثيرٍ من الألفاظ الفارسية منذ القدم،

---

(٦٥) درة الغواص للحريري ص ١٣٥، ١٧٦، ٢٤٠.

(٦٦) الكتاب ٤: ٣٠٦ والمعرب للجواليقي ص ٧. وسراويل أصلها بالفارسية شراويل.

(٦٧) اللسان مادة (صوج). والتقريب ص ٤٥.

(٦٨) اللسان مادة (بهرج).

فمنها ما لم يغيّروا فيها شيئًا لأنّها جاءت على أوزانهم، ومنها ما ألحقوه ببناء كلامهم، فـ «درْهَمٌ» ألحقوه ببناء «هِجْرَع»فعْلَل، و«بَهْرَجٌ» ألحقوه بـ«سَلْهَبٍ» فَعْلَلٍ. و«دينار» ألحقوه بـ «دِيماسٍ» وكذلك «دِيباج» فِعْلالٌ وكذلك «إسحاق» ألحقوه بإعصار إفعال، و«يعقوب» ألحقوه بـ «يَرْبُوع» فَعْلُول، و«جَوْرَبٌ» ألحقوه بـ «فَوْعل»[٦٩].

الخاتمة:

وخلاصة البحث أنّ الألفاظ المعربة في الشعر الجاهلي كان لها دور في تنمية الثروة اللفظية للعربية، ومن ثمّ فالبحث يبيّن استعمال هذة الألفاظ الفارسية ودلالاتها، وتطور معانيها عند الأعشى، ودور اللغويين العرب والنحاة في استعمال المعرّب والقواعد والضوابط التي تحدّد مذاهب العرب في استعمال هذه الألفاظ، كما بيّن البحث أهمية التفاعل الحضاري بين الشعوب، وآثار ذلك في لغاتها من خلال الشواهد الشعرية، فالشعر مرآة الحياة الاجتماعية والثقافية في تاريخ أيٍّ أمّة، وهذا ما وجدناه عند شاعرنا الأعشى وغيره من شعراء العرب.

المصادر والمراجع

١- آذر نوش، آذرتاش: **سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم**، ترجمة وتعليق د. محمد ألتونجي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: **الأغاني**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٦٩) الكتاب ٤: ٣٠٣.

٣- بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.

٤- بقوش، د. عبد العزيز: **مختارات فارسية**، دار الثقافة العربية، بيروت، د. ت.

٥- الجزائري، طاهر صالح: **التقريب لأصول التعريب**، المكتبة السلفية، دمشق، ١٣٢٧هـ.

٦- الجواليقي، أبو منصور: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**،تحقيق أحمد محمد شاكر،.دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الرابعة، ١٣٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٧- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، طبعة بولاق، ١٢٨٢هـ.

٨- الحريري، محمد بن أحمد: **دُرة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر، ١٩٧٥م.

٩- الخفاجي، أحمد شهاب الدين: **شفاء الغليل فيما هو من كلام العرب من الدخيل**، تصحيح الشيخ نصر الهوريني، الوهبية مصر ١٢٨٢هـ.

١٠- **ديوان الأعشى الكبير**، ميمون بن قيس: شرح الدكتور محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٠م.

١١- ابن دريد، **الجمهرة في اللغة**، حيدر آباد، الهند، ١٣٥١هـ.

١٢- سيبويه، عثمان بن قنبر: **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م.

١٣- شير، إدي: **الألفاظ الفارسية المعربة**، دار العرب، الفجالة، القاهرة، ١٩٠٨م.

١٤- ضيف، د. شوقي: **العصر الجاهلي**، دار المعارف، الطبعة السابعة القاهرة،١٩٦٠م.

١٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

١٦- ابن فارس، أحمد بن الحسين: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب**، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، ١٩٦٣م.

١٧- ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

١٨- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي: **سنن النسائي بشرح السيوطي**، حاشية السِّندي، القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

مصادر الفعل الرباعي عند سيبويه وابن الحاجب

د. ملاذ زليخة

مقدمة:

لا شك أن الزيادة في الفعل الثلاثي على ضربين[1]: زيادة للإلحاق بالرباعي، وتكون بزيادة حرف أو أكثر، لتكثير أحرف الكلمة وإلحاقها بالرباعي المجرد وزنًا، أو بالرباعي المزيد بحرف أو حرفين. ولا تكون هذه الزيادة لإفادة معنى جديد، وإنما تكون للتبعيَّة في الوزن لفعل آخر، ويكون ذلك من أجل التوسع في اللغة.

وزيادة لغير الإلحاق، وتكون على صورتين:

أ - تكرار حرف من أحرف الأصول، مثل قولك: قَدَّم، بتكرير عين الكلمة، وقد يكون ذلك بتكرير اللام.

ب - زيادة حرف من أحرف الزيادة، وهي حروف (سألتمونيها).

وسأعرض هذين النوعين من الزيادة بإيجاز:

١- الثلاثي المزيد لغير الإلحاق:

الزيادة على الثلاثي لها ثلاث صور:

١- زيادة بحرف، ٢- زيادة بحرفين، ٣- زيادة بثلاثة أحرف.

١- الثلاثي المزيد بحرف[2]:

له ثلاثة أوزان، وهي: ١- (أفعَلَ)، نحو: أكرمَ.

٢- (فَعَّلَ)، نحو: فرَّحَ

---

(١) الشرح الملوكي في التصريف (٦٤- ٦٦)، وشرح المفصل لابن يعيش (٩/ ١٤١).

(٢) شرح المفصل لابن يعيش (٧ / ١٥٦)، وشرح الملوكي (٦٨)، والممتع (١/ ١٨٦) وما بعده، والارتشاف (١٧٢)، والمبدع (١٠٢)، والهمع (٦/ ٢٢).

٣- (فاعَلَ)، نحو: قاتلَ

٢- الثلاثي المزيد بحرفين:

له خمسة أوزان، وهي[٣]:

١- (انفعلَ)، نحو: انكسرَ

٢- (افتعلَ)، نحو: اجتمعَ

٣- (افعَلَّ)، نحو: اخضرَّ

٤- (تفعَّلَ)، نحو: تقدَّمَ

٥- (تفاعَلَ)، نحو: تشاركَ

الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف[٤]:

له أربعة أوزان، وهي:

١- (استفعلَ)، نحو: استغفرَ

٢- (افعوعَلَ)، نحو: اعشوشبَ

٣- (افعالَّ)، نحو: احمارَّ

٤- (افعوَّلَ)، نحو: اجلوَّذَ[٥]

٢- الثلاثي المزيد للإلحاق بالرباعي المجرد:

يلحق بالرباعي المجرد «دحرج» مجموعة من الأبنية كانت في الأصل أفعالاً ثلاثية، فزيد عليها حرف واحد، فأصبحت على وزن الرباعي المجرد: «فَعْلَلَ».

---

(٣) شرح المفصَّل لابن يعيش (٧/ ١٥٩) وما بعدها، وشرح الملوكي (٧٤)، والممتع (١/ ١٨٦)، وشرح الشافية.

(٤) الارتشاف (١٧٧)، والمبدع (١٠٣)، والهمع (٦/ ٢٨) وما بعدها.

(٥) أي أسرع في السير. لسان العرب (جلذ).

ومن هذه الأبنية الملحقة[٦]:

١- (فَعْلَلَ)، نحو: جَلْبَبَ.

٢- (فَوْعَلَ)، نحو: جَوْرَبَ

٣- (فَعْوَلَ)، نحو: جَهْوَرَ

٤- (فَيْعَلَ)، نحو: شَيْطَنَ

٥- (فَعْيَلَ)، نحو: رَهْيَأَ[٧]

٦- (فَنْعَلَ)، نحو: سَنْبَلَ

٧- (فَعْنَلَ)، نحو: قَلْنَسَ[٨]

٨- (فَعْلَى)، نحو: سَلْقَى[٩]

٩- (يَفْعَلَ)، نحو: يَرْنَأَ[١٠]

٣- الثلاثي المزيد للإلحاق بالرباعي المزيد[١١]:

أ- الملحق بالرباعي المزيد بحرف:

يلحق بمزيد الرباعي بحرف «تدحرج» مجموعة من الأوزان، وهي:

١- (تَمَفْعَلَ)، نحو: تَمَسْكَنَ

٢- (تَفَعْلَلَ)، نحو: تَجَلْبَبَ

---

(٦) المنصف ١/ ٨٣، وشرح الملوكي (٦٤ — ٦٦)، وشرح المفصَّل (٧/ ١٥٥)، والممتع (١/ ١٦٧)، والمبدع (١٠١ — ١٠٢)، والارتشاف (١٦٩ — ١٧٠)، والهمع (٦/ ٢٩)، والمزهر (٢/ ٤٠).

(٧) رهيأ رأيه: أفسده فلم يُحكمه. اللسان (رهأ).

(٨) أي لبس القَلَنْسوة. اللسان (قلس).

(٩) وسَلْقَيْته سِلْقاءً، بالكسر: أَلْقَيْته على ظَهْره، فاستَلْقى. القاموس المحيط (سلق).

(١٠) يَرْنَأَ لحيَته: صَبَغَها باليُرَنَّاء. لسان العرب (رنأ).

(١١) شرح المفصَّل (٧/ ١٥٥ — ١٥٦)، والممتع (١/ ١٦٩)، والمبدع (١٠٢).

٣- (تَفَعْوَلَ)، نحو: تَسَرْوَكَ[١٢]

٤- (تَفَوْعَلَ)، نحو: تَجَوْرَبَ

٥- (تَفَعْيَلَ)، نحو: تَرَهْيَأَ

٦- (تَفَيْعَلَ)، نحو: تَشَيْطَنَ

٧- (تَفَعْلَى)، نحو: تَسَلْقَى

٨- (تَفَعْلَتَ)، نحو: تَعَفْرَتَ

٩- (تَفَعْنَلَ)، نحو: تَقَلْنَسَ

ب – الملحق بالرباعي المزيد بحرفين:

يلحق بمزيد الرباعي بحرفين «احْرَنْجَمَ» صيغتان، وهما:

١- (افْعَنْلَلَ)، نحو: اقْعَنْسَسَ[١٣]

٢- (افْعَنْلَى)، نحو: احْرَنْبَى[١٤].

وبعد عرض أقسام المزيد على الثلاثي على سبيل الإلحاق وغيره، لا بد أن أُشير إلى أنه اختُلفَ في مصادرِ الفعلِ الرُّباعيِّ المجرّد «فَعْلَلَ» والمزيد «أَفْعَلَ»، «فَعَّلَ»، «فاعَلَ» أتجري جميعُها على قياسٍ واحدٍ، أمْ لكلٍّ بابُهُ الذي يختلفُ فيه عَنِ الأُخرياتِ؟

ورأيت أن أتخذ من دراسة منهَجي سيبويه وابن الحاجب نموذجًا لهذا الاختلاف.

أولاً: – مصادر الرباعي عند سيبويه (ت ١٨٠هـ):

ذهب سيبويه في مصادرِ الفعلِ الرُّباعيِّ المجرّد «فَعْلَلَ» والمزيد «أَفْعَلَ»، «فَعَّلَ»، «فاعَلَ» إلى أنّها جميعًا تجري على قياسٍ واحدٍ، إذ تُستحصَلُ بكسرِ

(١٢) السَّرْوَكَةُ: رداءة المشيء وإبطاء فيه من عَجَف أو إعياء. اللسان (سرك).

(١٣) اقعنسس: أي تأخر ورجع إلى خلف. لسان العرب (قعس).

(١٤) احْرَنْبى الرَّجلُ: تَهيَّأ للغَضَبِ والشَّرّ. وقيل: احرنبى: استلقى على ظهره. لسان العرب (حرب).

أوَّلِ الفعلِ وزيادةِ ألف قبلَ آخره، ومَا وَرَدَ منها مستعْملاً شائعًا خلافَ هذا القياس، فلابدَّ من أنْ يكونَ أصلُهُ المهجورُ أو النادرُ في الاستعمالِ قد جاءَ موافقًا لهذا القياسِ، ولذا طوَّلَ سيبويه في إخراجِ هذه المصادرِ على قياسٍ واحد سالكًا إلى ذلك سبيلَ التأويلِ والتمثيلِ بالقليلِ الذي يدلُّ علىَ القياسِ الواحد، محافظًا على القاعدة المطَّردة المؤدّية إلى توحيد الباب في هذه المصادرِ، وهي كسرُ الأوَّل وزيادةُ ألف قبل الآخرِ، ففي مصدر أفْعَلَ قال: «المصدرُ على أفْعَلْتُ إفْعَالاً، أبدًا، وذلك قولُك: أَعْطيتُ إعطاءً وأخرجتُ إخراجًا»[١٥]. ومثْلُ هذا «إحسان وإيتاء» مصدر «أحسنَ وآتى» في مثل قوله تعالى:﴿ إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدلِ والإحسَانِ وإيتاءِ ذي القُربَى ﴾[١٦].

ولا تنكسرُ هذه القاعدةُ في مصادرِ هذا البابِ، فنحو:«إقامَة وإبانَة» وضعَها سيبويه في بابِ ما لحقتهُ هاءُ التأنيثِ عوضًا لما ذهبَ منها[١٧]. يريد أنَّ الأصلَ:«إقْوام وإبْيان» ثم حُذف من وسطهِ حرفٌ وعوِّض بتاءٍ في الآخر.

وفي المحذوفِ خلافٌ، إذ عُزي إلى سيبويه وشيخه الخليلِ (ت١٧٥هـ) ذهابُهُما إلى أنَّ المحذوفَ هو ألف الإفعال والاستفعال؛ لأنَّها زائدة قريبة من الطَّرف، فكأنَّهما حذفا الألفَ الثانيةَ حملاً على حذفِ الواو الثانية في بناءِ اسمِ المفعولِ من الأجوف. وعُزي إلى الأخفش (ت٢١٥هـ) مخالفتُهُ صاحبَيه وذهابُهُ إلى أنَّ المحذوفَ هو الألف المنقلبة عن عينِ الأصلِ؛ لأنَّ القياسَ في حذفِ أحدِ الساكنين أنْ يَقَعَ على الأوَّلِ منهما، فضلاً عَنْ أنَّ ألفَ الإفعالِ والاستفعالِ جيء

---

(١٥) كتاب سيبويه ٧٨/٤.

(١٦) النحل ٩٠/١٦.

(١٧) يُنظر: كتاب سيبويه ٨٣/٤.

بها لمعنىً لا يُستحْصَلُ بسقوطِها، أي إنَّ الخليلَ وسيبويه يزنان «إقامة واستقامة» على «إفَعْلَة واستِفَعْلَة»، أمّا الأخفشُ فيزنهما على «إفَالة واستِفَالة»[١٨].

ويُفهَمُ من هذا أنَّ باب الإفعال جرت قاعدتُه لدى سيبويه في استحصالِ المصدرِ جريانًا بيِّنًا مع أنه لم يصرِّح بها، لكنها مفهومةٌ من قولهِ في بقيَّة الأبواب، إذ حَمَلَ صوغَها على بابِ الإفعالِ الذي جاءَ خيرَ مثالٍ على رُسُوخِ تلك القاعدة التي جرَتْ فيه دونما تأويلٍ ولا تكلُّف، ولكنَّها جرَتْ في الأُخرَيات مع شيءٍ من التأويلِ تارةً، وكثيرٍ منه تارةً أخرى. فمثالُ التأويلِ القليلِ قولُه في مصدر «فَعَّل»: (وأمّا فعَّلتُ فالمصدرُ منه على التَّفعيلِ، جعلوا التاء التي في أوّله بدلاً من العين الزائدة في فَعَّلتُ، وجعلوا الياء بمنزلة ألف الإفعال، فغيَّروا أوله كما غيَّروا آخرَه، وذلك قولُكَ: «كسَّرتُهُ تكسيرًا»، و«عذَّبتُهُ تعذيبًا»، وقد قال ناسٌ: «كلَّمتُه كلاَّمًا»، و«حمَّلتُه حِمَّالاً»، أرادوا أنْ يجيئوا به على الإفعال فكسروا أوّلَهُ وألحقوا الألفَ قبل آخرِ حرفٍ فيه، ولم يريدوا أنْ يُبدلوا حرفًا مكانَ حرفٍ، ولم يحذفوا، كما أنَّ مصدر «أفْعَلْتُ» و«استفعَلْتُ» جاءَ فيه جميعُ ما جاءَ في «استَفعلَ» و«أفْعَلَ» من الحروفِ، ولم يُحذَفْ ولم يُبدَّل منه شيءٌ، وقد قال الله عز وجل: ﴿وكَذَّبُوا بِآياتنا كِذَّابًا[١٩]﴾[٢٠] فكأنَّه في قوله هذا يرى أن «تَكْلِيم وتَحْمِيل وتَكْذِيب» الأصلُ فيها: «كِلاَّم وحِمَّال وكِذَّاب»، فهذه

(١٨) يُنظر: المقتضب١/١٠٤-١٠٥، والأصول٣/١٣٢، والمنصف١/٢٩١-٢٩٢، والممتع١/٤٩٠-٤٩١.

(١٩) النبأ ٧٨/٢٨.

(٢٠) كتاب سيبويه ٤/٧٩.

المصادر استُحصلت من «فَعّل» بكسر الأول وزيادة ألفٍ قبل الآخر، كما استُحصلت مصادر باب الإفعال، ثم حُذفت إحدى العينين المدغمتين في «فِعّال» وعُوِّض منها بتاء مفتوحة في الأول، فصارت «تِكْلام، تِحْمَال، تِكْذاب»، ثم قُلبت ألف «تفعال» ياءً فصارت على مثال «تَفعيل».

وأما ما ورد منها ظاهره على مثال: «تَفْعِلَة»، مثل: «تَذْكِرة»، «تَوصِيَة»، فيبدو أن سيبويه عدَّها مُنشعبة من «فِعّال» – في رأيي – وذلك أنّه لمّا صارَ إلى «تِفْعال» لم تُقلبِ الألف ياء، وإنّما حُذفت وعُوّض منها بتاء في الآخر، وهذا مفهومٌ من قوله: «فغيّروا أوّله كما غيَّروا آخرَه»، أي جعلوا تاءً في أوّل المصدر عوضًا من العين الزائدة، وجعلوا أخرى في الآخر عوضًا من الألف الزائدة، فكأنّ الأصل لديه: «ذِكّار»، «وِصّاي»، ثم صار: «تَذْكار»، «تَوْصاي»، ثم «تَذْكِرة»، «تَوصِيَة»، أو يكون قَصْدُه أنّ بابَي التَّفْعيل والتَّفْعِلَة جرى فيهما تغييران انشعبا بهما عن الأصل: «فِعَّال»، الأول: زيادة التاء أوّلاً عوضًا من العين الزائدة، والآخر زيادة التاء آخرًا في «تَفْعِلَة» عوضًا من الألف الزائدة وزيادة الياء ما قبل الآخر في التَّفْعيل عوضًا من تلك الألف. ولا مدخل عليه في عدم مجيء ياء التَّفْعيل آخرًا؛ ليستقيم قوله: «فغيَّروا أوّله كما غيَّروا آخرَه»؛ لأن ما قبل الآخر بمنـــزلة الآخر.

وأما ما ورد مصدرًا لفَعَّلَ معتلّ اللام على باب التَّفْعيل كتَعْزِيّ وتَسْلِيّ وتَنْزِيّ، كما في قول الشاعر[٢١]:

فهـــي تُـــنَزِّي دَلْوَهَـــا تَـــنْزِيَا كَمَـــا تُـــنَزِّي شَهْلَةٌ صَبِيًا

(٢١) لم أقف على قائله، وهو في المفصل (٢٢٣)، وشرحه لابن يعيش (٥٨/٦)، وشرح الشافية للرضي (١٦٥/١)، وشرح شواهد شرح الشافية (٦٧).

فمنشعب لديه من باب الفِعَّال – في رأيي – فكأنّ الأصل:((نِزّاي))، فصار بعد الحذف والتعويض والقلب: ((تَنْزِيّ))، فحذفوا ألف ((فِعَّال))، ولم يعوّضوها بتاء في الآخر لأجل الوزن. وفي جميع مصادر فعَّل دلّ سيبويه على القياس الواحد بشيء من التأويل والتكلّف.

وفي مصادر باب المُفَاعَلَة يقول:((وأمّا فاعَلْتُ فإنّ المصدر منه الذي لا ينكسر أبدًا:مُفاعَلَة، جعلوا الميم عوضًا من الألف التي بعد أوّل حرف منه، والهاء عوضًا من الألف التي قبل آخر حرف، وذلك قولك: ((جالسْتُه مُجالَسَةً))، و((قاعدتُه مُقاعَدَةً))، و((شاربْتُه مُشارَبَةً))، وجاء كالمفعول لأن المصدر مَفْعول. وأما الذين قالوا هذا فقالوا: جاءت مخالفة الأصل كفعَّلْتُ،وجاءت كما يجيء المَفْعَل مصدرًا والمَفْعَلَة، إلا أنّهم ألزموها الهاء لَمّا فرّوا من الألف التي في ((قِيْتال))، وهو الأصل... وقد يقولون: ((قاتلْتُ قِيْتالاً))، فيوفّرون الحروف ويجيئون به على مثال: ((إِفْعَال))، وعلى مثال قولهم:((كلّمتُه كِلاَّمًا))، وقد قالوا : ((ماريْتُه مِراءً))، و((قاتلْتُه قِتَالاً)). وجاء ((فِعَال)) على ((فاعَلْتُ)) كثيرًا، كأنهم حذفوا الياء التي جاء بها أولئك في ((قِيْتال)). وأما المُفَاعَلَة فهي التي تلزم ولا تنكسر))[٢٢]. مجمل كلامه أن وزن مُفاعَلَة مأخوذ من ((فاعَلَ))، بكسر أوّله وزيادة ألف قبل آخره، ففي نحو: ((قاتَلَ)) أصل مصدره:((قَاتَال))، ثم حصل فيه أحد ثلاثة تغييرات، وهي:

الأول: (قيتال) بقلب الألف ياء لأجل الكسرة، كما مثّلَ سيبويه عن بعض العرب. وقال ابن يعيش في ذلك: ((ومنهم من يقول: قاتلته قيتالا، وضاربته

(٢٢) كتاب سيبويه (٤/ ٨٠- ٨١).

وبناء اسمي الزمان والمكان، اللذين يجريان على الفعل المضارع، فتُكسر عين «مَفْعِل» تبَعًا لكسرها في «يَفْعِل»، فيُقال للزمان والمكان من الضَّرْب:«مَضْرِب»؛ لأنّ الفعل «يَضْرِب» مكسور العين، ويُقال لهما من العَيْش: «مَعِيش» لأجل تلك العلة. أما المصدر فتُفتح عينه أمنا للَّبس، فيُقال: «مَضْرَب» و«مَعَاش»، ومنه قوله تعالى:﴿ وجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[٣٠] أي: عَيْشًا[٣١].

وقال السيرافي معلّقًا على قول سيبويه: (ومن ذلك فيما ذكره سيبويه: «المطلِع» في معنى الطُّلوع، وقد قرأ الكسائي: ﴿حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ﴾ ومعناه: حتى طلوع الفجر. وقال بعض الناس: «المطلِع»: الموضع الذي يطلُع فيه الفجر، والمطلَع: المصدر. والقول ما قاله سيبويه، لأنه لا يجوز إبطال قراءة من قرأ بالكسر، ولا يحتمل إلا الطلوع، لأن «حتى» إنما يقع بعدها في التوقيت ما يحدث، والطلوع هو الذي يحدث، والمطلِع ليس بحادث في آخر الليل، لأنه الموضع)[٣٢].

وأما الفائدة الثانية فإن التاء في «المَفْعلَة» زيدت فيه لأجل التأنيث، وليس عوضًا من شيء حذف من «مَفْعل»، ولذا وجد سيبويه المناسبة بين المُفاعَلَة والمَفْعلَة، فحمل المُفاعَلَة على المَفْعلَة، فذكر أنها جاءت على المفعول شاذّة كما شذّت المَفْعلَة في مجيئها على اسمي الزمان والمكان، وأنّ التاء قد ثبتت في آخرها لأجل التأنيث، لا عوضًا من شيء محذوف ، فثبتت كذلك في المُفاعَلَة للتأنيث فحسب، لا عوضًا من شيء حُذف من «مُفاعَل» الذي هو للمُفاعَلَة بمنـزلة المَفْعل للمَفْعلَة.

---

(٣٠) النبأ ٧٨/ ١١.

(٣١) يُنظر: كتاب سيبويه ٤/ ٨٧- ٨٨.

(٣٢) السيرافي النحوي ٢٣١.

ويبدو أن عدم ثبات «مُفاعَل» في مصادر الرباعي كما ثبت «مَفْعل» في مصادر الثلاثي سببه أمران:

الأول: أنهم أرادوا أن يغيّروا أوّله كما غيّروا آخره، فلزمت زيادة التاء لتكون مُنبئة بالتغيير اللازم في الآخر، ولم يلتزموا حذفها؛ لأن في ذلك خروجًا عن المقرر.

والآخر: أن بناء «مُفاعَل» لو نطق به مصدرًا لَمَا أُمِن اللّبس بين بناء اسم المفعول والمصدر، فعمدوا إلى زيادة التاء؛ لأن فيها أدنى تمييز بين البناءين. وكان سيبويه قد بيَّن مذهبه في صوغ مصادر باب المُفاعَلَة، فساق شواهد وَرَدَ فيها «مُفاعَل» مصدرًا من دون تاء، تنبيهًا على أنه الأصل المنشعب من «فَاعَال» بحذف الألف التي قبل الآخر وتعويضها بميم مضمومة في أول البناء. وعَقَدَ لذلك بابًا جاء فيه:«المكان والمصدر يُبنى من جميع هذا بناء المفعول، وكان بناء المفعول أولى به؛ لأن المصدر مفعول والمكان مفعول فيه، فيضمون أوّله كما يضمون المفعول؛ لأنه قد خرج من بنات الثلاثة فيُفْعَل بأوّله ما يُفعَل بأول مفعوله ... ويقولون للمكان: «هذا مُتحامَلُنا»، ويقولون: «ما فيه مُتَحَامَل»، أي: ما فيه تَحامُلٌ، ويقولون: «مُقاتَلُنا»، وكذلك تقول إذا أردت المُقاتَلَة، قال كعب بن مالك الأنصاري[٣٣]:

أُقــاتِلُ حـــتى لا أرى لي مُقاتَلاً وأَنجُـــو إذا غُمَّ الجبانُ من الكربِ

وقال زيد الخيل[٣٤]:

أُقــاتِلُ حـــتى لا أرى لي مُقاتَلاً وأَنجُو إذا لم يَنْجُ إلا المُكَيَّسُ»[٣٥]

---

(٣٣) الخصائص ٣٦٧/١، ٣٠٤/٢، وشرح المفصَّل لابن يعيش ٥٥/٦،٥٠، ولسان العرب (قتل).

(٣٤) شعر زيد الخيل ١٣٢، ونوادر أبي زيد ٧٩، والخصائص ٣٦٧/١، ٣٠٤/٢، وشرح المفصَّل لابن يعيش ٥٠/٦، ٥٥، ولسان العرب (قتل).

(٣٥) كتاب سيبويه ٩٥/٤- ٩٦.

ويرجع سيبويه إلى التأويل القليل في استحصال مصدر «فَعْلَلَ»، فيقول: هذا باب مصادر بنات الأربعة، فاللازم لها الذي لا ينكسر عليه أن يجيء على مثال:«فَعْلَلَة»، وكذلك كل شيء أُلحق من بنات الثلاثة بالأربعة، وذلك نحو: دَحْرَجْتُهُ دَحْرَجَةً، وزَلْزَلْتُهُ زَلْزَلَةً، وحَوْقَلْتُهُ حَوْقَلَةً، وزَحْوَلْتُهُ زَحْوَلَةً. وإنما ألحقوا الهاء عوضًا من الألف التي تكون قبل آخر حرف، وذلك ألف زِلْزال، وقالوا: زَلْزَلْتُهُ زِلْزَالاً، وقَلْقَلْتُهُ قِلْقالاً، وسَرْهَفْتُهُ سِرْهافًا، كأنّهم أرادوا مثال الإعطاء والكِذّاب؛ لأن مثال «دَحْرَجْتُ» وزنتها على أَفْعَلْتُ وفَعَّلْتُ. وقد قالوا: «الزَّلْزال» و«القَلْقال»، ففتحوا كما فتحوا أول التَّفْعيل، فكأنهم حذفوا الهاء وزادوا الألف في الفَعْلَلَة»[٣٦].

فكلامُ سيبويه هنا صريح بأنَّ تاء التَّفْعِلَة عوض من ألف «الفِعْلال» الذي هو الباب المقيس المبني على «فَعْلَل» بكسر أوّله وزيادة ألف قبل الآخر، كما بُني الإفعالُ على «أَفْعَلَ» والفِعَّالُ على «فَعَّلَ»؛ لأن «فَعْلَلَ» كفَعَّلَ وأَفْعَلَ في تقدير عدد حروفه وتوالي سكناها وحركاها. وإنما اكتُفي بفتح «الفَعْلَلَة» في التغير الحاصل في أوّل هذا الباب، ولم يزيدوا في هذا الموضع شيئًا لأن «فَعْلَلَ» خلا من الزيادة في حشوه، تلك الزيادة التي ثبتت في «فاعَلَ» و«فَعَّلَ»، فأوجبت زيادة التاء أولاً في التفعيل، والميم أولاً في المُفاعَلَة، وكان لابدّ من تغير كسرة الفِعْلال فتحة في الفَعْلَلَة؛ لتكون مرتبطة بالتغيير اللاحق للبناء في آخره، وأما البناء «فَعْلال» كَقَلْقال وزَلْزال، فإن سيبويه لمّا وجد فيه عملاً واحدًا واقعًا في أوّله دون آخره، هو قلب الكسرة فتحة، لم يخرجه على أنّه منشعب من الأصل المقيس «فِعْلال» كما انشعب الفَعْلَلَة منه؛ لأن فيه تغييرًا من جانبٍ واحدٍ، ولذا أخرجه

---

(٣٦) كتاب سيبويه (٨٥/٤).

على أنه منشعبٌ من الفَعْلَلَة بحذف التاء وزيادة ألف قبل الآخر، وبذا استقامت قاعدته التي أقرَّها أولاً: «غيَّروا أوَّله كما غيَّروا آخره».

هذا هو مذهب سيبويه في مصادر الرباعي، إذ رأى أنها جميعًا تجري على سنن واحد. وقد جرى على مذهبه أيضًا الزمخشري(٣٧)، وابن يعيش(٣٨).

ثانيًا: – مصادر الرباعي عند ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ):

أما ابن الحاجب فقد عدّ مصادر الرباعي متعددة كتعدُّد الرباعي في أمثلة مختلفة، فالأفعال هي: «أَفْعَلَ» و«فَعَّلَ» و«فاعَلَ» و«فَعْلَلَ»، والمصادر هي: «إِفْعَال» و«تَفْعِيل» و«فِعَّال» و«فِعَال» و«فِيْعَال» و«فَعْلَلَة» و«فِعْلال». وليست كل هذه المصادر مستحصلة من سبيل واحدة كما قال سيبويه، بل لكل منها قياس واضح من فِعْل واحد، قال: «مصادر المزيد فيه والرباعي قياس، فنحو: «أَكْرَمَ» على «إِكْرام»، ونحو: «كَرَّمَ» على «تَكْرِيم» و«تَكْرِمَة»، وجاء «كِذَّاب»، والتزموا الحذف والتعويض في نحو: «تَعْزِيَة»... ونحو: «ضَارَبَ» على مُضَارَبَة وضِرَاب... وجاء «قِيْتَال»»(٣٩).

فظاهر هذا النص يُفهم منه أن لكل باب من الرباعي مصدرًا ينقاس فيه وليس للآخر شركة فيه، فأَفْعَلَ بابه الإِفْعَال، ولا ينكسر فيه إلا إذا كان الفعل أجوف، فيكون وزنه: «إِفَالَة» أو «إِفْعَلَة» على حد الخلاف الواقع بين سيبويه والأخفش(٤٠). و«فَعَّلَ بابه التَّفْعِيل، ولا ينكسر فيه إلا إذا كان

(٣٧) المفصل (٢٧٥) وما بعدها.

(٣٨) شرح المفصل (٦/ ٤٧) وما بعدها.

(٣٩) شرح الشافية للرضي (١٦٣/١) بتصرف يسير.

(٤٠) ينظر: المقتضب (١٠٤/١ –١٠٥)، والمنصف (٢٩١/١–٢٩٢).

الفعل معتل اللام، فيكون مصدره «تَفْعِلَة»، بحذف ياء التفعيل لدى الجمهور.

وأما الفعَّال عند ابن الحاجب فقليل لا يُقاس عليه. و«فاعَلَ» بابه الكثير: «مُفَاعَلَة»، و«فِعَال» قليل فيه، و«فِيْعَال» أقل منهما.

والتزم ابن الحاجب مذهبه هذا في شرح المفصَّل، فقال:(قالوا في «فَعَّلَ»: «تَفْعِيل» و«تَفْعِلَة». و«تَفْعِيل» هو الأكثر، وعن ناس من العرب:«فِعَّال»)(٤١). فكأنه يرى أن كلاً من التَّفْعِيل والتَّفْعِلَة والفِعَّال مصادر قائمة بنفسها، وليس أحدها منشعبًا من الآخر. لكن ابن الحاجب لما مضى مفسِّرًا «فِعَّال» رجع إلى مذهب سيبويه، فعَدَّ الفِعَّال هو المقيس، وعَدَّ التَّفْعِيل والتَّفْعِلَة مُنشعبَيْن منه، فقال في «كِذَّاب»:(كأنهم نَحَوا بالمصدر منه نحو قياس المزيد فيه، حيث أتوا بحروف الفعل، وزيادة ألف قبل الآخر، كما قالوا في أَفْعَلَ: «إِفْعَال»، قالوا في «فَعَّلَ»: «فِعَّال»؛ لأنه قياسه) (٤٢). ويمضي ابن الحاجب في خلطه المسألة، وهو يذكر مصادر«فاعَلَ» و«فَعْلَلَ»، فيأتي أولاً بما يُشير إلى أن كل باب منها مقيس قياسًا ليس للآخر سبيل إليه، ثم يستدرك ذاكرًا مذهب سيبويه القائل: إنما قياس واحد(٤٣).

وقد اشتدت حيرة الرضيِّ الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) في تلمُّس مذهب ابن الحاجب في هذه المسألة فقال أولاً – في شرح قول ابن الحاجب في الشافية المذكور آنفًا –: «يعني بقياس المصادر المنشعبة ... كسر أول الماضي وزيادة ألف قبل الآخر، فيكون للجميع قياس واحد»(٤٤)، ثم قال ثانيًا:«والظاهر أنه

(٤١) الإيضاح في شرح المفصَّل (١/٦٢٧).

(٤٢) الإيضاح في شرح المفصَّل (١/ ٦٢٨).

(٤٣) نفسه (١/ ٦٢٧- ٦٢٨).

(٤٤) شرح الشافية للرضي (١/١٦٣).

أراد بالقياس القياس المختص بكل باب، فإن لكل باب قياسًا خاصًا لا يشاركه فيه غيره»[٤٥]. ويبدو أن ابن الحاجب قد جوّز الأمرين في مصادر الرباعي، إما أن يُقال: إنها جميعًا تستحصل من قياس واحد كما فعل سيبويه، وإما أن يُقال: إن لكل منها قياسًا واحدًا لا يجري فيه غيره؛ لتعسُّف إخراجها جميعًا من سبيل واحدة، كما في باب المُفاعَلَة الذي طوّل سيبويه في إخراجه من الأصل «فَاعَال»، وهذا ما التزمه الرضي في شرحه على الكافية، إذ قال مجوّزًا كلا الأمرين :« أما غير الثلاثي فيأتي قياسًا، كما تقول مثلاً: كل ما ماضيه على «فَعَّلَ» فمصدره على تَفْعيل، وكل ما ماضيه على «فَعْلَلَ» فمصدره على فَعْلَلَة، ويجوز أن يرتكب قياس واحد لجميع الرباعي والمزيد فيه، وهو أن يُقال: ننظر إلى الماضي ونزيد قبل آخره ألفًا، فإن كان قبل الآخر في الماضي متحركان كسرت أولهما فقط، كما تقول في «أَفْعَلَ»: «إِفْعَال»، وفي «فَعْلَلَ»: «فِعْلال»، وفي «فاعَلَ»: «فِيْعَال»، وفي «فَعَّلَ»: «فِعَّال»»[٤٦].

وهكذا نرى أن سيبويه ذهب في مصادرِ الفعلِ الرُّباعي المجرّد «فَعْلَلَ» والمزيد «أَفْعَلَ»، «فَعَّلَ»، «فاعَلَ» إلى أنَّها جميعًا تجري على قياسٍ واحدٍ، وتُستحصَلُ بكسرِ أوَّلِ الفعلِ وزيادةِ ألفٍ قبلَ آخره، ومَا وَرَدَ منها مستعملاً شائعًا خلافَ هذا القياس، فلابدَّ مِن أنْ يكونَ أصلُهُ المهجورُ أو النادرُ في الاستعمالِ قد جاءَ موافقًا لهذا القياسِ.

على حين جوّز ابن الحاجب الأمرين في مصادر الرباعي، فإما أن يُقال: إنها جميعًا تُستحصل من قياس واحد كما فعل سيبويه، وإما أن يُقال: إن

---

(٤٥) نفسه.

(٤٦) شرح الكافية للرضي (١٧٨/٢).

لكل منها قياسًا واحدًا لا يجري فيه غيره؛ لتعسُّف إخراجها جميعًا من سبيل واحدة،وتبعه الرضي في هذا المذهب.

* * *

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضَرَب من لسان العرب، لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢- الأصول في النحو، لابن السرَّاج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي،ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م

٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ،لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١٩٨٢م.

٤- الإيضاح في شرح المفصَّل، لابن الحاجب، إحياء التراث الإسلامي، بغداد.

٥- الخصائص، لابن جنِّي، تحقيق محمد علي النجار،دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

٦- شرح شافية ابن الحاجب،رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧- شرح شواهد شرح الشافية، عبد القادر البغدادي، وهو الجزء الرابع من شرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي.

٨- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، مصورة عن طبعة الشركة الصحافية العثمانية، ١٣١٠هـ .

٩- شرح المفصَّل، لابن يعيش، المطبعة المنيرية،مكتبة المتنبي، القاهرة

١٠- الشرح الملوكي في التصريف، لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، نشر دار الأوزاعي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م.

١١- شعر زيد الخيل الطائي، جمع وتحقيق ودراسة د. أحمد مختار البزرة، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق ، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

١٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٩٥٢م.

١٣- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

١٤- لسان العرب، ابن منظور،طبعة جديدة، اعتنى بتصحيحها أمين عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٥- المبدع في التصريف، لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق عبد الحميد السيد طلب، نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٩٢م.

١٦- المخصَّص، لابن سيده، دار الفكر، بيروت (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

١٧- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، نشره عيسى البابي الحلبي، ١٣٦١هـ.

١٨- المفصَّل في علم العربية،محمود الزمخشري، دار الجيل، بيروت، ١٣٢٣ هـ .

١٩- المقتضب، للمُبَرِّد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، مصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٦٣م.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الحادي والثلاثون)(*)

د. وفاء تقي الدين

حَيُّ العَالَم**

حي العالم ١: ٣٨٧/ ٢: ٢٣، ٥٩، ٢٣٧، ٤١٥،
٤٤١، ٥٣١/ ٣: ١١٥، ١١٧.

أصل حي العالم ٢: ٥٣١

أطراف حي العالم ٢: ٣٢٩

(*) نُشرت الأقسام الثلاثون السابقة مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ٦٤٣، ٨٧٣) و (مج٨٢: ١٣٥، ٣٢٧).

** كتاب ديسقوريدس ٣٤٢ (ايزوون الكبير)، ٣٤٣ (ايزوون الصغير)، والحاوي ٢٠: ٣٥٢/ ٢٢: ١٢٥، والمكي ٢: ١٠٤، ومفاتيح العلوم ١٧٣، ١٧٥، ومنهاج البيان ٩٦ب، وشرح أسماء العقار ١٩ (١٦٢)، والمختارات ٢: ٩٤، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٣، ومفيد العلوم ٣٥، والشامل ٢١١، والمعتمد ١١٤، ومالايسع ١٩٥، وحديقة الأزهار ١١٨ (١٢٥) وتذكرة الأنطاكي ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ١٦٦ (٢، ٣، ٥، ١٠، ١٢)، ١٦٧ (١)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٧١، ٤٧١، والمعجم الموحد (قسم النبات) ١٢٨، ١٤٩، ١٧٨، وصحاح المرعشلي ٢٤٧، وانظر مادة (سومقوطون).

عصارة حي العالم ١: ١٨٤/ ٢: ٣٧٤، ٤٠٨/ ٣: ٣٣، ٧٣، ٢٥٩، ٢٦٠

ماء حي العالم ٢: ٦٢٢/ ٣: ٣٠، ١٣٧

ورق حي العالم ١: ٣١١/ ٣: ٦١

لم يذكر ابن سينا حيَّ العالم مدخلاً في مفردات القانون، بل تكرر وروده في المعالجات والأدوية المركبة، وبيَّن في بعض المواضع أنه هو نفسه سومقوطون[1].

وصف ديسقوريدس في كتابه ثلاثة أنواع يطلق عليها اسم حي العالم فقال: «ايزوون الكبير ومعنى هذا الاسم الحي أبدًا لأنه لايطرح ورقه في وقت من الأوقات وهو الذي تعارفه الناس فيما بينهم بحي العالم.. وهو نبات له قضبان طولها نحو من ذراع أو أكثر في غلظ الإبهام فيها شيء من رطوبة تدبق باليد وهي غضة.. وما كان من الورق في أسفل النبات فهو مستلق، وماكان في أعلاه فإنه قائم بعضه على بعض، ومنابته حافات[*] القضبان كأنه شكل عين. وينبت في الجبال والمدائن، وقد ينبته الناس في منازلهم..» ثم قال ايزوون الصغير ينبت في الحيطان وبين الصخور، وفي السياجات والخنادق الظليلة وله قضبان صغار مخرجها من أصل مستدير واحد، وهي كثيرة مملوءة من ورق صغير مستدير طويل وفيه رطوبة تدبق باليد، حاد الأطراف، وله قضيب في الوسط طوله نحو من شبر، وعليه إكليل وزهر أصفر.. وقد يكون صنف ثالث من حي العالم.. ورقه إلى التسطيح ماهو شبيه بورق البقلة الحمقاء، وعليه زغب، وينبت هذا النبات بين الصخور..»

ثم نقلت المراجع معظم هذه المعلومات، فمن مؤلفيها من جعل حي العالم صنفين، ومنهم من جعلها ثلاثة أصناف، وذكر من أسمائه ايزوون باليونانية.

---

(١) انظر مثلاً القانون ١: ٣٨٧/ ٢: ٢٣٧، ٤٤١.

(*) جمع الحافية، أي الماشية بلا نَعْل أو خُفّ! / المجلة.

وبعجمية الأندلس أبيله رشتقة، وبالفارسية همیشك، وبالعربية أنبوب الراعي. وعامة المغرب تسميه زلايف الملوك.

فيظهر من استقراء ماقيل في هذا المصطلح أن القدماء كانوا يطلقون اسم حي العالم على نباتات من جنس Sedum وأخرى من جنس Sem-pervivum. وكلاهما من النباتات المعمرة التي لاتطرح ورقها، وأكثرها مما يزرع للتزيين.

حَيَاةُ الموتى *

حياة الموتى ١: ٤٤٠

في كتاب الأدوية المفردة من القانون تكلم ابن سينا على الشربين فكان مما قاله: «في قشر هذه الشجرة قبض. قال ديسقوريدس: للقطران قوة قابضة مخالفة للعفن تقبّض الأجساد الحية وتحفظ الأجساد الميتة ولذلك سماه قوم حياة الموتى..».

ونص ماجاء في كتاب ديسقوريدس عند كلامه على القطران: «وللقطران قوة أكالة مقطعة للأبدان الحية حافظة للأبدان الميتة، ولذلك سماه قوم حياة الميت..».

هذا الاسم إذاً يطلق على القطران المتخذ من شجر الشربين وهو مادة راتينجية تحصل من تقطير خشبه.

حيَّة **

حية ١: **٣٢٤**، ٣٨٢/ ٣: ١٤٦، ٢٥١

* كتاب ديسقوريدس ٨٠ (قدريا)، ومنهاج البيان ٩٦ب، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩. وانظر (شربين) و (قطران).

** كتاب ديسقوريدس ١٣٣ (أخيذنا)، ١٣٤ (غيرس افاوس)، ١٣٤ (غيرس افاوس)؛ =

= والحيوان ١: ٢٨/ ٤: ٤٣، ١١٢، ١١١٣، ١١٨، ١٢١، ١٢٨، ١٥٨، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٦٨، ٣٠٤/ ٥: ٣٦٥ وغيرها كثير، والحاوي ٢٠: ٣٤٦، والملكي ٢: ١٣٦ (سلخ الحية)، ومفاتيح العلوم ١٧٦ (ترياق الأفاعي)، والصيدنة ٥٧ (أفعى)، ٢٣٢ (سلخ الحية)، ومنهاج البيان ٣٢أ (أفعى) ٩٦ب (حية)، ١٢٥ب (دهن الحيات)، ١٦٣ب (شحم الأفعى)، ٢٠٥ب (قرص الأفاعي)، ٢٤٨ب (مرارة الأفعى)، والمنتخب ٥٤ (أفعى)، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١: ٤٦ (أفعى)، والمعتمد ١١٥، والشامل ٣٩ (أفعى)، وما لايسع الطبيب جهله ١٩٤، ٢٥٨ (دهن الحيات)، وتركيب مالايسع ٧٢أ(أقراص الأفاعي)، وحياة الحيوان ١: ٢٤ (أفعى) ٢٣٨ (حية)، والتذكرة ١: ٥٠ (أفعى) وقاموس الأطبا ٢: ٢٢٩، ومعجم الحيوان ١٣١، ١٩٥، ٢٣١، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٠٠، ومعجمات اللغة (فعي، حيو، حيي، سود، فعو..).

لحوم الأفاعي مطبوخة	٢: ١٤٠
لحم الحية الأنثى	١: ٣٢٤
ماءٌ طُبخ فيه سلخ الحية	٢: ١٥٢
مرارة الأفعى	٢: ١٤٠، ١٤٧، ٤٠١/ ٣: ٣: ٢٣٣، ٣١٤
مرقة الأفعى	٣: ١٤٣
مرق الحية، مرقة الحية	١: ٣٢٤
ملح الأفعى	٢: ٣٩٧/ ٣: ١٤٣، ٣٠٥

الحية من مفردات القانون تكلم عليها ابن سينا في فصل الحاء من كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: الحية أصناف كثيرة. ويستعمل لحمها مطبوخاً بالماء والملح والشبث، وقد يزاد عليه الزيت، وهو في قوة لحمها، ويستعمل سلخها، ونحن نذكر أصناف الحيات في الكتاب الرابع[1]. الاختيار: أجود لحمه لحم الأنثى، وأجود سلخه سلخ الذكر.. لحمها ومرقتها بعد إسقاط طرفيها يمنع تزيّد الخنازير، مرقة الحية ولحمه المذكور يقوي البصر.. الخ» وفي أثناء كلامه على أقراص الأفاعي قال[2]: «والأفاعي هي الحيات المفرطحة الرؤوس المستعرضتها خصوصاً عند قرب الرقبة الدقاق رقابها جداً البتر أذنابها الفحاحة الكشاشة» فميزها بذلك من سائر الحيات.

الحيات أصناف كثيرة جداً يشملها هذا الاسم، وقد جمعتُ ماورد منها عقّاراً في هذا المدخل، وأهملت أصنافاً أخرى ذكرت في القانون أثناء الكلام على مقاومة السموم وكيفية علاج من لسعته الأفاعي. وتختلف صفات الحيات

---

(١) أي عند كلامه على السموم في القانون ٣: ٢٤٣ ومابعدها. وذكر في هذا الموضع من أصناف الحيات: «الأفاعي والبازقة للدم من المسام مثل اموريوس وبسطيس، والحية المعطّشة، والقفّازة، والطفّارة، والبلوطية، والجاورسية، والمسماة بسيسطالي، والرقشاء، والمعفّنة.. وغيرها كثير.

(٢) القانون ٣: ٣١٣.

وتسمياتها في المراجع القديمة، لكن اسم الأفعى لايطلق إلا على ماكان سامًا خبيثًا، حتى إنه يقال تفعّى الرجل إذا صار كالأفعى في الشر وسوء الخلق[١]. والأسود ماعظم من الحيات. وفي القاموس «السالخ.. اسم الأسود من الحيات، من السِّلْخ وهو الجلد لأنه يخلعه كل عام. يقال: سَلَخت الحية تَسْلُخ سلخًا..

الاسم العلمي للحية هو Ophis والأفعى Vipera

جاء في تاج العروس «الحيَّة معروفة. قال الجوهري: يكون للذكر والأنثى. وإنما دخلته التاء لأنه واحد من جنس مثل بطة ودجاجة... واشتقاقه من الحياة في قول بعضهم.. كأنه سمي حية لطول حياته. جمعه حيات وحيوات..» ونبه مؤلف القاموس على أنه لايقال للأنثى سالخة. وقالوا في الأفعى إنها الأنثى من الحيات، والذكر أفعوان وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة!

حيوان *

الحيوانات	٢: ٥٤٠/ ٣: ١٥٣
بعر الحيوان	١: **٢٧٩**
بول الخصيّ من كل شيء	١: ٢٧٩
بول الدواب	١: ١٤٦
الثديان (من الحيوان المأكول)	١: ٤٤٥
جلود بعض حيوانات البحر	٢: ٥٢٢
جلود حيوان البر	٢: ٥٢٢

(١) أساس البلاغة وتاج العروس (فعو).

***كامل الصناعة الطبية أو الملكي ٢: ١٣٦ (في منافع أعضاء الحيوان)، ومنهاج البيان ٢٣١ب (لحم السباع، لحم الخصي من الحيوان)، والمختارات ١: ٢٣٧ (في قوة أعضاء الحيوان)، ومفيد العلوم ٤٥ (دابة)، ٩٧ (عَرَق الدابة)، ومعجمات اللغة (حي، ديب، سبع، وحش..).**

خرء الحيوانات	٣: ٢٨٩
خصية حيوان البحر	١: ٢٨١ وانظر (جندبادستر)
دماء الحيوان الحارة المزاج	٢: ١٤١
دماغ الحيوانات	٢: ٥٤٢
زبل الراعية	١: ٣٠٨
شحوم السباع	٢: ٩٠/ ٣: ١٣٥، ١٤٣
عَرَق الدواب	٣: **٢٣٤**
لحوم الحيوانات العصبية والصلبة اللحم	٢: ٣٥٧
لحوم ذوات الأربع الكبار	٢: ٨٣
لحوم السباع	١: ٣٥٨، ٣٥٩
لحوم السباع وذوات المخاليب	١: ٣٦٠
لحم كل ذي خفّ	٢: ٤٥٣
لحم الوحش، لحوم الوحش	١: ٣٥٨/ ٢: ١٠٤، ٤٧٠
لحم مايغلظ من الوحش	٢: ٥٠٠
مخاخ الحيوانات	٢: ٥٤٢
مرارة الأنثى (من الحيوان)	١: ٣٦٥
مرارة الذكر (من الحيوان)	١: ٣٦٥
مرارات ذوات الأربع	١: ٣٦٥، ٣٦٦
مرارات الصيد	١: ٣٦٥
مرارات الماشية	١: ٣٦٥
مرق الحيوان (الوحشي)	٢: ١٠٦

العقاقير الحيوانية قسم هام من أقسام العقاقير المفردة التي كان الأطباء القدامى يداوون بها تلي العقاقير النباتية في كثرتها، وكان أولئك الأطباء يرون أن لكل صنف من أصناف الحيوان خصائص علاجية مميزة، ولمجموعات الحيوان

خصائص تجمعها كالحيوانات الوحشية والأهلية، والذكور والإناث، والحيوانات الفتية والهرمة، والخصيّة وغيرها.. الخ. ثم إن لكلٍ من أجزاء الحيوان وأعضائه ومنتجاته فوائد خاصة. فاللحوم بأصنافها والجلود والعظام والنفايات.. الخ كلها مما يستفاد منه طبياً. وقد جمعت في هذا المدخل مايتعلق بالحيوان مماوجدت أنه لايندرج تحت اسم آخر اتخذه ابن سينا مدخلاً في مفردات القانون، أو أنّ ضمّه إلى شكله هنا أفضل. من ذلك مثلاً ماجاء مضافًا إلى الدواب جمع دابة وهي في اللغة اسم ما دبّ من الحيوان لكن هذا الاسم غلب على مايركب من الدواب وهو يقع على المذكر والمؤنث. ونبه ابن الخشاء في مفيد العلوم حيث شرح ألفاظ المنصوري للرازي على أن المعنى الثاني هو المقصودفي كتب الطب فقال: «دابة: يقال بالعموم على كل ما يدِبّ، وتختص به الخيل والبغال والحمير تخصيصاً عربياً. وهو المراد هنا» ومنه ما أضيف إلى السباع جمع سُبُع بضم الباء وقال بعضهم بفتحها وبسكونها، وهو المفترس من الحيوان مثل الأسد والذئب والنمر والفهد... ومنه ما أضيف إلى الماشية وجمعها المواشي اسم يقع على الإبل والبقر والغنم قال ابن الأثير وأكثر مايستعمل في الغنم.

الحيوان مصدر كالحياة، والحَيَوان اسم يقع على كل شيء حي.. وكل ذي روح حَيَوان، والجمع والواحد فيه سواء، واختلف في اشتقاقه. فجاء في لسان العرب «الحيوان جنس الحي وأصله حَيَيان فقلبت الياء التي هي لام واواً استكراهاً لتوالي الياءين لتختلف الحركات. هذا مذهب الخليل وسيبويه، وذهب أبو عثمان إلى أن الحيوان غير مبدل الواو، وأن الواو فيه أصل، وإن لم يكن منه فعل.. كذلك الحيوان عنده مصدر لم يشتق منه فعل. قال أبو علي: هذا غير مرضي من أبي عثمان.. الخ....

باب الخاء

خاتم *

دواء خاتم، أدوية خاتمة	١: ٢٣٢، ٢٣٥/ ٢: ٤٩٨/ ٣: ١٤٩، **١٥٣**، ١٥٤، ١٦٠
الختم (من أفعال الأدوية)	١: ٢٣٢، ٣٧٧/ ٢: ٤٩٧/ ٣: ١٥٤، ١٦٠
(دواءٌ) يختم	١: ٢١٨، ٢٤٠، ٣٢٨/ ٢: ٤٩٩/ ٣: ١٤٨، ١٤٩.

حين صنف ابن سينا الأدوية المفردة بحسب أفعالها عدَّ منها الدواء الخاتم. وحدَّه بقوله: «هو الدواء المجفِّف، الذي يجفف سطح الجراحة حتى يصير خشكريشة[١] عليه، تُكِنُّه من الآفات إلى أن ينبت الجلد الطبيعي. وهو كل دواء معتدل في الفاعلتين[٢] مجفِّف بلا لذع.»

وبهذا المعنى نفسه يستعمل اصطلاح (دواء خاتم) في كتب الطب عادة. ولاحظ ابن الكتبي أن بعض الأطباء لايفرقون بين اصطلاحات (المندمل، والملحم، والخاتم). وأن آخرين ميزوا بعضها من بعض. وابن سينا ممن ميزها وبيّن حدَّ كل منها على تقارب معانيها.

واشتقاق الخاتم لغةً هو من الختم ومعناه التغطية على الشيء والاستيثاق من

---

* ما لايسع الطبيب جهله ١١، ولسان العرب وتاج العروس وغيرها (ختم).

(١) الخشكريشة هي تلك القشرة التي تتكون على سطح الحروق والجراحات قبيل تمام برئها.

(٢) في القانون المطبوع ببولاق «الفاعلَيْن» والصواب الذي أثبته من طبعة رومة والمراد بالفاعلتين الحرارة والبرودة.

أن لا يدخله شيء، كما جاء في لسان العرب.

خاصّية *

خاصية، خواص، خاصيات بالخاصية، بخاصية (للدواء)	١: ٩٦، ٩٧، ١١٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤؛ ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧؛ ٢٩٩، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨. ٣٥١، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩١، ٤٠٦، ٤٠٧؛ ٤١١، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٤٣، ٤٤٤؛ ٤٥٦، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨/ ٢: ٦١، ٧٥؛ ٩٤، ١٠٨، ١١٨، ١٣٢، ١٤٠، ١٥٣؛ ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ١٨٤، ١٩١؛ ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨؛ ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٠٩؛ ٣٢٢، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٢. ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٣. ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٥، ٤٨٥. ٥٠٢، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٣٩، ٥٤٨، ٥٧٥، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٩٩، ٦١٣/ ٣: ١٣٣؛ ١٣٩، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٨، ٢٢١، ٢٢٥؛ ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٣؛ ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١، ٤٣٨.
خاصة	٣: ٢٩٧

* الكليات ٢: ٢٩١، ومعجمات اللغة (خصص).

خصوصية ٢: ١٢٤

في كتاب الأدوية المفردة نظم ابن سينا كلامه على كل منها في جداول حسب تعبيره - الأول منها لماهية العقار، والثاني للاختيار، والثالث للأفعال والخواص... الخ، وهو كثيراً مايقول في أثناء كلامه على عقّار ماإنه يفعل كيت وكيت بالخاصية، أو يقول إنه يفعل بخاصيّة لا بكيفيّة، ويستعمل أيضاً كلمة خاصة المألوفة. ويظهر من استقراء الكتاب أن هناك فرقاً بين الاسمين نبه عليه مؤلف الكليات إذ قال: «والخاصية بإلحاق الياء تستعمل في الموضع الذي يكون السبب مخفياً فيه، كقول الأطباء: هذا الدواء يعمل بالخاصية، عبّروا بها عن السبب المجهول للأثر المعلوم، بخلاف الخاصة فإنه في العرف يطلق على الأثر أعم من أن يكون سبب وجوده معلوماً أم لا. يقال: ماخاصة ذلك الشيء؟ أي ما أثره الناشئ منه؟ والخواص اسم جمع الخاصّة، لاجمع الخاصية لأن جمعها الخاصيّات»

وماورد في كتاب القانون لايخرج عن التعريف السابق، بل يدعمه ويؤيده العنوان الذي وضعه ابن سينا لأحد جداول الأدوية وهو الأفعال والخواص فمراده بالخواص جمع الخاصية لذا ميزها من الفعل ولولم يرد المعنى الذي أشار إليه مؤلف الكليات لقال: الأفعال أو الخواص.

خاليدونيون *

خاليدونيون ١: ٤٦٣

خاليدونيون صغير ١: ٤٦٣

خاليدونيون كبير ١: ٤٦٣

جاء في كتاب الأدوية المفردة قول ابن سينا: «خاليدونيون. الماهية: قال

* كتاب ديسقوريدس ٢٣٢، والحاوي ٢٠: ٣٩١/ ٢٢: ٣٥٢، والصيدنة ١٧٠، ومنهاج البيان ٩٧أ، والمختارات ٢: ١٩٨، والجامع ٢: ٤٦، والشامل ٢٤٩، ومالايسع ١٩٧، والتذكرة ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ٤٧ (١)، وانظر (عروق) و (ماميران).

بعضهم هو العروق، ويقال له ماميران، وقال آخرون صغيره الماميران وكبيره الزردجوق. الخواص: منه جنس صغير حار مقرّح... يقلع الجرب.. يسكن وجع السن.. إذا غليت عصارته أحدَّ البصر».

أورد الرازي هذا الاسم في كتابه الحاوي ضمن الجداول الخاصة بالأسماء المجهولة فجعل بإزاء خليدونيون رمزًا يدل على أنه اسم يوناني وذكر في حقل المعلوم «الخطاطيف هذا هو ردحون[1]، وهو الصفر، وهو الماميران الكبير. وقال ذلك حكيم بن جبير، فإذا قال خاليدونيون كبير فهو الماميران الكبير، وإذا قال خاليدونيون صغير فهو الماميران». أما في كتاب ديسقوريدس فنجد عقارين نباتيين الأول هو خاليدونيون الكبير نعته بقوله: «له ساق طولها ذراع وأكثر دقيقة يتشعب منها شعب، كثيف الورق.. لونه إلى الزرقة ومع ورقه زهره الذي يقال له لوقيون، ولون عصير هذا النبات لون الزعفران وطعمه حريف[2] يلذع اللسان لذعًا يسيرًا، وفيه شيء من مرارة، منتن الرائحة، وأعلى الأصل واحد وأسفله متشعب، وله ثمر شبيه بثمر الخشخاش.. دقيق طويل مثل الصنوبرة، فيه بزر أعظم من بزر الخشخاش..» ثم ذكر فائدة أصله في تقوية البصر. أما العقار الآخر فهو «خاليدونيون الصغير.. هو نبات مرتفع الأغصان له ساق عليها ورق شبيه بورق النبات الذي يقال له قسوس إلا أنه أشد استدارة وأصغر وأنعم وأقرب إلى اللزوجة، وأصله ذو شعب تخرج من موضع واحد شبيهة بحنطة مجموعة ويكون ثلاثة أو أربعة أطول من الباقية.. يقرح الجلد ويقلع الجرب..» الخ

هذا ما كان معروفًا زمن ديسقوريدس، لكن الظاهر أن هذا العقار عرف

---

(١) كذا في الحاوي، وفي الصيدنة نقلاً عن الحاوي «هو الرزجوبك».

(٢) في المرجع المطبوع «حريق» وما أثبته هو الأشبه.

بأسماء كثيرة في المراجع العربية أشهرها الاسم العربي العروق، والعروق الصفر. وعروق الصباغين، ومنها ماميران من الفارسية.. واسمه العلمي مأخوذ من اليونانية وهو chelidonium majus نبات بري من الفصيلة الخشخاشية.

خاليدونيون كما قلنا معرب من اليونانية. قال ديسقوريدس في تفسيره: «يظن قوم أن هذا النبات سمي خاليدنيون لأنه ينبت إذا ظهرت الخطاطيف ويجف مع غيبها، وقد يظن قوم أنه سمي بذلك لأنه إذا عمي فرخ من فراخ الخطاطيف جاءت الأم بهذا النبات إلى فرخها فردت به بصره» ونقلت المراجع الأخرى عنه هذا التفسير، لذلك سماه بعضهم باسم الخطافيّ» ترجمةً لاسمه اليوناني.

خامالاون*

(كماليون)

خامالاون	١: ٣١٠، ٤٦٤/ ٣: ٢٢٤
خامالاون الأسود	١: ٤٦٤
خاماليون	١: ٣٤٠
كماليون	١: **٣٤٠**
أصول خامالاون الأبيض	١: ٤٦٤
ورق خامالاون الأبيض	١: ٣٩٥، ٤٤١
ورق الخامالاون الأسود	٣: ٣٣٨

*** كتاب ديسقوريدس ٢٤٣، والحاوي ٢٠: ٤١٨، والملكي ٢: ١٠٥، والصيدنة ١٧٠ (خامالاون)، ٣٢١ (كماليون)، ومنهاج البيان ٩٧أ، والمنتخب ١: ٢٣ (اشخيص)، ومفردات ابن البيطار ١: ٣٦ (اشخيص)، ٢: ٤٦ (خامالاون)، ومنهاج الدكان ١٨٦، والشامل ٢٤٩: ومالايسع الطبيب جهله ١٩٧، تذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ٢٧ (٥). ٣٩ (١٤). وانظر مازريون.**

في كتاب الأدوية المفردة في القانون عقاران أحدهما في باب الخاء باسم خامالاون والآخر باسم كماليون. قال ابن سينا في خامالاون: «الخواص: لايُشرب في شيء، ولكن يستعمل من خارج. الزينة: يطلى على البهق. القروح: يطلى على الجرب والقوابي.. أعضاء الغذاء: يُسقى من أصول الأبيض لصاحب الاستسقاء. أعضاء النفض[1]: أصول الأبيض منه تقتل الديدان. السموم: في الأسود منه شيء قتّال» وظاهر من هذا الكلام أن الصنف الأسود منه فقط هو الذي يستعمل من خارج، أما الأبيض فتُسقى أصوله. وقال في كماليون: «الماهية: صنف من المازريون[2] أسود قتال. وهو أيضًا المعروف بخاماليون وقد تكلمنا بذلك فيما سبق.

ووصف ديسقوريدس في كتابه نوعي هذا العقار فقال: «خامالاون لوقس. وهو خامالاون الأبيض.. ورق هذا النبات يشبه ورق الشوكة التي يسميها أهل الشام العكُّوب.. وورقه أخشن وأحدّ أطرافًا وأصلب من ورق الخامالاون الأسود، وليس له ساق ينبت في شوكة شبيهة بشوكة القنفذ البحري أو شوكة النبات الذي يقال له القنارا، وله زهر شبيه بلون الفرفير، وهو مثل الشعر، وثمر شبيه بالقرطم، وأصله في الأرض الجيدة التربة غليظ، وفي الأرض الجبلية دقيق. ولون داخله أبيض، في رائحته شيء من طيب وكراهية وهو حلو، وإذا شرب أخرج حب القرع[3]..» ثم قال: «خامالاون أسود، وهو نبات ورقه أيضًا شبيه

---

(١) يريد أجهزة الجسم التي تطرح الفضلات إلى خارجه كالأمعاء والكلى ومسام الجلد والرحِم.. الخ.

(٢) المازريون نبات غير الخامالاون أو الكماليون نعته ديسقوريدس في كتابه ص ٣٦٦ وسماه خامالايا فلعل قوله المازريون من خطأ التراجمة أساسًا ونجده في بعض المراجع الأخرى غير القانون، وهي تسمي خامالاون المازريون الأسود. انظر معجم أحمد عيسى.

(٣) أي الدودة الشريطية الوحيدة.

بورق الشوك الذي يقال له سقولومس إلا أنه أصغر منه وأدق وفيه حمرة إلى حمرة الدم، وله ساق في غلظ إصبع، طوله شبر، لونه إلى حمرة الدم، عليه إكليل وزهر شوك دقاق لونه شبيه بلون زهر النبات الذي يسمى يواقنتس وفيه نقط، وأصل غليظ أسود كثيف، وربما كان متآكلاً. لون جوفه إلى الحمرة ماهو، إذا مضغ لذع اللسان، وينبت في الصحارى اليابسة والتلال والسواحل. وإذا سحق الأصل وخلط بشيء من القلقنت وصفوة القطران وشحم عتيق قلع الجرب..»

ثم تناقلت كتب المفردات العربية كالمنتخب والجامع وغيرها أقوال ديسقوريدس السابقة وقول جالينوس إن في أصله شيئًا قتالاً، ولذلك إنما يستعمل من خارج. وقالت إن اسمه بالعربية هو الإشخيص، ويعرف بالمغرب بشوكة العلك لأن له صمغًا كالمصطكى، ويقال له أيضًا أسد الأرض.. قال الكوهين العطار في منهاج الدكان «لأنه لاينبت حوله شيء من أنواع النبات وفي معجم أسماء النبات أن أسد الأرض هو الحرباء وهي ترجمة Caméléon ، ومن أسمائه أيضًا المازريون الأسود.

والاسم العلمي لخامالاون الأبيض هو - كما في معجم أسماء النبات - Atractylis gummifera، وخام الاون الأسود Cardopatium corymbosum كلاهما من فصيلة المركبات.

ومصطلح خامالاون معرب من اليونانية ومعناه الحرباء، فسمي به هذا النبات بسبب لونه، قال ديسقوريدس «ويسمى هذا النبات خامالاون لاختلاف الورق، فإنها توجد خضراء جدًا، وإلى البياض ماهي، وإلى لون السماء، وإلى حمرة الدم، على قدر اختلاف الأماكن التي ينبت فيها» ونجده في المراجع العربية بألفاظ خامالاون وخماليون وكماليون.

خامدروس

خامدروس ٣: ٣٣٨

في الكتاب الخامس من كتب القانون تكلم ابن سينا في المقالة الأولى منه على المعاجين القديمة المشهورة منذ زمن اليونانيين، فجاء في أخلاط معجون ينسب إلى سانيطس قوله: «يؤخذ أصول السوس، سيساليوس، كمادريوس. خامدروس، هوفاريقون..» الخ وخامدروس هو نفسه كما دريوس كما نص عليه في كتاب ديسقوريدس وغيره، فلعل اللفظة زيادة من بعض النساخ. انظر مادة (كمادريوس) التي ستلي بإذن الله.

خانق الذئب *

خانق الذئب ١: ٣٥٨، ٤٦٠/ ٣، ٢٢٦، ٢٣٩

قاتل الذئب ١: ٤٢٤

جاء في فصل الخاء من مفردات القانون قول ابن سينا: «خانق الذئب. الخواص: دواء يخنق الذئاب والخنازير والكلاب معفّن جداً لايستعمل داخلا ولاخارجاً. السموم: هو قاتل للذئاب، وقد قيل فيه في باب[1] القاف» وفي فصل القاف جاء قوله: «قاتل الذئب. الخواص: قوته قوة خانق النمر إلا أنه يختص بالذئاب» وهكذا لم يصف هذا العقّار في أيٍ من الموضعين وفي المراجع اضطراب كثير وتداخل في الكلام على نباتات سامة أطلقت عليها أسماء خانق الذئب، وقاتل الذئب، وخانق الكلب، وقاتل الكلب.. فبعضهم يرى أنها نبات

---

* الصيدنة ١٦٩، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٩، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٤، والشامل ٢٤٩، ومالايسع (خانق النمر والذئب)، والتذكرة ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ٤(١٦)، ٥(١)، ٩٢(١٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢، والمعجم الموحد ٢: ٢٠٩، ومعجمات اللغة (خنق). وانظر المادتين التاليتين.

(١) كذا في القانون المطبوع، والصواب «فصل» حسب تقسيمات القانون.

واحد[١]، وبعضهم يرى أنها نوعان لجنس واحد، وبعضهم يرى أنها ثلاثة أنواع. أما ابن البيطار فنقل وصف كل منها عن ديسقوريدس[٢] فقال في «خانق الذئب ويسمى قاتل الذئب، ديسقوريدس في الرابعة: قد يكون صنف من الاقونيطن[٣] ومن الناس من يسميه اوفقطوس وقد ينبت كثيراً بالبلاد التي يقال لها إيطاليا في الجبال.. وله ورق شبيه بورق الدلب، إلا أنه أشد تشريفًا منه وأصغر بكثير وأشد سواداً،، وله ساق شبيه بساق النبات الذي يقال له بطارس. وأغصان جرد طولها نحو من ذراع أو أكثر قليلاً، وثمر في غلف ذات طول يسير، وعروق شبيهة بأرجل الأربيان. مبرِّد، وتستعمل في قتل الذئاب». ثم تناقلت المراجع العربية هذا الوصف عن ديسقوريدس، ونصت جميعًا على أن خانق الذئب هو نفسه قاتل الذئب، واختلفت في الأسماء الأخرى.

الاسم العلمي لهذا النبات كما ورد في معجمي الدكتور أحمد عيسى والأمير مصطفى الشهابي هو Aconitum lycoctonum وربما تُرجمت به أصناف أخرى من نفس الجنس.

خانق الكلب *

خانق الكلب	١: ٤٦٠
قاتل الكلب	١: ٤٢٤

---

(١) مثل ابن جزلة الذي ذكر هذه الأسماء في المنهاج وتكلم عليها جميعًا وكأنها عقّار واحد.

(٢) في المرجع المطبوع «الافونيطس» وهو تصحيف.

(٣) لم أعثر على هذه النباتات في نسخة كتاب ديسقوريدس العربية التي اعتمدتها.

* الحاوي ٢٠: ٤٤، والصيدنة ١٧٠، والجامع ٢: ٤٤، والشامل ٢٤٩، ومالايسع ١٩٦، وتذكرة أولي الألباب ١: ٢٤٣، ومعجم أسماء النبات ١٩ (٨)، ١٧٥ (٤)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٧٣، والقاموس المحيط وتاج العروس (خنق). وانظر المادة السابقة (خانق الذئب) والتالية (خانق النمر).

في فصل القاف من كتاب الأدوية المفردة ورد قول ابن سينا: «قاتل الكلب. أعضاء الرأس: يحدث الرعاف. أعضاء النَفَس: يحدث نفث الدم. السموم: يقتل الكلاب.» وفي فصل الخاء قوله: «خانق الكلب: هو قاتل النمر وقد قيل فيه» !

وهذا الذي في فصل الخاء لم أجده إلا في القانون المطبوع بمطبعة بولاق. أما المطبوع برومة والمخطوطات والمصورة فليس فيها هذا الاسم، وأسترجح أن يكون أحد النساخ قد زاده على نسخةٍ توضيحاً وبياناً بعد المقارنة بما في كتاب ديسقوريدس، فأدخل طابعو القانون بمصر هذه الزيادة على طبعتهم، وعلى كل فإن بين هذين العقارين والعقار الثالث المسمى بخانق الذئب تداخلاً أشرت إليه في المادة السابقة.

ولم يبين ابن سينا كمالاحظنا صفة هذا العقّار، على حين نقل ابن البيطار تحليته عن ديسقوريدس فقال: «خانق الكلاب. ويسمى أيضاً قاتل الكلاب. ديسقوريدس في الرابعة[1]: هو ثمنش له قضبان طوال دقاق عسرة الرض، وله ورق شبيه بورق النبات الذي يقال له قسوس إلا أنه ألين منه وأحدّ طرفاً، ثقيل الرائحة، ريان من رطوبة لزجة صفراء، وله حمل شبيه بغلف الباقلاء في طول أصبع، في جوفه بزر صغير صلب أسود، وورق هذا النبات إذا خلط بالشحم وخبز معه وأُطْعِمَتْهُ الكلاب والذئاب والثعالب والنمور قتلها. وهو يضعف قواها ساعة تأكله ولايكون لها نهوض»، ونقل عن جالينوس أن رائحة هذه الحشيشة نفسها منتنة شديدة النتن. ونجد مثل هذا الكلام في كتابَيْ الشامل ومالايسع الطبيب جهله بغير زيادة.

والاسم العلمي لهذا النبات كما ورد في معجم الدكتور أحمد عيسى هو

(١) تصفحت مقالة ديسقوريدس الرابعة كلها ومستدركها أيضاً فلم أعثر على تحلية هذا العقّار.

Apocynum erctum، وجاء أيضًا في ترجمة نباتات أخرى في معجمه وفي معجم الأمير الشهابي

خانق النمر *

خانق النمر	١: ٣٥٨، ٤٢٤، ٤٦٠/ ٣: ٢٢٦، ٣٢٩
بزره	١: ٤٦٠
قضبانه	١: ٤٦٠
ورقه	١: ٤٦٠

ذكره ابن سينا في فصل الخاء من كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: قال ديسقوريدس هو نبت له قضبان دقاق طوال عسرة الرضّ، وله ورق شبيه بورق اللبلاب إلا أنه ألين منه وأحدّ طرفًا، ثقيل الرائحة، ريّان من رطوبة لزجة صفراء، وله حمل شبيه بغلف الباقلا في طول أصبع وفي جوفه بزر صغار، أسود .. ورق هذا النبات إذا خُلط بالشحم وخُبز بالخبز وأطعم للذئاب والكلاب والثعالب والنمور قتلها، وهو يضعف[1] قوتها ساعة تأكله. لايُستعمل لاداخلا ولا خارجًا.. سمٌّ قتال، قيل إذا قرِّب من العقرب أخمدها».

لم أجد اسم النبات الخانق بإضافاته الثلاث (الذئب، النمر، الكلب) في الطبعة العربية لكتاب ديسقوريدس، ولكن ابن البيطار وغيره[2] نقل ماقاله

* الحاوي ٢٠: ٤٤، ومفاتيح العلوم ١٧٤، والصيدنة ١٦٩، ومفيد العلوم ٤٣، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٤، والشامل ٢٤٨، ومالايسع ١٩٦، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩، ومعجم أسماء النبات ٤ (١٦)، ٣٩ (١٤)، ٧٢ (٥)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢، وتاج العروس (خنق). وانظر المادتين السابقتين.

(١) في الجامع لابن البيطار «قوائمها ساعة تأكله فلا يكون لها نهوض».

(٢) كالشامل ومالايسع الطبيب جهله وتذكرة الأنطاكي، وما فيها بعبارة مشابهة لما في الجامع لابن البيطار.

ديسقوريدس في صفة خانق النمر فكان كلاماً آخر غير الذي نقله ابن سينا عنه على أنه صفة خانق النمر، وهو ما أثبته آنفًا وورد عند ابن البيطار وغيره على أن صفة خانق الكلب.

وخانق النمر كما جاء في مفردات ابن البيطار نقلاً عن ديسقوريدس هو: «قال ديسقوريدس في الرباعة: اقونيطن هو نبات له ثلاث ورقات أو أربع شبيهة بورق النبات الذي يقال له فقلامينوس أو ورق القثاء[1] إلا أنه أصغر منه، وفيه خشونة، وله ساق طوله نحو من شبر وأصلٌ شبيه بذنب العقرب، يلمع مثل القوارير. وقد زعم بعض الناس أن أصل هذا النبات إذا قُرِّب من العقرب أخمدها وإذا قُرِّب الخربق منها أنعشها.. وإذا صيِّر في اللحم وأُطعِمَتْه النمور والخنازير والذئاب.. قتلها. وفي الصيدنة لم ينقل البيروني عن ديسقوريدس بل نقل عن الدمشقي والرازي وابن مندويه مايفيد أن خانق النمر حشيشة تقتل السباع عامة، وأنها هي وخانق الذئب نوعان من اقونيطن.. أما ابن الحشاء الذي شرح ألفاظ المنصوري للرازي فلم يأت في شرحه إلا بما عرفه يقينًا ولم يلجأ إلى ترداد مافي الكتب السابقة، فإنه قال في خانق النمر: «هو نبات غير معروف بالمغرب».

والاسم العلمي لخانق النمر وخانق الذئب كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية هو Aconitum Lycoetonum، وهناك تداخل في كلام ابن سينا وغيره من المصنفين على ماهية الأسماء المذكورة في هذه المادة والمادتين السابقتين مما يصعب معه تمييز أحدهما من الآخرَيْن. وقد تكون هي الثلاثة أصنافًا لنوع واحد من النبات.

(١) في المطبوع (القثا) وما أثبته من ما لايسع الطبيب جهله.

خبَّازَى*

خبازى	١: ٣٧٢، ٤٥٨، ٤٦٠/ ٢: ٢٢٧، ٢٣٢. ٣٧٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٩٤/ ٢: ٢٢٧، ٢٣٢، ٣٧٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٩٤/ ٣: ١٥٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٥٤، ٢٦١
خبازى بري	١: ٤٦٠، ٤٦١/ ٢: ٥٠٥
خبازى بستاني	١: ٤٦٠، ٤٦١/ ٢: ١٨١
خبازى نيئ	: ٤٦١
أصل الخبازى	٢: ٥٠٦
بزر الخبازى	١: ٤٦١/ ٢: ٢٢٤، ٢٥٦، ٣٤١، ٥٠٥. ٥٣١/ ٣: ٢٢١، ٣٦٢
حب الخبازى البري	٢: ٥٣١
رائحة الخبازى	١: ٢٥٩
زهر الخبازى	١: ٤٦١
شراب الخبازى	١: ٤٦١
ضماد الحلبة والخبازى	٢: ٤٤٨
طبيخ الخبازى	١: ٤٦١

* كتاب ديسقوريدس ١٩٢ (ملوخي)، وكتاب النبات ١: ١٦٢، والحاوي ٢٠: ٤٢٦، والملكي ١: ١٨٤/ ٢: ١٠٩ (بزر الخبازى)، والصيدنة ١٧١، ومنهاج البيان ٩٩أ، والمختارات ٢: ٢٠٠، ومفردات ابن البيطار ٢: ٤٦، والمعتمد ١١٥، والشامل ٢١٥، ومالايسع الطبيب جهله ١٩٧، وحديقة الأزهار ٣٠٧ (٣٣٨)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٢٩، وقاموس الأطباء ١: ٢٠٦، ومعجم أسماء النبات ١١، ١١٤ (٩)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤١٦، ومعجمات اللغة القاموس واللسان والتاج وغيرها (خبز). وانظر مادتي (خطمي) و (ملوخيا) في معجمنا هذا.

طبيخ الخبازى البستاني	٢: ٢٥٤/ ٣: ٢٣٧
عصارة الخبازى	٣: ٢٢٣، ٢٤٠
عصارة ورق الخبازى	٣: ١٦٣
قضبان الخبازى	٣: ٢٣٢
قضبان الخبازى البستاني	١: ٤٦١
ماء الخبازى	١: ٤٦١/ ٣: ٢٦١
مياه طُبِخ فيها الخبازى..	٢: ٤٤٩
مَرَق الخبازى	٣: ٢٢١
مرق الخبازى البستاني	٢: ٢٨٠
ورق الخبازى	١: ٤٦٠/ ٣: ١٦٣، ٢٢١
ورق الخبازى البري	١: ٤٦٠/ ٢: ٥٠٦

تكلم ابن سينا في أدوية القانون المفردة على الخبازى فقال: «خبازى: الماهية: نوع من الملوخيا. وقيل الخبازى هو البري، والملوخيا هو البستاني. ومن الخبازى نوع يقال له ملوخيا السحرة، وهو الخطمي وبقلة اليهود. وليس بعيد أن يكون من أصنافه، وهو أحمر..» ثم يبين استعمالاته الطبية ومنها أنه ينفع من القروح والنواصير، ويلين الصدر، وينفع لقروح الكلى والمثانة، ويسكن ألم اللسعات ضماداً. وفي كلامه على الملوخيا قال: «هو الخبازى».

وجاء في كتاب ديسقوريدس قوله: «ملوخي وهو الخبازى البستاني، وهو الذي يسميه أهل الشام الملوكية، يصلح للأكل أكثر مما يصلح له البري، وهو رديء للمعدة، ملين للبطن، وخاصة قضبانه، نافعة للمعى والمثانة..» ثم ذكر فوائد هذا النبات ولم يزده وصفًا ولذلك نجد كتب المفردات بعده تنقل هذا التداخل في اسمَيْ الملوخيا والخبازى وتضيف إليهما الخطمي، فمن ذلك مانقله ابن البيطار في كتابه الجامع عن عالم لم يُسَمِّه إذ قال: «بعض علمائنا: منه

بستاني يقال له الملوكية، ومنه بري.. ومنه كبير كالخطمي» فكان اسم الخبازى يطلق على هذه الأنواع جميعًا، ثم خص أحدها دون الآخرَين باسم الخبازى. فقال مؤلِّف الشامل مفصلاً الأنواع السابقة: «الخبازى يُقال على ثلاثة أنواع. أحدها الخطمي وسنتكلم عليه، وثانيهما الملوخيا وسنتكلم عليه، وثالثها يخص في العرف العام باسم الخبازى، وهو الذي نتكلم فيه الآن، وهو البري، والملوخيا البستاني، لأن الملوخيا يُزرع ويربى في الحقول والبساتين ولا كذلك الذي هذا نتكلم فيه الآن وهو الذي يُخَصُّ باسم الخبازى، فإن هذا النوع ينبت بغير زراعة ولا تربية ويخالف الملوخيا في هيئته، فإن هذا ورقه مستدير، والملوخيا ورقها إلى الطول، والملوخيا يورق القضيب الواحد منها أوراقًا كثيرة، ولا كذلك الخبازى. فإن القضيب عليه ورقة واحدة في أعلاه، ووتخرج القضبان كلها من أصل واحد، ويختلف مقداره في البقاع ... وقول الخبازى على هذه الأنواع الثلاثة كلها قولُ الجنسِ على أنواعه لاقول المشترك على معانيه، لأن هذه الأنواع الثلاثة كلها مشتركة في طبيعة واحدة هي التي تسمى بالخبازى..»

أما ابن الكتبي ففصل هذه الأنواع تفصيلاً أسهل متناولاً إذ قال: «خبازى هو نوعان بستاني وبري، والبستاني يسمى الملوكية والملوخية، والبري نوعان: حشيشي وهو معروف ينبت قرب السواقي وبين الزروع.. وإذا أطلق لفظ الخبازى فإنما يراد هذا النوع فقط وشجري وهو الخطمي».

والاسم العلمي للخبازى هو **Malva** ولها أصناف كثيرة منها تلك التي نزرعها للتزيين ولها أزهار حمراء مختلفة الحمرة، والتي نزرعها لطيب رائحتها ولها أزهار بنفسجية ونسميها في دمشق (العطرة) ومنها الخبازى التي تنبت في البساتين والزروع أيام الربيع فيُتَّخذ منها طعام يسير الكلفة.

يقال خُبَّاز وخُبَّازة وخُبَّازى. وجاء في كتاب النبات لأبي حنيفة «الخبَّاز مذكر ويؤنث فيقال خبازة، وإذا ذكرّ فواحدته خبازة».

خَبَث *

خبث، أخباث	١: ٣٢٣، **٤٦٣**/ ٣: ٢٧١، ٢٧٤، ٢٩٣، ٣٥٤
خبث بصري	٣: ٣٥٣
خبث مطبوخ	٣: **٣٥٣**
خبث منقوع	٣: ٤٣٣
خبث الأسرب	انظر (أسرب)
خبث التوتيا	انظر (توتياء)
خبث الحديد	انظر (حديد)
خبث الرصاص	انظر (رصاص)
خبث الفضة	انظر (فضه)
خبث النحاس	انظر (نحاس)
جوارشنات الخبث	٢: ٣٢٦
جوارشن خبث الحديد	٢: ٣٣٦
معجون الخبث	٣: ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٢

الخبث من الأدوية الكيماوية التي ذكرها ابن سينا في مفرداته، ولم يحدد ماهيته بل تكلم على أنواعه وفوائده فقال: «خبث: الاختيار: أقوى الخبث تجفيفاً خبث الحديد.. يحلل الأورام الحارة.. خبث الفضة ينفع من الجرب.. خبث

---

* الملكي ٢: ٥٧٤ (طبيخ الخبث)، والصيدنة ١٧١ (خبث الفضة)، ومنهاج البيان ٧٤أ (جوارشن الخبث)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٨، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٧، والمعتمد ١١٦، ومالايسع ١٩٩، وتركيب مالايسع ٢٨أ (جوارشن الخبث)، ٨٨أ (معجون الخبث، نسختان)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٠ (خبث)، ٢٩٧ (معجون خبث الحديد)، ومعجم الشهابي ٥٩٤ (خبث الحديد)، والمعجم الموحد، كيمياء ٧٤، ومعجمات اللغة (خبث).

الحديد يمنع نزف البواسير..» وذكر في تضاعيف الكتاب أنواعًا أخرى من الخبث ألحقت كلاً منها باسم العنصر الذي أضيفت إليه.

عدَّت كثير من العقاقير العربية الخبثَ في مفرداتها، ومنها مايتكلم على بعض أنواع الخبث كخبث الحديد، وهو أكثر الأنواع استعمالاً في الطب. وخبث الفضة وغيرها. وعرف ابن الكتبي الخبث بقوله: «هو وسخ الأجساد المتطرقة إذا سبكت ونقّيت أو خلّصت من معادنها وصَفَت، وأجوده وأقواه فعلا خبث الحديد» فهو إذًا من الأكاسيد والأملاح المعدنية التي تتكوّن عند استخلاص العناصر من معادنها، وكان القدماء يعدّونها في الأدوية المفردة دون أن يتمكنوا من تمييز المركبات الكيماوية بعضها من بعض بالدقّة المطلوبة، وقد سجل لنا الزبيدي في تاج العروس خلاصة مايفهم من هذه الكتب في تعريف الخبث فقال: «.. وخبث الحديد والفضة.. مانفاه الكِير إذا أُذيبا وهو مالاخير فيه»

والاسم العلمي للخبث هو Scoris ويسمى خبث الحديد بالفرنسية Scorie de fer، كما يطلق اسم خبث الحديد على سماد فوسفوري يحصل في صناعة الفولاذ اسمه Scories de déphosphoration.

أما ماذكره ابن سينا وغيره باسم جوارشن الخبث أو جوارشن خبث الحديد أو معجون خبث الحديد فهو دواء مركب لم يبين ابن سينا في القانون طريقة تركيبه، وبينها كل من المجوسي في الملكي، و ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله، والأنطاكي في التذكرة، وغيرهم. وأساس هذا الدواء أن يُنقع خبث الحديد في الخل أيامًا ثم يؤخذ ذلك السائل، ويخلط بعقاقير نباتية مختلفة كالهليلج والفلفل والسعد والسنبل وغيرها.

وأصل معنى الخبث في اللغة العربية الرديء السيِّئ، من خَبُث يخبث ضد طاب. جاء في تاج العروس «أصل الخبث في كلام العرب المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم.. وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو

الضار، ومنه قيل لما يرى من منفي الحديد الخبث، ومنه الحديث إن الحمى تنفي الذنوب كما ينفي الكير الخبث، وخَبَث الحديد والفضة محركة، مانفاه الكير إذا أذيبا، وهو مالاخير فيه..».

خُبْز *

خُبْز ١: ٩٧، ١٥٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٧، ٢٦٤، ٢٧٧، ٢٨٦. ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٩، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٧٠، ٤٦٠، **٤٦٢**، ٤٦٨/ ٢: ٣٩، ٤١. ٤٣، ٧١، ٨٩، ٩٨، ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٦٩، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٠٦، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٤٤، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٨٤، ٥٣١، ٦١٧/ ٣: ٣٣، ٣٥، ٤١، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٦٣، ١١٨، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٨، ١٦٢، ٢٤٥، ٢٥٠، ٣٠٢، ٣٩٤، ٤٣٤.

خبزٌ إلى الفطرة ٢: ٣١١

---

* الحاوي ٢٠: ٢٨٧ ومابعدها ضمن الكلام على الحنطة، والملكي ١: ١٧٩، والصيدنة ١٧٠، ومنهاج البيان ٩٧ب ومابعدها، ومختارات ابن هبل ١: ٢٣٤، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٤٨، والمعتمد ١١٧، والشامل ٢١٧، ومالايسع ١٩٩، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٠، وقاموس الأطباء ١: ٢٠٦، ومعجمات اللغة (خبز)، وانظر (حوارى) و (خشكار) و(خندروس) و (سميد).

خبز منقوع في خل ممزوج	٢: ٢٣٤
خبز نضيج متوبل من عجين خمير	٢: ٢٢١
خبز نقي	٢: ٤٨٤، ٥٧١، ٦٢٧/ ٣: ١٤٣
خبز نقي حار	٣: ٣٢
خبز نيئ	٢: ٥٠٠
حبوب الخبز	١: ٢٧٧
رائحة الخبز	٢: ٤٤٧
ضماد الخبز	١: ٤٦٣
لباب الخبز، لب الخبز، لبوب الخبز	١: ١٥٤، ٤٦٢/ ٢: ١١٨، ١٥٩، ٢٢٤ ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٢، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٦٩ / ٣: ١٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠
لباب الخبز الحار	٢: ٣٥٨
لباب الخبز السميذ، السميد	٢: ٣٤٣، ٤٤٦، ٦٢١

الخبز معروف، وهو غذاء أساسي لمعظم شعوب العالم، ذكره ابن سينا في مفرداته فِعْلَ الأطباء الآخرين، فبيَّن الفروق بين أصنافه المختلفة وخصائص كل منها مما يمكن الاستفادة منه طبيًا إذ ينصح مريضه بتناول صنف معين منه بحسب حالته الصحية، ومما قاله ابن سينا في هذا المجال ـ وكثير منه منقول عن القدماء ـ: «يجب أن يكون الخبز نقيًا مملوحًا مملَّك العجين .. السميد أغذى من غيره.. الخبز الذي من الحنطة الحديثة يسمِّن بسرعة.. الخبز الخشكار مليِّن للطبيعة. والحوّارى عاقل..الخ».

فالخبز كما في القانون وغيره أصناف كثيرة تختلف باختلاف الحب الذي يصنع منه كخبز الحنطة وخبز الخندروس، وهي الحنطة الرومية، وخبز الشعير، وغير ذلك، أو باختلاف نقاوة هذا الحب كخبز السميذ أو الحوّارى، وهو يصنع

من دقيق الحنطة النقية المقشورة، والخبز الخشكار وهو الذي يصنع من الحنطة المطحونة مع قشرها، أو باختلاف طريقة الخبز، كالخبز الفطير، وهو الذي يخبز بعد عجنه مباشرة، والمخمَّر، وهو الذي تضاف إليه قطعة عجين حامضة ويترك مدة يتخمر خلالها، وخبز التنور الذي يخبز في التنور، وخبز القطائف الذي تكون عجينته لينة متخمرة جداً وتصب على سطح حار وفي المراجع أصناف أخرى مثل خبز الفرن وخبز الطابون وخبز الملة وخبز الطابق.. الخ وماشتهر من هذه الأصناف باسم خاص به فقد تكلمت عليه بتوسع في المادة المناسبة مثل: حنطة وحوارى وخشكار وخمير وخندروس وسميد وغيرها. فاطلب تلك المواد في مواضعها من معجمنا هذا.

جاء في تاج العروس «الخبز بالضم معروف، وبالفتح: ضرب البعير بيده الأرض، هو على التشبيه، وقيل سمِّي الخبز به لضربهم إياه بأيديهم وليس بقوي»، ويقال خَبَزَ الخبزَ يخبزه خَبْزاً من باب ضرب إذا صنعه.

خَبِيص *

خبيص، أخبصة	١: ٤٥٧/ ٢: ٣٦٧، ٦٢٧
الأخبصة الرطبة	٢: ٥٨٧

الخبيص من الأغذية التي ذكرت عَرَضًا في كتاب القانون، ولم يبين ابن سينا صنعتها ولا فوائدها، على حين فعل هذا غيره من مؤلفي كتب الأدوية. ومنهم ابن جزلة الذي بيّن في كتابه منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان أصنافاً من الخبيص فقال: «خبيص: أجوده ماكان باللباب النضيج.. وصنعته: لب خبز سميد مفروك كالفتيت، نصف رطل دهن لوز أو شيرج ربع رطل. يجعل الدهن في طنجير ويغلى وينثر عليه الخبز المفتوت ويحرك على نار هادئة ثم يطرح عليه

* منهاج البيان ٩٩ب، ومختارات ابن هبل ١: ٢٤٦، وكتاب الطبيخ ٧٣ (فصل في الأخبصة) ومفيد العلوم وتركيب مالايسع ٤٠ب، ومعجم الألفاظ الزراعية للشهابي ٤١٤؛ ومعجمات اللغة (خبص).

رطلُ سكر نقيًا مدقوقًا منخولاً، ويحرك، ويترك رطيًا، ويغرف فيجعل فوقه السكر. ومن الناس من يجعل عوض الشيرج لبنًا حليبًا، وقد يجعل مع الدهن أوقية ماء ورد ويحرك.. وقد تعمل على وجه اخر..» ثم بين أصنافًا أخرى من الخبيص تختلف باختلاف مايضاف إليها كالسفرجل أو القرع أو اللوز .. وباختلاف طريقة الطبخ.

وفي كتاب الطبيخ المؤلَّف في أواخر القرن الخامس الهجري فصل خاص بالأخبصة وأصنافها وطرق صنعها، وفي تركيب مالايسع الطبيب جهله تعريف موجز لها قال فيه «هذه نوع من الحلاوات، يُعمل من بعض الحلاوات مع دقيق سميذ أو خبز مفتوت وبعض الأدهان، ويطبخ حتى يحتكم ويرفع. ويسمى هذ الخبيص الساذج».

وترجم الأمير الشهابي في معجمه لفظ Marmelade بالخبيص والخبيصة وقال في تعريفه «مربى ثمار طبخت بالسكر وقليل من الماء فاختلطت أجزاؤها وماعت قليلاً» على حين يظهر من كلام القدماء أن الخبيص لا يخلو من الخبز أو الدقيق فاسم الخبيص لايقابل ذلك الاسم الأجنبي وفي الترجمة بعض التجاوز.

وفي معجمات اللغة: خبصه يخبصه: خلطه، فهو مخبوص وخبيص، ومنه الخبيص المعمول من التمر والسمن حلواء معروف يخبص بعضه في بعض. ويقال الخبيصة، أو الخبيصة أخص منه.

خدا

خدا ١: ٣٠٨

في الكلام على (زوفرا) نقل ابن سينا قول قوم «يشبه حب هذه الشجرة حب الأنجدان يقال لها الخدا، وهو يشبه السذاب ويقال لها دينارويه».

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع واختصر من المصوَّرة، وهو تصحيف صوابه حزا كما جاء في مواضع أخرى من كتاب القانون وكما جاء في المصادر والمعجمات.

(المقالات والآراء)

الحارث بن أسد المحاسبي

من الروّاد الأوائل في قصص المعراج وتخيُّل صور الحياة الآخرة

د. عبد الكريم اليافي

وُلد الحارث بن أسد المحاسبي بالبصرة نحو ١٦٥هـ/ ٧٨١م. اسم أبيه أسد، وكنية الأسد أبو الحارث، فربما سمّى ابنَه الحارث توكيدًا لهذه الكنية.

جاء الفتى باكرًا إلى بغداد، وكانت إذ ذاك عاصمة الدنيا في العلم والحضارة والازدهار، ونشأ نشأة حافلة بالتقوى والفقه والعلم. وتوفي عام ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م. وهو من كبار الصوفية، وأوائل علماء الكلام، وأعلام الوعّاظ البلغاء.

وأبرزُ ما في سيرة حياته وَعظُه وتعليمه، وكتبه الكثيرة، التي تزيد على المئة، والتي يتجلّى فيها احترامُه العميق للسُّنّة، وتشدُّده الخُلُقيّ، وبيانُه الذي يعتمد الترغيبَ والترهيب. وهو يندّد بنوازع الهوى ونوازع النفس، ويدقّق في التحليلات النفسية، وبعضِ التعريفات الفلسفية. ترجم له الكثيرون.

ويُورد الإمام القشيري في رسالته، عند ترجمته له، قولَ أبي عبد الله بن خفيف للمتصوّفة: «اقتَدُوا بخَمسةٍ من شيوخِنا، والباقُون سَلِّموا لهم حالَهم: الحارث بن أسد المحاسيّ، والجُنَيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس

ابن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق»[١].

وُلد الحارث في زمن الخليفة الهادي. ولّما تولّى هارون الرشيد الخلافة كان يناهز الخامسة من العمر. وقد عاصر الأمينَ والمأمونَ والمعتصمَ والواثقَ والمتوكّل، إذ توفي في عهده. وهكذا كان عصر الحارث أبهى عصور الخلافة العباسية، وأكثرَها غنًى ووَفرة وتألُّقًا. لقد كانت العلوم بأنواعها متقدمة أيَّ تقدُّم. وكانت الزراعة والتجارة والصناعة رائجةً أيَّ رواجٍ. كانت القوافل تجوب الطرق البريّة محملةً بأصناف السلع بين قطر وآخر. وكانت السفن تصل بين أقطار المعمورة مشحونةً بأنواع الخيرات من لباس وطعام وتوابل وغيرها.

كانت البصرة من المرافئ المزدهرة إذ ذاك، وكان الملاّحون إلى جانب حمولات مراكبهم يروُون للناس ما شاهدوه في الأقطار النائية، كالهند والصين والجزر المنتشرة في خطوط ملاحاتهم. وطفق الناس يميلون إلى سماع هذه الأخبار صحيحة أو مبالغًا فيها، وإلى قراءة ما يدوّن منها، وكذلك ما يُترجم من لغات الأقوام الأخرى. وشرعت تتكون طائفة من تلك الأخبار المرويّة والمدونة والمترجمة متعددة المصادر ومتفاوتة المقاصد. ولسوف ينضم بعضها إلى بعض في غمار السنين لتؤلّف السيرَ الشعبية التي تأتي في طليعتها قصة «ألف ليلة وليلة».

في مقابل هذا الاتجاه المطلّ على حياة الإنسان الخارجية وظواهرها كان فريق من المفكّرين يعكفون على تأمل النفس الإنسانية وعالم أسرارها

---

(١) الرسالة القشيرية، للإمام القشيري (ت٤٦٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، بدون تاريخ، ١: ٧٩ .

ونزواتها، ويفكّرون حق التفكير في مصير الإنسان بعد حياته وفي قضايا شقائه وسعادته في الدارين: الدار الدنيا والدار الآخرة. من أهم هؤلاء وأبرزهم أبو عبد الله المحاسبي الذي سلخ حياته في الوعظ والهداية محققًا نموذجًا علويًّا في حياته الخاصة من التقشف والصلاح ومحاسبة النفس محاسبة دقيقة حتى إنه لقّب من أجل ذلك بالمُحاسِبيّ.

يقول أبو عبد الرحمن السلمي في المحاسبي: «هو أستاذ أكثر البغداديين». من أساتذته في الرواية يزيد بن هارون، وطبقته. والرواية ركن من أركان الحضارة العربية الإسلامية.

وممن روى عنه أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الصوفي، وأحمد ابن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، والشيخ الإمام الجنيد، وإسماعيل بن إسحاق السراج، والقاضي أبو علي الحسين بن خيران، وأحمد بن القاسم بن نصر، وأحمد بن عبد الله بن ميمون، وغيرهم. ولقد كان أثر المحاسبي في الإمام أبي حامد الغزالي كبيرًا، ولاسيما في كتابه «إحياء علوم الدين» فهو يذكر كتب المحاسبي، ويُورد جملاً وعبارات من كلامه.

أما كتبه المطبوعة فهي:

١- بُرء من أناب إلى الله:

نشره المستشرق الألماني هلموت ريتر بمناسبة مؤتمر المستشرقين التاسع عشر الذي عُقد في رومة (٢٣- ٢٩ أيلول ١٩٣٥).

٢- الرعاية لحقوق الله عز وجل:

نشرته المستشرقة الإنكليزية مرغريت سميث:

Margraet smithe. J. W. Gill memorial, New series XV. 1940.

٣- كتاب التوهم:

عُني بنشره المستشرق الإنكليزي الدكتور أ. ج. أربري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧ وقدَّم له أحمد أمين.

٤- رسالة المسترشدين:

حقَّقها وأخرج أحاديثها وعلَّق عليها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الفرافرة ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

٥- الوصايا والنصائح الدينية والنفحات القدسية لنفع جميع البرية:

نشره عبد القادر أحمد عطا، القاهرة ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

٦- العقل وفهم القرآن:

قدَّم له وحقَّق نصوصه حسين القوتلي، الطبعة الثانية، دار الكندي ودار الفكر، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨.

٧- المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل:

نشره عبد القادر أحمد عطا، القاهرة ١٩٦٩.

ومن كتبه المشهورة:

٨- الدِّماء:

يرى فيه أن الدِّماء التي أُريقت بين الصحابة لا تمسّ وحدة العقيدة. جاء في كتاب تاريخ بغداد «وذكر أبو علي بن شاذان يومًا كتابَ الحارث في الدِّماء، فقال: على هذا الكتاب عوّل أصحابنا في أمر الدماء بين الصحابة».

٩- رسالة المكاسب والورع والشبهات.

١٠- رسالة العظمة.

١١- المسائل في الزهد.

١٢- كتاب التفكر والاعتبار.

١٣- رسالة المراقبة.

١٤- فصل في المحبة، ذكره أبو نعيم في الحلية.

١٥- القصد والرجوع إلى الله.

وممن تناول الحارث بن أسد المحاسبي بالبحث والدراسة المستشرقة مرغريت سميث في كتابها:

An Early Mystic of Bagdad, a study of the life and teaching of Harith B. Asad al- Muhäsibï, Ad 781- ad 857 London Sheldon Press, 1935.

والشيخ عبد الحليم محمود في كتابه:

Al Mohasibi un mystique musulman religieux et moraliste, Geuthner, Paris, 1940.

وهو رسالة نال بها شهادة الدكتوراه.

والمستشرق الألماني. فان إس J. Van Ess في كتابه:

Die Gendankenwelt des Harit al Muhasibï anhand von ülersetzungen aus seinen Schriftenn dargestellt und erlaütert, 1961- Bonn.

وفي هذا الكتاب عرض واسع لمؤلّفات الحارث.

وكنا قد فصّلنا ذلك في مقال نشرناه في مجلة «التراث العربي» العدد (٤١).

كيف ألفَ الحارث كتاب التوهُّم

يروي أبو نعيم في الحلية أن أبا القاسم الجنيد بن محمد قال: «كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا فيقول: اخرج معي نُصَحِر فأقول له: تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات؟

فيقول: اخرج معي ولا خوف عليك. فأخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء، لا نرى شيئًا نكرهه. فإذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه قال لي: سلني، فأقول له: ما عندي سؤال أسألك. فيقول: سلني عما يقع في نفسك. فتنثال عليّ السؤالات فأسأله عنها، فيجيبني عليها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتبًا»[٢].

ونفهم من هذا الخبر قوة شخصية المحاسبي. فقد كانت تهيمن على مريده الجنيد وهو ما هو ذكاءً وفضلاً وعلمًا، حتى كانت شوارع بغداد عاصمة الدنيا، إذ ذاك، تبدو فارغة من المفاتن وتلك «الشهوات والآفات»، ثم إن التنـــزُّه والجلوس في خارج المدينة كانا يُسبلان الهدوء والارتياح والطمأنينة عليهما، ثم إن السؤال والجواب كانا وسيلتين للمحاورة، واقتداح الفكر، ووضوح التصورات، وتداعي الخواطر، وارتسام بعض الكلمات، وتبلّر الجُمَل، حتى إذا آب الأستاذ إلى منـــزله حرص على تقييدها.

ويروي صاحب الحلية أن الحارث كان يقول في إحدى مواعظه: «افهَم ما أقول لكَ، وفرِّغ للفكرة فيه عقلَك، وأدمْ له توهُّمَك، وتوَهَّمْه بذهنك، وأحضِرْ لُبَّك، واشتغِل بذكره، وبقَطع كلِّ مذكورٍ سواه، ومُتوَهَّمٍ غيرِه. فإنا خُلِقنا للبلوى والاختبار، وأُعِدَّ لنا الجنةُ أو النار، فعظُم ذلك الخطر، وطال به الحُزن، لمن عقِل وادّكر، حتى يعلم أين يكون المصير والمستقرّ، ذلك بأنه عصى الرَّبّ، وخالَفَ المَولى، وأصبح بين الغضب والرِّضا، لا يدري أيُّهما قد حل به ووقع، فعظُم لذلك غَمُّه، واشتدَّ به كربُه، وطال له حُزنُه،

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ الأصبهاني (ت٤٣٠ هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٨، ١٠: ٣٥٥ .

حتى يعلم كيف عند الله حالُه. فإليه فارغَبْ في التوفيق، وإيّاه فسَلِ العَفوَ عن الذنوب، واستعنْ بالله في كل الأمور. فالعَجب كيف تقرّ عينُك، أو يزول الوجل عن قلبك، وقد عصيتَ ربَّك، والموتُ نازلٌ بكَ لا محالة بكُرَبه وغُصَصِه ونَزعه وسكراته. فكأنه قد نزل بك وشيكًا، فتوهَّمْ نفسَك وقد صُرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك، فتوهَّمْ ذلك بقلب فارغ وهِمَّة هائجة من قلبك بالرحمة لبدنك الضعيف، وارجِعْ عمّا يكرَهُ مولاك وترضى، عسى أن يرضى عنك، وأعتِبْه واستقِلْه عثراتك، وابكِ من خشيته عسى أن يرحم عَبَراتك. فإن الخَطب عظيمٌ، والموت منك قريب، ومولاك مطّلع على سِرِّكَ وعلانيتك، واحذر نظَرَه إليك بالمقت والغضب وأنت لا تشعر، فأجِلَّ مقامَه، ولا تستخفّ بنظره، ولا تتهاون باطِّلاعه، واحذره، ولا تتعرض لِمَقته، فإنّه لا طاقة لك بغضبه، ولا قوة لكَ بعذابه»[٣].

وإذا طالعنا كتاب «التَّوهُّم» وجدْنا هذه الجمل تكاد تكون هي نفسها في مستهله. أي إن هذا الكتاب أصله موعظة مؤثّرة عمد قائلها بعد إلقائها إلى توسعتها واستكمالها على شكل كتاب، وجعَلَ لفظَ التوهم المتكرر فيها عنوانًا له. وهو يطلب إلى السامع، ثم بعده إلى القارئ، أن يتوهم حال الموت، وما بعدها من نُشور وحساب، وجحيم أو نعيم، كما يفصّل المؤلّف ذلك في كتابه تفصيلاً بديعًا ورائعًا، أقرب ما يكون إلى الترغيب والترهيب، والعمل على إصلاح النفس وتحسين السلوك والمعاملة.

ولا شك أن أمثال هذه المواعظ كانت تُلقى بلغة سهلة وبيان واضح

(٣) حلية الأولياء ١٠: ٩٠– ٩١.

وقوة جازمة وحازمة ومؤثّرة، ولاسيما إذا كان الإلقاء في حشد جماهيري، كما يحدث ذلك في المساجد، لأن التجمع والاحتشاد أقوى على العدوى النفسية وأسهل للتلقين وأفعل في تطهير النفوس وتصفية الضمائر، وكذلك إذا كان الواعظ أهلاً للوعظ ومتميزًا بالأمانة ورفعة المكانة ومحطّ الأنظار في التقشف والزهد والتقوى والعبادة.

اهتمّ بمخطوطة «التوهُّم» المستشرق الإنكليزي أرثر أربري الذي درّس في كلية الآداب بالجامعة المصرية سابقًا، ونشره لأول مرة في القاهرة عام ١٩٣٧، ويقع في ٦٣ صفحة، مع مقدمة موجزة قدَّمها له الباحث المشهور أحمد أمين صديق المستشرق.

وقد أعاد طبعه ونقله إلى الفرنسية، مع مقدمة وحواش وتعليقات مفيدة، المستشرق أندري رومان André Roman في كتابه:

Une Vision Humaine des Fins Derniéres, Le kitäb al-Tauahhum d ál Muhäsibi, Librairie c. Klincksieck Paris 7- 1978.

ويبدو لنا أنه اعتمد النص الذي أخرجه أربري لأن في الطبعتين بعض الأخطاء اللغوية أنفسها. ففي الصفحة الثانية من نسخة أربري والفقرة الثامنة من نسخة رومان:

فذلّت نفسُك لما عايَنتَ ذلك، وعايَنتَ وجهَ ملك الموت...

والصواب: لما عانَيتَ ذلك.

وفي الصفحة العاشرة في النسخة الأولى والفقرة الرابعة والثلاثين في النسخة الثانية:

فلم يحاسِّ (؟) من الخلائق أحدًا.

والصواب فلم يُحاشِ بالشين أي لم يستثن.

وفي الصفحة الثلاثين من النسخة الأولى فمثّلك (؟) لا تجاب.

وفي الفقرة المئة من النسخة الثانية فمَثّلك لا تجاب.

والصحيح فَمِثْلُكَ لا تجاب أو لا يجاب، أي أنت أقل من أن تُجاب.

والتعبير أدبي شائع في اللغة العربية يذكره علماء البلاغة في إثبات الحكم بطريق الكناية التي هي أبلغ كقولك: مِثْلُك لا يَبخل، بمعنى: أنت لا تبخل. وذلك في بحث تقديم المسند إليه كاللازم. ثمة أخطاء أخرى من السهل تلافيها.

يشعر القارئ لكتاب «التوهُّم» إلى جانب الشعور الديني العميق كأنه يُطالع رواية. لكن أحداث هذه الرواية تبدأ عند كرب النـــزع، لتصِفَ غصصَ الموت، وأحوال القبر، وأهوال الحشر والحساب، والمرور على الصراط، والعرض على الجحيم، والفوزَ بالنعيم، وتشرح كل ذلك شرحًا مفصَّلاً وطريفًا، يترجَّح بين الخوف والرجاء، والترهيب والترغيب، وتترقّى الرواية شيئًا فشيئًا لتصف عذابَ جهنم لمن حق عليهم العذاب، ونعيم الجنان لمن فازوا بحُسن المآب، ثم تلك الغبطة الكبرى وهي النظر إلى وجهه تعالى.

لا نريد أن نذكر بعض الصور المخيفة في النشور وفي الحساب وفي عذاب أهل النار، بل نترك ذلك للذين يرجعون إلى الكتاب نفسه. ونُؤثر أن نذكر صورًا من مباهج أهل الجنة.

فالسعيد الفائز، الذي يدخل إلى الجنة، يُستَقبل بموكب عظيم تقوم بين يديه القَهارِمة، أي الوكلاء، معظِّمين له، ثم الوصفاء والخدام، كأنهم جميعًا اللؤلؤ المكنون، يزفونه زفًا إلى قصره وما أُعدّ له من نعيم مقيم. ولا يكاد

يصل إلى باب قصره حتى تَفتح له الحُجّابُ الأبوابَ وتَرفع له الستورَ، وهم قيام على أقدامهم معظِّمين، فيرى بهجة مقاصير قصره، وزينة أشجاره، وحُسن رياضه، وتلألُؤ صحنه، ونُور ساحاته. وينادي خدامُه أزواجَه فيُقبلن فرحات مستبشرات مشتاقات شائقات، يتوثبن من على الفُرُش والحجال. فيُبصر تلك الأبدان الرخيمة الرُّعبوبة الخرِّيدة الناعمة يتهادين، كلّ واحدة في حسن حُلَلها وحِليتها وصباحة وجهها وتثنّي بدنها الناعم وغنج عينيها، فيبقى كالمبهوت الذاهل من عظيم ما هاج في قلبه من سرور وما رأت عيناه من جمال. كلّ زوجة منهن قد استخفها العشق فتناديه: يا حبيبي ما أبطأكَ علينا؟ فيجيبها: مازال الله عزَّ وجل يوقفني على ذنب كذا وكذا، حتى خشيت ألاّ أصل إليكنّ. فيمشين نحوه في السندس والحرير يُثِرنَ المسكَ ويحركن نبت الزعفران بأذيال حللهن وخلاخيلهن استعجالاً وشوقًا وعشقًا. ثم يصف المحاسبي أصناف العناق والضمّ والشمّ وطيب العوارض، حتى يَغرق قلبُ ذلك السعيد في السرور، ويمتلئ فرحًا مما وصل إلى روحه من طيب مسيس كلٍّ منهن، ولذة روائح عوارضهن. ﴿لِمثلِ هذا فلْيَعمَلِ العامِلُونَ﴾. (الصافات ٦١).

ولكن تلك المباهج كلها، مع عظمتها وأبّهتها، ليست تُقاس إلى البهجة القصوى واللذة الكبرى. وهي دعوته سبحانه وتعالى أولياءه إلى لقائه في ساحة عرشه. ويفيض المحاسبي في وصف مَجالي تلك الدعوة وذلك المجلس وطيبه وعظمته وزرابيّه ونمارقه ومنابره وكراسيّه والدراريّ واليواقيت فيه. وكلٌّ من الأولياء قد عرف مكانه ومدى قربه من العزيز الرحيم. هذا مع اصطفاف الملائكة واطمئنان المجلس ورفاهية الموائد.

لقد ذكرنا في مستهلّ الحديث أن المحاسبي من روّاد علم الكلام. كان المعتزلة يمنعون رؤية الله حتّى في الآخرة، وكان أهل السنة يجيزونها في الآخرة، ويعدُّونها أبهج المباهج، فكان غرض المحاسبي من وراء الوعظ والترغيب أن يردّ على المعتزلة. ولم يكن تصويره لأحوال النعيم إلاّ تدرجًا لتجاوزها، والوصول إلى الغبطة الروحية الكبرى، التي هي النظر إلى وجهه تعالى في دار القرار.

إن المرجع الأول للإسراء والمعراج ولوصف أحوال الآخرة هو القرآن الكريم والسنّة الشريفة. وكان العلماء يُجرون الكلام على ظاهره، ويفسرونه كما ورد من غير تعرّض في الغالب للتأويل، ويقتصرون ما أمكن في تلك الأوصاف على ما جاء في الشرع، ولا حاجة لمستزيد، حرصًا على نقاء الشرع وصفائه، وتوقّيًا للجنوح إلى ما لا ينبغي. ومع ذلك فإن أحوال الآخرة يبقى فيها نصيب كبير من الغموض. وهذا سرّ من أسرار الدين. وذلك أن الأوصاف الحسية تقريب للأذهان من الحقائق الخفية. جاء في القرآن الكريم: ﴿نَحنُ قَدَّرْنا بَينَكُمُ المَوتَ وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ عَلَى أن نُبَدِّلَ أمثالَكُم ونُنشِئَكُم فِيما لا تَعلَمُونَ﴾(الواقعة: ٦٠، ٦١). وهذا معناه أن حقائق النشأة الأخرى لا يعلمها إلاّ هو عز وجل. وإنما شأن الإنسان أن يعمر هذه الدنيا عمارة صالحة فهي سبيل الخلود.

كان المحاسبي بليغ الكلام يأخذ وعظُه بمجامع القلوب ويخلب الأسماع ويستدرّ الدموع. وقد بلغ خبرُ وعظه وبلاغته الإمامَ أحمد بن حنبل فسأل صديقًا للحارث، كان يجتمع عنده الحارث وأصحابه، أن يُتيح له الاستماع إليه من وراء حجاب. ثم لمّا سأله عن رأيه في الحارث ومواعظه وجده يبكي

متأثرًا وقال: ما سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل. ولكن أوصاه ألاّ يصحبه ولا يصحب جماعته خوفًا من الغلوّ والانحراف إلى ما لا ينبغي. وأنكر على الحارث نظرَه في علم الكلام.

كان الإمام أحمد قد تعرّض لمحنة خلق القرآن وزُجّ في السجن. فلما خرج في زمن الواثق ثم قرّبه المتوكل عظُمت منزلته الاجتماعية فوق ما هي عليه من علم واسع بالحديث وبالفقه. ولمّا أنكر على الحارث نظرَه في علم الكلام، واستفاضتَه في وعظه، والاعتماد على بعض الأحاديث الضعيفة، انقطع الحارث عن نشاطه. ولمّا مات لم يصلِّ عليه إلاّ أربعة نفر كما جاء في تاريخ بغداد.

كانت خزائن التراث العربي نهبًا مقسَّمًا بين المترجمين اللاتين في كل ميدان من ميادين المعرفة والعلم. وكان من حُسن حظ الشاعر الإيطالي دانتي أن يطّلع على ترجمة قصة من قصص المعراج أثارت خياله الشاعري فكتب كوميدياه الإلهية. ولكنه تنكّر لينبوع إلهامه ومنهل خياله. شأنُه في ذلك شأن الغربيين في القرون الوسطى. ﴿وتلكَ الأيّامُ نُداوِلُها بَينَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) و﴿يُؤتي الحِكمةَ مَن يَشاءُ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

مِصْداقِيَّة؟!

د. محمد مكي الحسني الجزائري

من المعلوم أن صيغة «المصدر الصناعي» قياسيَّة، وهي كلُّ لفظ زِيْدَ في آخره حرفان هما ياء مشدَّدة بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليصير بعد هذه الزيادة **اسمًا دالاً على معنىً مجرَّد لم يكن يدلّ عليه قبل الزيادة**. فالمسؤولية غير المسؤول، والميزانية غير الميزان، والاشتراكية غير الاشتراك... ولا مُسَوِّغ لاستعمال (العَدلِيّة) مثلاً بمعنى (العدل)، كأنْ يُقال: (وزارة العدلية) بدلاً من (وزارة العدل). ولكن يُقال: (وزارة الشؤون الخارجية/ الداخلية/ المالية...) أو اختصارًا: وزارة الخارجية/ الداخلية/ المالية. وهذه الكلمات الثلاث الأخيرة هي في الأصل - كما نرى - صفات مؤنثة، لا مصادر صناعية!

ولا مُسَوِّغ أيضًا لاستعمال: إمكانية، استمرارية، صوابية، استقلالية، إشكالية، نمطية... إذا كان المقصود هو: إمكان، استمرار، صواب، استقلال، إشكال، نمط...

إذ لابدَّ - كما قلنا - من أن تؤديَ الزيادة في المبنى إلى تغيير (أو زيادة) في المعنى.

● إن الكلمات: (مِصْداقِيَّة، صِدْقِيَّة، تَصْدِيقِيَّة) هي «مصادر صناعية» مصنوعة من: (مِصْداق، صِدْق، تصديق). وفي معاجم اللغة:

مِصْداق الأمر: الدليل على صِدْقِه.

يُقال: هذا مِصْداق ذاك: أي هذا دليلٌ على صِدْقِه.

● وقد شاع في أيامنا هذه استعمال كلمة «مِصْداقيَّة» في مقابل الكلمة الإنكليزية credibility (والفرنسية crédibilité) فهل ثمة حاجة إلى هذه الكلمة؟

تقول المعاجم أن معنى credible (crédible) هو: جدير بالثقة، يمكن تصديقه.

وأن معنى credibility هو: الجدارة بالثقة، الصُّلوح للتصديق، التصديقية.

● إن **صِدْقية الشيء** هي كونُهُ صِدْقًا (وَصْفٌ بالمصدر) أو كونه صادقًا.

● و**تصديقية الشيء** هي كونه قابلاً للتصديق/ قابلاً لأن يُصدَّق.

● فما معنى «المصداقية»؟

وافق مجمع اللغة العربية بالقاهرة على جواز قول الكُتّاب(*):

[«مصداقية هذه الدولة صحيحة، ومصداقية تلك غير صحيحة» بمعنى أن سياستها المعلنة تطابق سياستها غير المعلنة، وأنها صادقة في فعلها مثل قولها، أو غير صادقة]!

● لا أعتقد أن المجمع كان موفّقًا في إجازته مثل هذا الكلام! وذلك لبُعد المسافة بين ما تَعْنيه الكلمة الإنكليزية، وكلمة (مصداق) من جهة، والمعنى الذي ضَمَّنَهُ المجمعُ كلمةَ المصداقية من جهة أخرى.

● إذا قال قائل: «إن **مصداق** (أي الدليل على صِدْق) السياسة التي أعلنها رئيس الدولة الفلانية، هو سلوك حكومته الفعلي، وسياستها المطبَّقة

(*) كتاب الألفاظ والأساليب، الجزء الثالث (٨٠).

الآن على أرض الواقع» كان كلامه سليمًا، ولا حاجة إلى استعمال (مصداقية) هنا مكان (مصداق).

● وهناك من قال: «إن مصداقية» «قناة الجزيرة» التلفزية جعلَتْها المصدر الأول للأخبار الموثوق بها».

والوجه أن يُقال: إن **صِدْق** قناة الجزيرة التلفزية جَعَلَها المصدر الأول...

● ويقولون: ستكشف الأيام مصداقية هذه التصريحات.

والوجه أن يُقال: ستكشف الأيام **مدى صِدْق** هذه التصريحات.

● ويقولون: إن مصداقية سياسة فلان المعلَنة هي أمر لاشك فيه.

والوجه أن يُقال: إن **صِدْق** سياسة فلان المعلَنة هو أمر لاشك فيه.

أو أن يُقال: إن **صِدْقية** سياسة فلان المعلَنة هي أمر لا شك فيه؛ (أي كونها صادقة).

● ويقولون: علينا أن ننتظر طويلاً للتحقق من **مصداقية** هذه السياسة.

والوجه أن يُقال: علينا أن ننتظر طويلاً للتحقق من **مصداق** (أو من **صدقية**) هذه السياسة.

● وثمة من كتب: «إن رواية (وِلز) لا تعتمد على الخَيَال الصرف وحدَه، وإنما تلجأ إلى جانب ذلك إلى التحليل العلمي لإضفاء قَدْرٍ من **المصداقية** على أحداث الرحلة. (مجلة العربي/ ٥٧٣/ ٣٢)».

وكما نرى، هنا أيضًا لا مُسَوِّغ لاستعمال المصداقية؛ لأن الوجه أن يُقال: ... لإضفاء قَدْرٍ من **التصديقية** (أي من قابلية التصديق أو الصُّلُوح للتصديق).

● يستبين بما سبق أنه **لا حاجة** إلى كلمة (مصداقية)، ولا حاجة إلى تَكَلُّف البحث عن معنًى معقول لتضمينه إياها؛ ويمكن الاكتفاء بالكلمات: مصداق، صِدْق، صِدْقِيَّة، تصديقية – بحسب ما يقتضيه السياق – لأنها تفي بالغرض تمامًا.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

أ – الكتب العربية

أ. سعد الدين المصطفى

- **آراء المستشرقين في نسبة كتاب العين**/ د. محمد خير محمود البقاعي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الأبعاد اللسانية لنظرية التقليب الخليلية** / د. عبد الكريم مجاهد، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **أثر الخليل في مجمل ابن فارس**/ د. حنان حمودة، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي**/ د. صلاح محمد جرّار، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **أثر مقدمة كتاب العين في المعاجم العربية**/ د. عيسى عودة برهومة، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **أحاديث عن الأدب في حلب**/ أحمد دوغان، ط١، حلب: دار الثريا، ٢٠٠٦م.
- **أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته**/ ورواية الآجري، وعبد الملك بن بشران، علي بن أحمد الرَّزاز، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- **الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي**/ د. عبد الله بوبطانة وآخرون،

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس: ٢٠٠٥م.

- **استراحة رمضانية في السيرة واللغة والأدب ومكارم الأخلاق**/د. صلاح مهدي الفرطوسي، سيراييفو: القلم، ٢٠٠١م.
- **الاستشهاد بالحديث على اللغة في كتاب العين**/ د. سمير محمد عبيد نقد، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الألفاظ الفارسية في معجم العين للخليل**/ د. عمر الخزاعلة، د. عبد الكريم جرادات، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الأمر بين الأمرين** / حسين الشّمس، قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٧هـ.
- **الأناشيد الوطنية المغربية ودورها في حركة التحرير**/ عبد العزيز بن عبد الجليل، عباس الجراري، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٤م.
- **بحر المتدارك وقضية تداركه على الخليل**/ د. علي ارشيد محاسنة، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **البديع في وصف الربيع**/ أبو الوليد الحميري الإشبيلي (ت٤٤٠هـ)، ط١، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جدّة: دار المدني، ١٩٨٧م- ١٤٠٧هـ.
- **تصوير الحياة الاجتماعية عند العرب في كتاب العين**/ د. رائد طافش، د. منير الشنطاوي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **التطرف ومظاهره في المجتمع المغربي**/ مجموعة باحثين – الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٥م- (الندوات).
- **تقول الحكاية: قصص**/ فاضل السّباعي، ط١، دمشق: إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، (الأعمال الكاملة).
- **تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل**/ د. عبد الله عبد الرحيم

عسيلان، الرياض: نادي المدينة المنوّرة الأدبي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م (السلسلة الرابعة، ٧، ٢٠٠٥).

- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**/ العثماني المراغي الشافعي – تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ط١، الرياض: المحقق، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **تكنولوجيا الإنتاج والجودة في الصناعة الغذائية الزراعية**/ الأمم المتحدة، نيويورك: الإسكوا، ٢٠٠٠م.
- **التنظيمات الداخلية في مكّة المكرمة**/ منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م (إصدارات الدارة ١٩١).
- **جمالية التماثل بين بيت الشَّعر وبيت الشِّعر**/ د. خلف خازر الخريشة، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **جهود الخليل في العلوم العربية ودعاوى الأثر الأجنبي**/ د. يحيى الجبوري، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الحكاية الشعبية في التراث المغربي**/ مجموعة باحثين، الرّباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٦، (الندوات).
- **حلب بين التاريخ والهندسة**/ د. محمد فيصل الرفاعي، حلب: كلية الهندسة المدنية ومعهد التراث العلمي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- **حوسبة اللغة في فكر الخليل**/ د. صادق أبو سليمان، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **حول نسبة منظومة نحوية للخليل**/ د. عمر عبد الرحمن الساريسي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد عبقري العلماء**/ د. يوسف بن محمود فجّال، عمّان: جامعة

آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.

- **الخليل بن أحمد عروضيًا**/ د. أحمد بن عبد الله السالم، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد وأثره على اللغة والأدب العبريين**/ د. سلوى ناظم، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد الفراهيدي لغويًا ونحويًا**/ د. عودة الله منيع القيسي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل في تفسير التبيان**/ د. سعيد جاسم الزبيدي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد في تفسير غريب القرآن**/ د. طه ياسين الخطيب، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد في لسان العرب**/ د. عاطف فضل خليل، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية**/ د. نهاد فليح العاني، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد وعلم التعمية**/ د. جاسر خليل أبو صفية، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **خليلي يناجي الخليل**/ د. صالح بلعيد، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **دار المكتبات الوقفية الإسلامية بحلب**/ د. علاء الدين الزعتري، دمشق: دار غار حراء، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي/** د. بشير إبرير، عنّابة: جامعة باجي مختار، ٢٠٠٧م.
- **دليل إدارة الجودة الشاملة للتعليم/** إعداد: د. محمد بن فاطمة، د. نور الدين الساسي، جامعة تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، ٢٠٠٥م (مخططات).
- **دوائر الخليل بن أحمد واحتمال تأثيرها في ظهور الموشحات/** د. يونس شنوان، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب/** مجموعة باحثين، الرباط: أكادمية المملكة المغربية، ٢٠٠٦م (الندوات).
- **رحلة حنان (قصص)/** فاضل السباعي، دمشق: إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م (الأعمال الكاملة).
- **رسائل الميرزا القمي/** للميرزا أبو القاسم القمي، تحقيق: عباس التبريزيان، مكتب الإعلام الإسلامي، فرع خراسان الرضوي، ١٤٢٨هـ.
- **رشحات عين الحياة/** حسين الواعظ الكاشفي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٧هـ.
- **سعد الله الجابري وحوار مع التاريخ/** رياض الجابري، دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٦م.
- **الشاعر الملحمي عبد المنعم الفرطوسي/** د. صلاح مهدي الفرطوسي، سيراييفو: القلم، ٢٠٠١م.
- **شرح الفصول الخمسة/** يوسف ماده شنيغ الصيني، ترجمة: نور الحق ماليان يوات، شيكاغو: الجامعة المفتوحة، ١٤٢٧هـ.

- **شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي**/ د. ليلى توفيق العمري، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **صدى العلاقة بين الخليل وسيبويه**/ د. ياسين أبو الهيجاء، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الصنعة الحديثية في كتاب العين للخليل**/ د. حسين علي بطي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **صورة الخليل بن أحمد نحويًا كما رسمها جعفر عبابنة**/ د. خلود العموشي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **طرائق التعليم عن بعد وأساليبه**/ إعداد د. محمد بطاز، د. نجيب عصام الفقهاء، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢م.
- **العالم العربي والعالم اللاتيني**/ مجموعة باحثين، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، ٢٠٠٦م.
- **العترة الزكية في الفتوحات المكية**/ ابن العربي، انتقاء: محمد حسين الحسيني الجلالي، شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٧هـ.
- **عودة الكواكبي: حياة المفكر الثائر وأعماله**/ د. محمد جمال طحّان، حلب: عاصمة الثقافة الإسلامية ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **فلسفة التكوين الفكري**/ د. نبيل طعمة، دمشق: دار الشروق، ٢٠٠٧م.
- **في ديوان العرب**/ د. عبد الكريم الأشتر، ٢٠٠٦م.
- **قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية**/ د. أحمد بن عبد السلام البسام، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م.
- **قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب**/ مجموعة باحثين، الرّباط، أكاديمية

المملكة المغربية، ٢٠٠٤م.

- **قول في نظرية الفراهيدي العروضية**/ د. محسن علي السويدي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **الكتاب في عصر المعلومات**/ تحرير: إدوارد بورتيلا، تعريب: محمد داود، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢م.
- **لغات العرب في معجم العين**/ د. وليد العناتي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **اللطائف**/ يوسف ماده سيننغ الصيني، ترجمة: نور الحق ماليان يوات، شيكاغو، المدرسة المفتوحة، ١٤٢٧هـ.
- **الماء في كتاب العين للخليل دراسة مقارنة**/ د. حميد لحمداني، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **مدخل للدراسة اللغة الشعرية عند الخليل**/ د. محمد القاسمي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **المسائل الأصولية المتعلقة بالأدلة الشرعية**/ د. عبد الرحمن السديس، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- **مساهمة الخليل بن أحمد الفراهيدي في وضع المصطلح**/ د. مازن زرمان، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **المصارف الإسلامية**/ د. وهبة الزحيلي، قدّم له: د. محمد عزيز شكري، دمشق: الموسوعة العربية، ٢٠٠٧م.
- **المصطلح العروضي ودلالته المعجمية عند الخليل**/ د. عبد الكريم مخلف الهيتي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.

- **المصطلح النحوي في كتاب العين**/ د. خالد بن عبد الكريم بسندي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **معجم التعمير**/ إشراف عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ١٩٩٩م.
- **معجم الطعامة**/ إشراف عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ١٩٩٩م.
- **معجم النباتات**/ إشراف عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ١٩٩٩م.
- **مختصر العين**/ لأبي بكر الزبيدي، تحقيق: د. صلاح الفرطوسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣م، ٢٠٠٤م (٢ + ٣).
- **مقدمة الأدب**/ الزمخشري، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٧هـ.
- **المكتبات العامة والمكتبات الوطنية في الوطن العربي**/ إعداد: د. محمد فتحي عبد الهادي، وشريف كامل شاهين، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٣م.
- **مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية**/ د. عبد العزيز بن سعود الغُزي، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، إصدارات الدارة (١٩٦)، ١٤٢٨هـ.
- **منارات من منجزات الحضارة العربية الإسلامية**/ د. المنجي بوسنينة، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٦م.
- **المنجز العروضي الخليلي حدوده وملامحه وأبعاده**/ د. ناصر لوحيشي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.

- **المنظومة المعرفية للفراهيدي/** د. محمد سالم سعد الله، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **منهج الخليل في تفسير غريب القرآن/** د. طه ياسين الخطيب، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **منهجية الخليل في المخارج الصوتية وترتيبها/** د. زياد القرالة، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **مؤتمر إدارة التغيير/** وزارة التعليم العالي، دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧م.
- **ندوة الجغرافية ودورها في خدمة التنمية/** وزارة التعليم العالي، دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧م.
- **الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي/** مجموعة باحثين، دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة، وجامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٦م.
- **النظام العالمي للزكاة/** د. محمد صالح هود، الرياض: دار كنوز، إشبيلية، ط١، ٢٠٠٦م.
- **نظرات في معجم العين/** د. محمد البوقاعي، عمّان: جامعة آل البيت، وحدة الدراسات العمانية، ٢٠٠٦م.
- **النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية/** د. عبد الرحمن حاج صالح، الجزائر: قسم اللسانيات العربية والمعجمية، العدد الرابع، ٢٠٠٧م.
- **نوافذ على الماء والحضارة في بلاد العرب/** تحرير د. البهلول اليعقوبي، ود. عمر سليمان حمودة، ود. رضوان الوشاح، تونس: المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٦م.

- **وثائق عصر الملك عبد العزيز المتعلقة بالأمور الداخلية/** د. خولة بنت محمد بن سعد الشويعر، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (١٨٥) سلسلة الرسائل الجامعية، ٢٠.
- **الوجود البرتغالي في المغرب وآثاره/** مجموعة باحثين، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٦م (الندوات).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠)	٢٠٠٦م	سورية
٢ – الثقافة المعلوماتية	السنة (١٠) الأعداد (١٨، ١٩)	٢٠٠٦م	سورية
٣- الحياة المسرحية	(٥٦، ٥٧)	٢٠٠٦م	سورية
٤- مجلة جامعة تشرين	مج(٢٨) الأعداد: (١) علوم أساسية (١) علوم البيولوجية (١) علوم اقتصادية وقانونية (١) علوم هندسية (١) علوم صحية	٢٠٠٦م	سورية
٥- المعرفة	السنة (٤٥) الأعداد: (٥١٧، ٥١٨)	٢٠٠٦م	سورية
٦- الموقف الأدبي	السنة (٣٥) الأعداد: (٤٢٦، ٤[illegible])	٢٠٠٦م	سورية
٧- الشريعة	(٤٨٩، ٤٩٠)	٢٠٠٦م	الأردن
٨- مجلة المجمع الجزائري	الأعداد (٢، ٣، ٤)	٢٠٠٥، ٢٠٠٦	الجزائر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
٩- الواضحة	العدد (٣)	٢٠٠٥م	الجزائر
١٠- عالم الكتب	الأعداد (٣، ٤) من المجلد (٢٧)	٢٠٠٦م	السعودية
١١- الفيصل	العدد (٣٦٣)	٢٠٠٦م	السعودية

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى المعدني

1- Books:

- Management, co-Management or no Management?/ FAO.
- Analyse monétaire/ Jean Marchal.
- La poupée sanglante/ Gaston Leroux.
- Crisis investing/ Douglas R. Casey.
- Business guide Hungary 87.
- The Making of Fiction.
- Je comprends la grammaire.
- Le secret des guerres/ Albert Norden.
- English 2200/ Joseph C.Blumenthal.
- Jeux de société/ Martine Clidière.
- The Kingdom/ Robert lacy.

2 – Periodicals:

- Journal of Asian and African studies, No.70 (2005).
- Population and development review, Vol 32-No.3 (2006).
- Review of science and technology in ESCWA member countries (UN), Issue No. 1,2 (1999).

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ـــ ١٩٩٥م

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ـــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ – ١٩٩٦
- كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٥١، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.
- كتاب ((كتب الأنساب العربية)) تأليف الدكتور إحسان النص

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٩.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

- الأسمـــاء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش
- فهـــرس مجلـــة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابـــع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦١.
- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٤

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٢.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٣.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٥

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٤.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٥.
- قواعد الإملاء
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٦
- كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجّاج، الدكتور عزة حسن.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٧.
- معجم أسماء الأفعال، الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا.
- الدر النثير والعذب النمير، للمالقي، الدكتور محمد حسان الطيان.
- ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران.

من المجلد الثاني والثمانين

البحوث والدراسات

المقالات والآراء

أنباء مجمعية وثقافية

الجزء الرابع
المجلد الثاني والثمانون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا))

مجلة محكمة فصلية

رمضان / ١٤٢٨ هـ
تشرين الأول / ٢٠٠٧ م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

(مجلة محكّمة فصلية)



رمضان / ١٤٢٨ هـ
تشرين الأول / ٢٠٠٧ م

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

البحوث والدراسات

بدوي الجبل شاعر المحبة والحرية والانتماء القومي

د. محمود السيد

يعـــدُّ الشاعر بدوي الجبل «محمد سليمان الأحمد» قامة شعرية شامخة في أدبـــنا العـــربي الحديـــث، ولقـــد كانت شخصيته متعددة الجوانب، ومتنوعة الأطـــياف، وغنية بالرؤى والتطلعات، وهذا ماجعل شعره متميزًا في مضمونه، وساميًا في قيمه، ورائعًا في ديباجته. ونحاول في هذا البحث الموجز الوقوف على إيمانـــه بالمحبة ديدنًا له وشعارًا وسلوكًا وممارسة، وإيمانه بحرية الفكر والتعبير مبدأً ومـــنطلقًا إلى الحياة العزيزة الكريمة، وعلى انتمائه القومي وتعلقه بالشام قبلةً له ومحجًا، وعلى تفاؤله بانتصار الشعب وبقاء الأمة.

فتح الشاعر عينيه على المحبة:

فتحـــت عيني على حبٍّ صفا وزكا   فصـــته لضـــياء العـــين إنســـانا

وآمـــن أن في الحـــب الخير والجمال، وأن ثمة تلازمًا لا انفصام فيه بين الحب والنور:

وآمنـــت أن الحـــب خـــيرٌ ونعمةٌ   ولا خـــير عندي في وغى وحروبِ

وآمنـــت أن الحـــب والنور واحدٌ   ويكفـــر بـــاللألاء كـــلُّ مريـــب

ومـــن هـــنا كانـــت نفسه صافية كالغدير في منأى عن أي ضغينة أو كراهية، وهو القائل:

يشـــهد الله مـــا بقلـــبي حقـــدٌ   شـــفَّ قلـــبي كمـــا يشفُّ الغدير

وأكـــد أن بناء الأمم إنما يقوم على المحبة، وشتان بين المحبة والحقد، بين الجنة والنار:

ومـا بُنيـتْ إلا عـلى الحبّ أمةٌ ... ومـا عـزَّ إلا بالحـنان زعـيمُ

ولا فـوق نعمـاءِ المحـبةِ جـنةٌ ... ولا فـوقَ أحقـادِ النفوسِ جحيمُ

ويـا ربّ قلـبي مـا علمتَ محبةٌ ... وعطـرٌ ووهـجٌ من سناك صميمُ

ولـئن كـان يجمـع بين المحبة والحنان فما ذلك إلا انسجامٌ مع طبيعته وجبلته القائمةِ على كليهما:

طـبعيَ الحـبُّ والحنانُ فما أعرف ... لـلمجد غـيرَ حـبي طـريقا

لا أريـدُ الإنسـانَ إلا رحـيمًا ... باخـتلافِ الهـوى وإلا شـفيقا

ومـا أروع ذلك التعاطفَ وتلك المشاركةَ الوجدانية التي يبديها الشاعر تجاه المعذّبين والمتألمين! وما أسماه من حب ينتظم العالم بأسره! وهل ثمة أبلغ من قوله:

وأنـا الـذي وَسِـعَ الهمومَ حنانُه ... وبكـى لكـل معـذّب ملـتاح

أشـقى لمـن حمـل الشقاء كأنما ... أتـراحُ كـلِّ أخي هوىً أتراحي

وددت حـين هوى جناحُ حمامةٍ ... لـو حلّقـتْ مـن خافقي بجناح

حـبٌّ قـد انتظم الوجودَ بأسره ... أسـد الشـرى وحمامـةَ الأدواح

وهـذا مايذكرنا بمنهجية الحب لدى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الذي وسع حبه الوجود بأسره.

ولـئن كـان الحب منطلقًا له ومنهجًا في حياته فإن الحرية هي الأخرى منطلق وغاية وهدف، فيرى أن:

سـبةَ الدهـرِ أن يحاسـبَ فِكْرٌ ... في هـواه وأن يُغَـلَّ لسـانُ

ولقد شارك المتنبي في رؤيته أن الرأي قبل شجاعة الشجعان، وأن الفكر يجيء في أولوية الأولويات لإصلاح الأمور، فها هو ذا يرى أن:

الكـون في أسـراره وكـنوزه ... للفكـر لا لوغًـى ولا لسـلاحِ

وأنه:

لا تصـــلح الدنـــيا ويصـــلح أمرها إلا بفكـــر كالشـــعاع صُـــراح

وأن الفكر هو الذي يضيء الدروب، ويملأ الكون سناءً إذ يقول:

إذا ملكـــوا الدنـــيا على الحرّ عنوةً ففـــي نفســـه دنيا هي العزُّ والكبرُ

وإن حجبوا عن عينه الكون ضاحكًا أضـــاء له كـــونٌ بعـــيدٌ هو الفكرُ

ومن هنا كان احترامه للفكر والرأي الصراح، وكانت ثورته على الطغاة المستبدين، واصمًا إياهم بالجبناء:

والظـــلمُ مـــن طـــبع الجـــبانِ وكـــلُّ طاغـــيةٍ جـــبانُ

كما يرى أن الضحى والشجاع حلفا كفاح، وأنه ما احتمى بالظلام إلا الجـــبان، وأن النصـــر للشعوب لا للطغاة لأن الشعب هو القوي، أما الطاغية المستبد فهو الضعيف:

كل طاغٍ – مهما استبدَّ – ضعيفٌ كل شعبٍ – مهما استكان – قديرُ

وهـــب الله بعـــضَ أسمائـــه للشـــعب، فهو القديرُ وهو الغفورُ

لقـــد آمن بقوة الشعب. ومن هنا كانت دعوته للحكام إلى أن يرجعوا إلى شعوبهم مصارحة ومحبة وتحنانًا:

ارجعـــوا للشـــعوب يـــا حاكميها لـــن يفـــيد الـــتهويل والـــتغريرُ

صـــارحوها فقـــد تبدّلـــت الدنيا وجـــدَّت بعـــد الأمـــور أمـــورُ

وتـــنطلق رؤيته من أن الفرد لا يمكن أن يستمر، ولا يمكن أن يبقى، أما الشعب فهو المستمر، وهو الباقي إلى جانب الحق والدهر:

أرى الفرد لا يبقى وإن طال حكمه ويـــبقى بقـــاءَ الحق والزمن الشعبُ

ومع إيمان شاعرنا بقوة الرأي وقوة الحق:

ومـــا أكبرتْ نفسي سوى الحق قوة ... وإن كـــان في الدنيا لها النهيُ والأمرُ

فإنه يدعو في الوقت نفسه إلى أن يكون المرء قويًا حتى يصون حقه، لأن الحياة للأقوياء، فينادي أحبته:

أحبابــــنا لا تضــــعُفوا ... فالضــــعف داعــــية الفــــناء

وتعلَّمُــــوا أنَّ الحَــــيا ... ة وصَــــفْوها للأقويــــاء

وأن شـــريعة القوة هي المسيطرة على ممر الدهور وتوالي العصور، ويظل الأقوياء مرهوبي الجانب:

هـــذي الحـــياةُ لمـــن مضى ... كالليـــث مـــرهوبَ الجوائح

ويـــرى مـــن استقراء مسيرة البشر عبر التاريخ أن شريعة الحياة هي إلى جانب القوي لا الضعيف:

ضـــلَّ الـــذي زعـــم الأنـــام ... عـــن القـــديم تقدَّمـــوا

الـــناسُ في كـــل العصـــور ... كمـــا علمـــتَ هُـــمُ هُـــمُ

يشـــقى الضـــعيف ويســـتبد ... بـــه الكمـــيُّ المعـــلمُ

وتحلِّـــل الأطمـــاع مـــا ... تخـــتاره وتحـــرِّمُ

وما كانت الحياة إلا مطواعًا للأقوياء، مادام للقوة الأمر والنهي:

الشـــرع مـــا ســـنَّ القويُ بسيفه ... فلســـيفه الـــتحريمُ والتحلـــيلُ

وإذا مـــا انتقلـــنا إلى الانتماء القومي لدى شاعرنا فإننا نجد أنه قد آمن بالعـــروبة انطلاقًا من إيمانه بالحق والخير والجمال، وهو القائل «من أراد العروبة إيمانًـــا في قلـــبه وفناءً في حبه، وأنسًا في وحشته، وهناءة في سريرته، وعالمًا في وحدته، فليتقرب إلى نعمتها بالحق والخير والجمال» على حدّ تعبيره.

وأشاد بالدور الذي اضطلع به المسيحيون في خدمة الفصيحة لغة القرآن

الكـــريم والموحدة بين العرب، فوقفوا إلى جانبها في محنتها، وحافظوا عليها في الأديرة، وكان ثمة تعاضد وتكاتف بين الأذان والناقوس في تعزيز روابط الوحدة الوطنية وحماية اللغة العربية إذ يقول:

صانت مسوحُكُم الفصحى وكان لها ... مـــنكم بمحنـــتها الأركان والعمدُ

مَـــرَّت بأديـــرة الرهـــبان يغمُـــرُها ... شـــوق البـــنين وحبٌّ مترَفٌ رَغِدُ

لم يخذلـــوا لغـــة القـــرآن أمَّهُـــمُ ... وكـــيف يخـــذل قربى كفّه العضدُ

تعانقـــت مـــريمٌ فـــيه وآمـــنةٌ ... وحـــنَّ للرُّشـــد الإيمـــان والرُّشدُ

ونـــدّد الشاعر بالمؤامرات التي تعرضت لها العربية الفصيحة، وما كانت لتـــتعرض لها إلا لأنها عامل توحيد بين العرب، وأفضل أم برة بهم، وأب حان عليهم، وما أجمل إيمانه بانتصار الفصيحة على المؤامرات التي تحاك لها:

للضـــاد تـــرجع أنســـاب مفرّقة ... فالضـــاد أفضـــل أمٍّ بـــرَّةٍ وأبِ

تفـــنى العصور وتبقى الضاد خالدةً ... شـــجًى بحلقِ غريبِ الدارِ مغتصبِ

ولـــئن أشار شاعرنا إلى الروابط القومية التي توحد بين العرب متمثلة في اللغـــة فإنه لم يغفل الإشارة إلى التاريخ معتزًا بالمناقب الرفيعة للفتوحات العربية ومستذكرًا المقولة المشهورة: لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب، فلنستمع إليه يقول عن العربي:

أريحـــيٌّ تكـــاد تـــورق بالنعمى ... لأعدائـــه القـــنا والنصـــولُ

ولقـــد تغنى شاعرنا بالأرض العربية إلى جانب تغنيه بالفصيحة والتاريخ مؤكـــدًا أن ســـالف الشرق، ملك قحطان وأن اليوم لقحطان، وأن لـــه الغد المأمول، ويتابع قائلاً:

ولـــه هـــذه الجـــبال المنـــيفات ... وتلـــك الـــرُّبا وهـــذي السهول

ثم يعدِّد بعض المناطق العربية معتزًا بهويتها:

أرزُ لبـــنان أيكـــةٌ في ذرانـــا والفـــراتان ماؤنـــا والنـــيلُ

ورياحينـــنا عـــلى تونسَ الخضراءِ خضـــراءُ أيـــن مـــنها الذبـــولُ؟

ومع تنوع المناطق العربية وأقاليمها يبقى بيت العروبة قبلة الشاعر:

بيـــتُ العـــروبة حين أسجُدُ قبلتي لا طـــورُه قصـــدي ولا عـــرفاتُه

مـــن بعـــض أسمـــاءِ العروبة أرزُه يـــوم الفخـــار ونـــيلُهُ وفـــراتُهُ

كالـــروض ملـــتفٌ الخمائل ناضرًا مـــا ضـــرّه لـــو نُوّعـــتْ أزهارُهُ

ولكـــم كانت تسوؤه رؤية الحدود الفاصلة بين الأقطار العربية، انطلاقًا مـــن إيمانه أن الأرض العربية هي أرض الوطن العربي الواحد الموحد. ومن هنا كان دعاؤه الحار بأن يهدمَ الله هذه الحدود المصطنعة:

لـــيس بـــين العـــراق والشام حدٌّ هَـــدَم الله مـــا بَـــنَوا مـــن حدودِ

ويرى أن الأرض العربية على امتدادها واتساعها إنما هي وطنه الذي به يعتز:

كـــل الربوع ربوعِ العرب لي وطنٌ مـــا بـــين مبـــتعدٍ منها ومقتربِ

ولذلـــك كـــان يـــرى أن الخـــلاف بين الأشقاء العرب مدعاة للغرابة والاستنكار:

لـــلخلف في الـــناس أنواع وأغربها خلف الشقيقين من قومي بلا سببِ

وأن الأمـــر الطبـــيعي هـــو الاتحاد بين الأشقاء، أما الأمر المستكره فهو الشقاق:

لبـــنان والغوطـــة الخضراء ضمهما ما شئت من أدب عال ومن نسبِ

مـــا في اتحادهمـــا تـــالله من عجبٍ هذا الفراق لعمري منتهى العجبِ!

ومـــا أشـــبه اليوم بالبارحة، لقد عتب على لبنان تصرف بعض بنيه في

الخمســـينيات تجاه سورية وإظهارهم العداء لها، وها هو ذا قلبه يتمزق أسىً من مثل هذه التصرفات المعادية فيقول:

ضـــاق لبـــنان بي وكـــان رحيبًا   وتـــترّى حقـــدًا وكـــان رفـــيقا

مـــا للبـــنان رحـــت أسقيه حبي   وســـقاني مـــرارةً وعقوقـــا

قـــد أرادوا لبـــنان ســـفحًا ذليلاً   وأردنـــاه شـــامخًا مـــرموقا

ويبين الشاعر أن الشام لم ولن تحمل بين جوانحها إلا الحب الصافي للبنان، وأن هذا الحب كبير وواسع يسمو فوق الجراح، ولا يشوبه مَنٌّ ولا أذى.

وما أسمى تعبيره عن هذا الموقف المبدئي الثابت الذي وقفته وتقفه سورية تجاه أهلنا في لبنان ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً:

عـــروبة الشـــام يـــا لبنان صافية   سمحـــاءُ كالـــنور لا مكرٌ ولا عقد

تـــنـــزّه الحـــب عن مَنٍّ وعن نكدٍ   وقـــد يـــنغّص حســـن النعمة النكدُ

نحـــن المحـــبين نهواكـــم ونؤثركم   هل كان من دلّلوا القربى كمن وَأَدُوا

نحـــن الظماءَ ونسقي الحب أرزكم   الحـــب في الشـــام لا نـــزرٌ ولا ثَمَدُ

لقـــد نـــدّد الشاعر بالأعمال التي قام بها الاستعمار الفرنسي في سورية، ومـــن مـــنا ينســـى تلك القصيدة الرائعة التي نظمها الشاعر في تبيان أساليب المستعمرين الفرنسيين وأعمالهم إبان احتلالهم لسورية والتي مطلعها:

يـــا سامر الحيّ هل تغنيك شكوانا   رقَّ الحديـــد ومـــا رقّـــوا لـــبلوانا

ومما يقوله فيها:

سمعـــتُ باريس تشكو زهو فاتحها   هـــلاّ تذكـــرت يا باريس شكوانا

عشرين عامًا شربنا الكأس متـــرعةً   مـــن الأذى فـــتملّي صِـــرْفَها الآنا

وتغـــنى الشـــاعر بشهداء الوطن وبرموز الثورة السورية على الفرنسيين

وبـــرحالات الحـــركة الوطنية، من أمثال سلطان باشا الأطرش وإبراهيم هنانو وسعد الله الجابري وشكري القوتلي وفارس الخوري...وغيرهم.

وحمـــل شاعرنا الهم القومي في فلسطين، فعبّر أيما تعبير عن ذلك الجرح النازف من جسم الأمة، وأبان مأساة اللاجئين الفلسطينيين تحت الخيام قائلاً:

الخـــــيام المــــــزقات وأم   في الـــزوايا وكســـرة وحصـــيرُ
وفـــتاةٌ أذلهـــا العـــري والجـــوع   ويـــلهو بالـــرمل طفـــل صـــغيرُ
كـــلما أنّ في الخـــيام شـــريدٌ   خجِـــل القصـــرُ والفِـــراش الوثيرُ

كمـــا صوّر الأعمال الإجرامية التي يقوم بها العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة من حيث الحرق والإبادة والتدمير:

يحـــرُقُ المـــدن والعـــذارى سبايا   وصـــــغيرٌ لذبحـــــه وكـــــبيرُ
ديـــنه الحـــرق والإبـــادة والحقد   وشـــتمُ الأعـــراض والتشـــهيرُ
صـــوّرته الـــتوراة بالفتك والتدمير   حـــــتى لَـــيَفزَعَ التصـــــويرُ

وثمة حقيقة يراها في التلازم بين مجد العروبة ومجد الشام، فإذا اعترى مجد العروبة في الشام خطر فالخطر كل الخطر على العرب كافة:

إذا ظـــل مجد العرب في الشام سالمًا   فمجـــدُ بني قحطان في الشرق سالمُ

ومـــن هـــنا كـــان تعلّق الشاعر بالشام وتقديره لمكانتها وموقعها على الســـاحة العربـــية، وحنينه الدائم لها إذ إنها قبلته، وإن الله عزّ وجل يغفر له إن صلى والشام قبلته فيقول:

ويـــا ربّ إن صـــليت والشام قِبلتي   فأنـــت غفـــور للذنـــوب رحيمُ
تهلّـــل عفـــو الله للذنـــب عندما   أطـــلّ علـــيه الذنـــب وهو وسيمُ

وجميل جدًا قوله:

نطوّحني الأسفار شرقًا ومغربًا ولكنّ قلبي بالشآم مقيمُ

وما أرقه من قول:

لقد زعموا أني بجلّق هائمٌ أجلْ، والهوى إني بجلّق هائمُ

ولكم كان يحن إلى الشام في غربته فيناديها:

يا شام يا لدة الخلود وضمٌّ مجدكما انتسابُ

من لي بنزر من ثراك وقد ألحَّ بي اغترابُ

فأشمه وكأنه لَعَس النواهد والملابُ

وأضمُّه فترى الجواهر كيف يكتنز التراب

هذا الأديم شمائل غرٌّ وأحلامٌ عذابُ

هذا الأديم أبي وأمي والبداية والمآبُ

ووسائدي وقلائدي ودمى الطفولة والسِّخابُ

أغلى عليَّ من النجوم ولا أُلام ولا أُعابُ

إذا كان شاعرنا المبدع يتسم برقة المشاعر ونبل الأحاسيس وسمو القيم وروعة البيان فإن الحكمة تزين تلك السمات كافة، والحكمة هي أصفى رحيق يقطّره عقل الإنسان، ومن حِكَمه:

قد تطول الأعمار لا مجد فيها ويضم الأمجاد يومٌ قصيرُ

ويرى أن المجد الحقيقي هو الذي يُبنى على المكابدة والمعاناة والمشقة والصعوبات:

لصغار النفوس كانت صغيرا تُ الأماني وللخطير الخطيرُ

يندر المجد والدروب إلى المجـ ـد صعابٌ ويكثر التزوير

علموا أنه عسير فهابو ه ولا بدع فالنفيسُ عسيرُ

كما يقول:

قـل لمـن يحسـد العظـيم ترفقْ إن خلـفَ الأمجـاد همًّـا وسُهدا

وما أروع حكمته في الدعوة إلى القوة والتضامن:

فقـل لضـعيفٍ راح يسأل رحمة رويـدك ما للضعف في الناس راحمُ

وقـل للذي جافى على القرب أهلَه رويـدك تقـوى بالخوافي القوادمُ

ومـا أعمق حكمته في بث التفاؤل في نفوس أبناء الأمة عندما يشير إلى أن المحتلين والغزاة لا محالة زائلون:

سـألوني عـن الغـزاة فجاوبتُ ريـاح هبّـت ونحـن ثـبيرُ

سـألوني عـن الغـزاة فجاوبتُ رمـالٌ تُسـفى ونحـن الصخورُ

سـألوني عـن الغـزاة فجاوبتُ لـيالٍ تمضـي ونحـن الدهـور!

لقد اتسم شعر البدوي بالخلود، لأنه كان الناطق بلسان التاريخ والعالم، باتجـاه إنسـاني انطلاقًا من إيمانه أن وظيفة الشعر تتمثل في الدفاع عن إنسانية الإنسان في هذا العالم، وأن الذين حملوا مشاعل المثل الإنسانية اندلعت شعلاتهم مـن وهج التفكير والشعور، انسجامًا مع الرغبة الدائمة للتعبير بطريقة تغني قيم الخـير والجمـال، وتوضح الحقيقة تخليدًا للمعاني الروحية والعاطفية وصولاً إلى خلود العبقرية الإنسانية.

فالدهـر مِلْـكُ العـبقرية وحدها لا مِلـكُ جـبّار ولا سـفّاح

ومعـذرة منك أيها الشاعر الكبير إذا كنت لم أتمكن من إيفائك بعض حقـك، ولتسمح لنا أن نستعير من دررك هذا البيت لنستشهد به على تقصيرنا تجاه الإحاطة بفكرك:

واعـذر إذا لم أوف مجـدك حقه لجـج الخضـم طغت على السبّاح

أبو بَكرالكُتنْدي الأندلسي

(٥١٣ – ٥٨٤)

حياته وأدَبُه ومَجْمُوع شعره

د. محمّد رضوان الدَّايَة

(القسم الأول)

حياته وأدَبُه

[١]

في شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري شاعر كان لـــه ديوان شعر مَرْوِيٌّ متداول، وكان واحدًا من ثلّة من الشعراء وأهل الأدب يحرّكون الإبـــداع الشعريّ، ويواصلون إضفاء الحياة والحيويّة على حركة الشعر في شرقيِّ الأندلس، وصولاً إلى غَرْناطة جنوبًا؛ والشّاعر المشار إليه هو: أبو بكر الكُتندي[(١)].

وعاصَـــر الكُتندي في حياته في القَرْن السّادس (٥١٣– ٥٨٤) ثلاث مـــراحل سياسية في الأندلس، كانت لها آثار ثقافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة؛ وهي:

١– أواخـــر مـــدّة دولـــة المرابطين، ومَن كان يدعو بدعوتهم بعد اضطراب أحوالهم،

---

(١) فيما يأتي من صفحات البحث (القسم الأول) كلام على ضبط اسم هذه البلدة التي ينتسب إليها الشاعر الأندلسي: أبو بكر الكتندي. تُنظر الصفحات ٦٩٩– ٧٠٥.

٢- ومـــدّة ظهور المتوثّبين(٢)، في عدد من المُدنِ والمَناطقِ للأخذ بنصيب مـــن تركة المرابطين في الأندلس؛ وهي مدّة مضطربة أبرزت عددًا من الطامحين، والطـــامعين مـــن مشارب شتّى. ولم تكن مصلحة «الوطن» كما نقول اليوم هاجسهم، ولا دافعهم إلى الثورة والانقلاب،

٣- ومـــدّة ســيطرة دولة بني عبد المؤمن (عُرفت بدولة الموحِّدين) التي ورثت دولة المُرَابطين.

ومعلومٌ أنّ الأندلس كوّنت مع المغرب دولة واحدةً منذ أنْ عزَم يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين على التخلّص من ملوك الطوائف ابتداءً من سنة ٤٨٤هـ. وكـــان أوّل الذيـــن خسروا «ملكهم» المعتمد بن عبّاد صاحب دويلة إشبيلية، وتـــبعه في ذلـــك معظم «ملوك» الطوائف. واستبقى أمير المرابطين بني هُود في منطقة سَرَقُسْطةَ رجاءَ أن يكونوا عونًا على دَرْء هجمات «قشتالة» وسواها من القوى المُعادية(٣).

ولم يَطُـــلْ عُمـــرُ دولة المُرَابطين، وكان أوَّلهم يوسف بن تاشفين الذي تلقّـــب بلقـــب أمير المسلمين (متحاشيًا التلقّبَ بأمير المُؤمنين الذي كان يَشْغَلُه خلـــيفةُ بغداد) وقد توفي سنة ٥٠٠هجرية. وخَلَفَهُ ابنهُ أبو الحسن عليّ إلى سنة ٥٣٧، وجـــاءَ بعد ابنه تاشفين الذي انتهى حُكمه بعد نحو سنتين ٥٣٩ بظهور الموحِّدين، وتغلّبهم على المغرب (بحدوده آنذاك) وعلى الأندلس.

وكان انتقاضُ دولة المُرَابطين قد بَدأ في عُقْرِ دارِهم من المغرب، ثم انتقل

(٢) يُنظر مثلاً ما أورده لسان الدين بن الخطيب تحت عنوان «ذكر مَنْ كان في أُخريات دولة المرابطين المتوثّبين من الملوك والرؤساء والثوار» من كتابه أعمال الأعلام: (٢٤٨) ومابعدها.

(٣) يُنظر مثلاً: دولة الإسلام في الأندلس – عصر المُرابطين والموحدّين: (١- ٢).

إلى الأندلـــس. ولكـــنّ القُطْـــر الأندلسيّ لم ينتظر طويلاً بعد سنة ٥٣٩؛ فقد ظهـــرت مجموعـــةٌ من المتوثّبين: أكثرَهُمْ من القُضاة، وبعضُهم من أهلِ القلم: الكُـــتّاب والأدبـــاء؛ وبعضـــهم من المُغامرين. وهكذا اضطربت البلادُ بهؤلاء «الـــثائرين». قـــال الأســـتاذ عنان: «كان من الطّبيعي أن تنشب بين المرابطين والموحِّديـــن وهـــم سادةُ الأندلس الجُدد المعركةُ التي تُغَذّيها عواملُ مختلفةٌ؛ هي محنة الأندلس الحقيقيّة، وكانت تتجدّد من خلالها صُوَر المعارك الانتحارية التي أثخنـــت الأندلس أيامَ الطوائف بجراحها الدّامية... على أنّ الثّورة على سُلطان المُرابطين في الأندلس لم تضطرم إلاّ في أواخرِ عَهدهم في شبه الجزيرة في الوقت نفســـه الـــذي اضطرم فيه المغرب بثورةِ (حركة) الموحِّدين الجارفة. وتَضعضَع ســـلطانُ المُـــرَابطين في عُقر دولتهم، وتعذّر عليهم إرسال الإمداد إلى ما وراء البحر...»[٤].

وهكذا نشأت مُدَّةٌ في الأندلس بين الانقضاض على السُّلطة المرابطية وبين تثبيـــت السُّلطة الموحِّدية هي أشبهُ بمدّة دُوَل الطّوائف في القرن الخامس؛ ما بين نهاية السُّلطة الأُموية وبين بَسط يوسف بن تاشفين سلطة المرابطين في الأندلس.

ونتجَ عن هذه الفوضى العارمة – بظهور هؤلاء المتوثّبين – نتائج خَطيرة من تكالُب العدوّ على الأندلس واقتطاعه أجزاءً بَعْدَ أجزاء من الأرض التي كان يَصْعُبُ استردادُها، أو يَقِلُّ احتمالُ استردادها مَرَّةً أُخرى.

وفي أخـــبارِ أبي بكـــر الكُتندي أنّه عمل كاتبًا لبعض وُلاة مالَقَة[٥]، التي كـــان كـــثير الإقامة فيها والتردّد عليها. و لم تذكر كُتُبُ التّراجم اسم الوالي أو

(٤) المرجع السّابق (١/ ٢٧، ٢٨).

(٥) أعلام مالقة (١٠٦).

«صاحب المركز» الذي كتب له. فقد كانت الأيدي كثيرة، وكانت الفتنة واسعة، وكان المتوثّبون كُثرًا. كأنّ الحُكْمَ أو التحكم صارَ هوايةً من الهِوايات، أو صَنْعةً من الصَّنائع يَطلُبها من يَستطيعُ ومن لا يَستطيع. وكان ولاةُ الموحدين كُثرًا أيضًا.

وحين كانت الأندلسُ دولةً وولاياتٍ في حاجة إلى الحاكم الخبير الحازم والمُحارب للعَدُوّ المتمكّن البارع كانَ قادةُ «الثّورة» على المرابطين – في معظمهم – من القُضاة وأربابِ القَلم: ففي قُرْطُبَة وجيّانَ وغَرْناطةَ ومالَقَةَ ومُرْسِيَةَ وبَلَنْسِيَةَ وغيرها كانوا من القضاة، والفقهاء والأدباء والشّعراء: من أعلام التّفكير[٦]، في ذلك العصر. وقد أثبتت الأحداثُ المتلاحقةُ عَجْزَهم جميعًا عن أن يكُونوا سياسيّين قادرين، أو يكونوا قادةً ناجحين، بل إنّهم في جُملتهم لم يَنْصَحُوا الأُمّة، ولم يَصُونوا حِمَاها.

ومن «الثوّار» في وسَط الأندلس وجَنُوبيِّها: ابنُ حَمْدِين بقُرْطُبة، وابنُ أَضْحى بغَرْناطة، وابنُ حَسُّون بمالقَة، وابن مِلْحان في وادي آش. وكان أكبر الثائرين في شرقيِّ الأندلس محمّد بن سَعد بن مَرْدَنيش، وقام في جيّان ابنُ جُزَيّ: كما قام في قادِس عليّ بن عيسى بن ميمون، وفي بَطَلْيوس محمّد بن علي الحجّام... وفي بَلَنْسِيَة (ثم شاطِبَة ولَقَنْت) ابنُ عبد العزيز، وفي مُرْسِية ابنُ رشيق، وابن أبي جَعْفر، وفي أُورْيُولَة أحمد بن عاصم...

وضَمَّ المُوَحّدون هذا الشتات طَوْعًا وكرْهًا، وقال لسان الدين بن الخطيب في وصف الحال: «وقد كانت أيدي هذه الدّولة المُؤمنيّة – دولة

---

(٦) عصر المُرابطين والمُوحدين (١/ ٣١٨)؛ والعبارة له.

الموحِّدين — نَقَّت الأَرْضَ من عُشْبِ الثّوارِ فلم تَترُك عَيْنًا إلا صَيرته أثرًا...»[٧].

[٢]

قدّمت تراجم الكتندي معلومات محدودة عن شخصيّته، وعن تنقلّه في البلاد الأندلسية، وأعماله التي مارَسها، وقدّمت لنا أسماء عدد كبير من شيوخه وأصحابه وتلامذته. وأفصحت عن ثقافته ووجوه نشاطه الأدبي شعرًا ونثرًا.

ومن هذه التراجم واحدة لصاحب كتاب المطرب، أبي الخطّاب عمر بن حسين بن دحية المتوفى ٦٣٣؛ فقد عاصره، ولقيه، وأخذ عنه، وروى بعض شعره، وأثنى عليه ثناء كبيرًا، وفي هذه الترجمة:«لقيتُ بمدينة غرناطة الوزير الأجَلّ أبا بكر محمّد بن أبي العافية الأزدي القُتندي الأصل الأغرناطي المنشأ، وكان من بقايا الأدباء وفحول الشعراء، ورواة الحديث عن العلماء»[٨]. وذكر من أساتذته عددًا ثم قال: «وله شعر كثير وأدب غزير»[٩].

وقد عَيَّنَ ابن دحية[١٠] تاريخ ولادة الكتندي بسنة ثلاث عشرة وخمسمئة[١١]، وعَيَّن تاريخ وفاته بسنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمئة، وتردّد أكثر الذين ترجموا له في وفاته بين ٥٨٣ و ٥٨٤.

---

(٧) أعمال الأعمال (٢٧٠).

(٨) يُقال فيها: غرناطة وأغرناطة.

(٩) المُطرب لابن دِحية (٨١– ٨٢).

(١٠) المطرب (٨٢).

(١١) في بغية الوعاة (١/ ١٥٥) أنه «ولد سنة ستّ وخمسين وخمسمئة» هكذا. وفي العبارة خطأ من المؤلّف أو الناسخ أو الطابع. وقرأ الدكتور عمر فرّوخ التاريخ هكذا: «ولد سنة ٥٠٦» ولم أجد هذا الرقم عند غيره.

وقـد رَجَّحْتُ التاريخين اللّذين حدَّدهما ابنُ دِحْيَة: لمعرفته به وتلقّيه عنه، وقـد قـال: «سَمِعْتُ منه، وأجاز لي ولأخي أبي عمرو جميع ما رواه ونثره، ونظمه» وذكر من أساتذته، وأصحابه، وتلاميذه.

ولـنا أن نُقَدِّرَ — تقديرَ الظَّنّ — أنّ أسرة الكُتندي غادرت بَلْدة كُتُنْدة، عـند احـتدام الصِّراع الأندلسي المرابطي مع قوّات العَدُوّ المتكالبة، ولا نعرف المديـنةَ الـتي استقرّت فيها الأُسرة، لكنّنا نَستشفّ من أخبار الشّاعر أنه أكثر الإقامـة في مالَقَة[١٢]، وفي غَرْنَاطة. ومن هنا ترجم له صاحبُ (أُدَباء مالقة) في كـتابه، وتَرْجَم له صَفوان بن إدريس في كتابه (زاد المُسافر) وسَجَّلَ إلى جانب اسمـه أنّـه: غَـرْناطيّ؛ فهـو معدودٌ — إذن — في أهلِ غَرْناطة[١٣]، وسكن

(١٢) مالقة (Malaga) مدينة على البحر المتوسط، جنوبي الأندلس، وهي اليوم حاضرة ولاية بهذ الاسم. وكانت مدينة زراعية، وصناعية، وكانت ذات أهمية من الناحية التجارية: البحرية، والعسكرية؛ واشتهرت بصناعة الخزف المالقي، وبالتين الجيّد الذي كان يُصَدّر إلى أنحاء بعيدة في العالم القديم. وكانت مالقة أيام دولة غرناطة ذات أهمية عظيمة حربيًّا واقتصاديًّا، وقد سقطت مالقة سنة ٨٩٢ قبل غرناطة بنحو سبعة أعوام.

ومن الطرائف والحقائق أنّ الأدوات الخزفية مازال تسمّى في بلا الشام، وخصوصًا في دمشق والغوطتين باسم (المالقي). وحدّثني زميل من تونس أنهم يقولون عن الخزف: (المالقي) أيضًا.

يُنظر: الرّوض المعطار: (٥١٧) ومُعجم البلدان (٥/ ٤٣)، والآثار الأندلسية الباقيـة (٢٤٢)، ورحلة الأندلس (٢٥٢)، وآخر أيام غرناطة: (٥٣) .

— ويُنظر للإطراف، ولإظهار الصلة بين الأندلس والمشرق عامة والشام خاصة مادّة (المالقي) في بعض كتبي من سلسلة الموسوعة الشامية مثل: معجم الأمثال العامية الشامية، ومعجم المآكل الشامية — وتُراجع الفهارس.

(١٣) مدينة كبيرة من مدن جنوبي الأندلس، برزت في أواخر القرن الرابع وحلّت محل=

المُنَكَّب(١٤) أيضًا.

-مدينة إلبيرة، وصارت إحدى حواضر الأندلس سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وحين انهارت الأندلس الكبرى أواخر حكم الموحدين اتخذ محمد بن الأحمر غرناطة عاصمة للدولة التي عُرفت بدولة (مملكة) غرناطة، ودولة بني نصر (أو بني الأحمر): من ٦٣٥ إلى ٧٩٨ وكانت آخر مدن الأندلس سقوطًا.

ويُقال فيها غَرْناطة وأغرناطة Granada ومعناها الرمّانة. وما يزالُ شعارُ المدينة هو: ثمرة الرمان.

وكانت غرناطة – وما تزال – مثل معظم المدن الأندلسية مجالاً لأقوال الشعراء وذكرياتهم. (الروض المعطار: (٤٥) ومُعجم البلدان (٤/ ١٥) ونُزهة المُشتاق (٢٩٧) وآثار البلاد (٥٤٧) والآثار الأندلسية الباقية: (١٦٠) ورحلة الأندلس (١٥٨) وآخر أيام غرناطة: مواضع متفرقة).

(١٤) المنكّب، هي اليوم Al muñecar (ومعناه في أصله العربي: الحصن المرتفع) مرسى على البحر المُتوسّط جنوبي ولاية غرناطة، وراء المرسى مدينة وصفتها المراجع الإسلامية بأنها «حسنة متوسّطة، كثيرة مصايد السّمك وبها فواكه جمّة» وقال الأستاذ عنان في وصف المدينة حين زارها قبل نحو أربعة عقود خلت إن هذا الوصف لمدينة المنكب ينطبق عليها اليوم فهي مدينة جميلة متوسطة...، ثم قال: وقد رأينا حين طوافنا بالمدينة نخلاً مثمرًا في هذا الوقت من الشتاء.

- وكانت المنكّب أولّ بلدة أندلسية استقبلت عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الذي أعاد الدولة الأموية في الأندلس (سنة١٣٨). وأُقيم بالمدينة تمثال كبير لعبد الرحمن تخليدًا لذكراه وأقيم لذلك ندوة حافلة في دمشق وأُقيم تمثال مصغّر من ذلك الأندلسي، في إحدى ساحات دمشق تكريمًا لهذه الشخصية العبقرية.

الروض المعطار (٥٤٨) ومعجم البلدان (٥/ ٢١٦)، ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب (٧٩)، والآثار الأندلسية الباقية (٢٥٨)، ونهاية الأندلس للأستاذ عنان: (٥١٠) وآخر أيام غرناطة: (٦٤).

[٣]

في تلخيص مُكثّف أفادنا ابن عبد الملك في الذّيل والتكملة[١٥] بحركة الكُتندي وتنقّله في عددٍ من المُدن الأندلسيّة، وقال فيه:

«محمّد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الأزديّ[١٦]: غَرْناطي، كتنديّ الأصل، سكن مُرْسِيَة[١٧]، ومالقة كثيرًا، ثُمّ غَرْناطة والمنكّب».

وتَنَقَّلَ أبو بكر الكُتندي في عددٍ من مُدن الأندلس: تبعًا لظروف أعماله

---

(١٥) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (٦/ ٣٤٩ — ٣٥٠).

(١٦) سأُورد مصادر ترجمته بعد قليل. والأزدي نسبة إلى الأزد من عرب اليمن.

(١٧) مدينة مُرسِيَة من بناء الأُمويّين في الأندلس بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (يُعرف بعبد الرحمن الثاني — الأوسط) سنة ٢١٦ واتّخذت «دار العمال وقرار القوّاد». وهي على نهر كبير، وفيها الأشجار المثمرة الكثيرة، وسائر أنواع الزراعة، وبجبالها معدن الفضة، واشتهرت بصناعة البسط الراقية. وذكر في الروض المعطار استعمال أهلها للدّواليب والسّواني رفع الماء. وقد رأيت في أرباضها ومزارعها نواعير كتلك التي كانت في غوطة دمشق (سقى الله أيّام غوطة دمشق وأيام العرب في الأندلس!) وكنتُ مررت بها سنة ١٩٧٦ مُصْعِدًا من جنوبي الأندلس إلى شماليّها الشرقيّ.

– والدواليب التي ذكرها الحميري في الروض المعطار هي النّواعير تديرها بعض الحيوانات القوية.

– سقطت مُرسية سنة ٦٤١ (١٢٤٣). وما تزال فيها آثار عربيّة وإسلامية.

– وسجّل أ. عنان رحمه الله في «الآثار الأندلسية الباقية» كثرة النخيل فيها على غرار ماكانت عليه أيام الحكم الإسلامي، وقال: «في مرسية طائفة من الجنّانين (البُستانيّين والحدائقيّين) لها عاداتٌ وأغانٍ خاصّة» ص٢٥٨.

التي مارسَها، ووجوه نشاطه التي اشتهر بها من الكتابة الديوانية، والمهام التعليميّة، وغير ذلك ممّا أتقنه وبرع فيه. وهكذا نُسبَ أبو بكر إلى كُتُنْدَة التي ترجع أُصول أسرته إليها، وإلى غرناطة، وإلى مالقة.

وكُتُنْدة بلدة صغيرة ذكرها الجغرافيّون لوقوعها في مفترق طرق القوافل، ثم اشتهرت بعد وقعة حربية بين المُرابطين والأندلسيّين من جهة وقوات الشمال المتحالفة من جهة ثانية، عُرفت باسم هذ البلدة كُتُنْدَة: Cutanda[١٨].

وقد اختلف رَسْمُ اسم المدينة، وضَبْطُهَا بين المصَادر الأندلسيّة والمغربية من جهة والمشرقية من جهة ثانية. فهذه فرصة لاستعراض القول في (كتندة) وضبطها.

[٤]

كتندة:

١ً - ورد ذكر كتندة في كتاب «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك» لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلاّئي[١٩]، وفيه تحت عنوان «أقاليم

---

(١٨) وقعت المعركة في ظاهر بلدة كتندة cutanda في الرابع والعشرين من ربيع الأول ٥١٤هـ (أو ربيع الآخر) الموافق حزيران (أو تموز) ١١٢٠م.

- قاد الجيش المُعادي ألفونسو الملقب بالمحارب، وقاد القوّات المرابطيّة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكانت النتيجة هزيمة منكرة للقوات المرابطية وسقوط مواقع كثيرة. (عصر المرابطين والموحدين – محمد عبد الله عنان – القسم الأول: ١٠٢).

(١٩) نشَر الباقي منه أُستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهْوَاني، رحمه الله، في مدريد تحت عُنوان: «نُصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبُستان في غَرائب البُلدان، والمَسالك إلى جميع الممالك» وهو من منشورات معهد الدراسات–

سَرَقُسْــطة»[٢٠]: «إقليم قُتُنْدَة وهو على ستّين ميلاً من مدينة سَرَقُسْطَة» واسم البلدة هكذا: حُروفًا وضبْطًا في الكتاب المذكور.

٢ً – وذكــر البَلْدَةَ الشّريف الإدريسي في نُزهة المُشتاق[٢١]، حين وصل إلى «ذكر الأندلس ووصف بلادها وطُرقاتها...» وقال[٢٢]:

«ومــن مدينة بلنسية إلى سرقسطة تسع مراحل على كتندة، وبين بلنسية وكتندة ثلاثة أيام، ومن كتندة إلى حصن الرّياحين مرحلتان...» إلخ.

– ولم يُضبط اسم كُتندة، ولكنه أوردها بالكاف.

٣ً – ووردت في نص لابن الأبّار ورد في الملحق (٢) من مرويّات ابن مغاور[٢٣]، وفيه[٢٤]:

«حُدّثتُ عن أبي محمد بن سفيان حدّثنا أبو عبد الله بن مغاور حدّثنا أبو علي بن سكّرة قراءة عليه وأنا أسمع بشاطبة مَقْدمَهُ علينا غازيًا إلى كُتُنْدَة أخبرنا أبو القاسم بن فهد...».

٤ً – وذكر البلدة المؤرخ الجُغرافيّ الأديب أبو الحسن عليّ بن موسى بن ســعيد في كتابه المغرب في حُلى المغرب[٢٥]، في عناوين كتبِ شرقيِّ الأندلس

= الإسلامية في مدريد (مطبعة معهد الدراسات الإسلامية).

(٢٠) نصوص عن الأندلس، (٢٤– ٢٥).

(٢١) كتاب نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشّريف الإدريسي – عالم الكتب – بيروت.

(٢٢) نُزهة المشتاق (٢/ ٥٥٦).

(٢٣) ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره – دراسة وتحقيق: محمد بن شريفة – الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٤ .

(٢٤) ابن مغاور: ٢٦٤.

(٢٥) المغرب في حلى المغرب – لابن سعيد – حقّقه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف

وعـــند التفصيل فيها، فقال: «كتاب رونق الجِدَّة في حُلى قرية كُتُنْدة»[٢٦]، من قـــرى مرسية، وترجم لأبي بكر محمد بن عبد الرحمن الكُتندي الذي نترجم له، ونعرِضُ الباقي من شعره.

- والضّبط من الكتاب المذكور.

٥ً- وذكر ابن سعيد: الكُتندي أيضًا في كتابه: رايات المبرّزين[٢٧].

٦ً- وذكـــر المقـــري في نفـــح الطيب[٢٨]، البلدةَ استطرادًا عند ذكر القاضي الشهيد أبي علي الصّدفي الذي استشهد في الوقعة المشهورة سنة ٥١٤، وعُرِفت باسم كتندة لوقوعها عند تلك البلدة. قال[٢٩]:

«فـــلمّا كانت وقعة كُتُنْدَة كان ممّن حضَرها فَفُقِدَ فيها سنة أربع عشرة وخمسمئة، رحمه الله تعالى».

- وردت «كُتُنْدَة» بالكاف، مضبوطة هكذا: بضم ففتح.

٧ً-ووردت نســـبة الكتندي مضبوطةً ضبطًا تامًّا هكذا الكُتندي في زاد المُسَـــافر[٣٠]، قال: «أبو بكر الكُتندي - أغرناطي» وقد نَبّهت في سياق الكلام

– طبعة ثانية منقحة – صدر عن دار المعارف بالقاهرة.

(٢٦) يُنظر (٢/ ٢٤٣) و (٢/ ٢٦٣).

(٢٧) رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد – حققه وعلّق عليه محمد رضوان الداية– دار طلاس – الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(٢٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد المقّريّ التلمساني – حققه الدكتور إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت ١٣٨٨– ١٩٦٨.

(٢٩) نفح الطيب (٢/ ٩٢).

(٣٠) زاد المُسافر وغُرّة محيّا الأدب السّافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المُرْسي – أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محْداد – دار الرائد العربي – بيروت، ١٩٧٠.

علـى أبي بكـر الكتـندي على اشتهاره بالنسبة إلى كتندة (فأصْلُه منها) وإلى غرناطة (لطول مكثه فيها).

٨ً – وترجم له ابن الأبّار في التّكملة[٣١] وقال فيه[٣٢]:

«من أهل غرناطة، يُكنى أبا بكر، ويُعرف بالكُتندي لأنّ أصله منها».

٩ً – وترجم له كتاب أعلام مالقة[٣٣]، وقال فيه[٣٤]:

«المعروف بالكُتندي، يُكنى أبا بكر...» إلخ.

١٠ً – وعـرّف الدكتور حسين مؤنس بالإمام الصّدفي في الحاشية (٢) من الجزء الثاني من الحلة السّيراء[٣٥]، وذكر استشهاده وقال[٣٦]:

«وقـد تُوفّي أبو علي مستشهدًا في وقعة كُتَنْدَة (وتكتب أيضًا قُتَنْدَة)»... انتهى.

١١ً – ووردت (كتـندة) في كـتاب الدكـتور حسين مؤنس (تاريخ

(٣١) التكملة لكتاب الصّلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (المعروف بابن الأبّار) بعناية عزّة العطار الحسيني — القاهرة ١٣٧٥- ١٩٥٦.

(٣٢) التكملة (٢/ ٥٣٥).

(٣٣) أعلام مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس — تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط التّرغي — دار الغرب الإسلامي ودار الأمان — مطابع دار صادر بيروت، ١٤٢٠ — ١٩٩٩.

(٣٤) أعلام مالقة: (١٠٦).

(٣٥) الحلّة السيراء لابن الأبّار — تحقيق د. حسين مؤنس — نشر الشركة العربية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٣.

(٣٦) الحلة السيراء ٢: ١١٨.

الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) [٣٧] وإلى جانبها: [٣٨] Cutanda.

والبلدة ما تزال قائمة، وتُعرَف بهذا الاسم الذي يُطابق النصّ العربيّ كما اشتهر في آثار الأندلسيين، ومَنْ زارهم.

فالمصادر الأندلسيّة، والمغربيّة ذكرت المدينة على وجهين:

- كُتَنْدَة (بالكاف).
- و قُتُنْدَة (بالقاف).

وضُبطت على وجهي قراءة الحرف الأوّل هكذا بضم القاف أو الكاف، وفتح التاء.

....

المصادر والمراجع المشرقية:

١ً – في معجم البلدان[٣٩]: «قُتُنْدَة بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة...» إلخ.

٢ً – وفي مراصد الاطّلاع[٤٠] كلام مماثل.

٣ً – وفي تاج العروس «كتندة، لغة في قتندة بالأندلس» والنص في المطبعة الخيريّة بمصر ١٣٠٧هجرية مُهملٌ من الضبط بالشكل والحُروف.

– وفي تاج العَرُوس (ط الكويت ٩/ ٩٧) مضبوطة بالشكل كُتُنْدَة وقُتُنْدَة، دون الضبط بالحروف. ولم يبيّن في الحاشية الجهة التي اعتمد عليها

(٣٧) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – د. حسين مؤنس – مطبعة معهد الدراسات الإسلامية – مدريد ١٣٨٦ – ١٩٦٧.

(٣٨) يُنظر ص (٢٦٢) و (٦٩٤).

(٣٩) مادّة (كتندة) في المعجم (طبعة دار صادر – بيروت).

(٤٠) مادّة (كتندة) في الكتاب (طبعة مصورة – بيروت ٣ أجزاء).

المحقّق في ضبط الكلمة، وأظنّ المحقق ركنَ إلى ما في معجم البلدان[٤١].

٤ً – وفي سيَر أعلام النُّبلاء (طبع مؤسسة الرسالة)

– في الجزء ١٩: «قُتُنْدَة» على الرسم الأندلسي.

– وفي الجزء ٢٠ «قُتُنْدَة»، بضمّتين.

٥ً – وفي الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٨٦) «كُتندة» بضبط الحرف الأوّل وَحْدَه. (طبعة دار صادر بيروت).

٦ً – ورسمها في بغية الوعاة بالكاف «كتندة» وجاءت مضبوطة بضمّتين: الكُتُنْدي[٤٢].

٧ً – وفي الوافي بالوفيات[٤٣]، ورد اسمُ الكتندي الشاعر هكذا:

«أبو بكر الكُتُنْدي: بضمّ الكاف والتاء ثالث الحروف وسكون النون وكسر الدال المهملة»[٤٤].

---

(٤١) [جاء في تاج العروس / ط الكويت، ج(٩/ ٨) النص الثاني: «وقُتُنْدة، بضمتين: بلد بالأندلس، وقعته مشهورة، ويُقال فيه بالكاف أيضًا».

وجاء في تاج العروس / ط الكويت ج(٩/٩٧) النص الثاني: «كُتُنْدَةُ: لغةٌ في قُتُنْدة، بالأندلس». فقد ذكر صاحب التاج عند إيراده: قتندة، أنها بضمتين، فضبطها بالحروف] / المجلة.

(٤٢) بغية الوعاة (١/ ١٥٤).

(٤٣) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٢).

(٤٤) كان الصفدي في الوافي بالوفيات أوّل من ضبط الرسم بالحروف. ولم يذكر مصدره، ولا أعلم أحدًا قبل الصفدي أو بعده فعل ذلك.

[«وجاء ضبطه بالحروف في القاموس المحيط (القتاد) وفي تاج العروس (قتد)»]./ المجلة.

ونَخرُج من هذا كلّه إلى ما يأتي:

١- اسم البلدة: كُتندة بالكاف أو قُتندة بالقاف. وقد ساغ نطقها بالرسمين لأنهما يحكيان الأصل القديم: Cutanda . وهو الرسم الحالي للبلدة أيضًا.

٢- ضبطت المصادر الأندلُسيّة والمغربيّة الكلمة بضم الكاف وفتح التاء. وحقّق ذلك المحققّون الذين أخْرَجُوا عَددًا من المصادر الأندلسية والمغربية مثل: د. الأهواني و د. مؤنس، ود. ضيف، ود. شريفة، ود. إحسان عباس، وابن أبي شنب.

٣- وأكثر الكُتب المشرقيّة على ضَبْط الكلمة بضم الكاف والتاء معًا.

٤- اختَرْتُ في هذا البحث، ضَبْطَ الأندلسيّين والمَغاربة، وتابَعْتُ المحققّين الذين نشروا تلك النُّصوص الأندلسيّة بضبطهم: كُتَنْدَة، هكذا.

٥- وأَعُدُّ ضَبْطَ الأندلسيّين والمغاربة القُدامى، وتحقيق المُختصين المعاصرين كافيًا. ولكنني أستأنس أيضًا بقراءة حروف اسم البلدة بالقشتالية القديمة، والإسبانية الحديثة: Cutanda هكذا التي تؤدي إلى النّطق العربي: بضم الكاف وفتح التاء.

[٥]

حفظت كُتب التّراجم عددًا من أسماء أساتذة أبي بكر وشيُوخه ومن أسماء الذين أخذوا عنه، ورَوَوْا عنه، ومن أسماء أصحابه وأصدقائه من أهل الأدب والعلم، ومن ذوي المكانة الاجتماعية، وأعلام الشعر في زمانه، ونجد أحيانًا — مع هذه الأسماء — أخبارًا تضيفُ إلى ترجمة أبي بكر الكتندي، أو تقدم فوائد تُفصح عن جوانب من معالم شخصيته.

ومن أساتذته وشيوخه:

١- أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر محمد الخُشَني، من أهل مُرْسِيَة، سمع أبو بكر منه كتاب الملخّص وصحيح مسلم(٤٥)؛

٢- وأبو عبد الله خطّاب بن أحمد بن خَطّاب (فقيهٌ عالم) قرأ عليه الأدب(٤٦)؛

٣- وأبو بكر محمد بن عبد الله بن العربيّ، وكانت له رحلة إلى المشرق، وله المؤلفات المتنوعة في الأمور الشرقية والعربية والتاريخية وغيرها(٤٧)؛

٤- وأبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن أبي ركب، وقد كان إمامًا في صناعة العربية؛

٥- وأبو إسحاق بن خَفاجة الأديب الشاعر المشهور، وقد قرأ عليه أبو بكر الكتندي نظمه ونثره في مُجلّدين(٤٨).

وفي شيوخه والذين روى عنهم: أبو الحسن يونس بن مغيث، وأبو القاسم بن أبي جمرة، وأبو الوليد بن الدبّاغ، وغيرهم.

وهذه الجمهرة من الأعلام يطول استقصاء أخبارهم وأحوالهم في عجالة كهذه المقدّمة، وهم يستوفون جوانب الثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت(٤٩).

---

(٤٥) المطرب من أشعار أهل المغرب: (٨١)، توفي بمرسية (٥٦٢).

(٤٦) المصدر السابق. وكانت وفاته قبل الثمانين وخمسمئة.

(٤٧) المصدر السابق؛ وفيه أنه عُرِف بالجزّار.

(٤٨) المُطرب: ٨١. وديوان ابن خفاجة ومجموعة من رسائله مطبوعة (من تحقيق د. السيّد مصطفى غازي – الإسكندرية – منشأة المعارف – ١٩٦٠).

(٤٩) يُنظر في أسماء شيوخه وأساتذته: الذيل والتكملة (٣٤٩/٦- ٣٥٠) والمطرب من-

وروى عـن أبي بكـر الكتندي جماعة فيهم: أبو سليمان وأبو محمد ابنا حـوط الله، وأبـو العباس أصبغ بن علي بن أبي العبّاس، وأبو علي حسن بن كسرى، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم الملاّحي(٥٠).

وهؤلاء — وآخرون سكتت عنهم المصادر، من تلامذة الكتندي والرواة عـنه يمـثّلون حلقة من حلقات المتابعة الأدبية والفكرية والدينية والثقافية. وقد كـان أبـو بكـر الكتندي حلقة متوسطة بيْن جيل أساتذته وشيوخه، وجيل تلامذتـه والـرواة عـنه. ونقرأ في كتاب المغرب(٥١)، لابن سعيد الذي ظهر الكتاب باسمه(٥٢)، قال والدي:

«هو من نبهاء شعراء عصره، وسكن غرناطة، وانتفع به من قرأ عليه من أهلها، ولازمها حتّى عُدّ من أهلها».

وكـان في أصحاب أبي بكر الكتندي عدد من أدباء الأندلس فيهم: أبو جعفر بن سعيد، قال فيه ابن سعيد صاحب المغرب:

«هو عَمّ والدي، وأحد مصنّفي هذا الكتاب (يعني كتاب: المغرب في حلى المغرب، قال: وكان والدي كثير الإعجاب بشعره، مقدّمًا له على سائر أقاربه».

- وفي أصحاب أبي بكر: أبو الحسن بن نزار (حسيب وادي آش).

- وأبـو عبد الله الرُّصافي: شاعر عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة

- أشعار أهل المغرب: (٨١) والمغرب (١٥٤/٢).

(٥٠) يُنظر الحاشية السابقة..

(٥١) المغرب (٢: ١٥٤).

(٥٢) معلوم أن الكتاب من صنعة عدد من أفراد أسرة بني سعيد لكنه انتهى وأُخرج على يد علي بن موسى بن سعيد الذي انتقل إلى المشرق زماناً طويلاً، ثم استقر في تونس. (تُنظر مقدمة د. شوقي ضيف على الكتاب).

الموحِّدية(٥٣).

وكانت لقاءات الكُتندي مع أصحابه من الشعراء مجالاً للمذاكرات الشعرية ورواية الشعر، كما كانت مجالاً لِقِطَعٍ يرتجلُها أَحَدُهم، أو أكثر من واحد، وقد يَصْدُرُ عن المجموعة قصيدةٌ نظموها معًا — نظمًا جَماعيًّا — (ينظر مُلحق الشعر).

ويُذكر من أسماء الأدباء، والشعراء، والكُتّاب، والعلماء الذين كانوا يَلْقَوْنَ الكتندي أو يَلْقاهم، وتدور بينهم أحاديث، وتُقام مجالس، ويُساجَلُ فيها بالشعر:

- أبو علي بن كسرى(٥٤).
- وأبو عِمران بن رزق(٥٥).
- وأبو الحسَن الوَقّشي(٥٦).
- والفقيه أبو القاسم بن عبد الواحد(٥٧).

---

(٥٣) المغرب (٢/ ١٥٤).

(٥٤) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٥) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٦) يرد باسم (كنية) أبي الحسن، وأبي الحسين. ورَدَ فيهما في نفح الطيب (١/ ٤٧٣، ٤٧٤) ومواضع أخرى.

- وذكره ابن سعيد (١/ ٢٢٥) باسم: أبي الحسين الوَقّشي. والوقّشي هذه نسبة إلى بلدة «وَقّش» بالأندلس.

- في أعلام مالقة (١٠٩) «... أنشدنا أبو الحسن الوقّشي قال أنشدنا أبو بكر الكتندي، وأمر أن تُكتَب على قبره رحمه الله (الأبيات)...». انظرها في مجموعه الشعري فيما يأتي.

(٥٧) أعلام مالقة (١٠٦).

[٦]

لم أجـد في شعر الكُتندي الباقي شيئًا من المَدْحِ أو ما يُشبهه، وليسَ في أخـباره إشارةٌ إلى مدح أحد رجال عصره. وإن كان هذان الجانبان لايَحْجُبَان ماغـاب عـنّا من شعره وأخباره؛ فقد يكون فعَلَ ذلك. ولكنّ الإشارة فيهما ذاتُ دلالةٍ واضحة؛ وهو، لو مَدَحَ، لكان قريبًا من نهج ابنِ خفاجة الذي مدَح المُـرابطين وقد استَشرفَ أن يكونوا المنقذين لحال الأندلس المُتردّية بأفعالِ مُلوك الطوائـف وبظـروفٍ أخرى. ونقرأ في ديوان ابن خفاجة[٥٨]، في مقدمته التي صـنعها بنفسه كما رتّب ديوانه بنفسه، بعد الإشادة بالأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن أمير المُسلمين يوسف بن تاشفين:

«ولمّـا دخـل جزيرة أندلس... تعيّن أن أفدَ عليه مهنّئًا بالولاية مسلّمًا، وأغشـى بِسـاطه الرّفـيع موفيًا حقّ الطاعة مُعظِّمًا، فما لبثَ أنْ رفعَ وأسْنى، واصـطنع فأدنى... فعطفتُ هنالكَ على نَظْمِ القَوافي عناني، وسننتها عند ذلك حُللاً على مَعَاطِفِ سلطاني: مصطنعًا لا متنجعًا، ومستميلاً لا مُستَنيلاً، اكتفاءً بمـا في يـدي مـن عَطايا منّان، وعوارف جوادٍ وَهّاب، خَلق فأَبْدَع، ورزق فتبرّع...».

ومن هنا اختلطت قصائد المَديح عند ابن خفاجة بالإخوانيّات[٥٩].

وأُستاذ أبي بكر الكتندي في الأدب عامة والشعر خاصّة كان أبا إسحاق ابـن خفاجَة الذي تحدّث بنفسه في ديوانه عن التفاته إلى الطبيعة وخصوصًا في

(٥٨) ديوان ابن خفاجة (٧– ٨).

(٥٩) ابن خفاجة: محمّد رضوان الدّاية: الطبعة الثانية – فقرة (المديح) في أغراض شعر ابن خفاجة.

بلدته شُقْر[٦٠]، ومحيطها من منطقة بلنسية بشرقيّ الأندلس.

وتحدّث د. إحسان عباس عن وَصْف الطبيعة في الأندلس قبل ابن خفاجة، وعن أثره في هذا الغرض في الأندلس، وفي الأدب العربي عامة[٦١]، فقد زاد ابن خفاجة في هذا الموضوع: في التشخيص وفي الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة[٦٢] واعتمد وسائل فنية جديدة متصلة بملكات خاصة لديه... وربط الطبيعة بكل موضوع، وجعلها المتكأ الذي يستند إليه القول الشعري عامّة...»[٦٣] ثم قال: إن ابن خفاجة كان يرى الطبيعة في إطار الغناء، وضمّن إحساسه بالتغيّر، وحسّه الدقيق بالصراع بينه وبين الزّمن[٦٤].

وقد قال د. فرّوخ إن ابن خفاجة برع خاصّة في وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن[٦٥].

وأهم موضوع في ديوان ابن خفاجة كما قدّر د. شوقي ضيف[٦٦] وهو

(٦٠) شُقْر (Jucar) تنطق اليوم هكذا: خوكار، تبعد عن بلنسية نحو ١٨ ميلاً. وتقع على نهر يسمّى نهر شُقر، فإذا وصل إليها انقسم قسمين فصارت المدينة كالجزيرة بين الفرعين. وهي في منطقة زراعية حراجيّة من أجمل بلاد الأندلس، وهي بلدة ابن خفاجة، وقد خلّدها في شعره بقصائد ومقطعات (الروض المعطار (٣٤)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٤) وفيه: شَقر بفتح الشين، وهو خطأ ظاهر.

(٦١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤) وما بعدها.

(٦٢) انظر تلمذة أبي بكر الكتندي على ابن خفاجة – على سبيل المثال – القطعة ذات الرقم (١٣) من مجموع شعره (القسم الثاني من هذا البحث).

(٦٣) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤ – ٢٠٥).

(٦٤) المرجع السابق.

(٦٥) تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١٨ – ٢١٩).

(٦٦) عصر الدول والإمارات: الأندلس (٣١٨ – ٣١٩).

موضوع استنفدَ أكثر شعره، واشتهر به فهو وصف الطبيعة.

وقــد مرّ ذكر ابن خفاجة في كتب الأدب الأندلسي مدرسيّةً وجامعيّة وعامّة. ومن ذلك فصل خاص عنه في كتاب (في الأدب الأندلسي)[٦٧].

وأفردتُ ابن خفاجة بكتاب مستقل، صدر بعنوان (ابن خفاجة)[٦٨].

وقــد أطلق عليه الأندلسيون لقب جنّان الأندلس أو الجَنّان أي البستاني لكثرة وصفه الطبيعة ولاستغراقه فيها.

وإذا تركــنا أُســتاذه ابــن خفاجة (زعيم هذ المذهب ومؤصّل أصوله وفُــروعه) وقفنا عند شاعر آخرَ كبير من أتباع المذهب الخَفاجيّ، ومن أصدقاء الكُتــندي المخلصــين: الرّصــافي البلنسي؛ وآنسنا منه قربًا ممّا آنسنا من ابن خفاجــة، ونقــرأ للدكتور إحسان عباس عنهما: «كلاهما رحّب بِمَقْدَم دولة جديــدة: رحّب ابن خفاجة بمقدم المُرَابطين ومدَح أُمراءهم، ورَحّب الرّصافي بمقــدم الموحّدين ومدح بعض أمرائهم ثم نفى عن نفسه كلّ ذلك، وعاش قانعًا بحرفه الرّفو... [٦٩]».

وكــان من أتباع المذهب الخفاجي في هذه المُدّة ابن الزقّاق البلنسي[٧٠]، والرصــافي البلنســي[٧١]، وأبــو المطرّف بن عميرة المخزومي[٧٢]، وأبو بكر

---

(٦٧) في الأدب الأندلسي — محمد رضوان الداية — دار الفكر — دمشق — ط٢.

(٦٨) ابن خفاجة — محمد رضوان الداية — الطبعة الثانية بدار قتيبة — دمشق.

(٦٩) ديوان الرّصافي البلنسي ط١: ص١١.

- والمقصود رفو الثياب، وصاحبها: رَفّاء. وكان الرُّصافي البلنسي يلقّب بالرفّاء. فهو الرّفاء الأندلسي في مقابلة السَّريّ الرفّاء المَوْصليّ (المشرقيُّ).

(٧٠) صدر ديوانه في دار الثقافة — بيروت بتحقيق عفيفة ديراني.

(٧١) جمع شعره د. إحسان عباس، وطُبع في دار الثقافة — بيروت.

الكتندي(٧٣) وغيرهم.

واستمرّ هذا التيار في الأجيال التالية في الأندلس.

....

[٦/أ]

يظهـــرُ لقارئ شعرِ الكُتندي الباقي التفاتُه إلى الطبيعةِ واستغراقه فيها فنيًّا ووُجدانـــيًّا. فوصَـــف الطّبـــيعة الحُرَّة، ووصفَ مشاهِدَ صناعيّة تلفتُ الانتباه، وتسترعي النظر.

- ومن شعره الوصفيّ قولُه الممزوج بالانفعال الوُجْداني(٧٤):

يـــا نَهْـــرَ إشْـــنِيْلٍ ألا عَـــوْدَةٌ	لذلـــك العَهْـــدِ ولـــو في المَـــنامْ؟
ماكـــان إلاّ بارقًـــا خاطفـــًا	مازلـــتُ مُـــذْ فـــارقني في ظلامْ!
لله يـــــومٌ مـــــنه لم أنْسَـــــهُ	وذكـــر مـــا أولاهُ أَوْلى ذِمَـــامْ
إذْ هـــندُ غُصْـــنٌ بـــين أَغْصَانها	كـــالدَّوْحِ يَثْنـــيهِ هَدِيـــلُ الحمَامْ

فالشّـــاعر يـــتَحدّثُ عـــن نَهْـــرِ «إشنيل» وذكرياته في غَرْناطة؛ تلك الذّكـــريات التي كانت طيّبةً مُعجبةً، فمرّت عَجْلى سريعة، ويصف لنا مكانَها في نفســـه؛ ويعـــرّج عـــلى تتمة المشهد: الأرض الطيبة والماء العذب والحبيبة الجميلة... ويُعبّر عن صورة جمالها بكونها — فيما يرى — جزءًا من تلك الطّبيعة المُعجبة...

---

(٧٢) نشر رسائله وشعره الباقي د. محمد بن شريفة في الرباط في كتابه (أبو المطرّف بن عميرة المخزومي).

(٧٣) ها نحن أولاء نجمع شعره، ونقدّم له بهذه الدراسة.

(٧٤) انظر القطعة (٢١) من شعر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

وهذا يذكّرنا بابن خفاجة، كقوله مثلاً في صفة فتاة[٧٥]:

وَضَحَتْ سَوالفُ جيدها سُوْسَانةً وتَوَرَّدتْ أطرافُها عُنّابا

- وله وصفٌ طريفٌ لحوضٍ نُحاسيٍّ عليه أربعةُ أُسودٍ نُحاسيّة أيضًا ينصبُّ منها الماء، قال[٧٦]:

انظُرْ إلى الماءِ والصبَابةْ يَجْري مِنَ أفْواهِ أُسْدِ غابةْ

أزرق يَنْسَابُ ذا حَبابٍ كأنّهُ الأيْمُ في انسيابةْ

....

[٦/ب]

ومن الامتزاج بالطبيعة الأندلسيّة المتميّزة والالتفات إلى الذات، وارتباط المكان بالزمان نقرأ نصًّا حسنًا جدًّا ينزعُ مَنْزعًا غَريبًا نألَفُ مثله — كثيرًا — عند شُعراء المذهب الخفاجي، وهو قصيدةٌ قصيرة، أو قطعةٌ من ستّة أبيات، يقف فيها الشاعر عند شجرةٍ قديمة في الحَيّ الذي نَشأ فيه، ويجري حوارٌ من طرف واحدٍ شديد التّعبير عن نفسِ الشاعر، وحاله، ومكنوناته الداخليّة؛ قال[٧٧]:

يا سَرْحَةَ الحَيّ يا مَطُولُ شرح الذي بيننا يطولُ

عندي مقَالٌ فهلْ مقامٌ تُصغين فيه لما أقول؟

ولي دُيونٌ عليكِ حَلّتْ لَو أنّه يُنْفَعُ الحُلولُ...

ماضٍ من العَيْشِ كان فيه مَلْبَسُنا ظِلُّكِ الظليلُ

---

(٧٥) انظر النصّ والتعليق عليه في (ابن خفاجة) (٥٩).

(٧٦) انظر القطعة (٥) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

(٧٧) القطعة (١٣) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذ البحث).

زالَ.. وماذا عليكِ ماذا يا سَرْحُ لو لَمْ يكنْ يَزول؟..

ويختم الشاعر القطعة بالدعاء لتلك السَّرحة التي استظلَّ بها زمانًا، وحملَتْ من نفسه ومشاعره مثلما حملَتْ من أخباره وأسراره... إنّها صورةٌ مُصَغَّرة جدًّا (مكروفلم) من قِصّةِ حياة!...

ولا نجدُ في الباقي من شعر الكُتندي أثرًا لشعر نتوقّعُ وجوده في ديوانه القديم من مُعالجة الأحوال العامّة، أو الإشارة إلى حادثةٍ من الحَوادث التي كانت تشغل الناس وتقضّ مضاجعهم أحيانًا من الفتن والثورات وحركات المتوثّبين. وإذا كُنا رجّحنا عدمَ انغماس الكُتندي في المَدْح (على القياس والتّغليب) فإنّ وجود شعر المدح قد ينفع في رسم صورة علاقة الشّاعر بالدّنيا السياسية من حوله. لكنّ الشعور الوطني الذي يستظلُّ وراءَ «الطبيعة» و «المكان» في شعره يَشي بنوعٍ من الارتباط بالأرض والاستظلال بظلالٍ يتناوبُ فيها الخوف والأمن، والاضطراب والاستقرار. وممّا يُسْألُ عنه من الشعر في ديوان الكتندي الضّائع ما يمكن أن يكون نَظَمه في المعارك مع الدّول المعادية، والحثّ على الجهاد والمقاومة، وحفظ الوطن وأهله.

[٦/ج]

والوتر الدّيني الإسلامي صَدّاحٌ في قلبه كما هو في لسانه؛ ومن هنا نجده يتعّظُ من بارق الشّيب، وينظم أبياتًا لتُنقش على قبره عند وفاته، ويربط الوعظ بالوازع الديني... وقبل هذ كلّه ينظم في مدح رسول الله ﷺ، قال – مثلاً –:

أنتَ الغنيُّ وإنّ الفقْرَ بَرَّح بي فأغْنِني بالغِنى المُغني عن النَّشَبِ
إن تدركني[٧٨] برُحْمى لم أخَفْ دَركًا وإن تكلني إلى نفسي فيا نَشَبي!

(٧٨) انظر قراءة الكلمة وسياقَ الشّعر في النصّ المُحقق، في القسم الثاني (التالي)، الرقم [٤].

وقال:

لأمـــرٍ مـــا بكيـــتُ وهاجَ شوقي وقـــد سَجَعَتْ على الأيْكِ الحَمَامُ

لأنَّ بياضَـــها كبـــياضِ شَـــيْـــي فمعـــنى شَدْوِهَا «قُرْبَ الحِمامُ»!..

– والحِمام بكسر الحاء هو الموت.

....

. هذا الشّاعر الذي يُعَدُّ حَبّةً في عقد المذهب الخفَاجي، شاعرٌ له شخصيّته أيضًـــا، ورؤيـــتُه الفَنّـــية، وأُسلوبُه، فإنه يرجّح رشاقة العبارة، كلّما رأى ذلك مُناسبًا، على الجَزالة، ويُؤثر طَرافةَ الفكرة وبساطتها على عُمقها وفلسفتها: مع المُحافَظة على أساسيّات الخفاجيّة التي صارت جزءًا من العملية الفنيّة عند هؤلاء الشعراء.

ويستطيع قارئ الباقي من شعر الكُتندي أن يُضيفَ إلى طبيعة شخصيّته، وملامحها الجانبَ المَرِحَ في حركة الحياة، على رغم الظروف الصّعبة التي كانت تمُرُّ بها البلادُ جميعًا في مُعظم سنوات حياته.

(القسم الثاني)
شِعْرُ أبي بَكر الكُتندي الأندلسي*

[١]

نقَـلَ صـاحِبُ أعلام مالقة(٧٩)، «من خطّ أبي عمرو بن سالم قال: أنشـدني صَـاحِبُنا الفقيه أبو عليّ بن كِسْرى(٨٠)، ممَّا ارْتَجلَ أبو عبد الله الرُّصـافي(٨١)، بحضـرة أبي بكر الكُتندي الكاتب رحمه الله في صَنَوْبَرةٍ قد صُنِعَتْ من نحاس، وثقبت جوانبها، وركِّبت في وسط مُستدير ماءٍ في بُستان أبي عِمـران المذكور(٨٢)، فقال فيها أبو عبد الله الرّصافي – رحمه الله – هذه الأبيات: [من المتقارب]

وروْضٍ جَـلا صَـدأَ العَـيْنِ بِهْ   أُزَيْـرِقُ يَطْفُـو على مَشْرَبِهْ(٨٣)

صَـنوبرةٌ رُكِّبَـتْ سـاقُها   إلَـيهِ فَخاضَـتْ حَشَـا مَذْنَبِهْ

فَشَـبَّهْتُها وأنابِيـبَها   – بِهـا الماءُ قد جَدّ في مَسْكَبِهْ –

بِـأَرْقَمَ كَعَّـكَ مِـنْ شَخْصِـهِ   وأفـراخُهُ يَـتَعلَّقْنَ بِـهْ(٨٤)

(*) جمعه كاتب المقال وراجعه وشرحه.

(٧٩) أعلام مالقة (٩).

(٨٠) سيرد تعريف به فيما يأتي.

(٨١) هو الشاعر المشهور بالرُّصافي البلنسي (له ذكر في حواشي المجموع).

(٨٢) أبو عمران موسى بن رزق.

(٨٣) الشعر في أعلام مالقة (٢٠٩).

(٨٤) الكعك معروف، يقال إنّه مُعَرّب. ولما كان الكعكُ كثيرًا مايكونُ مُدَوّرًا، وأشهر نوع: مُستدير (من عجينة طولانيّة ضمّ طرفاها فنضحت وهي مُدَوَّرة) فمن هنا اشتقّ الشاعر من الكلمة وقال كَعَّك، أي: اتّخذ شكلَ الكَعْكَةِ استدارةً؛ وهو توليد،–

ولأبي بكر الكُتنْدي فيها[٨٥]: [من الطويل]

صَـــنَوْبَرَةٌ لم يُوجَـــدِ الكونُ مِثْلَها حُلِـــيٌّ بسَـــاتينٍ ورِيْقَ مذَانب[٨٦]

حَوَتْ ذائبًا من طَعْمِها خَرْقَ عادَةٍ فَســـال يَنابيعًا على كُلِّ جَانبِ[٨٧]

يُضَـــاهي الثُّريَّا شَكْلُهَا واجْتِمَاعُها لَوَ انَّ الثريّا [عارَضَتْهَا] بِذَائبِ[٨٨]

–واشتقاق من الجوامد على منهج عربي صحيح.

– وبالمناسبة فإنهم في اللهجة الدارجة في الشام يقولون «كَعْوَك» بدلاً من كَعَك. جاؤوا بفَعْوَل بدلاً من فَعَل.

– والأَرْقَم من الحيّات مافيه سواد وبياض، أو رُقِمَ بسوادٍ وحُمرة أو كُدرة أو بُغثة؛ والأنثى: رقشاء (لأيقال رقماء).

– (وانظر تاج العروس: ر ق م).

(٨٥) أعلام مالقة (٢٠٩)، وأدباء مالقة (٢٠٢). (والشعر متابعة لوصف تلك الصنوبرة المصنوعة).

(٨٦) المَذانب جمع المذنب: مسيل الماء إلى الأرض.

– ونوّن الشاعر «بساتين» ضرورةً.

(٨٧) في أدباء مالقة: دائبًا... خَرق عادة.. وفي «ينابيع» مُنَوّنةً ضرورة شعرية.

(٨٨) في أُدباء مالقة: «فراغ بمقدار كلمة واحدة». واقْتَرَح في أعلام مالقة وضع عبارة: «قد حَكَتْها». واقترحتُ أنا عبارة: «عارَضَتْها». ومعنى عارَضَ فلانٌ فلانًا (أو عارضَ شيءٌ شيئًا): باراهُ وأتى بمثل ماأتى به، يُقال: عارَضَهُ في الشِعْرِ، وعارضه في السَّيْرِ، وعارَضَهُ بمثلِ صنيعه. (من الوسيط).

– وقد عادَ الرُّصافي البلنسي إلى هذه الصَّنوبرة فوصَفَها في قطعتين؛ فقال: [من البسيط]

لم أَنْسَ ماراقَ عيني من صَنَوْبَرةٍ لهـــا مـــع الماءِ حالٌ غير مَحْلُول

تعـــبُّ فـــيها لجيـــنها فتنفخه أعطافهـــا مثل أشطار الخلاخيل

– وقال: [من مخلّع البسيط]

[٢]

وقال يخاطبُ الرُّصَافي البَلَنْسيَّ الشاعر[٨٩]: [من الطويل]

غَلَبْــنَاكَ عَمّـــا رُمْتَهُ يا ابْنَ غالِبِ   بِــرَاحٍ ورَيْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ!

[٣]

وقال في معنى الغَزل[٩٠]: [من البسيط]

يا نُخبَةَ الظَّرْفِ بل يا نُخبَةَ الأدَبِ   [ما] للهوى غَيْرُ ذاكَ الحُسْنِ من سَبَبِ[٩١]

الــبَدْرَ أَطْلَعْتَ مِنْ قَدٍّ على غُصُنٍ   مَــتَى ظَفِرْتَ بِأَفْلاكٍ من القُضُبِ؟

[٤]

وقال في الزُّهد[٩٢]: [من البسيط]

وجــــدول كاللُّجَــيْنِ ســـائلْ   صـــافي الحَشَـــا أزرق الغَلائــــلْ

علــــيهِ شـــــكلٌ صَـــــنَوْبَرِيٌّ   يفــــتلُ مـــن مائــــه خَلاخِــــلْ!

(٨٩) ورد البيتُ في سياق خبره: انظره في المُلْحَقِ بشعر الكُتَنْدي [ختام الملحق١].

– والبيت في النَّفح (٣/ ٥١٤).

(٩٠) النَّص في أعلام مالقة (١٠٦– ١٠٧) وأدباء مالقة (٨٦).

– وردت القطعةُ بعد قطعة في الغَزل داليَّة، تجدها في موضعها من هذا المجموع الشّعري، أوَّلُها [الرقم٨]:

ومُهَفْهَــفٍ هــزَّ الحسامَ وربَّما   فَلَّـتْ لواحِظُــهُ مَضارِبَ حَدِّه

وقال مؤلِّف أعلام مالقة في التَّقديم لها: «قال شيخنا أبو القاسم، وهو ممَّا ارْتجل فيه...».

(٩١) في الشَّطر الثاني نقصٌ؛ اقترَحَ له في أعلام مالقة: [هل] للهوى...؛ واقْتَرَح في أُدباء مالقة: [ما] للهوى.

– ورجَّحتُ «ما للهوى» وهي قراءةٌ اقْتَرحَها الأُستاذ المنوني رحمه الله نبَّه محقِّق أعلام مالقة في الحاشية (٤) على هذا.

(٩٢) النص في أعلام مالقة (١٠٧)؛ وفي أدباء مالقة (٨٧).

أَنْـــتَ الغَـــنِيُّ وإنَّ الفقْرَ بَرَّح بي   فأَغْنِني بالغِنى المُغْني عَنِ [النَّشَبِ] [٩٣]

إن تَدَّرِكْنِيْ بِرُحْمى لم أَخَفْ دَرَكًا   وإنْ تَكِلْني إلى نَفْسِي فيا نَشَبِي! [٩٤]

[٥]

قـــال صـــاحِبُ أعلام مالقة[٩٥]: فمن شعره (الكُتندي) ماحدَّثني به الفقـــيهُ أبـــو القاســـم بن عبد الواحد — رحمه الله — وذلك في قوله يصفُ صفيحة نُحاسٍ عليها أُسُودُ نحاسٍ أربعة: [من مخلّع البسيط]

---

(٩٣) آخر كلمة من الشطر الثاني ناقصة من المخطوطة. واقْتَرَحَ لها في أعلام مالقة كلمة: [الوَصَب]؛ ومعناها: الوَجع والمَرض، أو التعب والفتور في البَدَن. واقْتَرَحَ لها في أُدَباء مالقة: [التَّعب] ومعناها ظاهر.

– قلت: اجْتهادُ المحققَيْن الفاضلين يناسِبُ الوزن والقافية، ولكنه لا يوافقُ المعنى المُراد. فالشّاعر يُمَجّد الله تعالى باسمٍ من أسمائه الحُسنى وهو «الغَنِيّ» ويَسْأَلُ الغِنى من فضله، وأن يَتداركه برحمته.

– واقترحت كلمة (النَّشب) لسببين:

أحدهما: أنّ النّشب موافقة للمعنى المُراد، والنَّشَب هو المال.

والثّاني: أنّ وضع النّشب في القافية يُوافق غرَضًا بديعيًّا كان شائعًا هو التّجنيس: تجنيس القَوافي. فالنَّشَبُ الأُولى: المال الأَصيلُ من ناطقٍ وصامت (أموال مَنْقُولة وغير منقولة)، والنشب الثّانية من قولهم: نشب في الشّيء: وقع في ما لا مَخْلَصَ منه!

– وفي الشّعر اقتباس من الحديث الشريف «من حديث الدعاء: ولا تَكِلْنِي إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِك»: (النهاية: وكـــ ل).

(٩٤) في أعلام مالقة: «إن تدّركني بِرُحْمى». وفي أُدباء مالقة: «إن تُدْرِكْنِي» (لاحظ وضع الشدّة واختلاف العبارة).

(٩٥) أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

انْظُــــرْ إلى المَـــــاءِ وانْصِـــبَابِهْ يَجْـــرِي مِـــنَ افْواهِ أُسْدِ غابهْ[٩٦]

أزْرَقُ يَنْســــابُ ذا حَـــــباب كأنَّـــهُ الأيْــمُ في انْســيَابهْ[٩٧]

فاعْجَــبْ لِمَــرأى يَــرُوْعُ لكنْ قَـــد زَادَ أَنَّــا مَحَلُّــنا بِـــهْ[٩٨]

مِـــنْ كُـــلِّ ليـــثٍ إزاءَ لَيْـــثٍ يَمُـــجُّ رَقْطـــاءَ مِـــنْ لُعابِـــهْ[٩٩]

أمْـــنُكَ مِـــن أَنْـــفِ ذي، وفيها [أمْـــنُكَ] مِـــنْ ظُفْرِ ذَا ونابهْ![١٠٠]

[٦]

كانت الشّاعرة حَفْصَة بنتُ الحاجّ الرَّكُونِيَّة[١٠١]، في مجلس أبي جعفر

---

(٩٦) «مِنَ افواه» بنقل حركة همزة أفْواه إلى النّون، لتصبح للضرورة كهمزة الوَصْل.

(٩٧) الحَبابُ: مايطفو على سطح الماء المضطرب، وبعض أنواع الشراب.

– والأَيْمُ: الحَيَّةُ الذكر. يشبّهون الماء في السّواقي والجداول منسابًا، بانسياب الحيّة، وحركتها في «مشيها».

(٩٨) يُقال: راع الشّيءُ فلانًا: أعْجَبَهُ، وراعني جمالها؛ فهي رائعة.

(٩٩) الرَّقطاء: نوع من الحيّات به رُقْطة (وتُقال في العظَاء والمُرَاد هنا الأفعى)، وهي التي على جلدها بُقَعٌ ونقط. يقول: إنّ الماء المنسكب من أفواه الأُسود يشكِّلُ صورة الأفاعي (وجعلها من الأفاعي الرُّقط).

(١٠٠) الكلمة الأُولى من الشّطر الثاني في أعلام مالقة: «آمَنُ»، وهي في أدباء مالقة: «أمنًا». وقرأتُها على التوهّم – فليست المخطوطة بين يدي – على الوجه المُثبت لأنّ المعنى مناسبٌ لها يقول: إنّما أُسودٌ تُرْسُم من الماء المتدفّق منها أفاعيَ وحيّات. وكلا النوعين خَطِرٌ، قاتلٌ؛ والإنسان لا يأمَنُهما معًا. ثم قال: أمْنُكَ من أنياب الأفاعي وسُمّها (الأنف والفم في الشعر) كأمنكَ من أظفار الأُسود وأنيابها. وفي البيت تشبيه طريف. ووجه الشّبه فقدان الأمان منهما للإنسان!

(١٠١) من أهل غرناطة، وصَفَها في الإحاطة بأنّها فريدة زَمانها في الحُسْنِ والظّرف والأدَب واللّوذعية، وأنّها أديبةٌ نبيلةٌ جيِّدة البديهة، سريعةُ الشعر، ولها مساجلات=

ابـــن عبد الملك بن سعيد(١٠٢) (عم والد الأديب المشهور ابن سعيد صاحب المُغـــرب وغيره) وكان أديبًا شاعرًا، وبينه وبين حفصة مساجلات، وكان بيـــنهما مـــودّةٌ اشتهرت. وحضر أبو بكر الكُتندي في ذلك الوقت وعَلِمَ بوجـــودِ حَفْصَـــة، فبعـــث إلى أبي جعفر بن سعيد برقعة فيها هذه القطعة، نظمها على البديهة(١٠٣): [من الطويل]

أبـــا جَعْفَـــرٍ يا ابْنَ الكرامِ الأماجدِ خَلَـــوْتَ بِمَنْ تَهْوَاهُ رَغْمًا لِحَاسِدِ
فهـــل لـــكَ في خِلٍّ قَنُوعٍ مُهَذَّبٍ كَـــتُوم علـــيمٍ باخـــتفاءِ المَراصدِ؟
يبيـــتُ إذ يخْلُـــو المحِـــبُّ بِحِـــبِّهِ مُمَـــتَّعَ لـــذّاتٍ بخمـــسٍ ولائدِ!!

فقـــرأها أبو جعفر على حفصة، فقالت: لعنه الله! قد سَمِعْنا بالوَارِشِ عـــلى الطعـــام(١٠٤) والواغِـــل على الشراب(١٠٥)، ولم نسمع اسمًا لمن يعلم

-مدوّنةٌ مع عدد من شعراء العصر. توفيت سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وخمسمئة.
المطرب (٢١٠)، والمغرب (٢/ ١٣٨)، ورايات المبرّزين (١٦١)، والإحاطة (١/ ٤٩١)، والمقتضب من تحفة القادم (١٦٧)، ونفح الطيب (٤/ ١٧١) ومواضع أُخر، ومعجم الأدباء (١٠/ ٢١٩).

(١٠٢) أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد، من أهل السّياسة والإدارة. كاتب أديب وشاعر بارع، ممّن تابعوا في الأندلس خَطَّ النّزعة الخفاجيّة. وفي شعره الباقي جانب يشبه منـــزع ابن زيدون في ولّادة (مع حفصة الركونية). شارَكَ في دعوة محمد بن مردنيش المضادّة للموحّدين (حكام الأندلس والمغرب) وقتل في تلك الحركة سنة ٥٥٩ وكان له ديوان شعر.
المغرب في حُلى المغرب (٢/ ١٦٤)، ورايات المبرّزين (١٧٠)، والإحاطة (١/ ٢١٦)، ونفح الطيب (٣/ ٥١٣).

(١٠٣) يدخل الخبر والشعر في مساجلاتهم وفي مساحة الحريّة الواسعة في أيّامهم.

(١٠٤) الوارش اسمٌ يُطلق على الذي يَرِشُ (والماضي وَرَش) أي يَدْخُل على قومٍ -

باجـتماع محـبّين فيروم الدخول عليهما! فقال لها بالله سمّيه لنا لنكتب له بذلـك! فقالت: أُسَمّيه الحائل[١٠٦]، لأنه يحول بيني وبينك إنْ وقعت عيني عليه. فكتب له في ظهر رُقْعته: [من المجتث]

يــا مَــنْ إذا مــا أتــاني جَعَلْـتُه نُصْـبَ عـيني
تُــراكَ تَرْضــى جُلوسًــا بــينَ الحبيــب وبــيني؟
إن كـــانَ ذاكَ فمَـــاذا تَـبْغي سِـوى قُرْبِ حَيْني؟[١٠٧]
والآنَ قـــد حَصَـــلتْ لي بَعْـــدَ المطـــالِ بدَيْـــني
فـــإنْ أتيــتَ، فدَفْعًــا مــنها بكلــتا الــيَدَيْن
أو لَــيْسَ تَــبْغي وحَاشــا.. كَ أنْ تُــرى طَــيْرَ بَــيْنِ[١٠٨]
وفي مَبِيْـــتك بـــالخَمْـــ.. ـــسِ كُـلّ قُـبْحٍ وشَــيْن
فلــيسَ حقُّــكَ إلاّ الْــــ.. خُلُــــوّ بالقَمَــــرَيْن!

– وكتـب له تحْت ذلك ماكانَ منها من الكلام، وذَيّل ذلك بقوله:

–يأكلون و لم يُدْعَ، ليأخذَ نصيبًا من طعامهم (ويأكل معهم).

(١٠٥) الواغل اسم من وغل على القوم في شرابهم: دخل عليهم فشرب معهم دون أن يُدعى.

(١٠٦) الحائل: فاعل من حال يحولُ: بمعنى حَجز ومَنَعَ. اسمٌ اقْتَرَحَتْهُ حفصة لهذا الداخل على اجتماع قومٍ لم يُدْعَ إليه. وخصّت لِقاء مُحبَّين أو صديقين؛ فهو يحول بنهما وبين الحديث الصّريح، أو هو يُفسدُ عليهما بدخوله لقاءهما!.: والأمر كلّه مركّبٌ على الدُّعابة، والمُباسَطة الشّعرية؛ وفي حُرّيّة القول، وطَرافة الموقف.

(١٠٧) الحَيْنُ: الموتُ والهَلاك.

(١٠٨) الغُراب، ويُقالُ فيه غُراب البَيْن، لأنّ وقوعه في الدّيار يكثُر حين يُسَافر أهلها ويغادرونها. فاقترن طُروءُ الغُراب (الذي في المُدن والأرياف) بالبَيْن والفِراق.

[من مجزوء الكامل]

سَمّاكَ مَنْ أهواكَ (حائِلْ) إنْ كنتَ بَعْدَ العَتْبِ واصِلْ

مَعْ أنَّ لونَكَ مُزعِجٌ لو كنتَ تُحْبَسُ بالسَّلاسِلْ!

وللخبر بقيّة تخرجُ عن سِيَاق هذه الدّراسة.

[٧]

وقال في النَّارَنْج(١٠٩): [من السّريع]

انظُرْ إلى النَّارنج مُسْتَغْرِبًا فَما عَلَى إغْرَابهِ من مَزِيدْ(١١٠)

أَلَّفَتِ الضِّدَّيْنِ أشْجارُهَا وذَاكَ من أَغْرَبِ مافي الوجودْ! (١١١)

[٨]

وقال [في غرض الغزل](١١٢): [من الكامل]

---

(١٠٩) النص في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة: (٨٧).

(١١٠) النّارنج (في التعريف العلمي): شجرةٌ مثمرةٌ من الفصيلة السَّذابية دائمة الخضرة تسمو (ترتفع) بضعة أمتار. أوراقها جلدية خضر لامعة، لها رائحة عطريّة، وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر في الربيع. والثمرة لبيّة تُعرف كذلك بالنّارَنْج: عصارتها حمضية مُرَّة. وتُستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر، وفي زيت طيّار يستعمل في العطور. وقشرة الثمرة تُستعمل دواءً، أو في عمل المربّيات (الوسيط). وانظر أيضًا الموسوعة في علوم الطبيعة.

- كلمة «مِنْ» في الشطر الثاني غير ظاهرة في المخطوطة، واقترحها المحققان معًا.

(١١١) وجهُ الغَرابة، في الملمح الشعري، كما نبّه الشاعر هو اجتماع الماء في ثمرة النّارَنج وهو عصيرُها؛ والنّار (على التشبيه). فَحُمْرَةُ النارنج كالنار لكنها تحمل الماء. وفي هذا جمع (شعريّ) بين ضِدَّين.

(١١٢) النص في أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

وَمُهَفْهَفٍ هَزَّ الحُسامَ وربَّما فَلَّتْ لَواحِظُهُ مَضَارِبَ حَدِّهِ(١١٣)

حَيّا فبالغَ في تحيّته، وقَدْ أَبْدى الحياءُ تَوَرُّدًا في خَدِّهِ

فسألْتُ ماهذا؟ فقالَ مُحَاوِبًا: أنسيْتَ نَيْسَانًا ويانِعَ وَرْدِهِ؟(١١٤)

لاتُنكروه مِنْ دَمِ أُهَرِيقُهُ بِلحاظِ مَنْ سَاوَرْتُ منه بودِّه(١١٥)

الوَرْدُ خَدّي والمُهَنَّد ناظِري ودمُ المُحِبِّ هَدِيَّةٌ مِن عِنْدِهِ!..

[٩]

قال صاحب أعلام مالقة:

وَحدّثني(١١٦) الأديب أبو علي بن كسرى(١١٧) قال:

---

(١١٣) في أدباء مالقة: قدّ الحسام.

(١١٤) شهر نيسان (شهر إبريل) وهو الرّابع من شهور السنة الشمسية. أورده الشاعر لأنه من شهور الرّبيع، وفيه يبلغ إزهار الأزهار والأوراد والزنابق والأعشاب العطرية مبْلغًا عظيمًا.

(١١٥) الشطر الثاني في أعلام مالقة كما أثبت. وهو في أدباء مالقة:

«بلواحظ من ساورت تردّده»

– وقال في الحاشية: «كذا في الأصل؛ وقد وضع الناسخ إزاء البيت علامةً على وجود خلل في البيت» انتهى.

– وفي أعلام مالقة الحاشية ٣و ٤: يرد (شطر البيت) في الأصل (أ) بهذه الصفة: «بلواحظ من ساورته تودّده». ونبه على مازاده في الشطر ليستقيم الوزن والنصّ. وفي رسم البيت وقراءته نظر.

(١١٦) النص في أعلام مالقة (١٠٨)، وأدباء مالقة (٨٨).

(١١٧) أبو علي بن كسرى هو الحسَن بن علي المشهور بابن كِسرى. تُرجم له ابنُ الأبّار في التّكملة (مصر)، وفي تُحفة القادم؛ وذكره المقّريّ في نفح الطيب. وهو من شرط كتاب أعلام مالقة، وقد ورد ذكره كثيرًا في صفحات الكتاب. لكن ترجمته في الجزء–

دَخَلْتُ يومًا بُستان الوزير أبي عِمران بن رزق[١١٨]، فوجدتُ أبا بكر الكُتندي وفي يده إناءٌ قد ملأه ماءً وهو يسقي به أَصْلَ بَهارٍ[١١٩] قد ظهرت فيه نَوّارةٌ في غير أوانها، عجبتُ مِنْ كَلَفه بها، فقلت: هل حَضَرَكَ شيءٌ فيها؟ فأطرقَ ساعةً، ثم أنشدني رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

وحَقِّكُمْ إنَّهُ بَهَارٌ يُوْجِبُ أنْ تُصْبَحَ العُقَارُ[١٢٠]

—المفقود منه.

وقد جرى وصفه بالفقيه، الكاتب، الشاعر. وفي النّفح أنه قصد إلى حاكم إشبيلية (أيام المرابطين) إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وأنشده قصيدة في مدحه «طار مطلعها في الأقطار كلّ مطار» وهو:

قسمًا بحِمْصٍ إنَّهُ لَعَظِيمُ فهي المقامُ وأنتَ إبراهيمُ!

وتنقّل في أنحاء الدّولة في قُطريها الأندلسي والمغرب وأقام مدّة في مراكش. وابن كسرى واحد من أصحاب الكُتندي، ويُذكر مع الرصّافي البلنسي، فقد «سمع منه ديوان شعره» كما في التكملة. ويُعد في أتباع المذهب الخفاجي.

– وكانت وفاة ابن كسرى سنة ٦٠٣ أو ٦٠٤.

(المقتضب من تُحفة القادم: ١ والتكملة (مصر) ١: ٢٦٤، ونفح الطّيب ٣: ٣٩٩، وأعلام مالقة: مواضع كثيرة تُراجع في الفهرس).

(١١٨) في الأصل هنا — من أعلام مالقة — «مرزوق» وفي أدباء مالقة: «رَزّوق»، ولكن المؤلّف ترجم له في الرقم: ٥٩ باسم موسى بن رزق في نسختي الطبع. وقد ذكره في النفح باسم موسى بن رزق ٥: ٥٧ في أثناء الكلام على الرّصافي البلنسي صاحبه.

(١١٩) البَهار في استعمال الأندلسيين هو النّرجس في المشرق. وقد يَستعمل أهل الأندلس الاسمين معًا (البديع في وصف الرّبيع — عسيلان: ٩٩) وهو من نباتات الزّينة، ويُستعمل طيبًا أيضًا.

(١٢٠) العُقَار من أسماء الخمرة. و «تُصبَح» تسقى صباحًا. ويقابلها الغَبوق: شراب المساء.

غُــــرَّةَ تشـــــرينَ، أيَّ يـــــومٍ إلـــيْهِ مِـــنْ حُسْـــنِهِ يُشَـــارُ(١٢١)

بَعْـــدَ احْـــتِجَابٍ وطُـــولِ عَهْـــدِ أبـــدى فمـــا خـــدّه الـــبَهارُ(١٢٢)

في روضـــة ســـال كـــلّ شِرْبٍ مـــنها كمـــا تُنْتَضَى الشِّفَارُ(١٢٣)

سُـــــقِيْتِ وَسْــــمِيَّةً هَمُوعًــــا يـــا روضـــةً حَـــثَّها ابْتِكَارُ(١٢٤)

قال الأديبُ أبو عليّ(١٢٥): ثم اتّفق(١٢٦) أنْ دَخَلْتُ البستانَ المذكور في أوّل البَهار، فكتبتُ إلى أبي بكر الكُتندي رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

يـــا مُولَعًـــا بالـــبَهارِ زُرْنَـــا فَرَوْضُـــــنَا زارَهُ الـــــبَهارُ

---

(١٢١) في أعلام مالقة: «عزّة تشرين» وفي أدباء مالقة: «غرّة تشريق» وقرأتُها: «غُرّة تشرين» وجديرٌ أن يكون تشرين الثاني (نوفمبر). يقول: إنّ نبتة البهار أَزْهرت مبكرّة عن وقتها في غرّة (أوّل) شهر تشرين. وذلك مُستغرب ومن حَقّها أن يُحتفى بها «يُشرب على ظهورها...».

(١٢٢) في أعلام مالقة، وأدباء مالقة هكذا «أَبْدى فما خدّه البَهار» وضبطه في الأعلام: «أبدى فمًا خَدُّه البهار» وفي الأُدباء: «أبدى فما خَدُّه البهار». وتحت الضبطين والقراءتين نظر. والكلام غير واضح. ويقربُ أن يكون المراد:

«أبـــدى لـــنا خـــدّه الـــبهار»

(١٢٣) الشِّرب (بكسر الشّين): مَوْرد الماء. يُريد الجَدْول. وشَبَّهه في لمعانه تحت أشعة الشمس بالسَّيف. والشِّفار جمع الشفرة: ما عُرِّضَ وحُدِّدَ من الحديد كَحَدِّ السّيف والسكين وغيرها. وتُطلق على السّيف اتساعًا.

(١٢٤) الوسميّة مؤنثة الوسميّ: مطر الرّبيع الأوّل. والهَمُوع: مبالغة في الهامع، والسّحابُ الهَمِعُ: الماطر. وتُستعمل المادة اللغوية (هـ م ع) للدّمع والماء (كالمطر والطّلّ...).

(١٢٥) أبو علي بن كسرى، وقد تقدّم.

(١٢٦) مايجري مصادفة دون إعداد، أو موعد سابق، يُقال فيه: اتّفق اتفاقًا.

وانْشَـــطْ إلى قَهْـــوَةٍ أرَتْـــنا شَـــمْسَ نَهـــارٍ؛ ولا نَهَـــارُ(١٢٧)

في رَوْضَـــةٍ إنْ حَلَلْـــتَ فـــيها حَـــلَّ بهَـــا الأُنْـــسُ والوَقَـــارُ!

باكِـــرْ أَبَـــا بَكْـــرٍ المُفَـــدّى كأسًـــا وزَهْـــرًا لهُ ابْـــتِكَارُ(١٢٨)

راقَ سَـــنَاهُ العُـــيُونَ لَمّـــا واسَـــطَ مُبْيضَّـــهُ اصْـــفِرَارُ(١٢٩)

كأنَّـــهُ كأسُـــنَا المُـــدَارُ فَـــذَا زُجَـــاجٌ وذَا عُقَـــارُ

يَبْسِـــمُ ثَغْـــرُ الـــرِّياضِ مِـــنْهُ عَـــنْ صُـــرَّةٍ حَشْوُها نُضَارُ! (١٣٠)

---

(١٢٧) في أقاويل الشعراء وعلى سبيل التّعبير الأدبي: أنّ للقهوة (الخمرة) إشعاعًا وإنارةً.

– وقد سَمّى العربُ الخَمْرَةَ قهوةً لأنّها تُقْهِي (تَصْرِفُ وتَصُدّ) عن الطّعام. ومن هنا سَمُّوا البُنّ وشرابَهُ قهوة.

– (يُنظر كتابنا «معجم المآكل الشامية» من سلسلة الموسوعة الشامية).

(١٢٨) باكِرْ: طلب (أمر) من المجيء في وقت البُكور. وكانُوا في مجالسهم يُبَكِّرون في شأن الصَّبُوح. و «زهر له ابتكار» الكلام على زَهرة البَهار التي تفتّحت قبل أوانها في البستان المذكور.

(١٢٩) في المطبوعتين: «وَاسَطَ» والمُرَاد: تَوسَّط، ويُقال في اللغة: توسّط الشيءَ: صار في وسطه. ويُقال أيضًا وَسَّطه: جعله في الوسط. وأقترح أن تُقرأ «وَسَّط».

– قلت: ولم أجد (واسَطَ)، ولا يَستدعيه التّوليد؛ لأنّ مراد الشاعر وصف هذه الزّهرة من جهتي شكلها ولونها فـ: وسطها أصفر وأطرافها بِيض. وفي الموسوعة في علوم الطبيعة (٣: ١٦٧١– ١٦٧٢) تحت عنوان: نَرْجِس الشّعراء: «ضروبه كثيرة العدد. أوراقهُ قدّية مُستطيلة، شِمراخهُ الزّهري يعلو من ٣٠ إلى ٥٠(سم) ينتهي بزهرة وحيدة كبيرة القدّ عطريّة الرائحة بيضاء اللّون ترتكز على تُوَيج أصفر القالب أحمر الأطراف يُنَوّر في فصل الربيع».

(١٣٠) في أعلام مالقة: «عن دُرر حشوها...» وفي أُدباء مالقة: «عن صُرّة». وهذه أكثر مناسبة؛ بقرينة حشوها. والنّضار: الذّهب الخالص (وهو أصفر، يشبه تُوَيْج البَهارة).

قال أبو عليّ: فلم أَلْبَثْ إلاّ يسيرًا حتّى سمعتُ صوته وهو يقول:

[من مخلع البسيط]

هـــا أنـــا بالـــبَابِ عَـــبْدُ رِقٍّ أَدَّبَـــهُ خُلْقُـــكَ [الـــبَهارُ](١٣١)

[١٠]

قال ابن سعيد الأديب الشّاعر المؤرّخ في ترجمة الكُتندي(١٣٢):

---

(١٣١) في المطبوعين: «أَدَّبَهُ خلقك الهَنِيُّ» والهَنِيء: السّائغ والطيّب (من الطّعام ونحوه) ولا معنى له هنا. وهو لا يوافق قافية الأبيات السابقة.

– قلت: يظهرُ لي أنّ في الكلمة تحريفًا، وصوابُها عندي: «البَهار». ووضع هذه الكلمة في قافية البيت من الشاعر مناسبٌ جدًّا. فالكلمة موافقةٌ لرويّ الشعر الذي بدأه هو. ومعنى البَهار هنا: «كلّ شيء حَسَن مُنير». فهو يُثني على أبي عليّ صاحبه ويقول له: أنا عند أمرك وطلبك، عبدٌ مطيع مؤدّب: أدَّبه خُلقك الحسَن! وفي الكلام دعابة.

– و «الخلق» وردت ساكنة اللاّم، ويصحّ ذلك فيها: يُقال: خُلُق وخُلْق.

(١٣٢) في المغرب في حُلى المغرب ٢: ٢٦٤؛ ورايات المبرّزين: ١٥٧.

– وراوي الخبر هو عليّ بن موسى بن سعيد المَشْهُور في المشرق بابن سعيد المغربي (٦١٠– ٦٨٥). خرج عن الأندلس مع أبيه لأداءِ فريضة الحج، وتعرّف إلى العلماء والأدباء في بعض بلاد المغرب والمشرق. ووصل إلى الأمراء والكبراء، واستفادَ وأفاد. واستقرّ بتونس إلى وفاته. يُعَدّ ابن سعيد في الأدباء والمؤلفين والشعراء. وأسهم في تعريف المشارقة بالكثير من النّتاج الأندلسي. ومن آثاره الباقية الكتابان المذكوران في صدر الترجمة وكتب أُخرى طُبع بعضها في نصف القرن الماضي (انظر مقدمة د. شوقي ضيف لكتاب المغرب؛ وكتاب: ابن سعيد الأندلسي: حياته وتراثه الفكري والأدبي لمحسن حامد العيّادي، طبع مكتبة النهضة المصرية، ونشر الدّار التونسية للنشر بتونس. دون تاريخ). ومقدّمتي على تحقيق كتاب رايات المبرّزين (طبع دار طلاس – دمشق).

كان أهل غَرناطة يَستحسنون له قوله في مطلع قصيدة رثى بها عُثمان ابنَ عَبْدِ المُؤمن ملكها: [من الرَّمَل]

يَذْهَبُ المُلْكُ ويَبْقى الأَثَرُ ... هذِهِ الهَالَةُ أَيْنَ القَمَرُ؟[١٣٣]

[١١]

قال أبو عَلِيّ بنُ كسرى[١٣٤]: كنتُ في أحَدِ الأيّام فارقْتُ الأديب أبا بكر الكُتندي على أن أجتَمِعَ معه عَشِيَّ ذلك اليوم في البُستان المذكور[١٣٥]؛ ثم اتّفقَ أنْ خرجتُ مع جُملة أصْحَاب، وتركتُ أبا بكر المذكور، فأُعْلِمَ بمُجتَمَعِنَا، فكتَبَ إليَّ: [من مخلّع البسيط]

يا مُولِمًا قَدْ أَلامَ لَمّا ... لم يَثْنِ نَدْبًا إلى مَزارهْ[١٣٦]

جُدْتُ لَهُ مِنْ فَمِي بمُزْنٍ ... وضَنَّ بالرَّشْفِ مِنْ قَرارهْ[١٣٧]

---

(١٣٣) الهالة: دارَةُ القَمر، أو دائرةٌ من الضّوء تُحيط بجرمٍ سماويّ. (الوسيط). – وعثمان – المَرْثيّ – هو أحد ولاة مدينة غَرْناطة وكورها، أيّام دولة للموحّدين. وهو ابن أوّل «خلفائهم» عبد المؤمن بن علي (بويع بالخلافة سنة (٥٢٦)، وسيطر على مُلك دولة المرابطين في الأندلس والمغرب، ووسّع دائرة نفوذه في إفريقية، ووصل إلى طرابلس (الغرب). توفي سنة ٥٥٨).

(١٣٤) الخبر في أعلام مالقة (١٠٨– ١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٣٥) بستان أبي عمران موسى بن رزق، من مجموعتهم. وله ذِكرٌ في هذا المجموع.

(١٣٦) مُولم من فِعْل: أَوْلم: عمل وليمة، و «ألام»: أي أتى بما يُلام عليه.

- واخترتُ في الشطر الثاني قراءة أ. المنوني رحمه الله كما أثبتها محقق: أعلام مالقة.

- ويكون «لم يثن» من ثناه صار له ثانيًا. كأنّه قال: لم يَدْعُ...

- والنّدْب: الظّريف النجيب.

(١٣٧) قُرئ في البيت: «من دمي» و: «من فمي». واخترت: «من فمي» لملاءمتها الكلام.–

جنَّـــتُهُ أُزْلِفَـــتْ لِغَـــيْري وبُـــرِّزَتْ لي جَحِـيْمُ نارِهْ! (١٣٨)

قـــال أبو علي فلما قرأتُ البطاقةَ خجلتُ وخَجِلَ مَنْ كان معي من الفتيان؛ فكتبتُ إليه:

يـــا لائمـــاً قـــد ألامَ لَمّـــا أجْرَيْـــتُ فِعْـــلي عَلَى اختيارِهْ (١٣٩)

فَـــرَّقَ مـــا بَيْنَـــنا اجْـــتِمَاعٌ أَشْـــفَقْتُ مِـــنْهُ عَـــلى وقـــارِهْ

لَمّـــا اضْـــطُرِرْنا لَـــهُ، ولكـــنْ: لا عُـــذْرَ لِـــلمَرْءِ في اضـــطرارِهْ!!

[١٢]

كَتَـــب أبـــو بكـــر الكُتندي(١٤٠) إلى أبي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بن غَالب الرُّصافي(١٤١): [من الطويل]

=- والقرار: المكان المنخفض يجتمعُ فيه الماء. والمفارقة ظاهرة بين الشاعر الكتندي الذي يبذل لصاحبه كما تجود المزن، في حين يبخل ذلك الصاح بالرشفة من ماء في قاع القرارة. والمزن (واحدُه: مزنة) السَّحاب يحمل الماء.

(١٣٨) في أعلام مالقة: «وبَرَزَتْ لي...» وفي أدباء مالقة: «وبرزت في» وقرأته على مايقتضي المعنى. وفي البيت اقتباس قرآني. في سورة الشعراء (٩٠- ٩١) ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

(١٣٩) يعتذر له بأنَّه إنَّما فعل ذلك على ما يَظُنّ: أنَّ الكُتَنْديَّ سيختاره، لأنَّ اجتماعه الذي لم يَدْعُهُ إليه، كان مع فتيانٍ لا يليقُ اجتماعهم بوَقاره. ويعتذر ثانيةً بأنّه، وإن كانَ مُضطرًا إلى ذلك التصرّف، قليل العُذر في ما فعل!..

- فهذا عُذرٌ على عُذر!

(١٤٠) النصّ وجوابه في أعلام مالقة (٩٩- ١٠٠) وأدباء مالقة (٧٦- ٧٨). وانظر ديوان الرصافي (١٠٣- ١٠٤).

(١٤١) وهو المشهور بالرُّصافي البَلَنْسِي (توفي: ٥٧٢) أصلُه من رُصافة بلنسية وُلد فيها=

أعِــنْدَكُمُ يـــا ســـاكِني الوُدِّ أنّكُمْ بِمَرْأًى على بُعْدِ للَسافَةِ مِن حِمْصِ؟[١٤٢]

أتَقْضِـــي اللّـــيالي أن تُلِـــمّ بِمَنْزِلِ أَلِفْناهُ ما بَيْنَ الأراكةِ والدِّعْصِ[١٤٣]

وإنّـــي حَرِيصٌ أنْ يَعُودَ بما مَضى زَمانٌ، وما حِرْصُ للقادير من حِرْصِي[١٤٤]

فجاوبه رحمه الله: [على الوزن والرّوي]

سَـــلامٌ أبـــا بكـــر عَلَيْكَ ورَحْمَةٌ تحـــيّة صِـــدْقٍ مِنْ أخٍ لَكَ مُخْتَصٌ

لَعَمْـــرِي وَما أدري بِصَدْعٍ زُجَاجَةٍ عَليكَ، فقدْ تُدْني اللّيالي كما تُقْصِي[١٤٥]

–ونشأ بها. وهو أبو عبد الله محمد بن غالب. خرج من بلده صغيرًا مع أبيه وكان يحترف الرَّفو، وورّث ابنه صنعته هذه. واستقرّت الأسرة في مالقة. جال الرصافي البلنسي في الأندلس والمغرب، وبقيت مالقة مركزه. برع في الشعر ومَدَح دون ابتذال لنفسه. وصحب عددًا من الأُدباء والشّعراء وكانت له معهم ندواتٌ ومجالس. وكان له ديوان شعر مرويّ عنه. وجمع د. إحسان عباس ما بقي من شعره في ديوان (انظر المغرب (٢/ ٣٤٢)، والتكملة (مصر) (٥٢٠) والنفح (٤/ ١٥٩) والمُقتضب من تحفة القادم(٧٥)، وأعلام مالقة (٣) وأدباء مالقة: (٦٨). وانظر مقدمة د. إحسان عباس لديوان الرّصافي وسائر مصادره ومراجعه).

(١٤٢) في أعلام مالقة: المسافات. والوزن يجري على القراءتين.

– وحمص المذكورة هنا هي إشبيلية. سُمّيت باسم حمص منذ أُنزل فيها جند حمص أوائل القرن الهجري الثالث. وسُمّيت غرناطة باسم دمشق الأندلس، إلى مواضع أُخرى هناك.

(١٤٣) الأراكة واحدة الأراك (شَجر المسواك) نباتٌ شُجَيري من الفَصيلة الأراكيّة، والأراكُ أيضًا شجر مجتمعٌ يُستظل به. وأُطلق اسم الأراكة على مواضع كثيرة، وكذا الأراك. والدِّعْصُ: قطعة من الرمل مُستديرة.

(١٤٤) في أدباء مالقة: من حرص. والأولى روايةُ: «حِرْصي».

(١٤٥) في أعلام مالقة: لما نقصي. تحريف.

لقـــد بانَ عنّي يَوْمَ وَدَّعْتُ صاحبًا	بـــريءَ أساليبِ الودادِ من النّقْصِ
أقُولُ لِنَفْسي يَوْمَ طارَتْ بكَ النّوى	أخُوكِ، فَرِيْشِي مِنْ جَناحِك أو قُصّي[١٤٦]
فباتَـــتْ عــلى ظَهْرِ النّزوعِ إليكُمُ	تطـــيرُ بما في الوكْرِ أجْنحَةُ الحِرْصِ
إلى كم — أبا بكرٍ — نَحُومُ بأنْفُسٍ	ظِماءٍ إلى عَهْدِ الأُجَيْرِعِ أو حِمْصِ؟[١٤٧]
كـــأنْ لم تَـــزُرْ تلك الرُّبا وكأنّها	عَرائسُ تُزْهى بالمَواشِيطِ لا القصِّ[١٤٨]
ولا رَتَعَـــتْ تلـــكَ الأراكةُ فَوْقَنا	فَلَـــوَّتْ إزارَ الظّلّ في كَفَلِ الدِّعْصِ[١٤٩]
وكانَـــتْ لـــنَا في ما هُناكَ مآرِبٌ	تُطِيعُ الهَوى العُذريَّ فِينَا ولا تَعْصِي[١٥٠]
ليالِيَـــنَا بالـــرّيِّ والعَـــيْشُ صالحٌ	وظلّـــكِ عَنْها غيرُ مُنتقلِ الشَّخْصِ

---

(١٤٦) في أدباء مالقة: فرشي.

(١٤٧) الأُجَيْرِع تصغير الأجْرَع. والأجْرَعُ: الأرض ذات الحزُونة (قاسية) تشاكل الرّمل.
— وحمص: هي إشبيلية.

(١٤٨) في أدباء مالقة: «تزهاها المواشط لا نصّ» هكذا.
- وفي الديوان: ترعاها.
- وفي النسخ: تزر (بخطاب المذكر). ولعلّها: نَزُرْ (بجمع المتكلم).
- وفي اللّغة: المُشط وجمعه: أمشاط. والمِمْشط أيضًا المشط، وجمعه: مماشط. أمّا المَواشِط فجمع «ماشطة» وهي التي تزيّن الشعر وتحسّن المرأة. ووجه الكلام على المشط الذي كان يزيَّن به الشعر بعد تمشيطه.

(١٤٩) في أدباء مالقة: «بلوث إزار الظل». ولها وَجْهٌ ظاهر.
- الدِّعْصُ: قطعةٌ من الرّمل مستديرة، أقلّ من الحِقْف، والكثيبُ: المُجتمع من الرَّمْل. ويشبّه به بعض جسم المرأة.

(١٥٠) في أعلام مالقة: نُطيع الهوى ... ولا نعصي.

وما ذِكْرُهَا لولا شَفا من عُلالَة ... تتبَّعُها نفسي تَتَبُّعَ مُستَقْصِ[١٥١]

وَدِدْتُ أبا بكر لَوَ انِّيَ عالمٌ ... وللكَون زَنْدٌ ليس يُقْدَحُ بالحِرْصِ[١٥٢]

هَل الغَيبُ يَوْمًا فارجٌ لي بابَهُ ... فأنظرَ منهُ كيفَ أُنْسُكَ في حِمْصِ[١٥٣]

بأزرَقَ سلاَّل الحُسام وقد بدَا ... يُداعبُ في كأسٍ تَحرُّك للرَّقْصِ

وما مِعْصَمٌ ريّانُ دارَ سِوَارُهُ ... على مِثْلِ ماءِ الدُّرِّ في بَشَرٍ رَخْصِ

بأبْهَجَ منهُ في العيُونِ إذا بَدا ... ولا سيّما والشمسُ جانحَةُ القُرْصِ

خليجٌ كخيطِ الفَجْرِ ينحرُّ فَوقَهُ ... ذيولُ عَشيّاتٍ مُزَخْرَفَةِ القُمْصِ!

[١٣]

قال أبو الحسن علي بن محمد الرُّعيني الإشبيليّ (٥٩٢ — ٦٦٦) في برنامجه[١٥٤]، (برنامج شيوخ الرّعيني: ٦٥- ٦٦): أنشدني أبو القاسم محمد بن

(١٥١) في أعلام مالقة: شِفا بكسر الشين. — والشّفا: القليلُ من الشيء.

(١٥٢) الزّنْد: العُود (الأعلى) الذي تُقْدَحُ به النار، والأسفل هو الزّندة. كان في جُملة ماتُقتدح به النار أنواع من الخشب، وأشهرها المَرْخ والعُفار.

(١٥٣) في أدباء مالقة: فارجًا (عن الأصل).

— وفي الدّيوان: مفرجًا.

(١٥٤) برنامج شُيوخ الرُّعَيْنِيّ (٦٥- ٦٦).

- والأبيات ستة، في هذا البرنامج، وفي التكملة لابن الأبار (مصر): ٥٣٥ وزاد المسافر (الطبعة الثانية): (٩٥)، والذيل والتكملة (٦/ ٣٥٠)،

- وهي خمسة أبيات (بإغفال السادس) في أعلام مالقة (١٠٧) (وأدباء مالقة: ٨٧)، ولم يشر المحققان إلى البيت الناقص.

- وأورد المَقّريّ في نفح الطيب (٣/ ٥٠٦) البيتين(١ و ٣)؛ ونسبهما إلى ابن برّاق، ثم أورد (٦/ ٢٦٨، ٢٦٩) الأبيات الستة دون نسبة.

سـليمان المقرئ صاحبنا رحمه الله، قال: أنشدني أبو القاسم بن عبد الواحد هذا صـاحبنا رحمـه الله (يعني محمد بن عبد الواحد الغافقي الذي كان يترجم له، والمشـهور بالملاّحي) قال: أنشدني الأديب أبو بكر الكتندي صاحبنا رحمه الله لنفسه: [من مخلّع البسيط]

١- ياسَـرْحةَ الحَـيِّ يـا مَطُولُ شَـرْحُ الـذي بينـنا يطولُ(١٥٥)

٢-عـندي مَقـالٌ فهـلْ مَقـامٌ تُصْـغِيْنَ فـيه لمـا أقـولُ؟

٣- ولي دُيـونٌ عَلَـيْكِ حَلَّـتْ لَـوْ أنّـهُ يَـنْفَعُ الحُلُـولُ! (١٥٦)

٤- مـاضٍ مـن العَيْشِ كان فيه مَلْبَسَـنا ظِلُّـكِ الظَّلِـيْلُ(١٥٧)

٥- زال ومـاذا علـيكِ مـاذا يـا سَـرْحُ لو لم يكنْ يَزُول؟(١٥٨)

–قلت: الشعر ثابت النسبة إلى الكتندي بتسجيل أصحاب الشاعر ومعاصريه مشافهةً وروايةً.

(١٥٥) السّرحة (والجَمْعُ سَرْح) تُقال لكلّ شجر عِظام: طِوَال.

- وفي الموسوعة في علوم الطبيعة: ١: ١ (تحت اسم الآءة، والسّرحة) أنها «جنس نباتات برّية وزراعية، تزيينيّة من فصيلة الجناحيّات: أنواعه عديدة... وجميعُها شُجَيرات وجَنّبات دائمة الأوراق... أوراقها وحملها تصلح للدباغة...».
- قلت: ظاهر أن الشاعر يذكر شجرة كبيرة كانت في ذلك الحيّ، وهي شجرة معمّرة عاصرت طفولة الشاعر وصباه وشبابه، وهي ما تزال قائمة ثابتة...

(١٥٦) حلّ الدين حلولاً: وجَب أداؤه، آن أوان أدائه.

(١٥٧) ظلّ ظليل: دائم.

(١٥٨) يا سَرْحُ: نداء للسّرحة، وخفّف الكلام بحذف التّاء (التّرخيمْ) فيقرأ القارئ بضم الحاء (على لغة من لاينتظر عودة التاء إلى الكلام) وبالفتح على توقّع التّاء وانتظار لحاقها بالكلمة (لغة من ينتظر).

٦- حَـيّا عَـنِ المُدْنَـفِ المُعَـنّى   مَنْبِـتَكِ القَطْـرُ والقَـبُولُ[١٥٩]

[١٤]

في أخـبار أبي الحسَن بن نزار[١٦٠] أنّه نَزَلَ يومًا مع أبي جعفر بن سعيد

---

(١٥٩) المُدْنف من فعل دَنِفَ المريض: اشتدّ مرضه، وأشفى على المَوْت. والمُعنّى؛ من فِعْل عَنّاهُ: كلّفه ما يَشقّ عليه ويَصْعُب.

- ويكثر أن يوصف العاشق بالمُدْنف!..
- والقَطْرُ: المطر.
- يدعو الشاعر للسرحة بالخير؛ والدّعاء بالسُّقيا عند العرب يُقال أيضًا في مطلق الخير (الدعاء بالخير والتذكّر بالخير).

في الرواية: ٣- في التكملة: «تنفع الحلول» وهو تصحيف.

٤- في زاد المسافر والذيل والتكملة والنفح: (منـزلنا ظلّك...).

٥- في أدباء مالقة والذيل والتكملة: عليه ماذا.

٥- في أدباء مالقة «لو لم يكن يؤول» كذا، وفيه تحريف.

٥- في الذيل والتكملة «لو لم يكن نزول» هكذا، وهو تحريف.

(١٦٠) أبو الحسن بن نزار من بيوتات وادي آش من شُعرَاء النصف الأوّل من المئة السّادسة. سكن غرناطة وتنقّل بينها وبين وادي آش. وذكر المقّري فيما نقله في النفح أن أبا الحسن اغتنم فرصة اضطراب الأمر على المرابطين ودَعا لنفسه في بلدته. واتّصل أهل المدينة بابن مردنيش أحد المُتوثّبين بشرقيّ الأندلس فأرسل من اعتقله وسجنه وألغى استقلاله بوادي آش. ثم أطلقه في خبر طويل. وقد ذكر محمد عبد الله عنان دخول ابن مردنيش وادي آش سنة ٥٤٦ و لم يورد خبر أبي الحسن بن نزار المذكور.

- وكان أبو الحسن شاعرًا كاتبًا وشاحًا أديبًا.

انظر المغرب (٢/ ١٤٧) ونفح الطيب (٣/ ٤٩٢- ٤٩٩) ومواضع أخرى، ودولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث – القسم الأول (٣٢٠) لمحمد عبد الله عنان.

والكتـــندي الشّـــاعر، في جنّة بزاوية غرناطة، وفيها صِهْريجُ ماء قَدْ أحْدَق بها شَـــجرُ نـــارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار، وعليه أُنبوب ماءٍ تتحركُ به صـــورةُ جاريةٍ راقصةٍ بسيوفٍ وطيفورِ رُخامٍ يصنع في أُنبوبةِ الماءِ صورةَ خِباء؛ فقـــالوا: نقتســـم هـــذه الأوصـــاف الثلاثة. فقال أبو جعفر يصف الرّاقصة: [من الطويل]

وراقصـــةٍ لَيْسَـــت تَحرَّكُ دون أنْ ... يُحـــرِّكَها سَيْفٌ من الماءِ مُصْلَتُ

يـــدورُ بهـــا كُرْهًا فَتُنْضى صَوارِمًا ... علـــيه فـــلا تَعْـــيَا ولا هُوَ يُبْهَتُ

إذا هِـــيَ دارَتْ سرعةً خلْتَ أنّها ... إلى كُـــلِّ وَجْـــهٍ في الرِّياضِ تَلَفَّتُ

وقال ابن نزار في خباء الماء[١٦١]: [من الطويل]

رَأيـــتُ خِـــباءَ المـــاءِ تُرْسِلُ ماءها ... فـــنازَعَها هَـــبُّ الـــرِّياحِ رداءَها

تطاوِعُـــه طَـــوْرًا وتعصِـــيه تارةً ... كراقصَـــةٍ حَلَّـــتْ وضَمّت قباءَها

وقـــد قابلَـــتْ خيرَ الأنامِ فلَمْ تزَلْ ... لديـــه مـــن العَلْـــياءِ تُبدي حَياءَها

إذا أرْسَـــلت حَـــوْدًا أمـــامَ يمينه ... أبَـــى العَـــدْلُ إلاّ أنْ يَـــرُدّ إباءَها

وقال الكُتندي: [من الوافر]

وصِـــهْريجٍ تخـــالُ بـــه لُجَيْـــنًا ... يُـــذَابُ وقـــد يُنَهِّبُهُ الأصيلُ[١٦٢]

---

(١٦١) في النفح (٣/ ٤٩٧) في أبيات أبي الحسن: «قيل إنّ لهذه الأبيات صَنعها بمحضر الأمير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرقيّ الأندلس؛ وإنه لمّا ألجأته الضّرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيئًا، وكانت هذه عنده مُعَدّةً فزعم أنّه ارتجلها. قال أبو عمرو بن سعيد: وهذا هو الصّحيح، فإنّه ماكانت عادتُهُ أن يخاطب عمّي أبا جعفر بـــ «خير الأنام» فإنّ كل واحد منهما كفؤ الآخر».

(١٦٢) اللجين: الفضة.

كأنَّ الرَّوْضَ يَعْشَقُه فَمِنْهُ — على أرْجائه ظِلٌّ ظَليلُ
وتَمْنَحهُ أكُفُّ الشَّمسِ عِشْقًا — دنانيرًا فمِنهُ لَها قَبُولُ[١٦٣]
إذا رفَعَ النَّسِيمُ القضبَ عَنْها — فحينئذٍ يكُونُ لَها سَبِيلُ
وللنَّارَنْجِ تحتَ الماءِ لَمَّا — تَبدَّى عَكْسُها جَمْرٌ بليلُ[١٦٤]
وللّيمونِ فيه دونَ سَبْكٍ — جَلاجِلُ زُخرفٍ بصبًا تَحُولُ[١٦٥]
فيا رَوْضًا به صُقِلَت جُفوني — وأرهَفَ مَتْنَهُ الزَّهرُ الكليلُ
تَناثَر فيكَ أسلاكُ الغَوادي — وقَبَّل صَفْحَ جَدْوَلِكَ القَبُولُ
ولا بَرِحَتْ تُجمِّعُ فيكَ شَمْلاً — من الأكياسِ والكاسِ الشَّمُولُ[١٦٦]
بُدورٌ تستديرُ بِهَا نجومٌ — مع الإصباح ليسَ لها أُفولُ
يهيمُ بِهِمْ نسيمُ الرّوضِ إلفًا — فَمِنْ وَجْدٍ لَهُ جِسْمٌ عليلُ

[١٥]

قال في كتاب: أعلام مالقة[١٦٧]:

---

(١٦٣) أي: من العشق؛ بسببه. ونوّن دنانير ضرورةً. والبيت من قول أبي الطيب المتنبي في أبياته في شعب بوّان (ديوانه – البيتان – ٤/ ٢٥٢– ٢٥٣). يصف الشّعب وأشجاره نهارًا وهو يسير بالخيل فيه:

غَدَوْنا تنفضُ الأَغْصَانُ فيهِ — على أعرافها مثل الجُمَانِ
فسرتُ وقد حَجَبْنَ الشمس عني — وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرقُ منها في ثيابي — دنانيرًا تفرّ من البَنانِ

(١٦٤) شبّه النّارنج (وهو أحمر) بالجَمْر (لكنّه لايُحرِق).

(١٦٥) الجَلاجل جمع جُلجل: الجرَس.

(١٦٦) الأكياس جمع كَيِّس: صفة حَسَنة في الإنسان؛ أراد أصحاب المُخاطب.

(١٦٧) أعلام مالقة (١٠٩)، وأُدَباء مالقة (٨٩).

وحَدّثَــني الأديبُ أبو عمرو قال: أنشدنا أبو الحسن الوَقّشي[١٦٨]، قال: أنشدنا أبو بكر الكُتندي، وأمَرَ أن تُكتب على قبره، رحمه الله: [من المديد]

حَــيِّ قَــبْرًا بالبَقِــيْعِ حَــوى ذا اغْــتِرَابٍ حَــطَّ أَرْحُلَــهُ[١٦٩]

جَــدَّ في تَسْــيارِهِ وَجَــرى طَلَقًــا ماشَــاءَ طَوَّلَــهُ[١٧٠]

فهــو قَــد أَلقَــى عَصَــاهُ ولم يَدَّخِــرْ إلاّ تَوَكُّلَــهُ

[١٦]

في ترجمة[١٧١] نزهة بنت القُليعي أنّها كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صــاحبة فُكَاهة ودُعَابة. أخذت عن أبي بكر المخزومي الأعمى. وكانت يومًا

---

(١٦٨) وَقّش: بلدة أندلسية من أعمال طليطلة (من وسط الأندلس) نُسب إليها عدد من العلماء والفقهاء والأدباء.

(١٦٩) البقيع في اللّغة: المكان المتّسع فيه أشجارٌ مختلفة، واختصّ بمقبرة أهل المدينة. واستعمله الشاعر لمعنى المقبرة عامّة. ويبدو أنّ الأندلسيّين استعملوا هذه الكلمة لمعنى المقبرة مطلقًا. وفي الإحاطة (٤/ ٤٠٠) في شعر أبي زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي:

إذا مــتّ فادفــنّي حِذَاءَ حَليلتي يُخَالِطُ عَظْمي في التّراب عِظَامَها

ولا تدفــنّي في البَقِــيعِ فــإنّني أريــدُ إلى يومِ الحساب التزامَها

(والحليلة بالحاء المهملة: الزّوجة).

(١٧٠) في أعلام مالقة: أطوله.

(١٧١) الخبر في ترجمة نَزْهون في الذّيل والتكملة (٢/ ٤٩٣). ويُقال في اسمها: نزهون، ونزهة؛ نفح الطيب (٤/ ٢٩٥)، والمُقتضب من تحفة القادم (١٦٤) والمُغرب (٢/ ١٢١)، والإحاطة (١/ ٣٤٤)، ونزهة الجلساء (٩٧)، والدرّ المنثور (٥١٩)، ورايات المبرّزين (١٥٩).

– وكانت وفاة نزهون نحو سنة ٥٥٠.

تقرأ عليه فدخلَ إليه أبو بكر الكُتندي، فقال يخاطبُ المخزوميّ: [من الكامل]

لو كُنْتَ تُبْصِرُ مَنْ تُجَالِسُهُ(١٧٢)

فقالت نزهون(١٧٣):

لَغَدَوْتَ أخْرَسَ من خَلاَخِله

السَبَدْرُ يَطْلُعُ مِن أزرَّتِهِ والغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلائِلِه(١٧٤)

[١٧]

قال الفقيه(١٧٥) أبو عمرو بن سالم (سالم بن صالح الهمداني)(١٧٦)، حَدّثني

---

(١٧٢) كذا في الذّيل والتكملة.. والنفح.

- وروي: «مَنْ تكلّمه» كما في المغرب ٢: ١٢١؛ والإحاطة ١: ٣٤٤- ٣٤٥ ورفع الحجب المستورة ٢: ٨٧٣.

- وبين البيتين فيه: «ثمّ زادت».

(١٧٣) في النفح أنّ المخزومي لمّا أنشده الكُتُندي الشّطر المذكور «أُفْحِمَ وأطالَ الفكر فما وجَد شيئًا» أي أُرْتِجَ عليه، ولم تُتِحْ له بديهتُه إجازةَ الشّطر بما يناسب؛ «فقالت نزهون...» الخبر.

- المعنى: لو كنت تبصر هذه الفتاة الجميلة التي أمامك لَبَهتك جمالها (أصابتك الدّهشة) وصمَتّ، وكنتَ أكثر سكوتًا من خلاخلها. وسُكوت الخلخال في ساق الفتاة كناية عن شيء من الاكتناز كانوا يُفَضّلونه. ثم زادت من ملامح الجمال بِجَعْل الفتاة في حُسن البدر وإشراقه، ورشاقة غصن البان واعتداله.

- ومراد العبارة لَغَدَوْتَ أكثر خَرسًا...

(١٧٤) «أزرّة» كذ في النصّ. وفي اللغة يُجمع الزرّ على أزرار وزُرور.

- والمعنى إن البدر في ثيابها (نوع من الكناية عن أنّها جميلة كالبدر).

والغَلائل جمع الغِلالة: ثوب رقيقٌ يُلبس تحت الدّثار. شبهها بالغصن كما سبق في الحاشية (١٧٤).

(١٧٥) الخبر في أعلام مالقة ٣٠٤- ٣٠٥ وأدباء مالقة ٣١٤- ٣١٥ في ترجمة ابن فرجون القيسي.

أبـــو الحســـن علي بن فَرَجُون القيسي نزيل مالقَة أنّه حضَر بمالقة سنة إحدى وســـتّين وخمســـمئة مع الأديب الكاتب أبي بكر الكُتندي عند بعض الأكابر، وبـــين أيدينا لوحٌ ومِحبَرة. قال أبو الحسن فأخذت اللّوح والقَلم وكتبتُ فيه: [من الكامل]

يـــا ذا الّـــذي مَلكَ المَحاسِنَ كُلّها

فجاوَبَهُ أبو بكر الكُتندي، وزاد عليه:

وحَـــوى جمـــيعُ العـــالمين أقَلّهـــا

فقلت أنا:

الدّهـــرُ إن قابَلْـــتَهُ مُـــتَجَهِّمًا(١٧٧)

فزاد أبو بكر:

أبكيـــتَ كُـــثْرَ الحادثـــاتِ وقُلّها

فقلت أنا:

والسَّيْفُ يَفْخَرُ أنْ تمسَّ رِئاسَهُ(١٧٨)

فقال أبو بكر:

وتَـــرُدُّ شَـــفْرَتُهُ الصقيلةُ سَلّها(١٧٩)

---

(١٧٦) من العُلَماء والمحدّثين والشعراء. له ترجمة في أعلام مالقة (٣٠٤)، وأدباء مالقة (٣١٤).

(١٧٧) في المَطْبوعَيْن: «قابلته متبسّمًا» وفي حاشية أُدباء مالقة: «هذه الكلمة يمكن قراءتها متبسّمًا ويمكن قراءتها متجهّمًا». واختَرْتُ هذه القراءة. لأنّ الشعر ثناء وإطراء. يقول له: إنّ كلّ شيءٍ حوله يتجاوبُ معه: يأسى لأساه ويفرحُ لفرحه.

(١٧٨) رئاس السَّيف: مقبضه وقائمه.

(١٧٩) هكذا ورد الشطر في أعلام مالقة، وهو أمثل. وفي أدباء مالقة: «ويردّ..».

قـــال أبو الحسن: ثم جاء الإذنُ من الطّالب الذي كان يَستكْتِبُهُ ونَهَض، رحمـــه الله. قـــال أبو الحسن: فبقيت الأبياتُ في حفظي إلى أن دَخَلْتُ مدينة تَـــوْزَر[١٨٠]، فلقيتُ بها فتًى من أهْلِ بلنسيةَ اسْمُه محمد الجمحي[١٨١]، ويُعرف بـــابن الشَّـــوَّاش، وكـــان عاقلاً أديبًا ظريفًا، فوقعَ ذكر الشعراء وأهل البلاغة؛ فذكـــرتُ له الكُتـــندي ومـــا جرى بيني وبينه، فعرفه، وأثنى عليه، واستحسَنَ الأبـــيات، فـــلمّا كان في الغَدِ أخرَج إليَّ الثلاثة الأبيات. وقد ذَيّل عليها أربعة أبيات، وهي هذه: [من الكامل]

الـــبَحْرُ إنْ يُذكـــرْ نوَالُكَ غائضٌ ... والأُسْـــدُ تشكو عند سَطْوِكَ ذُلَّها[١٨٢]

والشّـــهبُ ترجُو أنْ تكونَ لديكمُ ... خَوَلاً تُصرِّفُ بَعْضَها أو كُلَّها[١٨٣]

والشّمسُ تقتبسُ السَّنا من نُوركم ... فانْظُـــرْ إلَـــيْها مُفْضِـــلاً وائْذَنْ لها

جَلَّـــتْ عُلاكُمْ أنْ يُحَاطَ بِوَصْفِهَا ... فـــالذّهنُ يَقْصُـــرُ أنْ ينالَ مَحَلَّها!

[١٨]

قـــدّم صاحب أعلام مالقة للنص بعبارة[١٨٤]: «وله رحمة الله عليه»: [من البسيط]

إلى أبي القاســـمِ المُختارِ مِن مُضَرِ ... [حتّ له الجذع قبلي؛ فاز بالكرم][١٨٥]

---

(١٨٠) انظر في توزر: معجم البلدان (٢/ ٥٧- ٥٨) والرّوض المعطار (١٤٤- ١٤٥).

(١٨١) في أدباء مالقة: الحجمي.

(١٨٢) غاض الماء: نَزَل في الأرض وغاب فيها.

(١٨٣) الخَوَل: الأتْباع والخَدمُ والحشَم.

(١٨٤) أعلام مالقة (١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٨٥) هذه قراءة أعلام مالقة، وفي أدباء مالقة «حيث الجذع قبلي فاز بالكرم» وقال في الحاشية: كذا في الأصل، والبيت مكسور الوزن.

أنـــامُ مِـــلءَ جُفـــوني لا يُمَثّلُ لي ... في نَوْمَـــةٍ فكأنَّ العَيْنَ لم تَنَمِ![١٨٦]

فالـــنّفْسُ مِـــن يأسِهَا منكُمْ مُوَلَّهَةٌ ... ليسَـــتْ مِنَ الأَمَلِ الأَسْنَى على أَمَمِ[١٨٧]

كَـــم رُمْـــتُهَا يا رَسُولَ اللهِ مَرْتَبَةً ... لَـــو كنتُ آمُلُ أَنْ أَلْقَاكَ في الحُلُمِ

[١٩]

وقال[١٨٨]:

– وفي قراءة الشّطر الثاني المذكور نظر (في النصّين المطبوعين).

– ومعنى الشّطر واضح. فهو يذكر واحدةً من دلائل النبوّة: «حنين الجذع».

روى البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٦) بإسناد رواه من حديث جابر «أنّ رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأةٌ من الأنصار أو رجلٌ يا رسول الله: ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم فاجعلوه. فجعلوا له منبرًا. فلما كان يوم الجمعة ذهَب إلى المنبر فصاحت النّخلةُ صياح الصّبيّ، فنزل رسول الله ﷺ فضمّها إليه. كانت تئنّ أنين الصبيّ الذي تسكته. قال: كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها» قال. رواه البخاري في الصّحيح عن أبي نُعيم.

(١٨٦) يرجو أن يرى رسول الله ﷺ في منامه.

(١٨٧) الأَمَمُ: القُرْبُ، واليَسير القريب المُتناول. والمُوَلَّه: من وَلَّهه الأَمْرُ: حيّره وأذهب عقله.

(١٨٨) القطعة في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة (٨٧)؛ والمطرب (٨٢) وزاد المسافـــر (٩٥)، وبغية الوعاة (١/ ١٥٥).

– وقدّم لها في «أعلام» و «أدباء» بعبارة: «قوله رحمه الله تعالى».

– ورواية المطرب:

لأمـــرٍ مّـــا أكـــابِدُ كلّ شوقٍ ... إذا ســـجَعَتْ على الأَيْكِ الحَمامُ

لأنّ بياضَـــها كبَـــياض شيـــبي ... فَمَعْـــنى سَجْعِهَا «قُرْبَ الحِمَامُ»!

– والحِمام من أسماء الموت.

لأمْــرٍ مَّــا بَكَيْــتُ وهاجَ شوقي وقــد سَجَعَتْ على الأيك الحَمامُ
لأنّ بياضَــها كبــياضِ شــيبــي فمَعْــنى شَــدْوِها «قُرْبَ الحِمَامُ!»

[٢٠]

قال[١٨٩]: [من البسيط]

ولا كَــتُفّاحةٍ حمــراءَ همْتُ بهَا إذْ أَصْــبحَتْ خَدَّ مَنْ قَلْبِي مُتَيَّمُهُ[١٩٠]
سَــمَتْ بهــا كَفُّــه يومًا إلى فَمِهِ فَخِلْــتُهُ الــبَدْرَ والمِــرِّيخُ يَلْــثُمُهُ
أَو شــاربًا كــأسَ صــهباءٍ مُعَتَّقَةٍ ولا حَــباب سِوى أنْ راقَ مَبْسِمُهُ

[٢١]

قــال ابــنُ سَعيد[١٩١] في التّقديم للقصيدة الآتية للكُتْنْدي بعبارة: «ومن مُستَعْذَب شعره»: [من السّريع]

هــذا لِسَــانُ الدَّمْــعِ يُمْلي الغَرامْ في صَــفْحَةٍ أَثَّــرَ فــيها السَّــقامْ
فهَــلْ يُمــاري في الهَوى مُنْكِرٌ؟ والــبَدْرُ لا يُنْكَرُ حيْنَ التَّمامْ![١٩٢]
عَهْــدٌ لِهِــنْدٍ لم يَكُــنْ بــالّذي تَقْــدَحُ فــيه نَفَــثاتُ المَلامْ[١٩٣]

---

(١٨٩) القطعة في المطرب لابن دحية (٨٢).

(١٩٠) في التّقديم للقطعة قال ابن دحية: أنشدني هذا الوزيرُ لنفسه في تفاحة بيد غلام وسيم يأكلُها.

(١٩١) المُغرب في حُلى المغرب (٢/ ٢٦٥).
– وورد البيتان (٤ و ٥) في رايات للمبرِّزين (١٥٨) وفيه: «مذ فارقتني..».

(١٩٢) يُقال: ماراه: ناظره وجادله. ويُقال أيضًا: مارى فلانًا: خالفه وتَلوّى عليه.

(١٩٣) اسم (هند) من الأسماء التي يُوردها الشعراء كنايةً عن الاسم الحقيقي، ومثله سعاد، وسَلمى، وليلى، وسُعْدى... وقد يُورَدُ لمجرّد الاتّكاء في غرض الغَزل التّقليدي.

يــا نَهْــرَ إشــنيلٍ ألاَ عَــوْدَةً لِنَيلِــكَ العَهْــدِ ولو في المَنَامْ؟(١٩٤)

مــا كَــانَ إلاّ بارقــاً خاطفــاً ما زلتُ مُذ فَارقَنِي في ظَلامْ! (١٩٥)

آه مِــنَ الوَجْــد عــلى فَقْــدِهِ ولَــيْسَ تُجْدي (آه) للمُستَهامْ(١٩٦)

للهِ يَــــوْمٌ مِــــنْهُ لم أَنْسَــــهُ وذكْــرُ مــا أَوْلاهُ أَوْلى ذِمَامْ(١٩٧)

إذْ هــنْدُ غُصْــنٌ بــينَ أغْصَــانها كَــالدَّوْحِ يَثْنِيهِ هَدِيْلُ الحَمامْ(١٩٨)

يــا هــندُ! يــا هــندُ! ألا عَطْفَةٌ أَمَا لِهذا الصَّرْمِ حِيْنُ انْصِرامْ؟!(١٩٩)

---

(١٩٤) إشْنِيل هو نَهْرُ غَرْناطة: Xenil؛ أو: Genil. ويَمُرّ في جنوبي المدينة. وهو رافدٌ من روافد نهر الوادي الكبير. أمّا غَرْناطة فتقوم على نُهَير حَدَارُّو (دَارُّو)، وهو رافدٌ من روافد شَنيل (أو إشْنيل) ويُقال فيه: سنْجيل.

– وكانوا في الأندلس يقولون: «شنيل ألف نيل». وفي العبارة إشارة إلى أنّ الشّين في حِسَاب الجُمَّل تقابل الرّقم (١٠٠٠) ألْف. وهكذا ينفكُّ من شنيل: «ألف نيل»؛ افتخارًا منهم ببلادهم ومفاضلةً مع المشرق. قال الأستاذ عنان (وقد مرّ على قوله هذا أكثر من ثلث قرن) إن نهر غرناطة قد فقد مياهه القديمة، وكثيرًا ما يجفّ أو يكاد (قارن بما جرى لبردى نهر دمشق).

نزهة المشتاق (٢٩٧) والإحاطة (١/ ١١٨) قال لسان الدين: وقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادي... والآثار الأندلسية الباقية (١٦١) وآخر أيّام غرناطة (٤١- ٤٢).

(١٩٥) البارق من برق البَرْق: بدا ولمع. (ويُقال في الشّيء بَرَق إذا تلألأ ولَمع).

(١٩٦) لا يُجدي قول: (آه). والمُسْتهام: الذي شغفه الحُبّ. يقال: هام فلان، واستُهيْمَ فؤادُه.

(١٩٧) الذِّمام: العَهْد، والحُرْمة.

(١٩٨) الدَّوحُ: جمع الدَّوحة: الشجرة العظيمة المتشعّبة ذات الفُروع المُمتدّة، من شجر ما. وهَدِيل الحَمام: صَوْتُه (والهديل أيضًا: ذكر الحمام الوَحْشيّ).

(١٩٩) الصَّرْمُ: القطيعة.

أتذكــرينَ الوَصْــلَ لَــيْلَ المُــنى بمَرْقَــبِ العَطْفِ وجَزْعِ الإكام؟[٢٠٠]
وإن تذكّــرتِ فــلا تذكــري إلا عــلى سَــاعَةِ وادي الحَمــامْ!

مُلْحَــق

[الملحــق ١]

اجْتَمَع بغرناطة محمد بن غالب الرُّصافي[٢٠١] الشّاعر المشهور، ومحمد بن عبد الرّحمن الكُتندي الشاعر، وغيرهُما من الفضلاء والرّؤساء، فأَخَذُوا يومًا في أن يَخرُجوا لنَجْد أو لحَوْر مُؤمّل، وهما متنــزّهان من أشْرَفِ وأظْرَفِ مُتَنَزّهاتِ غَرناطة، ليتفرجّوا ويَصْقُلوا الخَواطر بالتطلّع في ظاهِرِ البلد. وكان الرُّصافي قد أظْهَر الزّهْدَ، وتَرَكَ الخلاعةَ؛ فقالوا: ما لنا غنًى عن أبي جعفر بن سعيد؛ اكْتُبُوا له؛ فصَنَعُوا هذا الشعر، وكتبوا له وجَعَلُوا تحته أسماءهم:

---

(٢٠٠) المَرْقَبُ: مَوْضِع المُرَاقبة. والجَزْع: مُنعطف الوادي ووسطه. والإكام جمع الأَكَمَة: التلّ.

(٢٠١) هو الشاعر المَشْهُور بالرّصافي البلنسي: أصله من بلنسية واستوطن مالقة واتخذها دار إقامة إلى أن توفي بها سنة (٥٧٣). وكان يعمل رفّاءً. وله ديوان شعر جمعه د. إحسان عبّاس من الباقي من شعره. (انظر الطبعة الأولى، والثانية).

أدباء مالقة (٦٨)، والمقتضب من تحفة القادم (٧٥)، والإحاطة (٢/ ٥٠٥)، والتكملة لابن الأبار (٢/ ٥٢٠)، والمُعجب (٢٨٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٣٢) ورايات المبرّزين: (٢١١) وبغية الملتمس (١١٩) ونفح الطيب (٤/ ١٥٩) وشذرات الذهــب (٤/ ٢٤١) وجذوة الاقتباس (١/ ٢٦٦).

- والرّصافة المنسوب إليها هي رُصَافة بلنسية. وهناك مواضع أُخرى سميّت بهذا الاسم في الأندلس، وأشهرها رصافة قُرطبة، وهي أوّل موضع أُطلق عليه اسم الرصافة في الأندلس، (أيام عبد الرحمن الدّاخل).

[سبق للباحث الفاضل التعريف بالرصافي البلنسي في القطعة رقم (١٢)]/ المجلة.

[من الطويل]

بَعَثْـنا إلى رَبِّ السـماحَةِ والمَجْدِ ... ومَـنْ ما لَهُ في مِلَّة الظَّرْف مِنْ نِدِّ

لِيُسْعِدَنا عـند الصَّبيحةِ في غَدٍ ... لِنَسْعى إلى الحَوْرِ المُؤَمَّل أو نَجْدِ

نسـرِّحُ مـنّا أنْفُسًا من شجُونها ... ثوَتْ في شجونٍ هُنَّ شرٌّ من اللحدِ

ونظفـرُ مـن بُخْلِ الزّمانِ بساعةٍ ... ألـذُّ من العَلْيا، وأشهى من الحَمْدِ

عـلى جَدْوَلٍ ما بينَ ألفافِ دوحةٍ ... تَهُـزُّ الصَّـبا فـيها لواءً من الرَّنْدِ

ومـن كان ذا شرب يُخلّي بشأنه ... ومَـنْ كان ذا زُهْدٍ تركناهُ للزّهدِ

ومـا ظَرْفُهُ يأبى الحديثَ على الطّلا ... ولا أن يُديـلَ الهزل حينًا من الجدِّ

تَهُـزّ معَـاني الشّعر أغصانَ ظَرْفه ... ويَمْـرَحُ في ثوبِ الصَّبابَة والوجْدِ

ومـا نَغَّـصَ العيشَ المهنّأ غَيْرُ أنْ ... يمازِجَـهُ تكلـيفُ مالـيسَ بالوُدِّ

نظَمْـنا مـن الخِـلاّن عِقْدَ فرائدٍ ... ولَمّـا نَجدْ إلاّكَ واسطة العقْدِ[٢٠٢]

فمـاذا تـراهُ لاعدمـناك ساعةً ... فـنحنُ بمـا تـبديه في جَنَّةِ الخُلْدِ

ورُشدك مطلوبٌ وأمْرُكَ نحوه ار.. . ..تقابٌ وكلٌّ منك يَهْدي إلى الرّشْدِ!

وقد أجابهم الرُّصافي البلنسي بقصيدة أوّلها[٢٠٣]:

هـو القولُ منظومًا أو الدرُّ في العقدِ ... هو الزّهرُ نَفّاح الصّبا أم شذا الوُدِّ

وهـي في سَبْعَة عشر بيتًا... قال في النّفح بعد الشعر: فركبوا إلى جنّته، فمـرّ لهم أحْسَنُ يومٍ على ما اشتَهَوْا. وما زالُوا بالرُّصافي إلى أن شربَ لَمّا غلبَ عليه الطّرَب، فقال الكُتندي:

---

(٢٠٢) كذا فيه: ولَمّا نجد.

(٢٠٣) نفح الطيب (٣/ ٥١٤).

غلبناك عمّا رُمْتَهُ يا ابْنَ غَالبٍ ... بِسرَاحٍ وريْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ

فقال أبو جعفر:

بَدا زُهْدُهُ مثل الخضابِ فلم يَزَلْ ... بِهِ ناصلاً حتّى بدَا زُوْرَ كاذبِ!(٢٠٤)

وللخبر تتمّة.

[الملحق ٢]

وقال أبو جعفر بن سعيد(٢٠٥) «في يوم اجتمع فيه مع الرّصافي(٢٠٦) والكتندي على راحة ومسمع بِجَنْك(٢٠٧)»: [من الكامل المجزوء]

لله يومٌ مَسَرَّةٌ ... أضْوَا وأقْصَرُ من ذُبَالَهْ(٢٠٨)

لَمّا نَصَبْنا للمُنى ... فيهِ بأوتارٍ حِبَالَهْ(٢٠٩)

طارَ النَّهارُ بهِ كَمُرْ... تاعٍ وأجْفَلَتِ الغَزالَهْ!(٢١٠)

---

(٢٠٤) نَصل اللون: زال.

- يصح في «زور» الرّفع على أنّها فاعل لـ «بدا»؛ والنّصب على الحاليّة. ويكون الفاعل ضميرًا.

وقد أوردنا بيت الكتندي المفرد في موضعه من المَجْموع الشعري الخاصّ به: برقم [٢].

(٢٠٥) المغرب (٢/ ١٦٧).

(٢٠٦) هو الرصافي البلنسي وله ذكر في البحث وحواشي المجموع الشعري.

(٢٠٧) الجَنْك: العود (الذي يُعْزَف عليه): انظر تكملة المعاجم العربية — دوزي — نقله إلى العربية محمد سليم النّعيمي (٢/ ٢١٣).

(٢٠٨) «أضوا» مسهلة الهمزة: أشدّ ضياءً. والذّبالة: الفتيلة التي تُسْرَجُ: تكون في السِّراج فتُغمر بالزّيت وتُوقد للاستصباح.

(٢٠٩) الحِبَالةُ والأُحْبُول: المصيدة.

(٢١٠) في البيت تورية. النّهار: اسم يُطلق على بعض الطّير فقيل هو فَرْخُ القطا، وذَكَرُ الحُبَارى، وولد الكَرَوان... (اللّسان: ن و ر) والغزالة: مؤنث الغزال ولد الظبية. والتّورية بالنهار (قسيم الليل) والغزالة اسم للشمس عند طلوعها. و: أجْفل: مضى وأسْرَع.

المصادر والمراجع

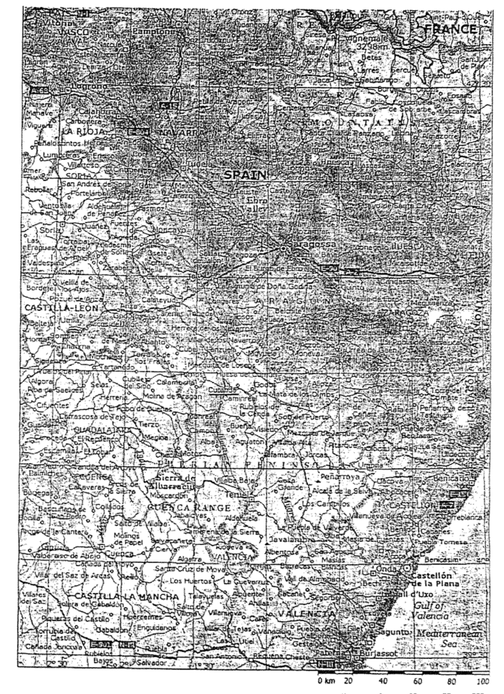
- الآثار الأندلسية الباقية – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة.
- آخر أيام غرناطة = نبذة العصر.
- الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمّد عبد الله عنان – دار الخانجي – القاهرة.
- أدباء مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. صلاح جرار – مؤسسة الرسالة ١٤١٩– ١٩٩٩ بيروت، ودار البشير – عمّان.
- أعلام مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. عبد الله المرابطي التّرغي – دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨.
- أعمال الأعلام – لسان الدين بن الخطيب – حققه ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت.
- البديع في وصف الرّبيع للحميري الأندلسي – تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان – دار الهُدى – ١٩٨٧ – جدّة.
- برنامج شيوخ الرعيني – للرعيني الأندلسي – تحقيق إبراهيم شبوح – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس – الضبيّ – طبعة مجريط ١٨٨٤.
- بغية الوعاة للسيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة عيسى البابي الحلبي مصر ١٣٨٤ – ١٩٦٤.
- ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – الطبعة الثانية – دار قتيبة – دمشق ١٤٠٢– ١٩٨٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس – المُرْتضى الزّبيدي – المطبعة الخيريّة – مصر ١٣٠٧/ وطبعة الكويت.
- تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطّوائف والمُرَابطين – د. إحسان عباس – دار

الثقافة- بيروت.

- تاريخ الأدب العربي — د. عمر فرّوخ — دار العلم للملايين — بيروت — ط١.
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس — د. حسين مؤنس . معهد الدراسات الإسلامية — مدريد ١٣٨٦ — ١٩٦٧.
- ترصيع الأخبار للعذري الدلائي — تحقيق د. عبد العزيز الأهواني — نشر المعهد المصري -.
- التكملة لابن الأبار — ط مصر — جزآن — نشر عزة العطار الحسيني.
- جذوة الاقتباس لأحمد بن محمد (ابن القاضي) دار المنصور للطباعة — الرباط ١٩٧٤.
- الحلة السيراء — ابن الأبار — تحقيق د. حسين مؤنس — الشركة العربية للطباعة والنشر — القاهرة: ١٩٦٣.
- الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور — زينب فواز — مصورة بدار المعرفة بيروت ١٩٩٠.
- دلائل النبوة للبيهقي — تحقيق عبد المعطي قلعه جي — دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٨٥.
- الحلة السيراء لابن الأبار — تحقيق د. حسين مؤنس — الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣.
- ديوان ابن خفاجة — تحقيق د. سيّد مصطفى غازي — منشأة الإسكندرية ١٩٦٠.
- ديوان الرّصافي البلنسي — جمعه وحققه د. إحسان عباس — دار الثقافة — بيروت — ط١.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة — لابن عبد الملك المرّاكشي — الجزء السادس خاصّة — دار الثقافة — بيروت.
- رايات المُبرّزين وغايات المُميّزين — لابن سعيد — تحقيق محمّد رضوان الدّاية — دار طلاس — دمشق — ط١.
- رحلة الأندلس- د. حسين مؤنس — مطبعة كوستاتوماتس — القاهرة — ١٩٦٤.

- رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة – الشريف الغرناطي – تحقيق د. محمد الحجوي – وزارة الأوقاف – الرباط – ١٩٩٧.
- الرّوض المعطار في خبر الأقطار – الحميري الغرناطي – تحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت – ط١.
- زاد المسافر وغُرّة محيّا الأدب السافر – صوان بن إدريس – تحقيق عبد القادر محداد – بيروت ١٩٣٩ .
- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابن العماد الحنبلي – مكتبة القدسي – القاهرة – ١٣٥٠ – ١٣٥١ .
- الشعر الأندلسي في عصر الموحّدين. د. فوزي سعد عيسى – الإسكندريّة – دار المعرفة الجامعيّة.
- عصر الدول والإمارات – د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر (قسم الأندلس).
- عصر الطوائف والمرابطين – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة .
- في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – ط٢ .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير – دار صادر ودار بيروت – لبنان – ١٣٨٦ – ١٩٦٦.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – ياقوت الحموي – حققه علي البجاوي – نشرة دار المعرفة لبنان (مصوّرة).
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب – تحقيق د. العبّادي – جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨.
- المطرب من أشعار أهل المغرب – ابن دحية – حققه إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي – المطبعة الأميرية بالقاهرة – ١٩٥٤.
- المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب – المراكشي – تحقيق محمد سعيد العريان – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٩٦٣.

– معجم الأدباء (إرشاد الأريب..) ياقوت الحموي – طبعة دار المأمون – القاهرة.
– معجم البلدان – ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت.
– المغرب في حُلى المغرب – ابن سعيد – تحقيق د. شوقي ضيف – دار المعارف القاهرة – ط٢.
– المقتضب من تحفة القادم – ابن الأبّار – تحقيق إبراهيم الإبياري – وزارة التربية بالقاهرة ١٩٥٧.
– الموسوعة في عُلوم الطبيعة – تأليف إدوار غالب– المطبعة الكاثوليكية – بيروت – ١٩٦٥.
– نبذة العصر من أخبار ملوك بني نصر (آخر أيام غرناطة) تحقيق محمد رضوان الداية – دار الفكر .
– نزهة الجلساء (ديوان الخمساء – المطبعة الكاثوليكية – بيروت .
– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الشريف الإدريسي – طبعة عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩– ١٩٨٩.
– نفح الطيب – المقّري – تحقيق د. إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت .
– الوافي بالوفيات – الصّفدي (الجزء الثالث) باعتناء ديدرنغ – فسبادن – ١٤٠١ – ١٩٨١.
– وفيات الأعيان – ابن خلّكان – تحقيق . د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت.


FRANCE
Vignemale
3298 m
Logroño
LA RIOJA
NAVARRA
SPAIN
Tudela
Ebro
Valley
Saragossa
Moncayo
Soria
CASTILLA-LEÓN
ZARAGOZA
ARAGON
GUADALAJARA
CUENCA
Sierra de
Albarracín
Teruel
CUENCA RANGE
Peñarroya
CASTELLÓN
Cuenca
VALENCIA
Castellón
de la Plana
Gulf of
Valencia
Sagunto
Mediterranean
Sea
Burjassot
CASTILLA-LA MANCHA
0 km
20
40
60
80
100

Arag?n
Spain

صفات الكلمة الحسنة المقبولة

عند ابن الأثير

د. محمد أديوان

إن الدراسة الصوتية للأبنية اللفظية العربية منطلَق أساسي لدراسة جمال التركيب الصوتي في الكلام. فالقوانين الصوتية للخطاب الأدبي من الأمور التي اهتم بها ابن الأثير في كتبه.

وقد قسَّمَ ابن الأثير الألفاظ إلى حسن وقبيح، وذلك بحسب التداول والاستعمال. والألفاظ عنده تنقسم ثلاثة أقسام:

«قسمان حسنان وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان: أحدهما ما تداول استعماله الأول دون الآخِر، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي لا يُعابُ استعماله عند العرب، لأنه لم يكن عندهم وحشيًّا وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات محدودة وهي التي يُطلق عليها «غريب القرآن»، وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئًا وهو الذي يُطْلَقُ عليه غريب الحديث»[1].

ويناقش ابن الأثير من ذهب إلى القول بأن كلمة «ضيزى» في الآية الكريمة ليست في مكانها الملائم من النسيج الخطابي القرآني فيرُدُّ عليه قائلاً: «إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة. ولاشك أن «جائرة» أحسن من «ضيزى» إلا أنّا إذا نظمنا الكلام فقلنا: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وله الأُنْثَى، تلك إذًا قِسْمَة ظالمة، لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام

---

(١) المثل السائر، ج١، ص (١٧٦).

كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام»[٢].

وقد حدّد ابن الأثير أوصافًا للكلمة بها تكون حسنةً ومقبولة، وأولها ألا تكون الكلمة من الوحشي فما هو الوحشي إذًا؟

الوحشيّ (من الألفاظ):

يرى ابن الأثير أن الوحشيّ قد خفي «على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الألفاظ، وليس كذلك، بل الوحشيّ ينقسم قسمين أحدهما: غريب حسن، والآخر غريب قبيح. وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس. وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحًا، بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنس، فتارة يكون حسنًا وتارة يكون قبيحًا. وعلى هذا فإن أحد قسمي الوحشي – وهو الغريب الحسن – يختلف باختلاف النّسب والإضافات، وأما القسم الآخر من الوحشي – الذي هو قبيح – فإن الناس في استقباحه سواء، ولا يختلف فيه عربي بادٍ ولا قروي متحضّر. وأحسن الألفاظ ما كان مألوفًا متداولاً، لأنه لم يكن مألوفًا متداولاً إلا لمكان حسنه»[٣].

والوحشي الذي يُعابُ في الاستعمال ولا يقبلُهُ أحد، فهو المسمى «الوحشي الغليظ»[٢].

ومعايير الوحشيّ من اللفظ كثيرة، يعرضها ابن الأثير في قوله: «فلا تَظُنَّ أن الوحشيّ من الألفاظ ما يكرهه سمعك، ويثقلُ عليك النطق به،

(٢) المثل السائر، ج١، ص (١٧٧).

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص (١٧٥– ١٧٦).

وإنّما هو الغريب الذي يقلُّ استعماله، فتارة يخفّ على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقُل على سمعك وتجد منه الكراهة»[٤].

فالتفرقة بين ما هو وحشي معيب، وما ليس كذلك، لا تتعلق بالتشكل الصوتي للفظ من الألفاظ، وإنما هو معيار استعمالي يأخذ بعين الاعتبار مدى التداول الذي يحظى به اللفظ المعني.

وقد كان الأمر السائد، في التصور البلاغي لفصاحة الكلمة، هو النظر في بنية الكلمة الصوتية، في حين أن الاستعمال غدا عاملاً حاسمًا في تمييز الوحشي من غير الوحشي عند ابن الأثير بهذه الصورة الدقيقة التي رأينا.

ومعايير الوحشي الغليظ من الألفاظ عيوبٌ تظهر فيه أهمها عيبان: «أحدهما أنه غريب في الاستعمال. والآخر أنه ثقيل على السمع كريه على الذوق. وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يُسمى الوحشيّ الغليظ، ويسمى أيضًا «المتوعر» وليس وراءه في القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً...»[٤].

ويورد ابن الأثير على ذلك مثالاً لتأبط شرًا من كتاب «**الحماسة**» حيث يقول:

يظَــلُّ بِمَوْمَــاةٍ ويُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا ويَعْرَوْرِي ظُهُورَ المسَالِكِ[٥]

(٤) المثل السائر ، ص (١٨٠– ١٨١).

(٥) الجحيش: بمعنى الفريد أو المنفرد. والموماة: المغارة أو الصحراء العريضة لا ماء فيها. يعروري: يركب ظهور: أي متون. المسالك: الطرق، ولعله يقصد الشعاب الصعبة التي قد تودي بحياته.

وعلّقَ ابن الأثير على لفظة «جحيش» في البيت، واعتبرها من الألفاظ المنكرة القبيحة وتعجب من سلوك الشاعر هذا المسلك، ولامه من وجهين: «أحدهما أنه استعمل القبيح. والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله، فلم يعدلْ عنه»[٦].

وأما الغريب الحسن فقد حبّذه ابن الأثير، ولم يرَ عيبًا فيه إذا استعمله الأديب «والعرب إذًا لا تُلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ، وإنما تلامُ على الغريب القبيح. وأما الحضري فإنه يلام على استعمال القسمين معًا، وهو في أحدهما أشدُّ ملاَمةً من الآخر»[٧]. ولعله يقصد بهذا الكلام أن الحضري أي القاطن بالحاضرة والبعيد عن أجواء البادية قد يلام في استعماله للغريب القبيح والحسن معًا. ولومه على استعمال الغريب القبيح أشدُّ من لومه على الغريب الحسَن، لأن ذوقه المصقول، وحِسَّهُ الحضاري، ولغته الرقيقة، تغنيه عن التماس الغريب في كلامه.

وقد يستحسن ركوب الغريب الحسن في الشعر دون النثر، وهو أمر توصل إليه ابن الأثير وعبّر عنه بقوله: «وذلك استخرجته أنا دون غيري، فإني وجدْتُ الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر، ولا يسوغُ في الخطب والمكاتبات»[٨].

ومن الغريب الذي يُستحسن في الشعر لفظة «مشمَخِر» في قول البحتري:

«مُشْـمَخِرٌّ تعْلُـو لَـه شرُفات رُفِعَتْ في رُؤُوسِ رَضْوَى وقُدْسِ»[٩]

وعلق ابن الأثير على هذا الاستعمال الغريب بقوله: «فإن لفظة «مشمخر» لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات، ولابأس بها هنا في

---

(٦) المثل السائر، ج١، ص (١٨١).

(٧) المصدر نفسه، ص (١٨٢).

(٨) نفسه، ج١، ص (١٨٢– ١٨٣).

(٩) نفسه، ج١، ص (١٨٣). والمشمخرُّ في اللغة الجبل العالي.

الشعر»[١٠]. وأورد مثالاً على استعمال الكلمة نفسها في النثر والخطابة في قوله: «وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة، كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة، فقال: اقمَطَرَّ وبالُها، اشْمَخَرَّ نكَالُها، فما طابت ولا سَاغت»[١١].

فالأسلوب الشعري يقبل مثل هذه الكلمات العربية الخشنة في حين أن الأسلوب النثري يرفضُها، وتأتي فيه مستثقلة مكروهة يمجُّهَا الذوق والسمع، وينبو بها مكانها في التركيب.

وقد ضربَ ابن الأثير أمثلة للغريب المستحسن في الشعر كلفظ «الكَنَهْوَر» لوصف السحاب وهو العظيم المتكاثف ولفظ «العرمِس»، للناقة الشديدة و«الشدَنِيَّة»، وهي الناقة الكريمة.

وهذا التمييز بين ما يُستساغ في الشعر، ولا يُستساغ في النثر، إنما يُعَوَّلُ فيه على الذوق، أي مَدَى استجابة النفس لهذا اللفظ أو ذاك في السياق الشعري أو النثري. ويستخرجُ ابن الأثير قانونًا عامًا لاستعمال الغريب في الكتابة الأدبية فيقول: «وعلى هذا فاعلم أن كُلَّ ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظ يسوغُ استعماله في الكلام المنظوم، وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم، يسوغُ استعماله في الكلام المنثور. وذلك شيء استنبطتُه واطَّلَعتُ عليه، لكثرة ممارستي لهذا الفن، ولأنَّ الذوق الذي عندي دَلَّني عليه»[١٢].

(١٠) المثل السائر، ج١، ص (١٨٣).

(١١) نفسه، ج١، ص (١٨٤).

(١٢) نفسه، ج١، ص (١٨٥).

ولقد لاحظ ابن الأثير في هذا القانون الذي وضَعَهُ أن الذوق هو ملاك الأمر في التمييز بين ما يسوغُ وما لا يسوغُ. وهذه النظرة الذوقية أصْلٌ لموقف جمالي عام، يحتكم فيه ابن الأثير إلى أثر الذوق في البنيَة الأسلوبية للتعبير العربي. وقد ذهب فريق ممن عرض ابن الأثير رأيهم في الفصاحَة، إلى «أن الكلام الفصيح هو الذي يعزُّ فهْمُه ويبْعُدُ متناولُه»[١٤]. وأهل هذه الجماعة يصفهم ابن الأثير بالمدعين لصناعة الكتابة، وهم «إذا رأوا كلامًا وحشيًّا غامضَ الألفاظ يعجبُون به، ويصفونه بالفصاحَة، وهو بالضّدِّ من ذلك»، والفصاحة عند ابن الأثير لا يُعْتَدُّ فيها بالغوص وراء المعنى، أو بُعْد متناوله ، «لأن الفصاحَة هي الظهور والبيان، لا الغموض والخفاء»، ولبيان أمر الفصاحَة، وما تنقسمُ إليه الألفاظ بحسب الاستعمال، يعرض الناقد ما يُعْتَمَدُ عليه في ذلك فيقول[١٤]: «الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه:

١- فالجزل يُستعمل في مواقف الحزم والحماسة، كوصف مواقف الحرب أو التهديد.

٢- وأما الرقيق فهو يُستعمل فيما دون ذلك من المواقف، ممَّا يستدعي الأشواق والتلهف على الحبيب البعيد، واستجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك»[١٣].

والجزل من الألفاظ لا يكون وحشيًّا متوعِّرًا عليه أمارة البداوة بل «أعني بالجزل أن يكون مبيّنًا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع،

---

(١٣) المثل السائر، ج١، ص (١٨٥).

وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكًا سفسَفًا وإنما هو اللطيف، الرقيق الحاشية، الناعِمُ الملمس».

ومما يلفت النظر في عبارة ابن الأثير، هذا المصطلح المتميِّز الذي يستعمله في تعاريفه وتحديداته، فهو يُبنَى على أساس ذوقي ظاهر، كمصطلحات **العذوبة واللذاذة والرقّة والنعومة**، وهي كلها مصطلحات ذوقيّة لها مداخل معجميَّة وثيقة العُرَى بمجالات المأكل والمشرب والملبس، وهي كلها أمور ذوقيّة في أصلها يَحصل فيها التفاوت بين الناس.

وقد أورد ابن الأثير أمثلة للرقيق والجزل من الألفاظ في نصوص مختلفة من الكلام العربي بدءًا بالقرآن الكريم، ووصولاً إلى الشعر والنثر، في عصور الأدب المختلفة ومنها زمنه وأدبه هو نفسه.

ومن الجزل في القرآن تلك القوارعُ عند «ذكر الحساب والعذاب والميزان والصّراط، وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى»[١٤]. ومن الرقيق، الذي لا يُرى فيه ضعف ولا سَفسَف، ما في القرآن من «ذكرِ الرحمة والرأفة والمغفرة، والملاطفات في خطاب الأنبياء، وخطاب المُنيبين والتائبين من العباد، وما جرى هذا المجرى»[١٤].

وسنوردُ مثالين من القرآن مما عرض له ابن الأثير في كتابه، أحدهما عن الجزل من الألفاظ، والثاني عن الرقيق منها.

أما **الجزل** من الألفاظ فقوله تعالى: ﴿ولَقَد جئتُمُونَا فُرادَى، كَما خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ، وتَرَكتُم ما خَوَّلْناكُم وَراءَ ظُهُورِكُم، وما نَرَى مَعَكُم

---

(١٤) المثل السائر، ج١، ص (١٨٦).

شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمتُم أَنَّهُم فِيكُم شُرَكاءُ، لَقَد تَقَطَّعَ بَينَكُم، وضَلَّ عَنكُم ما كُنتُم تَزعُمُونَ﴾[١٥].

وأما الرقيق فمثاله قوله تعالى: ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ﴾[١٦]

ويتوخّى ابن الأثير من هذه الأمثلة وغيرها، مما أورده للجزل والرقيق من الألفاظ، وضع أصول لنظرة أسلوبيّة إلى الكلام العربي من الزاوية التعبيريّة. فالقوة والجزالة والرقة واللطف، التي تتصف بها الألفاظ عادة في مواطن من التعبير، لا تتّصف بها إلا لكون المكان أو المواضع التي تأتي فيها في التعبير تمنحُها هذه الصّفةَ، باعتبار معيار التلقّي الذي يحكم عليها بالجزالة تارة وبالرقة تارة أخرى. فالجزالة والقوة كاللطف والرقة ليست صفات ملازمة للألفاظ، وإنما هي صفات يخلعُها ذوق المتَلَقّي عليها في موقف أسلوبي معيّن. والنظرة الأسلوبيّة المعتَمِدة على تقبُّل الكلام، والانفعال له، هي وحدها المُؤهَّلة لبيان مواضع الجزالة والرقة في الكلام. وابن الأثير كان رائدًا في هذا النوع من النظر الأسلوبي الذوقي.

وقد أخذ ابن الأثير على شعراء الحضر ركوبهم الغريب في شعرهم. وممن نحى عليهم باللائمة الشاعر ابن هانئ المغربي الأندلسي، (ت ٣٦٢هـ)، الذي قال في شعره:

«ومـــا راعَهُم إلا سرادِقُ جَعْفَر يَحُـــفُّ بِهَـــا أُسْدُ اللِّقَاءِ الدَّلاَهِثُ
ومـــا تستوي الشُّغواء غير حثيثة قوادِمُهَـــا والكاسِراتُ الحَثائثُ»[١٧]

(١٥) المثل السائر، ج١، ص (١٨٧). سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(١٦) نفسه، ج١، ص (١٨٧) وسورة البقرة: الآية ١٨٦.

فهذا كلام مستقل علق عليه ابن الأثير بقوله: «ألا ترى إلى هذه الكلمات كيف يكرهها السمع، وينبو عنها الطبع، وتستكرهها القُلوبُ، وتعافُها النفوس، وكأن الإنسان عند الوقوف عليها خابطٌ خبطَ عشواء، لا يدري أين يَضَعُ رجْلَهُ»[١٨].

ومن الرقيق الذي يراه ابن الأثير «ممَّا ترقص الأسماع له، ويرن على صفحات القلوب، قول يزيد بن الطثرية في محبوبته مِن جَرْمٍ:

بنفسي مَن لَوْ مَرَّ بَرْدُ بنانه   على كبدي كانتْ شفاءً أناملُه
ومن هابني من كل شيء وهِبْتُهُ   فَلاَ هو يُعطيني ولا أنا سَائلُه»[١٩]

ويرى ابن الأثير أن هذا البدوي قال شعرًا رقيقًا، جديرًا بشعراء الحاضرة الذين يصطنع بعضهم الغريب في شعره، كقول ابن هانئ المذكور سابقًا وغيره[٢٠].

ولعلَّ هذا الموقف من ابن الأثير يدُلُّ على مدى تحكيمه الحس الحضاري، أو عامل البيئة في حكمه النقدي والأسلوبي، على طرق الشعراء

(١٧) الجامع الكبير، ص (٤٦). السرادق: الخيمة الكبيرة. جعفر: وهو أبو علي جعفر ابن علي الأندلسي أمير الزاب، قال فيه ابن هانئ المدائح الكثيرة. (الأعلام للزركلي). الدّلاهثُ: واحدها دلهث: الأسَدُ الشغواء: العُقابُ. القوادم: كبار مقدّمات الريش في جناح الطير. الحثائث ج. حثيثة.

(١٨) الجامع الكبير، ص (٤٧).

(١٩) المثل السائر، ج١، ص (١٩١).

(٢٠) من ذلك قول ابن الرومي الذي أورده ابن الأثير في بيتين:

اسقِني الأسْكركَةَ الصَّنْبَرَ في جعضلفونة
واتركِ الفيحَنَ فيه يا خليلي بغصونه

في القول ومنازعهم في التعبير. فاختلاف درجاتهم وأقدارهم ليس رهينًا فقط بما هم عليه من معرفة شعريَّة ودراية بأدوات النظم، وإنما بما هم عليه من جعل درايتهم هذه تتوافق ومقتضيات المواقف الشعوريّة والنفسيَّة التي تتّصف بها تجربتهم الإبداعية. ولاشك أن العامل البيئي أو الحضاري له دور كبير وفعال في توجيه أساليب المبدعين من الأدباء والشعراء. وقد صرَّحَ ابن الأثير بهذا المطلب في تصوره الأسلوبي معلقًا على قول يزيد بن الطثريّة المشار إليه آنفًا فقال: «وإذا كان هذا قول ساكن في الفلاة لا يرى إلا شِيحة أو قيصومة، ولا يأكل إلا ضبًّا أو يربوعًا، فما بال قوم سكنُوا الحضَر ووجدوا رقّة العيش، يتعاطوْن وحشيّ الألفاظ وشظف العبارات؟ ولا يخلد إلى ذلك إلاَّ: إما جاهل بأسرار الفصاحة وإمّا عاجز عن سلوك طريقها»[٢١].

وقد يأتي البعض من مدّعي هذه الصناعة بالغريب في كلامِهِ، والوحشيّ منه خاصة «وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها، وأما الفصيح المتصف بالملاحة فإنه لا يقدِرُ عليه، ولو قدُر عليه لم يعلم أين يضع يده في تأليفه وسبْكه»[٢٢].

وطفق ابن الأثير يقدّم نماذج متنوعة من أساليب الشعراء البدويين والمتحضرين في الجزل والرقيق من الشعر، فقدّم مجموعة من الآراء الأسلوبيّة في شعر هؤلاء الشعراء، ومن ذلك قوله في أبي العتاهية: «وكل شعر أبي العتاهيّة كذلك سهل الألفاظ، وسأورد منه هنا شيئًا يستدلُّ به على سلاسة

(٢١) المثل السائر، ج١، ص (١٩١).

(٢٢) نفسه، ج١، ص (١٩٣- ١٩٤).

طبعه وترويق خاطره. فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهديّ ويُشبِّبُ فيها بجاريته عَتْب»:

ألا إن جاريَـــــةً للإمـــــا ... مِ قـــد سَـــكن الحسْـــنُ سربالَها

لقـــد أتْعَـــبَ الله قلـــبي بهـــا ... وأتعَـــبَ في اللّـــوْمِ عُذّالَهَـــا

فلمّا وصل إلى المديح قال:

أتـــته الخلافـــة مـــنقادةً ... إلـــيه تُجَـــرِّرُ أذيَالَهَـــا

فَلَـــمْ تَـــكُ تصْـــلُحُ إلاّ لَـــهُ ... ولم يَـــكُ يَصْـــلُحُ إلاّ لَهَـــا» (٢٣)

وعلّق ابن الأثير على هذا الشعر، وعدَّهُ وما شاكلهُ من السَّهْلِ الممتنع حيث قال: «واعلم أن هذه الأبيات المشار إليها ها هنا من رقيق الشعر غزلاً ومديحًا، وقد أذعنَ لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر، ومع هذا فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات.

وهذا هو الكلام الذي يُسمَّى السهل الممتنع، فتراه يُطمِعُكَ، ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب.

وهكذا ينبغي أن يكون مَن خاض في كتابةٍ أو شعر، فإن خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن» (٢٤).

ولعل في الجملة الأخيرة في نص ابن الأثير دلالة واضحة على منحاه الأسلوبي في الحكم على الكلام الأدبي وعلى **أدبيّة** النصوص، **فالمتلقي** هو الذي يحكم على نص ما بتحقيق الأدبيَّة فيه. وذلك عندما يدخل الكلام بغير إذن. أي عندما ينفذ الكلام إلى دخيلاء المرء ونفسه ووجدانه نفاذًا تلقائيًّا

(٢٣) المثل السائر، ج١، ص (١٩٣– ١٩٤).

(٢٤) نفسه، ج١، ص (١٩٤).

وعفو الخاطر، دون حاجة إلى الغوص وراء المعاني المستغلقة أو النفور من الأبنية الصوتية الناشزة. إن الاهتزاز والارتياح للكلام شعوريًّا ووجدانيًا يولِّدُ طربًا به وانفعالاً له، وهذا هو أحسن الكلام. ومن هذه الزاوية الأسلوبيّة **والتفاعلية**، مع الأسلوب الأدبي في النصوص، يصوغُ ابن الأثير رأيًا بخصوص الجزل والرقيق من الألفاظ حيث يقول: «واعلم أن الألفاظ تجري في السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تُتخيَّلُ في السّمع كأشخاص عليها مهابة ووقار. والألفاظ الرقيقة تُتخيَّلُ كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج»[٢٥].

وبناء على هذا التعريف الأسلوبي للجزل والرقيق، يقدّم ابن الأثير رأيًا دقيقًا عن ألفاظ أبي تمام والبحتري لا يخلو من طرافة يقول فيه: «ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطّراد. وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حِسَان عليهنّ غلائل مصبغات وقد تحلّيْنَ بأصناف الحليّ»[٢٦].

وهناك أمور يتميّز فيها النظم عن النثر في أوصاف الألفاظ، لا سيما الوحشي منها فإن «الإنكار على الناثر في استعمال الوحشيّ من الكلام أكثر من الإنكار على الناظم، وذلك لأن الناثر واسع المجال مطلق العنان، متصرّف كيف شاء، قادر على أن يُقيم مكان اللفظة التي ذكرها لفظة أخرى مما هو في معناها؛ والناظم قد لا يُمكنه ذلك، لأن مجال التأليف عليه حرج ونطاقه ضيق، وإذا أراد أن يُقيم لفظة مكان لفظة لا يتأتى له ذلك في

(٢٥) المثل السائر، ج١، ص (١٩٥).

(٢٦) نفسه، ج١، ص (١٩٥).

جميع الحالات، لانفساد الوزن عليه»[٢٧]. فالناظم أكثر عذرًا في ركوب الوحشي من الكلام، أما الناثر فلا عذر له حسب ما يقرّره ابن الأثير في قوله السابق.

وعلى الناظم والناثر معًا اجتناب «ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصّاد والطّاء والظاء والغين، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يَحسُنُ من هذه الأحرف المشار إليها». والناظم في ذلك أشدّ ملامَةً و«هو لا يُعَابُ إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره، بل يعابُ إذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة»[٢٨].

على أن هذه الحروف تتفاوت في كراهتها في الاستعمال. وأشدُّها كراهة أربعة هي: الخاء والضّاد والظاء والغين، والباقية أهونُ حالاً.

ويلاحظ ابن الأثير أن «واضع اللغة لم يضع عليها (هذه الحروف) ألفاظًا تعذُبُ في الفم ولا تَلَذُّ في السّمع، والذي هو بهذه الصفة منها فإنما هو قليل جدًّا»[٢٧]. ومن صفات الكلمة ألاّ تكون مبتذلة بين العامّة. فما هو المبتذل من الألفاظ إذًا؟

المبتذل (من الألفاظ):

والمبتذل في اللغة: الشائع العادي المخصوص بالعامّة من الكلام، والمبتذل في اصطلاح ابن الأثير قسمان:

الأول: «ما كان من الألفاظ دالاًّ على معنى وضِعَ له في أصل اللغة

---

(٢٧) الجامع الكبير، ج١، ص (٤٨).

(٢٨) المثل السائر، ج١، ص (١٩٦).

فغيّرته العامّة وجعلته دالاً على معنى آخر»[٢٩]، وهو ضربان:

١- ما يُكرَهُ ذكره كقول أبي الطيب:

«أذاق الغَوَانــي حسنُه ما أذاقَنِي وعَــفَّ فجازاهُنَّ عَنِّي بالصَّرْمِ[٣٠]

فإن معنى لفظة «الصّرم» في وضع اللغة هو القطع. يُقالُ «صَرَمَهُ» إذا قطعه. فغيّرها العامة وجعلتها دالة على المحلّ المخصوص من الحيوان دون غيره، وأبدلوا السين صادًا. ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها، لكن المكروه منها ما يُستعمل على صيغة الاسميّة، كما جاءت في هذا البيت»[٣١].

وهذا لا يعابُ على البدوي إذا لجأ إليه في الاستعمال، ولكنه يُعابُ استعماله عند المتحضر، لأن البدويّ لم تتغيّر دلالات الألفاظ في زمنه، ولم تخرج بها العامة عن استعمالاتها الأصلية في وضع اللغة[٣٠].

٢- ما هو في أصل اللغة له معنى ثم حولته العامة عن ذلك المعنى إلى غيره «إلاّ أنه ليس بمستقبح ولا مستكره»[٣٠]، ومثاله تسمية العرب «الإنسان ظريفًا إذا كان دمث الأخلاق، حسن الصورة واللباس طيب الريح. والظريف في أصل اللغة بخلاف ذلك لأن الإنسان إنما يُسمَّى ظريفًا

---

(٢٩) الجامع الكبير، ص (٥٠). قارن بما ورد في كتاب المثل السائر، ج١ ص (١٩٨) من النماذج عن استعمال «الظرف» في أماكن متنوعة من الشعر.

(٣٠) الصّرم: القطع. والبيت في **ديوان المتنبي** من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي. (انظر: **المثل السائر**، ج١، ص ١٩٦).

(٣١) المثل السائر، ج١، ص (١٩٧).

إذا كان حسن النطق فقط. إذ الظّرف يتعلق باللسان لا غير»[٣٢].

الثاني: «ما ابتذلته العامة وهو الذي لم تغيّره عن وضعه»[٣٣]. ويرجّحُ ابن الأثير أن يكون المقصود هنا بالابتذال الألفاظ السّخيفة والضعيفة «سواء تداولتها الخاصّة أو العامّة»[٣٤].

ومن ذلك قول البحتري:

وجُـــوه حُسَّـــادِك مســـودَّة   أم صُـــبِغَتْ بَعـــدي بالـــزَّاجِ[٣٥]

ومن أصناف الكلمة:

- **ألا تكون مشتركة** بين معنيين أحدُهُما يُكره ذكره[٣٦].
- أن تكون الكلمة مؤلّفةً من أقل الأوزان تركيبًا[٣٧].

وقد لاحظ ابن الأثير في هذا الصَّدَد أن ابن سنان أخطأ في استقباح لفظة «سُوَيْداواتها»[٣٨] بسبب طولها، والدليل الذي ساقه هو أن في الكلام العربي ما يفوق هذه اللفظة حروفًا لكنه جميل في موضعه كلفظتي «سيكفيكهم» و«يستخلفنهم»[٣٩] في القرآن الكريم.

---

(٣٢) الجامع الكبير، ص (٥٠). قارن بما ورد في كتاب المثل السائر، ج١ ص (١٩٨) من النماذج عن استعمال «الظرف» في أماكن متنوعة من الشعر.

(٣٣) المثل السائر، ج١، ص (١٩٨).

(٣٤) نفسه، ص (١٩٩). وقارن مع ما قاله في الجامع حول هذا القسم الثاني إذ لم يورد هذا الترجيح وإنما اكتفى بتعريف القسم الثاني من المبتذل. (انظر الجامع الكبير، ص ٥١).

(٣٥) المثل السائر، ج١، ص (٢٠١).

(٣٦) نفسه، ج١، ص (٢٠٢).

(٣٧) نفسه، ج١، ص (٢٠٤).

(٣٨) انظر: الفصاحة لابن سنان الخفاجي حيث قال: «فسويداواتها كلمة طويلة جدًّا، فلذلك لا أختارها» ص (٨٨).

(٣٩) انظر الآية (١٣٧) من سورة البقرة؛ والآية (٥٥) من سورة النور.

ويستخرج ابن الأثير قانونًا أسلوبيًا عامًا للأوزان المستحسنة في الألفاظ مفاده «أن الأصول من الألفاظ لا تحسنُ إلا في الثلاثي وفي بعض الرّباعي، كقولنا «عذب» و«عَسْجد». فإن هاتين اللفظتين إحداهما ثلاثية والأخرى رباعيّة، وأما الخماسي من الأصول فإنّه قبيح، ولا يكاد يوجد منه شيء حسن، كقولنا «جحمرش» و«صَعْصَلِقُ» وما جرى مجراهما»[٤٠].

إن المعَوَّل عليه في استحسان التأليف اللفظي في كلمة ما، ليس هو طُولها أو قصَرُها كما يُفهم من موقف ابن سنان الذي اعترض عليه ابن الأثير، وإنما المعول عليه في نظر هذا الأخير:

– مراعاة تآلُف بعض الحروف مع بعض في النظم.

– تجَنُّبُ الألفاظ المؤلّفة من حروف يثقل النطق بها، سواء كانت طويلة أو قصيرة[٣٩].

وقد أورد ابن الأثير تحليلاً دقيقًا من الزاوية الصوتية الوظيفيّة (الفونولوجيّة) لكلمة «مستشزرات» التي استثقلها، وعلّق على من يَعْتَبِرُ أن السبب في استهجانها هو طولها فبيَّن أن كراهة هذه اللفظة ليس لطولها، لأننا «لو حذفنا منها الألف والتاء قلنا «مستشزن» لكان ذلك ثقيلاً، وسبَبُه أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي، فثقل النطق بها. وإلا فلو جعلنا عوضًا من الزاي راء، ومن الرّاء فاء، فقلنا «مستشرف» لزال ذلك الثقل»[٤١].

ومن أوصاف الكلمة أيضًا:

أن تكون مبنيّة من حركات خفيفة ليخفّ النطق بها. والقانون العام الذي يضبط توزّع الحركات في الألفاظ يأتي في كلام ابن الأثير بهذه الصيغة: «إذا

---

(٤٠) المثل السائر، ج١، ص (٢٠٥).

(٤١) المثل السائر، ج١، ص (٢٠٦).

توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تُستثقَل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنّه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استُثقلَتْ»[٤٠].

ولذلك تُستثقل الضمة على الواو والكسرة على الياء، فالكلمة قد تأتي في مواطن من التعبير حسنة رائقة، وفي مواطن أخرى مستكرهة ثقيلة. وحروفها تظل هي نفسها من المخارج ذاتها، غير أن **اختلاف حركاتها** هو السبب في **استحسانها** تارة **واستثقالها** تارة أخرى. وهذا ما يُسميه ابن الأثير **باختلاف تأليف الحركات** في الكلمة[٤٢].

أما صفة الحوشي التي ذكرها ابن الأثير، فإنها صفة تَلْحق الصوت من حيث عدم تناسق مقادير الفضاءات النطقية فيه، بحيث يختل نظام تأليفه الصوتي فيأتي فيه من النّشاز والتنافر، ما يجعل الأذن تستمع إليه من غير ارتياح. ومعيار الفصاحة مخالف لذلك، لأن اللفظة الفصيحة لا تكون حوشيّة مضطربة التأليف الصوتي، وإنما تأتي على قدر كبير من التوازن والتناسب الصوتي، أي «أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حُسنًا ومزيّةً على غيرها»[٤٣].

وإذا رُمنا تحليل المعيار النطقي، الذي يعتمد عليه ابن سنان في هذا القول، فإننا نلاحظ أن هذا المعيار هو شكلي مادّي، في حين أن المعيار السمعي الذي يعتمده ابن الأثير يظل ذوقيًا وأكثر التصاقًا بجمال النص باعتبار أن النسيج اللفظي هو في النهاية «النص الأدبي».

---

(٤٢) نفسه، ج١، ص (٢٩٧). وقد ضرب ابن الأثير مثلاً للألفاظ التي توالى فيها الضمّ ولم تُستثقل في آيات من القرآن وأبيات من الشعر، فبيّن أن الاستثقال ليس حكمًا على تأليف الحركات في اللفظ باعتبار ظاهر التأليف الصوتي، وإنما هو حكم على ذلك باعتبار التفاعل النّفسي مع الإيقاع الصوتي للفظ في سياق صوتي محدَّد قد يؤدي إلى الاستحسان أو الاستهجان.

(٤٣) سر الفصاحة، ص (٦٤).

فالمعيار النطقي وحده لا يكفي لإثبات جمال النص أو نفيه في هذه الحال، لأننا في حاجة إلى موقف المتلقّي أو المتقبل الذي يرتاح في أثناء الاستماع أو يقلق وينفر.

ومن ثم يكون موقف ابن الأثير أقرب إلى الذوق واعتماد موقف المتلقي المستمع في الحكم على فصاحة اللفظة المفردة.

أما عن الوحشي من الألفاظ وهو الذي يصعب أن تستأنس به الأذن فالأمر فيه على ما قرّره ابن الأثير، غير أننا إذا نظرنا إلى هذه المسألة الصوتية من الناحية المادّية باعتبار الصوت صوتًا ماديًّا، فإن صفة الوحشية هنا صفة غير مادية، وإنما هي صفة نفسيّة ناجمة عن كون اللفظ الذي يتصفُ بهذه الصفة عند ابن الأثير هو اللفظ الذي قلّ تداوله في اللغة، فكان مثل الوحش في الفلاة صوتًا هائمًا في المجال اللغوي، لا نكاد نصادفه إلا إذا ابتعدنا عن الرصيد المتداوَل، وتعمّدنا إيراد هذه الألفاظ النافرة مثل الوحوش التي يقل الاستئناس بها.

فهذه الصفة إذًا نفسية ولا علاقة لها بالمجال اللغوي في تقديرنا. وإنما التحليل الذي أتى به ابن الأثير تحليل أسلوبي، ينظر إلى اللفظة في سلسلة الكلام باعتبار درجة تواترها واطمئنان ذوق المتلقي لها. فهي إذا كانت كثيرة التداول صادفت هوى في نفسه، وإن كانت قليلة التداول كانت من الغريب النادر الذي يجافي روح الفصاحة في نظر بعض النقاد كالجاحظ وابن سنان الذي يجعل من شروط فصاحة اللفظة الواحدة «أن تكون الكلمة، كما قال أبو عثمان الجاحظ، غير متوترة وحشيّة»[٤٤].

(٤٤) سر الفصاحة، ص (٦٦).

إن ما يسميه البلاغيون القدماء الفصاحة في الكلمة، بهذا التصور المتعدّد الصور، هو ما سمّاه الناقد عبد الله الطيب «الجرس»، وهو يقصد بهذا المصطلح الصوتي مجموع الصفات الصوتية التي تُحقق للفظة ما لدى المتلقي الارتياحَ النفسي اللازم، لكونها فصيحة. ويرى الناقد المذكور «أن النقاد القدماء ضل عنهم أن يستعملوا كلمة الجرس استعمالاً اصطلاحيًا»(٤٥).

ولقد ارتبط مفهوم الفصاحة باللفظ عند هذا الناقد بحيث اعتبر أن صفة الجرس بما تحمله من الانطباع الصوتي هي المؤشر إلى فصاحة الكلمة، وهذا التصور يأخذ بعين الاعتبار الجانبين النطقي والسمعيّ معًا، مادام الجرس مجرَّد انطباع يمتزج فيه الوصف الصوتي للكلمة والوصف الذوقيّ لأثرها في المتلقي.

ولقد اقترن مفهوم الفصاحة باللفظ عند أبي هلال العسكري الذي اشتَط في الدفاع عن أطروحة عزل الفصاحة عن المعنى وقصرها على اللفظ، وجعلها عنوانًا على تمام آلة البيان، وهذه الآلة لا تخص عنده سوى اللفظ. «فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أن الفصاحة تمامُ آلة البيان فهي تتعلق باللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى والبلاغة، وإنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى»(٤٦).

وقد حصر البلاغيون المتأخرون كالقزويني شروطَ فصاحة المفردة في خلوها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس(٤٧)، وهي صفات يشترك فيها عموم النظر البلاغي إلى مسألة الفصاحة.

---

(٤٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الفكر، بيروت، ط. ٢، ١٩٧٠، ج٢، ص (٤٥٨).

(٤٦) الصناعتين. الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.٢، ص (١٤).

(٤٧) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، ط.٣، ١٩٨٩، صص (٧٣- ٧٤).

إذا نظرنا إلى مسألة الفصاحة في التصور العربي القديم، لدى اللغويين والنقاد البلاغيين، فإننا نلاحظ أن الاختلاف الحاصل بين الدارسين لهذه المسألة الجمالية واللغوية في الكلام العربي، باعتباره وحدات لفظية مفردة أو نسيجًا نصيًّا، إنما هو راجع إلى نقاش واسع حول مسألة التنافر ويمكن أن نختصر بعض ملامحه في الملاحظات الآتية:

١- أجمع البلاغيون على أن التنافر هو ما يعتري الكلمة من ثقل، يعسر معه نطقها فتكون هذه النظرة بسيطة تنظر إلى الشق النطقي الصوتي للفظ، ولا تنظر إلى الأثر السمعي له في نفس المتلقي، وهذه النظرة النطقية على صحّة معيارها قليلة الجدوى الجمالية، لأنها تغيِّبُ المبدأ الذوقي والمعيار السمعي لدى المتلقي.

٢- لقد قسم البلاغيون التنافر إلى نوعين فيما يخص الكلمة المفردة، هما: التنافر القوي والتنافر الضعيف. ومثال الأول كلمة «الهُعْخُع» فهو شديد الثقل في النطق، وينبو عنه السمع السليم.

ومثال الثاني لفظة «مستشزرات» وهي أقل في ميزان الثقل والنبوِّ من أختها.

وهذا التمييز عند البلاغيين لا يخضعُ لقانون النطق فحسب، وإنما يُدخِل الاعتبار السَّمعِيَّ ويُحَكِّمُ ذوق المتلقّي أيضًا. ومن ثم فذلك نوع من النظر الأسلوبي الذي طوّر نظرة اللغويين(٤٨)، التي كانت في عمومها تقف عند

---

(٤٨) ينظر في مسألة الأصوات في اللفظ عند اللغويين: المقتضب، جض، ص (٣٢٨)؛ والكتاب لسيبويه، ج٤، ص (٤٣١). ومن جملة ما ذكره اللغويون أن قرب مخارج الحروف مدعاة إلى الثقل في النطق، وأن تباعد المخارج مدعاة إلى الخفّة واليسر. بل إن تقارب المخارج يؤدّي إلى قبح الكلمة، على رأي ابن جنّي الذي اعتبر أن كثيرًا

حدود المعيار النطقي، وإن شاركهم بعض البلاغيين هذه النظرة العقيمة كما بيّنّا فيما سبق.

٣- لقد كانت النظرة البلاغية إلى مسألة التنافر، في تحديد فصاحة الكلمة، أهم من نظرة اللغويين الجزئية التي لا تعتد بعوامل السياق وموقف المتلقي. فقد كانت النظرة البلاغية لدى أصحاب النـــزعة الذوقيّة عميقة في فهم العلاقة بين الفصاحة بوصفها مفهومًا صوتيًّا، والفصاحة بوصفها مفهومًا استعماليًّا، يستحضرون فيه عناصر السياق الذي أُنجزَ فيه النُّطق. فالتنافر عند هذه الفئة المتميزة من البلاغيين قيمة نفسيَّة وليس قيمة نطقية. وقد كان ابن الأثير متقدِّمًا بهذا التصور الأسلوبي الذي كان لديه عن هذا الجانب من الجمال النطقي للنص الأدبي في وحداته الدنيا، وهي الأصوات في اللفظة المفردة.

وقد حدّد ليتش Leech السياق العام لعمل التلفظ الذي يبدأ به كل كلام، في عناصر، نمثلها بالمخطّط الآتي[٤٩]:

السياق

المتكلم [الفعل التلفظي/ الإنجاز النطقي] المخاطب

(أغراض السياق

الفعل الكلامي)

من المهمل العربي إنما نشأ عن قبحه في النطق فتناساه الناس في التداول والاستعمال. للتفصيل ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص (٧٥- ٧٧).

(٤٩) نحاول أن نقدم تصورًا تبسيطيًّا رمزيًا لكلام ليتش وعناصر السياق لديه، وللتفصل انظر:

Leech, Principles of pragmatics, Longman, London. ١٩٨٣. P. ١٣.

إن هذا التصور يحاول أن يقدّم عملية التلفّظ، باعتبارها إنجازًا نُطقيًّا ضمن تصور أعمّ تخضع له، وهو السياق التداولي العام الذي تجري هذه العملية ضمن أنساقه وقواعده الجمالية التي تتحكم في توجيه «ذوق» المجموعة المتكلمة للغة من اللغات.

ومن ثم فإن أغراض السياق هي التي تحدِّد لعملية التلفظ، بوصفها إنجازًا نطقيًّا، وظائف محدَّة تقوم بها دون غيرها. ففي التصور الجمالي الذي يحكم قواعد النطق العربي، في نص من النصوص الأدبية، يخضع التلفظ للمقاييس العربية الجمالية، التي هي جُمَاعُ التجربة الإنجازيَّة النطقيّة الجمالية لدى المتكلمين باللغة العربية والمعبِّرين بها تعبيرًا أدبيًّا وجماليًّا.

إن هذه الضوابط المُستمَدّة من النظرة الذوقية العربية هي التي تتحكّمُ بالنظرة البلاغية، لكل إنجاز صوتي نطقي عربي في مقام جمالي معين.

وبهذا القياس فإن الذوق العربي هو الموجِّهُ لعملية تحقيق الظواهر النطقيّة التي يتطلبها السياق، ومن ذلك مثلاً كراهية التقاء الأصوات، لما في ذلك من ثقل أو أثر سمعي قبيح، وقِسْ على ذلك ظواهر أخرى يرفضها السياق الصوتي، ويمجها الذوق السليم كتوالي الأضداد مثلاً.

إن هذه المعايير السياقية هي التي تضمن لعملية التلفظ أن تحظى بالقبول ضمن السياق العربي من الزاوية الجماليّة، وكلما وافق التعبير الأدبي هذا المطلب السياقي حظِيّ بالقبول لدى المتلقي.

أسماء الذات

أصولها ودلالتها في السياق

أ. محمود الحسن

مهما تعدّدت الأبنية الاسمية، وتنوّعت معانيها، فإنها لا تخرج عن كونها تنتمي إلى إحدى هذه المجموعات الرئيسيّة، وهي: أبنية المصادر، وهي أسماء لمعانٍ تقوم في الذهن، وليس لها وجود خارجيّ محسوس[1]، وصيغ المشتقات، وهي أسماء اشتقت من المصادر وتدلّ على ذات موصوفة بحدث[2]، وأسماء الذات، وهي أسماء لمسمَّيات لها صورة مُتخيَّلة في الذهن، ووجود خارجي يُدرَك بالحواس[3]، إضافة إلى تلك التي يُكسبها التصريف معاني فرعية كالتأنيث والتثنية والجمع والتصغير والنسبة.

وهذا المقال مخصّص لدراسة الأصول التي أُخِذت منها أسماء الذات. وفيه سيظهر أن معظم هذه الأسماء - وخاصة أسماء الجنس - يعود إلى أصول مصدرية أو اشتقاقية، خلافًا لما هو سائد بين معظم النحاة من أنها ارتُجِلت كالمصادر ارتِجالاً، و لم تُؤخَذ من غيرها[4].

فاسم الذات هو: الاسم الذي يدلّ على شيء يُدرَك بالحواس غالبًا[5]،

---

(١) الأستراباذي: شرحه على كتاب الكافية في النحو ٢: ١٩٢- ١٩٤.

(٢) الأشموني: شرحه على ألفية ابن مالك ١: ٣٦٥- ٣٦٦.

(٣) السيوطي، جلال الدين: المزهر ١: ٤٢.

(٤) أبو حيان: ارتشاف الضرب ١: ٢٥.

(٥) ابن السرّاج: الأصول ١: ٣٦ ؛ وقباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال ص ١٢٥.

ويُقسَم إلى قسمين:

١- **الاسم العَلَم** وهو: اللّفظ الذي يُعيِّن مُسمّاه دون غيره، تعيينًا مُطلقًا[٦]. نحو: زيد وحاتم ودمشق ويثرب. وهو على ضربَين: مُرتجَل ومنقُول. فالمرتجَل: ما لم يُستعمَل في غير العَلَميّة[٧]، نحو: مَذحِج وعُثمان وغَطَفان، وهو قليل.

والعلم المنقول[٨]: ما استُعمِل في غير العلمية، قبل أن يُستعمَل علمًا، وهو الأغلب. فمنه ما كان في الأصل مصدرًا كسَعْد وفَضْل، أو مشتقًا وصفيًا كعامِر ومَحمُود وجَميل وأحمَد، أو اسم جنس كأسَد وصَقر، أو فعلاً ماضيًا كأبان، أو مضارعًا كيَزِيد ويَشكُر، أو أمرًا كـ «أطرِقا» في قول أبي ذؤيب:[٩]

عَلَى أطْرِقا بالِياتُ الخِيا م إلاّ الثُّمامُ، وإلاّ العِصِيُّ

وأصله أن رجلاً قال لصاحبيه هناك: أطْرِقا. فسُمِّي المَكانُ به، فصار علمًا له.

والاسم العلم قد يكون مفردًا كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون مركبًا. والمركب منه الإضافي كعبد الله، ومنه المزجي كحضرموت، ومنه الإسنادي كتأبّط شرًّا.

وحقيقةُ أن للأسماء الأعلام أصولاً أُخذت منها مشهورةٌ عند العلماء، وعليها بنى ابن دريد (ت٣٢١هـ) كتابَه «الاشتقاق»، وابن جني (ت٣٩٢ هـ) كتابَه «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة».

---

(٦) سيبويه: الكتاب ٢: ٥ ؛ وابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ١٣١.

(٧) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ٢٤٧ ؛ والكفوي: الكليات ص ٨٤. ومذحج: أبو قبيلة من العرب.

(٨) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ٢٤٧ ؛ والكفوي: الكليات ص ٨٤.

(٩) ابن جني: المبهج ص١٤.

٢- اســـم الجنـــس وهو: اللّفظ الذي يدلّ على كل فرد، يُطابق الصورة الذهنية المُتخيَّلة لأفراد جنسه[١٠]. فالإنسان مثلاً اسم جنس موضوع للدلالة على كل فرد خارجيّ محسوس، يتّصف بصفات تطابق الصفات الموجودة، في الصُّورة القائمة في الذهن لطبيعة هذا المخلوق. وكذلك الحال في نحو: فَرَس وثَور وجَبَل وبَيت وبَحر.

وأسماء الجنس منها المرتَجل نحو: تِين وضُفدَع ومِسك، ومنها المشتقّ كاسمي الزمان والمكان واسم الآلة، وهذه معروفة ولا حاجة لذكرها في هذا المقال، ومنها ما نُقل من أصول مصدرية أو اشتقاقية، كالخَليفة والكُتُب والأمصار، في قولنا: أرسَلَ الخَليفةُ الكُتُبَ إلى الأمصارِ. فالخَليفة: فَعيلة بمعنى اسم الفاعِل: الخالِف، والتاء للمبالغة[١١]، عُبِّر به عن اسم الذات. والكُتُب: جمع كِتاب. وهو مصدر على «فِعال» بمعنى اسم المفعول: المَكتُوب[١٢]، فعله كُتِبَ يُكتَبُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والأمصار: جمع مِصْر. وهو كل بلد مَمصُور أي: مَحدُود[١٣]. فهو «فِعْل» بمعنى اسم المفعول، فعله مُصِرَ يُمصَرُ، عُبِّر به عن اسم الذات. وأسماء الجنس المنقولة تُشكِّل المادة الهامة التي يقوم عليها هذا المقال، كما سيظهر بعد قليل.

ومن أسماء الجنس ما يدل على الجمع، نحو: تُفّاح وتَمْر، وعَرَب ورُوم. وهذا النوع يتميَّز منه المفرد بإضافة تاء الوحدة، في الأجناس التي لا يصنعها

(١٠) الجرجاني: التعريفات ص ٤١.

(١١) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٤٧.

(١٢) نفسه ص٨١.

(١٣) المناوي، عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٥٩.

المخلوق[١٤]، نحو: تُفّاحة وتَمْرة، أو بإضافة ياءي النّسب للأجناس التي تدل على العاقلين، نحو عَرَبيّ ورُوميّ.

ويرى العلماء أن هناك فرقًا بين الجنس واسم الجنس. فالجنس يُطلَق على القليل والكثير، كالماء الذي يُطلَق على القطرة والبحر. واسم الجنس لا يُطلَق إلا على واحد، كرَجُل وذئب[١٥].

وثمة ما يُقال له علَم الجنس، كأسامة علمًا على جنس السِّباع، وأمّ عامر علمًا على الضَّبع. ومُلخَّص الفرق بينه وبين اسم الجنس أن اسم الجنس يُطلَق على فرد خارجي، يُطابق الصُّورة الذّهنية له، أما علم الجنس فيُطلَق على الصُّورة الذّهنية المتَخيَّلة لجنس ما، ولا يجوز إطلاقه على فرد خارجيّ من أفراد الجنس[١٦].

وتجدر الإشارة إلى أن أسماء الذات ليس لها أبنية مُختصّة بها، كما في المصادر والمشتقات. والاحتكام إلى المعنى هو السَّبيل لمعرفتها، وتمييزها من غيرها من الأسماء.

أصول أسماء الجنس

يُظهر الاستقراء أن أسماء الجنس عامة نوعان: مرتجَلة ومَنقُولة. فالمُرتَجل: هو الذي لم يُعثَر له على أصول نُقِل منها وهو قليل نحو: السُّنبلة والعنب والتُّراب. وقد يكون له أصل ولكنه خَفِيَ فلم يُعرَف، أو ضاع لبُعده في الزّمان عنّا، كرفع عَقِيرَتَهُ: بمعنى صَوته، فلو حاولنا أن نجمع بين معنى الصَّوت والعَقِيرة

(١٤) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ص ١٧٣٥.

(١٥) الجرجاني: التعريفات ص ٤١.

(١٦) ابن الحاجب: الكافية في النحو ٢: ١٣٢.

لبُعْد. وأصله أن رجلاً قُطعَت إحدى رِجلَيه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صَرَخَ بأعلى صَوته، فقال الناس: رَفَعَ عَقيرته[١٧]. وهكذا أصبحت العقيرة تُستعمَل بمعنى الصوت. ولا يبعُد أن يكون لامتداد الزَّمان، وخَفاء أسباب التَّسمية، دور كبير في الحكم على الكثير من أسماء الذات بأنها مرتجلة.

والنوع الثاني المنقول، وهو قسمان: قسم نُقل من أصل مصدريّ أو اشتقاقيّ ما يزال مستعمَلاً على بابه الوضعي، كـ «الزَّرْع» الذي يُستعمَل بحسب معناه الوضعي مصدرًا للفعل زرَع يَزرَع، كما يُستَعمل أحيانًا دالاً على الشيء المَزرُوع فيكون اسمَ ذات، كما في قوله تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ والزَّيتُونَ﴾[١٨]. وسبيله أن يأتي الأصل تارة للتعبير عن معناه الوضعي، وتارة للتعبير عن اسم الذات. وذلك بحسب سياق النص ومُراد المُتكلِّم.

والقسم الثاني هو المنقول من أصل مصدريّ أو اشتقاقي لم يعد يُستعمَل بحسب معناه الوضعي. وسبيله أن الأصل قد فقد معنى الحدث، لكثرة الاستعمال في باب أسماء الذات، فاختصَّ بالدلالة عليها، وتنحَّى عن الدلالة على معناه الوضعي.

وهذا القسم من أسماء الذات منه ما يُوافق أصلَهُ في البناء، كـ «الليث» الذي هو في الأصل مصدر لفعل مُهمَل، لكنه لم يعد يُستعمَل مصدرًا، بل اختصَّ بالدلالة على اسم الذات، وهو الأسد[١٩]. ومن ذلك «الحُوت» الذي

(١٧) ابن جني: الخصائص ١: ٦٦.

(١٨) الآية ١١ من سورة النحل.

(١٩) قيل: سمي الأسد لَيثًا، من قولهم: لُثتُ الشيءَ، إذا عصبتَهُ عصبًا شديدًا. ابن دريد: الاشتقاق ص١٧٠. فيكون على هذا مأخوذًا من مصدر مستعمَل، وأصل يائه واو. وقيل: ياؤه أصلية فيكون على ما ذكرتُ. الزبيدي: تاج العروس (ليث).

هو اسم ذات منقول من صفة مشبهة من مصدر حاتَ يحوتُ، إذا اضطرَبَ، ولم يعد يُستَعمَل صفة على بابه[٢٠].

ومن هذا القسم أسماء أجناس نُقلت من أصول مخالفة لها من حيث البناء، كالغَدير والنَّمْل. فالغَدير: الماء الذي يُخَلِّفه السَّيل، سُمِّي بذلك لأن السَّيل غادَرَه[٢١]. فهو اسم ذات على وزن «فَعيل»، منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المُغادَر، من مصدر غُودِرَ يُغادَرُ. والنَّمْل: معروف، سُمِّي بذلك لكثرة تَنَمُّله[٢٢]. فهو اسم جنس جمعي على وزن «فَعْل»، واحدته نَملة، منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المُتَنَمِّل، من مصدر تَنَمَّلَ يَتَنَمَّلُ، إذا كثُرَت حركتُه.

ويُشار إلى أن الغرض من استعمال الأبنية المصدرية والاشتقاقية، للتعبير عن اسم الذات، هو المبالغة وتوكيدها. وتفسير ذلك أن تلك الأبنية تَتَضمَّن معنى الحدث المجرَّد، الذي ينتمي إلى عالم الذهن، فعندما تُستعمَل للتعبير عن اسم الذات تبقى ظلال المعنى الوضعي حاضرة، لتُضيف إلى المُسَمَّى المحسوس أبعادًا خيالية مستَمَدَّة من العقل، الذي لا يَعرِف حدودًا لتصوراته، ولا يخضع لحاكم الحواس، الذي يُظهر الأشياء كما هي عليه في عالم الواقع.

أسماء الجنس المنقولة من أصول توافقها في البناء

ظهر فيما تقدَّم أن مثل هذه الأسماء يكون منقولاً إما من مصدر، وإما من مشتق وصفي، حيث يُستعار البناء المصدري أو الاشتقاقي، في سياق ما، للدلالة على اسم الجنس، وأحيانًا يفقد ذلك الأصل دلالته على الحدث، فلا

---

(٢٠) المقاييس (حوت).

(٢١) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ١٦٧.

(٢٢) أبو حيان: البحر المحيط ٨: ٢٠٥.

يعود مستعمَلاً على بابه الوضعي، بل يختص بالدلالة على اسم الذات. والغرض من ذلك هو المبالغة وتوكيدها.

أسماء الجنس العائدة لأصول مستعملة:

يمثّل هذا النوع حيّزًا كبيرًا من أسماء الجنس، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُماتٌ ورَعدٌ وبَرقٌ﴾(٢٣) الرَّعد: الصَّوت المَسمُوع عند هَطْل المَطر، والبَرق: الضَّوء الذي يَلمَعُ في السَّحاب. فالرَّعد والبَرق: مصدران للفعلين رَعَدَ يَرعُدُ و بَرَقَ يَبرُقُ، عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الذات، لأنه دلّ على شيء يُدرَك بالحَواس. والغاية من التعبير بالمصدر عن اسم الذات هي المبالغة.

ويغلب على المصادر، التي يُعبَّر بها عن أسماء الذات، المرور بالمرحلة الوصفية، فيُوصف المصدر بمعنى أحد المشتقات الوصفية، ثم يطلق بعد ذلك على اسم الذات، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيّا المِحرابَ وَجَدَ عِندَها رِزقًا﴾(٢٤). قال المفسرون: المقصُود بالرِّزق فاكهة الشِّتاء في الصَّيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. والفاكهة اسم جنس يدلُّ على ذات تُدرَك بالحواس، أما الرِّزق فمصدر وهو اسم جنس معنوي. ولا يُمكن الجمع بين المعنوي والمحسوس، خصوصًا إذا كان بينهما بُعد في المادة اللغوية، إلا إذا حُمِل الرِّزق في هذا المثال على معنى اسم المفعول، فيقال: وجَد عندها شيئًا رُزِقت به. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد

(٢٣) الآية ١٩ من سورة البقرة ؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٠٩- ٢١٠ ؛ وأبو حيان: البحر المحيط ١: ١٣٦- ١٣٧..

(٢٤) الآية ٣٧ من سورة آل عمران ؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٨٠٢؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤: ٦٧.

المبالغة.

إن هذا التفسير لا ينطبق على الرَّعد والبَرق لأنهما لو حملا على معنى اسم الفاعل: الرّاعِد والبارِق[٢٥] لأصبح المعنى: شَيء يَرعُد وشَيء يَبرُق. وهذا الشيء لا ينطبق على الصَّوت الهائل المَسمُوع، والضَّوء الشَّديد المَرئيّ، بل ينطبق على السَّحاب لأنه هو الذي يَرعُد ويَبرُق. والسحاب ليس مقصودًا في الآية. ومثل ذلك يُقال في الأمثلة المشابهة.

ومن مجيء المصدر، بمعنى المشتقات، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿أو أجدُ عَلَى النّارِ هُدًى﴾[٢٦] أي شَخصًا هاديًا، وقول النبي ﷺ: «مَن تَرَكَ دَيْنًا، أو ضَيَاعًا، فليأتِني»[٢٧] أي: يَتامَى ضائعين، وقوله تعالى: ﴿وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرضِ لِيُفسِدَ فيها، ويُهلِكَ الحَرثَ والنَّسلَ﴾[٢٨] أي الزَّرع والذُّرِّيَّة، وقوله ﷺ: «لا حِمَى إلا لله ولِرَسُولِه»[٢٩]، وقول عمرو ابن كلثوم[٣٠]:

بِرأسٍ مِن بَني جُشَمَ بنِ بَكرٍ، نَدُقُّ بِهِ السُّهُولةَ، والحُزُونا

أي: كلّ لَيِّن وصَعب.

فالهُدَى: مصدر هَدَى يَهدي بمعنى اسم الفاعل: الهادي، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على شَخص يُدرَك بالحواس. والضَّياع: مصدر ضاعَ يَضيعُ

---

(٢٥) أخذ العكبري بهذا التفسير. ينظر العكبري: التبيان في إعراب القرآن ٣٦.

(٢٦) الآية ١٠ من سورة طه ؛ والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١: ٩٣.

(٢٧) البخاري ص٨٤٥ تحت الرقم ٢٢٦٩ ؛ وابن حجر: فتح الباري ٥: ٧٧.

(٢٨) الآية ٢٠٥ من سورة البقرة ؛ والعكبري: التبيان في إعراب القرآن ص١٦٧ ؛ وأبو حيان: البحر المحيط ٢: ٣١٦ و ٤٢٧.

(٢٩) البخاري ص ٨٣٥ تحت الرقم ٢٢٤١ ؛ وابن حجر: فتح الباري ٥: ٥٦.

(٣٠) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٢٧٢.

بمعنى اسم الفاعل: الضّائع، عُبِّر به عن اسم الذات. لأنه دلّ على اليَتامَى. والحَرث: مصدر حُرِثَ يُحرَثُ بمعنى اسم المفعول: المَحرُوث، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على الزَّرع. والنَّسل: مصدر نُسِلَ يُنسَلُ بمعنى اسم المفعول: المَنسُول، لأن الذُّرِّيَّة تُنسَلُ من أصلاب الآباء، عُبِّر به عن اسم الذات. والحِمَى: مصدر حُمِيَ يُحمَى بمعنى اسم المفعول: المَحميّ، لأنه شيء يُحمَى، عُبِّر به عن اسم الذات. والسُّهُولة والحُزُون: مصدران للفعلين سَهُلَ يَسهُلُ وحَزُنَ يَحزُنُ، بمعنى الصِّفتَين المشبَّهتَين: السَّهْل والحَزْن، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات.

ويُشار إلى أن دخول معنى وظيفي على بناء المصدر، غير المعنى المصدري، يكون بقصد المبالغة، كما سبق. فإن دخل عليه معنيان معًا، كما هو الشأن عند مجيئه بمعنى المشتقات للتعبير عن أسماء الذات، حُكِم بأن دخول المعنى الأول للمبالغة، ودخول المعنى الثاني لتوكيدها. وذلك لأن استعمال البناء لغير معناه الوضعي يكون للمبالغة وتوكيدها، كما مرَّ.

ومن أمثلة أسماء الجنس المنقولة من مشتقات قوله تعالى: (والله يعلم المفسد من المصلح)[٣١]. وقول الراجز: [٣٢]

إنْ تَـــبخَلِي يـــا جُمـــلُ أو تَعتَلِّي   أو تُصـــبِحِي في الظّـــاعِنِ المُوَلّـــي

وقول ليلى الأخيلية: [٣٣]

كـــأنَّ فَـــتَى الفِتـــيانِ تَوبةَ لَم يُنِخْ   بِـــنَجدٍ ولَـــم يَهـــبِطْ مَعَ المُتَغَوِّرِ

وقوله تعالى: ﴿فقَد جاءَكُم بَشيرٌ ونَذيرٌ﴾[٣٤].

(٣١) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة، والبغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤.

(٣٢) ابن جني: المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ص ٥٤، والبغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤ و ١٣٥.

(٣٣) البغدادي: خزانة الأدب ٦: ١٣٤.

فالمُفسد والمُصلح: اسما فاعلَين من مصدَرَي: أفسَدَ يُفسِد وأصلَح يُصلِح، عبِّر بكلٍّ منهما عن اسم الذات. وكذلك الطَّاعِن والمُتغوِّر. أما المُولِّي فاسم فاعل على بابه، لأنه جاء صفة. والفَتِيّ: صفة مشبَّهة من مصدر فَتِي يَفتَى عُبِّر به عن اسم الذات. وبَشير: فَعيل بمعنى مُفَعِّل: مُبَشِّر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة. ونَذير: فَعيل بمعنى مُفعِل: مُنذِر، عُبِّر بها عن اسم الذات للمبالغة.

وأكتفي بهذا القدر من الحديث عن أسماء الجنس المأخوذة من أصول مستعملة توافقها في البناء، نظرًا إلى أن هذه المسألة يمكن الرجوع إليها مفصَّلةً في مقالين نُشرا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٣٥]. ولا شك أن هذا الاستعمال يؤكِّد صراحة تلك العلاقة القائمة بين المصادر والمشتقات من جهة، وبين أسماء الذات من جهة أخرى.

أسماء الجنس العائدة لأصول غير مستعملة:

من أمثلة هذا النوع «الطَّرِيق» في قوله تعالى: ﴿فاضرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي البَحرِ يَبَسًا﴾ [٣٦] و«الغُرفة» في قوله تعالى: ﴿إلاّ مَنِ اغتَرَفَ غُرفةً بيَده﴾[٣٧]. فالطَّريق: اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة فَعيل بمعنى مَفعُول: مَطرُوق، لأن الأقدام تطرُقُه، أي: تَدُوسُه وتدُقُّه[٣٨]. وهذا المشتقّ لم يعُد يُستعمَل

(٣٤) الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(٣٥) يُنظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد ٨٠ الجزء الثاني ص ٣٠٥- ٣٣٤، والمجلد ٨٢ الجزء الأول ص ١٠٩- ١٣٤.

(٣٦) الآية ٧٧ من سورة طه.

(٣٧) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٣٨) ابن حجر: فتح الباري ٩: ٤٢٢.

صفة في الكلام. والغُرفة: مقدار ما يُغرَف بالكَف[٣٩]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة فُعْلة بمعنى مَفعُولة: مَغرُوفة. وهذا المشتق لم يعُد يُستعمَل صفة في الكلام أيضًا. وليس بعيدًا أن تكون الغُرفة بمعنى العُلّيّة مأخوذة من هذا. لأنها قديمًا كانت تُنحَت في الصَّخر، فكأنهم كانوا يستمرُّون بغرف التراب والحجارة حتى تأخذ شكلها. فهي بمعنى: المَغروف ما فيها.

ومن ذلك الغَريزة والطَّبيعة، بمعنى الخُلُق المَغرُوز في قلب الإنسان، والخُلُق الذي طُبِع عليه الإنسان، فأصلهما مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول [٤٠]، لكنه انتقل للدلالة على اسم الذات، و لم يعد يُستعمَل على بابه الوصفي.

ومن ذلك «الفِراش» في قوله تعالى: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ فِراشًا﴾[٤١]. فالفِراش: كل ما يُفرَش ويُمَهَّد. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة «فِعال» بمعنى مَفعُول: مَفرُوش. وهذا المشتق اختصَّ بالدلالة على اسم الذات و لم يعُد يُستعمَل صفة على بابه.

أسماء الجنس المنقولة من أصول تُخالفها في البناء

وهذه الأسماء لها أصول تعود إليها. وتلك الأصول غالبًا ما تكون مشتقات وصفية، إلا أنها ظهرت في صيغة تُخالف صيغة الأصل كالتِّمثال الذي هو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المُمَثَّل[٤٢] من مصدر مُثِّلَ يُمَثِّلُ، لأنه يُمثَّل على صورة الإنسان أو غيره، أي يُصوَّر.

وتجدر الإشارة أولاً إلى أن اختلاف الصِّيغة، بين الاسم والأصل، دفع

(٣٩) اللسان (غرف).

(٤٠) ابن فارس، أحمد: المقاييس في اللغة (طبع) و (غرز).

(٤١) الآية ٢٢ من سورة البقرة.

(٤٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن١١: ٢٠٤؛ وأبو حيان: البحر المحيط٧: ٤٤٠.

الكثير من الباحثين إلى القول بأن مثل هذه الأسماء مُرتجَل. ثم دفعهم أُنسُهم بحسِّيّتها أحيانًا إلى تجاوز ذلك بالحُكم على أنها أصل للمصادر، لأن ما هو مُشاهَد محسوس أولى بأن يكون أصلاً لما هو ذهنيّ مجرَّد، في رأيهم. وسأتناوَل الآن بعض أسماء الذات داخل نصوصها، بالتحليل المُختصَر بما يُساعد على دفع هذا التَّوَهُّم، وتوضيح علاقة هذه الأسماء بأصولها.

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿والَّذينَ يَكتِزُونَ الذَّهَبَ والفضّةَ﴾[٤٣]. قال ابن جنّي: سُمِّي ذَهَبًا لأنّه ما دام غير مُصَفًّى فهو كالذّاهِب ، لأن ما فيه من التُّراب كالمُستهلِك له، أو لأنه لما قلَّ في الدُّنيا فلم يُوجَد إلا عَزيزًا صار كأنه مفقود ذاهب[٤٤]. إن هذا الكلام يدل على أن الذَّهَب: اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة اسم الفاعل، من مصدر ذَهَبَ يَذهَبُ.

وقال ابن جني في الفضّة: سُمِّيت بذلك لانفضاض أجزائها، وتفرُّقها في تراب معدنها، وإن كانت فيما بعد قد تُصَفّى وتُهذَّب وتُسبَك. وقيل لها فضّة كما قيل لها لُجَين. وذلك لأنها ما دامت في تراب معدنها فهي مُلتَزِقة مُتَلجِّنة به[٤٥]. فالفضّة: اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة اسم الفاعل، من مصدر انفَضَّ يَنفَضُّ بمعنى تَفَرَّقَ. واللُّجَين: اسم ذات جاء على صيغة المُصَغَّر [٤٦]، منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المُتَلَجِّن، من مصدر تَلَجَّنَ يَتَلَجَّنُ بمعنى التَصَقَ.

وقال ابن فارس في الفضة: الفاء والضّاد أصل صحيح يدل على تفريق

---

(٤٣) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(٤٤) ابن جني: الخصائص ٢: ١٢٤.

(٤٥) نفسه ٢: ١٢٣.

(٤٦) ابن منظور: لسان العرب (لجن).

وتجزئة، من ذلك: فضَضتُ الشَّيءَ، إذا فرَّقتَهُ. وممكن أن تكون الفضة من هذا الباب، كأنها تُفَضُّ لما يُتَّخَذُ منها من حَلْي [٤٧]. فالفضّة على رأي ابن فارس: اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المَفضُوضة، من مصدر فُضَّ يُفَضُّ. وهذا التفسير أولَى بالأخذ به من تفسير ابن جني، لأنه مبنيّ على أصل مجرَّد، على حين أن تفسير ابن جني مبنيّ على أصل مزيد.

وقال تعالى: ﴿ولله ما فِي السَّماواتِ ومَا فِي الأرضِ﴾[٤٨]. فالسَّماوات: جمع سَماء. وهي كلّ ما يعلو ويُشكّل ظلاً. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: السّامِية، من مصدر سما يَسمُو. وذلك لأن ما يعلو لا يُسَمَّى سماءً إلا في اللحظة التي يعلو فيها الأشياء، ويُشَكّل عليها ظِلاً. أما السَّماء المعروفة فالعُلُوّ صفة ثابتة فيها. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصِّفة المشبهة. وهي المقصودة في الآية. والأرض: سُمِّيَت بذلك لاتِّساعها من قولهم: أرِضَتِ القَرحةُ، إذا اتَّسَعَت[٤٩]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة: الأرِضة، من مصدر أرِضَ يأرَضُ.

وقال النبيّ ﷺ: «إنَّما الشُّؤمُ فِي ثَلاث: فِي الفَرَسِ، والمَرأةِ، والدّارِ»[٥٠]. فالفَرَس: سُمِّي بذلك لِرَكلِه الأرضَ بقوائمه ووَطئِه إيّاها ، من قولهم: فَرَسَ عُنُقَهُ، إذا دَقَّها[٥١]. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الفارِس، من مصدر فَرَسَ يَفرِسُ، أما تَسمِية الرّاكِبِ فارِسًا فهو على النّسب،

---

(٤٧) ابن فارس: المقاييس (فضّ).

(٤٨) الآية ١٠٩ من سورة آل عمران.

(٤٩) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٢٨.

(٥٠) البخاري ص ٢١٧٧ تحت الرقم ٥٤٣٨.

(٥١) ابن فارس: المقاييس (فرس).

أي ذُو فَرَس[٥٢]. والمَرأة: مؤنث المَرء. وهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة، من مصدر مَرُؤَ يَمرُؤُ، إذا كَمُلَ. وهذا التحليل مُستَوحى من لسان العرب، حيث ورد فيه: مَرُؤَ الرَّجُلُ يَمرُؤُ مُرُوءةً، فهو مَرِيء. والمُرُوءة: كَمالُ الرُّجُوليّة[٥٣]. والدّار: سُمِّيت بذلك لكَثرة دوران الناس فيها[٥٤]. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المَدُور فيها، من مصدر دِيرَ يُدارُ. وقال ابن فارس: الدّال والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على إحداق الشَّيء بالشَّيء من حَوالَيه[٥٥]. فهي على هذا الرأي سُمِّيت دارًا لأنها دارت حول ما فيها، أي أحاطَت به. فهي اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الدّائرة، من مصدر دارَ يَدُورُ. والتّفسيران مقبولان ولنا الحرّية في الأخذ بما نختار منهما.

وقال امرؤ القيس [٥٦]:

* وَيَومًـــا عَلَى ظَهرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَت*

فالظَّهر من كلّ شيء: سُمِّي بذلك لظهوره وبُرُوزه[٥٧]. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: الظّاهر، من مصدر ظَهَرَ يَظهَرُ. والمعروف أن الظُّهُور والبُرُوز صفتان ثابتتان في الظَّهر، ولكن لم يُحكَم بأنه منقول من صفة مشبهة، لأن الصفة المشبهة لا تُشتَقّ من مصدر الفعل: ظَهَرَ

(٥٢) ابن منظور: لسان العرب (فرس).

(٥٣) نفسه (مرأ).

(٥٤) ابن جني: الخصائص ١: ١٢٠.

(٥٥) ابن فارس: المقاييس (دور).

(٥٦) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص ٤٣.

(٥٧) ابن فارس: المقاييس (ظهر).

يَظهَرُ. والكَثِيب: الرَّمل المُجتمِع الذي تَكثُبُهُ الرِّيح، أي تَجمَعُهُ(٥٨). فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول، من مصدر كَثَبَ يَكثِبُ. وهو من أسماء الجنس الموافقة لأبنية أصولها.

وقال لبيد (٥٩):

عَرِيَت، وكانَ بِها الجَمِيعُ، فأبكَرُوا مِـــنها، وغُـــودِرَ نُؤيُها وثُمامُهـــا

فالنُّؤي: الحاجِزُ يُجعَلُ حَولَ الخِباء، ليُبعِدَ عنه السَّيل. فهو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل: المُنئِي، أي المُبعِد، من مصدر أنأى يُنئِي. والثُّمام: نَبتٌ يُجعَلُ حول الخِباء، لِيَمنَعَ عنه السَّيلَ ويَقِيَ الحَرّ، سُمِّي بذلك لأنه يُجمَع (٦٠). فهو اسم ذات منقول من مشتقّ على صيغة فُعال بمعنى مَفعُول، أي المَثمُوم المَجمُوع، من مصدر ثَمَّ يَثُمُّ، إذا جَمِعَ. وهذا من أسماء الجنس الموافقة لأبنية أصولها.

تلك هي حقيقة العلاقة بين أسماء الذات من جهة، وبين المصادر والمشتقات من جهة أخرى، والتي تؤكّد أن المعاني الذهنية هي الأصل في إطلاق التّسمية على الأشياء المحسوسة. وقد عرضتُ أقوال العلماء كاملة في هذا الشأن، وأسندتُ تلك الأقوال إلى مصادرها، بُغية التّبرُّؤ مما قد يُنسَب إلى التّحليل المتّبع في هذا البحث، من أنه مبنيّ على تَمَحُّل فاسد، أو اجتهاد خاطئ. وتجدر الإشارة إلى أن الاستقراء يُظهِر أن ما يعود، من أسماء الذوات، إلى أُصول اشتقاقية أكثر مما يعود إلى أصول مصدرية. وذلك لأن طبيعة المشتق

---

(٥٨) ابن منظور: لسان العرب (كثب).

(٥٩) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص١٦٧. وعَرِيَت: خَلَت من أهلها. والجَميع: القَوم المُجتمعون. وأبكَرُوا: رَحَلُوا بُكرة.

(٦٠) ابن فارس: المقاييس (ثـمّ).

أقرب إلى اسم الذات من طبيعة المصدر، كما تقدَّم فيما مضى.

وأكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي تكفي لإضاءة جوانب هذه المسألة، وكشف حقيقتها، كما تفتح الأبواب لدراسة أسماء الذات باعتبار ارتباطها بأصول أُخذت منها. وأنتقل الآن إلى دراسة أسماء الذات، التي تجيء في الكلام للتعبير عن معاني المصادر والمشتقات، والتي يُؤكِّد استعمالُها هذا الصِّلَةَ الواضحة بينها وبين المعاني الذهنية.

استعمال أسماء الذات بمعنى المصادر والمشتقات

ومن أمثلة ذلك قول حسان بن ثابت [٦١]:

فلَولا اللهُ، والمُهرُ المُفَدَّى لَرُحتَ، وأنتَ غِربالُ الإهابِ

أي: مُخَرَّق الجلد. فغِربال: اسم آلة. وهو اسم جنس يدل على ذات استُعمِل بمعنى اسم المفعول: مُخَرَّق: المشتق من مصدر خُرِّقَ يُخَرَّقُ.

وقال الشمّاخ [٦٢]:

إذا ما رايةٌ رُفِعَت لِمَجدٍ تَلَقّاها عُرابةُ باليَمينِ

اليَمين: اليَد اليُمنَى. وهي هنا بمعنى القوة. فهي اسم ذات استُعمل بمعنى المصدر. وهذا الاستعمال قليل، لأن الشائع خلاف ذلك، وهو استعمال المصادر، كما سبق، للتعبير عن أسماء الذات، لما يتضمَّنه ذلك من المبالغة والتوكيد.

ويكثر مجيء أسماء الذات بمعنى المشتقات الوصفية، عندما تُستعمَل صفة في

---

(٦١) ابن جني: الخصائص ٢: ٢٢١ و ٣: ١٩٥. والبيت غير موجود في ديوان حسّان. وتفسير الغربال بمعنى: مُخرَّق الجلد لابن جني في الخصائص.

(٦٢) نفسه ٣: ٢٤٩.

الكلام. والمقصود بالصفة معناها العام، أي: النعت والحال والخبر[٦٣]. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:[٦٤]

وإنَّ لِساني شَهدَةٌ يُهتَدَى بها وهُوَّ عَلَى مَن صَبَّهُ اللّهُ عَلقَمُ

المُراد بعلقم: شديد أو صعب. فلذلك علّق به «على» ومجرورها. ومن ذلك قول ديك الجن:[٦٥]

ما أُمُّكَ اجتاحتِ المَنايا كُلُّ فُؤادٍ عَلَيكَ أُمُّ

«فعلق على بأم، لتأويله إياها بمشتق. وعلى هذا ففي علقم ضمير كما في قولك: زيد أسد، إذ أولته بقولك شجاع، إلا إذا أردت التشبيه»[٦٦].

من هذا القول يتضح أن اسم الذات يُستعمَل بمعنى المشتق، إذا وقع صفة كما في الأمثلة السابقة، بشرط ألا يكون محمولاً على التشبيه. فإن أُريد به التشبيه فهو جارٍ على بابه.

ويطرد مجيء اسم الذات بمعنى الصفة المشبهة إذا كان مكانًا مصوغًا على «مَفعَلة» من اسم الذات، للدلالة على المكان الذي يكثر فيه صاحب الاسم[٦٧]، نحو: هذه أرضٌ مأسَدةٌ مسبَعةٌ مذأبةٌ، وتلك أرضٌ مَبعَضةٌ مَسبَخة، أي: كَثيرةُ الأسُود والسِّباع والذِّئاب، وكَثيرة البَعُوض والسِّباخ. وهذه أسماء أمكنة، عُبِّر بها عن معنى الصفة المشبهة، لأنها استُعملت نَعتًا. ويُشترَط في صحة هذا الاشتقاق أن يكون اسم الذات ثلاثي الأصُول، مُجرَّدًا أو مَزِيدًا. وقد قرَّر

(٦٣) الأسترابادي: شرح الكافية ١: ٣٠٢.

(٦٤) خزانة الأدب ٥: ٢٦٦.

(٦٥) نفسه ٥: ٢٦٧.

(٦٦) نفسه ٥: ٢٦٧.

(٦٧) سيبويه: الكتاب ٤: ٩٤.

مجمَع اللغة العربية بالقاهرة أن صياغة «مَفعَلة» للدلالة على المكان الذي يكثُر فيه صاحب الاسم قياسيّة[٦٨]. وقد استغنى العرب عن هذه الصّياغة للرُّباعي الأصُول والخُماسي الأصُول، بقولهم: هذا مَكانٌ كَثيرُ الثّعالِبِ، وكَثِير العَناكِبِ[٦٩].

أصول الأسماء الأعلام

والأسماء الأعلام، شأنها شأن أسماء الجنس، أغلبها منقول من مصادر أو مشتقات أو أسماء أجناس أو أفعال. وقد آثرتُ تأخيرها إلى هذا الموضع، مع أن الحديث عنها قد تقدّم، نظَرًا إلى وُضوح علاقتها بأصولها من جهة، وتناوُل كثير من العلماء لهذه العلاقة بالدِّراسة والتّفسير من جهة أخرى. يُضاف إلى ذلك أن أسماء الجنس أكثر استعمالاً، وأبعد ارتباطًا بأصُولها من الأسماء الأعلام، لذلك كان من حقّها أن تستأثر بالحظّ الأوفر من الاهتمام والدِّراسة.

ومن أمثلة الأسماء الأعلام ما يَرِد عادة في سَنَد الأحاديث النّبوية، نحو: حَدَّثَنا آدَمُ: حَدَّثَنا شُعبةُ: حَدَّثَنا الحَكَمُ، عَن إبراهِيمَ، عَنِ الأسوَدِ، عَن عائشةَ[٧٠]. ونحو: حَدَّثَنا مُسلِمُ بنُ إبراهِيمَ: حَدَّثَنا هَمّامٌ: حَدَّثَنا قَتادةُ، عَن جابِرِ بنِ زَيدٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ[٧١]. ونحو: حَدَّثَنا عَمرُو بنُ خالدٍ قالَ: حَدَّثَنا اللَّيثُ، عَن يَزِيدَ، عَن أبِي الخَيرِ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو[٧٢].

فآدَمُ:اسم علم منقول من مشتق على صيغة الصفة المشبهة، من مصدر أدِمَ

(٦٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مجلة المجمَع، الجزء الثاني ص ٣٥.

(٦٩) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٨٨.

(٧٠) البخاري ص ٥٤٣ تحت الرقم ١٤٢٢.

(٧١) نفسه ص ٩٣٥ تحت الرقم ٢٥٠١.

(٧٢) نفسه ص ١٣ تحت الرقم ١٢.

يـــأدَمُ. وذلـــك لأنه خُلِقَ من تُراب. والأُدمة: السُّمرة، وهي لون التُّراب[٧٣]. وشُـــعبة: اسم علم منقول من اسم جنس جامد يدلّ على ذات، نُقل من مشتق عـــلى صـــيغة «فُعْلـــة» بمعنى مَفعُولة، من مصدر شُعِبَ يُشعَبُ إذا فُرِّق[٧٤]. والحَكَـــم: اسم علم منقول من مشتق على صيغة «فَعَل» بمعنى فاعِل، من مصدر حَكَـــمَ يَحكُمُ[٧٥]. وإبراهِيم: اسم علم أعجميّ، ليس له أصل عربي، قال أبو حـــيان: «ولا يدخـــل الاشتقاق والتصريف المصطلح عليهما في علم النحو في الاسم الأعجمي»[٧٦]. والأسوَد: اسم علم منقول من مشتق على صيغة الصفة المشـــبهة، مـــن مصدر سَوِدَ يَسوَدُ. وعائشة: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل المُؤنث، من مصدر عاشَ يَعيشُ.

ومُسلِم: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل، من مصدر أسلَمَ يُسلِمُ. وهَمَّام: اسم علم منقول من مشتق على صيغة مبالغة اسم الفاعل، من مصدر هَمَّ يَهِمُّ [٧٧]. وقَتادة: اسم علم منقول من مفرد اسم جنس جمعي يدل على ذات. والقَتاد: الشَّوك. وهو اسم جنس جمعي مرتَجَل[٧٨]. وجابر: اسم علم منقول من مشتق على صيغة اسم الفاعل، من مصدر جَبَرَ يَجبُرُ، إذا عادل الشيء بنصابه[٧٩]. وزَيد: اسم علم منقول من مصدر زادَ يَزِيدُ. وابن

---

(٧٣) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص ٤٨.

(٧٤) التحليل مستوحى من لسان العرب (شعب).

(٧٥) ابن دريد: الاشتقاق ص٧٥- ٧٦.

(٧٦) أبو حيان: ارتشاف الضرب ١: ٢٨.

(٧٧) ابن دريد: الاشتقاق ص٢٢٢.

(٧٨) نفسه ص٣٤٢ ؛ وابن منظور (قتد).

(٧٩) ابن جني: المبهج ص٦ ؛ وابن منظور (جبر).

زَيد: كُنية. والكُنية اسم علم. وابن: اسم جنس أصله بَنَوٌ، منقول من مشتق على صيغة «فَعَل» بمعنى مَفعُول: مَبنِيّ، من مصدر بُنِيَ يُبنَى. وعبّاس: اسم علم منقول من مشتق على صيغة مبالغة اسم الفاعل، من مصدر عَبَسَ يَعبِسُ. وابن عباس: كُنية.

وعَمرو: اسم علم منقول من مصدر ثلاثي، فعله عَمَرَ يَعمُرُ. والعَمْر: الحَياة. فسُمِّيَ الشَّخصُ به تَفاؤلاً بطول بقائه. وخالد: اسم علم منقول من مشتق على صِيغة اسم الفاعل، من مصدر خَلَدَ يَخلُدُ. وابن خالد: كُنية. واللَّيث: اسم علم. وهو في الأصل مصدر لفعل مُهمَل، بمعنى الصفة المشبهة: القَوِيّ، استُعمِل للدلالة على اسم الجنس: الأسد، ومنه نُقِلَ للدلالة على الاسم العلم. ويَزِيد: اسم علم منقول من فعل مضارع ماضيه: زادَ. وأبو الخَير: كُنية. والخَير: مصدر استُعمِل على بابه. وعَبد الله: اسم علم مُركَّب. وعَبْد: اسم علم منقول من صفة مشبهة، من مصدر عَبَدَ يَعبُدُ.

تلك هي أصول الأسماء الأعلام. وقد اكتفيتُ هنا بالحديث عن أعلام الأشخاص فرارًا من الإطالة، علمًا أن غيرها من أسماء الأماكن والبلدان يُورَد نفسَ الموارد، ويُسلَك في ذات السبيل.

* * * * *

مما سبق يتَّضح أن أسماء الذات منها المُرتجَل وهو قليل، على حين أن أغلبها إما مشتَقّ كأسماء الزمان والمكان والآلة، وإما منقول من أُصول مصدرية أو اشتقاقية. وظهر أن أسماء الذات المنقولة تنقسم باعتبار أصولها إلى قسمين: قسم يُوافق أُصولَه التي نُقِل منها في البناء، وقسم تُخالفُ أبنيتُه أبنيةَ أُصوله

كالأرض[٨٠] والغابة[٨١].

والأسماء التي تنتمي إلى القسم الأول منها ما يعود إلى أُصول تُستعمَل بحسب معناها الوضعي كالبَحر والنَّهر، فيُستعمل كل منهما اسم ذات كما يُستعمل مصدرًا بحسب معناه الوضعي، ومنها ما يعود إلى أصول لم تعد تُستعمل بحسب معناها الوضعي كالطَّريق والطَّبيعة، إذ يُستعمل كل منهما اسم ذات، على حين أصله الاشتقاقي لم يعد يُستعمل على بابه. وهذه الأخيرة يكثر أن تكون أُصولها اشتقاقية، ويندر أن تعود إلى أصول مصدرية. وهذا يدل على أن العرب لم يستغنُوا عن المعنى المصدري للبناء، على حين استغنَوا أحيانًا عن المعنى الاشتقاقي للصيغة.

ولَمّا كان معظم أسماء الذات، يعود إلى أُصول مصدرية أو اشتقاقية، فإن أهم نتيجة يمكن استخلاصها من البحث هي أن أصل الاشتقاق هو المعاني الذهنية، لا المعاني الحسِّية، بخلاف ما هو شائع عند معظم الدارسين.

---

(٨٠) العكبري: التبيان في إعراب القرآن ص٢٨.

(٨١) المقاييس (غيب).

المصادر والمراجع

١- الأستراباذي، رضي الدين: **شرح شافية ابن الحاجب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.

شرح كتاب الكافية في النحو. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

٢- الأشموني، أبو الحسن: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٥.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦.

٤- البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب**. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩.

٥- الجرجاني، علي بن محمد: **كتاب التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٨.

٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق ١٩٨٧.

٧- ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري**. ط٣، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٠.

٨- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب**. تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨.

البحر المحيط في التفسير. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.

٩- الخطيب التبريزي، أبو زكرياء يحيى بن علي: **شرح المعلقات العشر**. تحقيق: الدكتور فخر الدِّين قباوة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.

١٠- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق**. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨.

١١- ابن السرّاج، أبو بكر محمد بن سهل: **الأصول في النحو**. تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.

١٢- السيوطي، جلال الدين: **المزهر**. تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٨٧.

١٣- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: **التبيان في إعراب القرآن**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧.

١٤- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**. تحقيق: مصطفى الشُّويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت ١٩٦٣.

المقاييس في اللغة. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

١٥- قباوة، الدكتور فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨.

١٦- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

١٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**. راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

١٨- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات**. تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢.

١٩- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: **شرح الكافية الشافية**. تحقيق. الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.

٢٠- المُرتضَى الزَّبيدي، محمد بن محمد الحسيني: **تاج العروس في شرح شواهد القاموس.** ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦ هـ.

٢١- المناوي، عبد الرؤوف: **التوقيف على مهمات التعاريف.** تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠.

٢٢- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري: **لسان العرب.** ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.

٢٣- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق:** المجلد٨٠ لعام ٢٠٠٥والمجلد٨١ لعام ٢٠٠٦.

٢٤- **مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة:** المجلد الثاني، لعام١٩٣٥.

القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم

أ. حسين الأسود

يُفترض بالعمل الأدبي أن يكون صورة مجزوءة من كيان الشاعر، نرى فيها ألوانًا وأنغامًا وصورًا وأحاسيس، ويُفترض بعمل الناقد تقويم العمل الأدبي انطلاقًا من هذه الأمور، فلا يصح الوقوف على الشكل دون المضمون، أو اللفظ دون المعنى، ولا يصح الوقوف على حقيقة المعنى دون النظر إلى مجازه، أو إلى ما وراءه من إيحاءات نفسية وظلالٍ خفيةٍ تُنبئ عن إحساسٍ لطيفٍ وشعورٍ دفين.

وما يُفترض أن يكون عليه الحال في النقد لم يكن ملموسًا في النقد العربي القديم عامة، وأول شيء يُلحظ فيه أنه فَصَل بين عناصر الإبداع الأدبي. فكان كلُّ ناقد ينظر إلى زاوية معينة، فناقد ينظر إلى اللغة، وآخر ينظر إلى المعنى، وآخر ينظر إلى التشبيه، وهكذا كان النقد العربي بوجهٍ عام نظرًا في بعض مقومات الإبداع لا فيها كلّها.

وليست المشكلة في تقويم العمل الأدبي من زوايا مختلفةٍ، إنما المشكلة في قَصْرِ العملية التقويمية على جزءٍ يسير من مكونات العمل الأدبي، وإغفالِ الجوانب الأخرى. والأصل أن تتضافر الرؤى النقدية جميعًا في تقويم العمل الأدبي، من شكلٍ ومضمونٍ وصورٍ وتجارب ومشاعر وغايات، وهي المشكلة التي يبدو أن النقد العربي القديم وقع فيها عندما غلّب المفهوم البلاغي في رؤيته التقويمية، وراح لاينظر إلى مقومات الإبداع ومقاييس الجمال إلا من خلال هذا المفهوم. فما يُفترض به أن يكون جزئيًا كان أمرًا كليًا، وما يُفترض به أن

يكـــون وسيلة كان غايةً، فلم ير النُّقاد العرب في الشعر العربي ما هو أبعد من الغايـــة البلاغية الجمالية، وقد تبعهم الشعراء في ذلك، فأخذوا يهتمون بالصياغة الفنية الجزئية ولا يالون بجوهر الشعر.

والـــبلاغةُ لا تهتمُّ إلا بتجويد الكلام، وإحكامِ صنعته، وتحسينِ صورته، ومطابقـــته لمقتضـــى الحـــال، أي لاتهتم إلا بظاهر الكلام، فلا تُعنى مثلاً بغاية الشعر، أو فلسفته، أو ملامسته للدين، لأن مهمتها جزئية، والذي يهتم بالناحية الجزئية لايعنيه إبداءُ القول فيما وراء جمال العبارة، ولا يعنيه أكانت هذه العبارة خـــيرًا أم شـــرًا، أكانت مطابقة لأحاسيس الشاعر أم لا، لأن الاهتمام منصب عـــلى الجانب الفني البلاغي وحسب. فإن تمت البلاغة وتحقَّقت في النص الأدبي فقـــد تمـــت الغاية، فكان من الطبيعي أن يجرَّ هذا الأمر على الشعر العربي آثارًا ســـلبية، لأن توجـــيه العـــناية إلى جانب معيَّن يعني إلغاء الجوانب الأخرى، أو ازدراءهـــا. فعندما يُوجِّه الناقد العربي جلَّ تفكيره إلى الجانب البلاغي إنما يعني ذلك جحودًا وإنكارًا لكثير من مزايا الشعر العربي. ولا يقتصر الأثر السلبي على الشعر بل يتعداه إلى الشاعر فلا يُنظر إلى تجربته الشعورية أو معاناته الإنسانية أو صدقه ،بل يُنظر إلى بلاغة شعره ومدى إجادته فيها.

ومـــا يدل على اقتران الشعر العربي بالغاية البلاغية، فضلاً عن النقد، عمـــودُ الشعر إذ ليس لعمود الشعر أي طابع اجتماعي أو سياسي أو ديني أو فكري أو فلسفي، ما خلا الطابع الفني البلاغي، وقد قرن النُّقاد العرب جودة الشـــعر بعمود الشعر وقالوا: إن الشعر الجيد المختار ما أتى على أبواب هذا العمـــود. واســـتنادًا إلى ذلـــك نشأ تيار نقدي يدعو إلى تجويد الكلام فنيًّا، وإحكـــام صنعته بلاغيًّا، دون الالتفات إلى معناه، ونَظَريَّةُ الجاحظ(ت٢٥٥هـ)

في الشَّــكْلِ، أو نظرية المعاني المطروحة معروفة، حيث قال: «المعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّرِ اللفظ، وسهولة المخرجِ، والرونق، وفي صحة الطبع وجَوْدَةِ السَّبْكِ، فإنما الشعر صِنَاعَةٌ، وضَرْبٌ من النسيج، وجنسٌ من التصوير»[1]، ولم يكــن يتصــور الجــاحظ أن هــذا الكلام سيؤول إلى تفضيل الشكل على المضــمون، ولم يتصــوَّر «أن نظريته التي لم تكن تمثِّل خطرًا عليه ستصبح في أيدي رجال البيان خطرًا على المقاييس البلاغية والنقدية، لأنها ستجعل العناية بالشكل شغلها الشاغل»[2].

ثم تــبعه الآمدي(ت٣٧١هـ) فقال: «وليس الشِّعْرُ عند أهل العلمِ به إلا حُسْنَ التأتّي، وقربَ المأخذ، واختيارَ الشعر، ووضعَ الألفاظ في مواضعها، وأن يُوردَ المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في مثله...»[3].

ثم جاء أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) فيما بعدُ ليردِّد ما قاله الجاحظ، فقــال: «ولــيس الشــأنُ في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربيُّ والعجميُّ، والقــرويُّ والبدويُّ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحُسنه وبهائه، ونزاهته ونقائــه، وكــثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتراكيب، والخلوّ من أَوَدِ الــنظم والتألــيف، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا»[4]. ولعل آخر عبارة لــه: «وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا» تنم على مدى تعلُّقه

---

(١) الحيوان: (٣/١٣١ – ١٣٢).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس: (٩٩).

(٣) الموازنة بين الطائيين: (١/٤٢٣).

(٤) كتاب الصناعتين: (٥٨). والأَوَد: الاعوجاج.

وتعلُّق النُّقاد بظاهر الكلام وفنِّيته، إذ الشأن في جودة اللفظ وصحة السبك، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا، وليس يهم بعد ذلك أكان خيرًا أم شرًا أو كان جيدًا أم سيئًا؟!

وقد سُخِّرت البلاغة العربية لخدمة النقد، واستغنى النقد بها عن سواها، ممَّا جعل أحكامَه محصورةً بين الجودة والرداءة، محورُهُ غالبًا اللفظ والبيت والعبارة، فكان من الطبيعي بعد ذلك ألا ينظرَ النقدُ القديم في الأدب أو الفكر أو الفلسفة أو الأخلاق.

ولم يكن النقد العربي القديم يتصور فكرة المذاهب والمدارس على نحوٍ يكوِّن فيه عدد من الشعراء مذهبًا خاصًا بهم، كصنيع أبي تمام والمتنبي والمعري مثلاً، بل حرّموا ذلك ومنعوه، وفرضوا شروطهم، وأملَوا فروضهم على كل الشعراء، وهي غالبًا شروط تتعلق ببنية الكلام وفنّيته، فتجعله على نحوٍ أفضل بلاغيًّا، وتناسوا جوهر الكلام وما يمكن أن يأتي به هذا الجوهر من فكرٍ أو فلسفةٍ أو غير ذلك. وليت أنهم توقّفوا عند الصياغة البنيوية الشكلية للشعر فحسب، بل أنكروا على الشاعر تجاوز المظهر إلى الجوهر، كما أنكروا الغموض والإغراب والإدهاش، وحاربوا كل سبيلٍ يمكن أن يُسْهِمَ في تجديد الشِّعر العربي أو تطويره. لذلك لم يعرفِ العربُ النقد الموضوعي على وجهٍ عام، ولم يتصوروا وجود نقد منهجي على شَكْلِ مدارس واتجاهات وغايات في الحياة، وإن وُجد فقد أجهضته البلاغة لغلبتها على النقد، علمًا أنه كان في الإمكان مدُّ النقد العربي باتجاهات جديدة تستطيع أن تخلّصه من الغنائية لتنقله إلى الموضوعية، ولاسيما تلك التي فرضها ظهور الإسلام، كإدخال مبدأ الفضيلة إلى النقد العربي، ومحاولة اقتباس النمط الأدبي القرآني الذي تجلّى في القصص

القـــرآني على نحو يشق آفاق موضوعات جديدة يستطيع العرب محاكاتها أو بناء الشـــعر عليها، فلا يضطرون إلى تحوير معاني القدماء أو سرقتها. إلا أن ذلك لم يحصل حتى في القرون الذهبية للحضارة العربية، ولاسيما القرن الرابع، فكل ما عـــرفه النقد في هذا القرن لا يتجاوز المفاضلة والموازنة بين الشعراء، وهما أمران لم يأتـــيا بجديـــد للنقد العربي، لأنهما لم يخرجا عن نطاق الصياغة والنظم وغير ذلك من الأمور البلاغية.

بعـــد هـــذه المقدمة المطوّلة عن الأوضاع العامة التي كان عليها النقد العـــربي القديم يمكن أن نسأل:ما موقف النُّقاد العرب من الأخلاق والفضيلة والدين الحنيف؟وهل أثرت الأوضاع السابقة في مواقفهم من هذه الأمور؟

معلـــوم أن مظاهر الفحش قد بدأت في العصر الجاهلي، إذ تعالت بعض أصوات الشعراء الجاهليين بالفحش والعهر، على نحو ما عُرف عن امرئ القيس والأعشى، فمن فحش امرئ القيس قوله(١):

فَمِـــثْلِكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرضعٍ فألهيـــتُها عـــن ذي تمائمَ مُحْوِلِ(٢)

وقولـــه:

فجئـــتُ وقـــد نَضَّـــتْ لنومٍ ثيابها لـــدى السِّـــتْر إلا لِبْسة المتفضِّلِ(٣)

وقولـــه:

سمـــوتُ إلـــيها بعدمـــا نام أهلُها سُموَّ حَبَاب الماء حالاً على حالِ(٤)

---

(١) ديوانه: (١٢).

(٢) المحول: الصغيرالذي بلغ حولاً، أي عامًا.

(٣) ديوانه: (١٤)، ونضت: نزعت.

(٤) ديوانه:(٣١)، وسموت إليها: نهضتُ إليها شيئًا فشيئًا.

ومن فحش الأعشى قوله[1]:

فَظَلِلْتُ أرعاها وظلَّ يحُوطُها حتى دنوتُ إذا الظلام دَنَا لها

وقوله[2]:

وأقررتُ عيني من الغانيا تِ إمّا نِكَاحًا وإمّا أُزَنْ

وقوله[3]:

فقد أُخرِجُ الكاعب المُسترا ة من خِدْرِها وأُشيعُ القمارا

وقوله:

فقد أُخالِسُ ربَّ البيتِ غفلَتَهُ وقد يحاذر مني ثم مايئلُ[4]

بيد أن هذا الأمر لاينفي العفافَ عن كثير من الشعراء الجاهليين، فقد قال ابن سلاّم (ت٢٣١هـ) «كان من الشعراء من يتألّهُ في جاهليته، ويتعفّفُ في شعره، ولا يستبهرُ بالفواحش، ولا يتهكّمُ في الهجاء»[5]. وليست المشكلة في انتشار الرذيلة في الشعر الجاهلي، إذ لا دينَ يردعهم، ولا وازع يزجرهم إلا من تخلّقَ بخُلُق حسن، وحكمة فاضلة، وإنما المشكلة في الشعر الإسلامي الذي استمرّ بالفحش والعهر، على حضِّ الإسلام على الأخلاق والفضيلة، ونهيه عن الفحش والرذيلة، فانظر مثلاً ما قال الفرزدق[6]:

---

(١) ديوانه: (٢٧).

(٢) ديوانه: (١٧)، أزن: من الزنى.

(٣) ديوانه: (٤٥)، والمستراة: المختارة.

(٤) ديوانه: (٥٩)، ما يئل: لا ينجو.

(٥) طبقات فحول الشعراء (٤١/١)، وينظر الموشح: (١٧٩).

(٦) شرح ديوانه: (٨٣٥/٢ – ٨٣٦)، والأغاني: (١٠٩/١٦).

فقُلْنَ لهُ: نواعدهُ الثريا ... وذاك عليه مرتفع الزِّحام
وبيضٍ كالدمى قد بتُّ أسري ... بهنّ إلى الخلاءِ عن النِّيام
مَشَين إليَّ لم يُطمثنَ قبلي ... وهُنَّ أصحُّ من بَيْضِ النَّعام
ثلاث واثنتان فهُنَّ خمسٌ ... وسادسةٌ تميل إلى الشِّمام
فبتنَ بجانبيَّ مصرّعاتٍ ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الخِتام

فقد تجاوز كل فحشٍ وعُهر، وزاد على ما جاء به الشعراء الجاهليون، وإن دلَّ هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن بعض الشعراء المسلمين لم يأخذ بمبادئ الدين الإسلامي وقواعده الأخلاقية الضابطة، علمًا أن الرسول ﷺ وبعض أصحابه أطلقوا ملاحظات نقديةً تنمُّ على اهتمام بالجانب الخلقي في الشعر، ففي الأخبار «أن قومًا أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عن أشعر الناس: فقال: ائتوا ابن الفُريعة؛ يعني حسان، فأتوه فقال: ذو القروح؛ يعني امرأ القيس، فرجعوا فأخبروا رسول الله ﷺ؛ فقال: صَدَقَ، رفيعٌ في الدنيا، خَاملٌ في الآخرة، شريفٌ في الدنيا، وَضِيْع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار»[1]. فالموقف الإيماني الأخلاقي للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله ﷺ والميزان الذي يزن به شعر الشعراء هو ميزان الأخلاق والفضيلة أيًا كان حظُّ الشاعر من الإبداع.

فقد وظَّف النبيُّ الشعرَ في نُصرة الدين وإعلاء شأن الفضيلة: «فالهجاءُ الذي أيّده الرسول الكريم ﷺ هو الهجاءُ الموجَّه إلى المشركين، الذي يرمي إلى نزع الشِّرك من النفوس وإزالةِ هالات التقديسِ عن آباء وأجداد عاشوا في ظل الوثنية... والفخرُ الذي طَرِبَ له النبيُّ عليه الصلاة والسَّلام فخرٌ بقيم الإسلام،

(١) تاريخ مدينة دمشق: (٢٢٤/٩)، وينظر: شرح شواهد المغني: (٢٣/١).

ومنافحة عن نبيِّ الإسلام ودين الإسلام... والمديحُ الذي اهتزَّ لـــه النبيُّ الكريم علـــيه الصلاة والسَّلام هو المديح الذي يصور الحقيقة لا يتجاوزها»[١]. إذ يُفهم مـــن كثير من الأخبار أن الرسول ﷺ كان يستنهض فضيلة الصدق في الشعر، فقـــد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أصدق كلمة قالها الشـــاعر كلمة لبيد؛ ألا كل شيءٍ ماخلا الله باطل»[٢]، كذلك رُوي أن النبي ﷺ «أُنشد قول سُحيم[٣]:

الحمـــدُ لله حَمْـــدًا لا انقطاعَ له فلـــيس إحســـانُهُ عـــنّا بمقطُوعِ

فقـــال: أحسنَ وصدق، فإنَّ الله ليشكرُ مثل هذا، وإن سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة»[٤].

ومن هذا القبيل أيضًا أن النابغة الجعدي قال: «أنشدتُ النبيَّ ﷺ[٥]:

بَلَغْـــنَا السَّـــمَاءَ مَجْدُنا وجُدُودُنا وإنّـــا لـــنرجو فـــوق ذلك مَظْهَرا

فغضـــب وقال: أين المظهرُ يأبا ليلى؟ قلتُ: الجنة يارسول الله، قال: أجل، إن شاء الله، وتبسم، فقلت[٦]:

---

(١) التفكير النقدي عند العرب: ٥٢.

(٢) صحيح البخاري : (٧٢٩) تحت الرقم ٣٨٤١، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية. وابن حبان في صحيحه (٩٩/١٣) تحت الرقم (٥٧٨٤).

(٣) خزانة الأدب: (١٠٣/٢).

(٤) شرح شواهد المغني (٣٢٧/١).

(٥) شعر النابغة الجعدي: (٥١).

(٦) لم أقف عليها في ديوانه. يُنظر: العقد الفريد: (٩٥/١)، ونضرة الإغريض: (٣٠٥) — (٣٠٦).

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يَكن لـــه بـــوادر تحمـــي صَفْوَهُ أن يُكدَّرَا
ولا خـــيرَ في جهْـــلٍ إذا لم يكن حلـــيم إذا مـــاأَوْرَدَ القومُ أَصْدَرَا

فقـــال النبي ﷺ: أجدتَ، لايفضُضِ الله فاك مرتين، فعاش أكثر من مئة سنة، وكان من أحسن الناس ثغرًا»[1].

فالرسول الكريم يُنكر على النابغة غلوه الزائد في قوله: بلغنا السماء مجدنا وجدودنـــا، ويســـتنهض فيه فضيلة الصدق، وعندما أتبعَ النابغة قـــوله الأول بيتين في الحكمة أثنى عليه الرسول بقوله: لايفضض اللهُ فاك. وقوله هذا إنما هو حكـــم نقـــدي بالجودة، وقد استند الرسول الكريم في إصداره إلى معيار المعاني الحكمـــية، والأخلاق الفاضلة التي رأى الرسول أنها تحققت في بيتيه، ولم ينظر الـــنبي الكـــريم إلى نظمه أو أسلوبه أو غير ذلك من الأمور البلاغية التي كانت المعـــيار الأساســـي عـــند العرب، فالمعاني الفاضلة هي الغاية عند الرسول ﷺ، والصياغة إنما هي وسيلة وحسب.

ولا يخـــتلف موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن موقف الرسول الكـــريم، فقد بنى على أساس الصدق غير قليل من الأحكام النقدية على الشعر والشـــعراء. فقـــد رُوي عن ابن عباس أنه قال: «قال لي عمر: أنشدني لأشعر شـــعرائكم، قلتُ: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: وكان كذلك؟! قال: كان لايعاظل بين الكلام ولا يتَّبعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه»[2]، فهـــذا حكم نقدي عام يقوم على تفضيل زهير على غيره من الشعراء استنادًا إلى عـــدة معايير كان من بينها فضيلة الصدق، فزهير لايمدح الرجل إلا بما فيه،

---

(١) نضرة الإغريض (٣٠٥ – ٣٠٦)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٣٩٤/٦).
(٢) طبقات فحول الشعراء (٦٣/١).

فـــلا يعتمد الكذب أو النفاق. وكذلك يُروى في الأغاني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كَذَبَ الحطيئةُ حيث يقول:

وإنّ جـــيّادَ الخـــيلِ لاتســـتفزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوقَ المعاصمِ[١]

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ»[٢].

وهكذا اقترنَ قولُ الشعر عند الرسول الكريم وعمر بن الخطاب بالناحية الإيمانـــية الأخلاقية، فحضًا على الخير والفضيلة، ونهيا عن الشر والرذيلة، فكان المضـــمون الأخلاقي هو الغاية، ولم يكن المظهر (الشكل) إلا وسيلةً للتعبير عن هذه الغاية.

إلا أن الـــنقد العربي، كما يبدو، لم يتأثر بكل ذلك، بل حدثَ خلاف ماهو متوقع، فأبعدَ أكثرُ النُّقاد الدين والأخلاق عن الشعر، وقالوا: الدين بمعزل عـــن الشـــعر، والمعـــاني كلُّها معروضة للشاعر، أكانت فاضلةً أم غير فاضلة! فاحشـــة أم غـــير فاحشة، وكل ذلك لغلبة المفهوم البلاغي على النقد العربي، فكانـــت أخطـــرُ نتيجة نجمت عن إبعاد الدِّين والأخلاق الفاضلة عن مضمار الشعر المساهمةَ في شيوع معاني العُهر والكفر في الشعر العربي.

فما انفك النُّقاد العرب يقولون بتنحية الدِّين عن الشعر، ولعل أوَّل ناقد عـــربي يطالعنا بهذا الأمر هو الأصمعي(ت ٢١٦هـ) وذلك حين يقول: «الشعر نَكِـــدٌ بابـــه الشر، وهذا حسانٌ[٣] فَحْلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام

---

(١) ديوانه: (٣٣٦)، وقوله: جاعلات الريط: كناية عن النساء.

(٢) الأغاني: (٢/١١٤).

(٣) [(حسّان) مصروف إذا كان من (حَسُنَ)، وغير مصروف إذا كان من (حَسَّ) / المجلة].

سَقَطَ شعره»[١]. وقال في موضع آخر: «طريقُ الشِّعر إذا أدخلته في باب الخير لاَنَ؛ ألا تـــرى أن حســـان بن ثابت علا في الجاهلية وفي الإسلام، فلما دَخَل شِـــعْرُه في باب الخير – من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهـــم – لاَنَ. وطـــريقُ الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهـــير والنابغة، من صفات الديار والرَّحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الحُمُر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان»[٢].

فالأصمعي يرى أن إدخال الشعر في باب الخير مدعاة لضعفه وسقوطه، وهـــو يُمـــثِّلُ عـــلى ذلك بشعر حسان بن ثابت ويقول: إنه اشتدَّ وقوي في الجاهلـــية، ولما أسلَمَ ودَخَل شعره في باب الخير ضَعُفَ ولاَنَ، ورأى أن طريق الشـــعر الصـــحيح هو طريق الفحول الأوائل، كامرئ القيس والأعشى حيث الوقـــوف عـــلى الأطلال والهجاء المقذع والمديح الذي يصدر غالبًا عن مشاعر كاذبـــة، والتشـــبيب بالنساء والتغزل بهن والتعهر في وصفهنّ، وغير ذلك من الأغراض الشعرية التي لاتصدر عن الذات بل عن تقاليد عامة ومُثُلٍ عُليا يُطالب الشاعر بتحقيقها في شعره.

وأيًّا كانت إرادة الأصمعي فإنه يُفهم من قوله أن الشعر يقوى ويشتد إن عُـــزل عن الدين، أو إن عُزل عن الخير على أقلِّ تقدير لقول الأصمعي. ويبدو أن الســـبب نفســـه هو الذي جعل الأصمعي ينفى الجودة عن شعر لبيد مع ما اشتمل عليه من معانٍ حكمية، وذِكْرٍ للخير والفضيلة على نحو مايرويه صاحب الموشـــح(ت٣٨٤هـ): «أخـــبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: قال لي

(١) فحولة الشعراء: (٥٣).

(٢) فحولة الشعراء: (٣٢).

الأصمعي: شعر لبيد كأنه طيلسان طبري؛ يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة، فقلت له: أفحلٌ هو؟ قال: ليس بفحل. قال أبو حاتم: وقال لي مرة: كان رجلاً صالحًا، كأني به ينفي عنه جودة الشعر»[1]، فالأصمعي يستجيد صنعة شعر لبيد وجودة سبكه، ولكنه ينفي عنه الحلاوة والتأثير لاعتماده الحِكَمَ المأثورة، والمعاني الفاضلة، لأنها في رأيه تُضْعف الشعر وتنفي عنه الحلاوة، فهو رجل صالح وليس فحلاً.

أما قدامة بن جعفر (ت٣٣٧ هـ) فقد جنَّبَ الشعرَ سلطانَ الدين والأخلاق عندما أتاح للشاعر حرية القول فيما يروم من معانٍ طيِّبة أو خبيثة، فاضلة أو رذيلة؛ إذ قال: «وما يجب توطيده وتقديمُهُ... **أن المعاني كلها معرّضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحبَّ وآثر من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه**، إذ كانت المعاني للشاعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعةٍ من أنه لابدَّ فيها من كل شيءٍ موضوع يقبلُ تأثير الصورِ منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة، **وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح، وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة**»[2]. فالمعاني كلُّها متاحة للشاعر ولا يحظَّر عليه شيء منها، أكانت رفيعة أم وضيعة، إذ الغاية تجويد الكلام وحسب. فقدامة بن جعفر لاينظر إلى المعنى ونوعه بل إلى طريقة تأتِّيه والتعبير عنه، فسواء عنده أكان المعنى فاحشًا أم غير فاحش إذا ما بلغ الشاعر

(١) الموشح: (١٠٠).

(٢) نقد الشعر: (٦٥- ٦٦).

مرتبة الجودة الفنية.

ولما كان الأمر كذلك عند قدامة وكانت نظرته للشعر تقف عند حدود الجودة الفنية، كان من الطبيعي أن يستسيغ أي معنى فاحشٍ إذا بلغ الشعر المرتبة السابقة، وهو حقًا ماحدث، فقد استجاد أبيات الفحش الشهيرة التي قالها امرؤ القيس، مزدريًا بذلك الذوق العام الذي كان ينكر على امرئ القيس قوله هذا، إذ يقول قدامة: «فإني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله[1]:

فمِــثْلِكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضعٍ ... فألهيــتها عــن ذي تمــائمَ مُحوِلِ

إذا مــابكى من خلفها انصرفت له ... بشــقٍّ وتحــتي شــقها لم يحــوَّلِ

ويذكر أن هذا معنى فاحشٌ، وليست فحاشة المعنى نفسه مما يُزيل جودة الشــعر فــيه، كمــا لايعيب جودة النِّجارة في الخشب – مثلاً – رداءتُه في ذاته»[2].

إن قدامة بن جعفر يسوِّغ رداءة الجوهر في الشعر على أساس الجودة في المظهــر، فليســت رداءة الجوهر تُزيل جودة المظهر أو تؤثِّر فيه، كما أن رداءة الخشــب في ذاته لاتلغي الجودة في المصنوع. وهذا مذهب غير صحيح، فكيف لاتؤثِّــر رداءة الجوهر في جودة المظهر، وفعل قدامة هذا شبيه بعزل الجسد عن الروح ثم القول إن خُبث الروح لايزيل جمال الوجه والشكل، ولايؤثِّر فيه، فما ينفع جمال الوجه إن كانت الروح خبيثة مُنتنةً، وما ينفع جمالُ الخشب المصنوع وحُسْنُ مظهره الخارجي إن كان نوع الخشب رديئًا، ومضمونه فاسدًا.

---

(١) ديوانه: (١٢).

(٢) نقد الشعر: (٦٦).

ولم يقتصـــر الأمر عند قدامة بن جعفر على عزل الدين عن الشعر، بأن أبـــاح للشـــاعر حرية اختيارِ ما رامَ من معانٍ وما حُظِّر من كلام فحسب، بل أبـــاح له الكذب الخُلقي أيضًا بحيث لو ناقض شاعرٌ نَفْسَهُ فقال في قصيدةٍ خيرًا مـــا، ثم قال خلافه في قصيدة أخرى لكان أمرًا مقبولاً في الشعر، بل كان ذلك عـــنده دليلاً على قوة الشاعر وقدرته على صنعته. وفي ذلك يقول: «ومما يجب تقديمـــه أيضًا أن مناقضةَ الشاعر نفسَه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئًا وصـــفًا حسـَــنًا، ثم يذمُّه بعد ذلك ذمًّا حسنًا، غيرُ مُنكرٍ عليه، ولا معيب من فعْله، إذا أحسنَ المدح والذمَّ، بل ذلك عندي دليلٌ على قوة الشاعر في صناعته، واقتداره عليها»[1]. لذلك مايرى من عيب يلحق امرأ القيس إذ ناقض نفسه في موضع فقال[2]:

فلـــو أنَّ ماأســـعى لأدنى معيشـــةٍ كفاني — ولم أطلُب — قليلٌ من المالِ

ولكـــنّما أســـعى لمجـــدٍ مؤثّـــلٍ وقـــد يُـــدركُ المجـــدَ المؤثل أمثالي

ثم قال في موضع آخر[3]:

فـــتملأُ بيتـــنا أَقِطًـــا وسمـــنًا وحســـبُكَ مـــن غنىً شِبَعٌ وريُّ

فامرؤ القيس يقول في أحد الشعرين: إن القليل يكفيه، ويقول في الآخر: إنـــه لايكفيه. ومع أن قدامة بن جعفر حاول في بادئ الأمر ردّ هذه الشبهة عن بـــيتي امرئ القيس وأن امرأ القيس لم يقصد المناقضة، فإنه عاد في النهاية فقال:

---

(١) نقد الشعر: (٦٦).

(٢) ديوانه: (٣٩)، وينظر نقد الشعر:(٦٧)، والمؤثل: المثمر الذي له أصل.

(٣) ديوانه: (١٣٧)، وينظر نقد الشعر (٦٧)، والأقِط: شيء يُصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن.

«ومــع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئًا، من أجل أنه لم يكن في شــرط شــرطه يحتاج إلى ألا ينقض بعضه بعضًا، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة أيضًا لم يجر مجرى العيب، **لأن الشاعر ليس يُوصف بأن يكون صادقًا**، بــل إنمــا يُراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني، كائنًا ماكان، أن يُجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ماقاله في وقت آخر»[1]. فليس يُوصف الشاعر بأن يكون صادقًا أو كاذبًا، لأن مسألة الصدق والكذب أمرٌ لاعلاقة لــه بجودة الشعر، إذ لايطلب من الشاعر شيء إلا تجويد الكلام وإتقان مظهره في الحاضر، بعيدًا عما قاله في وقت آخر، أكان ينافيه أم يوافقه!

وقــد كــان متوقعًا من قدامة بن جعفر أن يتعرض للمعاني الفاضلة وما يمكــنها أن تؤديــه من دور مهم في نفس الإنسان العربي، وذلك عندما شرع بتبــيين مايعمُّ جميع المعاني فتظهر على أثر ذلك جيدة مستساغة، إلا أن شيئًا من ذلــك لم يحــدث لأن قدامة بن جعفر حَصَرَ جودة المعنى بفنِّيَته، فتحدث عن التقســيم والمقابلة والتفسير والتتميم والمبالغة والتكافؤ والالتفات وغير ذلك من الأســاليب البلاغية، التي اعتمدها مقاييس عامة يقيس بها جودة المعنى وسلامته، ولم يــتطرق إلى الأخلاق أو الفضيلة التي كان في الإمكان أن يجعلها مرتبةً من مراتــب جودة المعنى، وهو أمر ليس ببعيد عن قدامة، لأنه قبل أن يتحدث عن صــفات الجودة التي تعتري المعاني الشعرية، والتي كما ذُكر حصرها في الفنون البلاغــية السابقة وما يمكن أن تبثُّهُ في المعنى من حُسْنٍ وجَمال، كان قد تحدَّث عــن صــفات الجودة في أغراض الشعر في المعاني؛ فأول غرض وقف عليه هو المديــح، وذهب إلى أن المديح قد يكون حسنًا إن أصاب فيه المتكلم المعنى ولم

(١) نقد الشعر: (٦٨).

يخرج عن فضائل أربع هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة[١]، وذهب إلى أن المادح يكون مصيبًا إن قصد هذه الخصال، والمادح بغيرها يكون مخطئًا[٢]، وهي حقًّا فضائل ثمينة تُثري الشعر وتُعلي مقامه. إلا أن قدامة بن جعفر يحصر هذه الفضائل في فن المديح فلا يستجيدها إلا فيه، ولو أنه فعل خلاف ذلك لرفض بيتي امرئ القيس السابقين لأنهما أخلاّ بفضيلة أساسية من الفضائل الأربع، وهي فضيلة العفّة، وفوق ذلك كله – وهو الأهم – أن قدامة بن جعفر يذكر هذه الفضائل من باب الفخر لا من باب الحضّ عليها. ومهما يكن من أمر فلو عمَّمَ قدامة هذه الفضائل، أو بعضها، على الأغراض الشعرية الأخرى وطالب الشعراء العرب باتباعها، لكان في الإمكان الحدُّ من ظاهرة الفساد الأخلاقي في الشعر العربي.

وبعد، فإن سيطرة الفكر البلاغي على قدامة بن جعفر جعله لاينظر إلا إلى فنّية القول وظاهره، فإن اتفقت هذه المزيّة فيه أخَذَ لاينظر إلى سواها من معانٍ أو غايات أو مشاعر، ولا يهتم أكان الكلام مدحًا أم ذمًّا؟ أيوافق الذوق العام أم لا؟ أيخالف الدين والأخلاق أم لا؟ وكان الأوْلى به تعزيز الجانب الأخلاقي ودفع عجلة الشعر العربي نحو المُثل الفاضلة، لا أن يُسوِّغ للشاعر مفاسد معانيه وفحشها، وليت أنه قرن الجودة الفنية بالجودة الخُلُقية في حُكْمه النقدي، ولكن أن يحكم بمقاييس الجودة الفنية وحدَها فذلك جَوْرٌ على الشعر العربي، وحرمانٌ له من مزاياه الكثيرة التي كان يمكنه أن يأخذها لو نظر إليه من جهتيه؛ الفنية والخلقية.

---

(١) يُنظر نقد الشعر: (٩٦).

(٢) ينظر المصدر السابق: (٩٦).

ولا يختلف الآمدي (ت ٣٧١هـ) عن قدامة بن جعفر، إذ لم يجعل من مبادئ الإسلام والتزامها مقياسًا من مقاييس جودة الشعر في معانيه، فهو يثني على بعض الأبيات ويصفها بالجودة مع أنها في غاية الفحش، ففي ذلك يقول: «وأحسنُ ماقيل في المضاجعة قول امرئ القيس[1]:

تقولُ وقد جَرَّدتُها من ثيابها ... كما رُعتُ مكحولاً من العينِ أتلَعَا[2]

أجِدَّكَ لوشيءٌ أتانا رَسُولُهُ ... سواكَ ولكنْ لم نجدْ لكَ مَدْفَعا[3]

فَبِتْنَا تَصُدُّ الوحشُ عَنَّا كأننا ... قتيلانِ لم يَعْلَمْ لنا الناسُ مَصْرَعا[4]

تجافى عن المأثور بيني وبينها ... وتُدني عليها السابريَّ المُضَلَّعَا[5]

وهذا لاشيءَ أجودُ منه ولا أبرع، وقد أخبرَ بالأمر على ماكان»[6].

فالآمدي لايثني على هذا المعنى وحسب بل يعده أحسنَ ماقيل في المضاجعة، فلا شيء أجود منه ولا أبرع، وكأن المضاجعة فنٌّ عريق، ومضمارٌ واسع يتسابق في ميدانه الشعراء، وهو أمر خطير إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلّ على البعد التام بين الشعر وبين الدين، وإلا فكيف يتحدث الآمدي بهذا الانشراح والبسط (الأريحية) عن هذا المعنى؟ ويبدو أن الذي شجَّع الآمدي على

(١) ديوانه: (٢٤١ — ٢٤٢)، ويُنظر الموازنة بين الطائيين (٢/١٤٠).

(٢) رعتُ: أفزعتُ، مكحولاً من العين: أي ولد الظبية، والأتلع: الطويل العنق.

(٣) لوشيء: يريد أحدٌ، أي: لو أحد أتانا رسوله لما أجبناه.

(٤) تصدُّ: تصرف أنفسها عنا؛ أي تنكرنا.

(٥) تجافى: ترتفع. المأثور: السيف. السابريُّ: ضربٌ من الثياب. المضلّع: الذي فيه ضرائب.

(٦) الموازنة بين الطائيين: (٢/١٤١).

نهج هذه السبيل ماكان يسمعه من شيوخه، نَقَدَة الشعر، من استحسان وثناء على مثل هذه المعاني، والدليل على ذلك تعليقه على قول البحتري[1]:

و لم أنسَ ليلتنا في العِناقِ لفَّ الصَّبَا بقضيبٍ قَضيبا

إذ قال: «وما زلتُ أسمع أهل العلم بالشعر يقولون: إن هذا البيت أجودُ ماقيل في العناق، لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجودِ لفظ، وأحسنِ نظم»[2]، فقد استحسن أهلُ العلم بالشعر – وهم نَقَدَتُهُ – هذا المعنى، مع أن أبا عبادة يتحدث فيه عن العناق ولفٍّ الحبيب لصاحبه، وليس استحسانهم لمعنى العناق عائدًا إلى المعنى نفسه، ولكن إلى الهيئة التي صدر بها المعنى، وجودة صياغة هذه الهيئة، بدليل قولهم إنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظٍ وأحسن نظم، وقد تبعهم الآمدي في ذلك، فأخذ يردد أقوالهم ويحذو حذوهم.

ولما كانت نظرة الآمدي إلى الشعر مجرّدة من أي مظهر ديني، متأثرًا بذلك بمن قبله من النُّقاد، ذهب ينفي الغاية الخُلُقية والنفعية عن وظيفة الشعر، فهو يرى أن الشاعر لا يُطالب بأن يكون قوله صدقًا، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به، لأنه قد يوقعه خلاف ذلك، وكأنَّ الآمدي يردِّدُ قول قدامة بن جعفر عندما ذهب سابقًا إلى القول بأن الشاعر لا يُوصف بأن يكون صادقًا، وقد عرض الآمدي لهذه الفكرة وهو بصدد قول بُزَرْجُمُهر في فضائل الكلام حيث قال: «إنَّ فضائلَ الكلام خمسٌ، إنْ نقصتْ منها فضيلةٌ واحدةٌ سَقَطْ فضلُ سائرها، وهي: أن يكون الكلام صدقًا، وأن يُوقعَ موقع الانتفاع به، وأن

(١) ديوانه: (١/ ١٥٠)، ويُنظر الموازنة بين الطائيين: (٢/ ١٣٩).

(٢) الموازنة بين الطائيين: (٢/ ١٣٩).

يُتكـــلم بـــه في حينه، وأن يُحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة»[1]، فقـــال الآمدي معلّقًا على قول بُزَرْجُمُهر: «وهذا إنما أراد به بُزَرْجُمُهر الكلامَ المنـــثورَ الـــذي يُخاطـــب به الملوك، ويُقدِّمه المتكلم أمام حاجته، **والشاعر لا يُطالب بأن يكون قوله صدقًا، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به؛ لأنه قد يقصد إلى أن يوقعـــه موقـــع الضرر**، ولا أن يجعل له وقتًا دون وقت. وبقيت الخلتان الأخـــريان وهما واجبتان في شعر كل شاعر، وذلك أن يُحسنَ تأليفه ولا يزيد فـــيه شيئًا على قدر حاجته، فصحَّةُ التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمـــه بعد صحة المعنى. فكلما كان أصحَّ تأليفًا كان أقومَ بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه»[2].

فالآمدي ينفي فضائل الكلام عن الشعر ويُبيح للشاعر الكذب والضرر، فهـــو يرى أن الشاعر لا يطالب بأن يقول ما ينتفع به الناس من قول حكيم أو معنى مفيد، بل يُباح له الضرر بكل أشكاله كالهجاء الفاحش، والغزل المتهتك، وغير ذلك مما يُنافي الأخلاق والفضيلة.

ويُـــلحظ مـــن قـــول بُزَرْجُمُهر السابق الفرقُ الواضح بين غاية الشعر الفارســـي وغايـــة الشـــعر العربي، فقد قَرَن بُزَرْجُمُهر الشعر الفارسي ببعض الفضـــائل والمزايا، في حين حاول الآمدي نفي هذه الفضائل عن الشعر العربي، فما كان مقبولاً عند بُزَرْجُمُهر كان مرفوضًا عند الآمدي.

واللافت للانتباه أن هذه المزايا أو الفضائل يُكمِّل بعضها بعضًا في الشعر الفارســـي، فـــإن ســـقطت فضـــيلة واحدة سقط فَضْلُ سائرها، حيث يقول

---

(١) الموازنة بين الطائيين: (١/٤٢٧ — ٤٢٨).

(٢) الموازنة بين الطائيين: (١/٤٢٨).

بُزَرْجُمُهر: «فإنه إن كان الكلام صدقًا، ولم يُوقع موقع الانتفاع به بَطَلَ فضل الصدق فيه ولم ينتفع به، وإن كان صدقًا وأوقع موقع الانتفاع به ولم يُتكلم به في حينه لم يُغنه الصدق ولم ينتفع به، وإن كان صدقًا وأوقع موقع الانتفاع به وتُكلم به في حينه ولم يُحْسَن تأليفه، لم يستقر في قلب مستمعه، وبطل فضل الخلال الثلاث منه...»[1].

ويُلحظ أيضًا أن الناحية البلاغية في فضائل الشعر الفارسي، وهي التي تجلّت في الفضائل الأخيرة التي ذكرها بُزَرْجُمُهر ، كوّنت جزءًا ثانويًا من هذه الفضائل، بخلاف النقد العربي عامة، الذي جعل الفضل الأكبر في البلاغة، فإن تحقّق في النص الشعري فقد تمت الغاية. وهكذا كانت (النوعية) و(الكيفية) مصدرَ الأحكام النقدية عند الفرس، في حين كانت (الكيفية) وحدها مصدر أكثر أحكام العرب النقدية. ولم يحاول الآمدي الإفادة من التجربة الفارسية أو التنبيه على أهميتها، بل مضى يكرّر ما قاله سلفه بأن صحة التأليف في الشعر هي أقوى دعائمه، بمعنى أن البلاغة هي أقوى دعائم الشعر وأهمها.

أما المرزباني (ت ٣٨٤هـ) فلم يصرّح بموقفه من قضية الدين والأخلاق في الشعر، بل اكتفى بنقل الموقف العام من بيتي امرئ القيس الفاحشين حيث قال: «وعيب أيضًا على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره، كقوله[2]:

ومِثْلكِ حُبْلى قد طرقت ومُرضعٍ فألهيتها عن ذي تَمائم مُحْوِلِ»[3]

فالمرزباني يستعمل لفظة (عيب) بصيغة المجهول ليدل بذلك على أن فئة

(١) الموازنة بين الطائيين (١/٤٢٨).

(٢) ديوانه: (١٢).

(٣) الموشح: (٤١).

مـــا اســـتهجنت قول امرئ القيس هذا لفحشه وعهره، دون أن يدلِيَ بدلوه في هذا الميدان.

ومن الطريف أن نذكر ما رواه المرزباني في هذا الموضع من أن فئة ما أنكـــرت عـــلى امرئ القيس قوله هذا، وليس إنكارها لفعل امرئ القيس الفـــاحش، بل أنه قصد الحُبْلى والمرضع دون البِكْرِ، وهو مَلِكٌ وابنُ مُلوك، ولا يليق ذلك بأبناء السادة والملوك(1). فهذه الفئة لا تُنكر على امرئ القيس فعلـــه المـــنكر، إنما تُنكر عليه اختياره لمن وقع عليه المنكر، ولو اختار غيرها لجاز له ذلك و لم يُعب عليه.

أمّا القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) فقد أعلن صراحةً أن الدِّيْنَ بمعزلٍ عن الشـــعر، وقـــد صـــرّح بذلك وهو بصدد الدفاع عن المتنبي، إذ أخذ عليه قومٌ ضَعْفَ العقيدة، وفسادَ المذهب في الديانة، فقال: «فلو كانت الدِّيانَةُ عارًا على الشعر، وكان سوءُ الاعتقاد سببًا لتأخُّرِ الشاعر لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نُوَاس مـــن الدواويـــن، ويحذف ذكره إن عُدَّت الطبقات، ولَكَانَ أولاهم بذلك أهل الجاهلـــية، ومـــن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابـــن الزِّبَعْرَى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه، خُرسًا وبكاءً مفحمين، ولكنَّ الأمرين متباينان، والدِّيْنُ بمعزلٍ عن الشِّعر»(2).

فليســـت الديانة عارًا على الشعر، وليس سوءُ المعتقد الديني سببًا لتأخر الشـــاعر، ولو كان الأمر كذلك لوجب إخراج اسم أبي نواس وكعب بن زهير وغيرهـــم ممـــن أظهروا الكفر أو فساد العقيدة من ميدان الشعر. والجرجاني إنما

(1) الموشح: (٤٢).

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه: (٦٣).

يقـــول ذلك دفاعًا عن المتنبي واحتجاجًا لـــه لتسويغ ما أظهره المتنبي في بعض أبياته من معانٍ توحي بفسادِ العقيدة[1].

وقد كان في إمكان الجرجاني تَنَحُّل الأعذار لأبي الطيب فيما أظهره من فساد العقيدة في بعض الأبيات، كأن يزعم خَطَأً نسبتها إلى أبي الطيب مثلاً، أو

---

(١) نحو قوله:

عـــاذلتي بالسِّـــفاه والزجـــر	استمعي مـا أبـثُّ مـن أمـري
بـاحَ لسـاني بمضـمر السـرِّ	وذلـك أني أقـول بالدهـرِ:
بـين ريـاض السـرور لي شـيعٌ	كافـرةٌ بالحسـاب والحشـرِ
موقـنة بالممـات جـاحدةٌ	لمـا رووه مـن ضـغطة القـبرِ
ولـيس بعـد الممـات منقلـبٌ	وإنمـا المـوت بيضـةُ العَقْـرِ

وقوله:

أأتـركُ لـذة الصـهباء نقـدًا	لمـا وعـدوه مـن لـبنٍ وخَمْـرِ
حـياة ثم مـوتٌ ثم بَعْـثٌ	حديـثُ خُـرافةٍ يـا أمَّ عمـرِ

وقوله:

فـدعِ الملامـةَ قـد أطعتُ غَوايتي	ونـبذتُ موعظـتي وراء جـداري
ورأيـتُ إيـثار اللـذاذة والهـدى	وتمـتعًا مـن طيـب هذي الدارِ؟؟
أحـرى وأحـزم مـن تـنظُّر آجلٍ	ظـني بـه رجـمٌ مـن الأخـبارِ
إني بعـاجل مـا تـرين موكـل	وسـواه إرجـاف مـن الآثـارِ
مـا جاءنـا أحـد يخـبر أنـه	في جـنة مُـذْ مـات أو في الـنارِ

يُـنظر الوساطة بين المتنبي وخصومه: (٦٣، ٦٤)، والموشح: (٤٢٧، ٤٢٩)، مع تغيير في رواية بعض الأبيات. و لم أقف عليها في ديوانه.

خـــروج المتنبي عن طور الوعي العقلي حين قال هذه الأبيات، لأن ذِكر الخمور والملذات يغلب على تلك الأبيات، مما قد يوحي بأنه قالها وهو في حال السُّكر، وغـــير ذلك مما قد يغض الطرف عما قاله المتنبي، أمّا أن يُنحِّيَ الدينَ عن الشِّعر ليسوِّغَ بعض ما قاله المتنبي من معانٍ تنمُّ على ضعف العقيدة أو فسادها، فذلك تجـــنٍّ على الدين والشعر، إذ المفترض بالدين أن يكون قانونًا ضابطًا لكل شيء في الوجـــود، فلِـــمَ يُستثنى الشاعر من هذا الوجود؟ لذلك فإن مذهب القاضي الجـــرجاني لا يـــبدو على وجه من الصواب حين قَبِلَ أشعار المتنبي التي توحي بفساد العقيدة.

أما ما ذهب إليه الجرجاني من شيوع الكفر في شعر الجاهلية، فعذر أهلْ الجاهلـــية أنهم كانوا على دين الجاهلية، ولكن ما عذر أهل الإسلام فيما أتوا به من معانٍ تشي بالكفر وفساد الأخلاق والعقيدة؟

وكذلـــك لم يخـــرج ابـــن وكيع التِّنِّيسي (ت٣٩٣هـ) عن نهج السلف الســـابق، بل ردّد عبارتهم الشهيرة التي تحولت إلى مبدأ أساسي من مبادئ النقد العـــربي، فقـــال: **«لا يُلتمس الصدق من الشعراء، وإنما يُلتمس منهم حُسن القول. والصدق يُلتمس من أخبار الصالحين وشهود المسلمين»**[1].

وإلى مـــثل ذلـــك ذهب أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) ، فقال وهو يـــتحدث عـــن الخطابة وأنَّ لها الحظ الأوفر من أمر الدين وذِكر المواعظ وغير ذلك من الإرشادات التربوية والقيم الفضيلة: «ولا يقعُ الشعرُ في شيء من هذه الإشـــارات موقعًا، ولكن لـــه مواضع لا ينجح فيها غيره من الخطب والرسائل

(١) يُنظر المنصف في نقد الشعر : (٨٧).

وغيرهــا، وإن كــان أكثره بُني على الكذب والاستحالة من الصفات المختلقة والـنعوت الخارجـة عـن العـادات، والألفاظ الكاذبة؛ من قذف المحصنات وشهادات الزور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحلـه، ولـيس يُراد منه إلا حُسن اللفظ، وجودة المعنى، هذا الذي سوّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه»[1].

فالعسـكري يؤكّـد أن القيم الفضيلة، والإرشادات التربوية، والمواعظ الدينية، لا تقع في الشعر، إنما تقع في الخطابة، لذلك كان الشعر مملوءًا بالكذب الخُلُقـي، مـن شهادة الزور، وقول البهتان، والكذب الفني؛ من المبالغة والغلو والإفـراط، ثم يُسوِّغ كل ذلك فيقول: وليس يُراد من الشعر إلا حُسن اللفظ وجودة المعنى، وهو الذي سوّغ قول الكذب. فهو يُعلن صراحةً أن الذي سوَّغ اسـتعمال الكـذب وشيوع الرذيلة في الشعر العربي هو الغاية البلاغية التي تهتم بالمظهر وتهمل الجوهر، والتي استحالت إلى مبدأ أساسي من مبادئ النقد العربي القديم. وقد كان العسكري وفيًّا لهذا المبدأ في أحكامه النقدية الجمالية، فلم ينظر إلى مـا كان يقول الشاعر بل إلى طريقة هذا القول، وقد بدا هذا الأمر واضحًا عند تقويمه بيت امرئ القيس الشائع الفحش[2]:

فمـثلك حبلى قد طرقت ومرضعٍ   فألهيـتها عـن ذي تمـائم محول

إذ قـال: «لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة قال: إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه، لمعرفته بشغفها به وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه»[3] فلم ير

(١) كتاب الصناعتين: (١٣٧).

(٢) ديوانه: (١٢).

(٣) كتاب الصناعتين: (٣٦٥).

العســكري في هــذا البيت إلا المبالغة التي تحقّقت شروطها، فأبدى إعجابه بها وبقائــلها، وكأنه لم ينتبه إلى فحش المعنى ورذالته ومجانبته الحشمة والأخلاق، فهــو يسوّغ للشاعر مخالفة الدين على حساب البلاغة، وعلى هذا النحو درج أغلب النُّقاد العرب.

وبعــد هذا الاطلاع على آراء جملة من أشهر النُّقاد العرب، وملاحظة مواقفهــم المجمعة على عزل الدين والأخلاق عن الشعر، يمكننا القول إن النقد العربي لم يتأثر بالدين الحنيف فيستلهم بعض مبادئه ويحض الشعراء على اتّباعها، بل كان النقد العربي عصيًّا على التغيير، موصدًا أبوابه أمام كل جديد، فإن أتى شاعر ما بصورة بعيدة أو غريبة شدّدوا النكير عليه، واتهموه بالخروج عن عمود الشــعر العربي، وربما كانت علة ذلك الشعرَ الجاهليَّ، فقد كان مصدرَ تشريع الــنُّقاد العــرب، ووحيَ قوانينهم، ولم يكن الإسلام كذلك، أي لم يغيِّر أكثرُ الــنُّقاد العــرب مصدر تشريعهم بعد نزول القرآن الكريم، فيتحولوا عن قوانين الجاهلــية إلى قوانــين الإسلام. بل ظلوا ينظرون إلى الشعر الجاهلي حتى قرون متأخرة على أنه القدوة المثلى، والمثل الأعلى، فكان من الطبيعي ألا يخرج الشعر الإســلامي عــن سَمْته الجاهلي العام إلا في بعض الأغراض والخصائص، وأن يحتفظ بجُلّ مقومات الشعر الجاهلي ومنها الفحش والعهر.

المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي،ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس،ط١، دار صادر بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٥م.

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس ، ط٢، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، د.ت.

٦- التفكير النقدي عند العرب: عيسى علي العاكوب، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧- الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م.

٨- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م.

٩- خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

١٠- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، د.ط، د. ت.

١١- ديــوان امــرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، د.ط، د. ت.

١٢- ديــوان البحــتري، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف بمصر، د. ت.

١٣- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، ط١ ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤- ديــوان المتــنبي، شــرح أبي البقاء العكبري: تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

١٥- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: أبو العلاء المعري، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار المعارف،د.ط، د.ت.

١٦- شرح ديوان الفرزدق، جمع وتعليق: عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، مصر، د. ط. د.ت.

١٧-شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي، ذُيِّل بتصحيحات وتعليقات الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، د.ط، د.ت.

١٨-شــعر الــنابغة الجعــدي، تحقيق: عبد العزيز رباح، ط١، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٩- الشــعر والشــعراء: أبو محمد عبد الله بن قتيبة بن مسلم ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٣، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٠- صــحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. د. ط.

٢١- طــبقات فحول الشعراء: محمد بن سلاّم ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.

٢٢- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، د. ط.

٢٣- فحولة الشعراء: أبو سعيد الأصمعي، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، ط١، المطبعة المنيرية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٢٤- كتاب الصناعتين: الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٢٥- المنصف في نقد الشعر: أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي، قرأه وعلّق عليه: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، د.ط، د.ت.

٢٦- الموازنة بين الطائيين :أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق: السيد صقر، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٢٧- الموشح مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.

٢٨- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفّر بن الفضل العلوي، تحقيق: نهى عارف الحسن، مطبعة طربين، دمشق، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٢٩- نقد الشعر: قدامة بن جعفر ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٣٠- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣١- الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم الثاني والثلاثون)(*)

د. وفاء تقي الدين

خُرْء**

خرء ١: ٤٦٤

تداوى القدماء بعقاقير نباتية وحيوانية ومعدنية. ومن العقاقير الحيوانية التي استعملوها في طبهم فضلات الحيوان على اختلاف أنواعها. وغالبًا ماتستعمل في الأطلية والكمادات وما أشبهها، لذلك ذكر ابن سينا في مفرداته الخرء فقال: «الماهية: ذكر في فصل الزاي عند بياننا الزبل. الخواص: كله مُسخِّن محلِّل

(*) نُشرت الأقسام الواحد والثلاثون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩، ٣٦١، ٦٤٣) ، و (مج٨٢: ١٣٥، ٣٢، ٦١٥).

** الصيدنة ١٧٨، ومعجمات اللغة (خرأ). وانظر : (بعر، جعر، خثي، ذرق، زبل، سرقين).

مجفف»، وفي القانون أسماء أخرى كثيرة مرادفة لكلمتي الخرء والزبل مثل الأخثاء والبعر والذرق والسرقين... الخ

واقتصر في المفردات على الكلمتين الأوليين لأنهما تدلان دلالة عامة، بخلاف الأسماء الأخرى ذات الدلالات الخاصة. وفي الفهرسة أحلت فضلات كل حيوان إلى اسم الحيوان نفسه إلا ما كانت تسميته بهذا الاسم من باب المجاز كما في (خرء الحمام) و (خرء العصافير) اللتين ستليان في معجمنا.

جاء في تاج العروس: «.. والخرء بالضم، ويفتح، العذرة، والجمع خروء وخرآن.. وقد يكون ذلك للجرذ والكلب.. وقد يكون ذلك للنمل والذباب.. الخ».

خرء أرنب	انظر (أرنب)
خرء الاسقنقور	انظر (اسقنقور)
خرء البازي	انظر (البازي)
خرء التمساح	انظر (تمساح)
خرء الثعلب	انظر (ثعلب)
خرء الثور	انظر (ثور)
خرء الحمام	انظر (حمام)
خرء الحيوانات	انظر (حيوان)
خرء الخطاطيف	انظر (خطاف)
خرء الخنزير	انظر (خنزير)
خرء الدجاج	انظر (دجاج)
خرء الديك	انظر (دجاج)
خرء الذئب	انظر (ذئب)
خرء الزرازير	انظر (زرزور)

خرء سام أبرص	انظر (سام أبرص)
خرء الضب	انظر (ضب)
خرء الفأر	انظر فأر
خرء القنفذ	انظر (قنفذ)
خرء الكلب	انظر (كلب)
خرء الورل	انظر (ورل)

خرء الحمام *

خرء الحمام. ١: ٣٤٢

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على عقّار اسمه كود كندم فكان مما قاله فيه «... وبالرقّة يسمّونه خرء الحمام، وبغداد يسمى جوز جندم..»

ونجد مثل كلام ابن سينا السابق عند كل من الرازي وابن جلجل وابن جزلة وغيرهم، وتكلمت على هذا العقار بتوسع في باب الجيم من هذا المعجم. انظر مادة (جوز جندم)

خرء العصافير **

خرء العصافير ١: ٢٥٤/ ٢: ١٢٦/ ٣: ٢٨٠

تكلم ابن سينا في أدويته المفردة على الأشنان فكان مما قاله: «الأشنان أنواع

---

* الحاوي ٢٢: ٣٥٠، ومنهاج البيان ١٠٢أ، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥٧، والشامل ٢٥١، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣، ومعجم أسماء النبات ٨٦ (١٠). وانظر مادة (جوز جندم).

** الصيدنة ١٧٨، والجامع ١: ٣٨، ومعجم أسماء النبات ٦١ (٦). وانظر مادة (أشنان).

ألطفها الأبيض ويسمى خرء العصافير»

وذكر هذا الاسم أيضًا البيروني في الصيدنة إذ قال: «خرء العصافير بالسريانية زيلادصفرا» ولم يقل إنه نوع من الأشنان، أما ابن البيطار فنقل كلام ابن سينا نفسه.

وهكذا نستفيد من القانون فقط أن خرء العصافير اسم لنوع من الأشنان. وانظر مادة (أشنان) التي سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم.

خراطين *

خراطين	١: ٤٦٤/ ٢: ١٥٣، ١٥٤، ٢٨١، ٥٥٠
خراطين مجففة	١: ١٥٢/ ٢: ٤٠٨، ٥٠٣
خراطين مدقوقة	١: ٤٦٤
سلاقة الخراطين	٢: ١٥٤
طبيخ الخراطين	١: ٤٦٤

ذكر ابن سينا الخراطين في الأدوية المفردة فلم يصفها لأنها معروفة، بل بيَّن من فوائدها الطبية أنه يضمَّد بمدقوقها جراحات الأعصاب، وطبيخها مع شحم الوزّ نافع من وجع الأذن، وإذا شربت مع بعض الأشربة نفعت من اليرقان.. الخ.

ونجد مثل هذه الفوائد وأشباهها في كتب المفردات الأخرى. والخراطين هي تلك الديدان الحمر الطوال الحَلَقية التي تعيش في الطين والأماكن الندية، ومن أسمائها في المراجع: عروق الأرض، ودودة الأرض، وشحمتها، ولحمتها، وحُبْليل.

وجاء في لسان العرب عن الأزهري قوله إنه لايحسب هذه الكلمة عربية

---

* الحاوي ٢٠: ٤٢٤، ومنهاج البيان ١٠٢أ، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠٢)، ومفيد العلوم ٤٢، والجامع ٢: ٧٥، والشامل ٢٥١، والمحمد ١٢٤، ومالايسع ٢٠٧، والتذكرة ١: ١٣٣، ومعجم الحيوان ٩٣ ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٩٨، ومعجمات اللغة (خرطن)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٣، وبرهان قاطع ٢: ٧٢٢ (خراتين)، ٧٢٣ (خراطين).

محضة، ونص المعجم الفارسي برهان قاطع على أنها معربة من الكلمة الفارسية خراتين على وزن سلاطين، والخراطين المعربة جمع لا مفرد له من لفظه، ويرى الأمير مصطفى الشهابي أن من المفيد إقرار مفرد لها هو ـ حسب اقتراحه ـ خرْطون.

خَرَب •

لحوم الخِرْبان ١: ٣٥٨، ٣٥٩

تكلم ابن سينا في مفردات القانون على اللحم فميز أنواعه المختلفة باختلاف الحيوان أو باختلاف أجزاء جسمه، فذكر لحوم الخربان وخواصها..

والخِرْبان جمع خَرَب، وهو الحُبَارى (١) وجاء في تاج العروس: «والخرب محركة ذكر الحبارى، وقيل هو الحبارى كلها.. والجمع أخراب وخِراب وخِربان بكسرهما».

خَرْبَق ••

خربق، الخربق ١: ١٥٩، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٨٢، ٢٨٣،

• معجمات اللغة اللسان والتاج وغيرهما (خرب). وانظر مراجع مادة (حبارى)

(١) تكرر هذا الاسم في القانون أكثر من الحزب. انظر مادة (حبارى) في باب الحاء من معجمنا هذا.

•• كتاب ديسقوريدس ٣٥٤ (لابورص)، ٣٦٠ (لابورس)، ٣٩٨ (الشراب المتخذ بالخربق الأسود)، والحاوي ٢٠: ٣٧، ٢٢: ٥٨، والملكي ٢: ١٢٨، ١٤٥، والصيدنة ١٧٦، ومنهاج البيان ١٠١أ (خربق أبيض)، ب (خربق أسود)، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٣٩٩)، ومفيد العلوم ٤١، والجامع لمفردات الأدوية ٢: ٥٤، والشامل ٢٥٠، والمعتمد ١٢٣، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٤، وحديقة الأزهار ٣٢٠ (٣٥٢)٣٢١ (٣٥٣)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٢، ومعجم أسماء النبات ٩٢ (١٨)، ١٨٧(١١) خربق أبيض، ٩٢ (١٩) خربق أسود، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٣١ (خربق، خربق أسود)، ٦٧٢ (خربق أبيض)، والمعجم الموحّد ٢٠، ١٠٣، ومعجمات اللغة القاموس واللسان والتاج وغيرها (خربق)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٢.

(١) يريد نوعي الخربق الأبيض والأسود.

قشور الخربق الأبيض	٣: ٣٤٢
قشور الخربق الأسود	٣: ٣٤٢، ٤١٤
قشر الخربق الجريش	١: ٤٥٧
قشر الخربق السحيق	١: ٤٥٧
قشر الخربق المقطَّع	١: ٤٥٧
قشور عيدان الخربق الأسود مسحوقًا	١: ٤٥٥
لبن الخربق الأبيض	١: ٤٥٥
لبن الخربق الأسود	١: ٤٥٥
مرق الخربق الأسود بالدجاج	١: ٤٥٦
ورق الخربق الأبيض	١: ٤٥٦
ورق الخربق الأسود	١: ٤٥٥

يطلق اسم الخربق على عقارين نباتيين ذكرتهما المراجع العربية معًا أو متتاليين[١] لاشتراكهما في الاسم وفي بعض الاستعمالات الطبية، وأحدهما يدعى الخربق الأبيض، والآخر الخربق الأسود. وذكرهما ابن سينا في كتابه فتكلم أولاً على الخربق الأسود فنقل ماهيته عن ديسقوريدس إذ قال: «.. هو نبات له ورق أخضر شبيه بورق الدلب إلا أنه أصغر منه وأكبر تشريفًا مثل سفندوليون، وهو أشد منه سوادًا، وفيه خشونة، وله ساق قصيرة، وزهر أبيض فيه لون فرفيري في هيئة العنقود[٢]، وفي العنقود ثمر يشبه القرطم.. وله عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد كأنه رأس بصلة؛ وإنما يستعمل من الخربق

(١) أمّا ديسقوريدس فقد فصل كتابه بين الخربقين الأبيض والأسود بالكلام على سبعة عقاقير أخرى.

(٢) في القانون المطبوع «الورد» وهو تصحيف. وماأثبته من كتاب «ديسقوريدس ومن نقلوا عنه.

الأسود عروقه. وينبت في المواضع الخشنة [١] وأماكن صلبة يابسة. ومن الناس من يطرحه في الماء ويرشّ به البيوت، وذلك أنهم يظنون أنه طهور.. ينبغي لمن يحفر عنه أن يسرع الحفر، لأنه يعرض من رائحته ثقل في الرأس، وينبغي أن يحتاطوا قبل ذلك بأكل الثوم وشرب الشراب دفعاً لمضرة ذلك ويعملون به مثلما يُعمل بالخربق الأبيض ويسقونه كما يسقى..» ثم ذكر من فوائده أشياء كثيرة منها أنه يطلى على البهق والجرب وينفع من الفالج وأوجاع المفاصل، ويسكّن دويّ الأذن، ويقوي البصر... الخ»

وما قيل في الخربق الأسود في سائر المراجع العربية لايخرج عما جاء في كتاب القانون فقد نقل أكثرهم تحلية هذا النبات وفوائده عن ديسقوريدس. وربما أضاف بعضهم شيئاً أو أنقص شيئاً، وحرص ابن البيطار في كتابه الجامع على نقل ماقيل في هذا العقار ناسباً كل كلام إلى قائله سواء كان من أطباء اليونان القدامى أو من الأطباء العرب، وصرّح ابن الحشّاء في مفيد العلوم بأن كل مايسمى خربقاً لم يعد موجوداً في عصره [٢] في المغرب إذ قال: «الأسود والأبيض منه غير معروف بالمغرب، وكل مااستعمل عنهما في المغرب من النباتات غير صحيح. وكانا يجلبان قديماً من صقلية، ثم جُهل بها من وقت الفتنة»

والاسم العلمي للخربق الأسود هو Helleborus niger من الفصيلة الشقارية والقبيلة الخربقية.

والعقّار الآخر هو الخربق الأبيض الذي تكلم عليه ابن سينا بعد الخربق الأسود، فنقل ماهيته أيضاً من ديسقوريدس إذ قال: «هو نبات له ورق مثل لسان الحَمَل أو السلق البري، إلا أنه أقصر منه، وهو ثخين أسود، يضرب إلى الحمرة

(١) بعدها في القانون المطبوع «والكهوف» وحذفها اعتماداً على كتاب ديسقوريدس والكلام التالي.

(٢) هو من علماء القرن السابع الهجري ترجيحاً.

قليلاً، وله ساق طوله نحو من أربع أصابع مضمومة أجوف، وإذا ابتدأ جفافه يتقشر، وعروقه كثيرة دقاق مخرجها من رأس واحد مستطيل شبيه ببصلة، وينبت في أماكن جبلية، وينبغي أن يقلع في زمان حصاد الحنطة، وأجوده ماكان منبسط السطح انبساطًا معتدلاً، وكان أبيض هيّن التفتت كثير اللحم، ولا يكون حاد الأطراف شبيهًا بالإذخر، وإذا فتّت ظهر منه شيء شبيه بالغبار ونسج العنكبوت في الرقة، ولا يلذع اللسان لذعًا شديداً على المكان ويجلب اللعاب فإن هذا الصنف منه رديء.. الخ» ثم ذكر من أفعاله وخواصه أن الأبيض أشد مرارة من الأسود، والأسود أشد حرارة، وإذا أكله الفأر مات.. وأكثر أفعاله تشبه أفعال الأسود.

والاسم العلمي للخربق الأبيض هو Veratrum album من الفصيلة السورنجانية.

ذكرت معجمات اللغة الخربق في مادة مستقلة، فجاء في تاج العروس: «الخربق كجعفر، نبات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود كلاهما ينفع من الصرع والجبون والمفاصل.. ويسهل.. وإفراطه مهلك.. وهو سم للكلاب.. قال الليث: الخربق نبت كالسم يغشى على آكله، ولا يقتله» وكلمة خربق من أصل سرياني. قاله الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية.

خَرْدَل *

خَرْدَل ١: ٩٧، ١٥١، ١٨٥، ٢٣٣،

* كتاب ديسقوريدس ٤١ (صنعة سيانيينون وهو دهن الخردل)، ١٩٢ (لمبساني)، ٢١١ (سينيفي)، وكتاب النبات ١: ١٥٥، والحاوي ٢٠: ٣٨٣/ ٢٢: ٥٩، والملكي ٢: ١٠٩، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠١أ، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠٠)، والمختارات ٢: ١٩٦، ومفيد العلوم ٤١، وجامع مفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٢، والشامل ٢٢٢، ٢٤٩ (خردل بري)، والمعتمد ١٢، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٢ وحديقة الأزهار ٣١٣ (٣٤٦)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣١، ومعجم أسماء النبات ٣٢ (٩، ١٢) ١٦٩ (١٦، ١٧)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٣٧، ولسان العرب وتاج العروس وغيرهما من معجمات اللغة (خردل). (سفند اسفيد) التي ستلي في باب السين.

الخردل من مفردات القانون ، واكتفى ابن سينا في تحديد ماهيته بالقول: «هو بقلة معروفة»ثم ذكر من خواصه أنه ينقي الوجه، ويحلل الأورام الحارة، وينفع من الجرب ووجع المفاصل، ويُستعمل في الأكحال، ويُذهب الخشونة المزمنة من قصبة الرئة، وينفع من الحميات.

وهو مما تكلم عليه ديسقوريدس في كتابه فذكر نوعين منه أولهما «لبساني» الذي ذكره بعد أصناف من الحمّاض وقال فيه «هو بقلة برية معروفة أكثر غذاء وأحسن للمعدة من الحماض، وقد تطبخ وتؤكل». والآخر «سينيفي» الذي قال فيه «ينبغي أن يختار منه مالم يكن مفرط اليبس ولا كبير الحبة، وإذا دُقّ داخله فيه نداوة..» ثم تكلم على استعمالاته في الطب.

أما أبو حنيفة فقد أوضح في كتابه النبات أن اسم الخردل علم على حبّة النبات بالذات إذ قال: «الخردل هذه الحبة المعروفة، ويقال لشجرتها البرية الحرشاء..».

وفي القانون وغيره تحديد لبعض أنواع الخردل كالخردل الأبيض الذي يدعى أيَضًا سفيد سنفد وهو معنى اسمه بالفارسية، واسمه العلمي Brassica أو Sinapis alba، وهو أكثر الأنواع استعمالاً في الطب ومنه يصنع الدهن المعروف بدهن الخردل. والخردل البري الذي يدعى أيضًا اللَّبْسان وتسمى شجرته الحرشاء، واسمه العلميSinapis arvensis ، وكلها نباتات عشبية من الفصيلة الصليبية، تنبت بين الزروع فتضرُ بها.

يظهر مما في كتب الطب ومعجمات اللغة أن اسم الخردل يطلق على النبات، وعلى بزره بوجهٍ خاص، وإذا أطلق في كتب الطب فالمراد به البزر. وضبطت اللفظة في المعجمات بالفتح خَرْدل، قالوا: والواحدة خردلة.

خركوش *

الحشيشة المساة خركوش ٣: ٢٦٦

* الحاوي ٢٢: ٣٤٩، ٣٥٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٧، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣ (خربوس)، ومعجم أسماء النبات ١٤٢ (٢٣)، وبرهان قاطع ٢: ٧٣٧. وانظر (لسان الحمل).

عصير الخركوش ٣: ٣٨٦

عرض ذكر هذا الاسم في الكلام على منبتات الشَّعر، حيث بيَّن ابن سينا نسخة دواء مركب ينفع في إنبات الشعر فكان من أخلاطه «الحشيشة المسماة خركوش»، وعرض مرة أخرى في تركيب أقراص نافعة من قروح المعى حيث قال: إن مفرداته تعجن بعصير الخركوش وتتخذ أقراصًا، ولم يرد هذا الاسم في مفردات القانون، ولم تبين ماهيته.

وفي كتاب الحاوي، في بيان الأسماء المجهولة قال الرازي إن الخركوش هو لسان الحمل، وجاء في موضع آخر من الكتاب نفسه أنه البسباسة، وفي الموضعين الحرف (ف) الذي يعني أن الاسم فارسي. والذي في سائر المراجع، وفي المعجم الفارسي برهان قاطع ـ ومنه نقلت الضبط ـ أن خركوش هو الاسم الفارسي لنبات لسان الحمل الذي يستعمل علاجًا للتخمة، وانظر نعت لسان الحمل واسمه العلمي في باب اللام من هذا المعجم.

خركوك

خركوك ٣: ٢٥٦

في الكتاب الرابع من كتب القانون تكلم ابن سينا في المقالة الخامسة من الفن السادس في لسوع الحشرات والرتيلاوات وعضوضها، فكان مما جاء في علاجها قوله: «والجرادة التي لاجناح لها العظيمة البدن التي تسمى خركوك[1] إذا جففت وشربت بشراب نفع..».

فهذا الاسم هو علم على صنف من الجراد لا أجنحة له، ولم أعثر عليه بهذا

(١) كذا في المطبوع ببولاق والمصورة، وهو بالحاء المهملة في المطبوع برومة.

اللفظ في المخصص لابن سيده عند كلامه على الجراد وأصنافه وأسمائه، ولافي المعجم الفارسي وأرجح مع ذلك أنه اسم فارسي لذاك الصنف من الجراد

خُرُّوب*

خُرُّوب	١: ١٥٥، ١٦٨، ٣٣٤، **٤٥٩**/ ٢: ٤٣٢، ٤٣٩، ٥٣٨/ ٣: ٢٩٤، ٤٣٥
خرنوب شامي	١: ١٦٧، ٣٣٢، ٤٥٩/ ٢: ٢٣٥
خرنوب شامي رطب	١: ٤٥٩
خرنوب شامي يابس	١: ٤٥٩
خرنوب الشوك	٢: ٤٢١، ٤٣٨، ٥٣١
خرنوب نبطي	١: ٣٣٤، ٤٥٩، ٥٨٨/ ٢: ١٩٥، ٥٣١/ ٣: ٢٣٢، ٢٦٩
خرنوب نبطي رطب	١: ٤٥٩/ ٢: ١٧٣
خرنوب نبطي فجّ	١: ٤٥٩
ثمرة الخرنوب الشامي	١: ٤٥٩
جوارشن الخرنوب	٢: ٣٣٦، ٤٣٥

*** كتاب ديسقوريدس ١١١ (قارطيا)، وكتاب النبات ١: ١٦٥ (خَرُّوب وخُرْنُوب)، والحاوي ٢٠: ٣٧٨، والملكي ١: ١٩٠/ ٢: ١٢٠ (خرنوب شامي، نبطي)، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠٠ب، ٧٧ب (جوارشن الخرنوب)، وشرح أسماء العقار ٤١ (٣٩٢)، والمختارات ٢: ١٩٩، ومفيد العلوم ٤١، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥١ (خرنوب)، ٥٢ (خرنوب نبطي)، والشامل ٢٢٠ (خرنوب)، ٢٤٩ (خرنوب نبطي)، والمعتمد ١١٩، ومالايسع ٢٠١، وحديقة الأزهار ٣١٠ (٣٤١)، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣١، ومعجم أسماء النبات ٤٥ (٢٣)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢٥، والمعجم الموحد ١٢٩، واللسان والتاج وغيرهما (خرنب).**

سويق الخرنوب	٢: ٤٣٥
شراب الخرنوب	٣: **٣٧٦**
طبيخ الخرنوب	١: ٤٥٩/ ٣: ٢٣٩
عصير الخرنوب	٣: ٢٣٧
ماء الخرنوب الرطب	٢: ٣٣٦، ٤٨٢
ماء الخرنوب النبطي	٢: ١٢٤

ذكر ابن سينا الخرنوبَ في مفردات القانون، ولم يبّن ماهيتَه، لشهرته، بل بدأ بالكلام على أصنافه فقال إن أصلحه الشامي المجفف، والنبطي أشد يبسًا وبرودة، وبين فوائده الطبية، ومنها أن المضمضة بطبيخه تنفع من وجع الأسنان، والنبطي ينفع دَلوكًا من الثآليل...الخ.

ووصفه أبو حنيفة في كتاب النبات فقال: «الخرنوب.. ضربان أحدهما الينبوته، وهي هذا الشوك الذي يُستوقد به، ترتفع نحو الذراع، ذو أفنان وحمل أحمّ خفيف كأنه نُفّاخ بشع لايؤكل إلا في المجهدة، وفيه حب صلب زلّال. والآخر الذي يقال له الخروب الشامي، وهو حلو يؤكل، وله حب كحب الينبوت إلا أنه أكبر، وثمره طوال كالقثاء الصغار إلا أنه عريض، ويتخذ منه سويق ورُبّ.. الخ»

فالنوع الأول الذي وصفه أبو حنيفة هو المذكور في القانون باسم الخرنوب النبطي ويسمّى أيضًا خرنوب الشوك وخرنوب المعزى. والنوع الآخر الشامي أكثر استعمالاً في الطب، واسمه العلمي Ceratonia siliqua وهو الذي يصنع منه الهاضوم الذي سماه ابن سينا جوارشن الخرنوب.

جاء في كتاب النبات، يقال: خَرّوب وخُرْنوب واحدته خَرُّوبة وخُرْنوبة، وضبط الاسمان ضبط ألفاظ في القاموس والتاج، وفيه «الخروب كتنور نبت معروف، والخرنوب بالضم على الأفصح، وقد تفتح هذه الأخيرة، وهي لغيّة،

واحدته خروبة [(١)] وخرنوبة، أبدلوا النون من إحدى الراءين كراهية التضعيف..» واقتصر ابن سينا في القانون على لغة واحدة. ولاسم الخروب أشباه في الآرامية والعبرية، ومن العربية انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة كالفرنسية Caroubier.

خِرْوَع*

خِرْوَع	١: ٢٩٤، **٤٦٤**/ ٢: ٨٥، ٤٦١ ٥١٦/ ٣: ١٣٥
خروع أحمر	١: ٢٩٤
خروع مقشر	٣: ٣٠٢٢٠٣
بزر الخروع	٣: ٣٢٨
ثمر الخروع	١: ٤٦٤
جمر الخروع	١: ١٦٨
حب الخروع	١: /٤٦٤ ٢: ٤٦١/ ٣: ٣٣٤، ٣٩٨، ٣٩٩
حب الخروع المرضوض	٢: ٤٦١، ٤٦٢

(١) في التاج المطبوع «خرنوبة».

• كتاب ديسقوريدس ٣٥٩ (قيقى)، وكتاب النبات ١: ١٤٥، والحاوي ٢٠: ٣٨٠، ٤٨٤ (دهن الخروع)، والملكي ٢: ١٤٦، ١٢٢ (دهن الخروع)، والصيدنة ١٧٥، ومنهاج البيان ١٠٢أ، ١١٩، (دهن الخروع)، وشرح أسماء العقار ١٤ (٣٩٦)، ومفيد العلوم ١٤، والجامع ٢: ٥٣، والمعتمد ١٢١، والشامل ٢٤٩، ومالايسع ٢٠٣، وحديقة الأزهار ٣١٤ (٣٤٧)، وتذكرة أولي الزلباب ١: ١٣٢، ومعجم أسماء النبات ١٥٦ (١٧)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٦٤، والمعجم الموحد ١٤٧، ١٧٠. ولسان العرب وتاج العروس ومحيط المحيط (خرع).

كسب الخروع [أي دهنه]	٣: ٢٢٦، ٢٩٦
ورق الخروع	٢: ١١٩، ١٣٦
ورق شجرة الخروع	١: ٤٦٤

الخروع من مفردات ابن سينا في كتاب القانون، وقد نقل ماهيته عن ديسقوريدس فقال: «خروع. الماهية: قال ديسقوريدس: من الناس من يسميه قراوطيا وهو القراد، وإنما سموه بهذا لأن حبه شبيه بالقراد،وهو شجرة صغيرة في مقدار شجرة صغيرة من التين ولها ورق شبيه بورق الدلب إلا أنه أكبر وأملس [1]وأشد سوادًا، وساقها وأغصانها مجوفة مثل القصب، ولها ثمرة في عناقيد خشنة. وإذا قشر الثمر بدا الحب في شكل القراد ومنه يعصر الدهن المسمى اقنقس وهو دهن الخروع، وهذا لايصلح للطعام وإنما يصلح للسراج وأخلاط بعض المراهم وبعض الأدوية...» ثم ذكر من خواصه أنه محلل ملين وأن دهنه ملطف يصلح للجرب وحبه المسحوق يسهل.. وبيّن في موضع آخر من الكتاب أن دهنه يجب أن يسقى بالتدريج[2]

وفي سائر المراجع نقول عن ديسقوريدس وغيره كالذي في القانون، وبيّن أبو حنيفة في كتاب النبات بعض خصائصه المعروفة عند العرب فقال: «لايرعاه شيء، وله ورقة عريضة متفرقة الأطراف.. يتخذ من حبه دهن يتداوى به الناس، وربم ضخمت الخروعة حتى تكون مثل التينة الضخمة، وليس شيء من الشجر أقصف عودًا ولا أضعف من الخروعة».

والاسم العلمي لنبات الخروع Ricinus communus من الفصيلة الغربيونية.

---

(١) كذا في القانون وكتاب ديسقوريدس، وأصلح ابن البيطار الخطأ فقال: «أشد ملاسة».

(٢) القانون ٢: ٤٦٤ .

أما الاسم العربي فمشتق من الخَرَع، وهو الرخاوة في الشيء. جاء في اللسان: «... ومنه قيل لهذه الشجرة الخروع لرخاوته..» وفي النبات: «خروع الأصل فيه شجرة الخروع المعروفة، ثم قيل لكل نبات قصِف ريّان من عشب أو شجر خروع..» وضُبط الخروع في القاموس كدرهم، وهو بهذا الضبط نفسه في سائر المراجع.

خَزّ *

كُبَّةٌ من خز وحرير ١: ٢١٠

في الكلام على الفَصْد وقواعده بيَّن ابن سينا الأدوات والأدوية التي يجب أن يتزود بها الفصّاد لأنه قد يحتاجها في عمله، فذكر من ذلك أن تكون معه كبة من خز وحرير ومِقيأ من خشب..الخ» وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه اسم الخز في كل القانون.

وذكر بعض الأطباء الخزَّ في مفرداتهم كابن الكتبي الذي قال في كتابه مالايسع الطبيب جهله إن الخز «اسم للإبريسم، وقيل إذا قرضه الدود سُمّي خزاً. وقيل كل مُحْتَزّ من الإبريسم خز، وقيل بل ماعمل من الإبريسم والصوف يسمّى خزاً» لكن الأنطاكي خطأه إذ قال في تذكرته: «خز: ليس هو الحرير كما ذكره مالايسع، بل هو دابة بحرية ذات قوائم أربعة في حجم السنانير، لونه لونها إلى الخضرة، يُعمل من جلدها ملابس نفيسة تتداولها ملوك الصين» ويؤيده ماجاء في كتب الحيوان من أن الخز جنس من الحيوانات اللاحمة من فصيلة السمّوريّات له فراء دون فراء السمّور، واسمه العلمي Mustela martes

* الحيوان ٥: ٤٨٣ (الحاشية)، ومنهاج البيان ١٠٢ب، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٧، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٣، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤١٥، ومعجم الحيوان ١٦٦، ومعجمات اللغة (خزز). وانظر مادتي (إبريسم) و (حرير) السابقتين. والألفاظ الفارسية المعربة ٥٤

، وقال الدكتور معلوف في معجمه إنه «أكبر من ابن عرس، يقرب من السنور الأهلي في الحجم، وهو قريب جداً من السمور لكن السمور أشد كمتة منه».

وفي معجمات اللغة أن الخز نوع من الثياب قال بعضهم تصنع من صوف وإبريسم وقال آخرون منها إبريسم خالص، وهكذا اختلف العلماء واللغويون في حقيقة مايراد باسم الخز، والذي أرجحه أنه ثياب مصنوعة من فراء ذلك الحيوان المسمى خزاً فأطلق اسم الخز عليها وهو قول صاحب المصباح. ولو كان المراد بها الإبريسم وهو الحرير لما قال ابن سينا « من خز وحرير».

خَزَف •

خزف	١: ٢٦٧، ٣٢٩، ٣٣٦، **٤٥٩**/٣: ١٦٢
خزف أبيض	٣: ٢٧٨
خزف التنور	١: ٤٥٩، ٤٦٠ ٢: ٥٨٨ /٣: ٢٨٨
خزف جديد	٢: /٥٨٨ ٣: ٧٢، ٢٧٩
خزف رشّاح	١: ١٨٦
خزف السرطان البحري	١: ٤٥٩، ٤٦٠
خزف الغضائر الصيني	٢: ١٢٧
خزف الغضائر الصيني المدقوق	١: ٤٦٠
خزف مدقوق	٣: ١٥٩

• كتاب ديسقوريدس ٤٤٠ (خزف التنور)، والحاوي ٢٠: ٤٣٦، والملكي ٢: ١٣٢، ومنهاج البيان ١٠٢ب، والمختارات ٢: ٢٠٠، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٧، والمعتمد ١٢٥، وتذكرة أولي الألباب ١: ٣٣١، والكليات للكفوي ٢: ٢٧٧، والمعجم الموحد، كيميا ٣: ٣٨، ٩٢، ومعجمات اللغة (خزف). وانظر (آجر) و (صدف) و (قرميد) في معجمنا هذا.

خزف مسحوق	١: ٢١٤
إناء خزف	١: ٣٣٣، ٤١٨
حُكالة الخزف	٣: ٢٧٩
مرهم الخزف	١: ٤٥٩

ذكر ابن سينا الخزفَ في كتاب الأدوية المفردة فلم يحدد ماهيته لأنه معروف بل تكلم مباشرة على خواصه وفوائده الطبية فكان مما قاله إنه «مجفّف جلاّء وخاصة خزف التنور.. خزف السرطان البحري مجفف يجلو النمش والكَلف.. خزف الغضائر الصيني المدقوق ينفع الظفرة.. خزف التنور يطلى به على النقرس، ويصنع منه مرهم مدمل للقروح».

ويطلق اسم الخزف على « كلّ ماعُمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخّاراً» كما قال مؤلف الكليات، ويؤيده ماجاء في كتب المفردات ومعجمات اللغة، وفصّل بعضهم في أنواع الخزف كالأنطاكي الذي قال تذكرته: «خزف: هو الفخار إذا شوي بحيث يبلغ الحرق، وهو قسمان مدهون بالمرداسنج وغيره كالزبادي المشهورة، وغير مدهون كالقدر والشقف، ومنه الآجر..» ولكن الملاحَظ أن ابن سينا وسع دلالة هذا الاسم حتى جعله يشمل الصدف إذ قال: خزف السرطان البَحري.. فهذا خزف حيواني يخالف الخزف الترابي المصنوع.. ولم أجد هذا عند غيره. وفي المعجمات الحديثة جُعل اسم الخزف ترجمة لنوعين من المصنوعات الفخارية الحديثة هما البورسلان Porcelaine والسيراميك Ceramique

ضبط اسم الخزف بالتحريك فجاء في لسان العرب «الخزف ماعمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً، واحدته خزفة. الجوهري: الخزف بالتحريك الجَرّ ومايبيعه الخزّاف».

خَسّ •

• كتاب ديسقوريدس ٢٠٣ (ثريداقس ايمارس)، وكتاب النبات ١: ١٥٥ (خس)، ١٠٩ (حُوّاء) والحاوي ٢٠: ٤٣٠، والملكي ١: ١٨٣/ ٢: ١٠٦، والصيدنة ١٧٩ (خس)، ١٨٠ (خس البر)، ومنهاج البيان ١٠٣أ، والمختارات ١: ٢٥٦ (في البقول)/ ٢: ١٩٦، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢: ٥٨، والمعتمد ١٢٦، والشامل ٢٢٣، ومالايسع ٢٠٧، وحديقة الأزهار ٣٠٦ (٣٣٧) خس، ٣١١ (٣٤٣) خس بري، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٣٣، وقاموس الأطباء ١: ٢١٢، ومعجم أسماء النبات ١٠٣ (٢٦)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٧٨، ٣٨٠، والمعجم الموحد ١٢٥، ومعجمات اللغة (خسس).

الخس بقلة معروفة ذكرها ابن سينا في مفردات القانون فلم يصفها لكن تكلم على خواصها وفوائدها واستعمالاتها الطبية فقال: «خس: الماهية: البري منه في قوة الخشخاش الأسود.. الخواص: لاجلاء فيه ولا قبض... ينفع من الأورام الحارة والحمرة.. ينوِّم، لبن البري منه يجلو قروح القرنية.. يسقى للسعة الرتيلاء..» ويتخذ منه دهن ومرق، ويصنع منه طبيخ يسمى الخسّية ونصح ابن سينا بإطعامها لمن يعاني من الإعياء.

وهكذا اكتفت معظم المراجع ببيان أصناف الخس وفوائده، ففي كتاب النبات قال أبو حنيفة «الخس هذه البقلة المعروفة، وزعم بعض الرواة أنها من الأحرار» وفي كلامه على الحوّاء قال: «له زهرة بيضاء كأنه ورق الهندب، يتسطح على الأرض، يأكله الناس والدواب طيبّ.. وأخبرني أبو نصر أن الحواءة خسة البر».

والاسم العلمي لنبات الخس هو Lactuca من الفصيلة المركبة، وهو أنواع منها مايزرع ومنها بري، ويستعمل بعضها في الطب. وقد بين الشهابي هذه الأنواع بالتفصيل في معجمه للألفاظ الزراعية.

والذي في معجمات اللغة عن الخس أنه نبات من أحرار البقول عريض الورق رخص لاطعم له؛ فإذا عسا صار مُرًّا.. الواحدة خسة.

خس الحمار *

خس الحمار	١: ٢٦٠، ٢٩٩، ٤٣٥، ٤٥٩
خس الحمار أبيض	١: ٤٥٩
خس الحمار أصفر	١: ٤٥٩
خس الحمار مكبوس بالخل	١: ٤٥٩

* منهاج البيان ١٠٣أ، والمختارات ٢: ١٩٦، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥٩، والشامل ٢٥١، ومالايسع الطبيب جهله ٢٠٩، والتذكرة ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ٩ (٢)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٨، وتاج العروس (خسس)، ومحيط المحيط ٢٣١ (خسس). وانظر (أبو حلسا) و (انخوسا) و (شنجار).

هو من أدوية القانون المفردة جاء فيه قول ابن سينا: «خس الحمار. الماهية.: هو كورق الخس الدقيق كثير العدد إلى السواد أزغب أوراقه لاصقة بالأصل ثابتة تحبسه، ولون أصله إلى الحمرة، ويصبغ اليد والأرض أحمر، وينبت في أرض طيبة، وهو من جوهر مائي وأرضي، وهو الشنجار وقد قيل فيه .. الأصفر أقوى، والأبيض مائي ضعيف.. ينفع الأورام الصلبة.. يابسه ينقي الأثر الباقي في العين.. منق للكبد.. يدر الطمث بقوة..».

وفي فصل الشين ذكره باسمه الآخر شنجار وتكلم عليه بالتفصيل مبيّناً أنواعه وفوائده وقال هو نفسه خس الحمار.

وجاء في معظم المراجع أن خس الحمار هو اسم مرادف للشنجار، وفي بعضها أنه يطلق على أحد أصناف الشنجار، وهو الصنف الكبير منه، نقله ابن البيطار وابن الكتبي وغيرهما، ولهذا النبات أسماء أخرى كثيرة ورد بعضها في القانون مثل شنجار وخس الحمار والكحلاء والحميراء وشجرة الدم ورجل الحمام وانخوسا وفيليوس وغيرها كثير، واسمه العلمي Alkanna tinctoria أو Anch ،tinctoria ويتخذ من بعض أصنافه صباغ أحمر جميل.

خُزسْرُودارو *

خسرودارو	١: ٤٥٦، ٤٥٩

هو من العقاقير النباتية التي ذكرها ابن سينا في مفردات القانون وقال فيه «الماهية: قال ماسرجويه هو خولنجان، وقال غيره بخلاف ذلك.. حار يابس.. محلِّل مُذيب.. ينفع من القولنج ووجع الكلى ويزيد في الباه..».

وأكثر المراجع على أن هذا الاسم يطلق على الخولنجان، وهو جذور نباتية عطرة تجلب من الهند وتشبه في فعلها القرفة. والاسم العلمي للنبات هو Al-pinia galanga وقال الدكتور أحمد عيسى في معجمه إن الكندي هو الذي أدخله في الاستعمال الطبي في القرن التاسع الميلادي

اسم خسرودارو معرب من الفارسية على الأرجح إذ جاء في برهان قاطع أنه اسم للخولنجان وهو منسوب - على قول بعضهم - إلى كسرى أنوشروان، وكلمة خسرو بالفارسية تعني الملك، وهي التي عربت إلى كسرى، وضبطت في برهان قاطع لفظًا بضم أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها وسكون الواو.

خَشَب

خشب	٢: ٥٣٩
خشب أعرابي	١: ٢٥٤
خشب هندي	١: ٢٥٤، ٢٦٠
خشب الأرزة	انظر (أرز)
خشب الازاذدرخت	انظر (ازاذدرخت)
خشب التنوب	انظر (تنوب)
خشب حبّ الصنوبر	انظر (صنوبر)
خشب الحماما	انظر (حماما)

* الحاوي ٢٢: ٣٥٨ (خسره دارف)، والصيدنة ١٧٩، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ (جسرة دار)، ١٩٦ (خسرو دارد)، ومالايسع ٢٠٩، وتذكرة أولي الألباب ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ١٠ (١٣)، وبرهان قاطع ٢: ٧٤٩ (خسرودارو). وانظر مادة (خولنجان).

خشب الدفلى	انظر (دفلى)
خشب الرمان	(انظر رمّان)
خشب الزيتون	انظر (زيتون
خشب السرو	انظر (سرو)
خشب الشونيز	انظر (شونيز)
خشب الصنوبر	انظر (صنوبر)
خشب الطرفاء	انظر (طرفاء)
خشب الكافور	انظر (كافور)
رماد الخشب القابض	١: ٤٣٠

الخشب معروف، وهو ما غلظ من عيدان النبات، الواحدة منه خشبة، ويجمع على خُشبان. وفي عقاقير القانون أصناف كثيرة من الخشب يُتداوى بها، وقد ألحقت كلاً منها باسم شجرته.

خشخاش •

خشخاش، خشخاشة	١: ١٩٠، ٢٢٠، ٢٤٣، ٣٤٤، ٤٣٣،

• كتاب ديسقوريدس ٣٣١ (ميفن)، وكتاب النبات ١: ١٦٦، والحاوي ٢٠: ٤٠١، والملكي ١: ١٨٣، ٢٠٧ (شراب الخشخاش)٢: ٥٧٠ (أقراص الخشخاش)، ٥٩٢، ٥٩٣ (رب الخشخاش)، ٥٦٧ (لعوق الخشخاش)، والصيدنة ١٨٠، ومنهاج البيان ١٠٣ب، ١٣٢ (رب الخشاش)، ١٦٤ (شراب الخشخاش) ٢٣٣ب (لعوق الخشخاش)، ١٨٨ب (عصارة الخشخاش)، ٢٠٨أ (قرص الخشخاش)، وشرح أسماء العقار ٤٢ (٤٠١)، والمختارات ١: ٢٣٣، والجامع ٢: ٥٩ والشامل ٢٢٦، ٢٥١، والمعتمد ١٢٧، ومالايسع ٢٠٩، وتركيب مالايسع ٥٩أ (شراب الخشخاش)، ٧٥ب (قرص الخشخاش)، ٨٠ب، ٨١أ (لعوق الخشخاش)، والتذكرة ١: ١٣٤، ومعجم أسماء النبات ٨٧ (١٥)، ١٣٤ (٦، ٧، ٨)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٥٩، ٤٨٩، والمعجم الموحد ١٤٧، واللسان والقاموس والتاج (خشش) والمعجم الوسيط ١: ٢٣٥ (خشخش)، والألفاظ الفارسية المعربة ٥٥. وانظر مدة (أفيون) التي سبقت.

تكلم ابن سينا في مفردات القانون على الخشخاش فكان كلامه مفصلاً استغرق أكثر من صفحتين بينَّ فيهما ماهيَّة الخشخاش بأصنافه الكثيرة نقلاً عن ديسقوريدس الذي قال إن الخشخاش أصناف كثيرة، منها البستاني ويتخذ من بزره خبز يؤكل في الصحة.. ورؤوس هذا الصنف مستطيلة وبزره أبيض، ومنها البري، له رؤ وس إلى العرض وبزره أسود، وآخر بري أصغر من الصنفين له رؤوس مستطيلة.. ومنها صنف يسمى السواحلي له ورق أبيض عليه زغب مشرف الطرف كتشريف المنشار، وزهره أصفر، وثمره صغار بغلف منحنية كالقرون وفيه بزر أسود.. وينبت في سواحل البحر.. ومنها الخشخاش الزبدي، سُمّي بذلك لأنه يشبه الزبد في بياضه، وهذا النبات كله أبيض، وساقه وورقه وثمره يشبه الزبد.. ثم بين الفوائد الطبية لهذه الأصناف وأهمها أنها مسكنة للآلام والأوجاع ومنومة ونافعة من السعال ومن الإسهال...

فالخشخاش نبات معروف له أصناف عديدة كلها مخدرٌ منومٌ، ومنها مايزرع، ومنها ماينبت بريًا، وربما زرع البري لجمال أزهاره. قال الأنطاكي في تذكرته «إذا أطلق فإنما يراد به الخشخاش الذي يعرف في مصر بأبي النوم منه أبيض وأحمر وأسود»

للخشخاش بأصنافه المتعددة أسماء كثيرة في المراجع العربية منها رُمَّان السعال، وناركيو، ورمان الخس، وميقون من اليونانية، وبابلس لبذره من اليونانية أيضًا، وثمرته قد تسمى رؤوس الخشخاش، ورمان الخشخاش، وجراء الخشخاش...الخ

الاسم العلمي للخشخاش هو Papaver جنس نباتات عشبية حولية من الفصيلة الخشخاشية، والصنف المشهور المنوم الذي يستخرج الأفيون من ثماره وتعتصر بزوره فيخرج منها دهن يستعمل في صناعة الصابون هوPapaver sommiferum وفي كتاب القانون أدوية أخرى عديدة اشتقت من هذا

النبات ثمره وبزره منها البسيط كعصارة الخشخاش ولبنه ويراد بهما الأفيون، ومنها المركب مطبوخًا أو بلاطبخ كربّ الخشخاش وشرابه ولعوقه..الخ

أما في معجمات اللغة فمن معاني الخشخشة الصوت يصدر عن السلاح أو الثوب الجديد أو غيرهما، والخشخاش بالفتح كل شيء يابس إذا حُكّ بعضه ببعض صوّت، ولعل اسم الخشخاش لهذا النبات المعروف اشتق من هذا المعنى.

خُشْكار *

الخشكار ٢: ٢٨٢، ٤٥١

عرض هذا الاسم في القانون مرتين أثناء كلام ابن سينا على تغذية بعض المرضى إذ فضل أن يكون خبزهم خشكارًا.

فالخشكار صنف من أصناف الخبز، وهو ذلك الذي لم تنزع عنه نخالته، ويقابله الحُوّارى المصنوع من الدقيق الأبيض النقي، وهذا ماأكدته جميع المراجع، ومنها مفيد العلوم وفيه: «خشكار هو الدقيق الذي لم يُستقص طحنه ولا نخله»، ومنها منهاج الدكان الذي جاء فيه قول الكوهين العطار «خشكار هو الخبز من الدقيق الذي لم تنزع نخالته، وهو خبز العامة». فاسم الخشكار يطلق على الدقيق ويطلق على الخبز المصنوع منه والذي كانت الخاصة تترفع عن أكله، ثم تأكدت فوائده الطبية حديثًا، وتبين أنه خير لعافية البدن من الخبز المصنوع من دقيق نقي.

اسم خشكار معرَّب من الفارسية، وضُبط في المعجم الفارسي برهان قاطع بوزن هشيار أي بضم أوله وسكون ثانيه، والعامة تقول خشكار بكسر أوله.

---

* الحاوي ٢٠: ٢٨٩ (حنطة)، والصيدنة ١٨٠، ومفيد العلوم ٤٠، ومفردات ابن البيطار ٢: ٦٨، ومنهاج الدكان ١٨٨، والشامل ٢٥١، والتذكرة ١: ١٣٠ (خبز)، ومحيط المحيط ٢٣٤ (خشكر)، والمعجم الوسيط ١: ٢٣٦ (الخشكار)، وبرهان قاطع ٢: ٧٥٢.

(المقالات والآراء)

الحيوان يعظ الإنسان

د. عبد الكريم اليافي

تأمّل العرب وغيرهم من الأقوام طباع الحيوان ودرسوها، فوجدوا بعض وجوه الشبه بينها وبين طباع بعض الناس.

شيمة الثعلب المكر، وشيمة الذئب الغدر. ولكن مغبّة الغدر والمكر دمار مرتكبَيهما، كما أنّ في التعاون قوّة لا تُقهر. ولا غروَ أن يعمد الحكماء والشعراء إلى استغلال الحيوان، فيلقوا عليه مشكلات الإنسان، ويحاولوا تمثيلها على ألسنته وأعماله.

جاء في كتاب الحيوان للجاحظ: «قال أبو الحسن عن سلمة بن خطّاب الأزدي قال: لما تشاغل عبد الملك بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا له: قد أمكَنَتكَ الفرصةُ من العرب بتشاغل بعضِهم مع بعضٍ، لوُقوع بأسِهم بينَهم. فالرأيُ لكَ أن تغزوَهم إلى بلادهم. فإنك إن فعلت ذلك بهم نلتَ حاجتَكَ. فلا تَدَعْهم حتى تنقضيَ الحربُ التي بينهم فيُجمعوا عليك. فنَهاهُم عن ذلك وخطّأ رأيَهم. فأبَوا عليه إلاّ أن يغزُوا العربَ في بلادهم. فلما رأى ذلك منهم أمر بكلبَين فحَرَّش بينهما. فاقتَتَلا قتالاً شديداً. ثم دعا بثعلب فخلاّه. فلمّا رأى الكلبان الثعلبَ تركا ماكانا فيه، وأقبلا عليه حتى قتلاهُ. فقال ملكُ الروم: كيف تَرَونَ؟ هكذا العرب، تقتتل بينها فإذا

رأونا تركوا ذلك، واجتمعوا علينا. فعرفوا صدقَهُ، ورجعوا عن رأيهم»[1].

هـذا وقد نبغ الشاعر الروسي إيفان كريلّوف، وتأثر بالشاعر الفرنسي لافونتين، وترجم طائفة من قصصه على لسان الحيوان. لافونتين نفسه كان قد تأثّـر بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، الذي غدا عيالاً عليه كل من عالج مثلَ هذه القصص. فقد تُرجم كتاب كليلة ودمنة إلى الفرنسية بعنوان:

Le livre des lumières ونُشر سنة ١٦٦٤م.

كـريلّوف هذا كتب قطعة شعرية حين غزا نابليون بونابرت روسيّا، فتعـثر في ربوعها وأراضيها الشاسعة وبردها القارس، يلمّح فيها إلى ذلك التعثّر والخيـبة. وقـد كـنا ترجمناها إلى العربية متقيِّدين بالنص الأصلي وهذه هي الترجمة:

ذئب في حظيرة الكلاب

تَسـلَّلَ الذئـبُ ليغـتالَ الغَـنَم لكـنَّهُ ضـلَّ الطـريقَ المُقـتَحَم

في لـيلةٍ حالكـةِ الجِلـبابِ فحَـلَّ في حَظـيرةِ الكِـلابِ

وهَـبَّ مَـن في الحَـيِّ مِن كُواهُ لَمَّـا أحَـسَّ الوَغـدَ في حِمـاهُ

وهـرَّتِ الكـلابُ في الزرائـبِ واستشـرفَت لداهِـمِ النَّوائـبِ

تَصـايَحَ الشـبّانُ يـا لَلسّـارقِ هـيّا إلى العِصِـيِّ والبَـنادقِ

(١) كـتاب الحـيوان، للجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٧هـ، ٢: ١٧٢- ١٧٣.

وطارَ كُلٌّ مالكاً صَوابَه   وأسرَعوا فأقفلوا البَوّابَه

فصارَتِ الحَومةُ كالجَحيمِ   تُنذِرُ بالنارِ على الرَّجيمِ

لما رأى الأرعَنُ ما دَهاه   أقعَى لَدى الجِدار واستَذراه

أنيابُه اصطكَّت مِن الإبلاسِ   وشَعرُه قفَّ أمامَ النّاسِ

وعَينُه تَلتَهِم الجَماعة   كم ودَّ لو يَفرِسُها في ساعة

وما رأى أمامَهُ قَطيعا   وإنّما رأى العِدا جَميعا

وأيقنَ الهلاكَ والتَّبابا   والعاجِلَ المُخيفَ والحِسابا

فلجأ الماكرُ للمفاوَضَه   لعلّه يُغوي بها من عارَضَه

وصاحَ ياصَحبُ لِمَ الضَّوضاءُ   آن لنا أن يُنبَذَ العِداءُ

قد جِئتُ للصُّلحِ وللصَّداقة   كم بَينَنا فيما مَضى عَلاقة

بُنوَّةُ الأعمام والأخوالِ   تشهدُ بالصِّدق على مَقالي

فلنَنسَ ما فات ونَبنِ الآتيا   ولنُرْسِ فيما بينَنا الأواخِيا

لا غَدْرَ، لا اغتيالَ بينَ الغَنَمِ   لسوف أحمِيها بروحي ودَمِي

نعيشُ منذُ اليَوم كالأحباب   واقسَمي بشَرَفِ الذِّئاب

ولاح من بينِ الجُموع ضارِي   فؤادُه قد ضاقَ بالثَّار

قــالَ لــهُ كــم بينَــنا مِن فارِقِ أعــرِفُهُ مــنذُ زمــانٍ ســابِقِ

فلونُــكَ الغَــبْرة والعَمــاءُ ولَونــيَ الشُّــهبةُ والصَّــفاءُ

وطــبعُكَ الخِــداعُ والخِــيانة وطَــبعِيَ الــوَلاءُ والأمانــة

هَــيهات أن نَــركَنَ لــلخُوّانِ إنّهُــمُ للسَّــلخِ والهَــوانِ

وأهــوَتِ الكِــلابُ فوقَ الذئبِ تنهشُــه مِــن رأسِــهِ والجَنْــبِ

دراسة لغوية ضافية لجزء من مادة
(و ف ر): تَوَفَّرَ، تَوافَرَ

د. محمد مكي الحسني الجزائري

- **تَوَفَّر:**

أولاً: المعنى المجازي، وهو الذي أوردته المعاجم، فظنَّ كثيرون أنه المعنى الوحيد.

١- توفَّر عليه: رعى حُرُماته وبَرَّه.

٢- توفر على كذا: صرف هِمَّته إليه.

■ قال الثعالبي (فقه اللغة/ ١٠): استغرقتُ أربعة أشهر هناك بحَضْرته، **وتوفَّرتُ على** خدمته.

■ قال د. إبراهيم السامرّائي في كتابٍ بتحقيقه جَعَلَ عنوانه:

«رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ»/ ٢٠٧:

... فلم أرَ بي حاجة كبيرة **للتوفّر على** إحدى النسختين الأُخْرَيَيْن.

■ وَجَّهَ أحد الباحثين كلامه إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قائلاً:

... وأرجو مخلصًا أن **يتوفَّر المؤتمرُ على** حلِّ هذه المشكلة.

ثانيًا: المعنى الأصلي، الذي - ويا للعجب - لم تُورِدْهُ المعاجم!

تَوَفَّر الشيءُ: (مطاوع وَفَّرَهُ): **تَحَصَّل دون نقص** (مسالك القول/ ١٢٤؛ صلاح الدين الزعبلاوي).

تَوَفَّر الشيءُ: (مطاوع وَفَّرَهُ): **تجمَّع وحَصَل** (قل ولا تقل/ ١٦٧؛ د. مصطفى جواد).

١- حكى صاحب الأغاني (٢/ ١٤٥) قول بشّار: «إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء **فيتوفّر حِسُّه**».

٢- قال المرتضى في أماليه (١/ ٥٦): «... **فيَتَوَفّر** اللبنُ على الحلْب».

٣- قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (٧٩٠): «وإن العناية **مُتَوفّرة** من جهتهم».

٤- وقال الثعالبي (فقه اللغة/ ٦): «فَعَظُمت الفائدة، وعمَّت المصلحة، **وتَوَفَّرت العائدة**».

٥- قال صاحب «نفح الطيب ٢/ ٢٧»: «... ولم يكن فيها (أي إشبيلية) مالٌ **متوفّر**.

٦- وقال لسان الدين بن الخطيب (نفح الطيب ٢/ ١٢٦): «والحمد لله على تضافر الأيدي في ذاته **وتوفُّر الأسباب**».

٧- وقال أيضًا (نفح الطيب ٢/ ١٢٨): «... وتأديةً لحقّ سلفكم الذي **توفّرت حقوقه**».

٨- «وقال بعض الأعلام» (نفح الطيب ٢/ ١٩٧): «... ولمّا **توفّرت** دواعي النقد عليه من الفقهاء كثُر التأويل عليه».

٩- وقال سبط ابن الجوزي (مختصر مرآة الزمان /٨/ ٤١٣): «هو الذي أشار بخراب عسقلان **لتتوفر** العناية على حفظ القدس».

١٠- وقال أبو حيَّان التوحيدي في مقابساته: «ولهذا لا **تتوفر** القُوَّتان للإنسان الواحد».

١١- وقال الشيخ محمد الخضر حسين (محاضرات إسلامية/ ١٤٣): «نشؤوا في بيوت **توفّرت** فيها وسائل الرفاهية».

١٢– وقال د. مصطفى جواد (قل ولا تقل/ ١٣٧): «**توفَّرت الكفاءة** في فلان للوظيفة المذكورة، فعُيِّن فيها، ثم أظهر فيها **كفاية** وصرامة وشهامة».

١٣– وقال صلاح الدين الزعبلاوي (مسالك القول في النقد اللغوي/ ١٢٦):

توفَّر **له** المال: تجمَّع في يديه وصار إلى ملكه وحوزته.

توفر **عليه** المال: تجمَّع في يديه ضافيًا وسابغًا.

تَوَافَرَ:

جاء في «المعجم الوسيط»: توافر الشيءُ تَوَافُرًا: كَثُر واتَّسَع فهو وافر.

جاء في اللسان والتاج ومتن اللغة: «يقال: هم **مُتوافرون: أي هم كثير**، أو فيهم كثرة، **متكاثرون**».

وجاء في «أساس البلاغة»: (وكان ذلك وأصحاب رسول الله تعالى، ﷺ **متوافرون**).

وفيما يلي شواهد من كتب اللغة والأدب، تبيّن – بوضوح – استعمال «تَوافَرَ» بمعنى كَثُرَ، و«متوافر» بمعنى كثير، و«التوافُر» بمعنى الكثرة؛ **وهو ما أغْفلَتْه المعاجم!**

١– قال صاحب «الأغاني» (١/ ٨): «حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد رحمة الله عليه أمر المغنّين، وهم يومئذ **متوافرون**، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء».

٢– وقال (٩/ ١٥٢): «حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال: جلس الوليد بن يزيد يومًا للمغنّين وكانوا **متوافرين** عنده».

٣- وقال: «حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية **متوافرون**».

٤- وقال الجاحظ في «رسائله»:

«وهو من كان يُفتي أصحاب رسول الله ﷺ وهم **متوافرون**».

٥- وجاء في اللسان (٢/ ٥٤٨): «وقال ابن الأعرابي: معنى هذا أنهم كانوا **متوافرين** من قبلُ فانقرضوا فكان أول عيشهم زيادة، وآخره نقصانًا وذهابًا.

٦- وقال الإمام الذهبي (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١١):

«لقد رأيتنا ونحن **متوافرون** وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر».

٧- وجاء في «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» ٨/ ١٦٢ (للقلقشندي، ت ٨٢١هـ):

«والبركات **متوافرة** والخيرات متظاهرة».

٨- وجاء فيه (١١/ ٣٥٩): «لا زال جمال جميله للنفوس رائقا، وإفضاله **المتوافر** لكل إفضالٍ سابقا».

٩- وجاء في معجم البلدان (٣/ ٢١١) لياقوت، ت ٦٢٧هـ:

«وكان فيها من الناس الأعداد **المتوافرة**، ومن النخل أكثر من مئة وعشرين ألفًا».

١٠- وجاء في تاريخ بغداد، ١٢/ ٤٣ (لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ):

«وحضرت الصلاة عليه، وكان الجمع **متوافرًا جدًّا يفوت الإحصاء؛** لم أر جمعًا على جنازة أعظم منه».

١١- وجاء في «الكامل في التاريخ» ٨/ ٣٥٠ (لمحمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، ت ٦٣٠هـ):

«وقاتلنا بالأمس شاه ملك، وهو في أعداد **متوافرة**».

١٢- وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في «مقدمته» (١/ ١٦٠):

«... واستعدى أهلُها (أي بغداد) الحكّامَ (على الزعرة من الشطار والحربية) فلم يُعْدُوهم، **فتوافَرَ** أهلُ الدين والصلاح **على** منع الفُسّاق وكفّ عاديتهم...».

● نلاحظ في هذا الشاهد (وفي الشواهد التي تليه) أن الفعل اللازم (توافَرَ) عُدِّي بحرف الاستعلاء (على)، وذلك **بتضمينه** معنى فعلٍ آخر يتعدّى بـــ(على) وهو: تضافَرَ (أو تعاوَنَ...).

فمعنى قول ابن خلدون: ... تكاثر أهل الدين والصلاح وتعاونوا على منع الفُسّاق...

١٣- جاء في نفح الطيب (٦/ ٢٨١): «... في وطنٍ **توافر** العدوّ **على** حَصْره...»

المعنى: في وطنٍ تكاثر أعداؤه وتعاونوا على حصره.

١٤- وجاء في «مناهل العرفان في علوم القرآن» (١/ ٢٠٢) لمحمد عبد العظيم الزرقاني:

«... فلا جرم كان هذا التحدّي (للمشركين) من الدواعي التي **توافرت على** نقل القرآن وتواتره وجريانه على كل لسان...». المعنى: ... تكاثرت وتضافرت على نقل القرآن...

١٥- وجاء في البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ٦/ ٦٥:

«... لما اشتمل (القرآن) عليه من التركيب المعجز الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع **توافُر** دواعي أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم...»».

المعنى: ... مع تكاثُر (كثرة) دواعي أعدائه وتضافُرها على معارضته.

١٦- وجاء في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٢/ ١٢٩، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ).

«... دلّتْ على غزارة مادته **وتوافُر** اطلاعه». أي: كثرة اطلاعه.

الخاتمة:

نرى بوضوح مما سبق، كيف استعمل الفصحاء الفعلين (تَوَفَّر) و(توافَرَ) ومشتقاتهما استعمالاً سليمًا.

وعلى هذا أرى أن الوجه أن يقال مثلاً:

يُقْبَل في المسابقة المعلَنة مَن توفَّرت فيه الشروط المذكورة.

لأن المعنى:

يُقْبَل في المسابقة المعلَنة مَن تَجَمَّعت وتحصَّلت فيه الشروط...

خلافًا للتركيب الشائع:

يقبل في المسابقة المعلن عنها (!) مَن توافرت فيه الشروط المذكورة.

لأن المعنى:

يقبل في المسابقة المعلن عنها مَن تكاثرت (!) فيه الشروط...

المستدرك على ديوان

محمّد بنِ حازمٍ الباهليّ

أ. شاكر العاشور

هــو الشّــاعرُ العبّاســيُّ محمّدُ بنُ حازمِ بنِ عمرو، الباهليُّ بالولاءِ، والمتوفّى سنةَ٢١٧ هـ أو٢١٨ هـ. انمازَ شِعرُهُ بالزُّهدِ والقَناعةِ وذَمِّ الحِرْصِ، إلى جانبِ إجادتهِ في وصفِ الشَّيبِ ومديحِ الشَّباب.

قــالَ عــنهُ ابنُ المعتز: «هو أجودُ الشُّعراءِ لفظاً، وألطفُهُمْ معنىً»[1]. وذكرَهُ المَرْزُبانيُّ في مُعجمِه، فقالَ: «يقولُ المُقطّعاتِ، فيُحسِنُ»[2]. وقالَ عنهُ الخطيــبُ الــبغداديُّ: «كــانَ حَسَنَ الشِّعرِ،مطبوعَ القولِ»[3]. وقالَ ابنُ الجرّاح: «لهُ في الشَّيبِ أشعارٌ حِسانٌ»[4].

وعــن ابنِ الأعرابيِّ قالَ[5]: «أحسنُ ما قالَ المُحدَثونَ من شُعراءِ هذا الزّمانِ في مديحِ الشّبابِ وذَمِّ الشَّيب:

لاحــينَ صَبْرٍ، فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ   فَقْــدُ الشَّبابِ بيومِ المرءِ مُتَّصِلُ[6]»

---

(١) طبقات الشّعراء ٣٠٨ .

(٢) معجم الشُّعراء ٣٧١ .

(٣) تاريخ بغداد٢/٢٩٥ .

(٤) الورقة ١١٧ .

(٥) انظر: الأغاني١٤/٩٤ والورقة١١٨ وبكاء النّاس على الشّباب١٠٢ .

(٦) البيت لمحمد بن حازم من قصيدة في الأغاني١٤/٩٤-٩٥.

فعَقَّـــبَ عــلى ذلك ابنُ الوَشّاءِ بقولِه:((وما أساءَ ولاقَصَّرَ عن الأوّلِ حيثُ يقولُ في هذا المعنى:

أبكـــي الشَّـــبابَ لنُدْمانٍ وغانيةٍ ولـــلمغاني، وللأطلالِ، والكُتُبِ
وللصَّـــريخِ، وللأحـــامِ في غَلَسٍ وللقـــنا السُّمْرِ،والهِنْديّةِ القُضُبِ[٧]))

هـــذه الآراءُ حبَّبتْ إليَّ أنْ أُسْهِمَ في خدمةِ شعرِ هذا الرَّجلِ؛ فتعقَّبتُ ما ذكرَهُ ابنُ النَّديمِ[٨] من أنَّ لمُحَمَّدِ بنِ حازم ديواناً قوامُهُ سبعونَ ورقةً. فلمْ أحظَ بوجودٍ لهُ في مكانٍ ما؛علـــى الرُّغمِ من تساؤلاتي الكثيرة، وتنقيري في فهارس المخطوطاتِ المنشورةِ في العالمِ. فلم يعدْ أمامي غيرُ رحلةِ البحثِ عـــن المتناثرِ من شِعرِهِ في المظانِ، ولَمِّهِ من التَّشتّت. فلمّا احتمعَ لديَّ مقدارٌ طيِّبٌ منهُ، استخرتُ الباري- عزَّ وجلَّ- ونشرتُهُ سنةَ١٩٧٧[٩].

وفي سنة١٩٨٢أصدرَ الدكتور محمد خير البقاعيّ نشرتَهُ لديوان محمد بن حازم الباهلي عن دار قتيبة بدمشق، وأعقبَ ذلكَ بمستدركٍ على عمله، نشـــرَهُ في مجلة مجمع اللّغة العربيّة في الأردن[١٠].ثمّ قامَ وليد السّراقبي بصنعِ مُســـتدركٍ سمّاهُ ((ديوان الباهلي . . تكملةُ التكملةِ وإصلاحُ الإصلاح))[١١]، استدركَ فيهِ بعضَ ما فاتني، وما فات الدكتور البقاعيّ.

---

(٧) البيتان لمحمد بن حازم في البصائر والذّخائر٤/١٠٨ .

(٨) الفهرست١٨٨ .

(٩) مجلة((المورد)) التراثيّة العراقيّة- العدد الثاني- المجلّد السّادس١٩٧٧ .

(١٠) العدد الرّابع والثلاثون- السنة الثانية عشرة- كانون الثاني١٩٨٨ .

(١١) مجلة((عالَم الكتب)) السّعوديّة- المجلد الخامس عشر- العدد الرّابع، تموز وآب١٩٩٤ .

وتتوالى الجهودُ في خدمة شِعرِ هذا الرَّجلِ؛ وتصدرُ في سنة٢٠٠٢ ، عن دار الجيل في بيروت نشرةٌ جديدة لديوان محمّد بن حازمِ الباهليّ، بجمع وتحقيق الأستاذ مناور محمد الطّويل، وبإشراف الدكتور إميل يعقوب.وهي نشـرةٌ لاريـبَ في أنّهـا تفضلُ نشرتي ونشرة الدكتور البقاعيّ؛ ذلك أنّ الأسـتاذ مناور جَمَعَ شملَ المتناثرِ من شِعرِ الباهليِّ في نشرتي ونشرة الدكتور الـبقاعي، وفي المستدركين اللّذين صَنَعَهُما البقاعيُّ والسراقبي، وأضافَ إلى كلِّ ذلك ما وقفَ عليه من شعرِ للباهليِّ لمْ يكن في النشرتين السّابقتينِ وفي المُسـتدرَكين؛ فجاءَ عملُهُ أشملَ وأوفى، إلى جانبِ الدِّراسةِ الموعبةِ التي صَدَّرَ بها عملَهُ.

ولأنَّ مُهمّـةَ جمـعِ الشِّعرِ لايُمكنها أنْ تبلغَ المنشودَ،لترامي أطراف الخـزانةِ العربيّةِ، فقد وقعتُ على أبياتٍ من شعرِ محمّدِ بنِ حازمِ الباهليِّ لمْ تحتجـنْها دفّتا ديوانه الشّامل، بتحقيق الأستاذ مناور، فرأيتُ أنْ أُضيفَها إلى عملِهِ الجليل، على طريقِ استكمالِ جمع شِعرِ هذا الشّاعر.

المُستدرَك

[١]

من الطويل:

١- إذا ماتَقَضّـى الـوُدُّ إلاّ تكاشُـراً فهَجـرٌ جمـيلٌ بالفَريقَينِ صالحُ

٢- تَلَوَّنْـتَ أخلاقـاً عَـليَّ، كـثيرةً ومـازَجَ عَذْباً، من إخائكَ، مالحُ

٣- فلي عَنْكَ مُستَغنىً، وفي الأرضِ مَذْهَبٌ فَسـيحٌ، ورزقُ اللّـهِ غادٍ ورائحُ

٤- علـيكَ سَـلامٌ لاتواصُـلَ بَعدَهُ فلا القَلْبُ مَحزونٌ ولا الدَّمْعُ سافحُ

٥- لـتعلَمَ أنّـي حـينَ رُمْتَ قَطيعَتي ... وسامحْتَ في الهجرانِ، أنّي مُسامِحُ

٦- عـلى أنّـني لاقـاتِلٌ بعـداوةٍ ... عليكَ،ولاصَـبٌّ إلى السِّلْمِ جانِحُ

٧- نَعـانيَ نـاعٍ يـومَ يَطْمَعُ صاحبٌ ... يرى البِشْرَ في وَجْهي لهُ، وهو كالِحُ

التّخريج: الأُنس والعُرس١٦٦ ، وفيه البيتُ الأوّل١٦٠ .

[٢]

من الوافر:

١- صَـديقي لاغَنيتَ غِنىً يَصُدُّ ... ولاأُعْدِمْتَ إعْدامـاً يَجُدُّ

٢- ولكنْ بينَ ذاكَ، وبينَ هـذا ... مَعاشٌ لايَفوتُكَ فيـه كَدُّ

٣- حَذارِ تَفَرُّقٍ بَعْـدَ ائْتِلافٍ ... فإنَّ المـالَ للآمالِ ضِدُّ

٤- هُما ابنا عِلّةٍ فـي كلِّ حالٍ ... فمـا بين الغِنى والفَقْـرِ وُدُّ

التّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٦ .

[٣]

من الطويل:

١- لَعَمْـري لَـئِنْ غالَتْكَ عِنْدي غوائلٌ ... وَأبْحَـرَ عَذْبٌ مِنْكَ ماعَزَّني ورْدُ

٢- وَمـا أنا والرَّنْقُ الأُجاجُ أُسيغُـهُ ... وَعِـنْديَ عِـدٌّ من زُلالٍ لَهُ بَرْدُ

٣- وَمازالَـتِ الأيّامُ تَسْعى بصاحِبٍ ... إلى صاحبٍ، والدَّهْرُ ليسَ لهُ عَهْدُ

٤- أَقَـرُّ لِعيْني مِـن إخاءِ تكاشُرٍ ... إذا ماانقضـى الوُدُّ القَطيعةُ والبُعْدُ

٥- وَلي مِـن صَديقٍ بالأذى مُتَسَرِّعٍ ... إليَّ، ومِمَّـنْ لا يوافقُـني بُـدُّ

التَّخريج: الأبيات عدا [٤] في الأُنس والعُرس١٦٤ ، وفيه البيتان [٤-٥] ١٦٠ .

[٤]

من الطويل:

١- وَلِي صاحِبٌ أُصفيهِ وُدّي،وإِنَّهُ   لَيَنْصِفُني ،في وُدِّهِ، ويَزيدُ

٢- أَمِنْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بيني وَبينَهُ   إِذا دَبَّ، بينَ الصّاحِبَيْنِ،حَسودُ

التَّخريج: الأُنسُ والعرس٧٤ .

[٥]

من الكامل:

١- ياخاضِبَ الشَّيْبِ الذي   في كُلِّ ثالثةٍ يَعودُ

٢- إِنَّ النُّصولَ إِذا بَدا   فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَديدُ

٣- وَلَهُ بَديهةُ رَوْعَةِ   مَكْروهُها،أَبَداً،عَتيدُ

٤- فَدَعِ المَشيبَ كَما أَرا..   دَ،فَلَنْ يَعودَ كَما تُريدُ[١٢]

التَّخريج : تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المُحقّقين٦٧).

[٦]

من الكامل:

١- قَدْ ذُقْتَني فَوَجَدْتَني مُرّاً   وَبَلَوْتَني فَوَجَدْتَني حُرّا

---

(١٢) تُنسبُ الأبيات لمحمود الورّاق في ديوانه ٦٠ .

٢- سَهْلَ الخَلائِقِ، ذا مُحافَظَـــةٍ آبى الصَّـــغارَ، وأَمْـــنَعُ القَسْـــرا

٣- وَإذا أرادَ هَضِـــيمَتــــي رَجُلٌ أَبَليتُ،دونَ تَهَضُّمي،عُـــــذْرا

٤- وَإذا تَجَـــبَّرَ صـــاحِبٌ وَزَهـــا يومـــاً عَـــليَّ، أَعَـــرتُهُ كِـــبْرا

٥- وَإذا اسْــتَكانَ لِذي الغِنى ضَرِعٌ يـــرجو جداهُ،رَمَقْـــتُهُ شَــزْرا

٦- وَإذا تَضَـــيَّفَني الزَّمانُ بصرْفِـــهِ وكَـــبا عَلَـــيَّ قَرَيْتُــــــهُ صَبْرا

٧- وَإذا نَبا بِيَ مَنْزِلٌ وَجَفـــــا عنّي،تَرَكْتُ عراصَــــــهُ قَفْرا

٨- إنَّ القَـــناعةَ، ماعَلمْـــتَ،غِنىً والحِرْصَ يُورِثُ أَهلَـــــهُ فَقْرا

التَّخريج: الدُّرّ الفريد٢/٣٣٩ ، وفيه الأوّل فقط٤/٣٠٣ (١٣).

[٧]

من الطويل:

١- وإنَّ التّواني زَوَّجَ العَجْزَ بِنْتَـــهُ وَســـاقَ إليها، حينَ زَوَّجَها، مَهْرا

٢- فِراشـــاً وَطِيّاً، ثُمَّ قالَ لَها:اتكي فَقَصْـــراكُما لابُدَّ أنْ تَلِـــدا فَقْرا(١٤)

التّخريج: المناقبُ والمَثالب٢٩٥ .

---

(١٣) واضـــحٌ أنَّ الأستاذ مناور لم يُحسن الإفادة من مصادره؛ إذْ أثبت البيت الأول فقط من هذه القطعة في الديوان عن مخطوطة الدُّرّ الفريد٤/٣٠٣، و لم يلتفتْ إلى أنَّ صـــاحب الدّرّ الفريد أثبتَ القطعةَ بأبياتها الثّمانية في الصّفحة٣٣٩ من الجزء الثّاني.

(١٤) يُنســـب البيـــتان لأبي المُعاني في عيون الأخبار١/٢٤٤ وديوان المعاني٢/١٩١ ومحاضرات الأدباء٢/١٦٢(ابن المعاني) ، ولهلال بن العلاء الرَّقّي في المُستطرف٢/ ٣١٧ .

[٨]

من السّريع:

١- في غَيْرِ سِتْرِ اللّهِ مَنْ سارا	لاقَرَّبَ اللّهُ بِهِ الدّارا
٢- لَوْ سَخِطَ اللّهُ على نارِهِ	لَعَذَّبَ اللهُ بِهِ النّارا

التّخريج: ذَمُّ الثُّقَلاء (عن كتاب أوهام المُحقّقين٦٧).

[٩]

من الطويل:

١- يَرى الحُرُّ أَحْوالاً فَلا يَستَطيعُها	وَفي صَدْرِهِ نَفْسٌ أَجَلُّ من الدَّهْرِ
٢- فَلا الدَّهْرُ يُرْضيهِ بِبَسْطَةِ كَفِّهِ	وَلا هُوَ يَرْضى بالقَليلِ من الوَفْرِ
٣- إذا نالَ مِن دُنْياهُ حَظّاً نالَهُ	فَعُسْرٌ إلى يُسْرٍ، ويُسْرٌ إلى عُسْرِ
٤- وَبينَهُما وَعْدٌ وَجُودٌ وَنائِلٌ	وَبَذْلٌ يُؤَدّيهِ إلى الحَمْدِ والشُّكْرِ
٥- فَأَيّامُهُ تَمْضي بِأَيّامِ غَيرِهِ	وَبينَهُما حُسْنُ الأَحاديثِ وَالذِّكْرِ

التّخريج: المناقبُ والمثالب٣٢٦ .

[١٠]

من الطويل:

١- وَكُنْتَ أخي أَيّامَ عُودُكَ يابِسٌ	فَلَمّا اكْتَسى،وَاخْضَرَّ صِرْتَ مَعَ اليُسْرِ
٢- وَما قُلْتُ حتّى لَمْ أجِدْ مُتَلَوَّماً	عَليكَ، وَحتّى لَمْ أجِدْ مَوْضِعَ العُذْرِ

التّخريج: الأُنسُ والعُرس١٤٥ .

[١١]

من المنسرح:

١ - لازلـتَ في غُرْبَةٍ وَفي سَفَرِ حتّى تَحُطَّ الرِّحالَ فـي سَقَرِ
٢- فَبِـئْسَ ضَيْفُ الكريمِ مُغْتَرِباً وَبِـئْسَ جـارُ الأقوامِ في الحَضَرِ

التّخريج: ذَمُّ الثُقَلاء (عن كتاب أوهام المُحقّقين٦٧).

[١٢]

من الطويل:

١- وَمازالـتِ الأيّامُ تَستَدْرِجُ الفتى وتُمْلي لَهُ من حيثُ يَدْري،ولا يَدري

التّخريج: محاضرات الأُدباء٤/٦٢ .

[١٣]

من الوافر:

١- رَخـيصٌ:«كَيفَ أنتَ» إذا التَقينا وَغـالٍ عِنْدَهُمْ صِلَةُ الصَّديقِ
٢- فَـإنْ يَكُـنِ الرَّخيصُ تُريدُ مِنْهُمْ فَقِـفْ لَهُمُ على ظَهْرِ الطَّريقِ
٣- تَجِـدْ مِنْهُمْ مُسالَمَـةً وَبِرّاً وَتَسْـليماً يَـزيدُ على الحُقوقِ

التّخريج: تلقيحُ العُقول (عن كتاب أوهام المُحقّقين٦٨).

[١٤]

من الكامل:

١- لاتَقْـبَلَنَّ نَمـيمَةً بُلِّغْـتَها إنَّ النَّمـيمَةَ سُـمُّها مَسْـلولُ

٢- وَأخو النَّميمَةِ للمُروءةِ قاطِعٌ وَأخـو النَّميمَةِ للبِـلاءِ رَسولُ

التَّخريج: المناقبُ والمثالب ٤١٠ .

[١٥]

من الطويل:

١- رُجوعُ الفتى بالحَقِّ أحْسَنُ بالفتى وَأولى بِـهِ مِـن أنْ يَلِـجَّ بباطِلِ

٢- وَأخـرِ بمِثْلي أنْ يُراجِعَ رُشْدَهُ بِـتَرْكِ لِجاجٍ، أوْ مُماراة جاهِلِ

٣- أقِلْني،فَقَـدْ أصبَحْتُ رَهْناً لِزَلَّةٍ وَكَـمْ زَلَّـةٍ لاتُسْـتَقالُ لِعاقِلِ

التَّخريج: الأُنسُ والعُرس ٣١٩ .

وإنَّـني حـينَ أُقدِّمُ إضافتي هذهِ ،فلستُ أدَّعي أنّني استوفيتُ في هذا المُسـتدرَكِ كلَّ مافاتَ الأستاذ مناور من شِعرِ لمحمّدِ بنِ حازمٍ الباهليٍّ؛ ذلكَ أنَّ هـذا الرَّجُلَ غزيرُ الشِّعرِ، وأنَّ شِعرَهُ مبثوثٌ في الكثير من المظانِ التي لم تصل إلينا، أو التي لم نستطع الوقوفَ عليها، وندعو اللّهَ- جَلَّتْ قُدْرتُهُ- أنْ يوفِّـقَ الأستاذ مناور، أو غيرَهُ من الغيارى إلى الوقوف على مايَسدُّ الثُّثوقَ، ويَرتقُ الفُتوقَ. واللّهُ الموفِّق.

المصـــادر

- **الأغاني** (دارالكتب).
- **الأُنسُ والعُرس**- لأبي منصور الآبي- تح: الدكتورة أيفلين فريد يارد- دار النّمير للطّباعة- دمشق ١٩٩٩ .
- **أوهـامُ المُحَقّقين**-الدكتور محمد حسين الأعرجي- منشورات دار المدى-

دمشق٢٠٠٤ .

- **بكـــاءُ الـــنّاسِ عـــلى الشّباب**– لابنِ الجوزي– تح: هلال ناجي– (مجلّة المورد)– العدد الثالث–المجلّد الثاني(ص٩١-١٠٤)١٩٧٣ .
- **تاريخ بغداد**– للخطيب البغدادي– القاهرة١٩٣١ .
- **الــدُّرُّ الفريد وبيت القصيد**– لابن آيدمر– مخطوطٌ نَشَرَهُ بالتّصوير فؤاد سزكين– فرانكفورت– ألمانيا الإتّحاديّة١٩٨٨-١٩٨٩ .
- **ديوان محمود الورّاق**– جمعهُ وحقّقَهُ: عدنان محمد راغب العُبيدي– بغداد ١٩٦٩ .
- **طبقات الشّعراء**– لابنِ المُعتز– تح: عبد السّتّار أحمد فرّاج– دار المعارف بمصر١٩٦٨ – ط٢ .
- **الفهرست**– لابن النّديم– تح: رضا تجدد– طهران١٩٧١ .
- **محاضـــرات الأدباء**– للرّاغب الأصفهاني– تح:د.رياض عبد الحميد مراد– دار صادر– بيروت– ط١-٢٠٠٤ .
- **المُستطرف**–للأبشيهي– تح: إبراهيم صالح– دار صادر– بيروت١٩٩٩ .
- **معجـــم الشّـــعراء**– للمرزباني– تح: عبد السّتار أحمد فرّاج– دار إحياء الكتب العربيّة– القاهرة١٩٦٠ .
- **(كتاب) المناقب والمثالب**– لأبي الوَفاء ريحان بن عبد الواحد الخوارزميّ– عُني بتحقيقه: إبراهيم صالح– دار البشائر بدمشق– ط١-١٩٩٩.
- **الورقـــة**– لابن الجرّاح– تح: عبد الوهّاب عزّام وعبد السّتّار أحمد فرّاج– دار المعارف بمصر– ط٢(د.ت).

(أنباء مجمعية وثقافية)

التقرير السنوي عن أعمال

المجمع في دورة عام ٢٠٠٦ م

أعدّه بإشراف أمين المجمع

الأستاذ عدنان عبد ربه

فـــيما يلي عرض لأهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال:

أولاً- أعمـــال مجلـــس المجمع: عقد مجلس المجمع في هذه الدورة إحدى وعشرين جلسة، بحث فيها الأمور الآتية:

١- وافق على إيفاد الأستاذين الدكتور شاكر الفحام، والدكتور إحسان النص، إلى القاهرة للمشاركة في اجتماعات لجنة المعجم التاريخي التي انعقدت في المدة من ٤ إلى ٦ نيسان ٢٠٠٦م.

٢- ألف لجنة من السادة: الدكتورمروان المحاسني، الدكتورعبد الله واثق شهيد، الدكتورمكي الحسني الجزائري، الدكتور موفق دعبول، لدراسة مشروع اللائحة الداخلية للنظام الأساسي للهيئة العليا للذخيرة اللغوية العربية.

٣- رشح الدكتور رشدي راشد من جمهورية مصر العربية لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م، في ميدان الدراسات الإسلامية، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في ميدان خدمة الإسلام.

٤- ألف لجنة من السادة: الدكتور مروان المحاسني، الدكتورعبد الله واثق شهيد، الدكتور إحسان النص، لوضع قواعد اختيار الأعضاء المراسلين، وتحديد

واجباتهم وحقوقهم.

٥- عقد جلسة خاصة لتقويم أداء اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وكلف الدكتور إحسان النص والأستاذ شحادة الخوري وضع مقترحات للنهوض بالاتحاد وتنشيط أعماله، والسعي للتواصل المفيد بين المجامع كلها.

٦- وافق على قرار لجنة النشاط الثقافي عقد المؤتمر الخامس للمجمع من ٢٠ إلى ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦م، كما أقر المحاور التي وضعتها اللجنة لهذا المؤتمر.

٧- أقر التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٥م، وأوصى بطبعه في مجلة المجمع.

٨- انتخب الأستاذ الدكتور محمود السيد عضوًا في مكتب المجمع خلفًا للدكتور عبد الحليم سويدان رحمه الله.

٩- رشح الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي، عضو المجمع، لنيل جائزة كاتالونيا لعام ٢٠٠٧م.

١٠- تداول ما جرى في الاجتماع الذي عقدته السيدة الدكتورة نجاح العطار، نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٢٨، وضمَّ بعض السادة الوزراء والسيد رئيس المجمع، من أجل حماية اللغة العربية والتمكين لها، وطلبت فيه إلى المجمع تقديم تقرير يتضمن الوسائل التي يتبعها في حماية اللغة العربية والنهوض بها. وأقر المجلس تأليف لجنة برئاسة السيد رئيس المجمع وستة أعضاء، لدراسة محضر الاجتماع الذي عقدته الدكتورة نجاح العطار، ورفع التوصيات المناسبة لحماية اللغة العربية.

١١- رشح الدكتور محمد هيثم الخياط، عضو المجمع، لنيل جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م في ميدان اللغة العربية والأدب، ضمن

موضوع:قضايا المصطلحية في اللغة العربية،كما رشح الدكتور وهبة الزحيلي لنيل الجائزة في ميدان الدراسات الإسلامية، ضمن موضوع: أحكام العلاقات الدولية في الإسلام في حالتي السلم والحرب.

١٢- وافق على إيفاد الأستاذين الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، والدكتور إحسان النص عضو المجمع، إلى القاهرة، للمشاركة في الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع القاهرة الذي سيعقد في المدة من ١٧ إلى ٢٠٠٧/٣/١٩م، ومؤتمر المجمع الذي سيعقد مدة أسبوعين بدءاً من ٢٠٠٧/٣/٢٠

١٣- ألف لجنه من السادة: الدكتور عبدالله واثق شهيد، الدكتور مكي الحسني الجزائري، الدكتور موفق دعبول، لدراسة مشروع الذخيرة اللغوية العربية، والمشاركة التي سيقدمها المجمع في إنجازه، وبيان آلية العمل فيه.

١٤- وافق على عقد الاجتماع الخامس لشبكه تعريب العلوم الصحية في منظمة الصحة العالمية في دمشق، بالتعاون مع المجمع وكلية الطب في جامعة دمشق، وفوض إلى السيد نائب رئيس المجمع التنسيق مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في المنظمة وكلية الطب في جامعة دمشق،لإنجاح الاجتماع.

١٥- وافق على استضافة الدكتور يانوش دانيتسكي (رئيس قسم اللغة العربية والإسلامية في معهد الدراسات الاستشراقية في جامعة وارسو) لإلقاء محاضرة مساء الأربعاء ٢٠٠٦/٢/٨ في قاعة محاضرات المجمع بعنوان: «ترجمات الأدب العربي إلى اللغة البولونية».

١٦- أقر متابعة التنسيق مع المجمع التونسي (بيت الحكمة) لتنظيم لقاء سوري تونسي بعنوان: «ثقافة العلم عند العرب قديمًا وحاضرًا»، وكلّف اللجنة التي ألفها المجلس عام ٢٠٠٥ من السادة:

الدكتور مروان المحاسني، الدكتور عبد الله واثق شهيد، الأستاذ جورج صدقني، الأستاذ شحادة الخوري، دراسة الموضوع، وتقديم تقرير عنه إلى المجلس.

واتفق على أن يشارك في اللقاء الدكتور مروان المحاسني، الدكتور موفق دعبول، والأستاذ شحادة الخوري، والدكتور مكي الحسني من المجمع، والدكتور نشأت حمارنة من دمشق، وثلاثة باحثين مختصين من معهد التراث العلمي العربي بحلب.

١٧- انتخب الدكتور مازن المبارك عضوًا في المجمع.

١٨- فوض إلى السيد نائب رئيس المجمع، رئيس اللجنة المؤلفة في العام الماضي (لدراسة موضوع إنشاء موقع للمجمع على الشابكة «الإنترنت»)، تقديم الاقتراحات المناسبة بهذا الشأن.

١٩- كلِّف الدكتور محمود السيد إعداد بحث للمشاركة في العيد الماسي لمجمع القاهرة، ومؤتمره السنوي في دورته الثالثة والسبعين.

ثانيًا- أعمال مكتب المجمع

عقد مكتب المجمع في هذه الدورة أربعًا وعشرين جلسة، بحث فيها شؤون المجمع، ودار الكتب الظاهرية، وانتهى إلى جملةٍ من القرارات والأعمال، أهمها:

١- الموافقة على ترميم دار الكتب الظاهرية، وتكليف الدكتور المهندس موفق دغمان، مدير وحدة دمشق للعمارة والتراث، إعدادَ الدراسة الهندسية اللازمة للمشروع، وقد بلغت تكلفة الدراسة/٢,٨٣٩,٩١٥/ ليرة سورية، وتمّ تكليف الدكتور المهندس مُسلّم السّقا أميني، مدير مؤسسة التراث والعمارة تدقيقَها، وبلغت تكلفة التدقيق/٩٤٦,٦٤٠/ليرة سورية.

٢- الموافقة على كسوةِ مدخلي المجمع الشمالي والجنوبي وتجميلهما مع

سطح المرأب والقبو، وغرفتي الاستعلامات والسائقين، وتكليف شركة الدراسات إعداد الدراسة الهندسية لذلك.

٣- الموافقة على الاشتراك في معرض الكتاب الثاني والعشرين الذي أقيم في مكتبة الأسد في المدة من ١- ٢٠٠٦/٨/١٠م، والموافقة على الاشتراك، بصحيفة واحدة من كلٍّ من الصحف الصادرة عن الجبهة الوطنية التقدمية، وهي سبع صحف.

٤- إيفاد بعض العاملين لاتباع دورات تأهيل وتدريب في اختصاصات متنوعة، وهم:المهندس جلال رمضان:دورة برنامج التصميم والتحليل الإنشائي، والمراقب الفني رؤوف يوسف :دورة إدارة مشاريع، والآنسة ريم القزّاز، والسيدة ابتسام حجازي: دورة تدريبية في السكرتارية التنفيذية.

٥- التعاقد مع الأستاذ مأمون صاغرجي لمتابعة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، الذي كانت تقوم به الأستاذة سكينة الشهابي رحمها الله.

٦- ندب القائمة بالأعمال المهندسة زهيرة حمزة، العاملة في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، إلى الهيئة الفنيّة في المعلوماتية في المجمع مدة عام.

٧- نقل الأستاذ حسين أسود العامل من الفئة الأولى إلى عضوية الهيئة الفنية بصفة قائم بالأعمال في المجمع، ونقل الأستاذ مصطفى الخطيب من الفئة الثانية إلى الفئة الأولى بعد حصوله على إجازة في الآداب، قسم اللغة الإنكليزية.

٨- إضافة الندوة العلمية التي أُقيمت بعنوان :«مشروع البرمجيات الحرة» برئاسة الأستاذ مروان البواب عضو المجمع المراسل، وذلك بناءً على كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مدة يومين .

٩- استخدام ثلاثة عاملين مدّة ثلاثة أشهر لحاجة المجمع إليهم،وهم:

حارس، وعاملة حاسوب، وعاملة إدارية ومحاسبة.

الموافقة على إنشاء موقع للمجمع على الشابكة (الإنترنت) بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط.

ثالثًا – أعمال لجان المجمع

١– لجنة المجلة والمطبوعات:

عقدت اللجنة في هذه الدورة تسع عشرة جلسة، قامت فيها بالأعمال الآتية:

وافقت على طباعة المجلد السابع والستين من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي، رحمها الله.

وافقت على اقتراح الدكتور مكي الحسني الجزائري إرسال كتب إلى الأعضاء المراسلين وغيرهم لاستكتابهم في موضوعات محددة، أو في موضوعات يختارونها لنشرها في المجلة.

وافقت على طباعة كتاب (معجم أسماء الأفعال في اللغة العربية) تأليف الدكتور أيمن الشوا.

أقرت قائمة تعويضات كُتّاب المقالات التي نُشرت في مجلة المجمع، كما أقرت قائمة تعويضات مقوّمي تلك المقالات.

وافقت على طباعة كتاب ديوان أبي النجم العجلي، صنعة: الدكتور محمد أديب جمران.

قررت نشْر بحوث ندوة اللغة العربية والتعليم، في مجلة المجمع، وبحوث المؤتمرات التي عقدها المجمع في كتب مستقلة.

قررت أن تعهد بمراجعة كتاب (علم الدلالة في المعجم العربي) للدكتور عبد القادر سلامي إلى الدكتور أحمد قدور عميد كلية الآداب في جامعة حلب.

وافقت على دفع المجلد (٦٨) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق: الأستاذة سكينة الشهابي رحمها الله، إلى مطبعة دار البعث.

تابعت مناقشة المقترحات التي جمعها الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري من بعض السادة الأعضاء حول سبل تطوير بنية مجلة المجمع.

٢-لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

عقدت لجنة المخطوطات وإحياء التراث في هذه الدورة أربع عشرة جلسة اطّلعت خلالها على الكتب التالية:

(أثر المحتسب في الدراسات النحوية) تأليف: الدكتور حازم سليمان الحلي. واعتذرت اللجنة من عدم طبع الكتاب.

(كتاب الأحجار) صنعة: الصاحب بن عبّاد، تحقيق: الأستاذ هلال ناجي، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع.

(كتاب الدواهي) تصنيف: أبي عبيدة، معمر بن المثنى، وأبي العباس، محمد بن الحسن، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع أيضًا.

ابن دينار الهاشمي الأحول، تحقيق: الأستاذ هلال ناجي، وقد قررت اللجنة طبعه في مجلة المجمع.

«تاريخ مدينة دمشق» تأليف: ابن عساكر «الجزء الخمسون» تحقيق الأساتذة: رياض مراد، محمود الأرناؤوط، ياسين الخطيب، وأعيد الكتاب إلى محققيه لتصحيح بعض الأخطاء الموجودة فيه.

«البرق المتألق في محاسن جلِّق» تأليف: ابن الرّاعي، تحقيق: الأستاذ محمد أديب الجادر، وقد قررت اللجنة طبعه.

٣- لجنة المكتبة

عقدت اللجنة في هذه الدورة جلستين، اتخذت فيهما القرارات الآتية:

اشتراك المجمع في معرض مكتبة الأسد الثاني والعشرين الذي أقيم في ١/٨/ ٢٠٠٦ بجناح مستقل.

ترشيح عاملين في المجمع والظاهرية إلى دورة في ترميم الكتب والمخطوطات بمكتبة الأسد.

إجراء الفهرستين الوصفية والتحليلية للكتب والمخطوطات في المجمع والظاهرية.

الاقتراح على المكتب إحالة دراسة إجراء صيانة شاملة وإصلاح لأنظمة التهوية والإنارة والحرارة في مستودعات الكتب إلى مكتب هندسي مختص.

متابعة إنشاء موقع للمجمع على الشابكة الدولية.

هذا وقد بلغ عدد الكتب العربية التي زودت بها مكتبة المجمع (٧٠٤) كتب، منها (٥٢٠) إهداء.

٤- لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية والكيميائية والمعلوماتية.

أ- (مصطلحات الفيزياء):

عقدت اللجنة في هذه الدورة عشر جلسات، جرى فيها:

- إنجاز المرحلة الثانية من معجم مصطلحات الفيزياء الموحدة (مشروع توحيد المصطلحات بين الجامعات السورية) وتضم:

- إضافة المصطلح الفرنسي المقابل لمصطلحات الفيزياء في اللغة الإنكليزية، وإضافة الأصل اليوناني واللاتيني.

- الاجتماع بممثلي الجامعات السورية عن أقسام الفيزياء الأساتذة:

الدكتور بسام معصراني (دمشق)، والدكتور مصطفى أفيوني (حلب)، والدكتور معد النجار (حمص)، والدكتور حسن سلمان (اللاذقية) ومناقشة ملاحظات أقسام الفيزياء حول المشروع.

– الشروع في المرحلة الثالثة من المعجم، وهي مرحلة إعداد نسخة منقحة من المعجم الثلاثي اللغات، تضاف فيها تعريفات مصطلحاته، تمهيدًا لإخراج المرحلة الرابعة والأخيرة، التي تستكمل فيها المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية التي لم ترد في الكتب الجامعية المدروسة، مأخوذة من معجمٍ أو أكثر من المعجمات المعتمدة على نطاقٍ واسع.

ب– (مصطلحات الكيمياء):

عقدت اللجنة في هذه الدورة تسع جلسات تم فيها:

– اقتراح التعاقد مع الخبراء: الأساتذة الدكتور وفائي حقي، والدكتور عبد الحليم منصور، والدكتور أحمد حاج سعيد، والدكتورة هيفاء العظمة، والدكتور محيي الدين جمعة، للعمل في مشروع توحيد مصطلحات الكيمياء بين الجامعات السورية.

– دراسة المصطلحات المبدوءة بالأحرف: (a-b-c-d-e-f) من هذا المشروع. وما زال العمل مستمرًا لدراسة المصطلحات المبدوءة ببقية الحروف.

٥ – لجنة النشاط الثقافي:

عقدت اللجنة في هذه الدورة ستًا وعشرين جلسة، اتخذت فيها القرارات الآتية:

– إلغاء المحاضرات الافتتاحية الخاصة بجلسات المؤتمر الخامس، باستثناء المحاضرة التي تلي حفل الافتتاح.

– اقترحت دعوة الأعضاء المراسلين لحضور المؤتمر الخامس، فاختارت

الدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور محمد علي آذرشب، من خارج سورية، والدكتور علي أبو زيد، والدكتور مازن المبارك، والبطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص، والدكتور جورج عبد المسيح من لبنان، والدكتور محمود فاخوري والدكتور عبد الإله نبهان، والدكتور عبد الكريم الأشتر من خارج دمشق.

– طلبت اللجنة من أمينها إعداد بطاقة تقويم خاصة بالمؤتمر الخامس توزع على المشاركين والحضور.

اقترح الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيسُ المجمع الأردني، لإلقاء كلمة في حفل الافتتاح الذي سيقام في مكتبة الأسد ممثلاً عن الباحثين المشاركين في المؤتمر الخامس.

٦– لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

عقدت اللجنة سبع عشرة جلسة نظرت فيها في البحوث الآتية:

«**أخطـــاء شـــائعة**» إعداد الأستاذ الدكتور إحسان النص وقد صححتها اللجنة، وأحالتها على المجلس لمناقشتها وإقرارها ثم طبعها.

«**من مواضع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحه**» للدكتور محمود السيد، وبعد مناقشته وتعديل بعض فقراته أحيل على مجلة المجمع لطبعه.

«**علامات الترقيم**» للأستاذ شحادة الخوري، وقد أعيد النظر فيه عدة مرات وصحح، ووضعت شواهد مناسبة له، ثم أحيل على مجلة المجمع لطبعه.

ناقشت اللجنة بحثًا آخر بعنوان «**أخطاء شائعة**» أعدها الدكتور إحسان النص والدكتور محمود السيد، وما زالت قيد المناقشة.

شرعت اللجنة في مناقشة القرارات الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دوراته الثامنة والأربعين إلى الثامنة والستين.

٧- لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية :

عقدت لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية في هذه الدورة اثني عشر اجتماعًا درست خلالها المصطلحات التي تبدأ بالحرف /a/ ووصلت إلى الحرف /d/.

٨ - لجنة مصطلحات علوم الأحياء النباتية:

بلغ عدد جلسات اللجنة في هذه الدورة عشر جلسات جرى فيها :

تقاسم السادة أعضاء اللجنة مصطلحات الكتب الجامعية الخاصة بعلم النبات كلٌّ حسب اختصاصه، لدراستها ووضع التعريف والشرح المناسبين، وبدأت اللجنة بدراسة بعض هذه المصطلحات وإقرارها. ولا يزال العمل جاريًا على هذا النحو. وقد تم إلى الآن وضع التعريف والشرح المناسبين مع ترجمة المصطلح إلى اللغة الفرنسية لنحو (٤٠٠) مصطلح.

٩ - لجنة العلوم الزراعية:

عقدت لجنة العلوم الزراعية في هذه الدورة اثنتي عشرة جلسة جرى فيها إنهاء الحرف (a) من مصطلحات قسم الاقتصاد الزراعي، وبلغ عدد مصطلحات هذا الحرف (٢٦٥) مصطلحًا، وتقوم اللجنة بتعريف مصطلحات الحرف (a) من قسم الإنتاج الحيواني، ووصلت حتى الرقم (١٦٠).

١٠ - لجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية:

بلغ عدد جلسات لجنة العلوم الجيولوجية في هذه الدورة ثماني عشرة جلسة درست فيها مصطلحات الحرف الأول (a) وأوشكت على الانتهاء من الصفحات الخمسين الأولى، وتمت طباعة مصطلحات جديدة من الصفحة (٥١ حتى ٧٥).

١١- لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها:

عقدت اللجنة في هذه الدورة ثلاث عشرة جلسة جرى فيها ما يلي:

التنسيق بين بعض المقابلات العربية للمصطلحات المشتركة بين علوم الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان، مما أنجزته لجان العلوم الفرعية المتخصصة من مشروع توحيد المصطلحات بين الجامعات السورية.

الاطلاع على باب الملابس وأنواعها من مشروع معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة الذي تعده لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة المعاصرة في المجمع، والتنسيق بين المصطلحات الواردة فيه وبين ما قد يرد في علوم أخرى خارج مجال الألبسة.

١٢ —لجنة ألفاظ الحضارة المعاصرة:

تابعت لجنة ألفاظ الحضارة عملها خلال عام ٢٠٠٦ لتنفيذ مشروع معجم الحضارة المعاصرة فعقدت أربعين جلسة، درست فيها البطاقات المعدَّة لباب الملابس من القسم الأول: الحياة اليومية، وقد أعدها مساعد اللجنة الأستاذ حسان عبود طلب، وعددها /٢١٣/ بطاقة، فأقرت مصطلحاتها الإنكليزية والفرنسية ومقابلاتها العربية، معتمدة على أوثق المراجع، ومتبعة الطرائق المعتمدة في وضع المصطلح.

وقد وضعت إزاء كل مصطلح عربي تعريفاً له توخَّت فيه الوضوح والإيجاز.

كذلك قامت بدراسة مجموعة من أسماء الملابس مكملة للبطاقات السابقة، ويبلغ عددها /٨٤/ اسمًا، وبدراسة مجموعة ثانية باللغة العربية لأسماء ملابس عربية مازالت تستعمل في بلادنا في العصر الحاضر، ويبلغ عددها /٦٩/ اسمًا.

وستقوم اللجنة بطبع ما أقرته ضمن جداول تُعرض على مجلس المجمع لاتخاذ قرار بإخراجه باسم المجمع.

كما قامت بتقديم بعض المقترحات المفيدة إلى الخبراء العاملين معها لإغناء

أعمالهم بألفاظ جديدة تضاف إليها في أبواب محددة.

- دار الكتب الظاهرية:

استمر العمل في خدمة القراء والباحثين في المكتبة حتى نهاية الشهر الخامس، وتوقف استقبال القراء مع بداية الشهر السادس بسبب نقل الكتب من الظاهرية إلى مبنى العادلية.

تم نقل الكتب المسجلة في سجلات رسمية من الظاهرية إلى العادلية، ووضعت على رفوفها وفق ما كانت موضوعة في الظاهرية بترتيبها وأرقامها.

نقلت الكتب غير المسجلة ضمن سجلات رسمية ومعظمها كتب بلغات غير متداولة في الدار، كالعثمانية القديمة والفارسية والروسية والإسبانية وغيرها، ووضعت في إحدى قاعات العادلية، بانتظار الانتهاء من ترميم الظاهرية.

نقلت المجلات والدوريات الأجنبية من الظاهرية إلى العادلية، ووضعت في غرفة خاصة في العادلية.

بلغ عدد المشتركين في المكتبة (٥٠١٠) مشتركين.

ورد خلال عام ٢٠٠٦ (١٤٥) عددًا من الدوريات ضمن خمسة وثلاثين عنوانًا.

وقام المجمع بشراء /٤٤/ كتابًا باللغة العربية من معرض كتاب مكتبة الأسد و/٢٢/ كتابًا باللغات الأجنبية.

مكتبة المجمع:

جرى إغناء مكتبة المجمع هذا العام بـ (٧٠٤) كتب، منها (٥٢٠) إهداء، و(١٨٤) شراءً.

وبهذا يصبح عدد الكتب في المكتبة العربية (٢٩٥٢٤) كتاب.

كما زودت المكتبة الأجنبية في المجمع بـــ(٥٠) كتابًا منها (٣٦) كتابًا إهداء و(١٤) كتابًا شراء. وبذا يصبح عدد الكتب الأجنبية في المجمع (٧٨٤٦) كتاب. وزودت المكتبة أيضًا بـــ(٢٤) مجلة أجنبية متنوعة، وأصبح مجموع عناوين المجلات الأجنبية (٢٩٦) عنوان.

مؤتمر المجمع

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، عقد المجمع مؤتمره الخامس بعنوان «اللغة العربية في عصر المعلوماتية» وذلك في المدة من ٢٠ – ٢٢ تشرين الثاني من عام ٢٠٠٦ في قاعة محاضراته. وقد شارك في المؤتمر عدد كبير من الباحثين العرب من داخل القطر وخارجه وناقشوا فيه المحاور الآتية:

المحور الأول – اللغة العربية ومجتمع المعرفة.

المحور الثاني – اللغة العربية وتقانة المعلومات.

المحور الثالث – اللغة العربية والفجوة الرقمية.

المحور الرابع – المحتوى العربي على الشابكة (الإنترنت).

بدأ المؤتمر بحفل افتتاح أقيم في قاعة المحاضرات في مكتبة الأسد، في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٠/١١/ ٢٠٠٦، حضره حشد كبير من السادة الوزراء وأعضاء مجلس الشعب والسفراء العرب ورؤساء مجامع اللغة العربية والعلماء والأدباء، إضافة إلى جمهور كبير من المثقفين والمهتمين باللغة العربية.

وقد مثلت السيدة الدكتورة نجاح العطار في حفل الافتتاح سيادة رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد، وألقت كلمة أكدت فيها تقدير السيد الرئيس لمكانة اللغة وأهمية الفكر، وبينت أهمية الثقافة ودورها في بناء الإنسان والارتقاء

بالوطن وتقدمه ورسم حدود المستقبل، وأكدت أن قوة هذه الثقافة من قوة اللغة.

ثم ألقى الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق كلمةً استعرض فيها الموضوعات والمحاور التي سيتناولها المؤتمر في جلساته.

ثم كانت كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الذي تحدث باسم الباحثين المشاركين في المؤتمر، مبينًا أهمية البحث عن موقع اللغة العربية الفصيحة في عصر المعلوماتية والثورة التقنية في وسائل الاتصالات المسموعة والمقروءة والمرئية، شاكرًا الدور الريادي الذي تقوم به سورية في حماية اللغة العربية والتراث العربي.

ثم كانت المحاضرة الختامية في حفل الافتتاح للدكتور نبيل علي، مدير مؤسسة هندسة اللغة العربية في القاهرة وكانت بعنوان: «اللغة العربية والانفجار المعرفي» وقد تحدث فيها عن المعرفة وظاهرة انفجارها وعن العلاقة بين اللغة والمعرفة.

ثم عقدت بعد ذلك أربع جلسات في قاعة المحاضرات في المجمع على مدى الأيام الثلاثة للمؤتمر ناقشت موضوعات المؤتمر المدرجة في محاوره.

وختم المؤتمر بجلسة خصصت لقراءة التوصيات التي خلص إليها، قامت بوضعها لجنة الصياغة. ورفع المشاركون برقية شكر وتقدير إلى السيد رئيس الجمهورية لرعايته هذا المؤتمر.

ثم ألقى الدكتور علي القاسمي كلمة ضيوف المؤتمر، عبّر فيها عن شكرهم وتقديرهم لسورية، لما لقوه من حرارة الاستقبال وكرم الضيافة ولطف المعاملة، ومبديًا إعجاب السادة الباحثين بما تميز به هذا المؤتمر من حسن التخطيط والإعداد ودقة التنظيم، منوهًا بالمشاركة المكثفة المهمة للعلماء المعلوماتيين السوريين الشباب في أعمال هذا المؤتمر، وما قدّموه من حلول لبعض مشكلات استعمال اللغة العربية في الحاسوب.

كذلك ألقى الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق كلمة اختتم فيها أعمال المؤتمر الخامس، مستعرضًا ما جرى فيه من أعمال ومناقشات، شاكرًا للسادة الباحثين مشاركتهم الغنية وجهودهم الموفقة راجيًا متابعة العمل في تعزيز العربية ورفع شأنها.

حفلات المجمع ومحاضراته

أقام المجمع مساء يوم الأربعاء ٢٠/٩/٢٠٠٦ في قاعة محاضراته حفل استقبال للأستاذ الدكتور مازن المبارك عضو المجمع الجديد

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور المبارك عضوًا في جلسته الثانية عشرة التي انعقدت بتاريخ ١٤/٦/٢٠٠٦ وصدر المرسوم ذو الرقم (٢٤١) والتاريخ ٥/٧/٢٠٠٦ بتعيينه عضوًا في المجمع .

وقد ألقيت في حفل الاستقبال الكلمات الآتية :

-كلمة رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام.

-كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد في استقبال العضو الجديد.

-كلمة الأستاذ الدكتور مازن المبارك وقد تحدث فيها عن سلفه الأستاذ عاصم البيطار رحمه الله .

وفي نهاية الحفل قام السيد رئيس المجمع بتقليد الدكتور مازن المبارك شعار المجمع.

وشارك المجمع جامعة دمشق ونقابة المعلمين في حفل التأبين الذي أقيم على مدرج جامعة دمشق في ٢٣/٦/٢٠٠٦ للأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، عضو المجمع الذي توفاه الله بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٠٦ وهو من مؤسسي كلية العلوم في جامعة دمشق، وشغل منصب وزير الزراعة، ووكيل لجامعة دمشق. وكان علمًا من أعلام الفكر واللغة في جامعة دمشق ومجمع اللغة العربية.

وقد ألقيت في الحفل الكلمات الآتية:

-كلمة جامعة دمشق للأستاذ الدكتور وائل معلاّ رئيس الجامعة.

-كلمة مجمع اللغة العربية للأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع.

-كلمة نقابة المعلمين للأستاذ الدكتور أحمد المناديلي.

-كلمة عمادة كلية العلوم للأستاذة الدكتورة ابتسام حمد – عميدة الكلية.

-كلمة أصدقاء الفقيد للأستاذ الدكتور محمد أبو حرب.

-كلمة طلاب الفقيد للأستاذ الدكتور محيي الدين عيسى.

-كلمة أسرة الفقيد للدكتور رائد سويدان – نجل الفقيد.

أما المحاضرات التي ألقيت في قاعة المجمع فهي:

١- محاضرة الدكتور يانوش دانيتسكي، رئيس قسم اللغة العربية والإسلامية في معهد الدراسات الاستشراقية في جامعة وارسو، وعنوانها «ترجمات الأدب العربي إلى اللغة البولونية»، وألقيت مساء الأربعاء ٨/ شباط ٢٠٠٦.

٢- محاضرة الدكتور إحسان النص وعنوانها «السخرية من الذات في الأدب العربي القديم»، وألقيت مساء الأربعاء ٢٠٠٦/٣/١٥ .

٣- محاضرة الدكتور عبد الكريم اليافي وعنوانها " «جذور لفظي السلطة والسلطان في فقه اللغة العربية وتصوراتهما الأولى في العلوم الإنسانية الحديثة» وألقيت مساء الاربعاء ٢٠٠٦/٤/١٩.

موازنة المجمع:

تشمل موازنة المجمع مجموع الموازنتين الجارية والاستثمارية :

أ-الموازنة الجارية:

بلغ الاعتماد الكلي للموازنة الجارية في عام ٢٠٠٦ (٢٤,٤٥٧,٨٥٧) ل.س أربعة وعشرين مليونًا، وأربعمئة وسبعة وخمسين ألفًا، وثمانمئة وسبعًا وخمسين ليرة سورية، وبلغ مجموع ما أنفق منها في العام نفسه (٢٤,٤٠٠,٦٠٤) ل.س أربعة

وعشرين مليونًا، وأربعمئة ألف، وستمئة وأربع ليرات سورية.

وقد بلغت نسبة الإنفاق في هذه الموزنة ٩٩,٨ ٪

ب– الموازنة الاستثمارية

بلغ الاعتماد الكلي للموازنة الاستثمارية في عام ٢٠٠٦ (١١,٠٠٠,٠٠٠) ل.س أحد عشر مليون ليرة سورية.

وبلغ مجموع ما أنفق منها (١٠,٠١٣,٩٢٠) ل.س عشرة ملايين، وثلاثة عشر ألفًا، وتسع مئة وعشرين ليرة سورية.

وبلغت نسبة الانفاق في هذه الموازنة ٩١٪

وبذلك فإن نسبة الإنفاق في موازنة المجمع ٩٧,٤ ٪

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٧

أ – الكتب العربية

أ. سعد الدين المصطفى

- **آفاق العمارة الإسلامية المعاصرة**/ د. محيي الدين خطيب سلقيني، حلب، فرع نقابة المهندسين، ١٩٩٥م.
- **أبحاث المؤتمر السنوي الرابع والعشرين للعلوم**/ إعداد: د. مصطفى موالدي، م. ياسمين شويش، إشراف: أ. د. علاء الدين لولح، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **أبحاث الندوة العالمية الثامنة لتاريخ العلوم عند العرب**/ إعداد: د. مصطفى موالدي، أ. مصطفى شيخ حمزة، إشراف: أ. د. علاء الدين لولح، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **أثر الشعر العربي في الشعر الفارسي**/ د. فكتور يوسف الكك، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٥٨، الحولية ٢٧).
- **إجازة القراءات/ الحافظ حسين فهمي الإسكداري، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.**
- **إضاءات حلبية**/ م. عبد الله حجار، حلب، المطبعة الرقمية، ط١، ٢٠٠٧م.

- **التيارات والمذاهب الفنية والأدبية**/ د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **الخوف من السرطان**/ د. احمد محمد عبد الخالق، د. مايسة أحمد النيّال، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٥٧، الحولية ٢٧).
- **الأديب – النص – الناقد، مقالات: د. طه حسين وآخرون**، اختيار: حسن حميد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧.
- **الاكتفاء بما روي من أصحاب الكساء**/ ابن عساكر علي بن الحسن، تلخيص: محمد حسين الحسيني الجلالي، دمشق: دار كنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- **الأعلاق الخطيرة في ذكرى أمراء الشام والجزيرة**/ تأليف ابن شداد، جـ١، حققه: يحيى زكريا عبّارة، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **الحركة الفكرية في حلب**/ عائشة الدّباغ، حلب: مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **الدراري في ذكر الذراري**/ كمال الدين بن العديم، عُني به محمد كمال، حلب: مديرية المطبوعات والكتب الجامعية، ٢٠٠٦م.
- **الرسالة**/ الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٣هـ.
- **الشرق الأوسط عشية الحداثة**/ تأليف: أبراهام ماركوس، ترجمة: هيثم حمام، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **العلامة... الشيخ محمد بدر الدين الحسني**/ د. مازن المبارك، د. هشام

برهاني، دمشق: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٧م.

- **العمارة البيئية/** د. محي الدين خطيب سلقيني، دار قابس، ط١، ١٩٩٤م.
- **الفن والصنعة في مذهب أبي تمّام/** د. محمود الربداوي، جامعة دمشق، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- **الماء في التراث العربي الإسلامي/** د. بغداد عبد المنعم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، (إحياء التراث العربي؛ ١٤٢) ٢٠٠٦م.
- **المعجم/** أحمد بن حجر الهيتمي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٣هـ.
- **المكتبة في القرن الحادي والعشرين/** بيتربروفي، ترجمة: د. سليمان بن صالح العقلا، أ. سماء زكي المحاسني، الرياض: النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **الملاحظات والتعقيبات حول كتاب لباب النقول في موافقات جامع الأصول لابن الأثير/** تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، طبع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٥هـ.
- **إلهيات النجاة/** الشيخ الرئيس ابن سينا حسين بن عبد الله، تحقيق: سيّد يحيى يثربي، قم، إيران، ١٣٨٥هـ.
- **الموسم/** محمد سعيد الطريحي، هولندا: المركز الوثائقي لتراث أهل البيت.
- **النقد العربي القديم/** د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **أوراق الذهب فيما كتب عن حلب/** عامر مبيض، دمشق: دار حراء، ط١،

١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة/** محمد جعفر الأُسترآبادي، إعداد مركز العلوم والثقافة الإسلامية، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ.
- **البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة/** د. علي فهمي خُشيم، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ومجمع اللغة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.
- **تتمّة ديوان الصنوبري/** حققها: لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب: دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- **تبصرة المتعلمين في أحكام الدين/** تأليف: الحسن بن يوسف بن المطهر، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.
- **تحفة الأحباب للمسترشدين من الطلاب/** داود الناصري، تحقيق: د. داود الدليمي ود.عبد الرحمن العيساوي، بغداد: ديوان الوقف السني، ط ١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة/** لأبي بكر بن الحسين بن عمر ابن محمد المراغي الشافعي، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **ثورة الزنج/** د. عصام سخنيني، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧م، (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة، ٢٥٩، الحولية ٢٧).
- **جريدة النسب لمعرفة من انتسب/** تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- **جواهر اللآلئ في سلسة آل الجلالي/** تأليف: محمد حسن الجلالي، ط١،

١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- **حاشية إرشاد الأذهان/** زين الدين بن علي العاملي، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ.
- **حلب القديمة والحديثة/** فؤاد هلال، حلب: ٢٠٠٧م.
- **حلب ترحب بكم جولة أثرية/** عامر رشيد مبيض، حلب: دار القلم، ٢٠٠٦م.
- **حلب حضارة وعمارة/** ميكل أرنال، حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- **حلب عبر العصور/** جورج بلوا دو روترو، ترجمة: د. زبيدة القاضي، حلب: مركز الإنماء، ط١، ٢٠٠٢م.
- **حلب عمارة المدينة القديمة نماذج وتجارب/** محمود زين العابدين، حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **حلب ذاكرة الأيام/** عامر رشيد مبيض، حلب: دار القلم العربي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **حلب والحروب الصليبية/** إعداد جميل جمول، جامعة دمشق، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **حمص مسيرة مدينة (١٩٢٠- ٢٠٠٦)/** أحمد الحاج يونس، سلسلة الدراسات التاريخية، دمشق: دار إنانا، ٢٠٠٧م.
- **خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد/** تأليف: محمد سعيد الراوي، حققه: د. عماد عبد السلام رؤوف، بغداد: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **دراسات أدبية ونقدية في قضايا المصطلح والنقد وعلم الجمال**/ د. محمود الربداوي، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٤م.
- **رشحات عين الحياة**/ حسين الكاشفي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٧هـ.
- **سعد الله الجابري وحوار مع التاريخ**/ رياض الجابري، دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٦م.
- **سلسلة الرواة للإجازات والإثبات**/ د. ت.
- **سانحة أدب من ساحة حلب، ويليه: القول المبذول في تراجم الفُحول**/ محمد خورشيد أفندي الكردي، تحقيق: محمد كمال، حلب: دار فُصّلت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **شخصيات وصور أدبية**/ د. إبراهيم الكيلاني، دمشق: دار طلاس، ١٩٩٣م.
- **شرح الأربعين النووية**/ تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **شروح التسهيل كتاب التذييل والتكميل**/ أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: د. وليد السراقبي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **عمر أبو ريشة والفنون الجميلة**/ د. أحمد زيّاد محبّك، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م (سلسلة النقد الأدبي).
- **عودة الكواكبي**/ د. محمد جمال طحّان، حلب: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **غاية الأماني في حياة شيخنا الطهراني**/ محمد حسين الحسيني الجلالي، ، المدرسة المفتوحة، شيكاغو.

- **فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي/** أبو محمد الأعرابي، الأسود الغندجاني، دمشق: دار العصماء، ٢٠٠٧م.
- **فهرس التراث/** تأليف: محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **في سبيل العربية/** د. محمد هيثم الخياط، القاهرة: مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **قراءة في الإبداع الأدبي الحلبي/** محمود محمد أسد، مطبعة جامعة حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **كتاب معاني الحماسة/** الحسين بن علي النمري، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مطبعة المدني، المؤسسة المصرية السعودية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- **كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي/** د. محمود الربداوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- **مبادئ النقد/** د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **مختصر التواريخ الشرعية/** محمد النعمان المفيد، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، المدرسة المدنية، شيكاغو، ١٤٢٢هـ.
- **مختارات من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد/** تصنيف زكرياء محمد القزويني، قاسم وهب، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٦م.
- **محافظة حلب في قوافي الذهب/** جمع ودراسة وتحقيق: د. كارين صادر، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- **مقدمة في أصول التصريف/** طاهر بن أحمد بن بابشاذ، حققه: د. حسين علي السعدي، أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ديوان الوقف السني، بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **مدارس حلب الأثرية/** تأليف: م. لمياء الجاسر، حلب: دار الرضوان، دار الأنصاري، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- **مقدمة الأدب/** الزمخشري محمود بن عمر، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي، ، المدرسة المفتوحة، شيكاغو، ١٤٢٧هـ.
- **مسرح حلب في مئة عام ١٩٠٠- ٢٠٠٠م/** محمد هلال دملخي، دمشق، دار عكرمة، ٢٠٠١م.
- **معادن الذهب في الأعيان المشرفة/** أبو الوفاء العرضي، تحقيق: محمد التونجي، حلب، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **مسيحيون ومسلمون معًا/** د. إيليا طعمة، حلب، مطبعة الروم، ٢٠٠٦م.
- **مشروع توحيد المصطلحات العلمية في الجامعات السورية، معجم مصطلحات العلوم الفيزيائية**، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **مشيخة الحديث/** محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني، المدرسة المفتوحة.
- **مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين/** تحقيق: عمر بن موفق النشوقاتي، بيروت: دار البشائر، دمشق: دار الغوثاني، ٢٠٠٧م.
- **معاني الأحرف العربية/** إياد الحصني، دمشق: المؤلف، ٢٠٠٦م.
- **معجم التراث (بيت السكن (أدب، لغة، تاريخ)/** سعد بن عبد الله بن

جنيدل، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ.

- **مقالة في تحقيق إقامة الحدود في هذه الأعصار/** محمد باقر الشفتي، تحقيق: علي أوسط ناطفي، لطيف فرادي، إعداد مركز العلوم والثقافة الإسلامية، إيران، ١٤٢٧هـ.
- **مقومات السعادة الزوجية كما يريدها الشباب الكويتيون/** د. عيسى محمد البلهان، د. فهد الناصر، الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٧، (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٥٦، الحولية ٢٧).
- **مؤتمر الإعلام العربي، رؤية شاملة/** وزارة التعليم العالي، دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٤م.
- **مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري/** وزارة التعليم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٦.
- **ندوة الإخاء الديني/** وزارة الأوقاف، دمشق: مطبعة ألف باء الأديب، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- **نصوص من الأدب العباسي/** د. محمود الربداوي، دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ — الأسبوع الأدبي	(١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥)	٢٠٠٧م	سورية
٢ — رسالة معهد التراث	(٧٩) مج (٢٨)	٢٠٠٦م	سورية
٣- صوت فلسطين	(٤٦٨، ٤٦٩)	٢٠٠٧م	سورية
٤- مجلة جامعة تشرين	علوم صحية العدد (٢)	٢٠٠٦م	سورية
	علوم اقتصادية وقانونية العدد (٢، ٣)	٢٠٠٦م	سورية
٥- مجلة جامعة دمشق	علوم زراعية العدد(٢)مج(٢٢) علوم هندسية العدد(١)مج(٢٢) علوم تربوية العدد(٢)مج(٢٢)	٢٠٠٦م	سورية
٦- نضال الفلاحين	العدد (٤٢)	٢٠٠٦م	سورية
٧- دراسات	علوم إدارية العدد(٣٣)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم إنسانية واجتماعية العدد (٢، ٣)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم الشريعة والقانون العدد (١، ٢)	٢٠٠٦م	الأردن
	علوم تربوية العدد (٢)	٢٠٠٦م	الأردن
٨- الشريعة	العدد (٤٩٣)	٢٠٠٧م	الأردن
٩- المجلـــة الأردنية في اللغة العربية وآدابها	المجلد (١) العدد (١)	٢٠٠٥م	الأردن
	المجلد (٢) العدد(١، ٤)	٢٠٠٦	الأردن
	المجلد (٣) العدد (١)	٢٠٠٧م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١٠- آفاق الثقافة والتراث	السنة (١٤) العدد (٥٦)	٢٠٠٧م	الإمارات العربية المتحدة
١١- مجلة الآداب واللغات	الأعداد (٤، ٥)	٢٠٠٥م	الجزائر
١٢- الحج والعمرة	السنة (٦٢) العدد (١)	٢٠٠٧م	السعودية
١٣-الفيصل	الأعداد (٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠)	٢٠٠٧م	السعودية
١٤- البيان	العدد (٤٣٩)	٢٠٠٧م	الكويت
١٥- العربي	العدد (٥٧٩)	٢٠٠٧م	الكويت
١٦- مجلة العلوم	العدد (١) مج (٢٣)	٢٠٠٧م	الكويت
١٧- صوت الأمة	الأعداد (١، ٢، ٣) مج (٣٩)	٢٠٠٧م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى المعدني

1- Books:

- Le parfait secrétaire.
- Labor's untold stoty/Richard O.Boyer.
- The Progress of Julius/Daphne du Maurier.
- The loving spirit/ Daphne du Maurier.
- Histoires croustillantes/ Jean-charles.
- Loose chippings/ Thomas Gerald Wheeler.
- Principes fondamentaux/ Jean Baby.
- Cours de théorie de tissage/ F.Guicherd.
- English for textile institutes.
- Access to english getting on/ Michael Coles.
- ATour of Soviet Uzbekistan/ Victor Vitkovich.

2 – Periodicals:

- AJames, No.22 (1-2), 2006.
- AL-Abhath, Vol 54, 2006.
- Deutschland, No.3, 2007.
- Mims, October 2006.
- ميراث شهاب, Vol.11, No.3-4, 2006.
- Resistance, No.5-6, 2007.

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثاني والثمانين

البحوث والدراسات

المقالات والآراء

أنباء مجمعية وثقافية

الفهارس العامة للمجلد الحادي والثمانين

أ- فهرس أسماء كتّاب المقالات

ب – فهرس عناوين المقالات

NO.4

VOL . LXXXII

REVUE
DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)
E-mail: mla@net.sy



مطابع دار البعث

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

